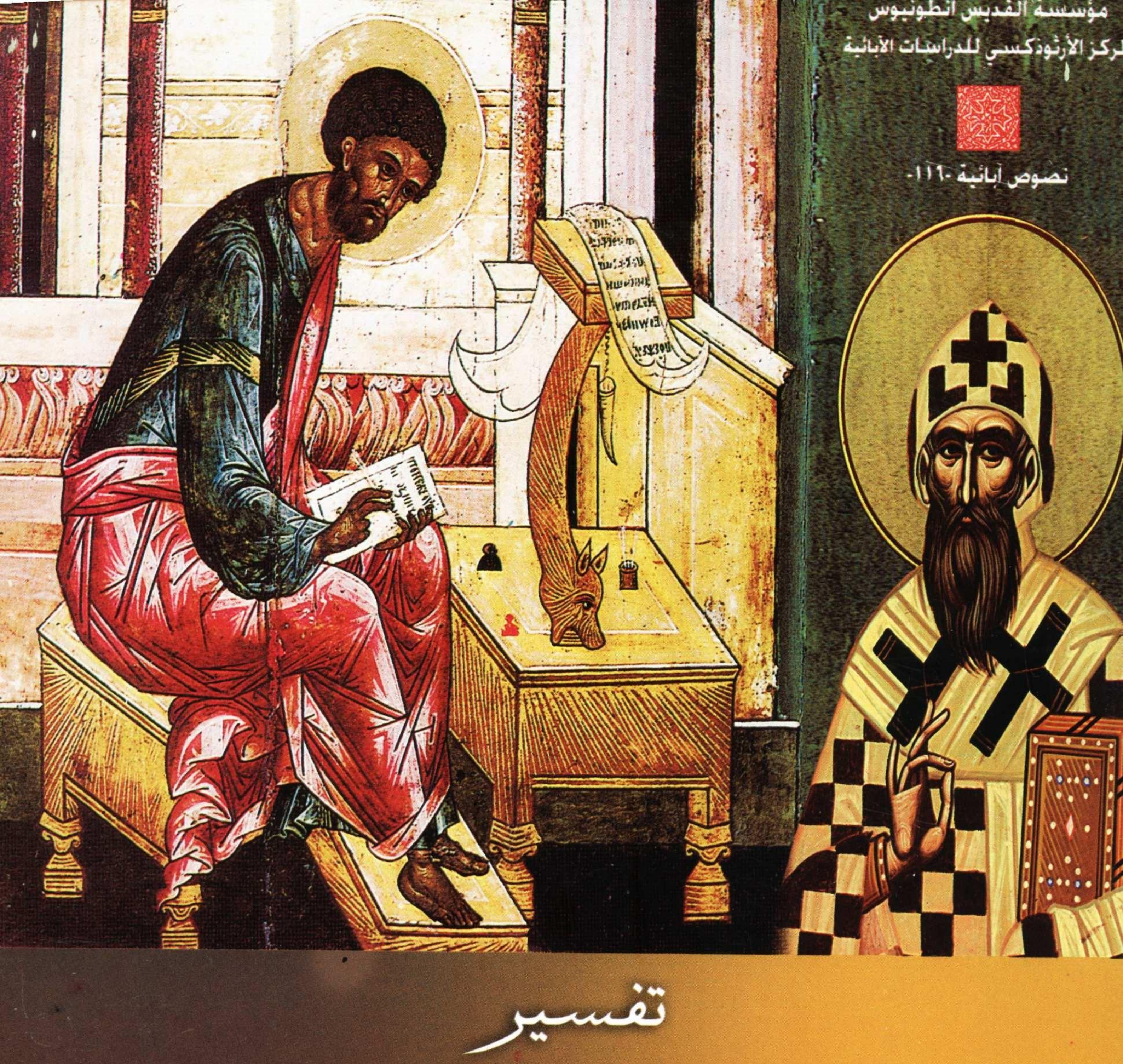


تفسير

إنجيل لوقا

للقديس كيرلس الأسكندري

مؤسسة القديس أنطونيوس
المركز الأرثوذكسي
للدراسات الآبائية
بالقاهرة
نصوص آبائية ـ ١١٦

تفسير إنجيل لوقا

للقديس كيرلس الأسكندري

ترجمة

د. نصحى عبد الشهيد
٢٠٠٧م

اسم الكتاب : تفسير إنجيل لوقا

اسم المؤلف : القديس كيرلس الأسكندري (عمود الدين)

اسم المترجم : دكتور نصحي عبد الشهيد بطرس

الناشر : مؤسسة القديس أنطونيوس ، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة:
٨ (ب) ش إسماعيل الفلكي ــ الدور الأول محطة المحكمة
مصر الجديدة ت: ٢٢٤١٤٠٢٣

E-Mail: santonio@link.net
Website:www. patristiccenter.org

الطبعة الأولى : ١٩٩٠م

الطبعة الثانية : ٢٠٠٧م

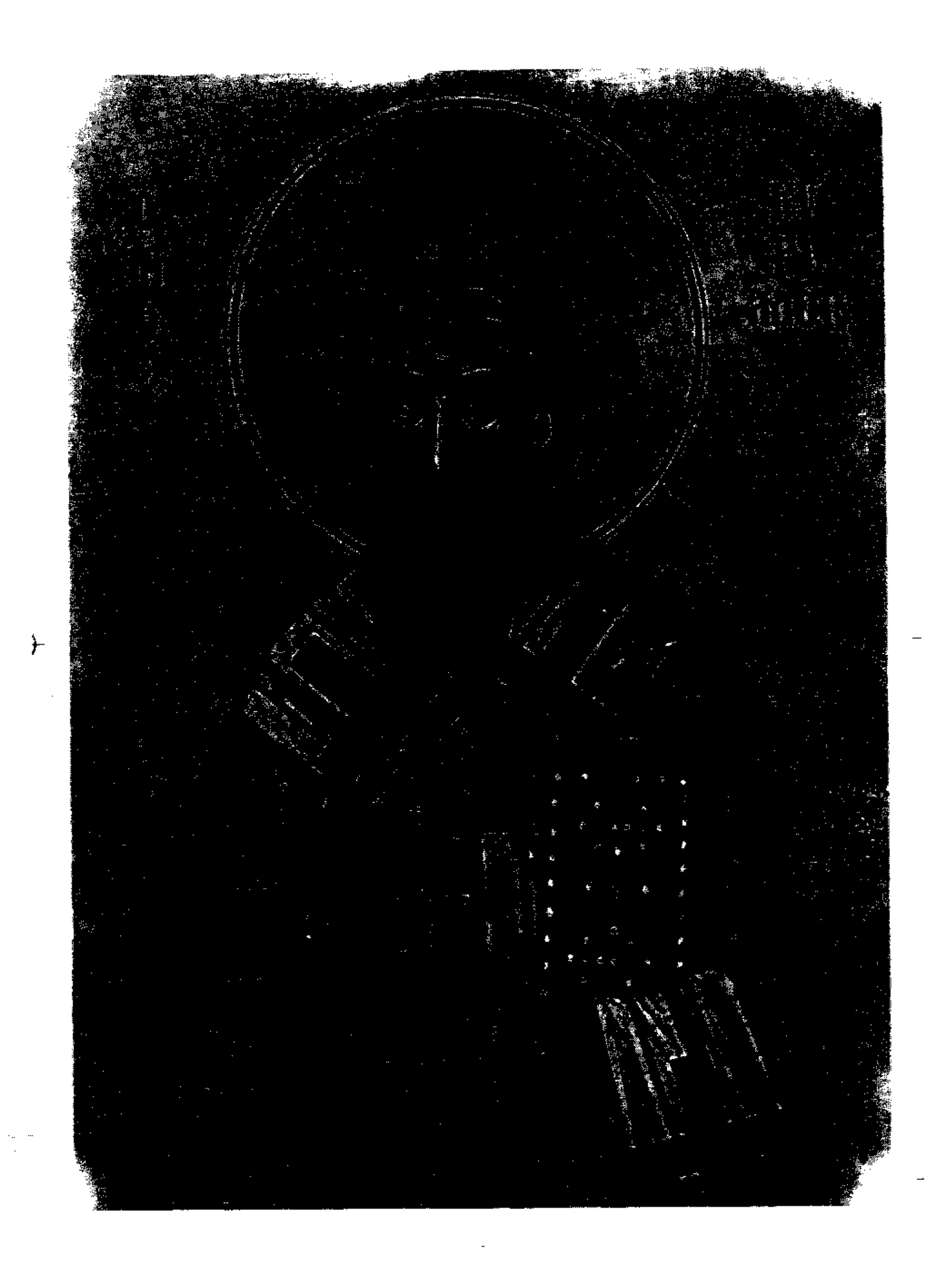
اسم المطبعة : مطبعة الأنبا رويس . الأوفست

رقم الإيداع : رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠٠٧/١٦٧٨٧

الترقيم الدولي : I.S.B.N. 977- 5057- 88- 4



(أيقونة للقديس لوقا الأنجيلى وهو يكتب الأنجيل)



القديس كيرلس الأسكندري (عمود الدين)



صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم
الأنبا شنوده الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



المحتويات

صفحة











مقدمة

هذا الكتاب " تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس بطريرك الأسكندرية " هو ترجمة عربية للترجمة الإنجليزية التى قام " الموقر بـاين سـميث " (R. Payne Smith) بترجمتها عن النسخة السريانية لهذا التفسير للقديس كيرلس. والمخطوطات السريانية لهذا التفسير كانت من بين المخطوطات التى أُكتشفت فى مصر فى حوالى منتـصف القرن التاسع عشر وأُودعت بالمتحف البريطانى بلندن. وقام " القس بـاين سـميث " بنشر النص السريانى للتفسير كما قام هو نفسه بعمل ترجمة إنجليزيـة لـه نُـشرت بأكسفورد (Oxford Univ. Press) سنة ١٨٥٩ فى مجلـدين. وأخيـرًا قامـت دار "ستوديون للنشر Studion Publisher. INC" بنيويورك بإعادة طبع ترجمـة "بـاين سميث" الإنجليزية فى مايو ١٩٨٣ فى مجلد واحد فى ٦٢٠ صفحة من القطع الكبير. وهذه هى الطبعة التى قمنا بالترجمة منها إلى العربية.

وتفسير إنجيل القديس لوقا للقديس كيرلس هو مجموعة من العظـات علـى كـل إصحاحات الإنجيل تقريبًا، وهذا التفسير هو فى أغلبـه ذو طـابع عملـى روحـى وأخلاقى ولا يتخذ طابعًا عقائديًا مثل شرحه لإنجيل القديس يوحنا[1]. والأصل اليونانى لهذا التفسير لم يتبقَ منه سوى ثلاث عظات كاملة بالإضافة إلى بعض فقرات متناثرة فى بعض السلاسل المجمعة لتفاسير الإنجيل من مصادر متنوعة (هـذه البقايـا مـن الأصل اليونانى نشرت فى مجموعة منى للآبـاء باليونانيـة مجلـد٧٢ ومجلـد٧٧ (M.P.G. 72,77). ولكن توجد ترجمة سريانية أُكتشفت في مخطوطـات محفوظـة بالمتحف البريطانى بلندن يرجع تاريخ نسخها إلى نهاية القرن السادس، هذه الترجمة السريانية تحتفظ بما لا يقل عن ١٥٦ عظة لتفسير إنجيل لوقا مترجمة عن اليونانية. وتبدأ العظات فى الترجمة السريانية بتفسير الأصحاح الثاني، فتفسير الأصحاح الأول

[1] انظر شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس، الجز الأول (يحوي شرح الأصحاحين ١، ٢)، نشر مركز دراسات الآبـاء ـــ مـصر الجديـدة القاهرة سنة ١٩٨٩ م.



غير موجود فى الترجمة السريانية، لذلك قام العالِم "باين سـميث" (Payne Smith) بترجمة ما وجده من تفسير آيات الأصحاح الأول لإنجيل لوقا فـى البقايـا المتبقيـة باليونانية فى بعض السلاسل التى جمعها الكاردينال ماى Mai ونشرها بروما (سـنة ١٨٤٤ ــ ١٨٥٨). وهى قاصرة على تفسير لبعض آيات متفرقة للإصـحاح الأول. وفى ترجمتنا العربية هذه قد وضعنا لهذه العظة السابقة على الأصحاح الثاني عنوان "عظة تمهيدية على بعض آيات الأصحاح الأول". وسيلاحظ القارئ أن العظتين ٨،٩ لم يحفظ منهما سوى تعليم صغير على يوحنا المعمدان للجموع (على آيات ١٠ ــ١٤ من الأصحاح الثالث). وهذا التعليق حفظ فى أحد البقايا باليونانية. أما فـى الترجمـة السريانية فهاتين العظتين غير موجودتين. كما سيلاحظ القارئ أن العظات مـن ١٣ إلى ٢٠ مفقودة أى لم تحفظ لا فى الأصل اليونانى ولا فى الترجمة السريانية. كما أن العظتين ٢١،٢٢ لم يُحفظ منهما سوى أجزاء فقط والباقى مفقود. وكذلك العظات ٢٤ و٢٦ و٢٨ و٣٠ و٣١ و٣٢ و٩٧ و٩٨ مفقودة.

تاريخ عظات هذا التفسير:

مضمون عظات القديس كيرلس على إنجيل القديس لوقا، يقـدم للبـاحثين دلائـل توضح تاريخ إلقاء هذه العظات وتاريخ تسجيلها، إذ يظهر فيها بوضوح إتجاه محاربة هرطقة نسطور وأتباعه. وقد وجد العالم أ. روكر (A. Ruker) إشارة واحدة علـى الأقل إلى حروم القديس كيرلس ضد نسطور، وذلك فى عظة رقـم ٦٣ مـن هـذه العظات[٢] فى تفسر إنجيل القديس لوقا ترجع إلى نهاية سـنة ٤٣٠ م (تـاريخ إرسـال الرسالة الثالثة إلى نسطور التى تحوى الحروم الأثنى عشر هو ٣٠ نوفمبر سنة ٤٣٠ م)[٣].

---

[٢] انظر كتاب علم الآباء للبروفسور كواستن J. Quasten, PATROLOGY مجلد ٣ صفحة ١٢٤ Vol. 3 P.124.

[٣] انظر "رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكى"، المقدمة، ترجمة د. موريس تاوضروس، ود. نصحى عبـد الشهيد، مركز دراسات الآباء، يوليو ١٩٨٩م.

ملاحظات على طريقة القديس كيرلس فى التفسير:

رغم أن هذه العظات لتفسير إنجيل القديس لوقا قد ألقيت فى وقت معاصر لظهور البدعة النسطورية وفى وقت كفاح القديس كيرلس لمحاربتها ـ والعظات مليئة بالشروحات عن الفهم السليم للتجسد وإظهار خطأ الأفكار النسطورية ـ إلا أن القارئ سيجد هذا التفسير مقدمًا بنغمة متزنة معتدلة كما هو متوقع فى عظات موجهة من معلم إلى شعبه، بعيدة عن الصراع المؤذى، وفى موقع كانت أفكاره تمتلك كل ما ورثه من أسلافه العظام في كرسى التعليم أى كرسى الإسكندرية. كما أن هناك أيضًا نغمة عملية تتخلل العظات كلها، فبينما فى تفسيره للعهد القديم يتبع الاتجاهات المألوفة عند الآباء عمومًا فى إبراز الرموز و المجاز، فإنه فى العهد الجديد يتبع المعنى الظاهر للكلمات أساسًا، وينظر إلى كل قصة أو حديث نظرة كلية شاملة، حيث يجد مفتاح تفسيرها فى المناسبة التى ترتبط بها. بل إن القديس كيرلس يحذرنا من الدخول فى دقائق وتفاصيل الأمثال أكثر من اللازم، هذه المبالغة التى تصير عادة مجالاً لتحميل الكلام بمعانى صوفية سرية لا يحتملها الكلام أصلاً ـ مثلما يحدث فى تفسير مثل الغنى ولعازر (لو١٦)، فبدلاً من أن يُستَخلص منه التأكيد على أننا سوف نعطى حسابًا لله عن طريقة استعمالنا للوسائل العالمية (الثروة فى هذا المثل)، فإن بعض المفسرين يستخدمون هذا المثل لمحاولة كشف أسرار العالم الآتى، أو أن يكتشفوا وجود سرىّ المعمودية والإفخارستيا فى تفسير معنى الدينارين اللذين أعطاهما السامرى لصاحب الفندق فى مثل السامرى الصالح (لو١٠).

استشهاد التفسير بالعهد القديم:

أخيرًا نود أن نُذكّر القارئ أن القديس كيرلس يستخدم الترجمة السبعينية للعهد القديم وهى الترجمة اليونانية لأسفار العهد القديم عن العبرية القديمة، والتى ترجمها سبعون شيخًا فى الإسكندرية فى القرن الثالث قبل الميلاد، وهذه الترجمة هى التى استخدمها الآباء جميعًا فى القرون الأولى، كما أن كتبة العهد الجديد أنفسهم استخدموا هذه الترجمة فى اقتباساتهم من العهد القديم. هذا وقد أشرنا بعد كل شاهد مقتبس من

الترجمة السبعينية بعبارة "سبعينية" أو بحرف (س) فقط للدلالة على أن الاقتباس مأخوذ من هذه الترجمة.

هذا وقد وضعنا عنواناً لكل عظة من عظات التفسير تحت رقم العظة. وقد قسمنا هذا التفسير فى الترجمة العربية إلى ثلاثة أجزاء، الجزء الأول منها يحوى تفسير ثمانية إصحاحات من الإنجيل فى ٤٦ عظة غير العظة اللتمهيدية على الأصحاح الأول، على أن يُنشر باقى التفسير فى جزأين آخرين بمشيئة الله.

ولإلهنا المحب القدوس، الثالوث الواحد، الآب والابن والروح القدس، كل تمجيد وتسبيح وإكرام وسجود الآن وإلى دهر الدهور آمين.

بيت التكريس بحدائق القبة
فى الأحد الثالث للصوم الكبير
أول إبريل ١٩٩٠م
٢٣ برمهات ١٧٠٦ش.

دكتور
نصحى عبد الشهيد

مقدمة الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى لكتاب " **تفسير إنجيل القديس لوقا للقديس كيرلس الأسكندري الكبير (عمود الدين)** " في خمسة أجزاء بين سنتي ١٩٩٠ و ٢٠٠١م. وقد نفدت الأجزاء كلها منذ سنوات، ولشدة الإحتياج لوجود تفسير للإنجيل لأحد آباء كنيسة الأسكندرية الكبار متداولاً في متناول جميع المؤمنين أبناء المعمودية، قام المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية، بمراجعة الطبعة الأولى لتصويب أية أخطاء مطبعية، ونشر التفسير كاملاً في مجلد واحد.

ونعيد تذكير القارئ في هذه الطبعة الثانية بأن اقتباسات القديس كيرلس في هذه العظات مأخوذة من الترجمة السبعينية اليونانية للعهد القديم وهى نفس الترجمة التي أخذ منها كتّاب العهد الجديد اقتباساتهم من العهد القديم.

كما نلفت النظر إلى قول القديس كيرلس في العظة ١٤١ عن الإفخارستيا أن [المسيح نفسه جُعل ذبيحة مقدسة لأجلنا وهو الذي يُقدّس المؤمنين به " بتقديم قرابين غير دموية"، وتقديم " الشكر (الإفخارستيا) السرى"، الذي فيه " ننال البركة " ونُعطى "الحياة بالحياة"]، ويعلق العالم باين سميث Payne Smith الذي ترجم التفسير إلى الإنجليزية على الكلمة اليونانية المترجمة " تقديم الشكر السرى " فيقول "إنها تعنى الذي يخدم في خدمة مقدسة "، ويقول: "هذه الكلمة هى كلمة رسولية واردة في رومية ١٦:١٥ المترجمة " مباشرًا لإنجيل الله ككاهن " وترجمتها الدقيقة " خادمًا في الخدمة الكهنوتية لإنجيل الله"، ويقول باين سميث أيضًا إن الكلمة " ننال البركة " في عظة ١٤١ كانت تُطلق في العصور الأولى بصفة ثابتة على الإفخارستيا استنادًا إلى كورنثوس الأولى ١٦:١٠ " كأس البركة ". ويقول خاتمًا تعليقه الهام هذا: " إن استخدام هذه الكلمات يظهر العلاقة الوثيقة التكاملية بين الحياة الليتورجية للمسيحيين الأول وبين فهمهم للكتاب المقدس" (أنظر هامش على عظة ١٤١ معرّب عن الترجمة الإنجليزية للتفسير).

وتحوي هذه الطبعة الجديدة للتفسير فهرسًا للموضوعات والكلمات في نهاية الكتاب لتسهيل الحصول على الأفكار والتعاليم التي يقدمها القديس كيرلس في عظات هذا التفسير.

وأقدم شكري الجزيل وامتناني لكل الذين تعبوا معي في مراجعة وتنقيح هذه الطبعة الجديدة لهذا التفسير.

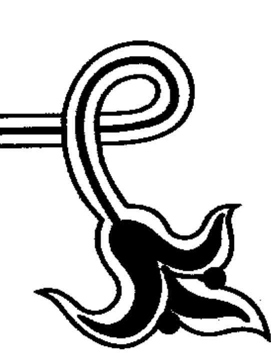
فليبارك الله في هذا التفسير لبنيان كنيسة الله المقدسة وخلاص أبناء المعمودية بشفاعة العذراء القديسة مريم وصلوات القديس لوقا الإنجيلي وصلوات القديس كيرلس عمود الدين، وصلوات قداسة البابا أنبا شنودة الثالث والآباء المطارنة والأساقفة.

ولإلهنا الثالوث القدوس محب البشر الآب والابن والروح القدس كل مجد وتسبيح وسجود الآن وإلى الأبد . آمين .

عيد نياحة القديس كيرلس عمود الدين
١٠ يوليو ٢٠٠٧م
٣ أبيب ١٧٢٣ش

د. نصحي عبد الشهيد
المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية

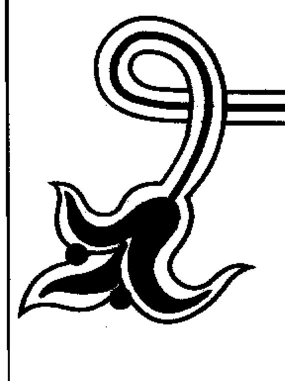




(أيقونة بشارة الملاك للعذراء)

الأصحاح الأول





"الذين كانوا من البدء معاينين وخداماً للكلمة"

عظة تمهيدية
على بعض آيات الأصحاح الأول[1]

(لو ١: ٢) "*ٱلَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ ٱلْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ* ".

عندما سيقول البشير لوقا إن الرسل كانوا شهود عيان لذات الكلمة المحيي، فإنه بذلك يتفق مع البشير يوحنا، الذى يقول إن "*الكلمة صار جسدًا، وحل فينا، ورأينا مجده مجدًا كما لوحيد من الآب*" (يو ١: ١٤). فالكلمة أصبح من الممكن رؤيته بسبب الجسد الذي هو منظور وملموس وصُلب، بينما الكلمة ذاته غير منظور. ويوحنا أيضًا يقول في رسالته: "*الذي كان من البدء، الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة، فإن الحياة أُظهِرَت*" (١يو ١: ١).

ألا تسمعونه يتحدث عن الحياة على أساس أنها يمكن أن تُلمس؟ وهو يقول هذا لكى تفهموا أن الابن صار إنسانًا وصار منظورًا من جهة الجسد، ولكنه غير منظور من جهة لاهوته.

(لو ١: ٥١) "*صَنَعَ قُوَّةً بِذِرَاعِهِ. شَتَّتَ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ* ".

الذراع يشير رمزيًّا إلى الكلمة الذي وُلد من العذراء، وتعني مريم بالمستكبرين: الشياطين الأردياء الذين سقطوا مع رئيسهم بواسطة الكبرياء. ويعني أيضًا حكماء اليونانيين، الذين رفضوا أن يقبلوا كرازة الإنجيل التي عندهم جهالة، وأيضًا اليهود الذين لم يؤمنوا والذين تشتتوا بسبب تصوراتهم غير اللائقة عن كلمة الله. وتقصد "بالأعزاء" الكتبة والفريسيين الذين يسعون للكراسي الأولى. ومع ذلك فإنه أقرب إلى المعنى، أن يقصد "بالأعزاء" الشياطين الأردياء، فإن هؤلاء حينما ادَّعوا السيادة على العالم فإن الرب شتّتهم بمجيئه إلينا، ونقل أولئك الذين كانوا أسرى لهم إلى سيادته

---

[1] تحوي هذه العظة التمهيدية ما وصلنا في مخطوطات تفسير إنجيل لوقا للقديس كيرلس باللغة اليونانية على بعض آيات الأصحاح الأول، أما المخطوطات السريانية لهذا التفسير فتبدأ كلها بالعظة رقم ١ على الأصحاح الثاني لإنجيل لوقا.

وملكوته هو. فإن كل هذه الأشياء حدثت بحسب نبوءة العذراء بأنه:

(لو ١:٥٢) "*أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ* ".

فإن كبرياء هؤلاء الشياطين الذي شتَّتهم هو كبرياء فظيع وهكذا أيضًا كبرياء فلاسفة اليونانيين، وكذلك الفريسيين والكتبة كما ذكرت. ولكنه هو أنزلهم، ورفع أولئك الذين تواضعوا تحت يده القوية، وأعطى هؤلاء السلطان أن يدوسوا الحيات والعقارب، وعلى كل قوة العدو. وأبطل مؤامرات هذه الكائنات المستكبرة ضدنا. اليهود الذين كانوا يفتخرون سابقًا بمملكتهم نُزعت منهم بسبب عدم إيمانهم، بينما الوثنيين الذين لم يكونوا يعرفون الله رفعهم ومجَّدهم بسبب إيمانهم.

(لو ١:٥٣) "*أَشْبَعَ الْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ وَصَرَفَ الأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ* ".

وهي تعني "بالجياع" الجنس البشري. إذ أنه فيما عدا اليهود كان الجميع مجروحين بالجوع، فاليهود كانوا أغنياء بإعطائهم الناموس وبتعليم الأنبياء القديسين. فقد كان لهم "*التبنِّي والعبادة والاشتراع والمواعيد*" (رو٩:٤) ولكنهم تلهّوا بالطعام الكثير، انتفخوا بالمنزلة التي أُعطيَت لهم ولأنهم رفضوا أن يقتربوا باتضاع من الكلمة المتجسد، فقد صُرفوا فارغين، لا يحملون معهم شيئًا لا الإيمان ولا المعرفة ولا الرجاء في البركات الآتية، فإنهم بالحقيقة صاروا منبوذين من أورشليم الأرضية وأيضًا غرباء عن حياة المجد التي ستُعلَن في المستقبل، لأنهم لم يقبلوا رئيس الحياة، بل صلبوا رب المجد، وتركوا ينبوع الماء الحي واعتبروا الخبز النازل من السماء أنه لا شيء، ولهذا السبب فقد أتى عليهم جوع أشد من أي جوع آخر، وعطشٌ أكثر مرارة من كل عطش آخر. فإنه لم يكن جوع إلى الخبز المادي ولا عطش إلى الماء، ولكنه "جوع *لاستماع كلمة الله*" (انظر عاموس١١:٨).

ولكن الأمم الذين كانوا جياع وعطشى بنفوسهم الهزيلة البائسة، فقد امتلأوا بالبركات الروحية، لأنهم قبلوا الرب. فإن كل امتيازات اليهود قد نُقلتْ إليهم.

(لو ١:٥٤) "*عَضَدَ إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ لِيَذْكُرَ رَحْمَةً* ".

عَضَدَ إسرائيل ــ ليس إسرائيل حسب الجسد الذي يفخر بمجرد الاسم، ولكن ذلك



الذي هو بالروح وبحسب المعنى الحقيقي للاسم ــ ذلك الذي ينظر إلى الله، ويـؤمن به، وينال تبنِّي البنين بواسطة الابن بحسب الكلمة التي أُعطيَت، والوعـد المعطَـى للأنبياء والبطاركة (رؤساء الآباء) القدماء. ولكن كلمة إسرائيل لها انطبـاق حقيقـي أيضًا على إسرائيل الجسدي، فإن آلاف وربوات من بينهم قد آمنوا. ولكنه قـد ذكـر رحمته كما وعد إبراهيم. وقد تمَّم ما قاله له بأن "*في نسلك تتبـارك جميـع قبائـل الأرض*" (تك٢٢: ١٨). فإن هذا الوعد كان في طريقه إلى التحقُّق بميلاد مخلِّصنا المسيح الذي كان على وشك الحدوث، الذي هو نسل إبراهيم الذى فيه تتبارك الأمـم، لأنـه أمسك بنسل إبراهيم كما تقول كلمات الرسول (انظر عب٢: ١٦). وهكذا تحقق الوعد الذي أعطَى للآباء.

(لو ١: ٦٩) "*وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ* ".

إن كلمة " قرن" تشير لا إلى القوة فقط بل إلى الملوكية. ولكن المسيح الذي هـو المخلِّص الذي جاء لنا من بيت وجنس داود هو القوة والملك معًا، لأنـه هـو ملـك الملوك وهو قوة الآب غير المغلوبة.

(لو ١: ٧٢) "*لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا* ".

المسيح هو رحمة وعدل " بر" لأننا نلنا رحمة بواسطته، وتبرَّرنا إذ قد غُسلنا من أوساخ خطيتنا بالإيمان به.

(لو ١: ٧٣) "*الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا* ".

لا ينبغى لأحد حينما يسمع أن الله أقسم لإبراهيم، لا ينبغى له أن يسمح لنفسه بأن يُقسِم، وكما أن الغضب حينما يُقال على الله هو ليس غضبًا ولا يعني الانفعال، ولكن يُقصد به القوة التي تظهر في العقاب أو أي حركة مشابهة. هكذا أيضًا فالقَسَم بالنسبة له ليس قسمًا. لأن الله لا يقسم بل يشير إلى يقينية الحدث ــ أي أنَّ ما يقوله سيحدث بالضرورة، لأن قَسَم الله هو كلمته الخاصة التي تحُث الذين يسمعونه حثًّـا كـاملاً، وتعطي كل واحد الاعتقاد بأن ما قد وعد به الله وقاله لابد أن يحدث بالتأكيد.



(لو ١: ٧٦) " *وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى، لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ* ".

أرجو أن تلاحظوا هذا أيضًا، أن المسيح هو العليِّ الذي كان يوحنا سابقًا له في ميلاده وكرازته لإعداد الطريق، فماذا يتبقى إذًا، لكي يقول أولئك الذين يقلِّلون من لاهوته؟ ولماذا لا يفهمون أنه حينما قال زكريا "*وأنت نبي العلي تُدعى*"، إنما كان يقصد بهذا الكلام أنه نبي " الله" مثل أنبياء الله السابقين له.

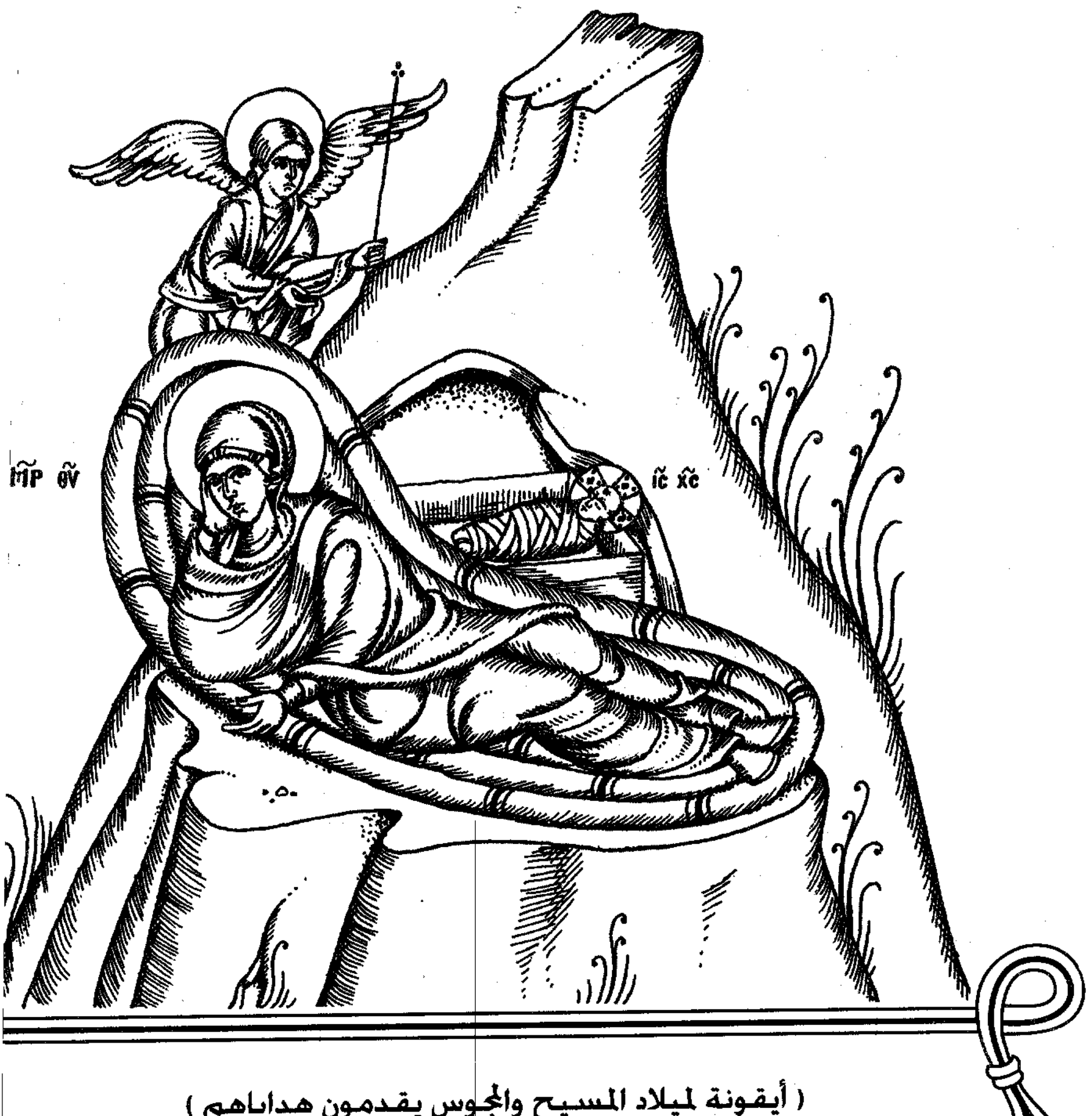
(لو ١: ٧٩) "*لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ* ".

كان المعمدان بالنسبة لأولئك الذين تحت الناموس الساكنين في اليهودية، كأنه سراج سابق للمسيح، وهكذا تكلم عنه الله سابقًا " *هيأت سراجًا لمسيحي*" (مز ١٣١: ١٧). والناموس يُعطي إشارة عنه بالمنارة التي في المسكن الأول، التي أوصى بأن تكون موقَدة دائمًا. ولكن اليهود، بعد أن سُرُّوا به فترة قصيرة مندفعين أفواجًا إلى معموديته، ومعجبين بطريقة حياته، فإنهم سريعًا ما جعلوه يرقد رقاد الموت مجتهدين أن يطفئوا المصباح الدائم الاشتعال. لذلك تحدث عنه المخلِّص أيضًا: "*كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة*" (يو ٥: ٣٥).

"*لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلاَمِ* ".

لأن العالم في الواقع كان تائهًا في الضلال، يعبد المخلوق بدلاً من الخالق، وكأن الليل قد سقط على عقول الجميع فلا يدعهم يبصرون ذاك الذي هو بالطبيعة وبالحقيقة الله.

ولكن رب الكل جاء للإسرائيليين مثل نور ومثل شمس.



(أيقونة لميلاد المسيح والمجوس يقدمون هداياهم)

الأصحاح الثانى





"وفى تلك الأيام صدر أمر من أغسطس قيصر، أن يُكتتب كل المسكونة"

الأصحاح الثاني: ١ - ٧

عظة (١)
ولادة المسيح في بيت لحم

وُلد المسيح في بيت لحم في الوقت الذي أمر فيه أوغسطس قيصر أن يتم الاكتتاب (الإحصاء) الأول. ولكن ربما يسأل واحد، ما هي الضرورة التي جعلت البشير الحكيم جدًا أن يذكر هذا الأمر بنوع خاص؟ أجيب: نعم، إنه كان أمرًا نافعًا كما أنه أمر ضروري أن يُحدِّد الفترة التي وُلد فيها المخلِّص. لأنه قد قيل بصوت رئيس الآباء: *"لا يزول رأس من يهوذا، ولا مشترع من بين رجليه حتى يأتي الذي جعل له. وهو انتظار الشعوب"* (تك٤٩: ١٠ سبعينية).

وذُكِرَ هذا الأمر أيضًا لكي نعرف أن الإسرائيليين لم يكن لهم في ذلك الوقت مَلِك من عشيرة داود، وأن حكامهم الذين من أمَّتهم قد سقطوا. فهو لسبب مناسب يذكر أوامر قيصر. فإن اليهود وبقية الأمم كانوا تحت سلطان حكمه. فهو إذ كان حاكمًا لهم أَمَر أن يُجرى هذا الإحصاء.

(لو٢: ٤) *"لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ"*.

إن الأناجيل المقدسة بإرجاعها نسب المسيح إلى يوسف، الذي من بيت داود، قد أثبتت من خلال يوسف أن العذراء أيضًا كانت من نفس عشيرة داود. ذلك أن الناموس الإلهي قد أمر أن التزاوج ينبغي أن يكون محصورًا بين أشخاص من نفس العشيرة. ومُفسِّر التعاليم السماوية، الرسول العظيم بولس يُعلن الحق بوضوح، فهو يشهد أن الرب خرج من سبط يهوذا (عب٧: ١٤).

إن الطبائع التي اجتمعت إلى هذا الاتحاد الحقيقي هي مع ذلك مختلفة عن بعضها، ولكن من الاثنين معًا (أي من الطبيعتين) هو واحد، أي الله الابن دون

أن يُضيع تمايز الطبيعتين بسبب الاتحاد. لأنه قد صار اتحاد من الطبيعتين، ولذلك فنحن نعترف بمسيح واحد، ابن واحد، ونحن بالإشارة إلى فكرة الاتحاد هذه بدون اختلاط، فإننا نعترف بالقديسة العذراء أنها والدة الإله. لأن الله الكلمة أخذ جسدًا وصار إنسانًا، وبالحبل به في بطنها وجد الهيكل الذى اتخذه منها بنفسه.

فإننا نرى أن طبيعتين ـ بواسطة اتحاد لا انفصال فيه ـ قد اجتمعتا معًا فيه بدون اختلاط وبدون انقسام، لأن الجسد هو جسد وليس لاهوتًا رغم أنه قد صار جسد الله، وبنفس الطريقة أيضًا فإن الكلمة هو إله وليس جسدًا رغم أنه بسبب التدبير قد جعل الجسد جسده. ولكن رغم أن الطبائع التى اجتمعت في تكوين الاتحاد هي مختلفة إحداها عن الأخرى كما أنها غير متساوية بعضها مع بعض، إلا أن ذلك الذى تكوَّن من الطبيعتين معًا هو واحد فقط. ونحن لا نفصل الرب الواحد يسوع المسيح إلى إنسان وحده وإله وحده، بل نحن نؤكد أن المسيح يسوع هو واحد، وهو نفسه، معترفين بالتمايز بين الطبيعتين بدون أن نخلطهما الواحدة مع الأخرى.

(لو ٢:٥) "*مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى*".

يقول القديس البشير إنَّ مريم كانت مخطوبة ليوسف، لكي يُبيِّن أن الحمل حدث وهى مخطوبة فقط، وأن ولادة عمانوئيل كانت معجزية، ولم تكن بحسب قوانين الطبيعة. لأن العذراء القديسة لم تحمل من زرع إنسان. والسؤال هو لماذا حدث هذا؟

المسيح، الذي هو باكورة الجميع، وهو آدم الثاني حسب الكُتب، قد وُلد من الروح لكي ينقل هذه النعمة (نعمة الولادة الروحية) إلينا نحن أيضًا. فنحن أيضًا قد أُعد لنا أن لا نحمل فيما بعد اسم أبناء البشر بل بالأحرى نولَد من الله وذلك بحصولنا على الميلاد الجديد من الروح الذى تم في المسيح نفسه أولاً، لكي



يكون هو "*متقدمًا بين الجميع*" (كو١:١٥) كما يُعلن بولس الحكيم جدًّا. إن فرصة الإحصاء كانت سببًا مناسبًا جدًّا لكي تذهب العذراء إلى بيت لحم لكى نرى نبوة أخرى تتحقق. لأنه مكتوب: "*وأنتِ يا بيت لحم أفراتة وأنتِ صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطًا على إسرائيل*" (ميخا٥:٢)، ولكن أولئك الذين يجادلون ويقولون، إن كان هو قد جاء في الجسد فتكون العذراء قد فسدت، وإن لم تكن قد فسدت فإنه يكون قد جاء بطريقة خيالية فقط. هؤلاء نقول لهم إن النبي يُعلِن "*أن الرب إله إسرائيل قد دخل وخرج، والباب يظل مغلقًا*" (حز٤٤:٢)، وأيضًا إن كان الكلمة قد صار جسدًا بدون تزاوج جسدي، إذ أنه حُمل به بدون زرع بشر، فإنه إذن وُلد دون أن تُمس عذراويتها.

(لو٢: ٦،٧) "**وبينما هما هناك تمّت أيامها لتلد، فولدت ابنها البكر وقمطته وأضجعته في المزود**"

ما هو معنى بكرها؟ إنّ معنى البكر هنا ليس أنه الأول بين إخوة عديدين، بل هو ابنها الأول والوحيد، فإن هذا هو المعنى من بين المعاني التي تُفسَّر بها كلمة "البكر". لأن الكتاب المقدس أحيانًا يسمّي الوحيد بالأوّل كما هو مكتوب: "*أنا الله، أنا الأوّل وليس هناك آخر معي*" (إش٤٤:٦ سبعينية).

فلكي يتّضح أن العذراء لم تلد مجرد إنسان، لذلك أُضيفت كلمة "البكر"، وحيث أنها ظلت عذراء فلم يكن لها ابن آخر إلاّ ذلك هو من الله الآب، والذي بخصوصه أعلن أيضًا الله الآب بصوت داود "*أنا أيضًا أجعله بكرًا، أعلى من ملوك الأرض*" (مز٨٩:٢٧).

ويقول عنه بولس الكلّي الحكمة أيضًا: "*متى أدخل البكر إلى العالم يقول، ولتسجد له كل ملائكة الله*" (عب١:٦) فكيف إذن دخل إلى العالم؟ لأنه منفصل عن العالم، ليس من جهة المكان بقدر ما هو من جهة الطبيعة. فإنه يختلف عن سكان العالم في الطبيعة، ولكن دخل إلى العالم بأن صار إنسانًا، وبذلك صار جزءًا من العالم بالتجسد. ورغم أنه هو الابن الوحيد من جهة ألوهيته، إلاّ أنه



لكونه صار أخًا لنا، فقد أصبح له اسم " البكر"، ولكي يصير هو الباكورة لتبنِّي البشرية، فإنه يمكنه أن يجعلنا أيضًا أبناء الله.

لذلك لاحظوا، أنه يُدعى البكر من جهة التدبير[1]، لأنه من جهة ألوهيته هو الابن الوحيد. وأيضًا فإنه الابن الوحيد من جهة كونه كلمة الآب الذي ليس له إخوة بالطبيعة ولا يوجد أي كائن مشترك معه. لأن ابن الله المساوي للآب، هو واحد ووحيد، ولكنه يصير بكرًا بتنازله إلى مستوى المخلوقات.

لذلك حينما يُدعى الابن الوحيد، فإنه يُدعى هكذا دون أن يكون هناك سبب آخر لكونه الابن الوحيد إذ هو الإله الوحيد الجنس الذي في حضن الآب (يو ١:١٨) ولكن حينما تدعوه الكتب الإلهية " بالبكر" فإنها تضيف حالاً علَّة السبب الذي من أجله حمل هذا اللقب فتقول الكتب "*البكر بين إخوة كثيرين*" (رو ٨:٢٩)، وأيضًا "*البكر من الأموات*" (كو ١:١٨)، ففي المرَّة الأولى دُعي " بكرًا بين إخوة كثيرين" بسبب أنه صار مثلنا في كل شيء ما عدا الخطية، وفي المرة الثانية دُعي " البكر من الأموات" لأنه هو الأول الذي أقام جسده إلى حالة عدم الفساد.

وأيضًا هو كان دائمًا منذ الأزل الابن الوحيد بالطبيعة، لكونه الوحيد المولود من الآب، إله من إله، وحيد من وحيد، إله أشرق من إله، نور من نور، ولكنه هو "البكر" لأجلنا نحن حتى عندما يُدعى بكرًا للمخلوقات فإن كل مَنْ يشابهه يخلص بواسطته. فإن كان هو بالضرورة يصير "البكر" فبالتأكيد لابد أن يكون هناك أولئك الذين يكون هو بكرًا لهم. ولكن إن كان ـ كما يقول يونوميوس ـ إنه يُدعى بكر الله المولود الأول بالنِّسبة لكثيرين، وإنَّه هو أيضًا بكر العذراء، ففي هذه الحالة إذن يلزم أن يصير هو الأول قبل طفل بعده بالنسبة لها. ولكن

[1] اصطلاح "التدبير" يستعمله القديس كيرلس وكل الآباء ليعبِّروا عن خطة الله وقصده لتتميم خلاص الإنسان عن طريق مجيء ابن الله في الجسد واتحاده بطبيعتنا وتتميمه الفداء بالموت والقيامة.



إن كان يُدعى بكر مريم باعتباره الابن الوحيد وليس هناك من يأتون بعده، إذن فهو أيضًا بكر الله لا كالأول بين كثيرين، بل هو المولود الواحد الوحيد.

وبالإضافة إلى ذلك إن كان الأول يُعترف به أنه علِّة الثاني، فإن الله هو الأول، وحينئذ فالابن هو علّة أولئك الذين نالوا لقب الأبناء، لأنهم بواسطته قد حصلوا على هذه التسمية، لذلك وهو علّة وجود الأبناء الذين أتوا بعده فإنه يُدعى البكر بحق، لا لأنه هو أولهم، بل لكونه العلّة الأولى لحصوله على لقب التبنِّي. وكما أن الآب يُدعى الأول لأنه يقول: "*أنا الأول وأنا بعد هذه الأشياء*" (إش٤١:٤)، وهو بالتأكيد لا يريدنا أن نعتبره أنه مشابه في الطبيعة لأولئك الذين يأتون بعده، هكذا أيضًا فرغم أن الابن يُدعى بكر الخليقة، أو البكر قبل كل خليقة، فهذا ليس معناه أنه واحد من الأشياء المخلوقة، بل كما أن الآب قال " أنا الأول" لكي يُوضح أنه أصل كل الأشياء، فبنفس المعنى يُدعى الابن أيضًا بكر الخليقة "*فإن كل الأشياء خُلقت به*" (يو١:٣). فكخالق وصانع للعالم، هو بداية كل الأشياء المخلوقة وأصلها.

(لو٢:٧) "*وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ*".

لقد وجد أن الإنسان قد تدنَّى إلى مستوى الحيوانات، لذلك فإنه وُضع مثل علف في المزود، لكي حينما نخلع حياتنا الحيوانية، نرتفع إلى درجة العقل والبصيرة التي تليق بطبيعة الإنسان. وبينما كنا متوحشين في نفوسنا، فإننا الآن باقترابنا من المزود، أي "مائدته الخاصة"[٢]، فإننا لا نجد علفًا بعد، بل الخبز الذي من السماء الذي هو جسد الحياة.

[٢] واضح أن القديس كيرلس يتحدث عن تناول الإفخارستيا التي يشترك فيها المؤمنون نتيجة التجسد.

عظة (٢)
على ميلاد مخلصنا بالجسد

لو (٢: ٨ ــ ١٨) "*وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ، وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ. وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ. وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ الرجال الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لِنَذْهَبِ الآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرْ هذَا الأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمَنَا بِهِ الرَّبُّ. فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ، وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعًا فِي الْمِذْوَدِ. فَلَمَّا رَأَوْهُ أَخْبَرُوا بِالْكَلاَمِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هذَا الصَّبِيِّ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرُّعَاةِ* ".

أبدأ حديثي إليكم بما هو مكتوب في سفر المزامير: "*هلم نسبح الرب، ونرنم لله مخلصنا*" (مز٩٥: ١) لأنه هو رأس عيدنا، ولذلك فلنخبر بأعماله العظيمة، ونروي طريقة ذلك التدبير الذي خطّطه تخطيطًا جميلاً، والذي بواسطته خلص العالم، ووضع نير ملكوته على كل واحد منا. هذا التدبير يستحق أن يكون موضوع إعجابنا. "*يا جميع الأمم صفقوا بأيديكم*"، ويضيف أيضًا: "*رتلوا بفهم لأن الله ملك على جميع الأمم*" (٤٧: ١،٧) لأن هذا السر المقدس قد تم بحكمة فائقة جدًّا بالمسيح، إن كان حقًّا، وحق هو بالتأكيد، أن الرب رغم أنه هو الله، ظهر لنا. ورغم أنه في صورة الآب وهو ذو تفوّق فائق وشامل، فقد أخذ شكل عبد. ولكن رغم هذا فإنه هو إله ورب. فإنه لم يزل كما كان (قبل أن يتجسد).



إن جماعة الأنبياء القديسين قد سبقوا فأخبروا بميلاده بالجسد، وباتخاذه شكلنا في الوقت المعيَّن، الآن قد تحقق هذا الرجاء، فإن قوات السماء تأتي بالأخبار المفرحة عن ظهوره في هذا العالم للرعاة قبل الجميع في بيت لحم، وبذلك كانوا أول من حصل على معرفة السر. والرمز هنا يشير إلى الحقيقة، لأن المسيح يعلن نفسه للرعاة الروحيين لكي يبشِّروا به الآخرين، كما حدث من الرعاة أيضًا عندما تعلَّموا سره من الملائكة القديسين، وأسرعوا ليحملوا الأخبار المفرحة للآخرين، لذلك فالملائكة هم أوَّل من بشَّر به وأعلنوا مجده كإله مولود في الجسد من امرأة بطريقة عجيبة.

ولكن ربما يعترض أحد على هذا، فيقول " إن الذي وُلد الآن كان طفلاً وكان ملفوفًا بالأقماط ومضجعًا في مذود، فكيف نقول إنَّه تُسبِّحه القوَّات العلوية كإله؟ وردًّا على هذا الاعتراض نقول بحسم: أيها الإنسان عمِّق السر فإن الله صار في شكل منظور مثل شكلنا. رب الكل في شكل عبد، ومع ذلك فإن مجد الربوبية غير منفصل عنه. افهم أن الابن الوحيد صار جسدًا، وأنه احتمل أن يولد من امرأة من أجلنا، لكي يُبطل اللعنة التي حُكم بها على المرأة الأولى، فقد قيل لها، "*بالوجع تلدين أولادًا*" (تك٣:١٦) فإنها كأنها تلد للموت. ولذلك ذاقوا أي أولاد المرأة لدغة الموت. ولكن لأن امرأة قد ولَدَت في الجسد، عمانوئيل، الذي هو الحياة فإن قوة اللعنة قد أُبطلت. ومع إبطال الموت أُبطلت أيضًا الأوجاع[٣] التي تحتملها الأمهات الأرضيات في الولادة.

أتريد أن تتعلَّم سببًا آخر لهذا الأمر؟ تذكَّر ما كتبه بولس الحكيم جدًّا عنه: "*لأنه ما كان الناموس عاجزًا عنه، لأنه كان ضعيفًا بالجسد، فالله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية دان الخطية في جسده، لكي يَتم حُكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد، بل حسب الروح*"

[٣] ربما يقصد القديس كيرلس أن العذراء القديسة في ولادتها للمسيح ولدت بدون وجع.

(رو٨: ٣،٤). فما معنى قوله إن الابن أُرسل في شبه جسد الخطية؟ هـذا هـو المعنى: أن ناموس الخطية يكمن مختفيًا في أعضائنا الجسدية مصاحباً تحرك الشهوات الطبيعية المخجلة، ولكن حينما صار كلمة الله جسدًا، أي إنسانًا، واتَّخذ شكلنا، فإنَّ جسده كان مقدسًا ونقيًّا نقاوة كاملة، وهكذا كان حقًّا في شبه جسدنا، ولكن ليس بنفس مستواه. لأنه كان حرًّا من ذلك الميل الذي يقودنا إلى ما هو ضد الناموس.

لذلك فحينما ترى الطفل ملفوفًا بالأقماط لا تُركز فكرك على ميلاده في الجسد فقط، بل ارتفع إلى تأمل مجده الإلهي، ارفع عقلك عاليًا، اِصعد إلى السماء، وهكذا سوف تنظره في أعلى تمجيد، وهو صاحب المجد الفائق، سوف تراه: "*جالسًا على عرش عالٍ ومرتفع*" (إش٦:١)، سوف تسمع السيرافيم يمجدونه بتسابيح، ويقولون إن السماء والأرض مملوءتان من مجده، نعم بل حتى على الأرض قد حدث هذا، لأن مجد الله أضاء على الرعاة، وكان هناك جمهور من الجنود السماويين يخبرون بمجد المسيح. فهذا ما سبق أن أخبر به موسى منذ القديم "*افرحي معه أيتها السموات، وليسجد له كل أبناء الله*" (تث٣٢:٤٣ سبعينية) لأن أنبياء قديسين كثيرين قد وُلدوا على مرِّ الأزمنة، ولكن لم يُمجَّد أي واحد منهم بأصوات الملائكة، لأنهم كانوا بشرًا، وكانوا على نفس القياس مثلنا. كانوا خدام الله الحقيقيين وحاملي كلماته، أما المسيح فلم يكن هكذا: لأنه إله ورب، وهو مرسِل الأنبياء القديسين. وكما يقول المرنِّم: "*مَن في السماء يعادل الرب، مَن يشبه الرب بين أبناء الله*" (مز٨٩:١) لأن لقب البنوة قد مُنح لنا كنعمة حلَّت علينا نحن الذين تحت النير، ونحن بطبيعتنا عبيد، أما المسيح فهو الابن الحقيقي، أي أنه ابن الله الآب بالطبيعة، حتى حينما صار جسدًا: لأنه استمر على ما كان عليه منذ الأزل، رغم أنه اتخذ ما لم يكن له[٤].

---

[٤] واضح أن القديس كيرلس يقصد أن المسيح استمر إلهًا كما كان منذ الأزل رغم أنَّه أخذ الجسد الذى لم يكن له أصلاً بل أخذه من العذراء مريم.



والنبي أيضًا يؤكد لنا أن ما أقوله صحيح، بقوله: " *ها العذراء تحبل وتلد ابنًا وتدعو اسمه عمانوئيل، زبدًا وعسلاً يأكل قبل أن يعرف أن يختار الشر. هو يُفضّل الخير: لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يعرف الخير والشر فهو لا يطيع الشر بل يختار الخير*" (إش١٤:٧ـ١٦ سبعينية) أليس واضحًا للجميع أن الطفل حديث الولادة لا يستطيع بسبب صغره وضعفه، أن يفهم أي شيء، وهو غير كفء بعد لمُهمّة التمييز بين الخير والشر، لأنه لا يعرف شيئًا على الإطلاق. أما في حالة المسيح مخلصنا فقد أكل الزبد والعسل رغم أنه كان لا يزال طفلاً، ولأنه كان إلهًا وصار جسدًا بطريقة تفوق الفهم فإنه عرف الخير فقط، وكان منزهًا عن الفساد الذى في البشر، وهذه أيضًا صفة للجوهر الفائق، لأن ما هو صالح بالطبيعة، هو خاص به بثبات وبغير تغيير، وهو خاص به وحده: "*ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله*" (لو١٨: ١٩) وكما قال مخلّصنا نفسه.

أتريد أن تعرف فضيلة أخرى لهذا الطفل؟ أتريد أن ترى أنه بالطبيعة إله، ذاك الذى وُلد في الجسد من امرأة؟ انظر ما يقوله إشعياء النبي عنه: "*فاقتربتُ إلى النبية، فحبلت وولدت ابنًا. فقال لي الرب ادع اسمه: "أسرع وأسر، وأتلف بسرعة*" (إش٨: ٣، ٤). لأنه في نفس توقيت ميلاد المسيح أُتلِفَت قوة الشيطان، لأنه في دمشق كان الشيطان هو موضوع الخدمة الدينية، وكان له هناك عابدون، ولكن حينما ولَدت العذراء القديسة انكسرت قوة الطغيان، إذ أن الوثنيين انجذبوا إلى معرفة الحق وكان باكورتهم وقادتهم المجوس الذين جاءوا من المشرق إلى أورشليم، الذين كان معلّمتهم هي السماء وأستاذهم هو النجم.

لذلك لا تنظر إلى المُضطجِع في المذود على أنه مجرد طفل، بل في فقرنا انظر ذاك الذي هو غني كإله. وفي مستوى بَشَريتنا انظر ذاك الذي يفوق سكان السماء، ولذلك فإنه يمجَّد من الملائكة القديسين. وما أرفع تلك التسبحة:



"*المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وفـــي النـــاس المـــسرة!*" لأن الملائكة ورؤساء الملائكة والعروش والسيادات، وأعلى منهم السيرافيم، هـــم يحفظون رتبهم المعيَّنة، وهم في سلام مـــع الله. لأنهـــم لا يتعـــدّون إرادتـــه الصالحة أبدًا بأي طريقة. بل هم ثابتون وراسخون في البر والقداسة. أما نحن المخلوقات البائسة، فقد وضعنا أنفسنا في موضع الأعداء بالنسبة للرب، لأننـــا وضعنا شهواتنا الخاصة ضد مشيئته. ولكن المسيح قد أبطل كل هذا! "*لأنـــه هو سلامنا*" (أف٢:١٤) لأنه قد وحَّدنا مع الله الآب بواسطة نفسه إذ قد رفع سبب العداوة من الوسط وأعني به الخطية، وهكذا هو يبرِّرنا بالإيمـــان، ويجعلنـــا قديسين وبلا لوم، والذين كانوا بعيدين يدعوهم قريبين إليه. وإلى جانب ذلـــك، فقد خلق الشعبين في إنسان واحد جديد، صانعًا سلامًا ومصالحًا الاثنـــين فـــي جسد واحد مع الآب. لأنه قد سر الله الآب أن يجمع فيه كل الأشياء (أف١:١٠) في واحد جديد متكامل، وأن يربط الأشياء السفلى مع الأشـــياء التـــي فـــوق، ويجعل الذين في السماء والذين على الأرض رعية واحدة. لذلك فالمسيح قـــد صار لنا سلامًا ومسرَّة، الذي به ومعه لله الآب المجد والكرامة والقـــدرة مـــع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٣)
عيد الختان

(لو٢: ٢١ـ٢٤) *"وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ، كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ. وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ. وَلِكَيْ يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ "*.

الجمع الذي اجتمع هنا كثير جدًّا، والسامعون شغوفون ـــ فنحن نرى الكنيسة ممتلئة ــ ولكن المُعلِّم فقير، ومع ذلك فالذي يعطي الإنسان فمًا ولسانًا، سوف ينعم علينا بأفكار صالحة. إذ يقول الرب نفسه في مكان ما " *أفغر فاك وأنا أملأه*" (مز٨١: ١٠) حيث إنكم جميعًا قد اجتمعتم معًا باهتمام بمناسبة هذا العيد المفرِح الذي للرب، لذلك فلنحتفل بالعيد بمشاعر البهجة وبأنوار ساطعة، ولنشغل أنفسنا في التفكير فيما تحقق في هذا اليوم بطريقة إلهية، جامعين لأنفسنا من كل ناحية ما يثبِّتنا في الإيمان والتقوى.

ولكننا ــ منذ فترة وجيزة رأينا عمانوئيل مضطجعًا كطفل في المذود وملفوفًا بشكل بشري في الأقماط، ولكنه مُجِّد كإله بتسابيح جمهور الملائكة القديسين، لأنهم بشَّروا الرعاة بميلاده، إذ أن الله الآب قد منح لسكان السماء الامتياز الخاص بأن يكونوا أول مَن يبشِّر به. واليوم أيضًا نراه مطيعًا لقوانين موسى، أو بالأحرى قد رأينا ذاك الذي هو المُشرِّع يخضع لقوانينه التي شرَّعها. والسبب في هذا يُعلِّمنا إياه بولس الحكيم جدًّا بقوله: "*لمَّا كنا قاصرين كنا مستعبَدين تحت أركان العالم، ولكن حين جاء ملءُ الزمان أرسل الله ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس*" (غل٤: ٣ـ٥).

لذلك فالمسيح افتدى من لعنة الناموس أولئك الذين بوجودهم تحت الناموس كانوا عاجزين عن تتميم قوانينه. وبأي طريقة افتداهم؟ بتتميم الناموس أو بعبارة أخرى: إنه لكي يُكفِّر عن ذنب معصية آدم، فقد أظهر نفسه مطيعًا وخاضعًا من كل الوجوه لله الآب عوضًا عنه، لأنه مكتوب: "*كما بمعصية الإنسان الواحد جُعل الكثيرين خطاة هكذا أيضًا بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبرارًا*" (رو١٩:٥). لذلك فقد أحنى عنقه للناموس مشتركًا معنا. لأن هذا ما استلزمته خطَّة الخلاص. لأنه هكذا يليق أن يكمّل كل بِر. لأنه إذ قد اتخذ صورة عبد، وقد حُسب بين أولئك الخاضعين للنير بسبب طبيعته البشرية، بل أنه مرة دفع نصف الشاقل للذين يجمعون الجزية، رغم أنه حر بالطبيعة، وكابن لم يكن مفروضًا عليه أن يدفع ضريبة. لذلك حينما تراه يحفظ الناموس، فلا تتعثَّر، ولا تضع الحُر بين العبيد، بل بالحري تأمل في عمق تدبير الخلاص. لذلك فعند وصول اليوم الثامن، الذى جرت العادة أن يتم فيه الختان في الجسد بحسب أمر الناموس، نجده يُسمَّى باسم يسوع الذى تفسيره يشير إلى خلاص الشعب. لأنه هكذا أراد الله الآب أن يُسمِّي ابنه، حينما يولَد بالجسد من امرأة. لأنه عندئذ صار خلاص الشعب بنوع خاص، وليس خلاص واحد فقط، بل كثيرين، وبالحري كل الشعب بل والعالم كله. إذن فقد أخذ اسمه في نفس الوقت الذى خُتِن فيه.

ولكن تعالوا ودعونا نفتش ونرى، ما هو اللغز، وما هي الأسرار التي يقودنا إليها هذا الحادث. لقد قال بولس المبارك "*ليس الختان شيئًا، وليست الغرلة شيئًا*" (١كو١٩:٧). وربما يعترض البعض على هذا قائلين هل أمَر إله الكل ــ بواسطة موسى الحكيم ــ بشيء لكي يُحفظ رغم أنه لا قيمة له، بل ويصحب الأمر بهذا الشيء عقاب على الذين يخالفون هذا الأمر؟ أقول نعم لأنه فيما يخص طبيعة ذلك الشيء الذي يتم في الجسد فهو ليس شيئًا، ومع ذلك فهو يحمل مثالاً جميلاً للسر، أو بالحري يحتوي على المعنى الخفي



لإظهار الحق. لأن المسيح قام من بين الأموات في اليوم الثالث وأعطانا الختان الروحي. لأنه أوصى الرسل القديسين قائلاً: "*اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس*". ونحن نؤكد أن الختان الروحى يتم بصورة رئيسية في وقت المعمودية المقدسة حينما يجعلنا المسيح مشتركين في الروح القدس. وقد كان يشوع القديم الذى جاء بعد موسى مثالاً أيضًا لهذا، لأنه قاد بنى إسرائيل أولاً عبر الأردن، وبعد ذلك مباشرة ختنهم بسكاكين من صوان. هكذا نحن حينما نعبر الأردن فإن المسيح يختننا بقوة الروح القدس، ليس لتطهير الجسد بل بالحري لقطع النجاسة التي في نفوسنا.

لذلك خُتن المسيح في اليوم الثامن وأخذ اسمه كما قُلت، لأنه حينئذ خلّصنا بواسطته وفيه كما هو مكتوب "*وفيه خُتنتم ختانًا غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح، مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضًا معه*" (كو٢:١١). لذلك فإن موته كان من أجلنا. وهكذا أيضًا كانت قيامته وكان ختانه. لأنه قد مات حتى أننا نحن الذين مُتنا معه في موته لأجل الخطية، لا نعود نحيا للخطية. ولهذا السبب قيل: "*إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضًا معه*" (٢تى٢:١١). وقد قيل إنه قد مات لأجل الخطية ليس لأنه قد أخطأ، "*لأنه لم يفعل خطية ولا وُجِدَ في فمه غش*" (١بط٢:٢٢). بل بسبب خطيتنا. لذلك فكما مُتنا معه حينما مات، هكذا أيضًا نقوم معه.

وأيضًا حينما كان الابن حاضرًا بيننا، فرغم أنه هو بالطبيعة الله ورب الكل، فإنه لا يحتقر حالتنا بسبب ذلك، بل يُخضِع نفسه معنا لنفس الناموس، رغم أنه كإله كان هو نفسه مشرّع الناموس. وقد خُتِنَ ـــ مثل اليهود ـــ في سن ثمانية أيام لكى يبرهن على خروجه من نفس أصلهم. وذلك لكي لا ينكروه. لأن المسيح كان هو نسل داود المنتظَر، وقدم لهم البرهان على هذه العلاقة. ولكن إن كان رغم ختانه يقولون عنه "*وأما هذا الإنسان فلا نعلم من أين هو*" (يو٩:٢٩)، فربما كان يصير لهم بعض العذر في إنكارهم لو لم يكن قد

خُتِنَ في الجسد وحَفظ الناموس.

ولكن بعد ختانه أبطل طقس الختان بمجيء ما كان يرمُز له وأعني به، المعمودية. ولهذا السبب فإننا لم نعد نختتن، لأنه يبدو لي أن الختان قد حقَّق ثلاثة أغراض: فأولاً ــ أنه أفرز نسل إبراهيم بنوع من العلامة والختم، وميَّزهم عن بقية الشعوب. وثانيًا أنه كان يشير مقدَّمًا إلى نعمة وفاعلية المعمودية الإلهية، لأنه كما كان في القديم، يُحسب المختون ضمن شعب الله بواسطة ذلك الختم، هكذا أيضًا فإن من يعتمِد يُدرَج ضمن عائلة الله بالتبنِّي، إذ قد تصوَّر في نفسه المسيح الختم. وثالثًا، أنه رمز للمؤمنين حينما يتأسَّسون في النعمة. حينما يقطعون ويميتون شغب اللذات الجسدية والشهوات بسكين الإيمان الحاد وبأعمال النسك، وهم لا يَقطعون الجسد، بل يُنقُّون القلب ويصيرون مختونين بالروح وليس بالحرف، **الذي مَدْحه ليس من الناس بل من فوق** كما يشهد بولس الإلهي (رو٢:٢٩).

وبعد ختانه تنتظر العذراء إلى وقت تطهيرها، وحينما تكتمل الأيام وتصل إلى ملء الأربعين يومًا، فإن الله الكلمة الجالس على عرش الآب، يُحمَل إلى أورشليم ويأتون به إلى حضرة الآب بطبيعة بشرية مثلنا وبواسطة ظل الناموس يُحسب في عداد الأبكار. لأنه منذ قبل التجسد كان الأبكار مقدَّسين، ومكرَّسين لله، ويقدَّمون لله بحسب الناموس. آه! كم هو عظيم وعجيب تدبير الخلاص! "*يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه*" (رو١١:٣٣). فإن ذلك الذي هو في حضن الآب، الابن المشارِك له في عرشه والمساوي له في الأزلية، الذي به خُلقت كل الأشياء في الوجود نراه رغم ذلك يخضع لمقياس الطبيعة البشرية، بل ويُقدَّم كتقدمة لأبيه رغم أنَّه يُكرَّم ويُمجَّد معه من الجميع. وماذا قدَّم هو؟ إنه كبكر وذَكَر قدَّم زوج يمام أو فرخي حمام حسب أمر الناموس. ولكن إلى ماذا يشير اليمام؟ وأيضًا إلى ماذا يشير الحمام؟ تعالوا إذن ودعونا نبحث هذا الأمر، فالواحد منهم هو أكثر طيور الحقل في إصدارها للأصوات،

أما الآخر فهو مخلوق هادئ ووديع. هكذا صار مخلِّص الكـل بالنـسبة لنـا مُظهرًا أكمل وداعة ولطف من نحونا. وأيضًا مثل اليمام، فإنه يهدئ العـالم، ويملأ حقله الخاص الذي هو نحن المؤمنين به بنغم صوته الحلو. لأنه مكتوب في نشيد الأنشاد "*صوت اليمامة سُمِع في أرضنا*" (نش٢:١٢)، لأن المسيح قـد كلَّمنا برسالة الإنجيل الإلهية التي هي لخلاص العالم كله.

إذن فقد قدَّم اليمام أو الحمام حينما قُدِّم للرب. وفي هذا يمكن أن نرى التقاء الحقيقة والرمز معًا في نفس الوقت. والمسيح قدَّم نفسه رائحة طيِّبة لله، لكـي يُقدِّمنا نحن بواسطة نفسه وفي ذاته لله الآب، وهكذا يلاشي العداوة الناشئة عن عصيان آدم، ويبطل الخطية التى استعبدتنا جه بحًا، لأننا نحن الذين كنا نصرخ منذ زمن طويل قائلين: "*التفت إليَّ وارحمني*" (مز٢٥:١٦).

عظة (٤)

سمعان الشيخ

(لوقا٢: ٢٥ــ٣٥) "*وَكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سِمْعَانُ، وَهَذَا الرَّجُلُ كَانَ بَارًّا تَقِيًّا يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ. وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ. فَأَتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ، لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ، أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللهَ وَقَالَ: الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ. وَكَانَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ يَتَعَجَّبَانِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ. وَبَارَكَهُمَا سِمْعَانُ، وَقَالَ لِمَرْيَمَ أُمِّهِ: هَا إِنَّ هذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ. وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ، لِتُعْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ* ".

يقول إشعياء النبي، "*ما أجمل أقدام المبشّرين بالخيرات*" (إش٥٢:٧). وهل هناك شيء أحلى من أن نتعلّم أن الله خلّص العالم بواسطة ابنه وذلك بأن صار إنسانًا مثلنا؟ كما هو مكتوب "*يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح، الذى بذل نفسه فدية لأجلنا*" (اتي٢: ٥و٦).. لأنه من تلقاء نفسه نزل إلى فقرنا لكي يجعلنا أغنياء بحصولنا على ما هو له.

انظروه إذن، كإنسان مثلنا وهو يُقدَّم إلى الآب، انظروه وهو يطيع ظلال الناموس ويقدِّم ذبيحة بحسب ما كانت العادة حينئذ، رغم أن هذه الأمور قد تمّت بواسطة والدته حسب الجسد. فهل لم يتعرف عليه أحد بالمرّة في أورشليم في ذلك الوقت؟ وهل لم يعرفه أحد من سكانها؟ كيف يمكن أن يكون هذا؟ فإن الله الآب قد سبق وأعلن بواسطة الأنبياء القديسين أن الابن سيظهر في الوقت المعيَّن ليخلّص الذين هلكوا ولينير على الذين كانوا في الظلمة. وقد قال بواسطة أحد الأنبياء القديسين "*برّي يأتي سريعًا ورحمتي تُعلن وخلاصي يتّقد كمصباح*" (إش٦٢: ١). ولكن الرحمة والبر هما

المسيح، لأننا به حصلنا على الرحمة والبر، إذ قد غُسِلنا من شرورنا الدنسة بالإيمان به. وكما يضئ المصباح أمام أولئك الذين يسيرون في الليل والظلمة هكذا صار المسيح لأولئك الذين في الكآبة والظلمة العقلية، غارسًا فيهم النور الإلهي. ولأجل هذا السبب أيضًا صلَّى الأنبياء لكي يصيروا شركاء نعمته العظيمة قائلين: "*أرنا يا رب رحمتك وأعطنا خلاصك*" (مز٨٥:٧).

حُمِلَ المسيح إذن إلى الهيكل وهو بعد طفل رضيع على صدر أمه، وسمعان المبارك إذ كان قد مُنِح نعمة النبوة أخذه على ذراعيه، وبارك الله وهو ممتلئ بأعظم فرح قائلاً: "*الآن يا سيدي تطلق عبدك بسلام حسب قولك لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته أمام وجه جميع الشعوب، نور إعلان للأمم، ومجدًا لشعبك إسرائيل*".

لأن سر المسيح قد أُعدَّ من قَبْل تأسيس العالم، ولكنه أُظهر في الأزمنة الأخيرة، وصار نورًا لأولئك الذين في الظلمة والضلال بسقوطهم تحت يد إبليس. هؤلاء هم الذين كانوا يعبدون "*المخلوق بدلاً من الخالق*" (رو١:٢٥)، عابدين التِّنين مصدر الشر والشياطين النجسة التي يُقدِّمون لها الكرامة اللائقة بالله، ومع ذلك فقد دُعوا الآن من الله الآب ليعرفوا الابن الذى هو النور الحقيقى. وبإشفاق قال عنهم بصوت النبي: "*سوف أصنع لهم آيات، وأقبلهم لأني سأفديهم، ويكثرون كما كثروا، وسأزرعهم بين الشعوب. والذين هم بعيدون سيذكرونني*" (زك١٠: ٨،٩س). فكثيرون هم الذين كانوا بعيدين، ولكنهم قد دُعوا بواسطة المسيح. وأيضًا هم كثيرون كما كانوا من قبل. لأنهم قد قُبِلوا وافتُدوا، إذ قد حصلوا من الله الآب على التبنِّي في عائلته وعلى النعمة التي بالإيمان بيسوع المسيح، وذلك كعلامة للسلام. والتلاميذ الإلهيون قد زُرِعوا باتساع بين الشعوب. وماذا كانت النتيجة؟ إن أولئك الذين كانوا بعيدين من الله قد صاروا قريبين. والذين يُرسل إليهم بولس الإلهي رسالة قائلاً: "*أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح*" (أف٢:١٣). وإذ قد جُعلوا قريبين فإنهم يجعلون المسيح هو فخرهم ومجدهم. ولأن الله الآب قد قال عنهم أيضًا "*سأقوِّيهم بالرب إلهم فيفتخرون باسمه*

يقول الرب" (زك١٠:٢ سبعينية). وهذا أيضًا ما يعلنه المرنم المبارك كما لو كان يتحدث إلى المسيح مخلِّص الجميع فيقول: "*يا رب في نـور وجهـك سيـسلكون وباسـمك سيبتهجون اليوم كله، وبيدك سيرتفعون لأنك فخر قوّتهم*" (مـز٨٩: ١٥، ١٦). ونجد إرميا النبي يدعو الله قائلاً: "*يا رب قوّتي وعوني وملجإي في يوم الضيق، إليك تأتي الأمم مـن أطراف الأرض ويقولون، آباؤنا اتخذوا لأنفسهم آلهة كاذبة لا يوجد فيها عون*" (إر١٦:١٩).

لذلك فالمسيح صار نورَ إعلانٍ للأمم، ولكنه صار أيضًا مجدًا لإسرائيل. لأنه رغم أن البعض منهم تغطرسوا وعصوا وكانت لهم عقول لا تفهم، إلا أنه كانت هناك بقية قد خلُصتْ وأُدخِلتْ إلى المجد بالمسيح، وباكورة هؤلاء البقية هم التلاميـذ الإلهيـون الذين أشرق نور شهرتهم لينير العالم كله.

وهناك معنى آخر لكون المسيح "مجدًا لإسرائيل"، وذلك أنه جاء منهم حسب الجسد رغم أنه هو "*الكائن فوق الكل إلهًا مباركًا إلى الأبد آمين*" (رو٩:٥).

وسمعان الشيخ بارك العذراء كخادمة للمشورة الإلهية، وأداة للولادة التى لا تخضع لقوانين الطبيعة البشرية. فقد ولدت وهى عذراء وذلك بدون رجل، بل بحلـول قـوة الروح القدس عليها.

وماذا يقول سمعان النبي عن المسيح؟ "*ها إن هذا الطفل قد وُضع لسقوط وقيـام كثيرين في إسرائيل ولعلامة تُقاوَم*". لأن عمانوئيل قد وُضـع مـن الله الآب لأجـل أساسات صهيون. إذ هو "*حجر زاوية مختار كريم*" (١بط٢:٦)، والذين وثقوا بـه لـم يخزوا. ولكن أولئك الذين لم يؤمنوا ولم يستطيعوا أن يعرفوا السر الخاص به سقطوا وتهشّموا. لأن الله الآب قال أيضًا في موضع آخر "*ها أنا ذا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة والذي يؤمن به لن يخزى*" (إش٢٨:١٦ سـبعينية). ولكن "*كل مَـن يسقط عليه هذا الحجر فإنه يسحقه*" (لو٢٠:١٨) ولكن النبى يدعو الإسرائيليين ليكونـوا آمنين بقوله: "*قدّسوا الرب نفسه وهو يكون خوفكم، وإن وثقتم به يكون هو تقديسكم، ولن تصطدموا به كما بحجر صدمة وصـخرة عثـرة*" (إش٨: ١٣، ١٤س). ولكـن لأن إسرائيل لم يقدسّوا عمانوئيل الذي هو الرب وهو الله، ولم يريدوا أن يؤمنوا به فـإنهم



اصطدموا كما بحجر بسبب عدم الإيمان. وهكذا تهشَّم إسرائيل وسقط. ولكن كثيرين من بينهم قاموا ثانية، وأقصد بهم الذين آمنوا به. هؤلاء تحوَّلوا من عبادة ناموسية إلى عبادة روحية، تغيَّروا من روح العبودية الذي فيهم واغتنوا بذلك الروح الذي يجعل الإنسان حرًّا، أي الروح القدس. وقد صاروا شركاء الطبيعة الإلهية وحُسبوا أهلاً أن يكونوا أبناء بالتبنِّي، ويحيوا على رجاء الحصول على المدينة العليا. أي أن يكونوا مواطنين في ملكوت السموات.

أمَّا "العلامة التي تُقاوم" فيقصد بها الصليب الثمين الذي يقول عنه بولس الحكيم جدًا إنه " *عثرة لليهود وجهالة لليونانيين*" (١كو١:٢٣). وأيضًا يقول عن كلمة الصليب إنها "*للهالكين جهالة، أما عندنا نحن المخلَّصين فهي قوة الله*" (١كو١:١٨). لذلك فالعلامة التي تُقاوم تبدو جهالة بالنسبة لأولئك الهالكين بينما هي خلاص وحياة للذين يعرفون قوة الصليب.

ويقول سمعان بعد ذلك للعذراء القديسة: "*وأنت أيضًا يجوز في نفسك سيف*"، ويقصد بالسيف الألم الذى ستعانيه لأجل المسيح حينما تراه مصلوبًا، وهي لا تعرف أنه سيكون أقوى جدًا من الموت، ويقوم من القبر. ولا تتعجبوا أن العذراء لا تعرف هذا، فإننا سنجد أن الرسل القديسين أنفسهم لم يكونوا مؤمنين بهذا في البداية، بل وتوما بعد القيامة لو لم يضع يديه في جنبه، ويتحسَّس آثار المسامير في يديه لم يكن ليصدق التلاميذ الآخرين حينما أخبروه أن المسيح قد قام وأنه قد أظهر نفسه لهم.

ولذلك فإن البشير الحكيم جدًّا ــ يُعلِّمنا ــ من أجل منفعتنا كل الأمور التى احتملها الابن من أجلنا ونيابة عنا، حينما صار إنسانًا وقَبِل أن يحمل فقرنا، وذلك كي نمجده كفادينا، وكسيدنا وكمخلصنا، وكإلهنا، الذى له مع الآب والروح القدس المجد والقوة إلى دهر الدهور آمين



عظة (٥)

نمو يسوع في القامة والنعمة

(لو ٢: ٤٠ـــ٥٢) " وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ مُمْتَلِئًا حِكْمَةً وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ. وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ. وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ الْعِيدِ. وَبَعْدَمَا أَكْمَلُوا الأَيَّامَ بَقِيَ عِنْدَ رُجُوعِهِمَا الصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُوسُفُ وَأُمُّهُ لَمْ يَعْلَمَا. وَإِذْ ظَنَّاهُ بَيْنَ الرُّفْقَةِ ذَهَبَا مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَكَانَا يَطْلُبَانِهِ بَيْنَ الأَقْرِبَاءِ وَالْمَعَارِفِ. وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ. وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي الْهَيْكَلِ جَالِساً فِي وَسْطِ الْمُعَلِّمِينَ يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ. وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهِتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ. فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْدَهَشَا. وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: يَا بُنَيَّ لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذَّبَيْنِ!. فَقَالَ لَهُمَا: لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِنِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لأَبِي؟. فَلَمْ يَفْهَمَا الْكَلاَمَ الَّذِي قَالَهُ لَهُمَا. ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُمَا وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ وَكَانَ خَاضِعاً لَهُمَا. وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذِهِ الأُمُورِ فِي قَلْبِهَا. وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ ".

أن يُقال إنّ "الطفل كان ينمو ويتقوى بالروح، ممتلئًا حكمة وكانت نعمة الله عليه"، هذا الكلام ينبغي أن يؤخذ على أنه يشير إلى طبيعته البشرية، وأرجو أن تفحصوا باهتمام في عمق التدبير: فالكلمة يحتمل ويقبل أن يولد في صورة بشرية، رغم أنه في طبيعته الإلهية ليس له بداية وليس خاضعًا للزمن. والذي هو إله كامل تمامًا من كل ناحية، يخضع للنمو الجسدي. وغير الجسدي صارت له أطراف تنمو مع نمو بشريته. والذي هو نفسه الحكمة كلها يمتلئ بالحكمة. وماذا نقول عن هذا؟ ـــ فإن الذي كان في صورة الآب ـــ قد صار مثلنا، والغنى أخذ صورة الفقر، والعالي أخذ صورة الاتضاع، والذى له الملء يُقال عنه إنه ينال ويأخذ. وهكذا فإن الله الكلمة أخلى نفسه! لأن الأشياء التي كُتبت عنه كإنسان تُظهر طريقة إخلائه، لأنه كان أمرًا مستحيلاً بالنسبة للكلمة المولود

من الله أن يسمح بمثل هذه الأشياء أن تكون في طبيعته الخاصة، ولكن حينما صار جسدًا أي صار إنسانًا مثلنا، فإنه حينئذ وُلد حسب الجسد من امرأة. وقيل عنه إنه كان خاضعًا للأمور التى تختص بحالة الإنسان، ورغم أن الكلمة لكونه إله كان يستطيع أن يجعل جسده يبرز من البطن في قامة رجل ناضج مرةً واحدة، إلا أن هذا لو حدث لكان أمرًا غريبًا جدًا وإعجازيًا، ولذلك فإنه جعل جسده يخضع لعادات وقوانين الطبيعة البشرية.

لذلك لا تتعثروا فيْ أنفسكم وتقولون كيف يُمكن أن الله ينمو؟ وكيفَ ينال حكمة جديدة ذلك الذي يعطي الحكمة للملائكة والبشر؟ فتأملوا السرَّ العظيم الذي يُعطَى لنا. لأن البشير الحكيم لم يُقدِّم لنا الكلمة في طبيعته المجرَّدة غير الجسدية ولم يقل عنه وهو في هذه الحالة إنه يزداد في القامة والحكمة والنعمة، ولكنه بعد أن أوضح أنه قد وُلِد في الجسد من امرأة وأخذ شكلنا، فحينئذ ينسب إليه هذه الخصائص البشرية، ويدعوه طفلاً ويقول إنه كان يتقدم في القامة، إذ أن جسده نما قليلاً قليلاً خاضعًا للقوانين الجسدية.

وهكذا أيضًا قيل عنه إنه كان يتقدم في الحكمة، لا كمن ينال مؤونات جديدة من الحكمة ــ لأن الله معروف بأنه كامل تمامًا في كل شيء ولا يمكن بالمرَّة أن يكون ناقصًا في أي صفة مناسبة للاهوت ــ بل ازدياده في الحكمة هو بسبب أن الله الكلمة أظهر حكمته بالتدريج بما يناسب مرحلة العمر الذى يبلغها الجسد.

إذن فالجسد يتقدم في القامة والنفس تتقدم في الحكمة، لأن الطبيعة الإلهية غير قابلة للازدياد لا في القامة ولا في الحكمة إذ أن كلمة الله كامل تمامًا. ولذلك فإنه لسبب مناسب ربط بين التقدُّم في الحكمة ونمو القامة الجسدية، بسبب أن الطبيعة الإلهية أعلنت حكمتها الخاصة بما يتناسب مع قامة النمو الجسدي.

ينبغي أن أكون فيما لأبي:

(لو ٢: ٤٢) "*وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ الْعِيدِ*".

بعد أن قال البشير إن يسوع كان يتقدم في الحكمة والنعمة، فإنه يبيِّن أن ما

يقوله صحيح. لأنه يُقدِّمه لنا في أورشليم برفقة العذراء القديسة في عيد الفصح، ثم يقول إنه تخلَّف هناك، وبعد ذلك وُجِد في الهيكل جالسًا وسط المعلِّمين يسأل ويجيب على الأسئلة التى تخص تلك الأشياء التي تكلم عنها الناموس منذ القديم، وأن الجميع تعجبوا من أسئلته وأجوبته، وهكذا ترونه يتقدم في الحكمة والنعمة ـــ وعُرِف عند كثيرين بسبب هذه الحكمة.

(لو ٢: ٤٨) "*أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذَّبَيْنِ*".

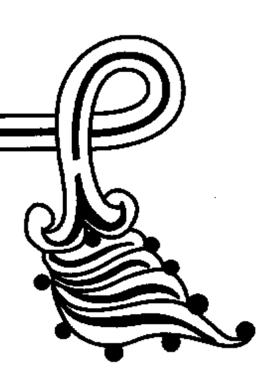
أمه كانت تعرف بالتأكيد أنه ليس ابن يوسف، ولكنها تكلمت هكذا لتتجنب شكوك اليهود. وعندما قالت أبوك وأنا كنا نطلبك معذَّبَيْن أجابها المخلِّص:

(لو ٢: ٤٩) "*أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لأَبِي؟*".

هنا يذكر لأول مرة علانية مَن هو أباه الحقيقي ويُعلِن عن لاهوته هو نفسه، لأنه حينما قالت العذراء القديسة: "*يا بُنَيَّ لماذا فعلتَ بنا هكذا*" فحينئذ في الحال أظهر نفسه أنه يفوق قامة الأشياء البشرية، وعلَّمها أنها قد صارت أداة للتدبير بولادته بالجسد، ولكنه بالطبيعة والحقيقة هو إله وابن الآب الذي في السماء. ولذلك يقول "*ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي*". وهنا دع أتباع فالنتينوس[٥] ــ حينما يسمعون أن الهيكل هو هيكل الله وأن المسيح الآن هو فيما له، وهو الذى تنبأ عنه الناموس منذ القديم ورَمَز له بظلال ومثالات ـــ دعهم يخجلون عندما يقولون إن: لا صانع العالم ولا إله الناموس، ولا إله الهيكل كان هو أب المسيح.

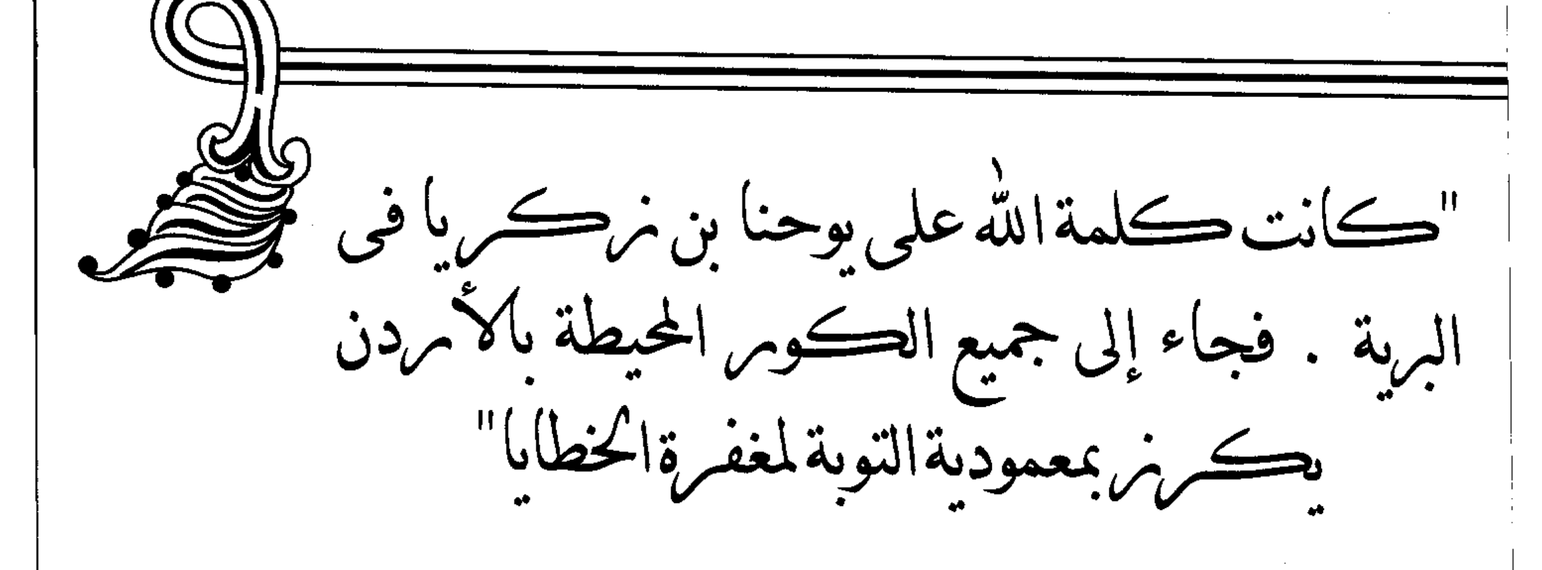
[٥] فالنتينوس كان ينكر العهد القديم وكان يقول إن إله العهد القديم غير إله العهد الجديد، ولذلك كان يُنكر أن الله الآب هو إله العهد القديم وإله الناموس والهيكل.





(أيقونة ليوحنا المعمدان)

الأصحاح الثالث


"كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى
البرية . فجاء إلى جميع الكور المحيطة بالأردن
يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا"

الأصحاح الثالث

عظة (٦)

أعدُّوا طريق الرب

(لو٣:٢ـ٦) *"كَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ عَلَى يُوحَنَّا بْنِ زَكَرِيَّا فِي الْبَرِّيَّةِ. فَجَاءَ إِلَى جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالأُرْدُنِّ يَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي سِفْرِ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ: صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً. كُلُّ وَادٍ يَمْتَلِئُ وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ وَتَصِيرُ الْمُعْوَجَّاتُ مُسْتَقِيمَةً وَالشِّعَابُ طُرُقًا سَهْلَةً. وَيُبْصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خَلاَصَ اللهِ "*.

إن إشعياء المبارك لم يكن يجهل هدف كرازة يوحنا، بل منذ القديم قَبْل مجيء الزمان بكثير شهد عن هذا الهدف إذ دعا المسيح رباً وإلهاً. أما يوحنا فقد وصفه إشعياء بأنه خادم المسيح، وقال عنه إنه سراج يتقدم أمام النور الحقيقي، أي نجم الصباح الذي يُبشِّر بإشراق الشمس، معلناً مقدمًا مجيء اليوم الذي سيشرق بأشعته علينا. وقال عنه إنه صوت وليس كلمة، يأتي سابقًا ليسوع كما يسبق الصوت الكلمة.

(لو٣:٤) *"أعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ، اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً "*.

يوحنا قد أُختيرَ ليكون رسولاً ولكنه أيضًا آخر الأنبياء. ولأن الرب لم يكن قد أتى بعد، لذلك فهو يقول: "*أعدُّوا طريق الرب*". وما معنى أعدُّوا طريق الرب؟ المقصود هو استعدُّوا لقبول أي شيء يريد المسيح أن يفعله، حرِّروا قلوبكم من ظل الناموس، وكفُّوا عن الرموز، ولا تفكروا فيما بعد تفكيرًا منحرفًا. "*اصنعوا سبل الله مستقيمة*" لأن كل طريق يقود إلى الصلاح هو مستقيم وممهد وسهل، ولكن الطريق الآخر المعوج فإنه يقود الذين يسيرون فيه إلى الشر والضلال. الذين كُتب عنهم "*الذين طرقهم معوجة وهم ملتوون في سبلهم*" (أم٢:١٥). لذلك فاستقامة العقل هي مثل طريق مستقيم ليس فيه اعوجاج. وهكذا كانت صفة المرنم الذي كان يرتل قائلاً: "*لا يلصق*

بي *قلب* معوج " (مز١٠١:٤). ويشوع بن نون عندما يحث الشعب يقول لهم: "*اجعلوا قلوبكم* مستقيمة *مع إله إسرائيل*" (يش٢٣:٢٤ سبعينية). بينما يوحنا يصرخ "*اجعلوا سبلكم مستقيمة*". وهذا معناه أن النفس ينبغي أن تكون مستقيمة فتُظهر إدراكها الطبيعي كما خُلق، وهى قد خُلقت جميلة ومستقيمة، ولكن حينما تنحرف جانبًا وتنقلب حالتها الطبيعية فإن هذا يُسمَّى رذيلة وانحراف للنفس. لذلك فالأمر ليس صعبًا، لأنه إن كنا نستمر كما خُلقنا فإننا سنكون فاضلين، ولكن حينما يصيح بنا أحدهم معترضًا قائلاً: كيف نُعد طريق الرب؟ أو كيف نجعل سبله مستقيمة؟ فإنه توجد عوائق كثيرة في طريق أولئك الذين يسعون أن يعيشوا حياة مستقيمة ــ فهناك الشيطان الذي يبغض كل ما هو جميل. وكذلك حشد الأرواح الشريرة، وأيضًا هناك ناموس الخطية نفسه الذي يعمل في أعضائنا الجسدية، والذي يقاوم ميول العقل نحو الصلاح، وشهوات أخرى كثيرة تسيطر على عقل الإنسان ــ إذن فماذا نفعل ــ وهناك مثل هذه الصعوبات العظيمة تضغط علينا؟ إن كلمة النبوة تردُّ على هذه الاعتراضات قائلة: "*كل وادٍ يمتلئ، وكل جبل وأكمة ينخفض وتصير المعوجات مستقيمة والشعاب طرقًا سهلة، ويبصر كل بشر خلاص الله*".

(لو٣:٦) "*وَيُبصِرُ كُلُّ بَشَرٍ خَلاَصَ اللهِ* ".

وكل جسد يبصر خلاص الله أي الخلاص الذي من الآب، لأنه أرسل ابنه ليكون مخلِّصًا لنا. وعبارة "كل جسد" يقصد بها الإنسان عمومًا أي كل الجنس البشرى، لأنه هكذا سيُبصر كل جسد خلاص الله، ليس إسرائيل فقط بل كل بشر، لأن لطف المخلص رب الكل ليس له حدود. وهو لم يخلِّص أمَّة واحدة فقط، بل بالحري احتضن العالم كله في شبكته، وقد أنار على كل الذين في الظلمة. وهذا ما رتَّلت به قيثارة المرنِّم: "*كل الأمم الذين صنعتَهم يأتون ويسجدون أمامك يا رب*" (مز٨٦:٩). وفي نفس الوقت فإن بقية إسرائيل تخلص، وذلك كما سبق أن أعلن موسى العظيم منذ القِدَم قائلاً: "*تهللوا أيها الأمم* مع شعبه " (تث٣٢:٤٣).



عظة (٧)
كرازة يوحنا المعمدان

(لو٣:٧) " *وَكَانَ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ الَّذِينَ خَرَجُوا لِيَعْتَمِدُوا مِنْهُ: يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟* ".

نحن نؤكد أن المعمدان المبارك ــ لأنه كان ممتلئًا من الروح القدس ــ لذلك لم يكن يجهل الأعمال الجسورة التى كان الشعب اليهودى سيجرؤ على القيام بها ضد المسيح. لأنه سبق فعرف أنهم سوف لا يؤمنون به وأنهم سيستخدمون ألسنتهم المملوءة سمًا، ليسكبوا شكاواهم واتهاماتهم ضده، متّهمينه مرة بأنه مولود من زنى، ومرة أخرى أنه يجرى المعجزات بقوة بعلزبول رئيس الشياطين (لو١١:١٥)، ومرة أخرى أيضًا أنّ به شيطان وأنه ليس أفضل مِن سامرى. لذلك فإذ كان يعرف هذا فإنه يدعو حتى أولئك الذين يتوبون أشرارًا. وهو يوبِّخهم لأنهم رغم أن عندهم الناموس الذي يتكلم إليهم بسر المسيح، ورغم نبوات الأنبياء عنه، إلا أنهم رغم ذلك صاروا ثقيلي السمع، وغير مستعدين للإيمان بالمسيح مخلِّص الجميع. لأنه يقول " *من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي؟* " أليس الكتاب الموحَى به هو الذى يخبر بسعادة أولئك الذين يؤمنون بالمسيح، ولكنه يحذر مسبقًا أولئك الذين لا يؤمنون والذين هم أصحاب الجهالة، أنهم سوف يدانون بعقاب شديد لا مفر منه؟

(لو٣:٨) " *فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ* ".

وأيضًا فإن ثمر التوبة هو بالدرجة القصوى، الإيمان بالمسيح، ثم يأتى بعده منهج الحياة الإنجيلية. وعلى وجه العموم كل أعمال البِر المضادَّة للخطية، التي ينبغي على التائب أن يصنعها كثمار لائقة بالتوبة.

ثم أضاف قائلاً: "*لا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أبًا لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادًا لإبراهيم*".

ها أنتم ترون كيف يحطُّ من كبريائهم الرديء بمهارة عظيمة، ويُبيِّن أن ولادتهم من إبراهيم حسب الجسد هي بلا فائدة ولا منفعة. لأن أيَّة منفعة هناك مِن نُبل المولد إن كان الناس لا يمارسون نفس الأعمال الحسنة التي لوالديهم ولا يتمسكون بفضيلة أجدادهم؟ لأن المخلِّص يقول لهم "*لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم*" (يو٨:٣٩). إن علاقة القرابة التي يطلبها الله هي في الصفات والأخلاق، ولذلك فإنه أمْر باطل أن يفتخر أحد بقداسة وصلاح والديه، بينما هو نفسه مختلف عنهم وقاصر عن فضيلتهما.

ويتساءل اليهود قائلين إن كان الأمر هكذا، فبأية طريقة يتكاثر نسل إبراهيم، وكيف يكون الوعد الذي أعطاه له الله صحيحًا عندما قال له إنه سوف يكثِّر نسله كنجوم السماء؟ الجواب أيها اليهودى هو بدعوة الأمم، لأنه قيل لإبراهيم نفسه إنه "*بإسحق يُدعى لك نسل*" (تك٢١:١٢)، وأيضًا "*قد جعلتك أبًا لأمم كثيرة*" (تك١٧:٤)، ولكن عبارة "بإسحق" تعني، بحسب الوعد. لذلك فهو قد جُعل أبًا لأمم كثيرة بالإيمان، أي في المسيح. وعن هؤلاء أيضًا تكلم الله بصوت حزقيال قائلاً: "*وأنزع قلب الحجر من لحمهم وأعطيهم قلب لحم، لكي يعرفوا أنِّي أنا الرب*" (حز١١:١٩) والمعمدان المبارك يدعو الأمم بوضوح "الحجارة"، لأنه لم يكونوا بعد يعرفون الذي هو بالطبيعة الله، بل كانوا في ضلال، وفي حماقتهم العظيمة قد عبدوا المخلوق بدل الخالق. ولكنهم مع ذلك قد دُعوا من الله وصاروا أبناء إبراهيم. وبإيمانهم بالمسيح اعترفوا بالذى هو إله بالطبيعة.

ولكن لكي يفيد سامعيه بدرجة أكبر فإن المعمدان المبارك يقول لهم شيئًا أكثر: "*والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجرة*" (لو٣:٩)، ولكنه في هذه العبارة يشير بكلمة "الفأس" إلى غضب الله الشديد الذي أنزله الله الآب على



اليهود بسبب شرهم ضد المسيح وعنفهم وتهوُّرهم، لأن الغضب أتى عليهم مثل فأس. وهذا ما شرحه لنا زكريا النبي بقوله: "ويكون النوح في أورشليم كالنوح على بستان الرمان المقطوع في الوادي" (زك١٢: ١١س). وإرميا يخاطبها هكذا "دعا الرب اسمكِ زيتونه خضراء جميلة الصورة. وعند امتلائها أوقد ناراً عليها فانكسرت أغصانها وكان النواح عليها عظيماً. ورب الجنود غارسك قد تكلم عليكِ شرًّا" (إر١١: ١٦، ١٧).

ويمكن أن نضيف إلى هذا أيضًا المَثَل الوارد في الإنجيل عن شجرة التين غير المثمرة ولم تعد من نوع جيد، فإن الله قطعها. ومع ذلك فهو لا يقول إن الفأس قد وُضع في أصل الشجرة، بل على أصل الشجرة أي بالقرب من الأصل. لأن الأغصان قد قُطعت أما الشجرة فلم تُخلع من جذورها، ذلك لأن بقية إسرائيل قد خلصت ولم تهلك بالمرة.

عظتا (٨، ٩)

(لو ٣: ١٠ـــ ١٤) " وَسَأَلَهُ الْجُمُوعُ قَائِلِينَ:فَمَاذَا نَفْعَلُ؟ فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ لَهُ ثَوْبَانِ فَلْيُعْطِ مَنْ لَيْسَ لَهُ، وَمَنْ لَهُ طَعَامٌ فَلْيَفْعَلْ هكَذَا. وَجَاءَ عَشَّارُونَ أَيْضًا لِيَعْتَمِدُوا فَقَالُوا لَهُ: يَامُعَلِّمُ، مَاذَا نَفْعَلُ؟ فَقَالَ لَهُمْ: لاَ تَسْتَوْفُوا أَكْثَرَ مِمَّا فُرِضَ لَكُمْ. وَسَأَلَهُ جُنْدِيُّونَ أَيْضًا قَائِلِينَ: وَمَاذَا نَفْعَلُ نَحْنُ؟ فَقَالَ لَهُمْ: لاَ تَظْلِمُوا أَحَدًا، وَلاَ تَشُوا بِأَحَدٍ، وَاكْتَفُوا بِعَلاَئِفِكُمْ ".

إن لوقا المغبوط قد قدم ثلاث أنواع من الناس يسألون يوحنا المعمدان وهم الجموع، والعشارون وثالثاً الجنود، وكما أن الطبيب الماهر يقدم لكل نوع من المرض العلاج المناسب والملائم له، هكذا أيضًا المعمدان قد أعطى لكل طريقة في الحياة مشورة نافعة ولائقة طالبًا من الجموع في طريق توبتهم أن يمارسوا الرحمة المتبادلة. والعشارون يمنعهم من الطمع ومن أخذ ما هو أكثر من المفروض، وبحكمة عظيمة يخبر الجنود ألاَّ يظلموا أحداً وأن يكتفوا بأجورهم.



عظة (١٠)
المعمدان والمسيح

(لو ٣: ١٥ــ ١٧) " *وَإِذْ كَانَ الشَّعْبُ يَنْتَظِرُ، وَالْجَمِيعُ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ عَنْ يُوحَنَّا لَعَلَّهُ الْمَسِيحُ، أَجَابَ يُوحَنَّا الْجَمِيعَ قَائِلاً: أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ، وَلكِنْ يَأْتِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ. الَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ، وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ، وَيَجْمَعُ الْقَمْحَ إِلَى مَخْزَنِهِ، وَأَمَّا التِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لاَ تُطْفَأُ* ".

من المسلّم به أن " *الأب البار يربي أولاده حسنًا جدًا*". لأن أولئك الذين يكتسون بمجد البر الذي بواسطة المسيح ويعرفون وصاياه المقدسة، سوف يدربون أولاده في الإيمان بتقوى وبطريقة ممتازة، إذ يعطونهم ليس الخبز المادي الأرضي بل الخبز الذي من فوق، أي من السماء. وهذا الخبز يذكره المرنم العجيب حيث يقول " *خبز يسند قلب الإنسان، وخمر تفرح قلب الإنسان*" (مز١٠٤: ١٥). لذلك تعالوا بنا الآن لنسند قلوبنا، وليكن إيماننا بالمسيح يقينيًا وذلك بفهمنا لمعنى هذه الكتابات الإنجيلية التي قُرئت علينا الآن فهمًا صحيحًا فيقول الإنجيل: "*إذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا ألعلّه المسيح*" أجابهم بالكلمات التي قرأناها حالاً.

لقد لاحظوا بإعجاب جمال طريقة حياة يوحنا الذي لا يقارن، ولمعان سلوكه، وتقواه الفائقة التي لا تجارى، لأنه كان عظيمًا جدًّا ومثيرًا للإعجاب حتى أن الجمهور اليهودي بدأوا يفكرون عنه هل هو المسيح نفسه الذي وصفه الناموس لهم في ظلال وسبق الأنبياء القديسين فأخبروا عنه. ولأن البعض تجرأوا أن يُفكروا هكذا لذلك نرى المعمدان يقطع ظنونهم في الحال مقدمًا كعبد، الكرامة التي تليق بالسيد وناسبًا المجد لذلك الذي يفوق الكل أي المسيح، لأنه كان يعرف أن المسيح أمين لأولئك الذين يخدمونه، وما يعترف به يوحنا

إنما هو الحق تمامًا لأن المسافة التي تفصل بين الله والإنسان تفوق القياس. لذلك فهو يقول *"أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت لست أنا المسيح، بل إنِّي مُرسَل قدامه"* (يو٣: ٢٨). ولكن أين سنجد القديس المعمدان يتكلم هكذا؟ هذا نجده في إنجيل يوحنا الذي كتب عنه هكذا *"وهذه هي شهادة يوحنا حين أرسل الكتبة والفريسيون في أورشليم ليسألوه إن كان هو المسيح؟ فاعترف ولم ينكر وأقر أني لست أنا المسيح. ولكنني مُرسل أمامه"* (يو١: ١٩). لذلك فإنه عظيم بالحقيقة ومثير للإعجاب هو يوحنا السابق للمسيح الذي ظهر كنور الفجر قبل ظهور نور المخلص الساطع، وهو المقدمة لنور النهار الروحي. وهو جميل كنجم الصبح ويدعى مصباح الله الآب (انظر إش٦٢: ١).

وبعد أن أعلن عن نفسه أنه ليس هو المسيح، فإنه الآن يقدم براهين ـــ ينبغي أن نتناولها بالضرورة ـــ ومن هذه البراهين يمكن أن نعرف المسافة الشاسعة جدًّا التي تفصل بين الله والإنسان، بين العبد والرب، بين الذي يخدم وذاك الذي تُقدم له الخدمة، بين الذي يتقدم كخادم والذي يضئ ساطعًا بالكرامة الإلهية. والآن ما هو البرهان؟

أولاً: يقول المعمدان: *"أنا أعمدكم بماء، ولكن يأتي بعدي من هو أقوى مني الذي لست مستحقًّا أن أنحني وأحل سيور حذائه"*.

وكما قلت فإن الاختلاف لا يمكن مقارنته، والعلو لا يمكن قياسه، وذلك لأن المعمدان المبارك، وهو عظيم جدًّا في الفضيلة يُعلن أنه غير مستحق حتى أن يلمس حذاءه. إن إعلان المعمدان هذا هو حق وصدق، لأنه إن كانت القوات العقلية في السماء: الرئاسات والعروش، والربوبيات، والسيرافيم المقدسين أنفسهم الذين يقفون حول العرش الإلهي وهم رتبة الخدام، كل هؤلاء يباركونه بتسابيح بلا انقطاع كرب الكل، فهل يستحق ساكن الأرض حتى أن يقترب من الله؟ فرغم أنه يحب الإنسان وهو حليم لطيف لكن ينبغي أن نعترف بضعف طبيعتنا.



وبعد هذا يقدم المعمدان برهانًا **ثانيًا** قائلاً أنا أعمدكم بماء، أما هو فسيعمدكم بالروح القدس ونار.

وهذا أيضًا له أهمية عظيمة لكي يبرهن ويوضّح أن يسوع هو الله والرب. لأن هذه هي الخاصية الوحيدة والمميزة للجوهر الذي يفوق الكل[1]. وهي أن يكون في استطاعته أن يمنح للناس سكنى الروح القدس، ويجعل أولئك الذين يقتربون منه شركاء للطبيعة الإلهية. وهذه الخاصية موجودة في المسيح لا كشيء اكتسبه أو انتقل إليه من آخر، بل كخاصيته التي يملكها وهي التي تخص جوهره وهي أن يعمِّد بالروح القدس. إذًا فالكلمة، الذي صار إنسانًا يتضح أنه الله، ومن جوهر الآب، ولكن ربما يعترض على هذا (التعليم) أولئك الذين يقسمون المسيح الواحد إلى ابنين، وأنا أعني بهم أولئك الذين يقول عنهم الكتاب: إنَّهم "تفسانيون، ومعتزلون، ولا روح لهم" (يه١:١٩)، فيعترضون بالقول إن الذي يعمِّد بالروح هو كلمة الله وليس هو الذي من نسل داود. فأي جواب نقدم على هذا؟ نعم! ونحن أيضًا نؤكد، بدون أن نخاف أي تناقض، أن الكلمة لكونه إله يعطي من ملئه الروح القدس لأولئك الذين يستحقونه، ولكنه لا يزال يفعل هذا حتى حينما صار إنسانًا، لكونه الابن الوحيد مع الجسد المتحد به بطريقة تعلو على الفحص وتفوق الفهم. ولذلك فإن المعمدان المبارك بعد أن قال أولاً "*لست مستحقًا أن أنحني وأحل سيور حذائه*"، أضاف بعدها مباشرة "*هو سيعمدكم بالروح القدس ونار*". وهو هنا يستعمل لفظ الحذاء ليعني به القدمين، لأن ليس أحد له عقل يقظ يمكن أن يقول إنَّ الكلمة حينما كان بدون جسد ولم يكن قد صار مثلنا بعد يمكن أن يكون له قدمان وحذاء. ولكن صار له هذا فقط حينما صار إنسانًا، لكنه استمرّ إلهًا كما هو. وحينما صار في الجسد عمل الأعمال اللائقة باللاهوت وذلك بأن أعطى الروح لأولئك الذين يؤمنون به لأنه هو نفسه بشخصه الواحد هو إله وإنسان في نفس الوقت.

---

[1] أي جوهر الله.



لكنه يعترض[٢] قائلاً: إن الكلمة عمل أعمال اللاهوت بواسطة ذلك الذي هو من نسل داود. فإن كنت تجادل هكذا فنحن سنرد عليك بكلمات يوحنا نفسه لأنه قال لليهود: "*يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي، الذي ترى الروح نازلاً ومستقرًا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس، وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله*" (يو ١: ٣٠، ٣٣، ٣٤). انظروا إذًا كيف يدعوه إنسانًا بكل وضوح إذ يقول: "**رجُل قدامي**" وأنه كان قبله لأنه بكل وضوح يسبقه بطبيعته الإلهية والتي بمقتضاها أيضًا قال هو نفسه بكل وضوح لليهود "*الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن*" (يو٨: ٥٨). ثم يقول يوحنا أيضًا إن الروح أتى عليه من السماء، فهل هم يدّعون أن الروح أتى على كلمة الله حينما كان مجردًا وبدون جسد؟ وهل يعتبرون الذي يعطي الروح (أي كلمة الله)، أنه يحصل على روحه الخاص؟ أم بالحري فإن المعنى أنه قد حصل على الروح في طبيعته البشرية، وأنه في طبيعته الإلهية يعمِّد بالروح القدس؟ لأنه هو نفسه فريد ووحيد وحده، وهو بالحقيقة ابن الله الآب كما شهد عنه المعمدان المبارك متعلمًا من الله وقائلاً: "*وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله*".

وهل تريدون برهانًا ثالثًا، بالإضافة إلى ما سبق؟ انظروا أنه يقول: "*رفشه في يده، ويجمع القمح إلى المخزن وأما التبن، فيحرقه بنار لا تطفأ*". لأنه يقارن أولئك الذين على الأرض بسنابل القمح أو بالحرى ببيدر الدراسة والقمح الذي فيه. لأن كل واحد منا ينمو مثل سنبلة القمح. والرب حينما كان يكلِّم الرسل القديسين عمل مقارنة مماثلة عن حالتنا، إذ قال: "*الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده*" (لو١٠: ٢)، لذلك فنحن الذين على الأرض تُدعى سنابل قمح ونسمَّى بالحصاد. وهذا الحصاد هو ملكٌ لله فوق الكل لأنه هو رب الكل. ولكن انظروا! فإن المعمدان

[٢] غالباً يقصد بالمعترض نسطور.



المبارك يقول إنَّ البيدر يخص المسيح إذ هو ملك له، ولذلك فهو الذي ينقيه إذ يزيل ويفصل التبن من القمح لأن القمح يشير إلى الأبرار الذين لهم إيمان ثابت وراسخ. أما التبن فيشير إلى ضعاف الفكر والذين يُغوى قلبهم بسهولة. وهم خائفون وجبناء ويُحملون بأي ريح، ويقول إنَّ القمح حينئذ يُجمع في المخزن أي يحسب مستحقًّا للأمان في يد الله ومستحقًّا للرحمة والحماية والحب، أما التبن فيُحرق في النار كمادة لا نفع لها.

لذلك فبكل طريقة يمكن أن نلاحظ ونعرف أن الله، حتى حينما صار إنسانًا فإنه مع ذلك استمر كما هو ابنًا واحدًا لأنه يمارس الأعمال التي تخص اللاهوت، اذ هو يملك جلال ومجد اللاهوت بغير انفصال. فإن كنا نؤمن هكذا فسيكلِّلنا بنعمته، الذي به وله مع الله الآب المجد والسلطان مع الروح القدس إلى الدهر الدهور آمين.

عظة (١١)
ظهور الرب وقت المعمودية

(لو٣: ٢١ــ ٢٣) "*وَلَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضًا. وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ سُرِرْتُ. وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً* ".

هيا بنا أيضًا، لكي نركز أذهاننا عن قصد على الكتب الإنجيلية، وذلك لكي ننظر جمال الحق. تعالوا بنا لنوجه عيون عقولنا الفاحصة المدققة نحو سر المسيح، ولننظر بدهشة مهارة التدبير الإلهي العجيب: فإننا بهذا سنرى مجده. وعندما نعمل هذا فإنه يهبنا حياة لنفوسنا كما أكد لنا هو نفسه حينما كان يتحدث إلى الآب السماوي بقوله " *هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته*" (يو١٧: ٣). إذًا فكيف أُرسِل؟ وما هي طريقة مجيئه إلينا؟ لأنه إذ هو بالطبيعة الله الذي يملأ الكل، فكيف كما يقول المبارك يوحنا الإنجيلي، " *إنه كان في العالم*" (يو١: ١٠)، وهو نفسه الرب؟ وكيف أُرسل من الآب، في حين أنه كإله هو خالق كل الأشياء وحافظها؟ لأن المخلوقات قد تأسست بواسطته.

إن الحكيم يوحنا الإنجيلي يعلمنا قائلاً: " *والكلمة صار جسدًا*". ولكن ربما يقول أحد "ماذا إذًا؟ هل كف عن أن يكون هو الكلمة؟" وهل تغيَّر الجسد؟ هل سقط من جلاله؟ وهل جرى له تحول إلى شيء لم يكن عليه سابقًا؟ إننا نقول ليس الأمر هكذا، حاشا من ذلك، لأنه بالطبيعة غير قابل للتغيُّر، لذلك فبقوله " *الكلمة صار جسدًا*" (يو١: ١٤)، فإن الإنجيل يعني أنه صار إنسانًا مثلنا، لأننا نحن أنفسنا أيضًا كثيرًا ما نُدعى جسدًا، لأنه مكتوب: "ويبصر كل جسد خلاص الله" (إش٤٠: ٥س)، ويعني به إن كل إنسان سيبصر خلاص الله، لذلك فبينما هو يحتفظ بما كان عليه بدون تغيير، إلا أنه إذ صار في حالتنا فإنه أخذ شبهنا، ولذلك يُقال إنه قد صار جسدًا.



انظروه إذًا كإنسان، وهو يحتمل معنا الأمور التي تختص بحالة الإنسان، انظروه وهو يكمّل كل بر، لأجل خطّة الخلاص، وهذا أنت تتعلمه مما يقوله الإنجيل: " وحدث *أنه لما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضًا وصلّى*" فهل كان هو أيضًا في احتياج إلى المعمودية المقدسة. وأية منفعة تحصل له منها؟ إن كلمة الله الوحيد هو قدوس من القدوس. وهكذا يدعونه السيرافيم في تسابيحهم، وهكذا يدعوه الناموس في كل مكان، ومحفل الأنبياء القديسين يتفقون في هذا مع كتابات موسى. ما الذي نحصل عليه نحن من المعمودية المقدسة؟ واضح أنه غفران خطايانا، ولكن يسوع لم يكن فيه شيء من الخطية " *لأنه لم يفعل خطية ولم يوجد في فمه غش*" (١بط٢: ٢٢)، كما يقول الكتاب "*وهو قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات*" (عب٧: ٢٦). بحسب كلمات بولس الرسول.

ولكن ربما يقول أحد من غير المتدربين في الإيمان: "هل هو إذًا كلمة الله الذي اعتمد؟ هل كان هو محتاجًا أن يصير مشتركًا في الروح القدس؟" أبدًا بالمرة، لذلك فهذا هو ما نؤكده أن الجسد الذي كان من نسل داود، والذي صار واحدًا معه، هو الذي اعتمد ونال الروح.

إذًا فأنتم الذين تقولون بغير هذا قد قسمتم غير المنقسم، إلى ابنين، وتقولون، لأنه اعتمد في سن الثلاثين سنة فقد صار مقدسًا بواسطة المعمودية. فهل هو إذًا لم يكن مقدسًا إلى أن وصل إلى سن الثلاثين؟ من الذي يوافقكم على هذا، إذ أنتم تفسدون الإيمان المستقيم الذي بلا لوم؟

لأنه يوجد "*رب واحد يسوع المسيح*" (١كو٨: ٦)، كما هو مكتوب. ولكننا نؤكد هذا أنه لم يكن منفصلاً عنه، وكان هو نفسه حينما اعتمد وصار مشتركًا في الروح القدس، لأننا نعرف أنه الله، وبلا عيب، وقدوس من قدوس، لأننا نعترف أننا " من *ملئه جميعًا أخذنا*" (يو١: ١٦). لأن الروح القدس ينبثق حقًّا من الله الآب، ولكنه خاص بالابن أيضًا. وكثيرًا ما يُدعى روح المسيح، رغم أنه منبثق من الآب. وهذا ما يشهد به بولس قائلاً: " *الذين في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله، أما أنتم فلستم في*

الجسد، بل في الروح إن كان روح الله ساكنًا فيكم، ولكن إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس للمسيح" (رو٨: ٨-٩). وأيضًا يقول "*بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا أيها الآب أبانا"* (غل٤: ٦). لذلك فالروح القدس ينبثق حقًا من الله الآب كما قلت، ولكن كلمته الوحيد، لكون بالطبيعة هو الابن حقًا، وهو يلمع بأمجاد الآب، فإنه يعطيه (الروح القدس) للخليقة. ويمنحه لأولئك الذين يستحقون. لذلك فقد كان حقًا ما قاله: "*كل ما للآب هو لي*" (يو١٦: ١٥).

ولكن فلنرد على أولئك الذين يقلبون الإيمان الصحيح، بهذا السؤال "كيف يستطيع ذاك الذي نال الروح، إن كان هو حسب قولكم إنسانًا منفصلاً بنفسه، كيف يستطيع أن يعمّد بالروح القدس ويعطي الروح القدس للذين يعتمدون؟" لأن القدرة مع غيرها من الصفات الأخرى هي خاصية مميزة لله القدير وحده، ولكن ذلك الذي أعطى الروح كان إنسانًا، لأن يوحنا الحكيم يقول: "*يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار*" (يو١: ٣؛ لو٣: ١٦). فكما أنه غير لائق بالله الكلمة، بصفته الله الكلمة أن يقترب من المعمودية المقدسة ويصير مشتركًا في الروح، هكذا بنفس الطريقة فإنه لا يُصدَّق إطلاقًا، بل بالحرى أنه من المستحيل أن نؤمن بأن القدرة على تعميد الناس بالروح القدس هي من عمل مجرد إنسان لا يزيد عنًا في أي شيء.

كيف إذًا يكون السر حقيقيًا؟ إنه لأجل مساعدتنا اتخذ نوعًا من التكيُّف، فالكلمة الإلهي صار إنسانًا، كما يقول بولس الحكيم جدًا: "الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخذ صورة عبد صائرًا في شبه الناس، ووضع نفسه إلى الفقر". فابحثوا إذًا، مَن هو ذلك الذي كان أولاً في صورة الله الآب، وهو في الحقيقة مساوٍ له، ولكنه أخذ صورة عبد، وحينئذ صار إنسانًا، وإلى جانب ذلك جعل نفسه فقيرًا. هل هو الذي من نسل داود كما يجادلون، الذي يعتبرونه منفصلاً بنفسه كابن آخر، مختلفًا عن كلمة الله الآب؟ إن كان كذلك فدعهم يبيِّنون متى كان مساويًا للآب؟ دعهم يبيِّنون كيف اتخذ صورة عبد؟ أو ماذا سنقول عن ماهية صورة العبد



تلك؟ وكيف أخلى نفسه؟ فهل يوجد ما هو أفقر من الطبيعة البشرية؟ لذلك فالذي هو صورة الله الآب وشبهه والتعبير الواضح عن شخصه، والذي يشع ببهاء في مساواة معه، والذي هو بالطبيعة حُر، ونير ملكوته موضوع على كل الخليقة، هذا هو نفسه الذي اتخذ صورة عبد، أي صار إنسانًا، وجعل نفسه فقيرًا إذ رضى أن يحتمل هذه الأمور البشرية ما عدا الخطية.

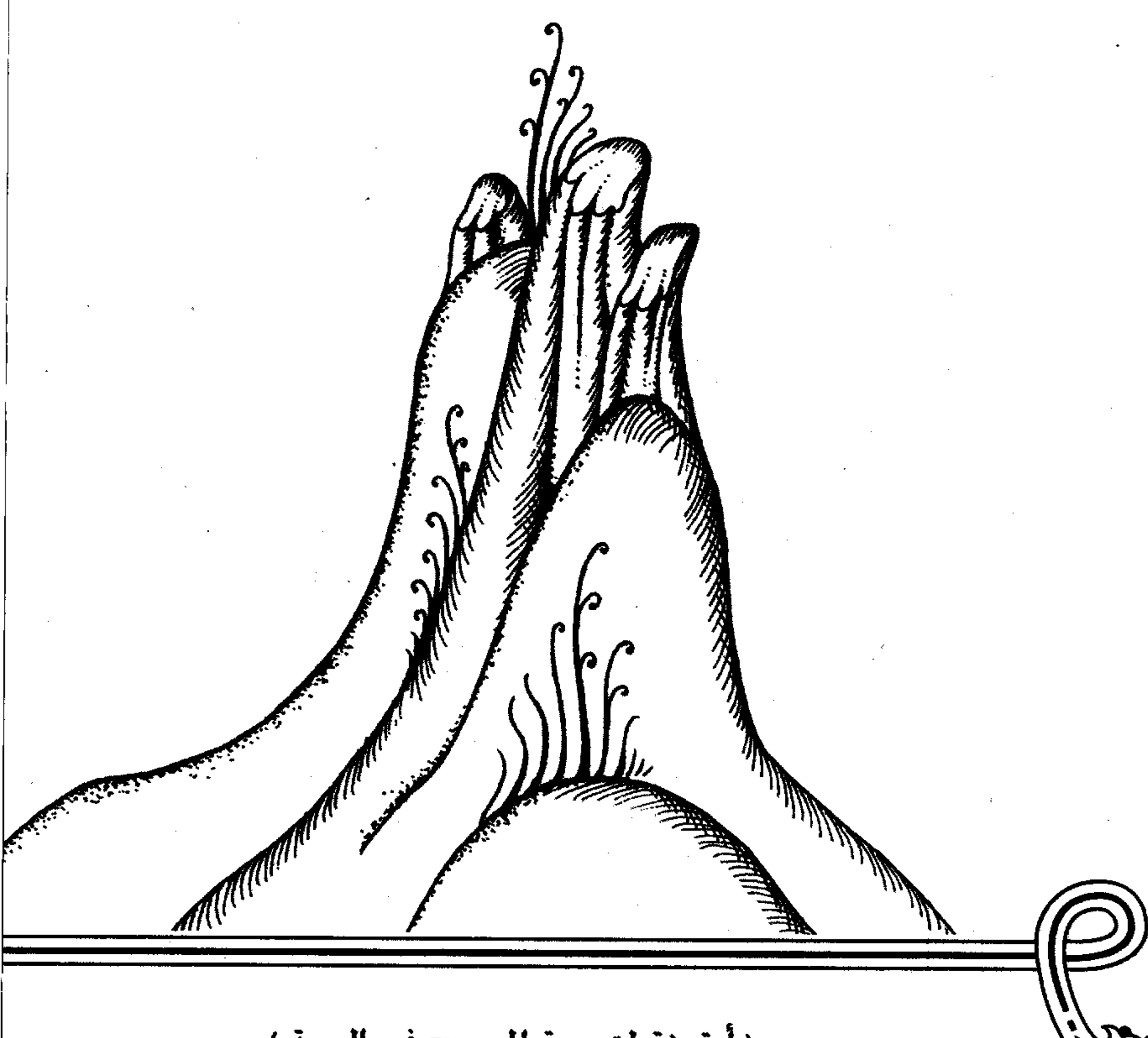
إنهم يعارضون قائلين: ولكن كيف اعتمد ونال الروح أيضًا؟ فنجيبهم: إنه لم يكن محتاجاً للمعمودية المقدسة إذ هو كلي النقاوة وبلا عيب، وقدوس من قدوس، كما أنه لم يكن محتاجًا للروح القدس، لأن الروح المنبثق من الآب هو معه ومساوٍ له في الجوهر، ولذلك يجب أن نستمع الآن إلى شرح التدبير أي خطة الله. إن الله في محبته للإنسان زوَّدنا بطريق للخلاص والحياة، لأننا بالإيمان بالآب والابن والروح القدس وباعترافنا بهذا الإقرار أمام شهود كثيرين، فأننا نغسل كل وسخ الخطية ونغتني بالحصول على الروح القدس ونصير شركاء الطبيعة الإلهية، وننال نعمة التبني. لقد كان ضروريًا إذًا أن كلمة الآب حينما وضع نفسه إلى الإخلاء وتنازل ليتخذ شكلنا، كان ضروريًا أن يصير من أجلنا نموذجًا وطريقًا لكل عمل صالح، فالذي هو الأول في كل شيء ينبغي أيضًا أن يضع نفسه مثالاً في هذا. لذلك فلكي نعرف قوة المعمودية المقدسة نفسها والنعمة العظيمة التي نحصل عليها بالإقبال إليها، فإنه يبدأ هذا العمل (المعمودية) بنفسه، وحينما اعتمد صلَّى لكي تتعلموا أنتم يا أحبائي أن الصلاة بلا انقطاع هي أمر مناسب جدًا لأولئك الذين حسبوا أهلاً للمعمودية المقدسة.

ويقول الإنجيلي إنَّ السماء قد انفتحت كما لو كانت مغلقة طويلاً، وقد قال المسيح "*مِن الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان*" (يو ١: ٥١)، لأن الجمهور الذي فوق والجمهور الذي تحت قد صارا الآن واحدًا، وصار رئيس رعاة واحدًا للكل، والسماء قد انفتحت والإنسان على الأرض جُعل قريبًا من الملائكة القديسين، والروح أيضًا نزل، إذ كبداية ثانية لجنسنا جاء الروح على المسيح أولاً وقد ناله ليس لأجل نفسه، بل لأجلنا، لأننا بواسطته (المسيح) وفيه نغتني بكل



الأشياء. لذلك فإنه مناسب جدًا لتدبير النعمة أن يحتمل معنا الأمور الخاصة بحالة الإنسان. وفي أي وضع آخر سنراه في إخلاء، ذلك الذي بطبيعته الإلهية هو الملء نفسه؟ وكيف صار فقيرًا مثلنا إن لم يتطابق مع فقرنا؟ وكيف أخلى نفسه إن كان يرفض أن يحمل مقاييس صغر الإنسان؟

لذلك فإذ قد اتخذنا المسيح كمثال لنا، فلنقترب من نعمة المعمودية المقدسة، ليكما نحصل على دالة الصلاة بلا انقطاع، ونرفع أيادي مقدسة إلى الله الآب، لكي ما يفتح السماء علينا نحن أيضًا، ويرسل علينا الروح القدس، ولكي يقبلنا كأبناء. لأنه تحدَّث عن المسيح في وقت المعمودية المقدسة، كما لو كان قد قَبِل الإنسان بواسطته وفيه إلى البنوة قائلاً: " *هذا ابني الحبيب الذي به سررت*". فالذي هو الابن بالطبيعة والحق، وهو الوحيد الجنس، فإنه حينما صار مثلنا أعلن خاصة أنه ابن الله، لا كأنه ينال هذا لنفسه، لأنه كما قلت إنَّه كان ولا يزال دائمًا هو الابن ذاته، ولكنه يُعطي المجد لنا نحن، لأنه قد جُعِلَ باكورتنا، والبكر، وآدم الثاني. ولهذا السبب كُتِب أنَّ: "*كل الأشياء صارت جديدة فيه*" (٢كو٥: ١٥)، لأنَّنا إذ قد خلعنا القِدَم الذي كان في آدم، فقد حصلنا على الجدَّة التي في المسيح، الذي به ومعه، لله الآب المجد والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



(أيقونة لتجربة المسيح فى البرية)

الأصحاح الرابع





" أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس وكان يُقتاد بالروح فى البرية . أربعين يوماً يجرب من إبليس "

الأصحاح الرابع

عظة (١٢ـ أ)

صوم المسيح وتجربته في البرية

(لو٤: ١ـ٢) "*أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانَ يُقْتَادُ بِـالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ. وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَلَمَّا تَمَّـتْ جَـاعَ أَخِيرًا*".

حينما يتكلم الأنبياء المباركون عن كلمة الله الوحيد، الذي هو مساوٍ لله في المجد، وشريك عرشه، الذي يضيء معه بمساواة كاملة، فإنهم أي الأنبياء يقودوننا إلى الاقتناع أنه أُظهر كمخلص ومُحرر لأولئك الذين على الأرض، وذلك بقولهم "*قم يا رب، أعني*" (مز٤٤: ٢٦). لذلك قام وأعان، وذلك باتخاذه صورة عبد، إذ قد صار في شبه الناس، فإنه كواحد منا قد أقام نفسه كمنتقم بدلاً منا، منتقم من تلك الحية القاتلة والمتمردة، التي أدخلت الخطية إلينا، وبذلك جعلت الفساد والموت يملكان الأرض. فإننا بواسطته وفيه نحصل على النصرة بينما كنا في القديم مهزومين وساقطين في آدم.

لذلك تعالوا بنا لنُسبح الرب ونرتل مزامير لله مخلصنا، هلموا ندوس الشيطان تحت أقدامنا، لنرفع صوت النصر على الذي هو الآن مطروح وساقط، هيا لِنرتفع فوق الزحّاف الخبيث الذي أُمسِكَ في فخ لا فكاك منه، ولنقل عنه نحن أيضًا بكلمات إرميا النبي: "*كيف كسرت مطرقة الأرض كلها وضربت! فقد وُجِدت وأُخذت، لأنك وقفت ضد الرب*" (إر٥٠: ٢٣س). لأنه منذ القدم، أي قبل زمن مجيء المسيح مخلِّص الكل، فإن عدو الجميع كانت له تصورات كبيرة ومخيفة عن نفسه. لأنه كان يفتخر متعظمًا على ضعف سكان الأرض قائلاً: "*سأمسك العالم في يدي وكعش وكبيض مهجور آخذه، ولن يهرب أحد مني أو يتكلم ضدي*" (إش١٠: ١٤س). وفي الحقيقة لم يكن



أحد من أولئك الذين على الأرض يستطيع أن يقوم ضد قوته، ولكن الابن قام ضده وتصارع معه إذ قد صار مثلنا، لذلك كما قلت فإن الطبيعة البشرية وهى منتصرة فيه تربح الإكليل. وهذا ما أنبأ به الابن نفسه في الزمن القديم حينما خاطب الشيطان بواسطة أحد الأنبياء القديسين هكذا " *هأنذا عليك أيها الجبل المُهلك، المهلك كل الأرض*" (إر٥١: ٢٥).

تعالوا إذًا وهيا بنا لنرى ماذا يقول الإنجيل المبارك، حينما كان المسيح ذاهبًا ليحارب لحسابنا ضد ذلك الذي أهلك الأرض كلها: " *أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئًا من الروح القدس*". انظروا هنا، أرجوكم، طبيعة الإنسان ممسوحة بنعمة الروح القدس في المسيح كباكورة، ومُتوَّجة بأعلى الكرامات، لأنه منذ القديم قد وعد إله الكل قائلاً: "*ويكون في تلك الأيام أني سأسكب من روحي على كل جسد*" (يؤ٢: ٢٨). وقد تحقق الوعد لأجلنا في المسيح أولاً. وبينما يقول الله عن أولئك الذين في القديم، الذين استسلموا لشهوة الجسد بلا ضوابط "*لا يسكن روحي في هؤلاء الناس لأنهم جسد*" (تك٤: ٣س)، أما الآن فلأن كل الأشياء قد صارت جديدة في المسيح وقد اغتنينا بالميلاد الجديد الذي بواسطة الماء والروح، فإننا لم نعد أولاد اللحم والدم، بل بالحري ندعو الله أبًا لنا، لذلك إذ صرنا الآن في كرامة بحق، وإذ نمتلك امتياز التبني المجيد، فقد صرنا شركاء الطبيعة الإلهية بواسطة حصولنا على الروح القدس. ولكن الذي هو البكر في وسطنا، حينما صار هكذا بكرًا بين إخوة كثيرين وأعطى نفسه للإخلاء فإنه كان أول من حصل على الروح، رغم أنه هو نفسه معطي الروح، لكي تصل إلينا بواسطته هذه الكرامة ونعمة الشركة مع الروح القدس. والرسول بولس يُعلِّمنا مثل هذا حينما يتحدث عنه وعنا ويقول "*لأن المقدِّس والمقدَّسين جميعهم من واحد*" (عب٢: ١١، ١٢)، لهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة قائلاً: "*أخبر باسمك إخوتي*". ولأنه لم يستح بالمرة أن يدعونا إخوة نحن الذين أخذ شكلنا لذلك إذ قد نقل فقرنا إلى نفسه، فإنَّه يتقدس معنا رغم أنه هو نفسه مقدِّس الخليقة كلها، وذلك لكي لا تراه أنت رافضًا لمستوى الطبيعة البشرية، هو الذي رضيَ من أجل خلاص وحياة الكل أن يصير



إنسانًا.

لذلك، حينما يقول الإنجيلي الحكيم عنه "*أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئًا من الروح*"، فلا تعثروا ولا تخطئوا في أفكاركم الداخلية وتحيدوا عن تعليم الحق، فيما يخص الطريق والكيفية التي بها تقدس الكلمة الذي هو الله، بل بالحرى افهموا حكمة التدبير التي بسببها، هو موضوع إعجابنا، لأنه قد صار جسدًا وأصبح إنسانًا، لا لكي يتحاشى كل ما يخص بحالة الإنسان ويحتقر فقرنا، بل لكي نغتني نحن بما هو له، وذلك بأنه قد صار مثلنا في كل شيء ما خلا الخطية، لذلك فهو يتقدس كإنسان، ولكنه يُقدِّس كإله، لأنه إذ هو بالطبيعة إله صار إنسانًا. لذلك يقول الإنجيلي "*وكان يُقتاد بالروح في البرية أربعين يومًا يُجرب من إبليس*"، فما هو إذًا معنى كلمة يُقتاد؟ إنها لا تعني توصيله إلى هناك، بقدر ما تعني أنه أقام واستمر هناك. لأننا نحن أنفسنا أيضًا اعتدنا أن نقول عن أي واحد يحيا بالتقوى، إن فلانًا أو فلانًا أيًّا كان الشخص إنما يحيا حياة صالحة. ونحن نعطي لقب مُربِّي لا لنشير به بحسب المعنى الحرفي إلى أولئك الذين يقودون الأطفال فعلاً، بل نعني أنهم يعتنون بهم ويدربونهم بطريقة حسنة جديرة بالثناء، مربين إياهم ومعلمينهم أن يسلكوا بطريقة لائقة.

إذًا فهو قد أقام في البرية بالروح، أي روحيًّا، فإنه صام، ولم يمنح أي طعام إطلاقًا لحاجات الجسد، ولكني أتخيل أن البعض قد يعترضون على هذا قائلين:

وما هو الضرر الذي يلحق يسوع من الإقامة الدائمة في المدن؟ وما هو الذي يفيده حتى يختار الإقامة في البرية؟ فليس هناك شيء حسن يحتاج إليه، وأيضًا لماذا هو يصوم؟ وما الذي كان يضطّره أن يتعب وهو الذي لا يعرف أي أحساس بتحرك أي رغبة منحرفة؟ فنحن نمارس الصوم كوسيلة نافعة جدًّا نميت اللّذات بواسطته ونقاوم ناموس الخطية الذي في أعضائنا، ونقتلع تلك العواطف التي تؤدي إلى الشهوة الجسدية. أما المسيح فأي حاجة له إلى الصوم؟ فهو الذي بواسطته يبيد الآب الخطية في الجسد. وبولس الإلهي إذ عرف هذا كتب: "*لأن الناموس فيما كان عاجزًا عنه بسبب ضعفه بواسطة الجسد فإن الله إذ أرسل ابنه في شبه جسد الخطية ولأجل*

الخطية، دان الخطية في الجسد لكي يتم حكم الناموس فينا نحن السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح" (رو٨: ٣، ٤). لذلك فهو الذي يميت حركات الجسد فينا نحن أنفسنا الكائنات البائسة، وقد أباد الخطية، فأي صوم يمكن أن يحتاجه فيما يخصه هو نفسه؟ إنَّه قدوس وغير مدنَّس بالطبيعة، وهو نقي تمامًا وبلا عيب، وهو لا يمكن أن يحدث له ولا ظل تغيير. فلماذا إذًا جعل إقامته في البرية وصام وجُرِّب؟

يا أحبائي إنَّ المسيح كمثال لنا يهتم بنا، فهو يضع أعماله أمامنا كنموذج لنا، ويؤسس مثالاً للحياة الفضلى والعجيبة التي يمكن أن تُمارَس في وسطنا، وأنا أعني حياة الرهبان القديسين، لأنه منذ متى كان ممكنًا للناس على الأرض أن يعرفوا أن عادة السكن في الصحاري هي نافعة لهم، ومفيدة جدًّا للخلاص؟ لأنهم يعتزلون من أمام الأمواج والعواصف ومن الاضطراب الشديد وارتباكات هذا العالم الباطلة، وهكذا كما لو كانوا مثل يوسف المبارك، فأنهم يتجردون ويتركون للعالم كل ما هو خاص به. وبولس الحكيم يقول شيئًا مثل هذا أيضًا عن أولئك الذين يريدون أن يعيشوا هكذا "*ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات*" (غل٥: ٢٤). وهو يُبين لأولئك الذين يختارون هذه الطريقة للحياة أن الإمساك ضروري، الذي ثمرته الصوم وقوة الاحتمال، والإمساك عن الطعام أو أخذ القليل منه. فإنَّه عندئذ حينما يُجرِّب الشيطان فإنه سيُهزم.

لاحظوا هذا بنوع خاص أن الرب اعتمد أولاً وامتلأ من الروح القدس، وبعد ذلك ذهب إلى البرية، ومارس الإمساك أي الصوم كما لو كان سلاحًا له، وهكذا إذ كان مستعدًا فحينما اقترب منه الشيطان انتصر عليه، وبذلك فقد وضع نفسه أمامنا كنموذج لنا.

فأنت، لذلك ينبغي أيضًا أن تلبس أولاً سلاح الله، وترس الإيمان، وخوذة الخلاص. ينبغي أولاً أن تلبس قوة من الأعالي، أي ينبغي أن تصير مشتركًا في الروح القدس بواسطة المعمودية الثمينة، وحينئذ يمكن أن تسلك الحياة المحبوبة والمكرَّمة لدى الله، وحينئذ يمكنك بشجاعة روحية أن تسكن في الصحاري، وحينئذ تحفظ الصوم المقدس



وتميت الأهواء وتهزم الشيطان حينما يجربك، لذلك، فإننا في المسيح قد حصلنا على كل الأشياء...

يا للعجب فإنّه يظهر بين المصارعين وهو نفسه كإله يمنح الجائزة، يظهر بين أولئك الذين يلبسون إكليل النصر، وهو الذي يكلل هامات القديسين. لذلك فلننظر ولنلاحظ مهارته في مصارعته وكيف هزم خبث الشيطان وشره، فحينما قضى أربعين يومًا صائمًا فإنه جاع أخيرًا ولكنه هو نفسه يعطي الجياع طعامًا، وهو نفسه الخبز النازل من السماء الواهب حياة للعالم وهو الذي به تقوم كل الأشياء. ولكن من الجهة الأخرى، بسبب أنه كان من الضروري لذلك الذي لم يرفض فقرنا، أن لا ينسحب من أي شيء يخص حالة الإنسان، لذلك فقد وافق أن يحتاج جسده للمؤونة الطبيعية. وهذا هو السبب للقول "إنّه جاع" ولكنه مع ذلك لم يجُع إلاَّ بعد أن صام مدة كافية، وبقوته الإلهية قد حفظ جسده من الخوار، رغم امتناعه عن الطعام والشراب، لكي يسمح لجسده أن يشعر بالإحساسات الطبيعية كما هو مكتوب "إنّه جاع". ولأي سبب هذا؟ لكي بمهارة بواسطة الاثنين[1]، فإنّ ذلك الذي هو إله وإنسان معًا في نفس الوقت يمكن أن يُعرف بهاتين الصفتين في نفس الشخص الواحد: أي أعلى منَّا بطبيعته الإلهية، ومساوٍ لنا في بشريته.

(لو ٤: ٤) "*وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ، فَقُلْ لِهَذَا الْحَجَرِ أَنْ يَصِيرَ خُبْزًا*".

حينئذ يقترب الشيطان لكي يجربه، متوقعًا أن إحساس الجوع سيساعده في خطته الخبيثة. فإن الشيطان كثيرًا ما ينتصر علينا باتخاذه ضعفاتنا كمساعد لمكائده ومغامراته، لقد تصور الشيطان أن الرب يسوع سيقفز حالاً نحو الرغبة في رؤية الخبز جاهزًا للأكل، ولذلك قال "*إن كنت ابن الله، فقل لهذا الحجر أن يصير خبزًا*". إذًا فهو يقترب منه، كإنسان عادي وكواحد من القديسين، ومع ذلك فهو لا يزال متشككًا في أمره، أنه ربما يكون هو المسيح. فبأي طريقة أراد أن يعرف هذا؟ لقد اعتبر الشيطان أن تغيير طبيعة شيء إلى طبيعة أخرى إنما هو فعل وعمل قوة إلهية،

[1] الاثنين أي بصومه أربعين يومًا دون أن يخور الجسد من ناحية، وبسماحة للجسد أن يشعر بالجوع من ناحية أخرى.



لأن الله هو الذي يصنع هذه الأشياء وهو الذي يحوّلها. لذلك، قال في نفسه إن فَعَل هذا، فإنه يكون هو بالتأكيد ذلك الشخص المنتظر الذي سيُبطل قوّتي، ولكن إن رفض أن يعمل هذا التغيير، فإني بذلك أتعامل مع إنسان وأطرح الخوف بعيدًا، وأنجو من الخطر، لذلك فإن المسيح لمعرفته بحيلة الشيطان فإنه رفض أن يحول الحجر خبزًا، كما أنه لم يقل إنَّه غير قادر أو غير راغب أن يعمل هذا التغيير، بل بالحرى يصده بسبب إلحاحه وتداخله فيما ليس له قائلاً: " *إن الإنسان لا يحيا بالخبز وحده*". وهو يعني بهذا، أنه إن أعطى الله القوة للإنسان، فإنه يمكن أن يصمد بدون طعام، ويحيا مثل موسى وإيليا اللذان بقوة كلمة الرب صرفا أربعين يومًا دون أن يأكلا شيئًا، لذلك فإذا كان ممكنًا للإنسان أن يحيا بدون خبز، فلماذا أحوّل الحجر خبزًا؟ ولكن الرب تعمد ألاَّ يقول، إنِّي لا أستطيع وذلك لكي لا ينكر قوته الخاصة، كما إنَّه لم يقل، إني أستطيع لئلا عندما يعرف المجرب بذلك أنه هو الله الذي عنده وحده كل شيء مستطاع، فإنه يتركه ويهرب.

وأرجوكم أن تلاحظوا كيف أن طبيعة الإنسان في المسيح هي حرة من أخطاء شراهة آدم، فعن طريق الأكل انهزمنا في آدم وبواسطة الصوم انتصرنا في المسيح.

بواسطة الطعام الذي يخرج من الأرض، يتقوّى جسدنا الأرضي، ويسعى إلى الحصول على غذائه مما هو مجانس له، أما النفس العاقلة فإنَّها تتغذى وتنمو إلى الصحة الروحانية بواسطة كلمة الله، لأن الطعام الذي تقدمه الأرض يغذي الجسد الذي هو قريب لها، أما الطعام الذي من فوق ومن السماء فيُقوّي الروح ويشددها، طعام النفس هو الكلمة الآتية من الله، أي الخبز الروحاني الذي يُقوّى قلب الإنسان كما يرنم في كتاب المزامير، وإننا نؤكد أيضًا أن الطبيعة خبز الملائكة هي هكذا.

(لو ٤: ٥) *أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْمَسْكُونَةِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ*".

وأنت أيها الكائن الخبيث الشرير الملعون، كيف تتجاسر أن تُري الرب ممالك الخليقة كلها وتقول " *إنها لي؟ فإن سجدت أمامي سأعطيها لك*" فكيف تعد بشيء ليس هو لك؟ من جعلك وارثًا لمملكة الله؟ من جعلك سيدًا على كل ما تحت السماء؟ إنَّك



حصلتَ على هذه الأشياء بالخداع والاحتيال، لذلك أرجعها، للابن المتجسد، رب الكل. واسمع ما يقوله إشعياء النبي عنك: " *هل قد أعد لك أيضًا أن تملك؟ هي هوة عميقة، ونار، وكبريت، وحطب مرتَّب، وغضب الرب كهوة مشتعلة بكبريت* " (إش٣٠:٣٣س). فكيف إذًا وأنت نصيبك هو اللهيب الذي لا ينطفئ تَعِد مَلِك الكل بما هو ليس لك؟ هل تظن أنك تجعله يسجد لك وهو الذي ترتعد أمامه كل الكائنات والسارافيم وكل القوات الملائكية تُسبح بمجده؟ إنَّه مكتوب: " *للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد*". لقد ذكر الرب هذه الوصية في الوقت المناسب ووجَّهها إليه في الصميم، فقَبل مجيء الرب، كان الشيطان قد خدع كل من تحت السماء، وكان يُعبَد في كل مكان، أما وصية الله هذه فإنها تطرده من السيادة التي اغتصبها بالخداع، وتوصي الناس أن يعبدوا الذي هو بالطبيعة وبالحق الله وأن يُقدِّموا الخدمة والسجود له وحده.

(لو٤: ٩) " *ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَقَامَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْــنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ مِنْ هُنَا إِلَى أَسْفَلُ* ".

التجربة الثالثة التي يستخدمها الشيطان هي المجد الباطل قائلاً: " *ألقِ نفسك إلى أسفل*"، كبرهان على ألوهيتك، ولكنه لم يستطع أن يُسقطه بواسطة الغرور، بل إنَّ سهم الشيطان أخطأ الهدف، فقد أجابه الرب " *إنه قيل لا تجرب الرب إلهك*". فإن الله لا يمنح معونته لأولئك الذين يجربونه، بل لأولئك الذين يثقون به، ولا ينبغي بسبب تلطفه ورحمته علينا أن نتباهى ونغتر، ولنلاحظ أيضًا أن المسيح لم يعطِ آية لأولئك الذين كانوا يجربونه: فيقول "*جيل شرير يطلب آية ولا تعطى له آية*" (مت١٢:٣٩). فليسمع الشيطان وهو يجرِّب هذه الكلمات. لذلك فنحن قد نلنا الانتصار في المسيح، أما الذي انتصر في آدم فمضى الآن خجلاً لكي ما نستطيع أن نضعه تحت أقدامنا، لأن المسيح كمنتصر قد سلَّمنا أيضًا القوة لكي ننتصر، قائلاً " *ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو* " (لو١٠:١٩).

(لو٤: ١٠) " *لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ* "

انظروا كيف يحاول بخبث أن يستخدم الكتاب المقدس لكي يحطَّ من مجد الرب،



كما لو كان الرب محتاجًا لمساعدة الملائكة، وكما لو كان سيعثر لو لم تساعده الملائكة، لأن هذا المزمور لا يشير إلى المسيح، والرب العالي لا يحتاج للملائكة. أما جناح الهيكل، فقد كان مبنًى مرتفع جدًّا، مُقام إلى جانب الهيكل.

والبعض يشيرون بهذا المزمور خطأ إلى شخص الرب، ويأخذون عباراته معًا التي تقول هكذا "*لأنك، يا رب أنت رجائي، جعلت العلي ملجأك*" (مز٩١: ٩)، ولذلك يقولون إن الرب له ملجأ هو العلي، أى الآب الذي في السماء. وحجّتهم في مثل هذه الطريقة في الفهم، أن الشيطان فهمها هكذا فقال "*إن كنت ابن الله فالقِ نفسك إلى أسفل: لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك لكي يحفظوك*"، فالشيطان لأنه كذاب ومخادع، يُطبق ما هو مكتوب عنّا نحن على شخص المسيح مخلصنا جميعًا. ولكننا نحن لا نفهمها بطريقة الشيطان، حتى إن كان الآريوسيون قد فهموها هكذا، فليس هناك ما يدعو للدهشة في موقفنا هذا، لأنهم يتبعون أباهم، الذي هو كذاب، وليس فيه حق، بحسب كلمات المخلِّص (انظر يو٨:٤٤)، فإن كان ما يقولونه هو الحق، ونحن قد جعلنا المسيح عوننا، وهو قد جعل الآب ملجأه، فعندئذ نكون نحن قد التجأنا إلى واحد هو نفسه محتاج إلى المساعدة، ودَعونا ذلك الذي يخلص بواسطة آخر مخلِّصًا لنا. هذا لا يمكن أن يكون، حاشا لله. لذلك فنحن نقول لأولئك الذين يريدون أن يفكروا هكذا، أنتم تسيرون خارج الطريق الملكي المستقيم، أنتم تسقطون وسط الأشواك والفخاخ، لقد ضللتم بعيدًا عن الحق. فالابن مساوٍ للآب في كل الأشياء، فهو صورة ورسم جوهره، وهو العلي كما أن الآب أيضًا هو العلي.

الشيطان استخدم إذًا هذه العبارات كما لو كان المخلص إنسانًا عاديًّا، فلأنه ظلام بكليته، وقد أُعمى عقله، فإنه لم يفهم قوة المكتوب في المزمور أنه يقصد به شخص كل إنسان بار ينال عونًا من السماء، وإلى جانب ذلك، لم يعرف أن الكلمة، إذ هو الله، قد صار إنسانًا، والآن هو نفسه يجرَّب بحسب خطة الخلاص. وكما سبق أن قلت، فقد افترض (الشيطان) أن كلمات المزمور قد قيلت كما على إنسان عادي، أو على واحد من الأنبياء القديسين.



ولكن بالنسبة لنا نحن الذين نعرف السر تمامًا، والذين نؤمن أنه من الله وابن الله، وأنه صار من أجلنا إنسانًا مثلنا، فإنه أمر بشع جدًّا أن نتصور أن عبارات المزمور هذه تتحدث عنه، إذًا فنحن نقول، إن عبارة "*جعلتُ العلي ملجأك*" لا تناسب شخص المخلِّص، فإنه هو نفسه العلي، ملجأ الكل، ورجاء الكل، وهو عن يمين الآب الكلي القدرة، وكل من يجعله حصنًا له، فلن يقترب منه شر لأنه يأمر الملائكة، الذين هم أرواح خادمة، أن يحرسوا الأبرار.

فكما أن آباءنا الجسديين حينما يرون الطريق خشنًا ويصعب عبوره، فإنهم يمسكون أطفالهم في أيديهم، لكي لا تصاب أقدامهم الضعيفة بأذى، لكونهم لا يزالون غير قادرين أن يسيروا على الطرق الصعبة، هكذا أيضًا قوات الملائكة لا يسمحون لأولئك، الذين لا يزالون غير قادرين على الجهاد، والذين لا يزال ذهنهم طفوليًّا، أن يتعبوا بما يفوق طاقتهم، بل يختطفونهم بعيدًا عن كل تجربة.

عظة (١٢ ـ ب)
خدمة المسيح في كفر ناحوم

(لو٤: ١٤، ١٥) "*وَرَجَعَ يَسُوعُ بِقُوَّةِ الرُّوحِ إِلَى الْجَلِيلِ، وَخَرَجَ خَبَرٌ عَنْهُ فِي جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ. وَكَانَ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ مُمَجَّدًا مِنَ الْجَمِيعِ*".

حينما ترك المسيح سكنى المدن، فإنه سكن في البراري، وهناك صام وجُرِّب من الشيطان، وهناك حقق النصرة لحسابنا، هناك سحق رؤوس التنانين، هناك سقطت سيوف العدو تمامًا، وهُدِمَت مدنًا كما يقول داود (مز٩: ٦)، وأعني بالمدن أولئك الذين كانوا كالأبراج والمدن. لذلك فهو إذ قد تسلط باقتدار على الشيطان، وإذ قد تَوَّج طبيعة الإنسان بالغنائم التي غنمها بالانتصار على الشيطان، رجع إلى الجليل بقوة الروح عاملاً بقوة وسلطان وأجرى عجائب كثيرة مما أثار دهشة عظيمة جدًّا عند الجموع. وهو قد أجرى المعجزات ليس كمن يقبل نعمة الروح من خارجه أو يناله كموهبة مثل جماعة القديسين، بل بالحرى كمن هو بالطبيعة وبالحق ابن الله الآب، فإنه يأخذ كل ما هو له



باعتباره ميراثه الخاص. لأنه قال لأبيه: "*كل ما هو لك فهو لي، وأنا ممجد فيهم*" (يو١٧: ١٠). إذًا فهو يتمجد بممارسة قوة الروح المساوي باعتبارها قوته الخاصة واقتداره.

(لو٤: ١٦و١٧) "*وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ حَيْثُ كَانَ قَدْ تَرَبَّى. وَدَخَلَ الْمَجْمَعَ حَسَبَ عَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَامَ لِيَقْرَأَ، فَدُفِعَ إِلَيْهِ سِفْرُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ. وَلَمَّا فَتَحَ السِّفْرَ وَجَدَ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ مَكْتُوبًا فِيهِ*".

حيث إنه كان ضروريًا وواجبًا أن يُظهِر نفسه الآن للإسرائيليين، وأن يضيء سر تجسده على أولئك الذين لم يعرفوه، ولأنه الآن قد مُسح من الله الآب لأجل خلاص العالم، فأنه بحكمة يُرتب هذا أيضًا أن تنتشر شهرته في كل مكان، وقد منح هذا الإحسان أولاً لشعب الناصرة، لأنه من الناحية البشرية قد تربى بينهم. وإذ دخل المجمع وقد أخذ السفر ليقرأ، ولما فتحه اختار فقرة من الأنبياء تُعلن عن سر مجيئه. وبهذه الكلمات يخبرنا هو نفسه بوضوح تام بصوت النبي أنه يصير إنسانًا، وأنه يأتي ليخلِّص العالم، فنحن نؤكد أن الابن قد مُسح عن طريق مجيئه في الجسد واتخاذه طبيعتنا، فهو لكونه إله وإنسان في نفس الوقت، فهو يعطي الروح للخليقة بطبيعته الإلهية، كما أنه ينال الروح من الله الآب في طبيعته البشرية. وهو نفسه الذي يُقدِّس الخليقة كلها بإشراقه من الآب القدوس، وهو الذي يمنح الروح الذي يسكبه على القوات العلوية كروحه الخاص ويسكبه أيضًا على أولئك الذين يؤمنون بظهوره.

(لو ٤: ١٨ـــ ٢١) "*رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ. ثُمَّ طَوَى السِّفْرَ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْخَادِمِ، وَجَلَسَ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ كَانَتْ عُيُونُهُمْ شَاخِصَةً إِلَيْهِ. فَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ: إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ*".

إنه بهذه الكلمات يبين بوضوح أنه أخذ على نفسه الانسحاق والخضوع للإخلاء من مجده. وقد اتخذ اسم "المسيا" وحقيقته من أجلنا، لأنه يقول إنَّ الروح الذي هو



بالطبيعة موجود فيَّ، وأنا وهو من نفس الجوهر والألوهية، هذا الروح نفسه نزل عليَّ أيضًا من الخارج، وهكذا فإنه أتى عليَّ أيضًا في الأردن على شكل حمامة، ليس لأنه لم يكن موجودًا فيَّ، ولكن لأجل السبب الذي من أجله مسحني. وما هو السبب الذي من أجله اختار المسيح أن يُمسح؟ السبب هو لأننا نحن صرنا مقفرين من الروح بذلك الحُكم القديم "*لا يسكن روحي في الإنسان. لأنه بَشَر*" (تك٦: ٣).

هذه الكلمات يقولها كلمة الله المتجسد، فلكونه الإله الذي من الله الآب، ولأنه صار إنسانًا لأجلنا دون أن يلحقه تغيير، فإنَّه يُمسح معنا بزيت البهجة، إذ نزل عليه الروح في الأردن على شكل حمامة. لأنه قديمًا كان الملوك والكهنة يُمسحون رمزيًا، وبهذا يحصلون على درجة مُعيَّنة من التقديس، أما هذا الذي تجسد من أجلنا، فقد مُسح بالزيت الروحاني زيت التقديس، ونزل عليه الروح القدس بالحق، وهو قد قبل الروح لا لأجل نفسه، بل لأجلنا، كما أن الروح غادرنا ولم يسكن فينا لكوننا جسد، لذلك امتلأت الأرض من الحزن، لأنها قد حُرمت من المشاركة في الله.

وهو بشَّر المأسورين بالإطلاق، الذي تممه حينما ربَط القوى، الشيطان الذي بطغيانه ساد على جنسنا، وانتزعنا من الرب جاعلاً إيانا غنائم له.

وهكذا فإن عبارة "مسحني" تناسب ناسوته، فليست الطبيعة الإلهية هي التي مُسِحت بل تلك الطبيعة التي هي منَّا، هكذا أيضًا عبارة "أرسلني" إنما تشير إلى ما هو بشرى.

وأولئك الذين أعتمت قلوبهم منذ القديم بظلمة إبليس، قد أنار لهم بإشراقه كشمس للبر، وجعلهم أبناء لا لليل والظلمة فيما بعد، بل أبناء للنور والنهار كقول بولس الرسول (اتس٥:٥). وأولئك الذين كانوا عميانًا "لأن المُضل أعمى قلوبهم" قد استعادوا بصرهم وعرفوا الحق، وكما يقول إشعياء "*صارت ظلمتهم نورًا*" (إش٤٢: ١٦)، أي صار الجُهال حكماء، وأولئك الذين كانوا في الخطية عرفوا مسالك البر، والآب أيضًا يقول للابن في موضع ما "*أجعلك عهدًا للشعب، لتفتح عيون العمي، لتُخرج من الحبس المأسورين، من بيت السجن الجالسين في الظلمة*" (إش٤٢: ٦، ٧)، لأن الابن الوحيد جاء إلى هذا العالم وأعطى عهدًا جديدًا لشعبه، الإسرائيليين، الذين منهم وُلد

حسب الجسد، وهو العهد الذي أُعلن عنه سابقًا جدًّا بصوت الأنبياء. ولكن النور الإلهي السماوي أضاء أيضًا على الأمم، وذهب وبشَّر الأرواح في الجحيم، وأظهر نفسه لأولئك الذين كان مغلقًا عليهم في بيت السجن، وفك قيود الجميع وحررهم من العنف، فكيف لا تبرهن كل الأشياء أن المسيح هو إله وابن الإله بالطبيعة؟

وما معنى إرسال المنسحقين في الحرية؟ معناه إطلاق الذين سحقهم الشيطان بقضيب العنف الروحي، ليذهبوا في طريقهم أحرارًا. وما معنى الكرازة بسنة الرب المقبولة؟ إنَّها تشير إلى الأخبار المفرحة عن مجيئه، أي أن الابن قد جاء، فتلك كانت هي السنة المقبولة التي فيها صُلب المسيح لأجلنا، لأننا عندئذ صرنا مقبولين عند الله الآب كثمار حملها المسيح. لذلك فقد قال هو نفسه " *وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض سأجذب إليَّ الجميع* (يو١٢: ٣٢)، وحقًّا فقد عاد إلى الحياة في اليوم الثالث حينما داس على قوة الموت، وبعد ذلك قال لتلاميذه "*دُفع إليَّ كل سلطان*" (مت٢٨: ١٨). أيضًا من كل ناحية هي سنة مقبولة التي فيها إذ قد انضممنا إلى عائلته، فقد دخلنا إليه بعد أن اغتسلنا من الخطية بالمعمودية المقدسة، وصرنا شركاء طبيعته الإلهية بواسطة شركة الروح القدس. تلك أيضًا هي سنة مقبولة إذ أظهر فيها مجده بمعجزات تفوق الوصف، ونحن قد استقبلنا زمن خلاصه بفرح عظيم، وهو الزمن الذي يشير إليه بولس الحكيم قائلاً: " *هوذا الآن وقت مقبول، هوذا الآن وقت خلاص*" (٢كو٦: ٢)، وهو اليوم الذي فيه، صار أولئك المساكين الذين كانوا سابقًا مرضى بسبب انعدام كل بركة، والذين لم يكن لهم رجاء وكانوا بلا إله في العالم ــ أي شعوب الأمم ــ هؤلاء المساكين صاروا أغنياء بالإيمان به، إذ حصلوا على الكنز الإلهي السماوي، كنز رسالة إنجيل الخلاص، الذي به جُعلوا شركاء في ملكوت السموات، وصاروا مشارِكين مع القديسين، ووارثين للبركات التي لا يستطيع عقل أن يدركها ولا لسان أن يخبر عنها. لأنه مكتوب " *ما لم تره عين وما لم تسمع به آذن، ما لم يخطر على قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبونه*" (١كو٢: ٩). وهذا الكلام يمكن أن ينطبق أيضًا على فيض النعم السخية المعطاة من المسيح والمنسكبة منه على المساكين بالروح.



ويعني "بالمنكسري القلوب" أولئك الذين لهم ذهن ضعيف مستسلم، ولا يستطيعون مقاومة هجمات الشهوة. وهكذا تجرفهم الشهوات ويصبحون أسرى لها، هؤلاء يعطي لهم الوعد بالشفاء والغفران.

وللعمي يعطي استعادة البصر. لأن أولئك الذين يعبدون المخلوق بدل الخالق، *"ويقولون للخشب أنت أبي وللحجر أنت ولدتني"* (إر٢: ٢٧)، دون أن يعرفوا ذلك الذي هو الإله بالطبيعة وبالحق، مثل هؤلاء هل يمكن أن يُعتبروا سوى عميان يبصرون بعيونهم ولكن قلبهم محروم من النور الإلهي الروحاني. هؤلاء يُنعم عليهم الآب بنور معرفة الله الحقيقية، لأنه يدعوهم بواسطة الإيمان فيعرفونه، أو بالحري يصيرون معروفين منه، وبينما كانوا سابقًا أبناء الليل والظلمة، فقد صاروا أبناء النور، لأن النهار قد أشرق عليهم، وشمس البر قد أنارت وكوكب الصبح اللامع قد ظهر.

ومع ذلك ليس هناك اعتراض على من يُطبّق هذه الإعلانات على الإسرائيليين لأن هؤلاء أيضًا كانوا مساكين ومسحوقي القلوب ومأسورين وسجناء في الظلمة. " *فلم يكن على الأرض من يعمل صلاحًا، ليس ولا واحد. الكل قد زاغوا معًا وفسدوا*" (مز١٤: ٣). ولكن جاء المسيح مبشرًا بأمجاد ظهوره للإسرائيليين قبل غيرهم وكانت أمراضهم مثل أمراض الشعوب الوثنية. ولكن هؤلاء الوثنيين افتدوا بواسطته إذ صاروا أغنياء بحكمته وتوشّحوا بالفهم، ولم يعودوا ضعفاء ومسحوقين في قلوبهم، بل صاروا أصحاء وأقوياء ومهيئين لقبول وممارسة كل عمل صالح للخلاص. لأنهم حينما كانوا في ضلالهم كانوا في حاجة للحكمة والفهم، أولئك الذين في حماقتهم الشنيعة عبدوا المخلوق بدل الخالق، وأطلقوا أسماء الآلهة على الأخشاب والأحجار، ولكن أولئك الذين عاشوا منذ القديم في الغم والظلمة بسبب عدم معرفتهم للمسيح، فإنهم الآن يؤمنون ويعترفون به إلهًا لهم.

وحينما قرأ الرب هذه الكلمات للشعب المجتمِع، فإنه جذب أنظارهم إليه إذ كانوا ربما مندهشين كيف يعرف الكتب وهو لم يتعلم، لأنه كان من عادة الإسرائيليين أن يقولوا إن النبوات الخاصة بالمسيا قد تحققت، إما في أشخاص بعض ملوكهم أو في



أشخاص أنبيائهم القديسين، ولأنهم لم يفهموا ما كان مكتوبًا عنه فهمًا صحيحًا لذلك فقدوا الاتجاه الحقيقي وساروا في طريق آخر. ولكن لكي لا يسيئوا فهم هذه النبوة أيضًا لذلك نراه يحرص على تنبيههم للخطأ بقوله: " *إنه اليوم قد تمَّت هذه النبوة المكتوبة في مسامعكم*". واضعًا نفسه أمامهم بوضوح بهذه الكلمات، باعتباره الشخص الذي تتكلم عنه النبوة، لأنه هو الذي كرز بملكوت السموات للأمم، الذين كانوا مساكين، إذ لم يكن لهم شيء، ليس لهم إله ولا شريعة ولا أنبياء. أو بالحري لقد كرز بالملكوت لكل الذين كانوا محرومين من كنوز الغنى الروحي، وأطلق المأسورين أحرارًا إذ قد طرح خارجًا الطاغية المرتد الشيطان، وقد أفاض النور الإلهي الروحي على الذين كانوا مظلمي القلب. ولأجل هذا قال: " *أنا قد جئت نورًا إلى هذا العالم*" (يو١٢: ٤٦)، إنه هو نفسه الذي حلَّ سلاسل الخطية عن أولئك الذين سحقتهم الخطية، والذي أظهر بوضوح أن هناك حياة آتية.

وأخيرًا إنَّه هو الذي كرز بسنة الرب المقبولة، تلك التي فيها جاء المخلص كارزًا، فإني أظن أن المقصود بالسنة المقبولة هو مجيئه الأول، أما المقصود بيوم العودة فمقصود به يوم الدينونة.

(لو٤: ٢٢) " *وَكَانَ الْجَمِيعُ يَشْهَدُونَ لَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ النِّعْمَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ فَمِهِ، وَيَقُولُونَ: أَلَيْسَ هذَا ابْنَ يُوسُفَ؟*"

ولأنهم لم يفهموا أنه هو الذي مُسِحَ وأُرسِلَ، وأنه هو صانع العجائب، فقد رجعوا إلى طرقهم المعتادة وتكلموا عنه كلامًا غبيًّا وباطلاً، فرغم أنهم تعجبوا من كلمات النعمة الخارجة من فمه إلا أنهم اعتبروا هذه الكلمات كأنها بلا قيمة لأنهم قالوا " *أليس هذا هو ابن يوسف*"؟ ولكن هل هذا ينقص شيئًا من مجد صانع المعجزات؟ فما الذي يمنع أن يُكرم ويُعجب به حتى لو كان هو ابن يوسف كما ظنوا؟ ألا ترى المعجزات؟ فالشيطان سقط، وقطيع الشياطين أُبيد، وجموع كثيرة تحررت من مختلف أنواع الأمراض. أنت تمدح النعمة التي كانت في تعاليمه، ولكنك بطريقة يهودية تُقلِّل من قدره في نظرك، لأنك حسبت يوسف أبًا له، يا للحماقة العظيمة! حق هو أن يُقال عنهم " *الشعب الجاهل،*



والعديم الفهم، الذين لهم أعين ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون" (إر ٥: ٢١).

(لو ٤: ٢٣ـــ٢٤) *"فَقَالَ لَهُمْ: عَلَى كُلِّ حَالٍ تَقُولُونَ لِي هذَا الْمَثَلَ: أَيُّهَا الطَّبِيبُ اشْفِ نَفْسَكَ! كَمْ سَمِعْنَا أَنَّهُ جَرَى فِي كَفْرِنَاحُومَ، فَافْعَلْ ذلِكَ هُنَا أَيْضًا فِي وَطَنِكَ وَقَالَ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ مَقْبُولاً فِي وَطَنِهِ"*.

كان هذا قولاً شائعًا بين اليهود، فحينما يكون الأطباء أنفسهم مرضى، حينئذ يقول الناس أيها الطبيب اشفِ نفسك، لذلك فالمسيح بوضعه هذا المثل أمامهم فكأنه يقول لهم أنتم لا تريدون أن تجرى آيات كثيرة بينكم أنتم بنوع خاص، أنتم الذين تربيت في بلدتكم، ولكني أعرف الشعور السائد بالنسبة لكل الناس، لأن ما يحدث دائمًا هو أن أفضل الأشياء وأندرها تصير حقيرة عندما توجد بكثرة حينما يحصل عليها الناس بوفرة. وهكذا أيضًا نفس الحال مع البشر فإن الأصدقاء أحيانًا يرفضون الشخص المألوف لديهم والذي يكون موجودًا بينهم على الدوام برغم أنه يكون مستحقًّا للكرامة، ولذلك وبخهم بسبب تساؤلهم بغباوة قائلين " *أليس هذا هو ابن يوسف*"، ثم أكد موضوع تعليمه فقال لهم "*الحق أقول لكم إنه ليس نبي مقبولاً في وطنه*".

(لو ٤: ٢٥ـــ٢٧) *"وَبِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَرَامِلَ كَثِيرَةً كُنَّ فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ إِيلِيَّا حِينَ أُغْلِقَتِ السَّمَاءُ مُدَّةَ ثَلاَثِ سِنِينَ وَسِتَّةِ أَشْهُرٍ، لَمَّا كَانَ جُوعٌ عَظِيمٌ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا، وَلَمْ يُرْسَلْ إِيلِيَّا إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا، إِلاَّ إِلَى امْرَأَةٍ أَرْمَلَةٍ، إِلَى صَرْفَةِ صَيْدَاءَ. وَبُرْصٌ كَثِيرُونَ كَانُوا فِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ أَلِيشَعَ النَّبِيِّ، وَلَمْ يُطَهَّرْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ نُعْمَانُ السُّرْيَانِيُّ "*.

حيث إنه ـــ كما ذكرتُ ـــ بعض اليهود أكدوا أن النبوات المتعلقة بالمسيح قد تحققت إما في أنبيائهم القديسين أو في بعض رجالهم البارزين، لذلك فإنه يجتذبهم بعيدًا عن هذا الافتراض، لأجل منفعتهم، وذلك بقوله إن إيليا أُرسِل إلى أرملة واحدة، وإن أليشع النبي قد شفى أبرصًا واحدًا هو نعمان السرياني وكلاهما يشيران إلى كنيسة الأمم الذين كانوا عتيدين أن يقبلوه ويشفوا من مرضهم، في الوقت الذي بقى شعب إسرائيل غير تائب.



(لو ٤: ٢٨ــ٣٠) "*فَامْتَلأَ غَضَبًا جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ حِينَ سَمِعُوا هذَا، فَقَامُوا وَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَجَاءُوا بِهِ إِلَى حَافَّةِ الْجَبَلِ الَّذِي كَانَتْ مَدِينَتُهُمْ مَبْنِيَّةً عَلَيْهِ حَتَّى يَطْرَحُوهُ إِلَى أَسْفَلٍ. أَمَّا هُوَ فَجَازَ فِي وَسْطِهِمْ وَمَضَى* ".

وبعد ذلك اشتعلوا غضبًا لأنه وبَّخ فكرهم الرديء، وأيضًا لأنه قال، اليوم قد تم هذا المكتوب في مسامعكم أي " *روح الرب عليَّ*"، وأنه بذلك جعل نفسه مساويًا للأنبياء. وأكثر من ذلك فقد أخرجوه من مدينتهم وبذلك حكموا بالدينونة على أنفسهم وأثبتوا ما قاله المخلص، لأنهم هم أنفسهم طُردوا من المدينة التي فوق بسبب عدم قبولهم للمسيح. ولكي لا يكون توبيخه لهم على عدم تقواهم بالكلام فقط، لذلك سمح لوقاحتهم ضده أن تمتد لتصل إلى أفعال، فقد كان عنفهم غير معقول وحقدهم بلا رادع. ولذلك اقتادوه إلى حافة الجبل وحاولوا أن يلقوا به فوق الصخور، ولكنه اجتاز في وسطهم بدون ملاحظة، ليس لأنه يرفض أن يتألم ــ فهو لأجل هذا السبب قد جاء ــ بل لأنه كان ينتظر الوقت المناسب إذ أنه كان الآن في بداية كرازته، ولم يكن مناسبًا أن يتألم ويعاني الموت قبل أن يكرز بكلمة الحق. فإن قبول الآلام أو عدم قبولها هو أمر متوقف عليه، لأنه هو رب الأزمنة كما أنه رب كل الأشياء، وهذا برهان يبين أنه حينما تألم فقد تألم بإرادته. وأنه حتى في ذلك الوقت الذي تألم فيه فإنه لم يكن غير ممكن أن يتألم لو كان يسلم نفسه للآلام بإرادته.

(لو ٤: ٣١ــ ٣٣) "*وَانْحَدَرَ إِلَى كَفْرِنَاحُومَ، مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ، وَكَانَ يُعَلِّمُهُمْ فِي السُّبُوتِ. فَبُهِتُوا مِنْ تَعْلِيمِهِ، لأَنَّ كَلاَمَهُ كَانَ بِسُلْطَانٍ. وَكَانَ فِي الْمَجْمَعِ رَجُلٌ بِهِ رُوحُ شَيْطَانٍ نَجِسٍ، فَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: آهِ! مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ؟ أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا! أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ: قُدُّوسُ اللهِ!* ".

أولئك الذين لا يستطيع الجدل أن يجتذبهم إلى معرفة ذلك الذي هو إله ورب بالطبيعة وبالحق، معرفة يقينية. هؤلاء رُبما يربحون بواسطة المعجزات إلى الطاعة والإذعان ولذلك كان من النافع أو الضروري في أحيان كثيرة أن يكمل تعاليمه بإجراء بعض المعجزات. لأن سكان اليهودية كانوا غير مستعدين أن يؤمنوا، وكانوا يستخفون



بكلمات الذين يدعونهم إلى الخلاص. وكان أهل كفر ناحوم خاصة يتّصفون بهذه الصفة، ولهذا السبب فقد وبخهم المخلص قائلاً: *"وأنتِ يا كفر ناحوم المرتفعة إلى السماء ستهبطين إلى الهاوية"* (لو١٠: ١٥). ورغم أنه يعرف أنهم عصاة وقساة القلب، فإنه يزورهم كما يزور الطبيب البارع أولئك الذين يعانون من مرض خطير جدًا ويحاول أن ينقذهم من مرضهم، فهو نفسه يقول: *"إنه لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى"* (لو٥: ٣١). لذلك فقد علّم في مجامعهم بحرية كبيرة في الكلام، فهذا ما سبق أن تنبأ به بصوت إشعياء قائلاً: *"لم أتكلم في الخفاء، ولا في مكان مظلم من الأرض"* (إش٤٥: ١٩)، بل إنه أمر الرسل القديسين أن يعلنوا كلماتهم عنه بكل جرأة في الكلام، إذ قال لهم *" الذي أقوله لكم في الظلمة قولوه في النور، والذي تسمعونه في الأذن نادوا به على السطوح"* (مت١٠: ٢٧). وأيضًا في السبت، حينما يكونون في فراغ من العمل كان يتحدث إليهم. وكانوا يتعجبون من قوة تعليمه ومن عظمة سلطانه. فالإنجيل يقول إنه كان يتكلم بسلطان فهو لم يكن يداهن في الكلام، بل كان يستحثهم على الخلاص، كان اليهود يظنون أن المسيح لم يكن أكثر من أحد القديسين، وأنه قد ظهر بينهم كواحد من رُتبة الأنبياء فقط، ولذلك فلكي يجعلهم يرتفعون بفكرهم عنه، فإنه يتجاوز مستوى الأنبياء إذ أنه لم يقل أبدًا "هكذا يقول الرب"، كما كانت عادة الأنبياء طبعًا، ولكن إذ هو رب الناموس فإنه تكلم بأمور تعلو على الناموس.

بل إن الله قال بواسطة إشعياء: *" وأقطع لكم عهدًا أبديًا مراحم داود الصادقة. هوذا قد جعلته شارعًا للشعوب، رئيسًا وموصيًا للشعوب"* (إش٥٥: ٣و٤)، لأنه كان من الملائم أن موسى كعبد يصير خادمًا للظل الذي لا يستمر، ولكني أؤكد أن المسيح، كان هو المعلِن الأبدي لعبادة باقية لا تزول. وما هو العهد الأبدي؟ إنه يعني كلمات المسيح المقدسة، الذي هو من نسل داود حسب الجسد، وكلماته تنشئ فينا قداسة وثقة، وكما أن مخافة الله نقية لأنها تجعلنا أنقياء وكلمة الإنجيل هي حياة لأنها تنشئ حياة. لأنه هو نفسه يقول *" الكلام الذي أكلمكم به هو روح وحياة"* (يو٦: ٦٣)، أي أنه روحاني ومعطي للحياة. ولكن لاحظوا حسنًا دقة النبوة، فإن إشعياء يتكلم باسم الله الآب

بخصوص المسيح ويقول " *هوذا قد جعلته شارعًا للشعب*"، أي أن يشهد لهم، أن هذه الأمور مقبولة، ولكي لا يتصور أحد أنه واحد من الأنبياء القديسين، بل لكي يعلم كل البشر بالحرى أنه يضئ بمجد الربوبية إذ لكونه الله فقد ظهر لنا، وهكذا يواصل القول، ليس فقط أنه جعل شارعًا أو شاهدًا، بل أيضًا رئيسًا وموصيًا للشعب. لأن الأنبياء المباركين وموسى أيضًا قبلهم إذ كانوا في منزله العبيد الخُدام فإنهم كانوا يقولون لسامعيهم: " *هكذا يقول الرب*" لا كمن يعطون وصايا أو أوامر، بل كخدام للكلمات الإلهية. أما ربنا يسوع المسيح فإنه تكلم كلمات تليق بالله جدًّا. ولذلك كان اليهود أنفسهم يدهشون ويتعجبون منه، لأن كلمته كانت بسلطان ولأنه كان يُعلِّمهم كواحد له سلطان، وليس مثل كتبتهم، لأن كلمته لم تكن عن ظل الناموس، بل لكونه هو معطي الناموس فقد حوّل الحرف إلى الحق، والرموز حوّلها إلى معانيها الروحية، لأنه كان رئيسًا وحاكمًا وكان يملك سلطان الحاكم أن يأمر ويوصي.

(لو٤: ٣٥، ٣٦) "*فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ قَائِلاً:اخْرَسْ! وَاخْرُجْ مِنْهُ!. فَصَرَعَهُ الشَّيْطَانُ فِي الْوَسْطِ وَخَرَجَ مِنْهُ وَلَمْ يَضُرَّهُ شَيْئًا. فَوَقَعَتْ دَهْشَةٌ عَلَى الْجَمِيعِ، وَكَانُوا يُخَاطِبُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا قَائِلِينَ: مَا هذِهِ الْكَلِمَةُ؟ لأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ يَأْمُرُ الأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتَخْرُجُ!*" .

بقوة إلهية انتهر الأرواح النجسة، فجعل المعجزة تحدث بعد كلماته مباشرة وذلك حتى لا نسقط في عدم الإيمان، لقد رأينا الشيطان المجرم ينهزم وينغلب منه في البرية، وينكسر بثلاث سقطات، ولقد رأينا قوته تهتز ثانية، والقوة التي كانت ضدنا تسقط، لقد رأينا أنفسنا ننتهر الأرواح الشريرة في المسيح كباكورة لنا، ويمكنك أن تتعلم أن هذا أيضًا يشير إلى تشريف الطبيعة البشرية وذلك من كلمات المخلص نفسها. فإن اليهود افتروا على مجده وقالوا " *هذا الإنسان لا يُخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين*" (مت١٢: ٢)، ولكنه هو إذ تحدث كثيرًا أولاً في رده عليهم فإنه أنهى حديثه بقوله: " *ولكن إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله*"، لأنه إن كان يقول "أنا" وهو الذي صار إنسانًا مثلك، وهو ينتهر الأرواح النجسة بقوة إلهية وجلال عظيم، فإن طبيعتك هي التي تُكلَّل بهذا المجد العظيم، وكأنه



يقول لك: لأنك أنت تُرى من خلالي وفيَّ، وقد حصلتَ على ملكوت الله.

لذلك فالشياطين الأشرار قد طُردوا وصاروا يشعرون بقوته التي لا تُغلب، ولأنهم لم يستطيعوا أن يحتملوا الصراع مع الله، لذلك صرخوا بعبارات متعجرفة وخبيثة، دعنا وحدنا، مالنا ولك، وهم يقصدون بذلك لماذا لا تدعنا نحتفظ بمكاننا وأنت تقوم بتحطيم ضلال عدم التقوى؟ ولكنهم بعد ذلك لبسوا مظهرًا كاذبًا من كلمات صحيحة، إذ دعوه "قدوس الله" لأنهم ظنوا أنه بهذا النوع الخادع من الكلام يستطيعون أن يستثيروا الرغبة في المجد الباطل، وبذلك يمنعون انتهاره لهم، ولكن رغم أن الروح خبيث فإنه سيترك فريسته، لأن الله لا يسخر به، وهكذا فإن الرب يوقف كلماتهم النجسة، ويأمرهم أن يخرجوا من أولئك الذين كانوا يتسلطون عليهم. والواقفون إذ قد صاروا شهودًا لهذه الأعمال العظيمة دُهشوا لقوة كلمته. لأنه صنع معجزاته دون أن يقدم صلاة ولم يسأل من أي أحد آخر أي قوة لتتميم هذه المعجزات، ولكن إذ هو نفسه كلمة الله الآب، الكلمة الحي الفعال الذي به توجَد كل الأشياء والذي فيه توجَد كل الأشياء، فإنه بشخصه سحق الشيطان وأغلق الفم الدنس للشياطين النجسين.

(لو٤: ٣٨ـ٤٠) " *وَلَمَّا قَامَ مِنَ الْمَجْمَعِ دَخَلَ بَيْتَ سِمْعَانَ. وَكَانَتْ حَمَاةُ سِمْعَانَ قَدْ أَخَذَتْهَا حُمَّى شَدِيدَةٌ. فَسَأَلُوهُ مِنْ أَجْلِهَا. فَوَقَفَ فَوْقَهَا وَانْتَهَرَ الْحُمَّى فَتَرَكَتْهَا! وَفِي الْحَالِ قَامَتْ وَصَارَتْ تَخْدُمُهُمْ. وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، جَمِيعُ الَّذِينَ كَانَ عِنْدَهُمْ سُقَمَاءُ بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ قَدَّمُوهُمْ إِلَيْهِ، فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَشَفَاهُمْ* ".

لاحظوا كيف أن ذلك الذي احتمل الفقر الإرادي من أجلنا لكي نستغني نحن بفقره، دخل إلى بيت أحد تلاميذه وهو إنسان فقير وليس من المعروفين، وذلك لكي نتعلم أن نسعى لمصاحبة المتضعين، ولا نتفاخر أو نرتفع على أولئك الذين في حاجة أو ضنك.

يصل يسوع إلى بيت سمعان ويجد حماته مريضة بالحمى، ويقف وينتهر الحمى، فتتركها الحمى. وما ورد في رواية متى ورواية مرقس عن ترك الحمى لها، ليس فيه إشارة إلى أي شيء باعتباره السبب الفعال للحمى، ولكن في عبارة لوقا: " *وقف فوقًا*



منها وانتهر الحمى فتركتها". لا أعرف هل نحن مضطرين أن نقول إن ذلك الذي انتهره الرب كان شيئًا حيًّا لم يستطيع أن يقاوم تأثير ذلك الذي انتهره، لأنه من غير المعقول انتهار شيء لا حياة فيه ولا يعي الانتهار. وهذا ليس بالأمر الغريب لأنه توجد بعض قوات تصيب الجسد البشري بالأذى، ولا ينبغي أن نفكر عن نفوس أولئك الذين يعانون من أذى هذه القوات أنها نفوس شريرة، وحينما أخذ الشيطان إذنًا أن يُجرِّب أيوب بأمراض جسدية وضربه بقروح مؤلمة فإن أيوب لم يكن بذلك شريرًا. بل إنه واجه التجربة برجولة واحتمل الضربة بنُبل، ولكن الله على أي حال وفي أي وقت نُجرَّب فيه بالآم جسدية يمنحنا هذه النعمة بقوله: "*ولكن لا تمس نفسه*" (أي٢: ٦)، فالرب إذًا بانتهاره يشفي أولئك الذين تمتلكهم أرواح شريرة.

وقد وضع يديه أيضًا على كل واحد من المرضى فشفاهم من أمراضهم موضحًا بذلك أن جسد بشريتنا المقدس الذي جعله جسدًا له وملأه بالقوة الإلهية، كان يمتلك الحضور الفعَّال لقدرة الكلمة، قاصدًا بذلك أن يُعلِّمنا أنه رغم أن كلمة الله الوحيد قد صار مثلنا، إلا أنه بالرغم من ذلك لا يزال إلهًا ويستطيع بسهولة بواسطة جسده الخاص أن يتمم كل الأشياء. لأنه استخدم هذا الجسد كأداة لعمل المعجزات. ولا يوجد أي سبب للتعجب من هذا بل على العكس فيمكنكم أن تلاحظوا كيف أن النار عندما توضع في إناء نحاس فإنها تنقل إلى الإناء قوة إنتاج تأثيرات الحرارة، هكذا أيضًا فإن كلمة الله الكلي القدرة، إذ قد وَحَّدَ الهيكل الحي العاقل المأخوذ من العذراء القديسة مع نفسه اتحادًا حقيقيًا فإنه ملأه بالقوة التي تُظهر قدرته الإلهية بصورة فعالة. لذلك فلكي يخجل اليهود فهو يقول: "*إن كنتُ لستُ أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي. ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال*" (يو١٠: ٣٨). وبشهادة الحق نفسه هذه يمكننا أن نرى أن الابن الوحيد لم يُعطِ مجده "لإنسان"[٢] منفصل عنه وغيره هو نفسه ويُعتبَر مولود المرأة، بل بالحري إذ هو الابن الوحيد مع الجسد المُقدَّس المُتَّحِد به،

[٢] يشير القديس كيرلس بهذه الكلمات إلى تعاليم نسطوريوس الذي كان يُعلِّم بأن المولود من العذراء إنسان حل فيه كلمة الله، وكان يعمل فيه كشخص آخر غير الكلمة.

فإنه قد صنع المعجزات وهو يُعبَد أيضًا من خليقة الله.

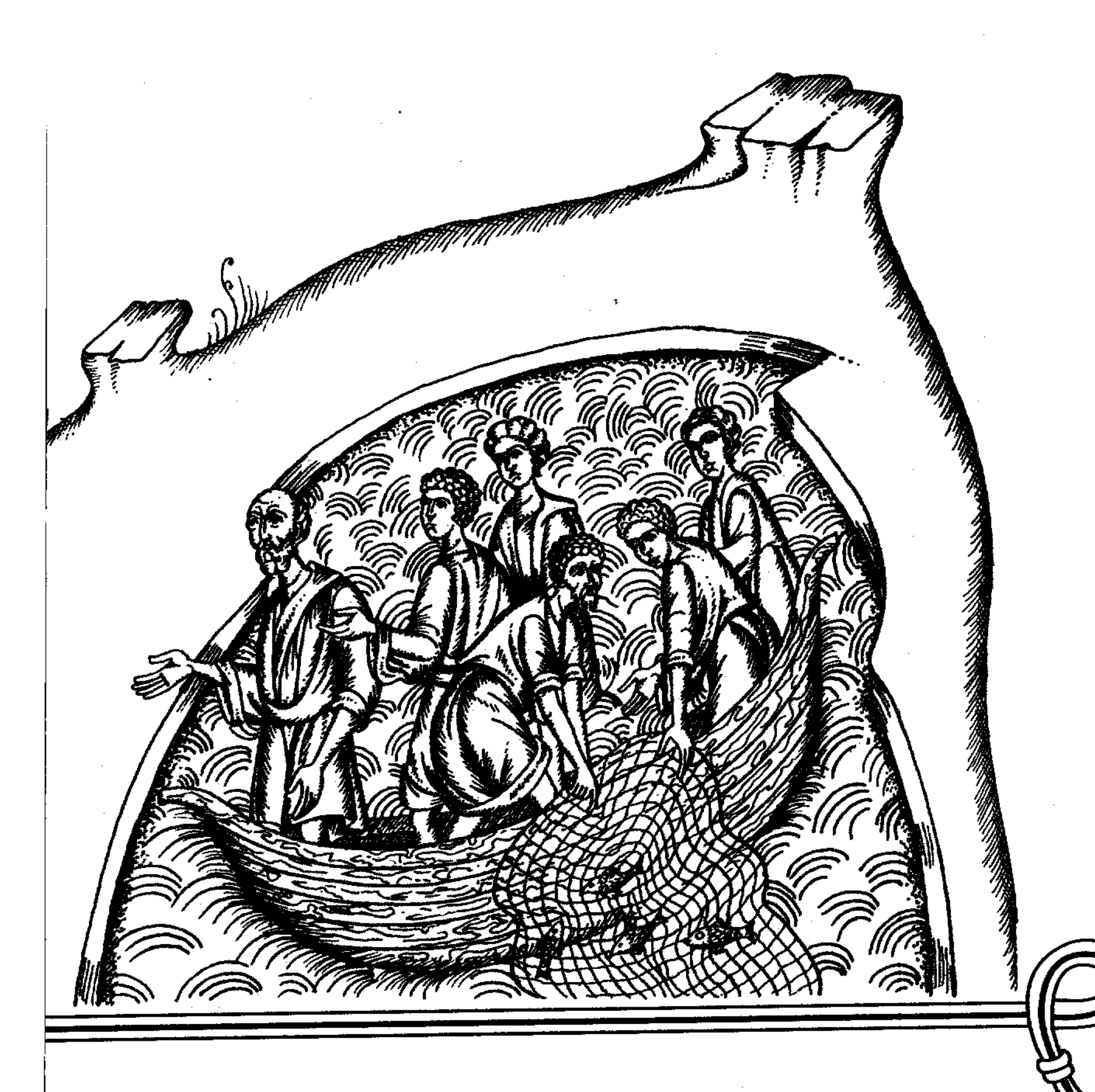
لقد دخل الرب إلى بيت بطرس وهناك كانت امرأة ممدَّدة على فراش مرهَقَة من حمى شديدة، وبدلاً من أن يقول كإله: "اتركي المرض وقومي" فإنه يسلك طريقًا آخر، فإنه لكي يبين أن جسده يملك قوة الشفاء لكونه جسد الله "*لمس يدها*" (لو٨: ١٥). ولذلك تركتها الحمى.

لذلك هيا بنا نحن أيضًا لنقبل يسوع، لأنه حينما يدخل إلينا ونقبله في عقلنا وقلبنا، فإنه عندئذ يُطفئ حمى اللَّذات غير اللائقة، ويقيمنا ويجعلنا أقوياء، حتى في الأمور الروحية. وبذلك نخدمه بأن نعمل الأمور التي ترضيه.

ولكن أرجو أن تلاحظوا أيضًا ما أعظم فاعلية لمسة جسده المقدس، فإنها تطرد الأمراض من كل نوع، وتطرد جمعًا من الشياطين وتطرح قوة إبليس عنا، وتشفي جمعًا كبيرًا من الناس في لحظة من الزمان، ورغم أنه يستطيع أن يعمل المعجزات بكلمة وبمجرد ميل إرادته، إلا أنه لكي يعلمنا شيئًا نافعًا لنا فهو يضع يديه على المرضى أيضًا، لأنه كان لازمًا، بل ولازمًا جدًّا لنا أن نتعلم أن الجسد المقدس الذي جعله جسده الخاص كان مزودًا بفاعلية قوة الكلمة بأن زرع فيه قوة إلهية. لذلك فلندعه يمسك بنا، أو بالحري فلنمسك نحن به بواسطة الإفخارستيا السرية لكي يحررنا من أمراض النفس ومن هجمات الشياطين وعنفهم.

(لو٤: ٤١) "*وَكَانَتْ شَيَاطِينُ أَيْضًا تَخْرُجُ مِنْ كَثِيرِينَ وَهِيَ تَصْرُخُ وَتَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ! فَانْتَهَرَهُمْ وَلَمْ يَدَعْهُمْ يَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ أَنَّهُ الْمَسِيحُ* ".

لم يسمح الرب للشياطين النجسين أن يعترفوا به، لأنه لم يكن مناسبًا أن يتجنوا على مجد الوظيفة الرسولية، ولم يسمح للسان النجس أن يتكلم عن سر المسيح. ولأنهم لا يتكلمون أي كلام صادق، فلا ينبغي لأحد أن يضع ثقته فيهم لأن النور لا يُعرف بمساعدة الظلمة كما يُعلمنا تلميذ المسيح حينما يقول "*لأنه أية شركة للنور مع الظلمة، أو أي اتفاق للمسيح مع بليعال*" (٢كو٦: ١٠).



(أيقونة لمعجزة صيد السمك الكثير)

الأصحاح الخامس





" فرأى سفينتين واقفتين عند البحيرة والصيادون قد خرجوا منهما وغسلوا الشباك "

الأصحاح الخامس

(لو ٥: ١ـــ٢) " *وَإِذْ كَانَ الْجَمْعُ يَزْدَحِمُ عَلَيْهِ لِيَسْمَعَ كَلِمَةَ اللهِ، كَانَ وَاقِفًا عِنْدَ بُحَيْرَةِ جَنِّيسَارَتَ. فَرَأَى سَفِينَتَيْنِ وَاقِفَتَيْنِ عِنْدَ الْبُحَيْرَةِ، وَالصَّيَّادُونَ قَدْ خَرَجُوا مِنْهُمَا وَغَسَلُوا الشِّبَاكَ* ".

يليق أن نعجب بالطريقة الماهرة التي استُخدِمت لصيد أولئك الذين سيصيرون صيادين لكل الأرض، وأعني بهم الرسل القديسين الذين رغم أنهم كانوا ماهرين في صيد السمك، إلا أنهم أُمسكوا في شبكة المسيح، لكي يستطيعوا هم أيضًا بإلقاء شبكة الكرازة الرسولية، أن يجمعوا لهم سكان العالم كله. لأنه حقًّا قال في موضع آخر بواسطة أحد الأنبياء القديسين " *هأنذا أُرسل صيادين كثيرين يقول الرب، فيصطادونهم ثم بعد ذلك، أُرسل كثيرين من القانصين فيقتنصونهم*" (إر١٦:١٦)، وهو يعني بالصيادين الرسل القديسين، أما القانصين فيقصد بهم أولئك الذين تبعوهم كمدبرين ومعلمين للكنائس المقدسة. وأرجو أن تلاحظوا أن الرب لم يكرز فقط، بل يجرى آيات أيضًا، معطيًا بذلك أدلة على قوته ومثبتًا كلامه بعمل المعجزات، لأنه بعد أن تحدث مع الجموع، رجع إلى أعماله العادية المقتدرة، وعن طريق تعامله مع التلاميذ الصيادين فأنه يمسك بهم كأسماك، لكي يعلم الناس أن مشيئته قادرة على كل شيء، وأن الخليقة تطيع أوامره الإلهية.

(لو ٥: ٣ـــ٧) " *فَدَخَلَ إِحْدَى السَّفِينَتَيْنِ الَّتِي كَانَتْ لِسِمْعَانَ، وَسَأَلَهُ أَنْ يُبْعِدَ قَلِيلاً عَنِ الْبَرِّ. ثُمَّ جَلَسَ وَصَارَ يُعَلِّمُ الْجُمُوعَ مِنَ السَّفِينَةِ. وَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْكَلاَمِ قَالَ لِسِمْعَانَ:ابْعُدْ إِلَى الْعُمْقِ وَأَلْقُوا شِبَاكَكُمْ لِلصَّيْدِ. فَأَجَابَ سِمْعَانُ وَقَالَ لَهُ:يَا مُعَلِّمُ، قَدْ تَعِبْنَا اللَّيْلَ كُلَّهُ وَلَمْ نَأْخُذْ شَيْئًا. وَلكِنْ عَلَى كَلِمَتِكَ أُلْقِي الشَّبَكَةَ. وَلَمَّا فَعَلُوا ذلِكَ أَمْسَكُوا سَمَكًا كَثِيرًا جِدًّا، فَصَارَتْ شَبَكَتُهُمْ تَتَخَرَّقُ. فَأَشَارُوا إِلَى شُرَكَائِهِمُ الَّذِينَ فِي السَّفِينَةِ الأُخْرَى أَنْ يَأْتُوا وَيُسَاعِدُوهُمْ* ".

حيث إنه لم يكن قد علَّمهم بقدر كافٍ، وكان من المناسب أيضًا أن يضيف عملاً



إلهيًا على كلماته لأجل فائدة الحاضرين، طلب إلى سمعان ورفاقه أن يبعدوا عن الشاطئ وأن يلقوا شباكهم للصيد. ولكنهم أجابوا أنهم قد تعبوا الليل كله ولم يمسكوا شيئًا، ومع ذلك فإنهم ألقوا الشبكة باسم المسيح وفي الحال امتلأت من السمك لكن عن طريق حقيقة منظورة تمَّت بطريقة معجزية كمثَل ونموذج يمكن أن يقتنعوا به تمامًا أن تعبهم لم يكن بدون مكافئة، ولا غيرتهم ستكون بلا ثمر، تلك الغيرة التي أظهروها بنشر شبكة تعليم الإنجيل، لأنه يلزم بالتأكيد أن يمسكوا بأفواج الأمم داخل هذه الشباك... ولكن لاحظوا هذا أنه لا سمعان ولا رفقاؤه استطاعوا أن يجذبوا الشبكة إلى الشاطئ، وإذ قد انعقد لسانهم من الخوف والدهشة ــ لأن الدهشة أخرستهم ــ أشاروا إلى شركائهم، أي أولئك الذين يشاركونهم في عمل الصيد، أن يأتوا ويساعدوهم للمحافظة على الصيد وعلى ما اصطادوه، لأن كثيرين قد اشتركوا مع الرسل القديسين في أتعابهم ولا يزال الأمر كذلك إلى الآن، خاصة أولئك الذين يفتشون عن معنى المكتوب في الأناجيل المقدسة، وآخرين أيضًا معهم، وأعنى الرعاة والمعلمين ومدبري الشعب، المتدربين في تعليم الحق. لأن الشبكة لا تزال مطروحة بينما المسيح يقوم بملئها، وهو يدعو الذين في أعماق البحر أن يتغيَّروا، بحسب كلمة الكتاب، أي أولئك الذين يعيشون في تيار وأمواج الأمور العالمية.

(لو٥: ٨ــ٩) *" فَلَمَّا رَأَى سِمْعَانُ بُطْرُسُ ذلِكَ خَرَّ عِنْدَ رُكْبَتَيْ يَسُوعَ قَائِلاً: اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَارَبُّ، لأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ! إِذِ اعْتَرَتْهُ وَجمِيعَ الَّذِينَ مَعَهُ دَهْشَةٌ عَلَى صَيْدِ السَّمَكِ الَّذِي أَخَذُوهُ ".*

لهذا السبب فإن بطرس إذ رجع بذاكرته إلى خطاياه السابقة خاف وارتعد، وإذ شعر أنه غير طاهر فإنه لا يجرؤ أن يستقبل ذلك الذي هو طاهر، وخوفه هذا يستحق المدح لأنه قد تعلَّم من الناموس أن يميِّز بين المقدس والنجس.



(لو٥: ١٢ــ١٣) *" وَكَانَ فِي إِحْدَى الْمُدُنِ، فَإِذَا رَجُلٌ مَمْلُوءٌ بَرَصًا. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَطَلَبَ إِلَيْهِ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي. فَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلاً: أُرِيدُ، فَاطْهُرْ! وَلِلْوَقْتِ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرَصُ "*.

إيمان الرجل الذي اقترب من يسوع يستحق كل مديح، لأنه يشهد أن عمانوئيل يستطيع أن يتمم كل الأشياء بنجاح، ويسعى للحصول على الشفاء بأمر إلهي منه، رغم أنه يعلم أن مرضه كان عديم الشفاء؛ لأن البرص كانت تعجز أمامه مهارة الأطباء. ولكنه يقول (في نفسه): إني أرى الشياطين النجسة تُطرد بسلطان إلهي، وأرى آخرين يُطلَقون أحرارًا من أمراضهم، وأُدرك أن مثل هذه الأشياء تتم بقوة إلهية لا تُقهر، وإني أرى أيضًا أنه صالح ومستعد تمامًا أن يعطف على أولئك الذين يأتون إليه، لذلك فما الذي يمنع أن يشفق عليَّ أنا أيضًا؟ وما هو جواب المسيح؟ إنه يُدعِّم إيمانه ويعطيه تأكيدًا كاملاً لإيمانه. فإنه يقبل طلبه ويعلن أنه يستطيع بقوله: "أريد فاطهر". كما يمنحه أيضًا لمسة يده القدوسة والكلية القدرة، وفي الحال تركه البرص وانتهت معاناته. تعالوا واشتركوا معي في التعجب من المسيح، إنه بذلك يعمل في نفس الوقت بقوة إلهية وجسدية معًا، فأن "يريد" هذا فعل إلهي، كما أراد بالنسبة لكل شيء أن يوجد، ولكن أن "يمد يده" فهذا فعل بشري، فالمسيح يعرف بأنه واحد من اثنين كما هو مكتوب، "الكلمة صار جسدًا".

(لو٥: ١٤) *" فَأَوْصَاهُ أَنْ لاَ يَقُولَ لأَحَدٍ. بَلِ امْضِ وَأَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ، وَقَدِّمْ عَنْ تَطْهِيرِكَ كَمَا أَمَرَ مُوسَى شَهَادَةً لَهُمْ "*.

رغم أن الأبرص صمت ولم يتكلم فإن حقيقة الشفاء نفسها كانت كافية أن تُعلِن لكل الذين عرفوه عن عظمة وقوة ذلك الذي شفاه، ولكن المسيح يوصيه ألا يقول لأحد، لماذا؟ لكي يتعلم أولئك الذين ينالون من الله موهبة الشفاء ألا يتطلعوا إلى مدح أولئك الذين شفوهم ولا إلى أي مدح من أي إنسان، لئلا يسقطوا فريسة للكبرياء الذي هو أردأ جميع الرذائل.



وهو يأمر عن قصد أن يقدّم للكهنة التقدمة حسب ناموس موسى لأنه كان يرغب في الحقيقة أن يبطل الظل ويحوّل الرموز إلى عبادة روحية. ولأن اليهود لم يكونوا قد آمنوا به فإنهم ربطوا أنفسهم بأوامر موسى، مفترضين أن عاداتهم القديمة لا تزال قائمة، ولذلك فقد سمح هو للأبرص أن يقدّم تقدمة شهادة لهم. وما هو هدفه من منح هذا التصريح للأبرص؟ السبب هو أن اليهود إذ كانوا يستخدمون احترامهم للناموس كحجَّة، يتذرعون بها، ويقولون إن موسى النبي كان خادمًا لشريعة من الأعالي فإنهم كانوا يسعون أن يعاملوا المسيح مخلِّصنا كلنا باحتقار، ولقد قالوا صراحة: "*نحن نعلم أن موسى كلّمه الله وأما هذا فما نعلم من أين هو*؟" (يو٩: ٢٩)، لذلك كان من الضروري أن يقتنعوا بواسطة الحقائق الفعلية أن مستوى موسى أقل من مجد المسيح، لأن موسى كان أمينًا كخادم في بيته، وأما المسيح فكابن على بيت أبيه (عب٣: ٥). إذًا فمن هذا الشفاء للأبرص، يمكننا أن نرى بوضوح تام أن المسيح يفوق ناموس موسى بما لا يقارن، لأن مريم أخت موسى، هي نفسها ضُربت بالبرص لأنها تكلمت ضده، وموسى تألم جدًّا بسبب إصابتها، ولأنه لم يكن في مقدوره أن يزيل المرض من أخته فإنه سقط بوجهه أمام الله، قائلاً: "*أتوسل إليك اللهم اشفها*" (عد١٢: ١٣)، فلاحظوا هذا إذًا أنه أولاً كان هناك توسل، لقد سعى بالصلاة أن يحصل على رحمة من فوق، أما مخلِّص الكل فتكلم بسلطان إلهي: "*أريد فاطهر*"، لذلك فإن نزْع البرص كان شهادة للكهنة لكي يعرف أولئك الذين يعطون أعلى رتبة لموسى أنهم يضلون عن الحق. فإنه كان مناسبًا، بل ومناسبًا جدًّا أن يُعتَبر موسى بتقدير كخادم للشريعة، وخادم للنعمة التي تكلم بها ملائكة ولكن تقديرنا لعمانوئيل يجب أن يفوق جدًّا تقديرنا لموسى. وكذلك المجد الذي ينبغي أن نعطيه له كابن الله الآب.

وكل من يريد أن يرى، يمكنه أن يرى سر المسيح العميق، والفائق القدرة الذي كتب لمنفعتنا في سفر اللاويين، لأن ناموس موسى يُعلن أن الأبرص نجس ويأمره أن يخرج خارج المحلة كنجس، ولكن إن زال المرض منه فإن الناموس يأمر بالسماح للمريض بدخول المحلة، وبالإضافة إلى ذلك فإن الناموس يُحدِّد بوضوح الطريقة التي



تُعلن بها طهارة الأبرص فيقول: " *هذه تكون شريعة الأبرص يوم تطهيره. يؤتى به إلى الكاهن، ويخرج الكاهن إلى خارج المحلة فإن رأى الكاهن وإذا ضربة البرص قد برأت من الأبرص يأمر الكاهن أن يؤخذ للمتطهر عصفوران حيّان طاهران.... ويأمر الكاهن أن يُذبح العصفور الواحد في إناء خزف على ماء حي، أما العصفور الحي فإنه يغمسه في دم العصفور المذبوح على الماء الحي ويرش على المتطهر من البرص سبع مرات فيطهره ثم يطلق العصفور الحي على وجه الصحراء*" (لا١٤: ١ـ٧). فالعصافير إذًا عددها اثنان وكلاهما بلا عيب أي طاهران، وهي بلا لوم من جهة الشريعة، ويُذبح أحدهما على الماء الحي، أما الآخر إذ ينجو من الذبح، فإنه بعد ذلك يُعمَّد في دم العصفور الذي ذُبح، ثم يطلق حرًّا.

هذا المثل إذًا يُمثل لنا السر العظيم والمكرَّم الذي لمخلصنا. لأن الكلمة كان من فوق، أي من الآب، من السماء، ولهذا السبب من المناسب جدًّا أن يقارَن بطائر، فرغم أنه نــزَل لأجل تدبير الخلاص ليأخذ شكلنا أي يأخذ صورة عبد إلاَّ أنه رغم ذلك كان من فوق، نعم فإنه حتى حينما كلَّم اليهود قال هكذا بوضوح "*أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق*" (يو٨: ٣). وأيضًا "*ليس أحد صعد إلى السماء إلا ابن الإنسان الذي نزل من السماء*" (يو٣: ١٣)، فكما قلتُ الآن حالاً، فإنه حتى حينما صار جسدًا، أي إنسانا كاملاً، لم يكن أرضيًّا، بل كان سماويًّا ويفوق الأشياء العالمية من جهة لاهوته، فيمكننا أن نرى إذًا، في العصفورَين المقدمَين في تطهير الأبرص، يمكننا أن نرى المسيح متألمًا بالجسد حسب الكتب، ولكنه يظل متعاليًا على الآلام. نراه مائتًا في طبيعته البشرية، ولكنه حيّ بطبيعته الإلهية، لأن الكلمة هو الحياة. فقد قال التلميذ الحكيم جدًا: "*مُماتًا في الجسد ولكن مُحيي في الروح*" (١بط٣: ١٨). ولكن رغم أن الكلمة لا يمكن أن يقبل آلام الموت في طبيعته الخاصة، إلا أنه ينسب إلى نفسه ما تألم به جسده، العصفور الحي اعتمد في دم العصفور الميت، وهكذا اصطبغ بالدم، وإذ صار مشتركًا في الآلام، فإنه أُطلق حرًّا إلى الصحراء، وهكذا أيضًا رجع كلمة الله الوحيد إلى السماء مع الجسد الذي اتحد به. وكان منظرًا غريبًا جدًّا في السماء وجموع الملائكة دُهشت



حينما رأت ملك الأرض ورب القدرة مثلنا في الشكل وقالوا "*من ذا الآتي من أدوم*" ـــ *ويعنون بذلك الأرض* ـــ "*بثياب حمر من بصرة*" (إش٦٣: ١)، وتفسير لفظة بـــصرة هو جسد. ثم سألوه ما هذه الجروح في يديك؟ فأجاب " *هي التي جُرحتُ بها في بيت أحبائي*" (زك١٣: ٦). فكما أنه بعد عودته إلى الحياة من الموت حينمـــا كـــشف بقـــصد حكيم، يديه لتوما، أمره أن يلمس آثار المسامير، والفتحة التي في جنبه، هكذا أيـــضًا حينما وصل إلى السماء، أعطى برهانًا كاملاً للملائكة القديسين أن إسرائيل قد طُـــرد بعدل ولم يعُد شعبه. لهذا السبب أراهم ثيابه المصبوغة بالدم، والجروح في يديه، ليس لأنه لا يستطيع أن يلاشي الجروح، لأنه حينما قام من الأموات أبطل الفساد وأبطـــل معه كل علاماته وصفاته. لذلك احتفظ بآثار الجروح لكي تعلن حكمـــة الله المتنوعـــة التي صنعها في المسيح فتعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين بواسطة الكنيسة بحسب خطة الخلاص.

ولكن ربما يسأل أحد ويقول، كيف تستطيع أن تؤكد إن يسوع المسيح هو نفسه الابن والرب والوحيد بينما هناك عصفوران قد قدِّما؟ ويضيف أيضًا، ألا يُوضِّح الناموس بهذا أنه يوجد ابنان ومسيحان؟ نعم إنَّ بعض الناس قد وصلوا إلى مثل هذه الهوَّة من عدم التَّقوى بأن يُفكِّروا وأن يقولوا إنَّ كلمة الله الآب هو مسيح واحد بمفرده، وأن ذلك الذي جاء من نسل داود هو مسيح آخر. ولكننا نجيب أولئك الذين يتصورون بجهلهم الأمور هكذا، بما كتبه بولس الإلهي: " *رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة*" (أف٤: ٥). لذلك إن كانوا يؤكدون أنه يوجد ابنان فبالضرورة يكون هناك ربَّان، وإيمانان، ومعموديتان. لذلك رغم أنه، أي بولس يملك المسيح متكلمًا فيه كما يؤكد هو نفسه فمع ذلك يصير تعليمه خاطئًا، لكن هذا لا يمكن أن يكون بالمرة! لذلك فنحن نعترف برب واحد هو كلمة الله الوحيد المتجسد، غير فاصلين بين الناسوت واللاهوت، بل نؤكد بالخلاص أن كلمة الله الآب صار هو إنسانًا في الوقت الذي فيه استمرَّ إلهًا.

وبعد ذلك لندع أصحاب الرأي المضاد أن يتكلموا قائلين "إن كان هناك ابنان،



واحد من نسل داود والآخر منفصل عنه هو كلمة الله الآب، ألا يكون كلمة الله الآب أعلى في طبيعته من ذلك الذي جاء من نسل داود؟ فماذا نفعل إذًا، ونحن نرى العصفورين غير مختلفين في الطبيعة الواحد عن الآخر؟ بل العكس هما من نفس النوع ولا يختلفان في أي نقطة أحدهما عن الآخر". ولكن هؤلاء لا يربحون شيئًا بمجادلتهم هذه لأنه يوجد فرق عظيم جدًّا بين اللاهوت والناسوت وحينما نشرح الأمثلة، ينبغي أن نفهمها بحسب تشابهها المناسب، لأن الأمثلة قاصرة تمامًا عن مستوى الحق. وهي عادة تعطي توضيحًا جزئيًّا للأشياء التي تشير إليها. وفوق ذلك نقول، إن الناموس كان نوعًا من الظل والمثال، ورسْم يضع الأشياء أمام عيني الناظرين. ولكن في الفن التصويري تكون الظلال هي أساس الألوان وحينما توضع درجات الألوان الساطعة على الظلال، فحينئذ يلمع جمال الرَّسم، وبنفس الطريقة حيث أنه كان مناسبًا لناموس موسى أن يخطِّط لسر المسيح بوضوح، فإن الناموس لا يظهر كميت وكحي في نفس العصفور الواحد لئلا إذا حدث ذلك يكون له شكل شعوذة مسرحية، ولكنه أشار إليه كمتألم مذبوح في أحد العصفورين وأظهر في العصفور الآخر المسيح كحي ومطلق حرًّا.

ولكني سأحاول أن أبين أن ما أناقشه هنا لا يخرج عن حدود الاحتمال المعقول بواسطة قصة أخرى، لأنه لو أراد أحد من جماعتنا أن يرى تاريخ إبراهيم موضحًا في رسم فكيف يرسمه الفنان، هل يرسمه وهو يعمل الأشياء مرة واحدة؟ أم أنه يرسمه في صور متتابعة وهو يعمل أعمالاً مختلفة في عدة صور رغم أن الذي يعمل كل الأعمال المختلفة هو شخص واحد. فأنا أعني أن يرسمه مثلاً مرة وهو جالس على الحمار وإسحق يسير مرافقًا له والغلمان يتبعونهما، ثم في مرة أخرى يرسم الحمار متروكًا مع الغلمان وإسحق يحمل الحطب وإبراهيم نفسه يحمل السكين والنار في يديه. وفي جزء آخر يرسم إبراهيم نفسه في موقف مختلف تمامًا. إذ يكون إسحق مربوطًا فوق الحطب وإبراهيم يمسك السكين بيده اليمنى مستعدًّا أن يذبحه، ولكن في كل هذه الرسوم لا يكون غير إبراهيم واحد رغم أنه يُمثَّل بأشكال مختلفة في الرسم،

ولكنه هو واحد وهو نفس الشخص في كل الرسوم إذ أن فن الرسام يتكيَّف بحسب ما تحتاجه الأمور المطلوب توضيحها في الرسم، لأن من المستحيل أن نراه في رسم واحد يعمل جميع الأعمال المذكورة سابقًا، لذلك هكذا الناموس أيضًا كان رسمًا ومثالاً لحقائق آتية. ولذلك فرغم أنه كان هناك عصفوران، إلا أن الذي كان يشير إليه العصفوران هو واحد فقط، كمتألم وكحر من الألم، كمائت وكمن هو فوق الموت، وصاعد إلى السماء كباكورة ثانية للطبيعة البشرية المتحدة في عدم فساد، لأنه صنع لنا طريقًا جديدًا إلى ما هو فوق، ونحن سنتبعه حينما يحين الوقت. فذبح أحد العصفورين بينما العصفور الآخر يعتمد في دم المذبوح ويظل هو حرًّا من الذبح، كان هذا إشارة إلى ما سيحدث حقيقة لأن المسيح مات لأجلنا، ونحن الذين اعتمدنا في موته، قد خلصنا بدم نفسه.

(لو٥: ١٧) " *وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ كَانَ يُعَلِّمُ، وَكَانَ فَرِّيسِيُّونَ وَمُعَلِّمُونَ لِلنَّامُوسِ جَالِسِينَ وَهُمْ قَدْ أَتَوْا مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَأُورُشَلِيمَ. وَكَانَتْ قُوَّةُ الرَّبِّ لِشِفَائِهِمْ* ".

كان يحيط به مجموعة من الكتبة الحاقدين ومن الفريسيين، هؤلاء جميعًا كانوا يشاهدون أعماله العجيبة، وكانوا أيضًا يستمعون إليه وهو يعلِّم. ويقول الإنجيل إن قوة الرب كانت حاضرة لشفائهم. فهل معنى هذا الكلام هو كما لو أن الله أعطاه القدرة أن يعمل المعجزات؟ أي هل استعار القوة من آخر؟ ولكن مَن الذي يتجاسر أن يقول هذا الكلام؟

إنه هو بالحرى الذي كان يعمل بقوّته الخاصة، كان يعمل كإله ورب وليس كشخص يشترك في نعمة إلهية. لأن الناس في الحقيقة هم الناس حتى بعد أن يُحسبوا أهلاً للمواهب الروحية، إلاَّ أنه يتَّضح أحيانًا أنهم ضعفاء، وذلك بحسب القياس المعروف لله الذي يُوزع النعم الإلهية. أما في حالة مخلصنا كلنا فلم يكن هناك شيء من ذلك، فإن قوّته للشفاء لم تكن قوة بشرية، بل هو قوة إلهية فائقة لا تقاوَم، لأنه هو الله وهو ابن الله.

المسيح وحده هو الذي يُعلِّم لأنه هو المعلِّم الحقيقي، وهو حكمة الآب، لأن جميع



الباقين يعلِّمون بمقدار ما ينالون منه، ويقول الإنجيل إن قوة الرب كانت حاضرة لشفاء الكل، وهذا معناه أن قوَّته القادرة على الشفاء لم تكن بشرية بل قوة إلهية لا تضعف، لأن بقية القديسين ينالون قوة لعمل الشفاء في وقت معيَّن، بينما في أوقات أخرى لا ينالون هذه القوة. أما يسوع فإذ هو الله وهو قوة الآب فإنه شفى الجميع في كل الأوقات.

(لو٥: ١٨ــ٢٠) " *وَإِذَا بِرِجَالٍ يَحْمِلُونَ عَلَى فِرَاشٍ إِنْسَانًا مَفْلُوجًا، وَكَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَدْخُلُوا بِهِ وَيَضَعُوهُ أَمَامَهُ. وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا مِنْ أَيْنَ يَدْخُلُونَ بِهِ لِسَبَبِ الْجَمْعِ، صَعِدُوا عَلَى السَّطْحِ وَدَلَّوْهُ مَعَ الْفِرَاشِ مِنْ بَيْنِ الأَجُرِّ إِلَى الْوَسْطِ قُدَّامَ يَسُوعَ. فَلَمَّا رَأَى إِيمَانَهُمْ قَالَ لَهُ: أَيُّهَا الإِنْسَانُ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ* ".

حينما كان عدد غير قليل، كما يقول الإنجيل، من الكتبة والفريسين مجتمعين إذا برجال يحملون إنسان مشلولاً على فراش ولأنهم لم يستطيعوا أن يدخلوا من الباب صعدوا به على السطح ليحاولوا أن يعملوا أمرًا غريبًا وجديدًا. فإذ رفعوا الآجر، فإنَّهم أزالوا الخشب الموضوع هناك. وبينما كانوا يفعلون هذا كان يسوع ينتظر بصبر والحاضرين كانوا صامتين ينتظرون نتيجة ما حدث، ويرغبون أن يروا ما الذي سيقوله يسوع وماذا سيفعل، لذلك إذ كشفوا-السقف فإنهم أنزلوا الفراش ووضعوا المشلول في الوسط فماذا فعل الرب بعد ذلك؟ إنه لما رأى إيمانهم، ليس إيمان المشلول، بل إيمان الحاملين لأنه من الممكن أن يُشفى الإنسان بواسطة إيمان آخرين، أو ربما أن الرب لاحظ أيضًا أن المفلوج نفسه له إيمان ولذلك شفاه، وأيضًا من المحتمل أن يكون المكان الذي أنزلوا منه فراش المفلوج بين الآجر كان مفتوحًا على الهواء حتى أنهم لم يحتاجوا أن يكسروا السقف. ولكن حينما يقول له المخلِّص "*أيها الإنسان مغفورة لك خطاياك*"، فإنه يوجه هذا الكلام للجنس البشري عمومًا. لأن أولئك الذين يؤمنون به إذ ينالون الشفاء من أمراض النفس فإنهم يحصلون على غفران الخطايا التي ارتكبوها سابقًا. أو ربما يقصد هذا: أني ينبغي أن أشفى نفسك قبل أن أشفى جسدك، لأنه إن لم يحدث ذلك، فإنك بحصولك على قدرة المشي يمكن أن تفعل

خطية أكثر، وحتى إن كنت لم تطلب هذا ولكنني أنا كإله أرى أمراض النفس التي جلبت عليك هذا المرض.

والآن إذ اجتمع عدد كبير من الكتبة والفريسيين فلابد أن تجرى معجزة إلهية لأجل منفعتهم، وبسبب الازدراء الذي كانوا ينظرون به إليه فان المخلِّص فعل حسنًا إذ صنع من أجلهم عملاً عجيبًا جدًّا، لأنه كان هناك رجل ممددًا على فراش يعاني من مرض لا شفاء له ولأن مهارة الأطباء أثبتت عدم نفعها بالمرة، فقد حمله أقرباؤه إلى الطبيب الذي من فوق، من السماء، وحينما أصبح في حضرة ذلك الذي له القدرة على الشفاء فإنه إيمانه صار مقبولاً، وقد أظهر المسيح في الحال أن ذلك الإيمان يمكن أن يلاشي الخطية، لأنه يبشره وهو موضوع هناك قائلاً " *مغفورة لك خطاياك*"، ولكن ربما يقول واحد إن ما كان يريده الرجل هو أن يتحرر من مرضه، فلماذا إذًا يعلن له المسيح غفران خطاياه؟ لقد حدث هكذا لكي تتعلم أن الله يرى أحوال الناس في سكون وبدون ضوضاء ويراقب سيرة حياة كل واحد، لأنه مكتوب "*طرق الإنسان أمام عيني الرب، وهو يزن كل سبله*" (أم٥: ٢١). ولأن الله صالح ويريد خلاص جميع الناس فإنه كثيرًا ما يُطهِّر أولئك الذين ارتكبوا الخطايا بأن يصيبهم بمرض في جسدهم لأنه هكذا يقول بصوت إرميا " *يا أورشليم سوف تتعلمين بالتعب والضرب*" (إر٦: ٨س). وأيضًا كاتب سفر الأمثال يقول " *يا ابني لا تحتقر تأديب الرب ولا تخُر حينما يوبخك لأن الذي يحبه الرب يؤدبه. ويجلد كل ابن يقبله*" (أم٣: ١١، ١٢س، انظر عب ١٢: ٥، ٦). حسنًا إذًا يعلِّم المسيح أنه سيقطَع سبب المرض وجذر المعاناة وأعنى به الخطية، لأنه إذا أزيلت هذه فبالضرورة فإن المرض الناتج عنها يتلاشى في نفس الوقت.

(لو٥: ٢١ـــ٢٣) "*فَابْتَدَأَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ يُفَكِّرُونَ قَائِلِينَ مَنْ هذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ؟ فَشَعَرَ يَسُوعُ بِأَفْكَارِهِمْ، وَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: مَاذَا تُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِكُمْ؟ أَيُّمَا أَيْسَرُ: أَنْ يُقَالَ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَامْشِ؟* ".

فيسوع إذ كان مملوءًا بسلطان إلهي على غفران الخطايا، ولكن هذا الإعلان يسبِّب



اضطرابًا لعصبة الفريسيين الجاهلة الحقودة... لأنهم قالوا بعضهم لبعض: " *من هذا الذي يتكلم بتجاديف*؟" ولكنك أيها الفريسي لو كنتَ تعرف الكتب الإلهية لما قلت هذا عنه، ولو وضعتَ في عقلك كلمات النبوة، لفهمت سر التجسد الممجد المملوء قوة، ولكنهم الآن ينسبون إليه التجديف، ويجدون ضده أقصى عقوبة ويحكمون عليه بالموت، لان ناموس موسى يأمر أن من جدَّف على اسم الرب ينبغي أن يموت. (انظر لا٢٤: ١٦). ولكن حالما يصلون إلى قمة جسارتهم فإنه يظهر أنه هو الله ليوبخهم مرة أخرى على عدم تقواهم الفظيع. لأنه قال لهم " *ماذا تفكرون في قلوبكم*؟" لذلك فإن كنت أيها الفريسي تقول، مَنْ يستطيع أن يغفر الخطايا إلاَّ الله وحده، فإني أقول لك أيضًا من يقدر أن يعرف القلوب ويرى الأفكار المختفية في أعماق العقل إلا الله وحده؟ لأنه هو نفسه يقول في موضع آخر بصوت الأنبياء " *أنا الرب فاحص القلوب ومختبر الكلى*" (إر١٧: ١٠)، ويقول داود أيضًا " *المصوِّر قلوبهم جميعًا*" (مز٣٣: ١٥)، لذلك فالذي هو كإله يعرف القلوب والكلي فهو كإله أيضًا يغفر الخطايا.

(لو٥: ٢٤) " *وَلكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا، قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: لَكَ أَقُولُ: قُمْ وَاحْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!*".

ولكن لأنه كان لا يزال هناك مجال مفتوح لعدم الإيمان في قوله " *مغفورة لك خطاياك*"، لأن الإنسان لا ينظر الخطايا المغفورة بعيني الجسد، بينما إزالة المرض وقيام المشلول ومشيه كل هذه تحمل معها برهانًا ظاهرًا على القوة الإلهية، لذلك أضاف يسوع " *قم واحمل فراشك واذهب إلى بيتك*"، وهذا قد تم ورجع الرجل إلى بيته متحررًا من المرض الذي عاني منه طويلاً، لذلك فقد تبرهن بالحقيقة الفعلية أن ابن الإنسان له سلطان على الأرض أن يغفر الخطايا. ولكن عن من يقول هذا؟ هل عن نفسه أم عنا نحن أيضًا؟ كلا الأمرين صحيح، لأنه هو يغفر الخطايا لكونه الإله المتجسد، رب الناموس، ونحن أيضًا قد نلنا منه هذه النعمة العظيمة والعجيبة جدًا، لأنه قد توَّج طبيعة الإنسان بهذه الكرامة العظيمة أيضًا، إذ قال للرسل القديسين " *الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء وكل ما*

تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء" (مت١٨:١٨)، وأيضًا "*من غفرتم خطاياه تُغفر له ومن أمسكتم خطاياه أُمسِكت*" (يو٢٠: ٢٣). وما هي المناسبة التي تجده يتكلم فيها هكذا إلى الرسل؟ لقد حدث هذا بعدما داس على قوة الموت، وقام من الموت، حينما نفخ فيهم وقال " *اقبلوا الروح القدس*" (يو٢٠: ٢٢)، لأنه إذ قد جعلهم شركاء طبيعته، ومنحهم سكنى الروح القدس، فإنه جعلهم أيضًا مشاركين في مجده، بإعطائهم القوة أن يحلوا ويمسكوا الخطايا. وكما أننا قد أُمرنا منه أن نمارس هذا العمل، فكيف لا يغفر هو نفسه الخطايا بالحرى بينما هو يعطي الآخرين السلطان الذي يمكنهم أن يفعلوا هذا؟

(لو٥: ٢٧ــ٢٩) " *وَبَعْدَ هذَا خَرَجَ فَنَظَرَ عَشَّارًا اسْمُهُ لاَوِي جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ، فَقَالَ لَهُ:اتْبَعْنِي. فَتَرَكَ كُلَّ شَيْءٍ وَقَامَ وَتَبِعَهُ. وَصَنَعَ لَهُ لاَوِي ضِيَافَةً كَبِيرَةً فِي بَيْتِهِ. وَالَّذِينَ كَانُوا مُتَّكِئِينَ مَعَهُمْ كَانُوا جَمْعًا كَثِيرًا مِنْ عَشَّارِينَ وَآخَرِينَ* ".

كان لاوي عشارًا، إنسانًا لا يشبع من الربح القبيح ولا من الطمع الفاحش، وفي سعيه وراء ما ليس له كان يهمل العدل، فهذه كانت هي خصائص العشارين. ولكنه أُنتزِعَ من صميم معمل الإثم، وخلّصَ بدعوة المسيح مخلِّصنا جميعًا، لأنه قال له، اتبعني فترك كل شيء وتبعه. انظر بولس الحكيم جدًّا يقول بحق إن " *المسيح جاء ليخلِّص الخطاة*" (١تي١: ١٥)، ألا تنظر كلمة الله الوحيد إذ قد أخذ الجسد، كيف نقل إلى نفسه أمتعة إبليس؟



العظتان (٢١، ٢٢)

" *أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى وينهب أمتعته إن لم يربط القوي أولاً، وحينئذ ينهب بيته؟*" (مت١٢: ٢٩)، فالمقصود ببيت القوي أي الشيطان هو بلدته على الأرض، أما أمتعته فهي أولئك الذين يفكرون مثله، فإنه كما أننا ندعو القديسين أواني مقدسة، هكذا فليس هناك ما يمنع أن تُسميّ أولئك الذين يرتكبون كل الشرور (بأواني الشيطان أو أمتعته)، لذلك فكلمة الله الوحيد دخل عند تجسده إلى بيت القوي، أي إلى هذا العالم، وهكذا نهب أمتعته.

ولاوي خلص حقًا، وتوبة لاوي توحي لنا نحن برجاء سعيد لأننا من هذه الحقيقة نتعلم أن التوبة تخلِّص، نعم وأكثر من ذلك، فإن الله نفسه الذي هو رب الكل سيكون ضمانتنا الأكيدة، حيث يقول بصوت النبي *التفتوا إليَّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض*" (إش٤٥: ٢٢).

أي واحد منكم له مئة خروف وضل واحد منها أفلا يترك التسعة والتسعين على الجبال ويذهب يطلب الضال؟ وإن اتَّفق أن يجده فالحق أقول لكم إنه يفرح به أكثر من التسعة والتسعين التي لم تضل. لأن جمهور الكائنات العاقلة التي تشكِّل قطيع المسيح في السماء وعلى الأرض، هذا الجمهور لا يعد، وهو عظيم جدًّا حتى أنه يصل إلى عدد كامل. لأن هذا ما يشير إليه بتعبير مئة فجموع الملائكة القديسين هم التسعة والتسعين، لأني كما قلت هم كثيرون، أما القطيع على الأرض فهو واحد، ولكن من النافع أن يكمل العدد، ولذلك يبحث عنه المسيح. فهل بحث عنه إذًا كمن كان ضالاً، أم أنه لم يكن قد وصل إلى هذا؟ ولكن من الواضح أن ما يبحث عنه هو الذي ضل. بأي طريقة إذًا قد ضل وفُقِدَ؟ بسقوطه في الخطية، وبابتعاده عن المشيئة الإلهية وضلاله عن الراعي الشامل.

ولكن كل هذه الأشياء لم تؤثر في الفريسيين، بل بالعكس فإنهم يلومون التلاميذ، فاسمع المكتوب:

(لو٥: ٣٠ــ٣١) " *فَتَذَمَّرَ كَتَبَتُهُمْ وَالْفَرِّيسِيُّونَ عَلَى تَلاَمِيذِهِ قَائِلِينَ: لِمَاذَا تَأْكُلُونَ وَتَشْرَبُونَ مَعَ عَشَّارِينَ وَخُطَاةٍ؟ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ، بَلِ الْمَرْضَى* ".

هناك بعض الناس[1] يحاولون أن يحرموا الخطاة من الرحمة الإلهية، لأنهم لا يسمحون بالتوبة، وكأنهم يوبِّخون المخلِّص لبحثه عن خاصته، وسعيه أن يجمعهم من كل ناحية تشتَّتوا فيها. ولهؤلاء نقول: إن الفريسيين يُقدِّمون لكم مثال التذمر حينما رأوا لاوي يُدعى من الرب وجمهور من العشارين مجتمعين معًا في وليمة مع المسيح مخلِّصنا جميعًا، فتوجهوا إلى الرسل القديسين يلومونهم قائلين: لماذا تأكلون وتشربون مع العشارين؟ ولكنهم تلقوا الجواب: " *لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب*"، لأن مخلِّص الكل، لكونه طبيب الأرواح، فإنه لا يتخلى عن أولئك الذين هم في حاجة إليه، بل لأنه يستطيع أن يُطهِّرهم، فإنه يقصد أن يتحدث مع أولئك الذين لم يتطهَّروا بعد من خطاياهم. ولكن دعنا نرى أيها الفريسي، كبرياءك المفرط، فدعنا نتَّخذ المسيح نفسه، الذي كل الأشياء مكشوفة أمامه، نتَّخذه كشارح وموضح للَّوم الكبير الذي تجلبه على نفسك بمعاملتك المتغطرسة للخطاة. فقد تحدث السيد عن فريسي يتباهى بنفسه وهو يصلي وعن عشَّار يدين نفسه. فقال الرب: " *الحق أقول لك أن هذا (أي العشَّار) نزل إلى بيته مبررًا أكثر من ذلك الفريسي*". لذلك فالعشَّار الذي اعترف بخطيته تبرر أفضل من الفريسي المتعالي.

ولكن لأي سبب يلوم الفريسيون المخلِّص لأكله مع الخطاة؟ هم يلومونه بسبب أن الناموس يفصل بين ما هو مقدَّس وما هو نجس، أي أن كل شيء مقدس لا ينبغي أن يتصل بالأشياء النجسة، فقد وجهوا الإتهام على اعتبار أنهم يدافعون عن الناموس. ولكن في الحقيقة كان عندهم حسد للرب وكانوا يتصيَّدون له الأخطاء. ولكنه يبين لهم أنه في حضوره الآن في العالم لم يأت كقاضٍ بل كطبيب، ويعمل ما يجب على الطبيب أن يقوم به، بأن يختلط بأولئك الذين هم في حاجة إلى الشفاء. ولكنهم بمجرد أن سمعوا ردًّا وتوضيحًا على اتهامهم الأول، قدموا اتهامًا آخر بسبب أن تلاميذ الرب

[1] غالباً يقصد بدعة النوفاتيين الذين كانوا ينكرون التوبة للخطاة بعد المعمودية.



لم يكونوا يصومون قاصدين أن يجدوا فرصة ضدهم.

(لو٥: ٣٣) " *وَقَالُوا لَهُ: لِمَاذَا يَصُومُ تَلاَمِيذُ يُوحَنَّا كَثِيرًا وَيُقَدِّمُونَ طِلْبَاتٍ، وَكَذلِكَ تَلاَمِيذُ الْفَرِّيسِيِّينَ أَيْضًا، وَأَمَّا تَلاَمِيذُكَ فَيَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ؟* ".

ولكن انظروا استمرارهم في الخبث، فبعد أن رد الرب على اتهامهم الأول، فإنَّهم غيَّروا الحديث إلى موضوع آخر راغبين أن يجدوا فرصة لاتهام التلاميذ القديسين، بل ويسوع نفسه بإهمال الناموس. ولكنه يجيبهم بأنه يوجد هنا الآن عرس، فهو زمان الدعوة، زمان الكرازة، والأطفال تتم تربيتهم، وأولئك الذين تتم دعوتهم يتغذون باللبن، فالصوم ليس مناسبًا لهم. وهم يقولون، نعم أنتم تأكلون مع العشارين والخطاة، رغم أن الناموس يأمر أن الطاهر لا ينبغي أن يتصل بالنجس، وحجَّتك في تعدي الناموس هي محبتك للبشر، ويقولون لماذا لا تصومون حسب عادة الأبرار وأولئك الذين يرغبون أن يعيشوا حسب الناموس؟ وجوابًا على مثل هذه الاعتراضات يمكن أن نقول، أيها اليهودي هل أنت تفهم وتعرف الطريقة السليمة للصوم؟ لأنه كما يقول إشعياء النبي: " *في أيام صومكم توجدون مشيئتكم الخاصة، وبكل أشغالكم تسخرون، ها أنكم للخصومة والنزاع تصومون ولتضربوا بلكمة الشر، لماذا تصومون لي؟ ليس هذا هو الصوم الذي أختاره يقول الرب*" (إش٥٨: ٣ــ٥ س). فإن كنتم أنتم أنفسكم لا تعرفون كيف تصومون، فلماذا تلومون الرسل القديسين على عدم صومهم حسب طريقتكم؟

ولننظر الموضوع في ضوء آخر، وذلك في حالة أولئك الذين صاروا حكماء بواسطة العهد الجديد في المسيح، فهؤلاء يصومون بحكمة، أي بتذليل أنفسهم أمام عيني الله، وبأن يضعوا على أنفسهم تعبًا إراديًا وصومًا عن الطعام، وذلك لكي يتمموا التوبة عن خطاياهم، أو لكي يربحوا موهبة روحية جديدة، أو حتى لكي يميتوا ناموس الخطية الذي في أعضائهم الجسدية.

ولكن هذا النوع من الصوم تجهله أنت أيها الفريسي! لأنك قد رفضت أن تقبل العريس السماوي الذي هو غارس ومعلِّم كل فضيلة، أي المسيح. وأيضًا فإن القديسين



يصومون لكي يخضعوا شهوات الجسد بإرهاقه. أما المسيح فلم يكن محتاجًا أن يصوم لكي يكمل الفضيلة، لأنه كإله كان حرًّا من كل شهوة، ورفاقه لأنهم نالوا من نعمته صاروا أقوياء وأكملوا الفضيلة حتى بدون صوم. ورغم أنه صام أربعين يومًا فهو لم يفعل هذا ليميت أي شهوات في نفسه، بل ليضع مثالاً للبشر في سلوكه بقانون الصوم والإمساك، لذلك فهو يدافع عن نفسه حسنًا بالكلمات التي يسجلها البشير بعد ذلك.

(لو ٥: ٣٤) "*فَقَالَ لَهُمْ: أَتَقْدِرُونَ أَنْ تَجْعَلُوا بَنِي الْعُرْسِ يَصُومُونَ مَا دَامَ الْعَرِيسُ مَعَهُمْ؟* ".

أرجو أن تلاحظوا الطريقة التي بها يوضح المسيح أنهم لم يكن لهم أي اشتراك في الفرح والعيد، بل هم غرباء تمامًا عن الشعور بأي فرح من جهته وليس لهم شركة في عيد العالم العظيم. لأن ظهور مخلصنا للعالم لم يكن شيئًا أقل من عيد شامل قد وحَّد فيه نفسه روحيًّا مع طبيعة الإنسان، لكي تكون كأنها عروس له، لكي بعد أن كانت عقيمة لمدة طويلة تصير مثمرة، ومُباركة بأولاد كثيرين. لذلك فالجميع هم أبناء العرس الذين دعاهم برسالة الإنجيل الجديدة. أما الكتبة والفريسيون فلم يكونوا من بني العرس لأنهم ربطوا أنفسهم فقط بظل الناموس وحده. ولكن كما أنه أَذِن مرة لأبناء العرس أن يتعبوا أنفسهم بالصوم كامتياز مناسب للوقت لأنهم كانوا يحتفلون بعيد روحاني، فإنه لكي لا يكون الصوم مرفوضًا كلية عندنا فإنه يضيف كلامًا مناسبًا جدًّا قائلاً:

(لو٥: ٣٥) "*وَلَكِنْ سَتَأْتِي أَيَّامٌ حِينَ يُرْفَعُ الْعَرِيسُ عَنْهُمْ، فَحِينَئِذٍ يَصُومُونَ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ* ".

لأن الأشياء تكون صالحة في وقتها المناسب. ولكن ما معنى أن يُرفع العريس عنهم؟ المقصود هو ارتفاعه إلى السماء.

(لو٥: ٣٦، ٣٧) "*وَقَالَ لَهُمْ أَيْضًا مَثَلاً: لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ رُقْعَةً مِنْ ثَوْبٍ جَدِيدٍ عَلَى ثَوْبٍ عَتِيقٍ. وَإِلاَّ فَالْجَدِيدُ يَشُقُّهُ، وَالْعَتِيقُ لاَ تُوافِقُهُ الرُّقْعَةُ الَّتِي مِنَ الْجَدِيدِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ لِئَلاَّ تَشُقَّ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ الزِّقَاقَ، فَهِيَ تُهْرَقُ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ* ".

الأشياء التي يؤسِّسها المسيح لا يستطيع أن يقبلها أولئك الذين يعيشون حسب



الناموس ولا تدخل في قلوب من لم ينالوا التجديد بعد بواسطة الروح القدس، وهذا يوضحه الرب بقوله "إن رقعة جديدة لا يمكن أن توضع على ثوب عتيق، ولا تستطيع الزقاق القديمة أن تحتمل الخمر الجديد". لأن العهد الأول قد شاخ، وهو لم يكن بلا عيب، لذلك فأولئك الذين يتمسكون به ويمسكون بالوصية التي عتقت ليس لهم نصيب في عهد المسيح الجديد. "*لأنه فيه (المسيح) كل الأشياء صارت جديدة*" (٢كو٥: ١٧).

ولكن عقلهم إذ قد فسد فليس لهم أي انسجام ولا أي نقطة اتفاق مع خدام العهد الجديد، وإله الكل يقول في موضع ما بواسطة أحد الأنبياء القديسين: "*وأعطيكم قلبًا جديدًا وأجعل روحًا جديدة في داخلكم*" (حز٣٦: ٢٦).

وداود أيضًا يرنِّم "*قلبًا نقيًا أخلق فيَّ يا الله، وروحًا مستقيمًا جدِّد في داخلي*" (مز٥٠: ١٠ س).

ونحن قد أُمِرنا أن نخلع الإنسان العتيق، وأن نلبس الإنسان الجديد الذي يتجدد حسب صورة خالقه (انظر كو٣: ٩). وبولس أيضًا يعطي نصيحة قائلاً: "*لا تشاكلوا هذا الدهر، بل تغيروا بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة*" (رو١٢: ٢). لذلك فأولئك الذين لم ينالوا تجديد الروح بعد، لا يستطيعون أن يختبروا إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة.

"*وليس أحد يجعل خمرًا جديدة في زقاق عتيقة*".

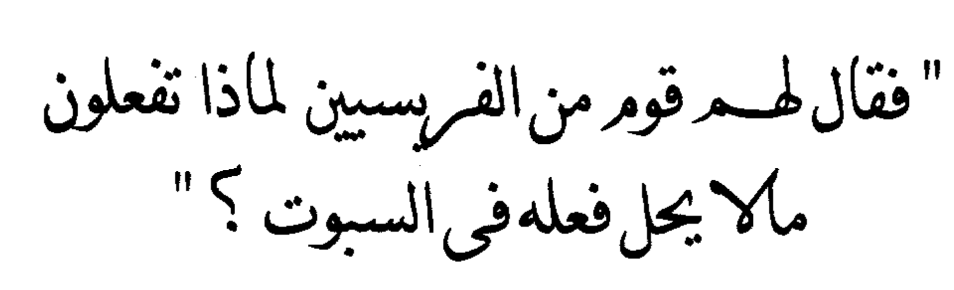
إذًا فقلب اليهود هو زقاق عتيق، ولذلك لا يستطيع أن يحفظ الخمر الجديدة التي هي وصية الإنجيل المخلّصة "*التي تُفرح قلب الإنسان*". ولكن المسيح قد ملأنا بهذه البركات العظيمة بمنحه إيانا مواهب روحية بسخاء، وقد فتح لنا الطريق واسعًا إلى كل فضيلة.



(أيقونة تصور الفريسيين وهم يتناقشون مع المسيح والمسيح يرد عليهم)

الأصحاح السادس





"فقال لهم قوم من الفريسيين لماذا تفعلون
مالا يحل فعله فى السبوت ؟"

الأصحاح السادس

(لو٦: ١ـــ٢) " وَفِي السَّبْت الثَّانِي بَعْدَ الأَوَّلِ اجْتَازَ بَيْنَ الزُّرُوعِ. وَكَانَ تَلاَمِيذُهُ يَقْطِفُــونَ السَّنَابِلَ وَيَأْكُلُونَ وَهُمْ يَفْرُكُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ. فَقَالَ لَهُمْ قَوْمٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ: لِمَاذَا تَفْعَلُونَ مَــا لاَ يَحِلُّ فِعْلُهُ فِي السُّبُوتِ؟ ".

إن الله وعد بعهد جديد إذ أن العهد الأول "*عتق وشاخ وهو قريب من الاضمحلال*" حسب كلمات بولس الإلهي (عب٨: ١٣). نعم إنه يقول بواسطة أحد الأنبياء القديسين " *ها أيام تأتي يقول الرب حين أكمّل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا، لا كالعهد الذي عملته مع آبائهم، يوم أمسكتُ بيدهم لأخرجهم من أرض مصر* " (إر٣١: ٣١، ٣٢ س). فإن كان العهد الجديد هو الثاني ويختلف عن الأول، فإنه تكون هناك كل الضرورة بالنسبة لأولئك الذين يريدون أن يعيشوا حسب العهد الجديد، أن يتخلوا عن النواميس القديمة وينسجموا مع تلك التي تقودهم إلى جدَّة حياة الإنجيل. ولكننا يمكن أن نرى أن كل هذا لا يفهم منه الكتبة والفريسيون شيئًا، ولكونهم معدمين تمامًا من معرفة الكتب المقدسة، فلم يكن لديهم سوى غرض واحد، وهو أن يجدوا في كل فرصة لومًا على الكرازة الإلهية السماوية. فهم لذلك يراقبون الرسل القديسين في ملازمتهم واتِّباعهم لمخلصنا جميعًا، ويخبرونه عنهم قائلين: ها نحن نرى أولئك الذين يتتلمذون تحت يديك، يفعلون ضد تعاليم الناموس، لأنهم يفعلون ما لا يحل فعله في السبوت، فبينما يوصي الناموس الناس ألاَّ يعملوا عملاً في يوم السبت، ولا يتدخلوا في أي عمل كان، فإن التلاميذ يفركون سنابل القمح بأيديهم.

ولكن أخبــرني أنت نفسك، ألست تكسر الخبز حينما تجلس للأكل يوم السبت؟ فلماذا إذًا تلوم الآخرين، ولكن لكي نستعمل ضدهم متراس كلمات المخلص فلننصت.

(لو٦: ٣ــ٥) "*فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: أَمَا قَرَأْتُمْ وَلاَ هذَا الَّذِي فَعَلَهُ دَاوُدُ، حِينَ جَاعَ هُوَ وَالَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ؟ كَيْفَ دَخَلَ بَيْتَ اللهِ وَأَخَذَ خُبْزَ التَّقْدِمَةِ وَأَكَلَ، وَأَعْطَى الَّذِينَ مَعَهُ أَيْــضًا، الَّذِي لاَ يَحِلُّ أَكْلُهُ إِلاَّ لِلْكَهَنَةِ فَقَطْ وَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا*"

والآن رغم أن داود تصرف هكذا عكس ما يسمح به الناموس، ألا أننا نوقره جدًا بحق وعدل ونعتبره مستحقًا كل إعجاب، لأنه كان بالحق قديسًا ونبيًا. لذلك حيث إن ناموس موسى يأمر بوضوح قائلاً: "*احكموا حكمًا عادلاً، ولا تنظروا إلى الوجوه في القضاء*" (تث١: ١٦) فكيف (يقول الرب) تدينون تلاميذي، بينما أنتم لا تزالون معجبين بداود المبارك كقديس ونبي، رغم أنه لم يحفظ أمر موسى؟ ولكن الرب بخبز التقدمة يشير بوضوح إلى الخبز الذي ينزل من السماء لكي يوضع على الموائد المقدسة في الكنائس، وكل أثاث المائدة المستعملة لتأدية الخدمة السرية، كان مثالاً واضحًا للكنوز الإلهية. ولكن الخبز يشير أيضًا إلى الرسل الاثنى عشر، الذين سنتكلم عنهم في الوقت المناسب حينما يصل حديثنا إلى الكلام عن التلاميذ أنفسهم.



من عظة (٢٣)

ولكن الله يقول: "*إني أريد رحمة لا نبيحة، معرفة الله أكثر من محرقات*" (هو٦:٦).

ما هو المقصود برحمة؟ والمقصود بذبيحة؟ إن رحمة تشير إلى التبرير والنعمة في المسيح التي هي بواسطة الإيمان، لأننا تبرَّرنا ليس بأعمال الناموس التي عملناها، بل برحمته العظيمة. والذبيحة تعني ناموس موسى.

(لو٦:٦ــ ٨) "*وَفِي سَبْت آخَرَ دَخَلَ الْمَجْمَعَ وَصَارَ يُعَلِّمُ. وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ الْيُمْنَى يَابِسَةٌ، وَكَانَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ يُرَاقِبُونَهُ هَلْ يَشْفِي فِي السَّبْتِ، لِكَيْ يَجِدُوا عَلَيْهِ شِكَايَةً. أَمَّا هُوَ فَعَلِمَ أَفْكَارَهُمْ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي يَدُهُ يَابِسَةٌ: قُمْ وَقِفْ فِي الْوَسْطِ. فَقَامَ وَوَقَفَ* ".

كان تعليمه عن أشياء سامية للعقل، وما يجعل طريق الخلاص الذي انفتح بواسطته واضحًا لسامعيه، وفي الحال بعد تعليمه أظهر قوَّته الإلهية بعد أن مهَّد بالكلمات الطريق إلى الإيمان. لأن المعجزة أحيانًا تحوِّل إلى الإيمان أولئك الذين لم يؤمنوا بالكلمة. ولكن الفريسيين كانوا يراقبونه ليروا إن كان سيشفي في السبت، فإن هذه هي طبيعة الإنسان الحسود، أنه يجعل حسنات الآخرين طعامًا لمرضه، ويكاد يصاب بجنون بسبب شهرتهم. فماذا قال عن هذا، ذلك الذي يعرف كل الأشياء، ويفحص القلوب وما هو في الأعماق؟ لأن "*عنده يسكن النور*" كما يقول الكتاب (دا ٢: ٢٢). تكلم الرب إلى الرجل الذي يده يابسة وقال قُم وقف في الوسط. ولماذا فعل هذا؟ ربما لكي يحرك الفريسي القاسي الذي لا يشفق نحو العطف والشفقة، فربما يخجلهم مرض ذلك الرجل، ويستحثهم أن يبعدوا نيران الحسد.

(لو٦: ٩، ١٠) "*ثُمَّ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَسْأَلُكُمْ شَيْئًا: هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ إِهْلاَكُهَا؟. ثُمَّ نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى جَمِيعِهِمْ وَقَالَ لِلرَّجُلِ: مُدَّ يَدَكَ. فَفَعَلَ هكَذَا. فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى* ".

هذا السؤال الذي سأله الرب هو في الحقيقة حكيم جدًا. وهو مناسب جدًا لمواجهة حماقتهم، لأنه إن كان يحل فعل الخير في السبت، وليس هناك ما يمنع أن يشفق الله

على المريض، فكفوا إذًا عن تصيُّد الفرص لتجدوا شيئًا ضد المسيح. فإنكم بذلك تُـنزلون على رؤوسكم العقاب الذي قرره الآب على أولئك الذين لا يكرمون الابن، لأنكم قد سمعتم الله يقول عن الابن بصوت داود *"وسأقطع أعداءه من أمام وجهه، وأضرب أولئك الذين يبغضونه"* (مز٨٩: ٣). ولكن إن كان لا يحل فعل الخير في السبت، وإن كان الناموس يمنع تخليص النفس، فقد جعلتم أنفسكم ديَّانين للناموس، وصرتم مفترين على الوصية التي من أجلها تستحق خدمة موسى الإعجاب. إن الرب يجيب قائلاً لا، إن إله الكل لم يوصِ بناموس السبت لأجل نفسه، بل بالحرى لأجلنا نحن الذين انحنت رقابنا تحته. أنتم تقولون حسنًا نحن نوافق على كلماتك، لذلك فإن ما هو إلهي يكون حرًّا من إجبار الناموس.

فلماذا إذًا تلومون المسيح لأنه أراد أن يظهِر رحمة في السبت ويُنقذ نفسًا حية؟ وإن أردنا أن نفحص بدقة الناموس الموضوع بخصوص السبت، فسنجد أنَّه موضوع من الله لأجل أغراض الرحمة. لأنه أمَر ألا نعمل عملاً في السبت ونترك كل مجهود، بل وحتى الحيوانات غير العاقلة يجب أن تستريح في نفس الوقت. لأنه قال: أن يستريح عبدك، وأمتك، وثورك، وحمارك وكل بهائمك (انظر تث٥: ٤). ولكن الذي عنده رحمة على الثور والحيوانات الأخرى كيف لا يشفق في السبت على إنسان مصاب بمرض شديد غير قابل للشفاء؟

(لو ٦: ١١) *"فَامْتَلأُوا حُمْقًا وَصَارُوا يَتَكَالَمُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ مَاذَا يَفْعَلُونَ بِيَسُوعَ "*.

ألم تكن المعجزة كافية لكي تنتج إيمانًا؟ أنتم ترونه يعمل بكرامة إلهية، ويشفي المرضى بقوة عظيمة، أمَّا أنتم فتشتغلون بالقتل الناتج عن حسدكم وشركم.

(لو٦: ١٢) *"وفي تلك الأيام خرج إلى الجبل ليصلي وقضى الليل كله في الصلاة لله"*.

كل ما فعله المسيح، فعله لأجل بنياننا، ولأجل منفعة أولئك الذين يؤمنون به، وعن طريق تعريفنا بسلوكه الخاص كنموذج للحياة الروحية، فإنه جعلنا عابدين حقيقيين، لذلك دعنا نرى في النموذج والمثال الذي تُزودنا به أعمال المسيح، نرى الطريقة التي



ينبغي أن نقدم بها صلواتنا إلى الله. فيجب أن نصلي سرًّا وفي الخفاء، دون أن يرانا أحد. فهذا هو معنى ذهاب يسوع إلى الجبل وحده ليصلّي لوقت طويل بتمهُّل، وهذا ما علَّمه هو نفسه لنا بقوله "*وأنت متى صليت فادخل مخدعك*" (مت٦:٦). لأننا ينبغي أن نصلي غير طالبين مجدًا من الناس، بل " *رافعين أيادي مقدسة*" (انظر١تي٢: ٨). بينما النفس كما لو كانت ترتفع عاليًا للتأمل في الله، تاركين كل اضطراب ومتخلين عن الهموم العالمية. وهذا ينبغي أن نفعله لا بتقلب، ولا بهمة متوانية ضعيفة، بل بالعكس بجدية وغيرة، وبصبر يستحق التقدير، لأنك قد سمعت من الإنجيل هنا، أن يسوع لم يصلِّي فقط بل أنه أيضًا قضى الليل كله في الصلاة.

ولكن ربما أن عدو الحق لن يحتملنا ونحن نتكلم هكذا، لأنه يقول [إنه يصلي ويطلب من الآب ما ليس عنده، فكيف تقولون إذًا إنه من نفس جوهر الآب ومساوٍ له في كل شيء، وإنه لا يختلف عنه في أي شيء؟]. "*لأنه بدون كل مشاجرة الأصغر يبارَك من الأكبر*" (عب٧:٧). وبالتأكيد فإن الذي يعطي هو أعظم من الذي يسأل لينال شيئًا. فأولئك الذين يقبلون الإيمان الصحيح دعهم يعلِّموننا قبل كل شيء ما هي الأشياء التي يتصورون أن الابن محتاج إليها؟ وما هو الذي يسعى ليحصل عليه باعتباره لا يملكه بعد؟

إن الابن هو النور الحقيقي، وهو الحياة بطبيعته الخاصة، وهو علَّة الحياة، وهو أيضًا رب القوات، هو الحكمة والبر، هو خالق الكون وصانعه، وهو أعلى من كل الأشياء التي أتت إلى الوجود، هو ملك الكون، هو مدبر السماء والأرض، هو المعطي مع الله الآب لكل بركة. وهذا يمكن أن نتعلمه مما كتبه بولس المبارك: "*نعمة لكم وسلام من الله أبينا وربنا يسوع المسيح*" (رو١: ٧). وهو ظاهر بوضوح فوق العرش في الأعالي وتمجده كل الخلائق العقلية. وبحسب هذا فهو بالطبيعة وارث لكل الكرامات الإلهية الخاصة بالله الآب، ولذلك تحدَّث إليه قائلاً له: "*وكل ما هو لي فهو لك، وما هو لك فهو لي، وأنا ممجد فيهم*" (يو١٧: ١٠)، ولكن ذلك الذي له كل ما يخص الله الآب كما يخصه، هل يكون محتاجًا إلى شيء بعد؟ ولكن إن كان حسب قولهم

محتاجًا إلى أي شيء، وهم يؤكدون أن هذا صحيح، فليس هناك ما يمنعنا من القول إن الآب نفسه يكون محتاجًا إلى هذا الشيء، لأنه إن كان كل ما للابن هو للآب، وكان هناك شيء ما يحتاج إليه الابن، لذلك ينبغي أن الآب أيضًا يكون في نفس الحال مثله، لأن كل ما للابن هو للآب. ولكن الآب هو كامل تمامًا ولا ينقصه أي صلاح بالمرة مما يناسب الألوهية، لذلك فالابن أيضًا هو كامل تمامًا، لأن له كل ما للآب، إذ هو صورة الآب ورسم جوهره، ولكن الرسم يظهر فيه الأصل تمامًا، والرسم موجود بكليته في الأصل. وهذا يكفي فيما يخص هؤلاء.

وأولئك أيضًا الذين انخدعوا بخطب نسطوريوس الفارغة، يقولون إنه غير مناسب بالمرة للابن باعتباره الله بالطبيعة أن يصلي، وأن هذا بالحرى (أي الصلاة) يخص الإنسان المرتبط معه بطريق الاتصال[1] به أي ذلك الإنسان الذي هو من نسل داود، فهذا الإنسان الذي من نسل داود هو الذي قدم الصلاة. فماذا نجيب على هذا الكلام؟ نقول إنهم بذلك يجهلون تمامًا سر تجسد الابن الوحيد. تذكروا يوحنا الإنجيلي المبارك الذي يقول: " *والكلمة صار جسدًا*" (يو١: ١٤)، وعن هذا أعطانا بولس الكلي الحكمة برهانًا واضحًا بقوله عنه " *لأنه ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل إبراهيم، من ثم كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء لكي يكون رحيمًا ورئيس كهنة أمينًا في ما لله حتى يكفر خطايا الشعب*" (عب٢: ١٦، ١٧). فعلى أي أساس يُخرِج نسطور خارج نطاق الطبيعة البشرية ذاك الذي رغم أنه مولود ولادة إلهية ككلمة الله الآب، إلا أنه وضع نفسه إلى الإخلاء، حتى يصير أخًا لنا بأن صار مثلنا، ومشابهًا لسكان الأرض في كل شيء ما عدا الخطية وحدها؟ لأنه إذ صار مثلنا فإنه من غنى لطفه ومحبته لجنس البشر فإنه لا يزدري بالأمور البشرية، بل يضع أمامنا تصرفه كمثال للصلاح التام، لكي كما سبق أن قلت نكون جادين في اتباع خطواته.

(لو٦: ١٣-١٦) " *وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلاَمِيذَهُ، وَاخْتَارَ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِينَ سَمَّاهُمْ*

[1] كلمة "بالاتصال" هي الكلمة المفضلة عند نسطور، ويقول القديس كيرلس عنها: إن نسطور دائماً يتحاشى استعمال كلمة "الاتحاد" ويستعمل بدلاً منها كلمة صلة أو اتصال مثل من هو متصل من الخارج فقط بدون اتحاد وذلك يشبه قول الله ليشوع: كما كنتُ مع موسى أكون معك.



أَيْضًا رُسُلاً: سِمْعَانَ الَّذِي سَمَّاهُ أَيْضًا بُطْرُسَ وَأَنْدَرَاوُسَ أَخَاهُ. يَعْقُـوبَ وَيُوحَنَّـا. فِيلُـبُّسَ وَبَرْثُولَمَاوُسَ. مَتَّى وَتُومَا. يَعْقُوبَ بْنَ حَلْفَى وَسِمْعَانَ الَّذِي يُدْعَى الْغَيُورَ. يَهُوذَا أَخَا يَعْقُـوبَ، وَيَهُوذَا الإِسْخَرْيُوطِيَّ الَّذِي صَارَ مُسَلِّمًا أَيْضًا".

إن ربنا يسوع المسيح، إذ قد قضى الليل في الصلاة، وقد تحدَّث مع أبيه في السماء بطريقة لا يمكن التعبير عنها وتفوق قدرتنا على الفهم وهي معروفة له وحده، وبذلك جعل نفسه مثالاً لنا في أمر ضروري لخلاصنا، لأنه علَّمنا بأية طريقة يمكننا نحن أيضًا أن نقدِّم صلواتنا بطريقة سليمة وبلا لوم. وبعد ذلك نـزل من الجبل واختار أولئك الذين سيصيرون معلمي العالم، بحسب الكلمات التي نطق بها: "*أنتم نور العالم*". وقد تنبأ داود المبارك أيضًا عن هذا الاختيار للرسل القديسين وكأنه يوجِّه الحديث للمسيح: "*سوف تقيمهم رؤساء على سائر الأرض، وسوف يذكرون اسمك جيلاً بعد جيل*" (مز٤٥: ١٦)، لأنهم في الحقيقة حينما كانوا في الجسد ذكروا مجد المسيح مبشِّرين بسرِّه في المدن والقرى، والآن بعد أن انتقلوا إلى المنازل العلوية فإنهم لا يزالون يتحدثون إلينا عنه بواسطة البشائر التي سجلوها عنه.

إنَّ أولئك الذين اختيروا كهنة حسب ناموس موسى، أعني هرون ورفاقه صاروا مبهجين للحواس بواسطة الثياب المناسبة لكرامتهم الكهنوتية، أما التلاميذ الإلهيون فإذ قد تزينوا بالمواهب الروحية، فإنهم استؤمنوا على خدمة الإنجيل. فقد قال لهم: "*اشفوا مرضى، اخرجوا شياطين، طهروا برصًا، أقيموا موتى*" (مت١٠:٨)، وهكذا إذ توشحوا بقوة المسيح، فقد ملأوا العالم كله دهشة. ولكن لاحظوا اعتدال البشير، فإنه لا يقول فقط أن الرسل القديسين قد اختيروا، بل أنه بالحرى يسجل أسماءهم واحدًا واحدًا، وهو بذلك يحترس لكي لا يدع فرصة لأحد أن يقحم اسمه في شركة أولئك الذين قد اختيروا، لأنه كما يقول بولس "*لا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله*" (عب٥: ٤)، ورغم أن الرسل القديسين قد دُعوا بالاسم إلى هذه الكرامة العظيمة والعالية، إلا أنه من وقت إلى آخر كان يقوم بعض الناس الذين وصلوا إلى درجة من الجنون والتهور حتى أن يسموا أنفسهم رسلاً للمسيح ويحاولون أن يغتصبوا كرامة لم



تعطَ لهم. عن هؤلاء يقول الرسول "*لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة، فعلة ماكرون، مغيِّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح، ولا عجب، لأن الشيطان نفسه يغيِّر شكله إلى شبه ملاك نور. فليس عظيمًا إن كان خدامه أيضًا يغيرون شكلهم كخدام للبر*" (٢كو ١١: ١٣-١٥).

ولكننا لا نعرف ولن نقبل أي شخص سوى أولئك المذكورين في الكتابات الإنجيلية، ومعهم ذلك الذي اختير بعدهم أعني بولس الكلي الحكمة، الذي شهد له المخلِّص نفسه أيضًا قائلاً: "*لأن هذا إناء مختار لي ليحمل اسمي أمام الأمم*" (أع٩: ١٥).

الناموس يشير إليهم بالرمز، والأنبياء يتنبأون عنهم. فمثلاً مكتوب في كتب موسى "*وتأخذ دقيقًا وتخبزه اثنى عشر قرصًا، وتجعلها صفّين كل صف ستة على المائدة الطاهرة أمام الرب، وتجعل على كل صف لبانًا نقيًا وملحًا فيكون للخبز تذكارًا وقودًا للرب*" (لا٢٤: ٥-٧). لأن الخبز الذي نزل من السماء ويعطى الحياة للعالم، لا يمكن أن يكون آخر سوى المسيح مخلِّص العالم. وتمثلاً به فإن التلاميذ المباركين يسمون أيضًا خبزات، لأنهم إذ قد صاروا مشاركين له؛ هو الذي يطعمنا للحياة الأبدية، وهم أيضًا يغذّون بكتاباتهم أولئك الذين يجوعون ويعطشون إلى البر. وكما أن المخلِّص الذي هو النور الحقيقي دعا التلاميذ أيضًا نورًا بقوله: "*أنتم نور العالم*" (مت٥: ١٤)، هكذا أيضًا إذ هو نفسه خبز الحياة فقد وهب تلاميذه أن يُحسبوا أيضًا خبزات.

وأرجو أن تلاحظوا الفن العجيب الذي في الناموس، فإنه يقول "*وتجعل على الخبزات لبانًا وملحًا*". فاللبان هو رمز الرائحة الذكية، والملح رمز للفهم وحُسن الإدراك، وكلاَ هذان الأمران كانا موجودين بأعلى درجة في الرسل القديسين لأن حياتهم كانت حياة ذات رائحة طيبة، كما قالوا أيضًا "*نحن رائحة المسيح الذكية لله*" (٢كو٢: ١٥)، وأيضًا كانوا مملوءين من الفهم، حتى أنِّي أسمع داود النبي يُرنِّم بخصوصهم في المزامير: "*هناك بنيامين متسلِّطهم، رؤساء يهوذا هم قادتهم، رؤساء زبولون، رؤساء نفتالي*" (مز٦٨: ٢٧)، لأن التلاميذ المباركين قد اختيروا غالبًا من كل



سبط في إسرائيل، وكانوا حَمَلة النور إلى العالم " *ممسكين بكلمة الحياة*" (في٢: ١٦). والعجيب حقًا هو هذا فإن حكماء اليونانيين يملكون قدرًا كبيرًا من براعة الكلام وفصاحة عجيبة في اللغة، أما تلاميذ مخلِّصنا فكانوا مجرد صناع وصيادين ونوتيه، ولم يكونوا يتعاظمون بمهارة الكلام ولا لهم فصاحة التعبير، بل كانوا رجالاً بسطاء، ولكنهم كانوا أغنياء في المعرفة، تصمت أمامهم آداب اليونانيين بعباراتها الرنانة. فقوة التبشير الإنجيلي امتلكت العالم.

والله يذكرهم أيضًا بواسطة صوت النبي قائلاً عن عدو الكل أي الشيطان " *ويل للمكثر ما ليس له، والمثقل نفسه رهونًا. فبغتة سيقومون ويضربونك، ويستيقظ أعداؤك فتكون غنيمة لهم*" (انظر حب٢: ٧). لأن الشيطان قد جمع كل سكان الأرض مع أنهم لم يكونوا له، وقد جعلهم يتعبدون له، ولكن أولئك الذين كانوا سيسلبون غنائمه قد استيقظوا، لأن شبكة الكرازة الرسولية اصطادت أولئك الذين سقطوا في الخطية، وأعادوا العالم ثانية إلى الله.

من عظة (٢٥)

تمثلوا بي كما أنا أيضًا بالمسيح

(١كو ١١: ١)

وكيف كان الحكيم بولس مثل المسيح؟ هل هو أسَّس السموات (مز ٣٣: ٦)، مثلما فعل كلمة الله؟ هل هو ثبَّت الأرض فوق أساساتها الراسخة؟ هل هو خلق الشمس والقمر والنجوم، والنور؟ كيف إذًا كان هو مثله؟ لقد كان (مثله) بتمثله بتلك الفضيلة البشرية التي أظهرها المسيح كمثال لنا.

(لو٦: ١٧- ١٩) "*وَنَزَلَ مَعَهُمْ وَوَقَفَ فِي مَوْضِعٍ سَهْلٍ، هُوَ وَجَمْعٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَجُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الشَّعْبِ، مِنْ جَمِيعِ الْيَهُودِيَّةِ وَأُورُشَلِيمَ وَسَاحِلِ صُورَ وَصَيْدَاءَ، الَّذِينَ جَاءُوا لِيَسْمَعُوهُ وَيُشْفَوْا مِنْ أَمْرَاضِهِمْ، وَالْمُعَذَّبُونَ مِنْ أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ. وَكَانُوا يَبْرَأُونَ. وَكُلُّ الْجَمْعِ طَلَبُوا أَنْ يَلْمِسُوهُ، لأَنَّ قُوَّةً كَانَتْ تَخْرُجُ مِنْهُ وَتَشْفِي الْجَمِيعَ* ".

ولكن أرجو أن تلاحظوا طريقة الاختيار، لأن الإنجيلي الحكيم جدًّا يقول إن الاختيار لم يتم في زاوية أو سرًّا، بل بالحري حينما اجتمع تلاميذ كثيرون معًا، وجمهور كبير من كل بلاد اليهود، ومن ساحل صور وصيدا، وهاتان المدينتان الأخيرتان كانتا عابدتين للأوثان أي كانتا عرجاء الساقين لأنهما كانتا من ناحية تحافظان على عادات اليهود، ولكن دون أن تتركا ممارساتهما الوثنية. إذًا فالاختيار قد حدث في حضور كل هؤلاء الناظرين. إنهم اختيروا معلِّمين لكل الذين تحت السماء، وهذه هي الرسالة التي تمموها، عندما دعوا اليهود أن يأتوا من عبادتهم الناموسية، كما دعوا أولئك الذين يخدمون الشياطين أن يأتوا من الضلال الوثني إلى الإيمان بالحق.

وحينما قام الرب بتعيين وإقامة الرسل القديسين، صنع آيات كثيرة وعجيبة، فطرد الشياطين، وخلص الذين اقتربوا منه من الأمراض غير القابلة للشفاء، وأظهر قوته الخاصة الإلهية، حتى يعرف كلاً من اليهود الذين أسرعوا إليه معًا وأولئك الذين من



بلاد الوثنيين أن المسيح الذي نال التلاميذ منه كرامة الرسولية، لم يكن إنسانًا عاديًّا من الذين في مستوانا، بل بالعكس هو الله، لكونه الكلمة الذي صار جسدًا، ومع ذلك فقد احتفظ بمجده الخاص. لأن "*قوة كانت تخرج منه وتشفي الجميع*"، لأن المسيح لم يستعر قوة من شخص آخر غيره، بل لكونه هو نفسه الله بالطبيعة، رغم أنه صار جسدًا فقد شفاهم جميعًا بخروج قوة منه إلى المرضى.

فإذا أردتم أن تتعلموا تفسير أسماء الرسل، فاعرفوا أن بطرس تُشرح على أنها تعني الحل أي الفك، أو المعرفة؛ وأندراوس تعني قوة مناسبة أو إجابة، ويعقوب هو الذي يمسك بالعقب، ويوحنا يعني نعمة الرب، ومتى هو المعطَى (أي الذي ينال)، وفيلبس هو فتح اليدين أو فم المصباح، وبرثلماوس تعني الابن الذي يمسك بالماء، وتوما تعني حفرة أو توأم، ويعقوب بن حلفى تعني استئصال عبور الحياة، ويهوذا تعني التسبيح، وسمعان تعني الطاعة.



من عظة (٢٧)
التطوبيات

(لو٦: ٢٠) "*وَرَفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ: طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْمَسَاكِينُ، لأَنَّ لَكُمْ مَلَكُوتَ اللهِ*".

هذه هي كلمات المخلص حينما كان يوجّه تلاميذه إلى جدّة حياة الإنجيل بعد أن اختارهم للرسولية. ولكننا يجب أن نعرف من هم المساكين الذين يتكلم لهم بمثل هذه الأمور العظيمة، لأنه في الإنجيل حسب متى مكتوب هكذا: "*طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات*" (مت٥: ٣). وهو يريدنا بهذا أن نفهم بكلمة المسكين بالروح أنه هو الإنسان الذي يفكر أفكارًا منخفضة عن نفسه، وعقله منخفض بوضوح، وقلبه لطيف، ومستعد للطاعة والخضوع، وهو بريء كلية من إثم الكبرياء.

مثل هذا الإنسان هو جدير بالإعجاب وهو صديق لله حتى إن الله قال بواسطة أحد أنبيائه القديسين: "*إلى من أنظر إلاَّ إلى المتضع والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي؟*" (إش٦٦: ٢). وداود النبي أيضًا يقول "*إن المنسحق والمتواضع القلب لا يرذله الله*" (مز٥١: ١٧) والمخلّص نفسه أيضًا يقول: "*تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب*" (مت١١: ٢٩). وفي الدروس الموضوعة أمامنا الآن يقول إن المساكين سيكونون مغبوطين بدون أن يضيف كلمة "بالروح"، ولكن البشيرين يتكلمون بهذه الطريقة لا كمتناقضين أحدهم مع الآخر، بل كما لو كانوا في أحيان كثيرة يقسمون الرواية بينهم. فمرة يلخصون، نفس التفاصيل، وفي مرة أخرى فإن ما يهمله أحدهم يذكره الآخر في روايته، حتى لا يخفي أي شيء نافع عن أولئك الذين يؤمنون بالمسيح. لذلك فإنه يبدو محتملاً أن المقصود بالمساكين الذين يطوّبهم هم أولئك الذين لا يهتمون بالغنى، وهم مرتفعون فوق الطمع ويحتقرون الهدايا الوضيعة، وهم متحررون من محبة المال، وهم لا يعطون أي اعتبار لمظاهر التفاخر بالغنى.



وهكذا فإن بولس الحكيم جدًا يرشدنا بوضوح إلى أفضل التعاليم حيث يقول، "*لتكن سيرتكم خالية من محبة المال، كونوا مكتفين بما عندكم*" (عب١٣: ٥)، وأضاف إلى هذا قوله: "*فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتفِ بهما*" (١تي٦: ٨)، لأنه كان ضروريًا بصورة مطلقة، لأولئك الذين سيكون عملهم هو الكرازة برسالة الإنجيل الخلاصية أن يكون لهم عقل لا يبالي بالغنى، بل ويكون منشغلاً فقط بشهوة الأمور الفضلى. وبالإضافة إلى ذلك فإن الحديث لا يؤثِّر على أولئك الذين لهم موارد كثيرة، بل فقط على أولئك الذين شهوتهم في الغنى، ومن هم هؤلاء؟ هم كل الذين تنطبق عليهم كلمات المخلص: "*لا تكنزوا لكم كنوزًا على الأرض*" (مت٦: ١٩).

(لو٦: ٢١) "*طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْجِيَاعُ الآنَ، لأَنَّكُمْ تُشْبَعُونَ*".

في إنجيل متى يقول: "*طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم سيشبعون*" أما هنا فهو يقول فقط إن الجياع سيشبعون، لذلك فنحن نقول إنه أمر عظيم وسامي جدًا أن نجوع ونعطش إلى البر، أي أن نعتاد أن نشترك في المساعي الجادة نحو التقوى، لأن هذا هو معنى البر، كما لو كان هو طعامنا وشرابنا. وبمقدار ما يجب أن نعطي لهذه الفقرة أيضًا معنى، بحسب الشروحات السابقة فنحن نقول أيضًا هكذا: إن المخلص نطق بالطوبي لأولئك الذين يحبون الفقر الاختياري، لكي يمكنهم بكرامة وبدون تشتت أن يمارسوا سيرة الحياة الرسولية. لأن هذا يتطابق بوضوح مع عدم اقتناء ذهب ولا فضة في مناطقهم، ولا ثوبين، وأيضًا أن يحتملوا خشونة كبيرة في طريقة حياتهم، ونادرًا ما يحصلوا على الطعام لحاجتهم، ولكن هذا أمر ثقيل على أولئك الذين يعانون الفقر والاضطهادات، لذلك فإن ذلك الذي يعرف القلوب لا يسمح لنا أن نفقد روحنا المعنوية بسبب نتائج الفقر، ولأنه يقول إن أولئك الذين يجوعون الآن لأجل تقواهم من نحوه، سوف يشبعون أي سوف يتمتعون بالبركات العقلية والروحية المذخرة لهم.

(لو٦: ٢١) "*طُوبَاكُمْ أَيُّهَا الْبَاكُونَ الآنَ، لأَنَّكُمْ سَتَضْحَكُونَ* ".

إنه ينطق بالطوبى للباكين، ويقول إنهم سيضحكون، ولكننا نقول إن المقصود بالباكين ليس مجرد الذين يذرفون الدموع من عيونهم، لأن هذا أمر عام للجميع بلا استثناء سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين وهو يحدث من طبيعة متألمة. بل المقصود بالحرى هم أولئك الذين ينأون بأنفسهم عن حياة الملاهي والغرور واللذات الجسدية.

فعن الأولين نقول إنهم يعيشون في تمتع وضحك أما المؤمنون فيتخلون عن الترف ويتركون حياة الإهمال واللذات الجسدية وكل شيء آخر سوى البكاء. وبسبب مقتهم للأمور العالمية فإن مخلصنا يعلن أنهم مغبوطون، ولهذا السبب فقد أوصانا أن نختار الفقر، وهو يكرم الأمور التي تصاحب الفقر بالضرورة، مِثل نقص الأشياء الضرورية للتمتع، واتضاع الأرواح الذي تُسبِّبه البلايا، فإنَّه مكتوب "*كثيرة هي بلايا الصديقين، ومن جميعها ينجيهم الرب*" (مز٣٣: ١٩س).

(لو٦: ٢٢، ٢٣) "*طُوبَاكُمْ إِذَا أَبْغَضَكُمُ النَّاسُ، وَإِذَا أَفْرَزُوكُمْ وَعَيَّرُوكُمْ، وَأَخْرَجُوا اسْمَكُمْ كَشِرِّيرٍ مِنْ أَجْلِ ابْنِ الإِنْسَانِ. اِفْرَحُوا فِي ذلِكَ الْيَوْمِ وَتَهَلَّلُوا، فَهُوَذَا أَجْرُكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاءِ. لأَنَّ آبَاءَهُمْ هكَذَا كَانُوا يَفْعَلُونَ بِالأَنْبِيَاءِ* ".

يسبق الرب فيذكر الاضطهاد حتى قبل أن يذهب الرسل إلى إرساليتهم. لقد سبق الإنجيل وأنبأ بما سيحدث. لأنه كان متوقعًا تمامًا أن أولئك الذين كرزوا برسالة الإنجيل، وجعلوا يهجرون طريقة عبادتهم الناموسية ليتعلموا طريق الإنجيل للحياة الفاضلة، بينما هم أيضًا يربحون عابدي الأوثان إلى الاعتراف بالحق، كان متوقعًا أن هؤلاء يحتكُّون بكثير من الكفار والأشرار، لأن مثل هؤلاء هم الذين في عداوتهم ضد التقوى، يثيرون حروبًا واضطهادات ضد الذين يُبشرون بيسوع، ولكي يحفظ تلاميذه من السقوط، في محنة شديدة تفوق العقل حينما يأتي الوقت الذي فيه تهجم عليهم هذه المصائب من جهة أو أخرى، فإنه يسبق وينبههم لأجل منفعتهم، أنه حتى هجوم الأشياء المحزنة



التي يصعب احتمالها سوف تأتي معها بمكافأتها وفائدتها لهم، فكأنه يقول: " *لأنهم سيعيرونكم كمخادعين وكمضللين، وسوف يفرزونكم من وسطهم وحتى من صداقتهم ومجتمعهم*". ولكن لا تدعوا أي شيء من هذه الأشياء يزعجكم، كأنه يقول: لأنه أي أذى يمكن أن يلحقه اللسان الشرير بالعقل المثبت الراسخ، لأنه يقول إن احتمال معاناة هذه الأشياء لن يكون بدون ثمرة، لأولئك الذين يعرفون كيف يحتملون بتقوى، ولكن هذا هو عربون السعادة العليا. وبالإضافة إلى ذلك يقول لهم لفائدتهم، إنه لن يحدث لهم شيء غريب حتى حينما يعانون من هذه الأشياء، بل العكس فإنهم سوف يشبهون أولئك الذين قبلهم كانوا حاملي كلمات الله إلى الإسرائيليين، والذين اضطُهِدوا، ونُشِروا، وماتوا قتلى بالسيف، واحتملوا التعييرات الواقعة عليهم ظلمًا ــ ولذلك فهو يريد أيضًا أن يفهم تلاميذه أنهم سيصيرون شركاء مع أولئك الذين يتمثلون بأعمالهم، وأنهم لن يفشلوا في ربح إكليل الأنبياء بعد أن ساروا مثلهم في نفس الطريق.

عظة (٢٩)

مضار الغنى - وفائدة الرحمة

(لو ٦: ٢٤) "*وَلكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الأَغْنِيَاءُ، لأَنَّكُمْ قَدْ نِلْتُمْ عَزَاءَكُمْ...*".

اقبلوا تلك الأشياء التي تقودكم إلى الحياة الأبدية، لأنه مكتوب أن الإنسان لا يحيا بالخبز وحده، بل بكل كلمة تخرج من فم الله (مت٤:٤). كل الكتاب هو بالحقيقة موحى به من الله، ولكن هذا صحيح بنوع خاص من كلام الإنجيل، لأن الله الذي أعطى في القديم الناموس الذي يتكوَّن من رموز وظلال بواسطة خدمة موسى، هو نفسه إذ قد صار إنسانًا تكلم إلينا، كما يشهد بولس الحكيم قائلاً: "*الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة، كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه*" (عب١:١). فنحن متعلِّمون من الله، لأن المسيح هو بالحق الله وابن الله. لذلك فلنُثبِّت انتباهنا بحرص على ما يقول، ونفحص بتدقيق عُمق ما يعنيه، لأنه يقول: "*ويل لكم أيها الأغنياء لأنكم قد نلتم عزاءكم*". ومناسب جدًّا أن يُضاف هذا القول على الحديث الذي سبق، لأنه بعد أن بيَّن أن الفقر لأجل الله هو أصل كل بركة، وقال إن جوع القديسين وبكاءهم لن يكون بدون مكافأة، فإنه يتقدم ليتكلم عن الأمور المضادة ويقول عنها إنها تجلب الحزن والدينونة. لأنه يلوم الأغنياء، وأولئك الذين ينغمسون بدون إتِّزان في الملذات وهم دائمًا في الملاهي والأفراح أي في الملذات العالمية، وبذلك فإن المسيح لا يترك وسيلة دون أن يستخدمها لمنفعة الذين يقتربون منه وخاصة الرسل القديسين. لأنه إن كان احتمال الفقر لأجل الله، مع الجوع والدموع — التي تعني التعرض للألم والضيقات في سبيل التقوى — إن كانت هذه نافعة أمام الله، وهو ينطق بثلاثة تطويبات[٢] لأولئك الذين يحتملونها، فإنه ينتج بالضرورة أن أولئك الذين يعتنقون الرذائل المضادة لتلك الفضائل،

[٢] تطويب الفقر، وتطويب الجوع، وتطويب البكاء.



أن يكونوا معرضين إلى أعظم لوم.

لذلك فإن الناس يمكن أن يُربحوا إلى الرغبة في العمل والفقر الاختياري لأجل الله بواسطة شهوة الأكاليل والمكافأة، وأيضًا من الجهة الأخرى فإنهم يمكن أن يهربوا من الغنى ومن الحياة في التنعُّم واللهو عن طريق الخوف من العقاب الذي يُهدِّدون به. لذلك فهو يقول إن الأولين هم ورثة لملكوت السموات، أما الآخرين فإنهم سيتورطون في بؤس فائق، لأنه يقول "*لأنكم قد نلتم عزاءكم*".

وتُتاح لنا الفرصة أن نرى هذا الحق موضَّحًا بطريقة جميلة في أمثال الإنجيل كما لو كان في رسم، لأننا قد سمعنا الإنجيل يقول إنه كان هناك إنسان غني يلبس الأرجوان والبز، وكان لعازر المسكين مطروحًا عند بابه مضروبًا بالفقر والقروح، والغني لم يشعر بأي إشفاق من نحوه. ولكن الإنجيل يقول إن لعازر حملته الملائكة إلى حضن إبراهيم بينما الغني كان في العذاب واللهيب. وحينما رأى الغني لعازر في راحة وسعادة في حضن إبراهيم، وتوسَّل قائلاً: "*يا أبي إبراهيم ارحمني، وأرسل لعازر ليبل طرف إصبعه بماء ويبرد طرف لساني، لأني معذب في هذا اللهيب*" (لو١٦: ٢٤). ولكن ماذا كان جواب إبراهيم المبارك؟ قال: "*يا ابني اذكُر أنك قد استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلايا، والآن هو يتنعم وأنت تتعذب*" (لو١٦: ٢٥). لذلك فحق هو ما يقوله المسيح هنا عن أولئك الذين يعيشون في غنى وتنعم ولهو: "*لأنكم قد نلتم عزاءكم*"، ويقول عن أولئك الشباعى الآن إنهم سيجوعون، وعن الضاحكون الآن إنهم سيحزنون ويبكون.

ولكن هيا بنا ودعونا نفحص الأمر بين أنفسنا. إن مخلِّصنا في أمثاله قد تكلم هكذا "*إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصلِّيا، واحد فريسي والآخر عشار، أما الفريسي فوقف يصلي في نفسه هكذا، اللهم أنا أشكرك أني لست مثل باقي*

الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار، أصوم مرتين في الأسبوع وأعشر كل ما أقتني. وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: اللهم ارحمني أنا الخاطئ. الحق أقول لكم إن هذا نزل إلى بيته مبررًا دون ذاك" (لو ١٨: ١٠ــ١٤). لأن الفريسي المتكبِّر كان يفتخر على العشار، وإذ ادَّعى لنفسه رتبة واضع الناموس، أدان رفيقه الذي كان من واجبه أن يظهر شفقة من نحوه. أما العشار فلأنه قد أدان ضعفه الخاص فإن ذلك أدى إلى تبريره، لأنه مكتوب "*أعلن خطاياك أولاً لكي ما تتبرر*" (إش٤٣: ٢٦س)، لذلك فلنفك أولئك الذين يعانون من الأمراض ونطلقهم أحرارًا ولا ندينهم، وذلك لكي ما يحِلنا الله من خطايانا، لأنه هو لا يدين بل بالحرى يُظهر رحمة.

والرحمة لها اتصال وثيق بالفضائل التي تكلمنا عنها الآن، وهي الصفة التي يذكرها بعد ذلك، لأنها أمر ممتاز جدًّا وهي تُسر الله جدًّا، وهي مناسبة جدًّا لأقصى درجة ومناسبة جدًّا بصورة فائقة للنفوس التقية، والتي فيما يخصها يكفينا أن نطبع في أذهاننا أنها صفة من صفات الطبيعة الإلهية. لأنه يقول "*كونوا رحماء كما أن أباكم السماوي أيضًا رحيم*". لقد أعطانا تأكيدًا كاملاً أننا سنكافأ بيد سخية من الله الذي يعطي كل الأشياء بسخاء لأولئك الذين يحبونه، وذلك لأنه يقول "*كيلاً جيدًا ملبدًا فائضًا يعطون في أحضانكم*" (لو٦: ٣٨)، ويضيف أيضًا "*لأنه بنفس الكيل الذي به تكيلون يُكال لكم*". ولكن هناك تناقض ظاهر بين الإعلانين، لأنه إن كنا سننال كيلاً جيدًا وملبدًا وفائضًا، فكيف سيُكال لنا بنفس الكيل الذي نكيل به؟ لأن هذا يتضمن مكافأة مساوية لنا وليست مكافأة فائضة جدًّا فوق كل المقاييس. فماذا نقول إذًا؟ إن بولس الكلِّي الحكمة قد حررنا من هذه الصعوبات بأن قدم لنا حلاً لهذه الأمور، لأنه يقول إن "*مَنْ يزرع بالشح*" وهو يعني بذلك من يوزع حاجات الحياة الضرورية على أولئك الذين هم في ضيق وعوز بقِلة وكما لو كان بيد مغلقة وليس بسخاء

واتساع، " *فبالشح أيضًا يحصد، والذي يزرع بالبركات فبالبركات أيضًا* يحصد" (٢كو٩: ٦). وهو يعني بذلك أنه يُعطَى بسخاء، حتى أنه إذا كان أحد ليس له ما يعطيه فإنه لم يخطئ بعدم عطائه، لأن الإنسان يكون مقبولاً بحسب ما له وليس بحسب ما ليس له. وهذا ما علّمنا إياه ناموس موسى الحكيم جدًّا بالرمز، لأن أولئك الذين كانوا تحت الناموس كانوا يقدمون الذبائح لله بحسب ما يملكون وبحسب ما يستطيعون أن يحتملوا، فالبعض مثلاً يقدمون العجول والبعض يقدمون الكباش، أو الخراف، أو اليمام أو الحمام، أو الدقيق المخلوط بالزيت، ولكن حتى ذلك الذي يقدم هذا (الدقيق) ... لأنه ليس له عجل ليقدمه، ورغم أن هذا قليل جدًّا ويمكن الحصول عليه بثمن رخيص جدًّا، فإنه يكون مساويًا للآخر (أي الذي قدم العجل) فيما يخص نيّته.

من عظة (٢٩)
الرحمة ومحبة الأعداء وعدم الإدانة

(لو٦: ٢٤) " *وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الأَغْنِيَاءُ، لأَنَّكُمْ قَدْ نِلْتُمْ عَزَاءَكُمْ* ".

هذا أيضًا يجب أن نبحثه فيما بين أنفسنا، لأنه هل كل مَن هو غني، ويملك ثروة وفيرة هو بالتأكيد مقطوع الرجاء من جهة توقُّع نعمة الله؟ هل هو مُغلق عليه تمامًا من جهة رجاء القديسين؟ وهل ليس له ميراث ولا نصيب مع الذين يُكلَّلون؟ نقول ليس الأمر هكذا، بل بالحرى على العكس، إن الرجل الغني لو أظهر رحمة على لعازر لصار مشتركًا في عزائه، لأن المخلِّص أوضح طريقًا للخلاص لأولئك الذين يملكون الغنى الأرضي، بقوله: " *اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية* " (لو١٦:٩).

(لو٦: ٢٧، ٢٨) " *لكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، ٢٨بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ* ".

إن بولس المبارك ينطق بالحق حينما يقول: " *إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة* " (٢كو٥: ١٧)، لأن كل الأشياء قد صارت جديدة فيه وبواسطته، كل الأشياء أي العهد، والناموس وطريقة الحياة. ولكن انظروا بدقة ولاحظوا كيف أن طريقة الحياة الموصوفة هنا تليق بصورة شاملة بأولئك المعلمين القديسين، الذين كانوا عتيدين أن يكرزوا برسالة الخلاص في كل أركان العالم، ومع ذلك فبسبب هذا الأمر نفسه (أي الكرازة)، ينبغي أن يتوقعوا أن مضطهديهم سيكونون كثيرين وأنهم سيتآمرون ضدهم بطرق مختلفة كثيرة. فلو كانت النتيجة إذًا أن التلاميذ قد صاروا ناقمين على هذه المضايقات وكانوا يرغبون في الانتقام من أولئك الذين أزعجوهم، لكانوا قد ظلُّوا صامتين وعبروا بهم دون أن يقدموا لهم الرسالة الإلهية، ولا أن يدعوهم إلى معرفة الحق. لذلك فقد كان ضروريًا أن يشد ذهن المعلمين القديسين بإحساس عالٍ من واجب الصبر، لكي يجعلهم يحتملوا كل ما يمكن أن يحل بهم، حتى لو شتمهم الناس،



وتآمروا ضدهم بلا مخافة. وهكذا كان سلوك المسيح نفسه قبل كل الآخرين، وذلك كمثال لنا، لأنه بينما كان لا يزال معلقًا على الصليب الثمين، وبينما كان الشعب اليهودي يهزأون به، فإنه قدم لله الآب صلوات من أجلهم قائلاً: " *اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون* " (لو٢٣: ٣٤). وأيضًا إستفانوس المبارك بينما كان يُرجم بالحجارة، جثا على ركبتيه قائلاً: " *يا رب لا تُقم لهم هذه الخطية*" (أع٧: ٦٠). وبولس المبارك أيضًا يقول "*نُشتم فنبارِك، يُفترى علينا فنعظ*" (١كو٤: ١٢).

لذلك فإن تعليم الرب كان ضروريًا للرسل القديسين، ونافعًا جدًا لنا نحن أيضًا لكي يلزمنا أن نعيش بطريقة صائبة ومثيرة للإعجاب، لأنها مملوءة من كل حكمة. ولكن أفكارنا المسبقة الخاطئة وتمرد شهواتنا الشديدة، يجعلها أمرًا صعبًا على أذهاننا أن نتممها. لذلك فهو إذ يعرف أن الإنسان النفساني لا يقبل هذه الأمور ويعتبر أن كلام الروح جهالة وغير ممكن تحقيقه، فهو يفصل هؤلاء (النفسانيين) عن أولئك الذين يستطيعون أن يسمعوا ويقول: أقول لكم أيها السامعون والمستعدون أن تتمموا كلماتي. لأن مجد الثبات الروحاني يظهر في التجارب والأتعاب، لذلك تمثلوا بالمسيح في هذه الأشياء، " *الذي حينما شُتم لم يكن يَشتم عوضًا. وإذ تألم لم يكن يهدد، بل كان يُسلِّم لمن يقضي بعدل* " (١بط٢: ٢٣). ولكن ربما ستعترضون قائلين في داخلكم، "المسيح هو الله أما أنا فإنسان ضعيف وليس لي إلاَّ عقلٌ ضعيف وغير قادر أن يقاوم هجمات الشهوة والألم". إنك تتكلم بصواب لأن عقل الإنسان ينزلق بسهولة إلى الخطأ، ومع ذلك أقول إن الرب لم يتركك محرومًا من رحمته ومحبته. فأنت حاصل عليه في داخلك بواسطة الروح القدس، لأننا نحن مسكنه، وهو يسكن في نفوس أولئك الذين يحبونه. إنه يعطيك قوة لكي تحتمل بنبل كل ما يحل بك، وأن تقاوم برجولة هجمات التجارب. لذلك "*لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير*" (رو١٢: ٢١).

(لو٦: ٢٩، ٣٠) "*مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضًا. وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ* "

إن المسيح هو غاية الناموس والأنبياء هذا أمر أعلنه بولس الحكيم جدًا في (رو١٠:



٤)، لأن الناموس خدم كمؤدِّب لكي يقود الناس إلى سر المسيح. وكما يقول بولس المبارك أيضًا " *ولكن الآن بعدما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدِّب*" (غل٣: ٢٥)، لأننا لم نعد أطفالاً في أذهاننا، بل بالعكس قد نمونا " *إلى إنسان كامل، إلى قياس قامة ملء المسيح*" (أف٤: ١٢). لذلك فنحن لا نحتاج إلى لبن، بل بالحرى إلى طعام قوي حسب ما ينعم المسيح، بأن يضع أمامنا ذلك الطريق الذي يفوق قوة الناموس، لأنه هو نفسه قال للرسل القديسين " *الحق أقول لكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين فلن تدخلوا ملكوت السموات*" (مت٥: ٢٠). فهذا إذًا ما هو ضروري أن نناقشه، ماذا يعني " *يزيد بركم على*" فيما يخص البر بحسب رسالة الإنجيل المخلِّصة.

الناموس المعطى لأولئك الذين في القديم بواسطة موسى حدَّد العين بالعين والسن بالسن، وبينما منع فعل الشر، فإنه لم يوصِ الذين يؤذون أن يحتملوا الأذى بصبر كما أوصى الإنجيل. لأنه يقول " *لا تقتل، لا تسرق، لا تشهد بالزور* " (خر٢٠: ١٥)، ويضيف أيضًا إلى هذا "*عين بعين، ويد بيد، ورجل برجل، وجرح بجرح، ورض برض*" (خر٢١: ٢٤، ٢٥). مثل هذه الوصية تستلزم من الإنسان ألا يجرح الآخرين، وإذ نفترض أنه قد جُرح فإن غضبه من الذي جَرَحَه لا ينبغي أن يمتد أكثر من رد مماثل، ولكن المعنى العام لطريقة الحياة الناموسية لم تكن مرضية لله، لقد أُعطِيَت هذه الطريقة للقدماء كمؤدب لكي تُعوِّدهم قليلاً قليلاً على بر مناسب، وتقودهم بلطف إلى امتلاك الصلاح الكامل، لأنه مكتوب "*أن تفعل البر هو بداية الطريق الصالح*" (أم١٦: ٥)، ولكن في النهاية فإن كل كمال هو في المسيح وفي تعاليمه. لأن عنده " *من ضربك على خدك فاعرض له الآخر*". وفي هذا يشير لنا عن الطريق المؤدي إلى أعلى درجة من الصبر. وإلى جانب ذلك فهو يريد ألا نعطي اهتمامًا للغنى حتى أنه إن كان لابسًا ثوب واحد فإنه لا ينبغي أن يحسبه شيئًا غير محتمل أن يعطى معه رداءه أيضًا لو احتاج الأمر إلى ذلك. ولكن هذه فضيلة ممكنة فقط لعقل تحوَّل تمامًا عن الاشتهاء والطمع، لأنه يقول ومن أخذ الذي لك فلا تطالبه، بل أعطِ كل من سألك. وهذا برهان بالحق على المحبة والاستعداد لأن تكون فقيرًا. والإنسان الرحيم ينبغي



بالضرورة أن يكون مستعدًا أن يغفر، لكي يُظهِر أعمال محبة حتى لأعدائه.

(لو٦: ٣١) "*وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ هكَذَا* "

قد كان محتملاً أن يفكِّر الرسل القديسون أن هذه الأشياء يصعب وضعها موضع التنفيذ، لذلك فإن ذاك الذي يعرف كل الأشياء يتخذ القانون الطبيعي لحب النفس كحكم لما يريد أي واحد أن يحصل عليه من الآخر. فهو يقول اعمل مع الآخرين ما ترغب أن يعمله الآخرون معك. فإن رغبتَ أن يكونوا خشنين، وبلا شعور وغضوبين ومنتقمين، ومتخذين موقفًا معاديًا فأظهر نفسك هكذا أيضًا. ولكن على العكس إن رغبت أن يكونوا شفوقين وصفوحين فلا تظن أنه شيء لا يطاق أن تكون أنت كذلك. وفي حالة أولئك الذين يكون موقفهم هكذا فلا حاجة هناك إلى الناموس، لأن الله يكتب في قلوبهم معرفة مشيئته. إذ يقول الرب "*لأني في تلك الأيام سأجعل نواميسي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم*" (إر ٣١: ٣٢).

(لو ٦: ٣٦) "*فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ أَيْضًا رَحِيمٌ* ".

عظيم هو مجد الرحمة، ولذلك فحق هو ما كُتِب أن " *الإنسان له قيمة عظيمة، والإنسان الرحيم هو مُكرَّم جدًا*" (أم٢٠: ٦س)، لأن الفضيلة تردنا إلى صورة الله، وتطبع على نفوسنا صفات معيَّنة كما لو كانت من الطبيعة السامية جدًا.

(لو ٦: ٣٧) "*وَلاَ تَدِينُوا فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلاَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ. اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ* "

الرب ينزع من أذهاننا شهوة قوية جدًّا وهي أصل ووالدة الكبرياء. فبينما هو واجب على الناس أن يفحصوا أنفسهم ويرتبوا سلوكهم حسب مشيئة الله، إلاّ أنهم يتركون هذا الأمر جانبًا ويشغلون أنفسهم بأمور الآخرين. وهم إذ ينسون ضعفاتهم الشخصية، فإنهم إذا رأوا ضعفًا في الآخرين يجعلونه مبررًا لتصيُّد الأخطاء ووسيلة لتشويه السمعة. فهم يدينون الآخرين، غير عالمين أنهم لكونهم مصابين بنفس الضعفات بالتساوي مثل أولئك الذين ينتقدونهم، فإنهم يدينون أنفسهم، لأنه هكذا أيضًا يكتب بولس الحكيم جدًّا: "*لأنك فيما تدين غيرك تحكم على نفسك، لأنك أنت الذي*



تدين تفعل تلك الأمور بعينها" (رو٢: ١). بل إنه من واجبنا بالحرى أن يكون لنا رحمة على الضعفاء، مثل أولئك الذين انغلبوا من هجمات الشهوات واصطيدوا داخل شباك الخطية، وأن نصلي لأجلهم ونعظهم، ونقيمهم إلى التعقل ونسعى نحن أنفسنا ألا نسقط في أخطاء مماثلة، لأن " *من يدين أخاه، يذم الناموس ويدين الناموس*" (يع٤: ١١)، كما يقول تلميذ المسيح، لأن واضع الناموس والديان هو واحد. لأن من يدين النفس الخاطئة ينبغي أن يكون أعلى من تلك النفس. ولكن حيث إنك لست كذلك، فإن الخاطئ سيعترض عليك في إدانتك قائلاً: "*لماذا تدين أخاك*". ولكن إن كنت تتجاسر وتدينه دون أن يكون لك سلطان على ذلك، فإنك أنت بالحري الذي سوف تدان، لأن الناموس لا يسمح لك أن تدين الآخرين.

لذلك فإن من ينقاد بإحساس صالح، لا ينظر إلى خطايا الآخرين، ولا يشغل نفسه بأخطاء قريبه، بل بالحري يفحص بدقة عن أخطائه الشخصية. هكذا كان المرنم المبارك ساقطًا بوجهه أمام الله ويقول بخصوص خطاياه " *إن كنت تراقب الآثام يا سيد فمن يحتمل*؟" (مز١٢٩: ٣س)، ومرة أخرى إذ يقدِّم ضعف الطبيعة البشرية كعذر فإنه يتوسل من أجل غفران معقول قائلاً: "*اذكر أننا تراب نحن*" (مز١٠٢: ١٤س).

(لو٦: ٣٩، ٤٠) " ***وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً: هَلْ يَقْدِرُ أَعْمَى أَنْ يَقُودَ أَعْمَى؟ أَمَا يَسْقُطُ الاِثْنَانِ فِي حُفْرَةٍ؟ لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنْ مُعَلِّمِهِ، بَلْ كُلُّ مَنْ صَارَ كَامِلاً يَكُونُ مِثْلَ مُعَلِّمِهِ*** ".

هذا مَثَل أضافه كملحق ضروري جدًا لِمَا سبق أن قيل. إن التلاميذ المباركين كانوا على وشك أن يصيروا مُتلمِذي ومُعلِّمي العالم، لذلك كان ضروريًا لهم أن يبرهنوا أنهم يملكون كل شيء ضروري للتقوى، فينبغي أن يعرفوا طريق ومثال الحياة الإنجيلية وأن يكونوا عُمَّالاً مستعدين لكل عمل صالح، وقادرين أن يمنحوا السامعين المتعلمين تعليمًا صحيحًا ومخلصًا يُمثِّل الحق بدقة. هذا ينبغي أن يفعلوه باعتبارهم قد حصلوا أولاً على بصيرة، وعلى عقل مستنير بالنور الإلهي لئلا يصيروا قادة عميان للعميان، لأن الرجال الغارقين في ظلمة الجهل لا يستطيعون أن يقودوا أولئك الذين هم مصابون بنفس الطريقة إلى معرفة الحق، لأنهم إن حاولوا ذلك فإنهم سيسقطون



كلهم إلى حفرة الفسق.

وبعد ذلك إذ يلقى جانبًا شهوة الافتخار المتبجحة التي ينغلب منها معظم الناس، فلكي لا يسعوا بتنافس أن يتفوّقوا على معلميهم في الكرامة أضاف: "*ليس التلميذ أفضل من معلمه*"، حتى وإن كان البعض يتقدمون كثيرًا حتى أنهم يصلون إلى فضيلة تعادل فضيلة معلميهم، فإنهم لن يحسبوا أنفسهم أعلى من مستوى معلميهم، بل يكونون متمثلين بهم. وبولس سيكون أيضًا ضامنًا لنا بقوله "*كونوا متمثلين بي كما أيضًا أنا بالمسيح*" (١كو١١: ١)، ولذلك حيث إن المعلم لا يدين، فلماذا تدين أنت؟ لأنه جاء لا ليدين العالم، بل ليقدِّم رحمة، وبحسب الشرح السابق فإنه يقول إن كنتُ أنا لا أدين، فلا ينبغي لكَ أنتَ التلميذ أن تدين، ولكن إن كنتَ مذنبًا بجرائم أردأ من التي تدين بها الآخر، فكيف تستطيع أن تحفظ نفسك من العار حينما توبِّخ عليها؟ وهذا ما يوضِّحه الرب بمَثَل آخر.

عظة (٣٣)

شر إدانة الآخرين، الشجرة التي تعرف من ثمارها

(لو٦: ٤١ـــ٤٥) *"لِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ أَوْ كَيْفَ تَقْدِرُ أَنْ تَقُولَ لأَخِيكَ: يَا أَخِي، دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِكَ، وَأَنْتَ لاَ تَنْظُرُ الْخَشَبَةَ الَّتِي فِي عَيْنِكَ؟ يَا مُرَائِي! أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ. لأَنَّهُ مَا مِنْ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تُثْمِرُ ثَمَرًا رَدِيًّا، وَلاَ شَجَرَةٍ رَدِيَّةٍ تُثْمِرُ ثَمَرًا جَيِّدًا. لأَنَّ كُلَّ شَجَرَةٍ تُعْرَفُ مِنْ ثَمَرِهَا. فَإِنَّهُمْ لاَ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ تِينًا، وَلاَ يَقْطِفُونَ مِنَ الْعُلَّيْقِ عِنَبًا. اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الصَّالِحِ يُخْرِجُ الصَّلاَحَ، وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشَّرَّ "*.

لقد أوضح لنا الرب سابقًا أن إدانة الآخرين هي شر فظيع وهي خطر، وتُسبب دينونة نهائية، لأنه قال: " *لا تدينوا لكي لا تدانوا، لا تقضوا على أحد فلا يُقضى عليكم*". وهو الآن يحثنا بكلمات حاسمة أن نتجنب مجرد الرغبة في إدانة الآخرين، ويدعونا بالحرى أن نفحص قلوبنا الخاصة ونحاول أن نحررها من الشهوات التي تسكن فيها ومن ضعفاتها، وذلك بطلب هذا من الله، لأنه هو الذي يشفي المنكسري القلب ويحررنا من أمراض النفس، فهو يقول إن كنتَ أنت نفسك مريض بأمراض أكثر خطرًا وأكثر شدة من أمراض الآخرين فلماذا تهمل أمراضك وتبحث عن أخطاء الآخرين، وبينما أنت عندك خشبة في عينك، فإنك تبدأ اتهامًا ضد أولئك الذين عندهم قذى في عيونهم؟ أخبرني بأي جسارة تفعل أنت هذا؟ أنقذ نفسك أولاً من جرائمك العظيمة، ومن شهواتك الجامحة، وعندئذ يمكنك أن تصلح من هو مذنب في مجرد أخطاء بسيطة.

هل تريد أن تنظر الأمر بصفاء ووضوح، إذ أنه أمر كريه جدًّا للناس أن تتغلب



من هذا الشعور؟ كان ربنا يسوع يسير مرَّة في يوم سبت وسط الحقول وقطف التلاميذ المباركون بعض السنابل، وكانوا يفركونها بأيديهم ويأكلون الحبوب. ولكن بعض الفريسيين اقتربوا وقالوا، هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله في السبوت! ومع ذلك فهم أنفسهم كانوا مذنبين بطرق متنوعة في التعدي على الناموس كلية، لأن إشعياء النبي صرخ ضدهم قائلاً "*كيف صارت القرية الأمينة زانية. كانت ملآنة حقًّا، وكان العدل يبيت فيها وأما الآن فالقاتلون. صارت فضتك زغلاً، وتجارك يغشون الخمر بالماء، رؤساؤك متمردون وشركاء اللصوص، يحبون الرشوة، ويتبعون العطايا، لا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم*" (إش١: ٢١–٢٣س). ومع ذلك فهؤلاء الرجال أنفسهم الذين وجهت إليهم هذه التوبيخات الشديدة جدًّا، اتهموا التلاميذ بكسر السبت!

ولكن المسيح يوجه إليهم توبيخًا عادلاً ويقول لهم "*ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشِّرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق والرحمة والإيمان. وأيضًا " أنتم الذين تُصفون عن البعوضة وتبلعون الجمل*" (انظر مت٢٣: ٢٣، ٢٤)، لأنه بينما كان تعليمهم عن أمور تافهة، وكانوا يدينون الناس على أمور حقيرة، فقد كان لهم من الوقاحة أن ينظروا إلى تلك الجرائم الثقيلة بلا اهتمام، ولهذا فإن المخلِّص دعاهم " *قبورًا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة*" (مت٢٣: ٢٧). وهكذا هو كل مرائي. وحينما يلصقون أي اتهام بالآخرين الذين استسلموا لأي ضعف في أمور صغيرة، فإنهم يستحقون أن يقال لهم: "*أخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدًا أن تخرج القذى من عين أخيك*".

لذلك فالوصية، لا غِنى عنها لكل من يريد أن يعيش بالتقوى، ولكن فوق الكل، لأولئك الذين قد اؤتمنوا على تعليم الآخرين. لأنهم كانوا صالحين وعاقلين ويحبون الحياة السامية، وليس مجرد أنهم يعلِّمون عنها، ولكنهم أيضًا يمارسون الفنون الفاضلة ويضعون بسلوكهم نموذج الحياة المقدسة. إن كانوا كذلك فإنهم يستطيعون بوجه مكشوف أن يوبخوا أولئك الذين لا يفعلون نفس الشيء لأنهم لم يتمثلوا بهم، ولا



طبعوا أخلاقهم الفاضلة على نفوسهم. ولكن إن كانوا (أي المعلمين) مهملين وينخدعون بسرعة باللذات لفعل الشر، فكيف يمكنهم أن يلوموا الآخرين حينما يكونون هكذا؟ لذلك كتب التلميذ المبارك بحكمة قائلاً: "*لا تكونوا معلّمين كثيرين يا إخوتي عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم*" (يع٤: ١). لأن المسيح، الذي هو موزع الأكاليل ويعاقب الذين يفعلون الشر، هو نفسه يقول "*من عمل وعلم فهذا يدعى عظيمًا في ملكوت السموات، أما من لم يعمل ولكنه علّم يدعى أصغر في ملكوت السموات*" (انظر مت٥: ١٩).

ولكنني أستطيع أن أتخيل واحدًا يقول، كيف نستطيع أن نميِّز الإنسان الذي عنده خشبة في عينه وهو يلوم أولئك الذين عندهم قذى وهم ضعفاء جزئيًا فقط؟ ولكن ليس هناك صعوبة في هذا لأنه يقول لكل من يريد، إنه يمكن أن يرى الأمر بسهولة إذ يقول "*لأنه ما من شجرة جيدة تصنع ثمرًا رديًا ولا شجرة ردية تصنع ثمرًا جيدًا، لأن كل شجرة تُعرف من ثمرها*". لذلك فالحياة الفعلية لكل إنسان، هي التي تحدد ما هي أخلاقه، فإنّ جمال الحياة المكرمة الحقيقية لا يوصف بمجرد الزينات الخارجية أو الفضائل الزائفة، بل بالأعمال التي يفعلها الإنسان، لأن هذه هي ثمار العقل الذي يختار حياة بلا لوم لأجل محبة التقوى، لذلك ينبغي أن نرى من هو الإنسان المقبول حقًا ومن هو الذي ليس كذلك ليس بواسطة المظهر الخارجي بل بالأفعال. وأيضًا يقول المسيح "*احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة*" (مت٧: ١٥)، فانظروا أيضًا إن المسيح يوصينا أن نميز أولئك الذين يأتون إلينا ليس بثيابهم، بل بما هم عليه حقيقة. إنه يقول" *بأن كل شجرة تُعرف من ثمارها*". لأنه كما أنه هو جهل وغباء أن نتوقع أن نجد الأنواع الجيدة من الثمار بين الأشواك مثل العنب أو التين، هكذا هو أمر سخيف بالنسبة لنا أن نتخيل أننا يمكن أن نجد في المرائين والنجسين أي شيء يستحق الإعجاب أو أي شيء نبيل. وأنا أعني أي شيء من الفضيلة.

هل تريد أن ترى حقيقة هذا الأمر ثانية؟ هل تريد أن ترى من هم الذئاب الذين

يأتون بثياب حملان؟ إذًا فافحص كتابات الرسل القديسين واسمع ما يقولونه عن بعض الناس: " *لأنهم رسل كذبة، فعلة ماكرون يُغيِّرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح، ولا عجب لأن الشيطان نفسه يُغيِّر نفسه إلى شبه ملاك نور. فليس عظيمًا إن كان خدامه أيضًا يغيرون شكلهم كخدام للبر* " (٢كو١١: ١٣ـ١٥). هؤلاء يمكن أن نسميهم هم أشواك وعليق، ومثل هؤلاء لا يوجد فيهم أي جزء من الحلاوة، بل كل ما هو مر ومِن طبيعة شريرة، لأن التين لا ينمو من الأشواك ولن نجد بين الأشواك أى شئ مُفرِح، لأن العنب لا ينتج من العليق. إذًا ينبغي أن نعرف حقيقة المعلِّم ليس من المظاهر، بل من أعماله وحياته.

وهذا يتضح أيضًا بإعلان آخر يعلنه ربنا قائلاً: " *الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح*"، أما من هو مختلف عن ذلك وقد صار عقله فريسة للاحتيال والخبث فإنه بالضرورة يُخرِج ما هو مخفي في أعماقه. لأن الأمور التي في العقل والقلب تغلب ويتقيأها الإنسان مع تيار الحديث المتدفق. لذلك فالإنسان الفاضل يتكلم بما يليق بأخلاقه، أما من هو غير مستحق وشرير فهو يتقيأ نجاسته الخفية. لذلك، فإن المسيح يعلّمنا كل ما هو لمنفعتنا، ويطلب من تلاميذه أن يكونوا حذرين من الخداع وساهرين وحريصين. لأجل هذا السبب هو يريهم الطريق المستقيم، ويكشف لهم الخداعات التي تقود إلى الشر، لكي عن طريق الهروب من العثرات وبالثبات والرسوخ في العقل وتجاوزهم خطر الخطية، فإنهم يصِلون بسرعة إلى المنازل العلوية ببركة المسيح، الذي به وله مع الله الآب التسبيح والربوبية مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

عظة (٣٤)
طاعة الوصية

(لو ٦: ٤٦ــ ٤٩) " *وَلِمَاذَا تَدْعُونَنِي: يَارَبُّ، يَارَبُّ، وَأَنْتُمْ لاَ تَفْعَلُونَ مَا أَقُولُهُ؟ كُلُّ مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ وَيَسْمَعُ كَلاَمِي وَيَعْمَلُ بِهِ أُرِيكُمْ مَنْ يُشْبِهُ. يُشْبِهُ إِنْسَانًا بَنَى بَيْتًا، وَحَفَرَ وَعَمَّقَ وَوَضَعَ الأَسَاسَ عَلَى الصَّخْرِ. فَلَمَّا حَدَثَ سَيْلٌ صَدَمَ النَّهْرُ ذلِكَ الْبَيْتَ، فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُزَعْزِعَهُ، لأَنَّهُ كَانَ مُؤَسَّسًا عَلَى الصَّخْرِ. وَأَمَّا الَّذِي يَسْمَعُ وَلاَ يَعْمَلُ، فَيُشْبِهُ إِنْسَانًا بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الأَرْضِ مِنْ دُونِ أَسَاسٍ، فَصَدَمَهُ النَّهْرُ فَسَقَطَ حَالاً، وَكَانَ خَرَابُ ذلِكَ الْبَيْتِ عَظِيمًا* " .

يوجد " *رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة*" فهكذا يكتب بولس الحكيم (أف٤: ٥)، لأن اسم الربوبية وحقيقتها كلاهما خاصين فقط بتلك الطبيعة التي تفوق الكل، وهي العالية جدًا، وتحكم كل الأشياء. فهكذا يقول عنه بولس أيضًا في موضع آخر: " *لأنه وإن وُجد آلهة كثيرون في السماء أو على الأرض، لكن لنا إله واحد الآب الذي منه جميع الأشياء ونحن له. ورب واحد يسوع المسيح الذي به جميع الأشياء ونحن به*" (اكو٨: ٥، ٦). ولذلك حيث إننا نعترف بالله والكلمة وحده الذي يملك مع الله الآب، أي نعترف به بالطبيعة وبالحقيقة أنه الرب. فتبعًا لذلك نحن نُعطي هذا الاسم له. ولكنه هو يسأل " لماذا تدعونني يا رب ولكنكم لا تفعلون ما أقوله؟" لأنه إن كان لا يملك سلطانًا حقيقيًا، ولا مجد الربوبية، بل على العكس إن كانت الربوبية ممنوحة له من الخارج ومعطاة له كنعمة، فعندئذ لا تقدم له خضوعك. وعندئذ ترفض خدمته، ولا تقبل أن تكون تحت سلطانه كرب لك. ولكن إن كان حقًّا بالمعنى الدقيق هو الرب، وكل طبيعة المخلوقات تنحني تحت صولجانه وهي مثل شيء موضوع تحت قدمي سيده، فحينئذ قدّم له ما هو حق له. اقبل النير وقدّم له طاعتك كحق له، لكي لا تسمعه يوجّه لومًا لك بالكلمات التي نطقها أحد الأنبياء القديسين للقدماء " *الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده. فإن كنت أبًا فأين كرامتي، وإن كنت سيدًا فأين هيبتي قال رب الجنود؟*" (ملا١: ٦).



بل تعالوا ودعونا نرى، بواسطة ما يحدث بيننا، اللوم الذي نصير معرَّضين له بسبب عدم الطاعة. فنحن أنفسنا متعودون أن نطلب من خدمنا طاعة ممزوجة بالخوف، وحينما يتمردون ويطرحون عنهم نير العبودية فنحن نخضعهم بالقيود والتعذيبات والجلد. لذلك، فإن كنا نحن الذين على الأرض ونحن بالطبيعة إخوة لأولئك الذين ينحنون تحت النير، لا نستطيع أن نحتملهم حينما يتمردون، فكيف سيحتمل الله تمردنا، وهو الذي تعبده الرئاسات، والعروش والربوبيات، والذي في حضرته يقف السرافيم الممجدون جدًّا يقدمون له خدمتهم باستعداد؟ لأن داود الإلهي يقول عنهم في المزامير "*باركوا الرب يا جميع ملائكته، السامعين صوت كلامه. باركوا الرب، يا جميع جنوده، خدامه العاملين مرضاته*" (مز١٠٣: ٢٠، ٢١).

لذلك فإنه خطر وأمر يستحق دينونة نهائية أن يكون الإنسان غير راغب في الخضوع للمسيح القدير. أما أولئك الذين يُجلُّون خدمته فسينالون بركات ممتازة جدًّا. لأنه قد قال بواسطة أحد الأنبياء القديسين لأولئك الذين يهربون من نيره ولا يخضعون ليكونوا تحت سلطانه "*هوذا عبيدي يأكلون وأنتم تجوعون، هوذا الذين يطيعونني يترنمون من طيبة القلب وأنتم تصرخون من كآبة القلب ومن انكسار الروح تولولون*" (إش٦٥: ١٣، ١٤). فها أنت ترى أن تاج أولئك الذين يحملون النير، نير الخدمة هو جميل جدًّا، ويستحق أن يُقتنَى، وهو ثمين جدًّا بينما الباقون يُحكَم عليهم بدينونة شديدة ومتنوعة.

وفي مكان آخر أيضًا يمكنك أن ترى الخادم الحقيقي يُزيَّن بكرامة فائقة، بينما غير المطيع والمهمل فإنه يُرفض بخزي، أو بالحرى يُطرَح إلى الظلمة الخارجية. لأن الذين أخذوا الوزنات وضاعفوا ما أُعطى لهم فإن صاحب الوزنات كرَّمهم ومدحهم، لأنه قال لكل واحد منهم "*أيها العبد الصالح والأمين كنت أمينًا في القليل فأقيمك على الكثير، أدخل إلى فرح سيدك*" (مت ٢٥: ٢٣). أما الذي أخفى الوزنة في الأرض كغير محب للخدمة وكسلان فإنه حكم عليه بعقوبة شديدة لا مفر منها.

وفي موضع آخر قال أيضًا "*فمن هو العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيده على*



خدمه ليعطيهم الطعام في حينه. طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا. الحق أقول لكم إنه يقيمه على جميع أمواله" (مت٢٤: ٤٥، ٤٦).

لذلك فأولئك الذين يحفظون إرادة مخلصنا، يصيرون ممجدين، ويستحقون أن يحاكيهم الآخرون، وأن يُزيِّنوا بالمديح بسبب أمانتهم، بل وأكثر من ذلك فإنهم يحصلون على اسم يُعطَى لهم لأنه قد قال عنهم في موضع مُعيَّن: *"والذين يخدمونني سيُدعى عليهم اسم جديد، الذي هو مبارك على الأرض"* (إش٦٥: ١٥س).

وتوجد أيضًا نقطة أخرى أظن أنها ينبغي أن تضاف لما سبق أن قلناه، وهي أنه بالرغبة في الخضوع لكلمات مخلصنا وخدمته، فإننا سنربح في المقابل كرامة الحرية بقرار منه. لأنه قال لأولئك الذين يؤمنون به *" إن ثبتم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي وتعرفون الحق والحق يحرركم"* (يو٨: ٣١، ٣٢). لذلك فنحن نربح مجد الحرية بواسطة الخضوع، أي بعبوديتنا له. فهذا يجعلنا أبناء وورثة الله، وشركاء مع المسيح في الميراث الذي يشهد عنه المسيح نفسه قائلاً *" كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية، والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقى إلى الأبد، فإن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا"* (يو٨: ٣٤).

لذلك فالرغبة في الخضوع للرب هي التي تأتي بنا إلى الحرية، وإلى الكرامة التي هي امتياز الأبناء الخاص. أما عدم الطاعة فيضعنا وينزل بنا إلى عبودية وضيعة ومخزية حسب القول الحق الأكيد *"إن كل من يفعل الخطية هو عبد للخطية"* (يو٨:٣٤).

ولكن قد يقول واحد، نعم إن الطاعة للمسيح هي أمر ممتاز جدًّا وتستحق أعلى تقدير لكنها ليست على أي حال أمر سهل، لأن هناك الكثير الذي يقف في طريقنا ويمكن أن يطفئ غيرتنا. وأنا أقول أيضًا نعم لأنه أول كل شيء فإن الشيطان يقاوم كل ما هو جليل، والجسد في ميله إلى اللذة يحارب ضد الروح *" وهذان يقاوم أحدهما الآخر"* حسب تعبير بولس الحكيم (غلا٥: ١٧). وناموس الخطية الذي في الأعضاء يقاوِم بضراوة ومرارة. لأني أعرف أن بولس الذي كان متعلمًا في الناموس يناقش هذه الأمور بروعة، لأنه قال *" فإني أسر بناموس الله حسب الإنسان الباطن، ولكني أرى*



ناموسًا آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي" (رو٧: ٢٢، ٢٣). ويقول أيضًا "*إذًا أنا نفسي بذهني أخدم ناموس الله ولكن بالجسد ناموس الخطية*" (رو٧: ٢٥). وإلى جانب ذلك يوجد ميل قوي في عقل الإنسان يجعل الإرادة تضل وراء اللذات ويولد سرورًا بالشهوات العالمية، ويبعد الإرادة عن حُب التعب في سبيل الفضيلة، فهل بسبب هذا نرفض خدمتنا للمسيح؟ هل هو يأمر بأي شيء مستحيل ولا يمكن عمله؟ وهل يطلب منا شيئًا يفوق حدود طبيعتنا؟ ومَن الذي يتجاسر أن يقول هذا.

لأنه بالتأكيد يجعل كل ما يوصينا به، يتكيَّف مع عقولنا، لذلك حينما تخبرني عن صعوبة الطاعة، فإني أقول لك أيضًا هل الأمور العظيمة والممتازة تأتي بسهولة؟ وهل أولئك الذين يسعون أن يقتنوها ينجحون بدون جهد؟ أم بالعكس فإن هذه الأمور يتم الوصول إليها بالجد والأتعاب؟ فمن هم الرجال الذين يربحون الإكليل عادة في جهاد المباريات؟ هل هم الذين كرسوا أنفسهم كلية للمهارة في فن الكفاح وقد اجتازوا في أتعاب مريرة، لأنهم يحتملون كل شيء حسب تعبير القديس بولس (١كو٩: ٢٥)، أم على العكس هم الكسالى والمُتنعِّمون الذين لا يعرفون بالمرَّة ما هو مناسب للرياضيين؟

ومَنْ من أولئك الذين يفلحون الأرض تكون آلة الدراسة عندهم مملوءة بالحِزَم؟ هل هم أولئك الذين يهملون الحرث ولا يقومون بالتعب الشديد الذي للمعول، أم على العكس هم المجتهدون والكادحون الذين يلازمون الأتعاب الضرورية للحصول على محصول وفير؟ الجواب معروف، حتى لو لم ينطق به أحد، إنهم أولئك الذين لهم إرادة العمل وليس أولئك الذين يحبون الراحة، هم الذين تكون لهم حياة سعيدة ولا ينقصهم شيء لازم للحياة الهادئة. والمُرنِّم أيضًا يشهد لهذا في أحد الفقرات التي يذكر فيها الذين يفلحون الأرض كمثال لشيء آخر فيقول: "*كانوا يسيرون بالدموع حاملين بذارهم ويعودون بالفرح حاملين حزمهم*" (مز١٢٥: ٦س). لذلك فالفرح هو ثمرة التعب.

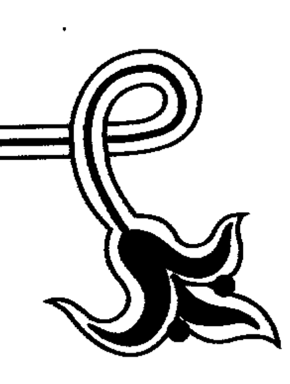
وبالإضافة إلى ذلك، فإن الرب نفسه يحثنا على محبة الجهد في كل سعي يستحق

المدح، إذ يقول " *ادخلوا من الباب الضيق لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة* " (مت٧: ١٣، ١٤). لذلك لاحظوا أن الطريق الضيق يؤدي إلى الحياة، بينما النزول السهل في الطريق الواسع يؤدي بالناس إلى اللهيب والعذابات التي لا تنتهي.

لذلك فإن كنا ندعو المسيح مخلصنا جميعًا، يا رب، فلنعمل الأشياء التي يقولها لنا. لأنه هو نفسه يُعلِّمنا ما هي المنفعة من رغبتنا في أن نعمل ما أُوصينا به، وما هي الخسارة الناتجة من رفضنا أن نطيع، لأنه يقول " *كل من يسمع كلامي ويعمل به يشبه إنسانًا يبني بيتًا ويحفر ويعمِّق ويضع الأساس على الصخر* "، أما الذي لا يطيع فهو مثل إنسان يبني بيتًا ولكنه لم يعتنِ بثباته. لأن الذي يطيع ويخضع يكون له وضع ثابت في كل شيء كريم وصالح، لأنه لا يكون سامعًا للناموس فقط، بل عاملاً به، لذلك فهو يشبه بيت مبني بثبات وله أساس لا يمكن أن يتزعزع حتى إن ضغطت عليه التجارب وحتى إن هاجمته الشهوات الساكنة فينا مثل سيل شتوي، أو مثل طوفان فإنه سوف لا يخسر. أما الذي يميل بسمعه فقط إلى ما يقوله المسيح ولكن لا يحتفظ بشيء في عقله ولا يعمل شيئًا مما أوصى به، فإنه يكون مثل بيت مستعد للسقوط، لأنه سينحرف في الحال إلى أمور غير لائقة حينما تغريه اللذة وتقوده إلى مهاوي الخطية.

لذلك فإن طاعة المسيح كما نؤكد، تأتي بنا إلى كل بركة. وإن كنا نتممها بلا لوم فإن المسيح سوف يتوِّجنا بنعمته، الذي به وله مع الله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.





(أيقونة تصور المرأة الخاطئة عند قدمى المسيح)

الأصحاح السابع



"ولما أكمل أقواله كلها فى مسامع الشعب دخل كفرناحوم"

الأصحاح السابع

عظة (٣٥)
شفاء عبد قائد المئة

(لو٧: ١ــ١٠) "*وَلَمَّا أَكْمَلَ أَقْوَالَهُ كُلَّهَا فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ دَخَلَ كَفْرَنَاحُومَ. وَكَانَ عَبْدٌ لِقَائِدِ مِئَةٍ، مَرِيضًا مُشْرِفًا عَلَى الْمَوْتِ، وَكَانَ عَزِيزًا عِنْدَهُ. فَلَمَّا سَمِعَ عَنْ يَسُوعَ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ شُيُوخَ الْيَهُودِ يَسْأَلُهُ أَنْ يَأْتِيَ وَيَشْفِيَ عَبْدَهُ. فَلَمَّا جَاءُوا إِلَى يَسُوعَ طَلَبُوا إِلَيْهِ بِاجْتِهَادٍ قَائِلِينَ: إِنَّهُ مُسْتَحِقٌ أَنْ يُفْعَلَ لَهُ هذَا، لأَنَّهُ يُحِبُّ أُمَّتَنَا، وَهُوَ بَنَى لَنَا الْمَجْمَعَ. فَذَهَبَ يَسُوعُ مَعَهُمْ. وَإِذْ كَانَ غَيْرَ بَعِيدٍ عَنِ الْبَيْتِ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ قَائِدُ الْمِئَةِ أَصْدِقَاءَ يَقُولُ لَهُ: يَا سَيِّدُ، لاَ تَتْعَبْ. لأَنِّي لَسْتُ مُسْتَحِقًّا أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي. لِذلِكَ لَمْ أَحْسِبْ نَفْسِي أَهْلاً أَنْ آتِيَ إِلَيْكَ. لكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَيَبْرَأَ غُلاَمِي. لأَنِّي أَنَا أَيْضًا إِنْسَانٌ مُرَتَّبٌ تَحْتَ سُلْطَانٍ، لِي جُنْدٌ تَحْتَ يَدِي. وَأَقُولُ لِهذَا: اذْهَبْ! فَيَذْهَبُ، وَلآخَرَ: ائْتِ! فَيَأْتِي، وَلِعَبْدِي: افْعَلْ هذَا! فَيَفْعَلُ. وَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ هذَا تَعَجَّبَ مِنْهُ، وَالْتَفَتَ إِلَى الْجَمْعِ الَّذِي يَتْبَعُهُ وَقَالَ: أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ أَجِدْ وَلاَ فِي إِسْرَائِيلَ إِيمَانًا بِمِقْدَارِ هذَا! وَرَجَعَ الْمُرْسَلُونَ إِلَى الْبَيْتِ، فَوَجَدُوا الْعَبْدَ الْمَرِيضَ قَدْ صَحَّ*".

إن الإنجيلي الحكيم يملأ عقولنا بدروس مقدسة ويسعى أن يلقى ضوءًا كثيرًا على ما يثبِّت إيماننا، فإن هذا هو موضوع أخباره التي يبشرنا بها بخصوص المسيح، ولذلك فإنه بطريقة مناسبة جدًّا نراه في إحدى المرات يقدِّم المسيح وهو يعلِّم الرسل القديسين أمورًا أعلى من الخدمة التي يفرضها الناموس، ويوضح لهم طريقًا جديدًا عن التصرف الذي يليق بالقديسين والذي لم يسلكه القدماء. وفي مرة أخرى يعرض لنا بطريقة جميلة جدًّا إظهار قوته الإلهية لكي يعرف بكل طريقة أن كلمة الآب الوحيد هو الله نفسه رغم أنه صار جسدًا، أي صار إنسانًا ويحمل كل الأشياء بكلمة قدرته (انظر عب١: ٣)، ويتبرهن لنا ذلك من فحص ما هو مكتوب عنه.

وحينما أشبع الرسل القديسين بالتعاليم الكاملة جدًّا، ووضع أمامهم مائدة من

الوصايا الإنجيلية ومزج لهم الخمر التي تفرح قلب الإنسان، وأخبرهم بوضوح تام عن الوسائل التي ينتصرون بها ويصيرون مستحقين للمديح، فإنه بعد ذلك ينحدر إلى كفر ناحوم وهناك أيضًا يعمل عملاً عظيمًا وعجيبًا، جديرًا بعظمة جلاله. هناك تحرك مسرح مجيد باندهاش عظيم، وكان المتفرجون فيه هم الملائكة والناس. لأن بينما إسرائيل ينال توبيخًا وهو لا يفهم كما أنه غير مستعد للإيمان نجد جمع الوثنيين مستعدًا عمومًا للفهم والإيمان حتى أننا نرى المسيح يرفض بعدل عبده إسرائيل بينما هو يَقبل ويُكرم ويُكلل بنعمته أولئك الذين منذ القديم عبدوا المخلوق دون الخالق، والذين كانوا في الكآبة والظلمة وليست لهم معرفة الله، وأحنوا رقبة ذهنهم المستعبد إلى شر الشياطين.

إذًا فما هو الذي حدث، أو ماذا كانت المعجزة؟ كان هناك رجل تقي متميز بسمو سلوكه، وكان قائدًا لمائة من الجنود، وكان ساكنًا في وسط شعب كفر ناحوم وكان له عبد مخلص قد سقط مريضًا، وكما لو كان قد وصل إلى أبواب الموت وكل المظاهر تُبين أنه كان الآن قُرب النَفَس الأخير، وكان هذا العبد عزيزًا عنده، حتى أنه حزن حزنًا شديدًا. فأي علاج إذًا يمكن أن يجده لِما حدث، أو أية مساعدة يستطيع أن يحصل عليها لذاك الذي يرقد مريضًا؟ يقول الإنجيل: إنه سمع عن أمور يسوع، وهكذا يُرسل إليه ويطلب منه كمن يطلب من الله أمورًا تفوق طبيعة الإنسان وقدرته لأنه يطلب أن ذلك العبد الملقى مطروحًا في المرحلة الأخيرة من المرض، ينقذ من رباطات الموت. ومن أين إذًا عرف يسوع، وهو لم يكن بعد في عداد الذين آمنوا به؟ لأنه حتى ذلك الوقت كان واحدًا من الجماهير التي تسير في الضلال. ويقول الإنجيل إنه سمع الأمور الخاصة بيسوع، وحيث إنه بالتأكيد لم يسمع تعليمه الشخصي بالمرة ولا عرف كتابات موسى، ولا بحث في الكتب الإلهية، فإنه يمكن أن يكون قد وصل إلى الإيمان به فقط من مجرد سماعه ما يُشاع عنه، ولكنه إذ كان متيقنًا تمامًا أنه بمجرد فعل إرادته يستطيع أن يُتمِّم ما سأله منه فإنه يرسل مندوبين عنه من شيوخ اليهود.



وعند وصولهم إلى يسوع قدموا له طلبهم قائلين "*إنه مستحق أن يُفعل له هذا*" يا لهذا الأمر العجيب! فإن أولئك الذين يشتمون مجد المسيح يسألونه أن يصنع آية! أولئك الذين رفضوا أن يؤمنوا به يسألونه أن يعرض أمام الناس الذين لم يؤمنوا بعد، يعرض أمامهم أعمالاً تقود إلى الإيمان. أخبرني بأي صفة تقترب بطلبك، هل أنت تعرف وتؤمن أنه يستطيع أن يعمل أشياء هي خاصة بالله؟ هل أنت مقتنع تمامًا أنه أمر يخص الجوهر الفائق، الذي هو فوق الكل (الله) أنه يستطيع أن يُحيي، وأن يخلِّص الناس من فخاخ الموت؟ إن كان كذلك فكيف تقول حينما ترى يسوع يصنع المعجزات "*هذا الإنسان يخرج الشياطين ببعلزبول رئيس الشياطين*" (مت١٢: ٢٤)، وحينما شفى ذلك الرجل الأعمى من بطن أمه بأعجوبة وحصل على النور قلتم له: "*أعط مجدًا لله، نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ*" (يو٩: ٢٤) فهل أنت إذًا تسأل هذا الخاطئ كما تُسميه أن يعمل عملاً إلهيًّا؟ أليس هذا جنونًا وغباوة تامة؟ ألا يكون أولئك الذين لم يكونوا قد آمنوا حتى الآن أفضل من أولئك الذين قد تعلموا من الناموس والأنبياء؟

أتريد أن ترى الحقيقة وأن هذا هو واقع الحال فعلاً، لاحظ ما يأتي: بَدَأ المخلِّص الآن يسير في طريقه إلى العبد المريض لكي يشفيه، ولكن قائد المئة أرسل إليه يقول: "*لا تتعب نفسك، بل قد كلمة فيبرأ غلامي*". لاحظوا إذًا أن شيوخ اليهود هؤلاء توسلوا إلى يسوع أن يذهب إلى بيت الذي طلب مساعدته، على اعتبار أنه لا يوجد طريقة أخرى لإقامة الذي كان مريضًا إلا بالذهاب إلى جواره، بينما الآخر، أي قائد المئة آمن أنه يستطيع أن يفعل ذلك حتى من مسافة بعيدة، وأن يُتمم الشفاء لمجرد ميل إرادته، إنه طلب الكلمة المخلِّصة والموافقة الحبيَّة والنطق الكلي القدرة، ولذلك فبعدل نال عبارة فائقة الجدارة، لأن يسوع قال: "*الحق أقول لكم إني لم أجد ولا في إسرائيل إيمانًا عظيمًا كهذا*". إذًا فالبرهان والتوضيح يأتي في الحال مما قد قلناه الآن، وشفى في نفس تلك الساعة ذلك الذي كان قبل قليل فريسة للموت، لأن الذي أراد إبطال ما كان حادثًا هو الله.

وكما قلت في بداية هذا الحديث فإن إسرائيل سقط من علاقته مع الله، وبدلاً منه دعا الله الأمم وأُدخِلوا، لأن لهم قلب أكثر استعدادًا للإيمان به، وهو الأمر المطلوب

عن حق. وعن هذا يشهد المرنِّم الإلهي أيضًا حيث يقول عنه مرة: "*تميل أذنك بسبب استعداد قلبهم*" (مز٩: ١٧س). وفي موضع آخر يقول "*كثُرت أمراضهم وبعد ذلك مضوا بسرعة*" (مز١٥: ٤س)، لأن كثيرة هي الخطايا المنسوبة لهم، والتي يعطيها بلطف اسم أمراض، لأنهم كانوا تائهين في الضلال ومذنبين بجرائم رديئة ليس بطريقة واحدة بل بطرق كثيرة، ولكنهم مضوا بسرعة إلى الإيمان، أي لم يكونوا مبطئين في قبول أوامر المسيح، بل بكل استعداد قبلوا الإيمان، ولذلك أُمسِكوا في شبكة المسيح. هو يعلمهم حيث يقول بواسطة أحد الأنبياء القديسين "*لأجل هذا انتظروني يقول الرب إلى يوم أقوم لأشهد، لأن حُكمي هو لجماعات الأمم*" (صف٣: ٨س)، لأنه حينما قام المسيح من الموت، منح لأولئك الذين كانوا في الضلال ذلك الأمر الذي هو لأجل سعادتهم وخلاصهم، فقد أمر الرسل القديسين قائلاً: "*اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به*" (مت٢٨: ١٩).

لذلك فبالقرار المقدس والحكيم العادل لمخلصنا جميعًا المسيح، أكرم الأمم، ولكننا نرى إسرائيل مرفوضًا من محبته وعطفه، لأن ما هو الذي يقوله رئيس رعاة الجميع لهم بواسطة أحد الأنبياء القديسين؟ "*قد أعلنتُ يقول الرب أني لا أرعاكم، من يمُت فليمُت، ومن يضعف فليضعف والبقية فليأكل بعضها لحم بعض*" (زك١١: ٩)، وأيضًا "*الله قد رفضهم لأنهم لم يسمعوا له فيكونون تائهين بين الأمم*" (هو٩: ١٧)، وأيضًا بصوت حزقيال النبي "*هكذا يقول الرب: إني سأبددهم بين الأمم وأذريهم في الأراضي كلها*" (حز١٢: ١٥)، وخذوا النتيجة الواقعية للأمور لإقناعكم وللإيمان بما هو مكتوب هنا، لأنهم متشردون وغرباء في كل أرض ومدينة، وهم لا يحفظون العبادة المرسومة من الناموس في نقاوتها ولا يخضعون ليقبلوا مجد وسمو الحياة الإنجيلية، بينما نحن الذين قد قبلنا الإيمان فإننا مواطنون مع القديسين ونُدعى أبناء أورشليم العليا في السماء، بنعمة الله التي تُكللنا، ونحن نؤكد أنه هو (المسيح) تكميل الناموس والأنبياء، ونعترف بمجده ونعجب به في صنعه للمعجزات، الذي به وله مع الله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٣٦)
إقامة ابن أرملة نايين

(لو٧: ١١ــ١٧) "*وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي ذَهَبَ إِلَى مَدِينَةٍ تُدْعَى نَايِينَ، وَذَهَبَ مَعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَجَمْعٌ كَثِيرٌ. فَلَمَّا اقْتَرَبَ إِلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، إِذَا مَيْتٌ مَحْمُولٌ، ابْنٌ وَحِيدٌ لأُمِّهِ، وَهِيَ أَرْمَلَةٌ وَمَعَهَا جَمْعٌ كَثِيرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ. فَلَمَّا رَآهَا الرَّبُّ تَحَنَّنَ عَلَيْهَا، وَقَالَ لَهَا:لاَ تَبْكِي. ثُمَّ تَقَدَّمَ وَلَمَسَ النَّعْشَ، فَوَقَفَ الْحَامِلُونَ. فَقَالَ: أَيُّهَا الشَّابُّ، لَكَ أَقُولُ: قُمْ!. فَجَلَسَ الْمَيْتُ وَابْتَدَأَ يَتَكَلَّمُ، فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ. فَأَخَذَ الْجَمِيعَ خَوْفٌ، وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ:قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ، وَافْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ. وَخَرَجَ هذَا الْخَبَرُ عَنْهُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَفِي جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ* ".

لاحظوا كيف يضيف معجزة إلى معجزة، ففي المعجزة السابقة، وهي شفاء عبد قائد المئة حضر هناك بناء على دعوة، أما في هذه المعجزة فإنه يقترب بدون أن يُدعى، إذ لم يدعوه أحد أن يعيد الإنسان الميت إلى الحياة، بل هو يأتي ليفعل هذا من تلقاء نفسه. ويبدو لي أنه قصد أن يصنع هذه المعجزة بعد المعجزة السابقة، لأنه ليس أمرًا بعيد الاحتمال أن نفترض أنه في وقت أو آخر يمكن أن يقول أحد معارضًا مجد المخلص هكذا: "أية أعجوبة حدثت في حالة عبد قائد المئة؟ فرغم أنه كان مريضًا فهو لم يكن في خطر الموت رغم أن الإنجيلي كتب ذلك مُشكِّلاً على أساس ما يرضي وليس على أساس ما هو حقيقي". لذلك فلكي يوقف اللسان الرديء لمثل هؤلاء المهاجمين يقول الإنجيل إن المسيح قابل الشاب الميت الابن الوحيد للأرملة. إنها كارثة مثيرة للشفقة، وتستطيع أن تثير الرثاء وتجعل دموع الإنسان تفيض. فكانت المرأة ومعها كثيرون، تتبع الميت مذهولة بمحنتها وخائرة.

كان الإنسان الميت في طريقه للدفن وكان أصدقاء كثيرون يُشيِّعونه إلى قبره، ولكن هناك يقابله الحياة والقيامة وأعنى المسيح نفسه، لأنه هو محطِّم الموت والفساد، هو الذي "*به نحيا ونتحرك ونوجد*" (أع١٧: ٢٨). هو الذي أعاد

طبيعة الإنسان إلى ما كانت عليه أصلاً. فهو الذي حرَّر جسدنا المشحون بالموت من رباطات الموت. لقد تحنن على المرأة، ولكي يوقف دموعها أمر قائلاً "لا تبكي"، وفي الحال أبطل سبب بكائها. كيف وبأية وسيلة؟ إنه لمس النعش وبواسطة نُطق كلمته الإلهية جعل الذي يرقد ميتًا في النعش يعود إلى الحياة، لأنه قال: "*أيها الشاب لك أقول قم*"، وفي الحال حدث ما أمر به. فان تحقيق ما حدث كان ينتظر كلماته. ويقول الإنجيل "*فجلس الميت وبدأ يتكلم فدفعه إلى أمه*".

أرجو أن تلاحظوا هنا أيضًا دقة التعبير لأن الإنجيل الإلهي لا يقول فقط إن الإنسان الميت جلس لئلا يهاجم أحد المعجزة بمناقشات زائفة بقوله: " أي أعجوبة هنا إن كان بواسطة حيلة بارعة أو أخرى يجعل الجسد يجلس لأنه لم يتبرهن بعد أنه حي أو تحرر من رباطات الموت ". لهذا السبب فالإنجيل يُسجِّل بمهارة برهانَين واحدًا بعد الآخر كافيَين للإقناع أن الشاب قام بالحقيقة وعاد للحياة فيقول: "فبدأ يتكلم"، والجسد الغير حي لا يستطيع الكلام، وأيضًا، "دفعه إلى أمه". وبالتأكيد فإن المرأة لم تكن لتأخذ ابنها إلى بيتها لو كان ميتًا.

لذلك فأولئك الأشخاص الذين أعيدوا إلى الحياة بقوة المسيح نتخذهم كعربون للرجاء المعد لنا بقيامة الأموات، وهؤلاء كانوا هم: هذا الشاب ابن الأرملة، ولعازر الذي من بيت عنيا، وابنة رئيس المجمع. وهذه الحقيقة سبق أن بشَّر بها جماعة الأنبياء القديسين، لأن إشعياء المبارك يقول" *الموتى سيقومون، وأولئك الذين في القبور سيعودون إلى الحياة، لأن الطل الذي منك يشفيهم*" (إش٢٦: ١٩س)، لأنه يقصد بالطل فاعليَّة المسيح المعطيَة للحياة، التي هي بواسطة الروح القدس. والمرنم يشهد متكلمًا بخصوصهم بكلمات موجَّهة إلى الله مخلِّصنا جميعًا قائلاً: "*تحجب وجهك فترتاع.... وإلى ترابها تعود، تُرسل روحك فتخلق، وتُجدد وجه الأرض*" (مز١٠٤: ٢٩، ٣٠). لأنه بمعصية آدم صارت وجوهنا محجوبة عن الله وصرنا نعود إلى التراب. لأن قصاص الله



على الطبيعة البشرية هو "*لأنك تراب وإلى التراب تعود*" (تك٣: ١٩)، ولكن في نهاية هذا العالم فإن وجه الأرض سيتجدد لأن الله الآب بالابن في الروح سوف يعطي حياة لكل أولئك الراقدين في داخلها.

إن الموت هو الذي أتى بالناس إلى الشيخوخة والاضمحلال، لذلك فالموت كما لو كان قد صيَّرنا شيوخًا وجعلنا نضمحل، لأن "*ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال*" كما يقول الكتاب (عب٨: ١٣). ولكن المسيح يُجدد لأنه هو الحياة. فإن ذاك الذي خلق في البداية يستطيع أيضًا أن يُجدد إلى عدم الفساد والحياة، لأنه يمكن أن نؤكد أن هذا هو عمل نفس الطاقة والقوة أن يفعل الأمرين الواحد والآخر (أي الخلق والتجديد)، لذلك فكما يقول إشعياء النبي "*ابتلع الموت إذ هو مقتدر*"، وأيضًا "*الرب يمسح كل الدموع عن كل الوجوه. هو ينزع عار الشعب عن كل الأرض*" (إش٢٥: ٨س). ويقصد بعار الشعب الخطية التي تلحق الخزي بالناس وتفسدهم، والتي ستُباد هي والهلاك، وسيتلاشى الحزن والموت وتكف الدموع التي تُذرف بسببه.

لذلك لا تكونوا غير مصدقين لإقامة الموتى، لأنه منذ زمن بعيد تمَّم المسيح هذا في وسطنا بجلال إلهي، ولا تدعوا أحدًا يقول إن من أقام اثنين مثلاً أو ثلاثة لا يكون كافيًا أيضًا لحياتنا جميعًا. مثل هذه الكلمات التي تفوح منها رائحة الجهل المطلق هي كلمات سخيفة مضحكة، بل هو صواب بالحري أن نفهم أن المسيح هو الحياة ومعطي الحياة بالطبيعة، وكيف يمكن أن تكون الحياة بالطبيعة غير كافية لجعل الجميع أحياء. إنه يكون نفس الشيء أن يقال بغباوة شديدة، إن النور أيضًا يكفي فقط لإضاءة أشياء صغيرة وليس لإضاءة الكون كله.

لذلك فهو أقام ذاك الذي كان ذاهبًا إلى قبره، وطريقة إقامته كانت واضحة لأن الإنجيلي يقول "*لمس النعش وقال: أيها الشاب لك أقول قم*". ومع ذلك



فكيف لم تكن كلمة منه كافية لإقامة الشاب الذي كان راقدًا في النعش، لأن أي شيء يكون صعبًا أو يعسر تحقيقه أمام كلمته؟ فهل يوجد أعظم من كلمة الله؟ فلماذا إذًا لم يُتمم المعجزة بكلمة فقط؟ يا أحبائي الله فعل هذا لكي تعرفوا أن جسد المسيح المقدس فيه فاعلية وقوة لخلاص الإنسان، لأنَّ جسد الكلمة القدير هو جسد الحياة، وقد اكتسى بقدرته. بل لاحظوا كيف أن الحديد حينما يدخل في النار ينتج تأثيرات النار ويحقق وظائفها. هكذا أيضًا لأن الجسد صار جسد الكلمة الذي يعطي الحياة للكل، لذلك صار له أيضًا قوة إعطاء الحياة، وهو يلاشى تأثير الموت والاضمحلال.

ليت ربنا يسوع المسيح يلمسنا أيضًا، وهو إذ يخلِّصنا من الأعمال الشريرة ومن الشهوات الجسدية فإنه يُوَحِّدنا مع جماعات القديسين، لأنه هو معطي كل صلاح، الذي به وله مع الله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٣٧)
أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟

(لو ٧: ١٧- ٢٣) "*وَخَرَجَ هذَا الْخَبَرُ عَنْهُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَفِي جَمِيعِ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ. فَأَخْبَرَ يُوحَنَّا تَلاَمِيذُهُ بِهذَا كُلِّهِ. فَدَعَا يُوحَنَّا اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، وَأَرْسَلَ إِلَى يَسُوعَ قَائِلاً: أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟ فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ الرَّجُلاَنِ قَالاَ: يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ قَدْ أَرْسَلَنَا إِلَيْكَ قَائِلاً: أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟ وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ شَفَى كَثِيرِينَ مِنْ أَمْرَاضٍ وَأَدْوَاءٍ وَأَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ، وَوَهَبَ الْبَصَرَ لِعُمْيَانٍ كَثِيرِينَ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا: اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا رَأَيْتُمَا وَسَمِعْتُمَا: إِنَّ الْعُمْيَ يُبْصِرُونَ، وَالْعُرْجَ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصَ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمَّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينَ يُبَشَّرُونَ. وَطُوبَى لِمَنْ لاَ يَعْثُرُ فِيَّ*".

في هذه الفرصة أيضًا، فإن الكلمة التي ستوجَّه إليكم والبحث في التعاليم المقدسة لا يمكن إلاَّ أن يكونا بكل تأكيد لمنفعتكم. تعالوا إذًا لكي نشترك مع الملائكة القديسين في تسبيح مخلِّص الكل، لأنه يُعبد كما في السماء، كذلك أيضًا على الأرض، وله "ستجثو *كل* ركبة" (في٢: ١٠) كما هو مكتوب. لذلك فليكن معروفًا للناس في كل مكان أن الرب هو الله، وحتى رغم أنه ظهر في هيئة مماثلة لنا، إلا أنه قد أعطانا الإشارات التي تدل على قوته الإلهية وجلاله في مناسبات كثيرة وبطرق متعددة، وذلك بشفائه للأمراض وطرده للأرواح النجسة، وبمنحه البصر للعميان، وأخيرًا حتى بطرده الموت نفسه من أجساد البشر، والموت الذي تسلط بقسوة وبدون رحمة من آدم إلى موسى حسب تعبير بولس الإلهي (رو٥: ١٤).

قام ابن الأرملة في نايين بطريقة عجيبة وغير متوقعة، والمعجزة صارت معروفة لكل واحد في اليهودية كلها وانتشرت في كل مكان كآية إلهية، وكان الإعجاب به (أي يسوع) على كل لسان، وبعض من أصدقائه الحميمين، أي تلاميذه أخبروا بها أيضًا المعمدان المبارك، فاختار المعمدان اثنين من تلاميذه

وأرسلهما إلى يسوع ليسألاه إن كان هو الآتي أم ينبغي أن ينتظروا غيره. ماذا فعلتَ أيها المعمدان الرائع! ألا تعرف ذلك الذي كرزتَ عنه إذ كنتَ أنت نفسك سابقًا لظهوره، كما تَسبق نجمة الصبح وتُعلن عن الشمس الآتية؟ لقد ذهبتَ أمامه مثل مصباح. وأنت أشرتَ للرسل القديسين عنه قائلاً بكل وضوح " *هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم*" (يو١: ٢٩)، وفي موضع آخر أيضًا نسمعك تقول لجموع اليهود: " *يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي، وأنا لم أكن أعرفه، ولكن الذي أرسلني لأعمد ذاك قال لي الذي ترى الروح القدس نازلاً ومستقرًا عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس. وأنا قد رأيتُ وشهدتُ أن هذا هو ابن الله*" (يو١: ٣٠؛ ٣٣، ٣٤)، فكيف إذًا تسأل إن كان هو الآتي؟ إذ أنك أنت قد قلت " *أنا رأيتُ وشهدتُ أنه ابن الله*"، ولكن المعمدان المبارك لم يفشل في أن يعرف كلمة الله الذي صار إنسانًا. لا تتصوروا هذا، فقد كان مقتنعًا تمامًا وبكل وضوح أنه هو الآتي، ولكن ما فعله كان أمرًا حكيمًا ومخططًا تخطيطًا جيدًا ومناسبًا بدرجة كبيرة لمنفعة تلاميذه، فلأن تلاميذ يوحنا لم يكونوا قد عرفوا المسيح بعد، إذ أن مجده وجلاله الفائق كان مخفيًا عنهم، قد صُدموا عندما رأوه يصنع المعجزات ويتفوّق على المعمدان في عظمة الأعمال التي يقوم بها، فإنهم في إحدى المرات اقتربوا من يوحنا المعمدان وهم يحملون حسدًا وغيظًا في قلوبهم، وكان قلبهم لا يزال يحتاج أن يتحرر من الأمراض اليهودية، وقالوا للمعمدان المبارك عن المسيح مخلّص الكل: " *يا معلم هوذا الذي كان معك في عبر الأردن الذي أنت قد شهدتَ له، هو يعمد والجميع يأتون إليه*" (يو٣: ٢٦)، لأنهم لم يكونوا يريدون لأحد آخر أن يُعمِّد بالمرة ويعلو على كرامة يوحنا المعمدان. ومع ذلك فقد عرفوا من يوحنا عن علو مجد المسيح وعظمة بهائه التي لا تقارن لأنه سمعوه يجيبهم هكذا: " *أنتم أنفسكم تشهدون لي أني قلت لستُ أنا المسيح، بل إني مرسَل أمامه، مَن له العروس فهو العريس، وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحًا*



مِن أجل صوت العريس. إذًا فرحي هذا قد كمل، ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص" (يو٣: ٢٨ـ٣٠).

ومع ذلك فنحن لا نقول إن المعمدان المبارك نقص في الكرامة في الوقت الذي كان فيه مجد المسيح يزداد باستمرار من قِبل أولئك الذين آمنوا به... ولكن المعمدان المبارك استمر محصورًا في حدود الطبيعة البشرية، لأنه لم يكن ممكنًا له أن يتقدم أكثر من هذه الحدود. أما الكلمة المتجسد إذ هو بطبيعته الله ومولود من الله الآب بطريقة تفوق الفهم، فإنه كان يزداد[١] باستمرار إلى مستوى المجد اللائق به، وكان الناس يتعجبون منه. ولهذا السبب قيل "ينبغي أن ذاك يزيد وأني أنا أنقص"، لأن مَن يظل في نفس حالته يبدو كأنه ينقص بالمقارنة بذلك الذي يتقدم في المجد باستمرار. ولأنه كان من الصواب أن الذي كان بالطبيعة الله ينبغي أن يتفوّق في القدرة والمجد على كل ما هو بشري، لذلك شرح لهم المعمدان قائلاً: "*الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، والذي من الأرض هو أرضي، ومن الأرض يتكلم*" (يو٣: ٣١). فمَن هو الذي يأتي من فوق وهو فوق الجميع لأنه هو الله؟ واضح أن المقصود هو كلمة الآب الوحيد الذي كان مماثلاً له ومساويًا له، ولكنه بسبب محبته للعالم وضع نفسه ونزل إلى حالتنا. لذلك إذ هو هكذا فينبغي أن يتفوّق بالضرورة على ذلك الذي من الأرض والذي هو معدود كواحد من بين الأشياء التي من الأرض، وهو مثلنا في الطبيعة. هكذا كان المعمدان، فإنه كان مستحقًا للمديح في فضيلته، وعظيمًا جدًّا في تقواه، وقد وصل إلى كمال كل بر، وكان مكرمًا وجديرًا بالإعجاب، ولأن الرب شهد له قائلاً "*لم يقُم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان*" (مت١١:١١)، ولكنه لم يكن من فوق، وأنا أعني أنه ليس من الجوهر الذي يفوق الكل، بل بالحرى كان من أسفل. مولود من

---

[١] أي يزداد في التفاف الناس حوله وإعجابهم به وهو في الجسد وهذا ليس ازديادًا للاهوت، فاللاهوت لا يزيد ولا ينقص (المعرب).

الأرض كواحد منَّا.

والآن لكي نعود من هذا الاستطراد نقول لأن قلبهم لم يكن حُرًّا من الأمراض اليهودية، فإنهم يخبرون المعمدان المبارك عن المعجزات الإلهية التي صنعها المخلص. وهو إذ كان يعرف مَن هو ذلك الذي فعل هذه المعجزات، وأنه ممجد بالحق في ذاته، وأن مجد المخلص ينتشر في كل مكان، ولأنه يريد أن ينشئ إيمانًا راسخًا به في قلوب أولئك الذين لا يزالون يعرجون ولم يكونوا مقتنعين بعد أنه المسيح، لذلك فإنه يتخذ مظهر الجهل ويرسل إليه تلاميذه ليسأله قائلاً "أنت هو الآتي أم ننتظر آخر".

ولكن ربما يقول البعض إن هناك أناسًا يفكرون أننا ينبغي أن نفهم شيئًا من هذا النوع كما يأتي: إن المعمدان كان مزمعًا أن يموت بواسطة هيرودس قبل أن يتم صلب المسيح، وكان سيسبق المسيح في موته كسابق ويصل قبله إلى الهاوية، لذلك فهو يسأل إن كان سيأتي هناك أيضًا لكي يفدي الذين في الظلمة، في ظل الموت والمربوطين برباطاته، ولكن هذا الرأي ينبغي أن يُرفض تمامًا لأننا لا نجد في أي مكان في الكتاب الموحى به من الله أن المعمدان الإلهي بشَّر مقدمًا بمجيء المخلِّص للأرواح التي في الهاوية، كما أننا يمكن أن نقول بحق، إنه كما عرف المعمدان مرة واحدة تأثير تدبير تجسد الابن الوحيد، فإنه يكون قد عرف أيضًا بالإضافة لأشياء أخرى، أنه سوف يفدي أولئك الذين في الهاوية. وسوف يضيئ عليهم إذ أنه "يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد" (عب٢: ٩) كما يقول بولس، حتى إنه "*يسود على الأحياء والأموات*" (رو١٤: ٩).

فماذا يريد أن يُفهم بسؤاله: "*أنت هو الآتي أم ننتظر آخر*؟" لقد قلت، إنه يتخذ الجهل عن قصد، ليس لكي يتعلم هو، إذ أنه كسابق كان قد عرف السر، وإنما لكي يقتنع تلاميذه بمقدار عظمة المخلِّص ورفعته، وأنه كما أعلن الكتاب الموحى به قبل ذلك، هو الله وأنه هو الرب الذي كان مزمعًا أن يأتي. أما كل الباقين فكانوا عبيدًا أُرسلوا قبل مجيء سيدهم كسابقين لذلك الذي هو فوق



الكل، ومُعِدِّين طريق الرب كما هو مكتوب. لذلك فالأنبياء القديسون، يدعون المخلِّص ورب الكل بلقب "الآتي". لأن داود النبي يقول في أحد المزامير "*مبارك الآتي باسم الرب*" (مز١١٨: ٢٦)، وماذا يعني تعبير "باسم الرب؟" إنه يعني بمجد إلهي، وبربوبية، وبكل جلال فائق، وهذا أيضًا أوضحه مرة أخرى في الآية التي تليها إذ يقول: "*الرب هو الله وقد أنار لنا*" (مز١١٨: ٢٧). لأن موسى قد جاء، وظهر في وقته وبواسطته أُعطِيَ الناموس للإسرائيليين، وبعده جاء يشوع بن نون الذي قاد الشعب، وبعد ذلك جاء الأنبياء المباركون على التوالي. لقد كانوا بالحقيقة أناسًا قديسين ومكرمين جدًا، وكانوا مشحونين ومُزوَّدين ببهاء روحي فائق، ولكن ولا واحد فيهم أنار على سكان الأرض باسم الرب، بالمجد الذي هو خاص باللاهوت والسيادة الإلهية، أما كلمة الله الوحيد فقد أنار علينا لكونه في طبيعته وبالحقيقة الله الرب. وهكذا أسماه الآب بواسطة حبقوق النبي قائلاً: "*بعد قليل سيأتي الآتي ولا يبطئ*" (حب٢: ٣س)، وأيضًا بواسطة نبي آخر يتكلم كلمة الله الوحيد قائلاً: "*ترنمي وافرحي يا بنت صهيون لأني هأنذا آتي وأسكن في وسطك يقول الرب. وتحتمي أمم كثيرة بالرب في ذلك اليوم،وأنا أكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا*" (زك٢: ١٠، ١١س). ويمكن أن نرى من الحقائق الفعلية أن هذا قد تم فعلاً لأن جماهير من الأمم قد أُمسِكتْ في الشبكة، والمسيح صار إلههم وهم صاروا له شعبًا.

فالمعمدان الإلهي إذ قد عرف من الكتاب الموحي به اسم "الآتي" فإنه أرسل بعض أصدقائه ليسأل: إن كان هو الآتي؟ والمسيح إذ بالطبيعة وبالحق هو الله لم يخفَ عنه غرض يوحنا المعمدان، وإذ عرف سبب مجيء تلاميذ يوحنا فإنه بدأ في ذلك الوقت خاصة يعمل معجزات إلهية أكثر بكثير مما كان قد فعلها قبل ذلك. فهكذا أخبرنا الإنجيل الحكيم قائلاً "*وفي تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة ووهب البصر لعميان كثيرين*". وإذ قد صاروا مشاهدين وشهود لعظمته، فقد صار لهم إعجاب عظيم بقوته

وإمكانياته. وعندئذ قدموا السؤال متوسلين باسم يوحنا بأن يرد عليهم إن كان هو الآتي. وهنا أرجو أن تلاحظوا الطريقة الجميلة في معاملة المخلص. لأنه لا يقول ببساطة أنا هو، رغم أنه لو قال هذا لكان صحيحًا، ولكنه بالحرى يقودهم إلى البرهان المعطى عن طريق الأعمال نفسها حتى إذا قبلوا الإيمان به على أساس جيد، ويكونون قد تزوّدوا بالمعرفة مما قد حدث أمامهم، فإنهم يمكن أن يرجعوا إلى ذلك الذي أرسلهم، إذ قال لهم الرب اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما. لأنكم قد سمعتم حقًّا أني قد أقمتُ الموتى بكلمة مملوءة قوة وبلمسة اليد، كما أنكم رأيتم أيضًا وأنتم واقفون أن تلك الأشياء التي تكلم عنها الأنبياء القديسون منذ القديم تتحقق: " *فالعمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون، والموتى يقومون والمساكين يبشرون*".

كل هذه الأشياء قد سبق الأنبياء المباركين وأعلنوها لكي تتم في حينها على يدي. فإن كنتُ أُتمّم تلك الأشياء التي سبق التنبؤ بها منذ زمن طويل، وأنتم أنفسكم شهود لهذه الأشياء التي تحدث، فارجعوا وأخبروا بتلك الأشياء التي رأيتموها بأعينكم تتحقق بقوتي وقدرتي والتي سبق الأنبياء المباركين وأخبروا بها في أوقات مختلفة. ثم بعد ذلك أضاف بالضرورة قائلاً " *وطوبى لمن لا يعثر فيّ*" لأن اليهود قد عثروا، إما بسبب أنهم لم يعرفوا عمق السر أو بسبب أنهم لم يسعوا أن يعرفوا. فرغم أن الكتاب الموحي به سبق أن أعلن في مواضع كثيرة أن كلمة الله سينزل نفسه إلى الإخلاء وسوف يُرَى على الأرض مشيرًا بوضوح إلى الوقت الذي صار فيه مثلنا وهو يبرر بالإيمان كل ما هو تحت السماء، ومع ذلك فإنهم عثروا فيه " *واصطدموا بصخرة العثرة، وسقطوا وسُحقوا تمامًا*" (إش٨: ١٤). فرغم أنهم يرونه بوضوح متوشحًا بكرامة لا يُعبَّر عنها ومجد يفوق الوصف بواسطة الأعمال العجيبة التي عملها، فإنهم ألقوا حجارة عليه وقالوا: "لماذا وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا"؟ وجوابًا على هذه الأمور وبَّخ المسيح ضعف ذهنهم الشديد وقال: " *إن كنتُ لستُ أعمل*



أعمال أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنتُ أعمل، فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال" (يو١٠: ٣٧، ٣٨). لذلك فطوبى لمن لا يعثر في المسيح، أي طوبى لمن يؤمن به.

وما هي الفائدة التي ننالها من هذا وبأية طريقة تنفع بالوصول إلى الإيمان به؟ كل واحد يعرف بلا شك ولكن هذا لا يمنع أن نُعدِّد بعض الأمور. فأولاً نحن بالحقيقة نحصل على نور معرفة الله الحقيقية. ثم بعد ذلك حينما نغتسل من أوساخ الخطية بواسطة المعمودية المقدسة، وإذ نتطهر لكي نخدمه بطهارة، فإننا نصير أيضًا شركاء طبيعته الإلهية، ونربحه ليسكن في داخلنا بالحصول على شركة الروح القدس. وأيضًا نصير أبناء الله، ونكتسب لأنفسنا الأخوّة مع ذلك الذي هو الابن بالطبيعة وبالحق. وبالإضافة إلى هذه الأشياء فإننا نتمجد ونرتفع إلى ميراث القديسين، ونسكُن في غبطة بالتمتع بتلك البركات التي تُمنح لأولئك الذين يحبونه، والتي يعلن بولس الإلهي أنها تفوق الفهم والوصف بقوله: "*ما لم تره عين، وما لم تسمع به أذن، وما لم يخطر على قلب بشر ما أعده الله للذين يحبونه*" (١كو٢: ٩)، ونحن نُحسب أيضًا مستحقين لتلك الأمور بنعمة ومحبة ذاك الذي يعطي لكل واحد كل الأشياء بسخاء. وأعني به المسيح الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور.

عظة (٣٨)

الأصغر في ملكوت الله أعظم منه

(لو ٧: ٢٤- ٢٨) "*فَلَمَّا مَضَى رَسُولاَ يُوحَنَّا، ابْتَدَأَ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ عَنْ يُوحَنَّا: مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِتَنْظُرُوا؟ أَقَصَبَةً تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ؟ بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَإِنْسَانًا لاَبِسًا ثِيَابًا نَاعِمَةً؟ هُوَذَا الَّذِينَ فِي اللِّبَاسِ الْفَاخِرِ وَالتَّنَعُّمِ هُمْ فِي قُصُورِ الْمُلُوكِ. بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَنَبِيًّا؟ نَعَمْ، أَقُولُ لَكُمْ: وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيٍّ! هذَا هُوَ الَّذِي كُتِبَ عَنْهُ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ! لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ لَيْسَ نَبِيٌّ أَعْظَمَ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ، وَلكِنَّ الأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِذْ سَمِعُوا وَالْعَشَّارُونَ بَرَّرُوا اللهَ مُعْتَمِدِينَ بِمَعْمُودِيَّةِ يُوحَنَّا. وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ وَالنَّامُوسِيُّونَ فَرَفَضُوا مَشُورَةَ اللهِ مِنْ جِهَةِ أَنْفُسِهِمْ، غَيْرَ مُعْتَمِدِينَ مِنْهُ* ".

أنتم الذين تعطَشون لمعرفة التعاليم الإلهية افتحوا مرة أخرى مخازن عقولكم واشبعوا أنفسكم بالكلمات المقدسة أو بالحرى لا تستسلموا لأي إحساس بالشبع هنا، لأن النهم في الأمور التي تبني هو صفة جديرة بالاقتناء. دعونا إذًا نقترب من كلمات المخلِّص، ليس بإهمال ولا بدون استعداد لائق، بل بذلك الانتباه وتلك اليقظة التي تناسب أولئك الذين يريدون أن يتعلموا، لأنه بهذا يمكن أن تكون موضوعات التأمل هذه التي يصعب فهمها، تُفهم بطريقة صحيحة. لذلك دعونا نسأل من المسيح أن يعطينا ذلك النور الذي ينزل على العقل والقلب لكي إذ نستطيع بطريقة صائبة أن نفهم قوة ما يُقال فإننا نعجب مرة أخرى بالمهارة الجميلة لعمله، لأنه سُئل بواسطة تلاميذ يوحنا إن كان هو الآتي؟ وحينئذ حينما أجابهم بطريقة مناسبة وأمرهم أن يرجعوا إلى الذي أرسلهم، بدأ يكلم الجموع عن يوحنا قائلاً: " *ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا؟ أقصبة تحركها الريح*؟" وما هو التعليم الذي نأخذه من هذا؟ أو ما هي الغاية التي تشير إليها كلمات المخلِّص؟ إنه أمر جدير بأن نسأل عنه؟ لذلك دعونا



نفتِّش عن معنى ما قيل، دعونا نبحث عنه ككنز، دعونا نفتش عن أسراره، ونثبت ذهننا على عمق السر، دعونا نكون مثل الصيارفة الحريصين، المدققين نمتحن كل شيء"، كما يقول الكتاب (١تس٥: ٢١).

كان هناك البعض يستكبرون بسبب ممارستهم لما يطلبه الناموس مثل الكتبة والفريسيين وآخرين من حزبهم الذين كانوا يُعتبرون بحسب مهنتهم حافظين مدققين للناموس، وكانوا على هذا القياس يطلبون أن تُزيَّن رؤوسهم بالكرامات. وهذا هو السبب في أنهم لم يقبلوا الإيمان بالمسيح ولا أعطوا تكريمًا لطريقة الحياة التي هي بالحق ممدوحة وبلا لوم، تلك الحياة التي تنظمها وصايا الإنجيل. لذلك فكان غرض المسيح مخلِّص الكل أن يُبيِّن لهم أن الكرامات الخاصة بالخدمة الدينية والأخلاقية التي حسب الناموس هي ذات قيمة صغيرة وليست جديرة بالسعي للوصول إليها، أو حتى ربما هي لا شيء بالمرَّة وغير نافعة للبنيان، بينما النعمة التي بواسطة الإيمان به هي عربون البركات الجديرة بالإعجاب، وهي قادرة أن تُزيِّن أولئك الذين يملكونها بمجد لا يقارن.

كثيرون كما قلت كانوا حافظين للناموس ومنتفخين جدًّا لهذا السبب، بل ويصرحون أنهم قد وصلوا إلى كمال ما هو جدير بالمدح بممارستهم بدقة للبر الذي يتكون من ظلال ورموز. لذلك فلكي يبرهن أن أولئك الذين يؤمنون به هم أفضل وأعلى منهم وأن أمجاد تابعي الناموس هي بالتأكيد قليلة جدًّا بالمقارنة بنموذج الحياة الإنجيلية، فإنه يتخذ ذاك الذي هو أفضلهم جميعًا ولكنه مع ذلك مولود من امرأة، وأنا أعني المعمدان المبارك. وإذ قد أكد أنه نبي، أو بالحرى أعلى من درجة الأنبياء وأنه بين أولئك المولودين من النساء ليس هناك من هو أعظم منه في البر، أي البر الذي بالناموس، وهو يُعلِن أن الذي هو أصغر من مقياسه، أي أقل منه في البر الذي بالناموس ــ هو أعظم منه ــ ليس أعظم من البر الذي بالناموس، بل أعظم في ملكوت الله، أي في الإيمان



والأمجاد التي تنتج عن الإيمان، لأن الإيمان يُتوِّج أولئك الذين ينالونه بأمجاد تفوق الناموس.

وهذا أنتم تعلمونه وسوف تؤكدون أنتم بأنفسكم، حينما تقابلون كلمات المبارك بولس، لأنه إذ قد أعلن بنفسه أنه حُر من اللوم في البر الذي بالناموس، فإنه أضاف بعد ذلك " *ولكن ما كان لي ربحًا فهذا قد حسبته من أجل المسيح خسارة، بل إني أحسب كل شيء أيضًا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربي الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكي أربح المسيح. وليس لي بري الذي من الناموس، بل الذي بإيمان يسوع المسيح*" (في٣: ٧ـ٩). وهو يعتبر الإسرائيليين مستحقين للوم عظيم، ولذلك يقول " *إذ كانوا يجهلون بر الله*"، أي الذي بالمسيح "*ويطلبون أن يُثبتوا بر أنفسهم*"، أي الذي بالناموس "*فإنهم لم يُخضعوا لبر الله*" (رو١٠: ٣). "*لأن غاية الناموس هي المسيح للبر لكل من يؤمن*" (انظر رو١٠: ٤). وأيضًا حينما يتكلم عن هذه الأمور يقول" *نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة، إذ نعلم أن الإنسان لا يتبرَّر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح، آمنا نحن أيضًا بيسوع المسيح لنتبرَّر فيه*" (غل٢: ١٥، ١٦). لذلك فالتبرير بالمسيح أي بالإيمان به، يفوق أمجاد البر بالناموس، لهذا السبب فهو يُبرز المعمدان أمام الجميع كواحد قد وصل إلى أعلى مكانة في البر بالناموس، وهو مستحق لمديح لا يقارن. ومع ذلك فإنه يُحسب كأقل من الذي هو أصغر منه، لأنه يقول "إن الأصغر أعظم منه في ملكوت الله". ولكن ملكوت الله كما أوضحنا يشير إلى النعمة التي بالإيمان، التي بواسطتها نُحسب مستحقين لكل بركة، ونُحسب أهلاً لامتلاك المواهب الغنية التي تأتي من فوق من الله، لأن النعمة تُحرِّرنا من كل لوم، وتجعلنا أن نكون أبناء الله، وشركاء الروح القدس وورثة الميراث السماوي.

وإذ قلنا هذا كمقدمة، كنوع من التمهيد لذلك لكي نشرح ارتباط الأفكار، تعالوا الآن ودعونا نفحص الكلمات نفسها. وكما سبق أن قلتُ هو يرفع



المعمدان الإلهي إلى درجة أعظم ويتوِّج السابق بكرامات فائقة عن قصد. وذلك لكي ما يتعجبوا بالأكثر بالإيمان، الذي يجعل المؤمنين تكون لهم عظمة تفوق الناس البارزين كالمعمدان. وهو يسأل اليهود بعد ذلك قائلاً " *ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا؟ أقصبة تحركها الريح؟*" والآن هو يقارن القصبة التي هي شيء يهتز ذهابًا وإيابًا بواسطة شدة الريح، يقارنها بالإنسان الذي يعيش في كرامات ولذَّات عالمية، وفي عظمة سيادة زمنية. لأنه بالنسبة لهؤلاء الأشخاص لا يوجد شيء راسخ أو ثابت أو لا يهتز، بل تتغير الأمور دائمًا بطريقة غير متوقعة وبصورة لم يكونوا يفكرون فيها مقدمًا، " *وكل مجد إنسان كزهر عشب، العشب ييبس وزهره سقط*" (١بط١: ٢٤). ويقول هل تذهبون إذًا إلى البرية لتنظروا إنسانًا مثل القصبة؟ إن المعمدان ليس هكذا، بل هو من نوع مختلف، وهو ليس من أولئك الذين يحيون في ملذات، أو الذين يرتدون ملابس فاخرة، ويُسرون بالكرامة الصبيانية، ونحن لا نرى مثل هؤلاء الأشخاص يسكنون في البرية بل في قصور الملوك. أما لباس المعمدان المبارك فكان من وبر الإبل ومنطقة من جلد على حقويه.

فماذا إذًا ذهبتم لتنظروا؟ ربما تقولونَ نبي، نعم أنا أوافق لأنه قديس ونبي. لا بل هو يفوق كرامة النبي، فهو ليس فقط قد أعلن مسبقًا أني سآتي، بل أشار إليَّ عن قرب قائلاً "*هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم*" (يو١: ٢٩). وبالإضافة إلى ذلك فإن صوت النبي شهد عنه أنه "*مُرسل أمامي ليعد الطريق قدامي*" (انظر ملا٣: ١)، وأنا أشهد له أنه لم يقم بين المولودين من هو أعظم منه، ولكن الأصغر وأعني الأصغر في الحياة حسب الناموس، هو في ملكوت الله أعظم منه. كيف وبأي طريقة؟ بأن يوحنا المبارك هو وكثيرين من الذين سبقوهم مولودون من النساء ولكن الذين نالوا الإيمان لا يعودون يُدعون مواليد النساء، بل كما يقول الإنجيلي الحكيم هم مولودون من الله لأنه يقول: " *وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أبناء الله، أي المؤمنون باسمه،*

الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل، بل من الله" (يو ١: ١٢، ١٣). لأننا قد وُلدنا ثانية بالتبني لنكون بنين *"ليس من زرع يفنى بل بكلمة الله الحي الباقي إلى الأبد"* كما يقول الكتاب (١بط١: ٢٣)، فأولئك الذين ليسوا من زرع يفنى، بل بالعكس قد وُلدوا من الله هم أعظم من أي واحد مولود من امرأة.

فتوجد ناحية أخرى أيضًا يتفوّقون فيها على أولئك المولودين من النساء، لأن هؤلاء لهم آباء أرضيين، أما نحن فلنا ذلك الذي هو فوق في السماء. لأننا قد نلنا هذا أيضًا من المسيح، الذي يدعونا إلى تبني البنين والأخوّة معه، لأنه قد قال *" لا تدعوا لكم أبًا على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السموات وأنتم جميعًا إخوة"* (مت٢٣: ٨، ٩)، وبولس الحكيم جدًّا يعطينا تأكيدًا لهذا إذ يكتب هكذا *"ثم بما أنكم أبناء، أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخًا يا أبّا الآب"* (غل٤: ٦). لأنه حينما قام المسيح وأباد الجحيم فحينئذ أعطي روح التبني لأولئك الذين آمنوا به، وأول الكل أعطى للتلاميذ القديسين. لأنه نفخ فيهم وقال *" اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تُغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أُمسكَت"* (يو٢٠: ٢٢). ولأنهم صاروا شركاء الطبيعة الإلهية بسبب أنهم توشحوا بغنى بروح السيادة الضابط الكل، لذلك أعطاهم أيضًا قوة إلهية لغفران خطايا البعض وإمساك خطايا آخرين.

ويوضّح الإنجيلي الحكيم جدًّا يوحنا أنه لم يكن هناك روح تبني قبل قيامة المسيح من الأموات وصعوده إلى السماء حيث يقول *" لأن الروح لم يكن قد أُعطيَ بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد"* (يو٧: ٣٩). وكيف يمكن أن يكون الروح غير مساوٍ في الأزلية للآب والابن؟ فمتى لم يكن هو الذي قَبل الكل؟ لأنه مساوٍ في الجوهر للآب والابن. ولكنه يقول *" لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد"*، أي لم يكن قد قام من الأموات وصعد إلى السموات. لذلك فروح التبني لم يكن موجودًا في الناس بعد. ولكن حينما صعد كلمة الله الوحيد إلى السماء



أرسل المعزي من فوق بدلاً عنه، والذي هو فينا بواسطته (بواسطة المسيح)، وهذا هو ما علّمنا إياه قائلاً هكذا "*إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعزي، ولكن أن ذهبتُ سوف أرسله إليكم*" (يو١٦: ٧). لذلك حتى لو كنا أقل من أولئك الذين قد تمّموا البر الذي بالناموس، وأنا أعني أقل في بر الحياة، إلا أننا نحن الذين نلنا الإيمان بالمسيح قد تزوّدنا بامتيازات أعظم، وينبغي أن نضع في أذهاننا أنه رغم أن المعمدان المبارك كان عظيمًا هكذا في الفضيلة، إلا أنه اعترف بوضوح أنه محتاج للمعمودية المقدسة، لأنه قال في موضع ما متحدثًا إلى المسيح مخلصنا جميعًا: "*أنا احتاج أن أعتمد منك*" (مت٣: ١٤)، ولكنه لو كان غير محتاج للمعمودية المقدسة ما كان قد طلب أن تُمنح له، لو لم يكن فيها أمر أعظم وأفضل من البر الذي بالناموس.

لذلك فالمسيح لا يجادل ضد كرامات القديسين وليس هدفه أن يقلل أو أن يصغّر من قيمة أولئك الرجال القديسين الذين قد وصلوا سابقًا إلى النصرة، بل كما قلت إنه بالحري يُبرهن أن طريقة الحياة الإنجيلية هي أعلى من العبادة الناموسية، وأن يتوّج الإيمان بكرامات فائقة، وذلك لكي ما نؤمن به جميعًا. لأننا هكذا ندخل بواسطته ومعه إلى ملكوت السموات، والذي به ومعه لله الآب كل تسبيح مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

عظة (٣٩)
قداسة المعمدان وقداسة المسيح

(لو ٧: ٣١- ٣٥) *"ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ: فَبِمَنْ أُشَبِّهُ أُنَاسَ هذَا الْجِيلِ؟ وَمَاذَا يُشْبِهُونَ؟ يُشْبِهُونَ أَوْلاَدًا جَالِسِينَ فِي السُّوقِ يُنَادُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيَقُولُونَ: زَمَّرْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَرْقُصُوا. نُحْنَا لَكُمْ فَلَمْ تَبْكُوا. لأَنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ لاَ يَأْكُلُ خُبْزًا وَلاَ يَشْرَبُ خَمْرًا، فَتَقُولُونَ: بِهِ شَيْطَانٌ. جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَتَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ، مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ. وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ جَمِيعِ بَنِيهَا"*.

الذين لهم عقل سليم يفحصون كل شيء، ويرفضون ما هو زائف، لكنهم يقبلون ويمدحون ما هو بلا لوم. وهذا أيضًا ما يطلبه منا بولس الحكيم، حيث كتب قائلاً: "*كونوا حكماء، امتحنوا كل شيء، تمسَّكوا بالحسن، امتنعوا عن كل شبه شر*" (اتس٥: ٢١). لذلك وكما قلت ينبغي لنا نحن أيضًا أن نفحص بتدقيق، وبعين العقل المميِّزة كل ما يُفعل، ونبحث في طبيعة الأفعال، لكي نوافق على ما هو بلا لوم بينما نرفض ما هو زائف. ولكن إذا لم نميز بين الأشياء فإننا نتعرض لخطورة إصدار حكم رديء على أشياء مستحقة للمدح جدًّا، وأن نحسب ما هو شرير أنه لائق للإطراء والتصفيق، وعندئذ تنطبق علينا كلمات النبي: "*ويل للقائلين للشر خيرًا وللخير شرًا، الجاعلين الظلام نورًا والنور ظلامًا، الجاعلين المُر حلو والحلو مرًّا*" (إش٥: ٢٠). هكذا كانت صفة الإسرائيليين وخاصة أولئك الذين كانوا رؤساء لهم، أي الكتبة والفريسيين الذين عنهم قال المسيح "*بماذا أشبه أناس هذا الجيل؟*".

ربما كان هناك نوع من اللعب بين أولاد اليهود أو شيء من هذا النوع بمجموعة من الشباب كانت تقسم إلى قسمين، وكانوا يلعبون ويخلطون الأمور بعضها ببعض، وكانوا ينتقلون سريعًا من حالة إلى أخرى مما هو مفرح إلى ما هو محزن، وكان بعضهم يلعب على آلات الموسيقى بينما البعض الآخر



كانوا ينوحون. فالنائحون لم يكونوا يشاركون فرح أولئك الذين يلعبون الموسيقى ويُهللون، ولا أيضًا أصحاب الآلات الموسيقية كانوا يشتركون في حزن أولئك الذين يبكون، وأخيرًا لاموا بعضهم بعضًا لعجزهم عن التعاطف مع بعضهم البعض أي على غياب الشعور المشترك لأن فريقًا منهم يقول "*زمَّرنا لكم فلم ترقصوا*" فيرد عليهم الفريق الآخر "*نحنا لكم فلم تبكوا*".

لذلك فالمسيح يُعلِن أن الجمهور اليهودي وقادتهم كانوا في حالة من الشعور شبيهة بهذه، لأنه يقول " *جاء يوحنا المعمدان لا يأكل خبزًا ولا يشرب خمرًا فيقولون، به شيطان، جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب فيقولون هوذا إنسان أكول وشريب خمر ومُحب للعشارين والخطاة*". أيها الفريسي الغبي بأي طريقة إذًا يمكن أن تُربح إلى الإيمان، وأنت هكذا تلوم كل الأشياء بلا تفريق، ولا تعتبر أي شيء مستحقًا للمديح؟ فالمعمدان المبارك كان سابقًا للمخلص، مناديًا قائلاً "*توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الله*" (مت٣: ٢)، لأنه كان رَجلاً يستحق أن ينال الثقة، وهو قادر على الإقناع، حتى أنهم هم أنفسهم شهدوا له أن حياته كانت نبيلة وجديرة بالإعجاب. فهو قد سكن في البراري وكان يرتدي ثيابًا فقيرة وخشنة وبالكاد كان يُلبِّي ضرورات جسده بالجراد والعسل البري. وأنتم قد خرجتم لتروه كشخص قديس، وقد وصل إلى كمال كل فضيلة، فهل تجرؤ أيها الفريسي بعد ذلك أن تتكلم رديئًا عن فِعل هذا الشخص وهو شخص ينبغي بالحرى أن يحسب مُستحقًا لكل إعجاب؟ هل تقول إن به شيطان وهو الذي كان بالأصوام يميت قانون الخطية الذي في أعضائنا الجسدية المحارب ضد ناموس ذهننا؟ (انظر رو٧: ٢٣)، وهل هناك ما هو أعظم من حياة التعفف؟ لأنه كونه قادرًا أن ينتهر بحكمة تلك اللذات التي تقود إلى الشر وأن يعيش حياة زهد وتعفف، فكيف لا يكون هذا عظيمًا وباهرًا؟

إن المعمدان المبارك كان مكرسًا كلية في تقواه نحو المسيح، ولم يكن يوجد فيه أقل اعتبار للشهوات الجسدية، أو لأمور هذا العالم، لذلك فهو إذ تخلى



تمامًا عن ارتباكات هذا العالم الباطلة وغير النافعة فإنه عمل في أمر واحد بكل اهتمام وهو أن يُتمِّم بلا لوم الخدمة التي أؤتمن عليها. لأنه قد أُمِرَ أن يكرز قائلاً "*أعدوا طريق الرب*" (إش٤٠: ٣). أخبرني هل أنت تظن أن هذا الإنسان به شيطان، وهو إنسان ليس للشيطان سلطان عليه، وهو ليس أسيرًا لأي شهوة شريرة، وهو قد قفز فوق كل شراك حب الجسد الوضيع، وهو قد أمر جموع الشياطين أن تسكت، وقاوم هجماتهم برجولة؟ فإنه في الحقيقة لم يكن ليصل لهذا المجد وتلك الفضيلة إلا بواسطة المسيح، الذي هو مُمجَّد ومرتفع جدًّا فوق الشيطان، الذي يجرِّب القديسين ويصر بأسنانه على نجاحهم. ألا تخجل إذًا من أن تشتم واحدًا قد وصل إلى مثل هذا الصبر العظيم والاحتمال الكبير، وله حول رأسه أكاليل من الفضيلة الرجولية؟ هل تُحرِّك لسانك ضده وتتجاسر بوقاحة أن تفتري عليه، بأن تقول إنه إنسان مجنون، وتافه وليس مالكًا لقواه العقلية؟

ثم دعونا نرى، مَن هو على الناحية الأخرى، وما يبدو كأنه يتبع طريقًا مختلفًا عن سلوك المعمدان، فالمسيح لم يكن في البرية، بل بالحرى جعل مسكنه في المدينة بصحبة رسله القديسين، هو لم يأكل جرادًا وعسلاً بريًّا، وثيابه لم تكن من وبر الإبل، ولم يكن له منطقة من جلد على حقويه. وطريقة حياته بالحري كانت كالطريقة المعتادة في المدن، ولم يكن فيها خشونة مثل تلك التي كان يمارسها المعمدان القديس. فهل أنت إذًا تمدحه على الأقل، وهل توافق على سهولة طريقته، واختلاطه بحرية مع الآخرين، وعدم اهتمامه بالمرة من جهة طعامه؟ لا أظن، فإن ميلك إلى النقد القاسي يمتد حتى إلى المسيح. فأنت تقول أيها الفريسي "*هوذا إنسان أكول، وشريب خمر، محب للعشارين والخطاة*"، فهل بسبب أنه تصادف أنك رأيت يسوع يأكل مثل الناس، فهو يبدو لك أنه شريب خمر وأكول؟ كيف يمكنك أن تُثبت ذلك لأنه حينما قامت مرَّة مريم ومرثا باستقباله في بيت عنيا، وكانت واحدة منهما منشغلة



بخدمة كثيرة، فإننا نرى المسيح يمنع المبالغة والزيادة، ويدعو إلى ما هو ضروري فقط، لأنه قال " *مرثا مرثا أنت تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة ولكن الحاجة إلى أشياء قليلة، أو إلى واحد*" (انظر لو١٠: ٤١). وهكذا كان هو دائمًا وفي كل مكان.

ولكن هل أنت تتهم المسيح بسبب أنه كان يمشي مع العشارين والخطاة؟ وهل هذا هو سبب استيائك؟ ولكن أي ضرر يمكن أن نتخيله أصاب المسيح من ترحيبه أن يكون مع الخطاة؟ فهو لم يكن معرّضًا بأن يتأثر بخطاياهم لأنه كان فوق كل خطية تمامًا. حتى أنه قال مرة "*رئيس هذا العالم يأتي وليس له فيَّ شيء*" (يو١٤: ٣٠)، وفي مرة أخرى قال " *من منكم يبكتني على خطية؟*" (يو٨: ٤٦). لذلك فهو لا يمكن أن يتلوث من أي ناحية بوجوده مع الخطاة.

ولكنك تقول أيها الفريسي، إن ناموس موسى أمر أننا " لا ينبغي أن نتكلم مع الأشرار". دعونا إذًا ندرس موضوع الناموس، ودعونا نرى لأي سبب منع الإسرائيليين أن يتحدثوا مع الأشرار، ويختلطوا مع الخادعين. والآن فإن الحقيقة بالتأكيد هي، أن ناموس موسى أمر بهذه الأشياء، ليس لكي تتفاخر بنفسك على الآخرين، وتجعل الوصية سببًا للانتفاخ، بل بالحرى بسبب أن ذهنك ضعيف وأنت منجذب إلى الحماقة، وبسبب أن قلبك يجري بإرادته وراء اللذات الشريرة فإن الناموس يحفظك من الرغبة في أن تكون مع أولئك الذين حياتهم تستحق اللوم، لئلا تصير مثلهم في ذهنك وتُقتنَص بغباوة في فخهم " *لأن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة*" (١كو١٥: ٢٣). لذلك فأنت قد استلمت الوصية كحارس لضعفك، فلو أنك كنت قد تأسَّست في الفضيلة، ولو كان عقلك ثابتًا في مخافة الله لَمَا كان الناموس يمنعك من أن تتحدث حديثًا نافعًا مع أولئك الذين هم ضعفاء، وذلك لكي ما يصيروا متمثلين بتقواك ويتعلموا أن يتشبهوا بأعمالك، حتى أنهم إذ يسيرون في خطوات غيرتك، يمكن أن يتقدموا إلى ما هو أكثر فضلاً وسموًا. لذلك فلا تتخيل تخيلات

متكبرة، إذ أنه حتى في وصية موسى أنت متهم بالضعف.

أنت تلوم المسيح لسيره مع الخطاة والعشارين: هل أنت تفعل ذلك لئلا يتأثر بنجاستهم؟ لذلك أخبرني هل أنت تتخيل أنه يشترك أيضًا في ضعفك؟ هل أنت جاهل تمامًا بالأسرار الخاصة به؟ وهي أن الكلمة إذ هو الله صار معنا، أي تجسد لأجلنا، وأن الآب أرسله " *لا ليدين العالم، بل ليخلص به العالم*" (يو٣: ١٧). لأن مَن يدين، هو الذي يتحاشى صحبة مثل هؤلاء الذين لا زالوا في خطاياهم، أما الذي يريد أن يخلّص فإنه يكون معهم ويحثهم ويؤثر عليهم ليتغيروا من مسالكهم المشينة، وأن يختاروا الطريق المؤدي إلى الحياة الأبدية بدلاً من طريق الشر. إنه لم " *يأتِ ليدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة*" (لو٥: ٣٢)، وكما قال هو نفسه " لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب، بل المرضى ". لذلك فلماذا تلومه على محبته للإنسان هكذا وتنتقده على لطفه الإلهي؟ لماذا توبخه على كونه شفوقًا بنا، وشافيًا لمرضنا؟

إن كل إنسان يمدح الأطباء، ليس حينما يتحاشون الاختلاط بالمرضى، بل حينما يكونون معهم دائمًا، وبوسائل فهمهم الخاص يعودون بهم بالتدريج إلى الصحة التامة. وإذا كان يسوع هو طبيب النفوس والأرواح، فلماذا تلومه لتخليصه الخطاة؟ إنه لا يمكن أن يتلوث، حتى لو أكل مع الخطاة، لأن الشمس الساطعة ترسل أشعتها وتدخل إلى كل شيء تحت السماء، ويحدث إذًا أن القاذورات تتعرض لتأثيرها، أما الشمس التي ترسل إشعاعها فهي لا تتلوث بالمرة رغم أنها تسطع على مواد كريهة جدًا. إن ربنا يسوع المسيح هو شمس البر، ولا يستطيع إنسان شرير مهما كان أن يُلوِّثه حتى لو كان قريبًا بجواره ويأكل معه.

هذا ما نقوله فيما يخص المسيح مخلصنا جميعًا. ولكن مع ذلك ربما يعترض البعض ويقول أليست أيضًا كرازة الإنجيل الجديدة والمخلِّصة توصينا بوضوح أن نبتعد عن الاتصال بالناس غير الطاهرين؟ لأن بولس الحكيم جدًا



كتب أيضًا للبعض "*كتبتُ إليكم في الرسالة أن لا تخالطوا الزناة، إن كان أحد مدعوًا أخًا زانيًا أو سكيرًا أو خاطفًا أو عابد وثن فلا تؤاكلوا مثل هذا*" (١كو٥: ٩، ١١). لذلك فقد كان مناسبًا للمسيح أن يكون مثالاً لنا في هذا السلوك. لقد فقدتَ مقياسك الذي تقيس به أيها الأخ المحبوب! وأنتَ ترغب أن تنافس كرامة سيدك العالية، وأنتَ تمسك بما يفوق طبيعتك جدًّا، فلاحظ ضعف ذهنك، فإن المسيح إله أما أنت فإنسان تتسلط عليك اللذات الجسدية وذهنك ينخدع بسهولة للضلال، ويصير فريسة سهلة للخطايا. ومع ذلك فإذا شعرتَ بثقة في قدرتك الشجاعة أن تسير في سلوك بلا لوم، وأيضًا أن تعظ الآخرين، فمع ذلك ليس هناك ما يستطيع أن يمنعك من أن تشتهي أن تكون مع الأشرار ومحبي الخطية، فإن نصائح الرجال الروحانيين كثيرًا ما أفادت أولئك الذين في الخطية. وبالعكس فإن كنتَ أنت نفسك لا تخلص بسهولة حتى حينما تحفظ نفسك بعيدًا من رفقة الشر، فإنك يجب أن تكون حريصًا في هذه الناحية. تذكر كاتب كتاب الأمثال الذي يقول "*المساير الحكماء يصير حكيمًا، ورفيق الجُهال يُضر*" (أم١٣: ٢٠). وأيضًا يقول داود المبارك "*مع الرجل الكامل تكون كاملاً، ومع الطاهر تكون طاهرًا ومع الأعوج تكون ملتويًا*" (مز١٨: ٢٥، ٢٦).

"*فلكي تنجو مثل الظبي من الشباك*" (انظر أم٦: ٥س)، وتهرب من الناس الأشرار، فابتعد عن أولئك الذين لا يستطيعون أن يمتنعوا عن النجاسة، وتوسل إلى المسيح أن يطهر أي شيء فاسد فيك، ويعينك في كل ضعفاتك البشرية لأن الكلمة الذي جاء من الله هو إله، رغم أنه صار جسدًا، أي صار إنسانًا، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٤٠)

لقاء المرأة الخاطئة بالمسيح في بيت الفريسي

(لو ٧: ٣٦- ٥٠) "وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ، فَدَخَلَ بَيْتَ الْفَرِّيسِيِّ وَاتَّكَأَ. وَإِذَا امْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً، إِذْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُتَّكِئٌ فِي بَيْتِ الْفَرِّيسِيِّ، جَاءَتْ بِقَارُورَةِ طِيبٍ وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ بَاكِيَةً، وَابْتَدَأَتْ تَبُلُّ قَدَمَيْهِ بِالدُّمُوعِ، وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا، وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتَدْهَنُهُمَا بِالطِّيبِ. فَلَمَّا رَأَى الْفَرِّيسِيُّ الَّذِي دَعَاهُ ذلِكَ، تَكَلَّمَ فِي نَفْسِهِ قِائِلاً: لَوْ كَانَ هذَا نَبِيًّا، لَعَلِمَ مَنْ هذِهِ الامْرَأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: يَاسِمْعَانُ، عِنْدِي شَيْءٌ أَقُولُهُ لَكَ. فَقَالَ: قُلْ، يَامُعَلِّمُ. كَانَ لِمُدَايِنٍ مَدْيُونَانِ. عَلَى الْوَاحِدِ خَمْسُمِئَةِ دِينَارٍ وَعَلَى الآخَرِ خَمْسُونَ. وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَا يُوفِيَانِ سَامَحَهُمَا جَمِيعًا. فَقُلْ: أَيُّهُمَا يَكُونُ أَكْثَرَ حُبًّا لَهُ؟ فَأَجَابَ سِمْعَانُ وَقَالَ: أَظُنُّ الَّذِي سَامَحَهُ بِالأَكْثَرِ. فَقَالَ لَهُ: بِالصَّوَابِ حَكَمْتَ. ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْمَرْأَةِ وَقَالَ لِسِمْعَانَ: أَتَنْظُرُ هذِهِ الْمَرْأَةَ؟ إِنِّي دَخَلْتُ بَيْتَكَ، وَمَاءً لأَجْلِ رِجْلَيَّ لَمْ تُعْطِ. وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ غَسَلَتْ رِجْلَيَّ بِالدُّمُوعِ وَمَسَحَتْهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا. قُبْلَةً لَمْ تُقَبِّلْنِي، وَأَمَّا هِيَ فَمُنْذُ دَخَلْتُ لَمْ تَكُفَّ عَنْ تَقْبِيلِ رِجْلَيَّ. بِزَيْتٍ لَمْ تَدْهُنْ رَأْسِي، وَأَمَّا هِيَ فَقَدْ دَهَنَتْ بِالطِّيبِ رِجْلَيَّ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَقُولُ لَكَ: قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ، لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا. وَالَّذِي يُغْفَرُ لَهُ قَلِيلٌ يُحِبُّ قَلِيلاً. ثُمَّ قَالَ لَهَا: مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ. فَابْتَدَأَ الْمُتَّكِئُونَ مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: مَنْ هذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيْضًا؟. فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ، اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ".

"*يا جميع الأمم صفقوا بأيديكم، اهتفوا لله بصوت الابتهاج والشكر*" (مز ٤٧: ١س). وما هو سبب هذا الابتهاج؟ إنه بسبب أن المخلص هنا أنشأ لنا طريقًا للخلاص لم يسر فيه الذين في القديم. لأن الناموس الذي وضعه موسى الحكيم كان لتوبيخ الخطية لإدانة التعديات، ولكنه لم يبرر مطلقًا أي أحد. لأن بولس الحكيم يكتب ويقول "*من خالف ناموس موسى فعلى فم شاهدين أو ثلاث شهود يموت بدون رأفة*" (عب١٠: ٢٨). أما ربنا يسوع المسيح فإذ قد أبطل لعنة الناموس وجعل الوصية التي تدين بلا قوة



وغير فعَّالة، "*صار رئيس كهنتنا الرحيم*" بحسب كلمات بولس المبارك (عب ٢: ١٧)، لأنه يبرِّر الخطاة بالإيمان، ويطلق المأسورين بالخطية أحرارًا. وهذا أعلنه لنا بواسطة أحد الأنبياء القديسين قائلاً "*في ذلك الوقت يقول الرب، سيبحثون عن خطية إسرائيل فلن تكون هناك، وعن خطية يهوذا فلا يجدونها، لأني سأكون رحيمًا بأولئك الذين بقوا في الأرض يقول الرب*" (إر ١: ٢٠س)، ولكن ها إن تحقيق الوعد حدث لنا في وقت تجسده، كما يتأكد لنا من معاني الأناجيل المقدسة.

فقد دُعِيَ المسيح من أحد الفريسيين، ولأن المسيح شفوق ومحب للبشر "*ويريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون*" (اتي٢: ٤)، وافق ومنحه ما طلب منه، وإذ دخل اتكأ على المائدة، وفي الحال دخلت امرأة مدنسة بالخطايا مثل واحد لا يفيق من الخمر والسكر، وإذ شعرت بذنوبها وتعدياتها قدَّمت توسُّلات للمسيح القادر أن يطهرها ويحررها من كل خطية وينقذها من خطاياها السابقة "*لأنه لا يذكر الخطايا والتعديات*" (عب٨: ١٢)، وقد فعلت هذا وهي تغسل قدميه بدموعها وتدهنهما بالطيب وتمسحهما بشعر رأسها. مثل هذه المرأة التي كانت فاسقة وزانية وهي خطية يصعب إزالتها، لم تفقد طريق الخلاص، لأنها هربت لاجئة إلى الذي يعرف كيف يُخلِّص ويستطيع أن يرفع من أعماق النجاسة.

فهي إذًا لم تفشل في غرضها، ولكن الإنجيلي المبارك يخبرنا أن الفريسي الأحمق قد استاء وقال في نفسه: "*لو كان هذا نبيًا لَعلِم من هذه المرأة التي تلمسه وما هي، إنها خاطئة*". لذلك فالفريسي كان منتفخًا وبلا فهم بالمرة، لأنه كان من واجبه بالأحرى أن يُنظم حياته الخاصة ويُزيِّنها بكل الأعمال الفاضلة، وليس أن يحكم على الضعفاء ويدين الآخرين. ولكننا نؤكد عنه أنه إذ قد تربى على عوائد الناموس، فقد أعطى لأوامره سلطانًا واسعًا وأراد أن يُخضع المشرع (المسيح) لوصايا موسى، لأن الناموس أوصى أن المقدَّس يكون بعيدًا عن النجس، والله وجَّه اللوم لأولئك الذين كانوا رؤساء مجامع اليهود لعدم رغبتهم في تتميم ذلك، لأنه تكلم هكذا بواسطة أحد الأنبياء القديسين قائلاً: "*لم يميِّزوا بين المقدَّس والنجس*" (حز٢٢: ٢٦). ولكن المسيح



جاء من أجلنا، ليس لكي يخضع حالتنا للّعنات التي بواسطة الناموس، بل ليفدي أولئك الذين تحت الخطية برحمة أعلى من الناموس، لأن الناموس قد تأسَّس " *بسبب التعديات*" كما يُعلن الكتاب (غل ٣: ١٩)، "*لكي يستد كل فم ويصير كل العالم تحت قصاص من الله، لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه*" (رو٣: ١٩، ٢٠)، لأنه لا يوجد هناك متقدِّم في الفضيلة الروحانية، حتى يكون قادرًا أن يُتمِّم كل ما أوصى به، ويكون بلا لوم، ولكن النعمة التي بالمسيح تُبرِّر لأنها إذ تُبطل حكم الناموس فهي تُحرِّرنا بواسطة الإيمان.

لذلك فإن ذلك الفريسي المتكبر الأحمق لم يحسب يسوع قد وصل حتى إلى درجة نبي، ولكن المسيح جعل دموع المرأة فرصة لكي تعلِّمه بوضوح عن السر، لأنه علَّم الفريسي وكل الذين كانوا مجتمعين هناك أن الكلمة إذ هو الله، جاء إلى العالم في صورتنا " *ليس ليدين العالم، بل ليخلص به العالم*" (يو٣: ١٧). لقد جاء لكي يغفر للمديونين كثيرًا وقليلاً، ولكي يُظهر رحمة على الصغير والكبير، لكي لا يكون هناك أي واحد مهما كان لا يشترك في صلاحه. وكعربون ومثال واضح لنعمته، خلَّص تلك المرأة غير العفيفة، غير الطاهرة من خطاياها الكثيرة: " *مغفورة لكِ خطاياكِ*". إن مثل هذا الإعلان لائق بالله حقًّا، وهي كلمة تُبيِّن السلطان المطلق، لأنه حيث إن الناموس أدان أولئك الذين كانوا في الخطية، فمن هو الذي يستطيع أن يعلن أشياء فوق الناموس إلاَّ ذلك الذي وَضَع الناموس. لذلك فإنه في الحال أطلق المرأة حُرَّة، ثم أنه لفت انتباه ذلك الفريسي، وأولئك الذين كانوا يأكلوا معه إلى أمور عالية جدًا، لأنهم تعلَّموا أن الكلمة هو الله، ولم يكن كواحد من الأنبياء، بل بالحري يفوق مستوى البشرية، وذلك رغم أنه صار إنسانًا. وربما يقول واحد لذلك الذي دعاه: أنت أيها الفريسي متدرِّب في الكتب المقدسة، وأنت تعرف طبعًا الأوامر التي أعطاها موسى الحكيم، وأنت قد فحصتَ كلمات الأنبياء القديسين، فمن هو إذًا ذاك الذي يسير في طريق عكس الوصايا المقدسة ويُحرِّر من الخطية؟ من هو هذا الذي أعلن أن الذين كسروا الوصايا قد صاروا أحرارًا؟ لذلك اِعلَم بواسطة الحقائق نفسها أنه أعلى من



الأنبياء والناموس، تذكَّر أن واحدًا من الأنبياء القديسين بشَّر بهذه الأشياء منذ القديم عنه وقال: " *سوف يأتون بالرعب إلى الرب إلهنا ويخافون منك. من هو إله مثلك غافر الآثم وصافح عن الذنب لبقية ميراثه؟ لا يحفظ إلى الأبد غضبه، فإنه يُسر بالرأفة* " (ميخا٧: ١٧، ١٨).

لذلك فأولئك الذين كانوا يأكلون مع الفريسي اندهشوا وتعجبوا لرؤيتهم المسيح مخلِّص الكل يملك مثل هذا السمو الإلهي، ويستعمل تعبيرات تعلو على حق الإنسان، لأنهم قالوا: " من هو الذي يغفر خطايا أيضًا؟". هل تريدني أن أخبرك من هو هذا؟

إنه هو الذي في حضن الله الآب، والمولود منه بالطبيعة، والذي به كان كل شيء، هو الذي يملك سلطانًا مطلقًا وتسجد له كل خليقة في السماء وعلى الأرض، وهو قد أخضع نفسه لحالتنا، وصار رئيس كهنتنا، لكي ما يُقدمنا إلى الله طاهرين وأنقياء إذ قد أبطل رائحة الخطية النتنة، وجعل نفسه فينا رائحة طيبة. لأنه كما يكتب بولس الحكيم جدًّا " *نحن رائحة المسيح الزكية لله* " (٢كو٢: ١٥). هذا هو الذي تكلم بصوت النبي حزقيال قائلاً " *وأنا أكون لكم إلهًا وأخلِّصكم من كل نجاساتكم* " (حز٣٦: ٢٨، ٢٩). لذلك انظروا أن ما تحقق يتفق مع ما سبق أن وعد به بواسطة الأنبياء القديسين. اعترفوا به أنه الله وهو اللطيف جدًّا والمُحب للبشر، أمسِكوا بطريق الخلاص، اهربوا من الناموس الذي يقتل، واقبلوا الإيمان الذي هو فوق الناموس، لأنه مكتوب "الحرف يقتل" أي الناموس، "ولكن الروح يحيي" أي التطهير الروحي الذي في المسيح. الشيطان قد ربط سكان الأرض بقيود الخطية، والمسيح قد فك هذه الحبال. إنه جعلنا أحرارًا، وأبطل طغيان الخطية، وطرد المشتكي الذي يشتكي على ضعفاتنا لكي يتم الكتاب " *أن كل أثم يسد فاه* " (مز١٠٧: ٤٢)، لأن الله هو الذي يبرِّر " *فمن هو الذي يدين؟* " (رو٨: ٣٣).

وهذا صلَّي من أجله المرنم الإلهي لكي يتحقق، حينما خاطب المسيح مخلِّص الكل هكذا " *لتبد الخطاة من الأرض والأشرار لا يكونون فيما بعد* " (مز١٠٤: ٣٥). فإنه حقًّا لا ينبغي أن يقول عن واحد لابس الروح إنه يلعن من هم خطاة وضعفاء، فإنه غير لائق



بالقديسين أن يلعنوا أي أحد بل بالحرى هو يطلب هذا من الله. لأنه قبل مجيء المخلِّص كنا كلنا في الخطية، ولم يكن هناك من يعرف أنه هو الله بالحق وبالطبيعة، "*لم يكن أحد يعمل صلاحًا ليس ولا واحد، بل الجميع زاغوا وفسدوا معًا*" (رو٣: ١٢)، ولكن بسبب أن الابن الوحيد أخضع نفسه للإخلاء وتجسد وصار إنسانًا، فقد تلاشى الخطاة. لم يعد هناك خطاة لأن سكان الأرض قد تبرَّروا بالإيمان، وقد غسلوا أدناس خطيتهم بالمعمودية المقدسة، وقد صاروا شركاء الروح القدس، وخرجوا من تحت يد العدو، وبعد أن كانوا تحت سيطرة الشياطين صاروا يسكنون تحت سلطان المسيح.

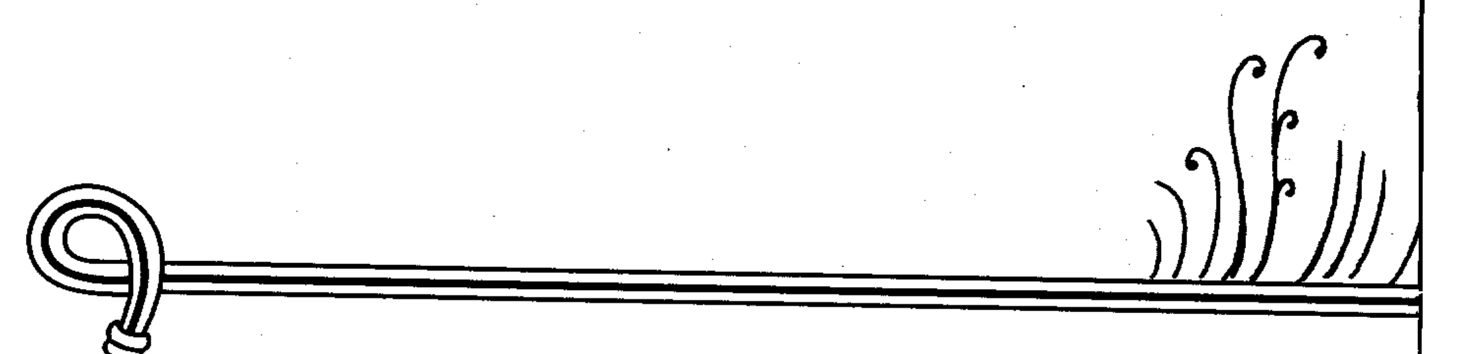
لذلك فإن عطايا المسيح ترفع الناس إلى رجاء طال انتظاره وإلى فرح عظيم جدًّا، فالمرأة التي كانت مذنبة بنجاسات كثيرة وتستحق اللوم بسبب أعمال مشينة جدًّا قد تبررت، لكي يكون لنا نحن أيضًا ثقة أن المسيح سيرحمنا نحن أيضًا بالتأكيد، حينما يرانا مسرعين إليه وساعين أن نهرب من شراك الشر. دعونا نقف أمامه، دعونا نسكب دموع التوبة، هيا بنا ندهنه بالطيب، لأن دموع الذي يتوب هي رائحة طيِّبة لله. اذكروا الذي قال "*اصحوا أيها السكارى، وابكوا وولولوا يا جميع شاربي الخمر*" (يؤ١: ٥). لأن الشيطان يُسكر القلب، ويثير العقل باللذات الشريرة، ويُحدِر الناس إلى نجاسات الشهوة. ولكن ما دام هناك وقت فلنستيقظ، وكما يقول بولس الحكيم جدًّا: "*لنسلك لا بالبطر والسكر، لا بالمضاجع والعهر، بل بالحرى لنعمل ما هو صالح، لأننا لسنا من ليل ولا من ظلمة، بل أبناء نور وأبناء نهار*" (رو١٣: ١٣؛ ١تس٥: ٥). "*لذلك فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور*" (رو١٣: ١٢). لا تنزعج حينما تُفكِّر في عظم خطاياك السابقة، بل بالحرى إعلم أن نعمة الله التي تبرر الخاطئ وتفك الشرير، هي أعظم (من خطاياك).

إذًا فالإيمان بالمسيح هو عربون لنا لهذه البركات العظيمة، لأنه هو الطريق الذي يقود للحياة ليصل بنا إلى المنازل التي فوق، وهو الذي يرفعنا إلى ميراث القديسين، والذي يجعلنا أعضاء ملكوت المسيح، الذي به ومعه لله الآب كل تسبيح وسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور.



(أيقونة تصور مثل الزارع)





" فلما اجتمع جمع كثير أيضاً من الذين جاءوا إليه من كل مدينة قال بمثل " (لوقا ٨ : ٤)

الأصحاح الثامن

عظة (٤١)
مثل الزارع

(لو ٨: ٤ــ ٨) "*فَلَمَّا اجْتَمَعَ جَمْعٌ كَثِيرٌ أَيْضًا مِنَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَدِينَةٍ، قَالَ بِمَثَل: خَرَجَ الزَّارِعُ لِيَزْرَعَ زَرْعَهُ. وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ، فَانْدَاسَ وَأَكَلَتْهُ طُيُورُ السَّمَاءِ. وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الصَّخْرِ، فَلَمَّا نَبَتَ جَفَّ لأَنَّهُ لَمْ تَكُنْ لَهُ رُطُوبَةٌ. وَسَقَطَ آخَرُ فِي وَسْطِ الشَّوْكِ، فَنَبَتَ مَعَهُ الشَّوْكُ وَخَنَقَهُ. وَسَقَطَ آخَرُ فِي الأَرْضِ الصَّالِحَةِ، فَلَمَّا نَبَتَ صَنَعَ ثَمَرًا مِئَةَ ضِعْفٍ. قَالَ هذَا وَنَادَى: مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ* ".

قد تكلم الأنبياء المباركون إلينا بطرق متنوعة عن المسيح مخلِّصنا جميعًا. لأن البعض بشَّروا به كالنور الذي كان مزمعًا أن يأتي، وآخرون بشَّروا بملوكيته وعظمته، لأن واحد منهم يقول: " *طوبى لمن له زرع في صهيون وأقرباء في أورشليم، لأن ها ملكها البار سوف يملك وأمراؤها سوف يسودون بالحكم*" (إش٣١: ٩س). " *وذلك الإنسان سيكون إنسانًا كلماته خفية*" (إش٣٢: ٢س). لأن كلمة المخلص كما لو كانت خفية. هكذا أيضًا المرنم المبارك قد أظهره أمامنا قائلاً: "*سأفتح فمي بأمثال*" (مز٧٨: ٢). لذلك انظروا أنَّ ما تكلم به في القديم قد حدث, لأن جمعًا كثيرًا من الناس من كل اليهود قد اجتمع حوله، فتكلم إليهم بأمثال. ولكن لأنهم لم يكونوا مستحقين أن يعرفوا أسرار ملكوت السموات، فإن الكلمة كانت بالنسبة لهم مغلّقة بالظلام، فهم قد قتلوا الأنبياء القديسين وهم مذنبون بدم كثير من الأبرار، ولذلك قيل لهم بوضوح: "*أي الأنبياء لم يقتله آباؤكم*" (أع٧: ٥٢). وأيضًا "*يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. كم مرة أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا، هوذا بيتكم يُترك لكم خرابًا*" (لو١٣: ٣٤،

٣٥). ولكن أعمالهم الشريرة لم تمتد فقط إلى الأنبياء القديسين، بل تصاعدت حتى إلى ذلك الذي هو رب الأنبياء، أي المسيح. ولكن إذ هم متغطرسون، وكما لو كانوا يرفعون في وجهه رقابهم المتكبرة، فإنهم لم يعطوا أي اهتمام لواجب قبول الإيمان به، بل قاوموا بخبث تعليمه الجهاري، ووبخوا أولئك الذين أرادوا أن يكونوا معه دائمًا، والذين كانوا يعطشون لتعليمه، قائلين بعدم تقوى: "*إن به شيطان وهو يهذي، فلماذا تسمعون له*" (يو١٠: ٢٠)، لذلك لم يعط لهم أن يعرفوا أسرار ملكوت السموات، بل بالحري أعطى لنا نحن الذين لنا استعداد أكثر لقبول الإيمان، بل بالحري قد أعطى لنا ــ كحكمة كاملة ــ القدرة على فهم "*الأمثال والأقوال واللغز، أقوال الحكماء وغوامضهم*" (أم١: ٦). لأن الأمثال يمكن أن تقول عنها إنها صور لا لأمور منظورة، بل بالحري لأمور روحية وتُدرك بالعقل. لأن ذلك الذي لا يمكن أن يُرى بعيون الجسد تُشير إليه الأمثال بعيون العقل، وهي تُشكِّل الأمور العقلية بصورة جميلة بواسطة الصُوَر الحسيَّة، وبواسطة ما يمكن أن يُلمس. لذلك دعونا نرى ما هي المنفعة التي تنسجها لنا كلمة المخلِّص.

يقول إن الزارع خرج ليزرع زرعه إلى آخره... فعن من يتكلم هكذا؟ مِن الواضح أنه يتكلم عن نفسه، لأنه هو بالحقيقة زارع كل ما هو صالح، ونحن حقله، ومنه وبواسطته يأتي كل حصاد الثمار الروحية. وهذا هو ما علَّمنا إياه حينما قال "*بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا*" (يو١٥: ٥).

لذلك فبالتصوُّرات العقلية أرجو أن تنظروا زارعًا يمشي، وحينما يمشي يلقي بذارًا في الحقول، البعض منها يسقط على الطرقات، والبعض على الصخور، والبعض على أماكن بها أشواك، والبعض الآخر على أرض جيدة أي على أرض خصبة. فذلك الذي على الطرقات اختطفته طيور السماء، والذي على الصخور بمجرد أن نبت جف بسرعة، وذلك الذي وسط الأشواك اختنق، وأما الذي سقط على الأرض الصالحة فإنه نما وأعطى ثمرًا مئة ضعف كما يقول.

والآن ما هو الهدف من الحديث، وما هو التعليم العميق للمثل؟ هذا سوف نتعلمه



منه هو، الذي شَرَحَه. وحتى التلاميذ المباركين قبلَنا وجدوا هذه الأشياء صعبة الفهم، واقتربوا من مُعلِن الأسرار وسألوه قائلين "ما هو المثل؟" فماذا كان جواب المسيح؟ *" الزرع هو كلام الله، والذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتي إبليس وينزع الكلمة من قلوبهم لكي لا يؤمنوا فيخلُصوا"* (لو٨: ١١، ١٢).

الذين على الطريق:

ونرى أنَّ السبب في أنَّ الزرع الذي على الطريق يُختطف هو جفاف الأرض. فأي طريق هو دائمًا جاف وغير محروث وتدوسه الأقدام، لذلك فلا تدخل فيه أي بذار، بل تظل على السطح فتلتقطها الطيور وتأكلها. لذلك فكل أولئك الذين عقلهم جاف وعنيد، وكما لو كان مضغوطًا على نفسه، لا يقبلون الزرع الإلهي، لأن الكلام الإلهي المقدس لا يجد مدخلاً إليهم، ولا هم يقبلون الكلمات التي تُنتِج فيهم مخافة الله، والتي بواسطتها كانوا يستطيعون أن يأتوا بثمار أمجاد الفضيلة. لقد جعلوا أنفسهم طريقًا مداسًا للأرواح النجسة، نعم للشيطان نفسه. فهؤلاء لا يستطيعون أن يأتوا بثمر مقدس. لذلك فأولئك الذين قلبهم عقيم وغير مثمر فليستيقظوا ويفتحوا عقلهم ويقبلوا الزرع المقدس، ويكونوا مثل الأرض المحروثة جيدًا والمُثمرة، ويأتوا بثمار لله ترفعهم إلى حياة غير فانية وتحرس عقلهم وتغلق الباب أمام اللص، وتطرد من قلوبهم أسراب الطيور، وذلك لكي يبقى الزرع ويمكث داخلهم ويكونوا مخصبين جدًّا وأغنياء بوفرة في إنتاج الثمر.

الذين على الصخر:

وبعد ذلك دعونا نتحدث عن أولئك الآخرين الذين قال عنهم المسيح: *" والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح، وهؤلاء ليس لهم أصل فيؤمنوا إلى حين وفي وقت التجربة يرتدُّون"* (لو٨: ١٣). هؤلاء بالحقيقة هم أناس إيمانهم لم يكن قد ثبت، بل هو يعتمد على مجرد كلمات، ولا يُركِّزون عقلهم في إدراك السر، مثل هؤلاء تقواهم جافة وبلا أصل.

لأنهم حينما يدخلون الكنائس فإنهم يشعرون بسرور في أن يروا كثيرين مجتمعين ويقبلون التعليم بفرح من فم الذي يُعلِّمهم ويمدحونه كثيرًا. ولكنهم يفعلون هذا بدون



تمييز، بل بإرادة غير طاهرة، وحينما يخرجون من الكنائس فإنهم في الحال ينسون التعاليم المقدسة ويسيرون في سيرتهم التي تعوَّدوا عليها، ولا يكونون قد اختزنوا داخلهم أي شيء لمنفعتهم المستقبلة. لأنه لو كانت أمور المسيحيين تمضي في هدوء ولا تزعجهم أي تجارب فحينئذ بالكاد يثبت فيهم الإيمان، وعندئذ يكونون في حالة مُشوَّشة متداعية. وإذا وقع عليهم إضطهاد وهاجم أعداء الحق كنائس المخلِّص، فإن قلبهم لا يحب الجهاد وعقلهم يلقي عنه الستر الواقي ويهرب، إذ أنهم خالون من كل غيرة، ومفقرون من المحبة لله ومستعدون للفرار. ولكن يا أيها الخائفون والضعفاء أقول لكم، لماذا تهربون مما سوف يكون هو مجدكم؟ وتهربون من النضالات التي قد تدرَّبتم عليها؟ فإنه بهذا النضال يربح الراغبون جائزة النصر لأنفسهم. فصارِعوا واجدلوا إكليل الشجاعة، واعطشوا إلى مكافآت المثابرة، وإلى كرامات الصبر.

وأظن أيضًا أنه من الصواب أن أقدم الحديث الآتي:

أولئك الذين يلمعون فوق العروش العالية، ويحكمون الأمور الأرضية، متى ينظرون الجندي الثابت الذي يرغب في النصر الأكيد؟ هل يرونه في أوقات السلام وحينما يصمت ضجيج الأسلحة؟ أم هل يرونه بالحرى حينما يذهب بشجاعة ضد أولئك الذين يرتبون صفوفهم للهجوم؟ كما أتصور أنه يصدق هذا عن الحالة الأخيرة وأكثر من الأولى لذلك كما قال إرميا النبي "*أعدوا المجن والترس*"(إر٤٦: ٣)، وخاصة أن يمين الله مخلِّصنا لا تُغلَب في المعركة، وكما قال بولس الحكيم "*إنه لا يدع الناس يجربون فوق ما يستطيعون بل سيجعل مع التجربة أيضًا المنفذ، ليستطيعوا أن يحتملوا*" (انظر ١كو١٠: ١٣).

ولكن حتى إن كان نصيبنا أن نتألم حينما نناضل لأجل التقوى في المسيح، وحينئذ نكون من كل جهة موضع حسد الآخرين، ونكون ممجدين وتكون لنا آمال عظيمة باهرة، وأكثر من ذلك فإن موتًا ممدوحًا هو أفضل بما لا يقاس من حياة شائنة. لأجل هذا أيضًا قال المخلِّص للرسل القديسين "*لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكنهم لا يستطيعون أن يقتلوا النفس. بل بالحرى خافوا من الذي يستطيع أن يهلك النفس*



والجسد في جهنم" (انظر لو١٢: ٤، ٥). لذلك فهل هو يأمرنا ألا نبالي بهذه الأخطار الشديدة، بينما هو نفسه ظل بعيدًا عن مثل هذه التجارب؟ ولكن عجبًا إنه قد وضع حياته من أجلنا، وافتدى العالم بدمه. لذلك فنحن لسنا ملكًا لأنفسنا، بل له هو الذي اشترانا وافتدانا ونحن مدينون له بحياتنا. لأنه كما قال بولس الإلهي *"لأنه لهذا مات المسيح وقام وعاش لكي يكون ربا على الأحياء والأموات"* (رو١٤: ٩)، لذلك ينبغي أن يكون لنا عقل لا يقبل التزعزع حتى حينما تأتي التجربة فأننا نظهر أنفسنا مقبولين ونكون منتصرين بقوة الصبر، ونكون مستعدين أن نجوز الصراع بفرح وننتهز فرصة الآلام لأجل التقوى في المسيح.

الذي سقط وسط الشوك:

وبعد هذا الشرح الكثير، فلنأت إلى موضوع الأشواك التي تخنق الزرع الإلهي. فماذا يقول المخلص أيضًا؟ *"والذي سقط وسط الشوك هم الذين يسمعون ثم يذهبون فيختنقون من هموم الحياة وغناها ولذاتها، ولا ينضجون ثمرًا"* (لو٨: ١٤). لأن المخلص يلقي البذار، التي إذ تضرب بجذورها في النفوس التي تقبلها وتبتدئ أن تبرز إلى فوق وتصير منظورة فأنها تختنق بالهموم العالمية وتجف وتغطي عليها الانشغالات الفارغة كما قال النبي *"زرع ليس له غلة لا يصنع دقيقًا"* (هو٨: ٧). لذلك فإننا في هذه الأمور ينبغي أن نكون مثل الزرّاع المهرة الذين ينقون الأرض من الأشواك بمثابرة ويرفعون من الأرض كل ما هو مؤذي، ثم يلقون البذار في حقول نقية، ولذلك يستطيع الواحد أن يقول بثقة أنهم بلا شك *"يعودون بالفرح حاملين حزمهم"* (مز١٢٦: ٦). ولكن إن كان الإنسان يلقي بذاره في أرض مملوءة بالأشواك وكثيرة الحشائش ومغطاة، بنفايات الحصاد فإنه يتعرض لخسارة مزدوجة، إذ يخسر بذاره أولاً، كما أنه يعاني تعبًا كثيرًا. لذلك فلكي تزدهر البذرة الإلهية جيدًا فينا فلننزع أولاً من قلوبنا الاهتمامات العالمية والقلق غير النافع الذي يجعلنا نسعى أن نكون أغنياء، *"لأننا لم ندخل العالم بشئ، ولا نقدر أن نخرج منه بشئ"* (اتي٦: ٧). لأنه أية منفعة من امتلاك الأشياء الزائدة؟ *"كنوز الشر لا تنفع، أما البر فينجي من الموت"* (أم١٠: ٢). فإنه حالما يتم امتلاك أشياء وفيرة وبزيادة فإنه تجري فينا ــ وكما لو كانت تطوقنا ــ أحط

الشرور: "ولائم بتبذير وإسراف، وتلذذات البطن وأطعمة جيدة الأعداد بالتوابل، وموسيقى، وسكر، ومهاوي الدعارة، واللذات الشهوانية، والكبرياء المكروه من الله". وقد قال تلميذ المخلص "*كل ما في العالم هو شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة... والعالم يمضي وشهوته، أما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد*" (ايو٢: ١٦، ١٧).

في الأرض الجيدة:

هذا هو الزرع الجيد، والجدير بالإعجاب الأرض غنية ومثمرة جيدًا وتأتي بثمار مئة. لأن الناس يقولون إن أحسن أنواع التربة تعطي أحيانًا عند زراعتها مئة ضعف، حتى أن هذه هي علامة لكل بقعة خصبة منتجة، وعن هذا قال الله بحق بواسطة أحد الأنبياء القديسين "*ويطوبكم كل الأمم لأنكم تكونون أرض مسرة*" (ملا٣: ١٢). فحينما تقع الكلمة الإلهية على عقل نقي وماهر في تطهير نفسه من الأشياء المؤذية، فإنها حينئذ تثبّت جذورها في الأعماق وترتفع مثل سنابل القمح. وإذ تكون أوراقها قوية ومزهرة حسنًا فإنها تأتي بثمرها كاملاً.

ولكني أظن أنه نافع أن أذكر هذا لكم أيضًا لنتم الذين ترغبون أن تتعلموا ما هو صالح. لأن الإنجيلي متى حينما قص هذا الفصل علينا، قال إن الأرض الجيدة أعطت ثمارًا في ثلاث درجات. إذ يقول "*فيصنع بعض مئة، وآخر ستين، وآخر ثلاثين*" (مت١٣:٨). لذلك لاحظوا أنه كما ذكر المسيح ثلاث درجات من الخسارة هكذا بالمثل درجات النجاح هي مساوية في العدد. لأن تلك البذار التي تسقط على الطريق تخطفها الطيور، وتلك التي على الصخور بمجرد أن تبرز في خلال فترة صغيرة فأنها تجف، وتلك التي بين الأشواك تختنق. أما الأرض الجيدة فتعطي ثمرًا في ثلاث درجات، كما قلت مئة، وستين، وثلاثين. لأنه كما كتب بولس الحكيم جدًا "*كل واحد له موهبته الخاصة من الله الواحد هكذا والآخر هكذا*" (اكو٧:٧). لأننا لا نجد أن نجاحات القديسين هي بمقياس متساوي، أما نحن فيلزمنا أن نتمثل بالأمور التي هي أفضل وأعلى من تلك الأمور التي من نوع وضيع. فإنه هكذا سيسكب المسيح علينا السعادة بسخاء، وهو الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور، آمين.



عظة (٤٢)
أمي وإخوتي

(لو ٨: ١٩ـــ ٢١) "*وَجَاءَ إِلَيْهِ أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ، وَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ لِسَبَبِ الْجَمْعِ. فَأَخْبَرُوهُ قَائِلِينَ: أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقِفُونَ خَارِجًا، يُرِيدُونَ أَنْ يَرَوْكَ. فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أُمِّي وَإِخْوَتِي هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلِمَةَ اللهِ وَيَعْمَلُونَ بِهَا*".

دعونا مرة أخرى نقتبس كلمات التسبيح من كتاب المزامير: " *ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لي* " (مز١١٦: ١٢). فما هو الذي نستطيع أن نقدمه له معادلاً لحبه لنا؟ هل سوف نختار لإرشادنا أوامر الناموس ونكرمه بذبائح دموية؟ هل هو يشعر بالسرور في ذبح الثيران والغنم؟ بالتأكيد لا، لأنها ممقوتة عنده، لأنه يعلن بوضوح بواسطة أحد الأنبياء القديسين لأولئك الذين كانوا يقدمون له الخدمة الناموسية " *بغضت كرهت أعيادكم ولست ألتذ باعتكافاتكم. إني إذا قدمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أقبلها، وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها*" (عا٥: ٢١، ٢٢). لذلك ما هي الذبيحة الروحية التي ينبغي أن نقدمها له؟ إن المرنم الحكيم يعلمنا هنا أيضًا قائلاً "*قلت للرب، أنت ربي ولا تحتاج إلى صلاحي*" (مز١٥: ٢س). لذلك فحينما نقترب منه فسوف يقبلنا، إن كانت هذه هي التقدمة التي نقدمها إليه فسوف تكون غالية ومناسبة، هذه هي الذبيحة الروحية كما هو مكتوب " *هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب؟ هوذا الاستماع أفضل من الذبائح والإصغاء أفضل من شحم الكباش*" (١صم١٥: ٢٢). لأن الطاعة والاستماع لله هما السبب في كل بركة، هذا ما يعلمنا إياه هذا الفصل. لأن البعض دخلوا وأخبروا المسيح بخصوص أمه القديسة وأخوته، ويقول الإنجيل أنه أجاب بهذه الكلمات "أمي وأخوتي هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها.

والآن فلا يتخيل أحد أن المسيح يزدري بالكرامة الواجبة نحو أمه، أو أنه يتجاهل باحتقار المحبة اللازمة أو المحبة اللائقة لأخوته. فإنه هو الذي نطق بالناموس بواسطة موسى وقال بوضوح "*اكرم أباك وأمك لكي يكون لك خير على الأرض*" (تث٥: ١٦). وكيف يستطيع أن يرفض المحبة الواجبة. لأخوته وهو الذي أوصانا أن نحب ليس مجرد أخوتنا، بل أولئك الذين يقفون منا موقف الأعداء؟ لأنه يقول "*احبوا أعدائكم*" (مت٥: ٤٤)، لذلك فما الذي يرغب المسيح أن يعلمه؟ أنه يقصد أن يرفع محبته جدًا من نحو أولئك الذين هم على استعداد أن يحنوا أعناقهم لوصاياه وسأشرح كيف ذلك. إن أعظم الكرامات وأكمل العواطف هي تلك التي ندين بها جميعًا لأمهاتنا وأخوتنا. لذلك فإن كان يقول إن الذين يسمعون كلمته ويعملون بها هم أمه وأخوته أفلا يكون واضحًا لكل واحد أنه يمنح لأولئك الذين يتبعونه حبا شاملاً وجديرًا بدعوتهم؟ لأنه بهذا سوف يجعلهم يعتنقون باستعداد الرغبة في تسليم أنفسهم لكلماته، والرغبة في إخضاع عقلهم لنيره، بواسطة طاعة كاملة. ولكن الله يؤكد بواسطة أحد أنبيائه القديسين أنه يفرح فرحًا عظيمًا جدًا بأولئك الذين تخضع عقولهم له بالطاعة الكاملة. إذ يقول "*وإلى هذا انظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتعد من كلامي*" (إش٦٦: ٢). لأنه كما أن آباءنا حسب الجسد يسرون بأولئك الأبناء الذين يختارون أن يعملوا الأشياء التي هي جيدة ومناسبة بالنسبة لهم (للآباء)، والذين يرغبون أن يتفقوا معهم في الفكر، هكذا أيضًا إله الكل فإنه يحب المطيعين ويتعطف برحمته على ذلك الذي يسمع إليه بإنصات، والعكس أيضًا صحيح، إنه يرفض الذي هو غير مطيع وغير خاضع. لأنه وبخ اليهود الذين سقطوا في الشر قائلاً "*الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده، فإن كنت أنا أبًا فأين كرامتي وأن كنت سيدًا فأين هيبتي قال رب الجنود*" (ملا١: ٦). لأنه إما أنه يجب أن نخاف رب الكل كسيد، أو على الأقل نكرمه كأب، وهذا الأمر الأخير هو أعظم بكثير وأفضل من الأمر الأول لأن المحبة تطرد الخوف.



لأنه لا توجد طاعة بدون مكافأة، ومن الجهة الأخرى لا يوجد عصيان بدون عقاب، وهذا يتضح مما قاله الله بواسطة نبيه المقدس لأولئك الذين يتجاهلونه: " *هوذا الذين يخدمونني يأكلون وأنتم تجوعون. هوذا الذين يخدمونني يشربون وأنتم تعطشون. هوذا الذين يطيعونني يترنمون من طيبة القلب وأنتم تصرخون وتولولون من كآبة القلب* " (إش٦٥: ١٣، ١٤). فدعونا أن نرى حتى من كتابات موسى، الحزن الذي أتى لنا به العصيان. لقد طُرِدنا من فردوس الأفراح وسقطنا أيضًا تحت حكم الموت، وبينما كان الهدف من خلقتنا هو عدم الفساد ــ فإنه هكذا خلق الله العالم ــ فإننا قد صرنا ملعونين ومستعبدين لنير الخطية. وكيف نجونا من ذلك الذي حل بنا، أو من هو ذاك الذي أعاننا حينما غرقنا في هذا البؤس العظيم؟ أنه كلمة الله الوحيد، بإخضاع نفسه لحالتنا وبوجوده في الهيئة كإنسان، وبطاعته للآب حتى الموت (انظر في٢:٨). هكذا قد محا ذنب العصيان الذي بواسطة آدم، هكذا أُبطِلَت قوة اللعنة وأُبيدَت سيادة الموت. وهذا ما يعلمه بولس أيضًا قائلاً " *لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة، هكذا أيضًا بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرين أبرارًا* " (رو٥: ١٩). لأن طبيعة الإنسان كلها صارت خاطئة في شخص الذي خلق أولاً، ولكنها الآن قد تبررت كلية من جديد في المسيح. لأنه صار لنا بداية ثانية لجنسنا بعد تلك البداية الأولى، ولذلك فكل الأشياء قد صارت جديدة فيه. وبولس يؤكد هذا قائلاً، " *لذلك إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديدًا* " (٢كو٥: ١٧).

إذًا فلكي يربحنا المسيح جميعًا إلى الطاعة فهو يعدنا بكرامات فائقة، ويمنحنا أعظم حب قائلاً " *أمي وأخوتي هم أولئك الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها* ". لأن مَن من الناس يكون هكذا فظًا وغير لطيف حتى أنه يرفض أن يكرّم، ويعطي أكمل محبة لأمه وأخوته؟ لأن ناموس الطبيعة أقوى جدًا، فهو يضطرنا ــ حتى بدون إرادتنا ــ إلى هذا. لذلك فحينما نحني رقابنا



لوصايا المخلص، فنحن نصير تابعيه وهكذا نكون في علاقة أم وأخوة بالنسبة له. فكيف إذًا يعتبرنا أمام كرسي دينونة الله؟ أليس بلطف ومحبة، أي شك يمكن أن يوجد في هذا، وأي شئ يمكن أن يقارن بهذه الكرامة وهذا الصلاح. وما هو الذي يكون جديرًا أن يقارن بمثل هذه الموهبة الرائعة والمشتهاة؟ لأنه يأخذنا إليه، حتى حيث يكون هو نكون نحن أيضًا معه. لأنه منحنا هذا الوعد قائلاً "*أنا أمضي لأعد لكم مكانًا، وآتي أيضًا وآخذكم إليّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا معي*" (يو١٤: ٣).

لذلك فالطاعة والخضوع هما أمران جديران بأن نقتنيهما، وهما عربون كرامة عظيمة. ونقول إن هذا يتحقق ليس بمجرد سماعنا لكلمات الله، بل بسعينا أن نمارس ما يوصى به، وهذا أنت تتعلّمه مما يعلنه أحد الرسل القديسين بقوله "*ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط... لأنه أن كان أحد سامعًا للكلمة وليس عاملاً، فذاك يشبه رجلاً ناظرًا وجه خلقته في مرآة فإنه نظر ذاته ومضى، وللوقت نسى ما هو، ولكن من إطّلع على الناموس الكامل، ناموس الحرية وثبت وصار ليس سامعًا ناسيًا بل عاملاً بالكلمة فهذا يكون مغبوطًا في عمله*" (يع١: ٢٠_٢٢).

والآن رغم أن المناقشة التي قُدِمَتْ كافية لإقناع الناس الذين يفكرون باستقامة، مع ذلك سأضيف من أجل فائدتهم ما قيل بصواب بكلمات بولس المبارك: "*لأن أرضًا قد شربت المطر الآتي عليها مرارًا كثيرة وأنتجت عشبًا صالحًا للذين فلحت من أجلهم، تنال بركة من الله، ولكن إن أخرجت شوكًا وحسكًا، فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة التي نهايتها للحريق*" (عب٦: ٧، ٨). لأن المخلّص يسكب مثل مطر كلمات التعزية الروحية على قلوب الذين يسمعون، أعني تعليم الخلاص المقدس. فالإنسان الذي يملك الفهم سوف ينتج ثمار حصاد روحي وفير، ولكن إن كان مهملاً وغير مكترث فهو طبعًا ليس له أن ينتظر تمجيد الفضيلة، وبدلاً من العنب سوف ينتج أشواكًا. وماذا تكون



نهايته؟ هذه نعلمه من كلمات إشعياء الذي يقول: " *إن كرم رب الجنود هو رجال يهوذا، زرع جديد ومحبوب، وانتظرت أن يصنع عنبًا ولكنه أنتج شرا وليس برا، بل صراخ*" (انظر إش٥: ٧). ونحن نعلم من كلمات إشعياء أن إسرائيل عُوقِبَ بسبب إهماله للإثمار الذي كان مناسبًا لنفسه ومرضيًا لله وهو لم يطع وصاياه ولا رضى أن يعملها. فيقول إشعياء: " *فالآن أعرفكم ماذا أصنع بكرمي. أنزع سياجه فيصير للرعي. أهدم جدرانه فيصير للدوس وأجعله خرابًا لا يقضب ولا ينقب فيطلع شوك وحسك. وأوصى الغيم أن لا يمطر عليه مطرًا* " (إش٥:٥، ٦). لذلك فهو واضح لكل إنسان أن الله لا يعتبر النفس الشريرة التي تنتج أشواكًا لأنها تُترك بدون حماية، وبدون جدران ومعرضة لسلب كل من يريد، وتكون مكانًا للصوص والحيوانات. ولا تنال أي تعزية روحية. وهذا ما أعتبره هو معنى قوله إنه لا يمطر عليها مطرًا. حينما حدثت هذه الأشياء من إسرائيل فإن المرنم كما لو كان يولول عليه وقال لإله الكل " *الكرمة التي نقلتها من مصر طردت أممًا وغرستها*" وأيضًا يكمل قائلاً: " *غطى الجبال ظلها وأغصانها أرز الله، مدت قضبانها إلى البحر وإلى النهر فروعها*" (مز٨٠: ٨، ١٠). ويتضرع لأجل ما عانوا منه قائلاً " *فلماذا هدمت جدرانها فيقطفها كل عابري الطريق؟ يفسدها الخنزير من الوعر ويرعاها وحش البرية*" (مز٨٠: ١٢، ١٣). لأن النفس التي هي غير محروسة وتحسب غير مستحقة للحماية من فوق تصير أرض مرعى للوحوش الشريرة لأن الشيطان وملائكته ينهبونها.

لذلك فلكي لا نسقط في مثل هذه البلايا الصعبة دعونا نحني أعناق قلوبنا للمسيح مخلص الكل. دعونا نقبل كلمة الله ونعمل بها، لأننا إن اخترنا أن نفعل هذا، فهو سوف يكللنا بكرامات سامية، لأنه موزع الأكاليل؛ الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

عظة (٤٣)

انتهار الريح

(لو٨: ٢٢ــ ٢٥) "*وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ دَخَلَ سَفِينَةً هُوَ وَتَلاَمِيذُهُ، فَقَالَ لَهُمْ: لِنَعْبُرْ إِلَى عَبْرِ الْبُحَيْرَةِ. فَأَقْلَعُوا. وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ نَامَ. فَنَزَلَ نَوْءُ رِيحٍ فِي الْبُحَيْرَةِ، وَكَانُوا يَمْتَلِئُونَ مَاءً وَصَارُوا فِي خَطَرٍ. فَتَقَدَّمُوا وَأَيْقَظُوهُ قَائِلِينَ: يَا مُعَلِّمُ، يَا مُعَلِّمُ، إِنَّنَا نَهْلِكُ!. فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ وَتَمَوُّجَ الْمَاءِ، فَانْتَهَيَا وَصَارَ هُدُوٌّ. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيْنَ إِيمَانُكُمْ؟ فَخَافُوا وَتَعَجَّبُوا قَائِلِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ: مَنْ هُوَ هذَا؟ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ الرِّيَاحَ أَيْضًا وَالْمَاءَ فَتُطِيعُهُ*".

تعالوا بنا مرة أخرى لكن ببوق المرنم نصرخ عاليًا: "*نبارك الرب في كل وقت. في كل حين تسبحته في فمي*" (مز٣٤: ١). لأنه دائمًا يصنع أمورًا عجيبة. فرصًا كثيرة متقاربة تلي الواحدة الأخرى لأجل تسبيحة وكل كلام يقصر عن أن يبلغ إلى قوته، وإلى جلاله المرتفع جدًا فوق الكل. فبالحقيقة أن "*مجد الرب يغطي على الكلام*" (أم٢٥: ٢س).

ولكن لا ينبغي أن ننسى المجد الواجب له واللائق به. بل بالحرى ينبغي أن نسرع بفرح ونقدم مثل تلك الثمار كما يتناسب مع قوتها، لأنه بالتأكيد ليس هناك شئ يستطيع إنسان أن يؤكد أنه أفضل من التسبيح، حتى لو كان الذي نستطيع أن نقدمه قليلاً. لذلك تعالوا فدعونا نسبح المسيح مخلص الكل، دعونا ننظر علو قدرته، وجلال سيادته الإلهية.

لأنه كان يبحر مع الرسل القديسين عبر البحر أو بالحري بحيرة طبرية، فصارت عاصفة قوية غير متوقعة على السفينة، وارتفعت الأمواج عاليًا بتأثير الرياح، وامتلأ التلاميذ من خوف الموت، لأنهم خافوا خوفًا ليس بقليل رغم معرفتهم بالسباحة وقيادة السفن، ولم تكن تنقصهم الدراية باضطرابات الأمواج ولكنه بسبب عظمة الخطر فإن خوفهم الآن صار غير محتمل، ولم يعد لهم رجاء آخر للأمان سوى ذاك الذي هو رب القوات، المسيح. فأيقظوه قائلين يا



معلم يا معلم خلصنا فإننا نهلك، لأن الإنجيلي يقول إنه كان نائمًا. وأظهر أن هذا كما يبدو قد حدث بهدف حكيم. لأنه ربما كما أتصور، يقول واحد لماذا ينام؟

وهذا نجيب عليه أن الحدث كان مرتبًا ليكون جيدًا ومفيدًا، فربما كانوا لا يطلبون منه المساعدة في الحال حينما بدأت العاصفة تهز السفينة، بل كما لو كان حينما وصل الخطر إلى قمته ومخاوف الموت صارت تزعج التلاميذ لكي تظهر قدرة سيادته الإلهية أكثر في تهدئه البحر الهائج وانتهار ثورات الريح وتغيير العاصفة إلى هدوء. ولكي تصير الحادثة هكذا وسيلة لتقدم التلاميذ الذين كانوا يبحرون معه، لذلك قصد أن ينام. ولكنهم كما قلت أيقظوه قائلين خلصنا فإننا نهلك، انظروا هنا أرجوكم إيمان قليل متحد بإيمان، لأنهم يؤمنون أنه يستطيع أن يخلص وينقذ من كل شر أولئك الذين يدعونه. لأنه لو لم يكن لهم إيمان راسخ به فإنهم بالتأكيد لما سألوا منه هذا. ومع ذلك إذ لهم إيمان قليل فإنهم يقولون خلصنا فإننا نهلك لأنه لم يكن أمرًا ممكنًا أو أمر يمكن أن يحدث لهم أن يهلكوا حينما يكونون مع ذلك الذي هو قادر على كل شئ. ثم كانت السفينة تهتز بشدة من عنف العاصفة وتكسر الأمواج وكان إيمان التلاميذ أيضًا يهتز مع السفينة كما لو كان بارتجاجات مماثلة.

ولكن المسيح الذي يمتد سلطانه على كل شئ قام حالاً، ومرة واحدة هدأ العاصفة ولجم ثورات الريح، وهدأ خوف التلاميذ وبذلك بالحرى برهن بأعماله أنه هو الله، الذي ترتعد وترتجف أمامه كل المخلوقات والذي تخضع طبيعة العناصر نفسها لإيماءاته، لأنه انتهر الريح. ويقول معلمنا مرقس إن الطريقة التي تم بها الانتهار كانت بسلطان إلهي. لأنه يخبرنا أن ربنا قال للبحر "*اسكت ابكم*" (مر٤: ٣٩). فماذا يمكن أن يكون أعظم من ذلك في الجلال؟ أو ما الذي يمكن أن يساوي سموه؟ فالكلام جدير بالله وكذلك قوة الأمر الذي أصدره، حتى أننا يمكن أن ننطق التسبيح المكتوب في المزامير



"*أنت متسلط على كبرياء البحر، عند ارتفاع لججه أنت تسكتها*" (مز٨٩: ٩).

وهو نفسه أيضًا يقول في موضع ما بواسطة أحد الأنبياء القديسين "*لماذا لا تخشون يقول الرب؟ أو لا ترتعدون من وجهي؟ أنا الذي وضعت الرمل تخومًا للبحر، فريضة أبدية لا يتعداها*" (إر٥: ٢٢). لأن البحر خاضع لإرادة ذلك الذي خلق كل الخليقة، وهو كما لو كان موضوعًا تحت قدمي الخالق، ويغير تحركاته في كل الأوقات حسب مسرته الصالحة، مقدمًا الخضوع لإرادته الربانية.

لذلك حينما هدأ المسيح العاصفة فهو أيضًا حول إيمان التلاميذ القديسين إلى الثقة ــ هذا الإيمان الذي كان قد أهتز مع السفينة، لم يعد المسيح يسوع يسمح له أن يكون فيه شك. وأعطى في داخلهم كما لو كان هدوءًا مسكتًا أمواج إيمانهم الضعيف. لأنه قال "أين إيمانكم". ويؤكد إنجيل آخر عنه أنه قال "*ما بالكم خائفين يا قليلي الإيمان*" (مت ٨: ٢٦). لأنه حينما يحل الخوف من الموت بدون توقع، فإنه يزعج أحيانًا حتى العقل المؤسس جيدًا ويعرّضه إلى لوم قلة الإيمان. ويحدث مثل هذا التأثير أيضًا من أي اضطراب آخر يفوق احتمال أولئك الذين يُجربَون به.لأجل هذا السبب اقترب البعض مرة من المسيح وقالوا "*زد إيماننا*" (لو١٧: ٥). لأن الإنسان الذي لا يزال معرّضًا للوم لأجل قلة الإيمان هو ناقص جدًا عن ذاك الذي هو كامل في الإيمان. لأنه كما أن الذهب يُمتَحن في النار هكذا أيضًا يمتحن الإيمان بالتجارب، ولكن عقل الإنسان ضعيف وهو يحتاج إلى القوة والمعرفة من فوق لكي يكون في حالة حسنة، ولكي يستطيع أن يتخذ موقفًا راسخًا، ويكون قويًا، ويحتمل برجولة كل ما يحل به.

وهذا ما علمنا إياه المخلص قائلاً "*بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا*" (يو١٥: ٥).

ويعترف بولس الحكيم بنفس الأمر حيث يكتب "*أستطيع كل شئ في المسيح الذي يقويني*" (في٤: ١٤).



لذلك فالمخلص أجرى معجزات محولاً بسلطانه الكامل العاصفة إلى هدوء، ومهدئًا الريح الثائرة إلى سلام مستقر... ولكن التلاميذ إذ اندهشوا من الآية الإلهية تهامسوا الواحد مع الآخر قائلين: "*مَنْ هو هذا فإنه يأمر حتى الريح والماء فتطيعه*؟" فهل التلاميذ المباركين إذًا يقولون الواحد للآخر، "مَنْ هو هذا"، بسبب أنهم لا يعرفونه، ولكن ألا يكون هذا أمرًا غير معقول بالمرة؟ لأنهم عرفوا أن يسوع هو الله، وهو ابن الله لأن نثنائيل أيضًا اعترف بوضوح "*يا معلم أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل*" (يو ١: ٤٩). وبطرس أيضًا، ذلك المزكي من بين كل الرسل حينما كانوا في قيصرية فيلبس وسألهم المسيح جميعًا قائلاً "*مَنْ يقول الناس أني أنا ابن الإنسان*؟" (مت١٦: ١٣). فالبعض أجابوا "*قوم يقولون إيليا وآخرون إرميا أو واحد من الأنبياء*". حينئذ قدم بطرس اعترافًا بالإيمان صحيحًا وبلا لوم قائلاً "*أنت هو المسيح ابن الله الحي*" (مت١٦:١٦). والمسيح مدحه لأنه تكلم هكذا، وكرمه بأكاليل، وحَسِبَ التلميذ مستحقًا لكرامات فائقة، فقد قال له "*طوبى لك يا سمعان بن يونا، لأن لحمًا ودمًا لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات*" (مت١٦: ١٧). فكيف يستطيع بطرس وهو قد تعلم من الله ألا يعرف ذلك الذي قال عنه بوضوح أنه ابن الله الحي؟ فلم يكن التلاميذ إذًا بسبب جهلهم بمجده قد قالوا "*من هو هذا*؟" بل بالحرى من اندهاشهم من عظمة قوته، ومن سمو عظمة سيادته التي لا تقارن. لأن اليهود التعساء أما بسبب جهلهم التام بسر المسيح، وأما بسبب عدم إعطائه أي اعتبار لشرهم العظيم، وبخوه وألقوا عليه حجارة حينما قال إن الله أباه. لأنهم تجاسروا حتى أن يقولوا "*لماذا وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا*؟" (يو١٠: ٣٣). لأنهم لم يدركوا في ذهنهم عمق السر أن الله كان في شكل منظور مثلنا، ورب الكل أخذ شكل العبد، والذي هو مرتفع جدًا كان في حالة التواضع، والذي يفوق كل إدراك عقلي ويعلو على كل المخلوقات كان مثلنا نحن البشر. وإذ عرف التلاميذ هذا، اندهشوا من مجد لاهوته وإذ أدركوا اللاهوت حاضرًا

في المسيح، ومع ذلك رأوا أنه كان مثلنا، ومنظورًا في الجسد، فإنهم يقولون "مَنْ هو هذا"؟ بدلاً من أن يقولوا ما أعظمه! وما هي طبيعته! وبأي قوة عظيمة وسلطان، وجلال، يأمر حتى المياه والريح فتطيعه؟ ويوجد أيضًا كثير يستدعي الإعجاب لأولئك الذين يسمعونه، لأن الخليقة تطيع كل ما يأمر به المسيح، وأي عذر يمكن أن ينفعنا، إذا لم نخضع نحن أيضًا لنفعل نفس الأمر؟ أو من يستطيع أن ينقذ من النار أو الدينونة ذلك الذي يعصى ويتقسى واضعًا كما لو كان عنق عقله المتعالي ضد أوامر المسيح، والذي قلبه من غير الممكن أن يلين؟ لذلك فمن واجبنا ونحن نفهم أن كل تلك الأشياء التي أوجدها الله تتوافق تمامًا مع مشيئته، أن نصير نحن مثل بقية الخليقة ونتحاشى العصيان كأمر يقود إلى الهلاك. إذًا فلنخضع بالحرى لذلك الذي يدعونا للخلاص، وللرغبة في الحياة باستقامة ولياقة أي أن نحيا إنجيليا، فإنه بهذا سوف يملؤنا المسيح بالمواهب التي تأتي من فوق ومن ذاته، والذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٤٤)
إخراج لجئون من إنسان مجنون

(لو ٨: ٢٦- ٣٦) "وَسَارُوا إِلَى كُورَةِ الْجَدَرِيِّينَ الَّتِي هِيَ مُقَابِلَ الْجَلِيلِ. وَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الأَرْضِ اسْتَقْبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمَدِينَةِ كَانَ فِيهِ شَيَاطِينُ مُنْذُ زَمَانٍ طَوِيلٍ، وَكَانَ لاَ يَلْبَسُ ثَوْبًا، وَلاَ يُقِيمُ فِي بَيْتٍ، بَلْ فِي الْقُبُورِ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعَ صَرَخَ وَخَرَّ لَهُ، وَقَالَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: مَا لِي وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْنَ اللهِ الْعَلِيِّ؟ أَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ لاَ تُعَذِّبَنِي!. لأَنَّهُ أَمَرَ الرُّوحَ النَّجِسَ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ الإِنْسَانِ. لأَنَّهُ مُنْذُ زَمَانٍ كَثِيرٍ كَانَ يَخْطَفُهُ، وَقَدْ رُبِطَ بِسَلاَسِلَ وَقُيُودٍ مَحْرُوسًا، وَكَانَ يَقْطَعُ الرُّبُطَ وَيُسَاقُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَى الْبَرَارِي. فَسَأَلَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: لَجِئُونُ. لأَنَّ شَيَاطِينَ كَثِيرَةً دَخَلَتْ فِيهِ. وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ لاَ يَأْمُرَهُمْ بِالذَّهَابِ إِلَى الْهَاوِيَةِ. وَكَانَ هُنَاكَ قَطِيعُ خَنَازِيرَ كَثِيرَةٍ تَرْعَى فِي الْجَبَلِ، فَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ بِالدُّخُولِ فِيهَا. فَأَذِنَ لَهُمْ. فَخَرَجَتِ الشَّيَاطِينُ مِنَ الإِنْسَانِ وَدَخَلَتْ فِي الْخَنَازِيرِ، فَانْدَفَعَ الْقَطِيعُ مِنْ عَلَى الْجُرْفِ إِلَى الْبُحَيْرَةِ وَاخْتَنَقَ. فَلَمَّا رَأَى الرُّعَاةُ مَا كَانَ هَرَبُوا وَذَهَبُوا وَأَخْبَرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَفِي الضِّيَاعِ، فَخَرَجُوا لِيَرَوْا مَا جَرَى. وَجَاءُوا إِلَى يَسُوعَ فَوَجَدُوا الإِنْسَانَ الَّذِي كَانَتِ الشَّيَاطِينُ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهُ لاَبِسًا وَعَاقِلاً، جَالِسًا عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ، فَخَافُوا. فَأَخْبَرَهُمْ أَيْضًا الَّذِينَ رَأَوْا كَيْفَ خَلَصَ الْمَجْنُونُ ".

حبقوق النبي سبق فرأى مجد المخلص وإذ انغلب من أعماله العجيبة، قدم له تسابيح قائلاً "*يارب قد سمعت خبرك فجزعت، قد رأيت أعمالك فاندهشت*" (حب٣: ٢س). لأنه أي عمل من الأعمال التي أجراها مخلصنا جميعًا المسيح، يستطيع أي واحد أن يقول إنها ليست جديرة بكل إعجاب؟ فأي منها ليس عظيمًا وعاليًا جدًا ويستحق المديح بل هو برهان على سلطانه الإلهي؟ وهذا يمكن أن نراه بوضوح شديد فيما قد قُرئ علينا الآن من الإنجيل. فلنلاحظ إذًا كيف أن طغيان العدو قد هزه المسيح، والأرض تحررت من شر الشياطين، فلننظر رؤوس الحية وقد جرحها الرب، وسرب الزحافات السامة مطرودة ومغلوبة في فزع، وأولئك الذين في الزمن القديم كانوا مملوئين من المكر

والتهور، الذين اخضعوا لسلطانهم كل الذين تحت السماء وتسلطوا على هياكلهم الغالية الثمن وعلى مذابحهم المزينة والذين كانوا يكرمون بالذبائح ويتوجون بمدائح شاملة، قد سقطوا الآن من مجدهم السابق، وإذ لم يعد لهم سلطان ولا على إنسان واحد، فإنهم يتوسلون لأجل قطيع الخنازير! أنه برهان واضح جدًا على البؤس غير المتوقع الذي حل بهم وبرهان على أنهم قد كسروا تمامًا.

ولكني ألاحظ أنني قد قفزت في حديثي مما بدأنا به، وأسرعنا إلى آخر الدرس مباشرة، لذلك تعالوا لكي نعود إلى البداية. لأن المخلص جاء بصحبة تلاميذه إلى كورة الجدريين وفي الحال قابلهم إنسان تسكنه أرواح نجسة كثيرة، وكان خاليًا من العقل والفهم، ولا يختلف في أي شئ عن أولئك الذين ماتوا ودفنوا في الأرض. أو بالحرى ربما كان في حالة أكثر بؤسًا. لأن الموتى يُلَفون بعناية بالأكفان ويوضعون في الأرض مثل من يوضع في حضن أمه، أما ذلك الإنسان ففي بؤس عظيم وعرى كان يجول بين الموتى. وكان في تعاسة كاملة يعيش حياة مهينة حقيرة، وهذا كان برهانًا على قساوة الشياطين ودليلاً واضحًا على نجاستهم. وإلى جانب ذلك فإن هذا كان تهمة ضدهم على كراهيتهم للجنس البشري، لأنهم لا يريدون لأي إنسان على الأرض أن يكون متزنًا بل يرغبون أن يكون الجميع كسكارى ومجانين، وأن لا يعرفوا شيئًا لفائدتهم، بل أن يُتركوا في جهل حتى لذاك الذي هو صانع الكل. لأن أي إنسان يمتلكونه ويخضعونه لسلطانهم، فإنهم في الحال يجعلونه مثالاً لبؤس عظيم، محرومًا من كل بركة ومقفرًا من كل تعقل ومعدمًا كلية حتى من العقل نفسه.

ويسأل البعض قائلين لماذا تملك الشياطين على الناس؟ ولشرح هذا الأمر أجيب أن سبب هذه الأمور عميق جدًا. ففي مكان ما يخاطب أحد القديسين الله قائلاً "*أحكامك لجة عظيمة*" (مز٣٦: ٦). ولكن طالما أننا نضع هذا في أذهاننا فإننا سوف لا نحيد بعيدًا عن العلامة الصحيحة. إذًا فإله الكل يسمح للبعض أن يسقطوا تحت قوة الشيطان، ليس بقصد أن يعانوا، بل لكي ما نتعلم بمثالهم بأي طريقة تعاملنا الشياطين. وهكذا نتحاشى أي رغبة في أن نكون خاضعين لهم، لأنه بآلام واحد يُبنى كثيرون.

ولكن إنسان الجدريين، أو بالحرى سرب الشياطين المختفي داخله خر أمام قدمي



المسيح قائلاً: "مالي ولك يا يسوع ابن الله العلي؟ أتوسل إليك أن لا تعذبني" هنا أرجو أن تلاحظوا مزيجًا من الخوف مع الوقاحة العظيمة والكبرياء المفرط. والكلمات التي يُجبَر على أن ينطق بها هي ممتزجة بتعالي وانتفاخ. لأن هذا هو برهان على كبرياء العدو، أنه يتجاسر ويقول "*مالي ولك يا يسوع ابن الله العلي*؟" فأنت تعلم بالتأكيد أنه ابن الله العلي، لذلك فأنت تعترف أنه أيضًا الله رب السماء والأرض وكل الأشياء التي فيها. فكيف إذًا تغتصب ما ليس لك أو بالحرى ما هو له، وتنسب لنفسك مجدًا ليس هو من حقك؟ لأنك تطلب أن تكون معبودًا، قائلاً "مالي ولك"؟ وهو الذي تحاول أنت أن تطرده من تلك الكرامة التي تليق به وحده. إن كل الناس على الأرض هم ملك له وأنت بشر فظيع تفسدهم، وتبعدهم بعيدًا عن معرفته هو بالحقيقة الرب وخالق الكل، وتغرّقهم في وحل الخطية جاعلاً إياهم عابدين لك ـــ وبعد ذلك تقول مالي ولك؟ أي ملك أرضي يحتمل أن الذين تحت حكمه يداسون بواسطة البرابرة؟ أو أي راعٍ هو بلا شعور وعدم مبالاة حتى حينما تهجم الوحوش الضارية على قطعانه لا يهتم بالكارثة ويحاول أن يساعد خرافه؟ اعترف إذًا حتى رغم إرادتك من أنت ولمن أنت تتكلم وانطق بكلمات تناسبك مثل "أرجوك ألا تعذبني"، لأنه أمر ـــ أي يسوع ـــ الروح النجس أن يخرج من الإنسان.

وأرجو أن تلاحظوا أيضًا الجلال الذي لا يقارن في ذلك الذي يفوق الكل، أي المسيح. فبقدرة لا تقاوم وسلطان ليس له مثيل يسحق الشيطان بمجرد أن يريد أن يكون الأمر كذلك. وهو لا يسمح له أن يحاول أن يعطي نظرة معارضة لأوامره. إن إرادة المسيح كانت نارًا ولهبًا بالنسبة له، حتى أنه يصدُق قول المرنم المبارك "*إن الجبال تذوب مثل الشمع أمام وجه الرب*" (مز٩٧: ٥). وأيضًا في مكان آخر يقول "*يمس الجبال فتدخن*" (مز١٠٤: ٣٢). لأنه يقارن قوات الشر العالية والمنتفخة بالجبال. وهذه القوات رغم اتصالها بالنار تذوب مثل الشمع أمام قدرة وسيادة مخلصنا. وإلى جانب ذلك يدخنون، والدخان يشير إلى نار على وشك أن تنفجر إلى لهيب، وهذا هو النصيب الذي تعانيه الأرواح النجسة.

ولكن المسيح سأله وأمره أن يقول ما هو اسمه؟ فقال لجئون لأن شياطين كثيرة دخلت فيه. فهل سأله لأنه لم يكن يعرف، ومثل واحد منام رغب أن يعلم اسمه كشئ يجهله؟ ولكن كيف لا يكون هذا هراء كاملاً أن نقول أو نتخيل أي ش من هذا النوع؟ لأنه إذ هو الله "*هو يعرف كل الأشياء، ويفحص القلوب والكلى*" (انظر مز٧: ٩). لذلك فهو قد سأل لأجل خطة الخلاص لكي نعلم أن عددًا كبيرًا من الشياطين تملكت على نفس ذلك الإنسان، وولدت فيه جنونًا رهيبًا ونجسًا. لأنه كان هو مجال عملهم، وهم حقا كما يقول الكتاب "*حكماء في عمل الشر ولعمل الصالح ما يفهمون*" (إر٤: ٢٢).

لذلك كما يقول المرنم "*فلنعيّد بالزهور*" (مز١١٧: ٢٧س)، وأيضًا "*يا جميع الأمم صفقوا بالأيادي*" (مز٤٧: ١) فلنضع في ذهننا ما هي صفة أعدائنا؟ ومن هم أولئك الرؤساء على كل الذين تحت السماء قبل مجئ مخلصنا، أنهم كانوا مملوئين مرارة ونجسين، وقتلة ومملوئين من كل شر. ولكن المسيح يحررنا من كراهية هذه الكائنات المؤذية. لذلك هيا نصيح بتهليل وفرح وبابتهاج عظيم "*لنقطع قيودهم ولنطرح عنا نيرهم*" (مز٢: ٣) لأننا قد أُطلقنا أحرارًا بقدرة المسيح وأُنقذنا من تلك الكائنات المرة الأثيمة الذين في الزمن القديم كان لهم سلطان علينا.

إذًا فسرب الأرواح النجسة طلبوا سربًا من الخنازير جدير بهم ومماثل لهم! والمسيح أعطاهم الإذن رغم أنه عرف جيدًا ماذا سيفعلون. وأستطيع أن أتخيل واحدًا يسأل: لماذا منحهم ما طلبوه؟ فنجيبه، أنه أعطاهم القوة لكي مثل كل أعماله الأخرى يكون ذلك واسطة لمنفعتنا ويلهمنا برجاء الأمان. ولكن ربما ستقول كيف وبأي طريقة؟ أنصت إذًا إنهم يسألون أن ينالوا قوة على الخنازير وهذا يوضح أنه لم تكن لهم هذه القوة. لا يوجد شك أنه لو كانت لهم هذه القوة لما طلبوها إن كان في سلطانهم أن يأخذوها بدون مانع. ولكن أولئك الذين ليس لهم قوة على الأشياء التافهة والتي لا قيمة لها، كيف يستطيعون أن يؤذوا أي واحد من الذين ختمهم المسيح، والذين يضعون رجاءهم فيه؟ لذلك فليتعزى قلبك ويستريح لأنك ربما فزعت عندما سمعت أن جمعًا من الأرواح الشريرة سكن في إنسان واحد وجعله يتجول بين قبور الأموات في

خزي وعري ومحرومًا من العقل والفهم وإذ أنك إنسان معرض للتجارب فإنك تخشى تعاسة مرة هكذا وغير محتملة لو هاجمك الشيطان، لذلك أنهض قلبك إلى الثقـة، ولا تفترض أن أي شئ من هذا يمكن أن يحدث بينما المسيح يحوطنا بالحماية والحـب. بالتأكيد أنهم لا يملكون قوة حتى على الخنازير. عظيمة جدًا هي العناية التي ينعم بها على جنس البشر، المعتني القدير بأمورنا، لأنه قال للرسل القديسين "*أليس عصفوران يباعان بفلس وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم وأما أنتم فحتى شـعور رؤوسكم جميعًا محصاة، فلا تخافوا أنتم أفضل من عصافير كثيرة*" (مـت١٠: ٢٩و٣٠). لأنه إن كان يمنح حمايته للأشياء التافهة والتي بلا قيمة فكيف لا يحسبنا مستحقين لكل اعتبار نحن الذين من أجلنا تأنس ذلك الذي هو بالطبيعة الله، واحتمل الازدراء مـن اليهود؟ لذلك اطردوا كل خوف، لأن الله يساعد، ويحيط بسلاح مسرته الصالحة أولئـك الذين يرغبون أن يعيشوا له، والذين يسعون أن يمارسوا تلك الأشياء المرضية في نظره.

وهذا أيضًا نتعلمه مما حل بقطيع الخنازير، أن الـشياطين الأشـرار هـم قـساة ومسببون للأذى ومؤلمون وغادرون بأولئك الذين يقعون تحت سلطانهم. وهذا ما يثبته الواقع بوضوح، أنهم دفعوا الخنازير من على الجرف وأغرقوهم في الميـاه. لـذلك فالمسيح أعطاهم ما طلبوا، لكي ما نتعلم مما حدث أن اتجاههم قاسي ووحشي وأنهـم غير قابلين لأن يلينوا، ويقصدون فقط أن يفعلوا الشر بأولئك الـذي يـستطيعون أن يأخذوا قوة عليهم.

لذلك فإن كان واحد بيننا شهواني وخنزيري ومحب للقذارة ونجس، وملوث بإرادته بالخطية الكريهة، مثل هذا الإنسان يسقط بإذن من الله تحت سلطانهم ويغرق في هاوية الهلاك. ولكن لا يمكن أن يحدث لأولئك الذين يحبون المسيح أن يصيروا خاضـعين لهم. ولا يمكن أن يحدث لنا طالما أننا نسير في أثر خطواته ونتحاشى الإهمال فـي ممارسة ما هو مستقيم ونرغب في تلك الأشياء التي هي كريمة والتي تختص بالسيرة الفاضلة الجديرة بالثناء، التي علمنا إياها المسيح بتعاليم الإنجيل، الذي به ومعـه، لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٤٥)

ابنه يايرس، وشفاء نازفة الدم

(لو ٨: ٤٠ـــ ٤٨) *"وَلَمَّا رَجَعَ يَسُوعُ قَبِلَهُ الْجَمْعُ لأَنَّهُمْ كَانُوا جَمِيعُهُمْ يَنْتَظِرُونَهُ. وَإِذَا رَجُلٌ اسْمُهُ يَايِرُسُ قَدْ جَاءَ، وَكَانَ رَئِيسَ الْمَجْمَعِ، فَوَقَعَ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَطَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ، لأَنَّهُ كَانَ لَهُ بِنْتٌ وَحِيدَةٌ لَهَا نَحْوُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَتْ فِي حَالِ الْمَوْتِ. فَفِيمَا هُوَ مُنْطَلِقٌ زَحَمَتْهُ الْجُمُوعُ. وَامْرَأَةٌ بِنَزْفِ دَمٍ مُنْذُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، وَقَدْ أَنْفَقَتْ كُلَّ مَعِيشَتِهَا لِلأَطِبَّاءِ، وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تُشْفَى مِنْ أَحَدٍ، جَاءَتْ مِنْ وَرَائِهِ وَلَمَسَتْ هُدْبَ ثَوْبِهِ. فَفِي الْحَالِ وَقَفَ نَزْفُ دَمِهَا. فَقَالَ يَسُوعُ: مَنِ الَّذِي لَمَسَنِي؟ وَإِذْ كَانَ الْجَمِيعُ يُنْكِرُونَ، قَالَ بُطْرُسُ وَالَّذِينَ مَعَهُ: يَا مُعَلِّمُ، الْجُمُوعُ يُضَيِّقُونَ عَلَيْكَ وَيَزْحَمُونَكَ، وَتَقُولُ: مَنِ الَّذِي لَمَسَنِي؟ فَقَالَ يَسُوعُ: قَدْ لَمَسَنِي وَاحِدٌ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّ قُوَّةً قَدْ خَرَجَتْ مِنِّي. فَلَمَّا رَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّهَا لَمْ تَخْتَفِ، جَاءَتْ مُرْتَعِدَةً وَخَرَّتْ لَهُ، وَأَخْبَرَتْهُ قُدَّامَ جَمِيعِ الشَّعْبِ لأَيِّ سَبَبٍ لَمَسَتْهُ، وَكَيْفَ بَرِئَتْ فِي الْحَالِ. فَقَالَ لَهَا: ثِقِي يَا ابْنَةُ، إِيمَانُكِ قَدْ شَفَاكِ، اذْهَبِي بِسَلاَمٍ".*

أولئك الذين هم ماهرون في شرح سر تدبير الابن الوحيد في الجسد، وأولئك الذين استنارت عقولهم بالنور الإلهي، يوصيهم الروح قائلاً " *حدثوا بين الأمم بمجده، وبين جميع الشعوب بعجائبه* " (مز٩٦: ٣). فهل يأمر الروح إذًا أن يعلنوا مجد مخلصنا جميعًا المسيح بين جماهير الأمم، وإلى سكان العالم كله، لأنه ليس بأي سبب آخر غير ذلك يمكن أن يكون موضع الإعجاب أو لكي ما يؤمن به أيضًا جميع الناس. أنـي أؤكـد حقيقة أنه لكي ما يكون هو موضع الإعجاب وأيضًا لكي ما نؤمن أن كلمـة الله الآب هو الله نفسه، حتى رغم أنه كما يقول يوحنا "*قد صار جسدًا*" (يو١: ١٤)، لأنه أيضًا في موضع آخر يعلن لليهود "*إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال*" (يو١٠: ٣٧، ٣٨).

هيا بنا مرة أخرى نراه وهو يفيد الجموع بالمعجزات التي صنعها لأجل خيـرهم. لأنه كان هناك رئيس ومعلم لمجمع اليهود اسمه يايرس كما يعلن لنا الإنجيل هنا. هذا



وقع عند قدمي المسيح مخلصنا جميعًا ليسأل لأجل إبطال الموت وملاشاة الفساد. لأن ابنته كانت على أبواب القبر. فتعالوا ودعونا نسأل يايرس ليخبرنا في أي ضوء هو ينظر إلى ذاك الذي يقدم إليه توسله؟ لأنك إن اقتربت منه معتبرًا إياه مجرد إنسان، أو مثل واحد منا أي كواحد لا يملك أي قوة أعلى من ذواتنا، فإنك تخطئ، وتكون قد ضللت عن الطريق الصحيح بطلبك من إنسان ما يستلزم قوة الله. إن الطبيعة العالية وحدها تستطيع أن تعطي حياة للموتى. هي وحدها لها عدم الموت. لأن كل شئ يأتي إلى الوجود يأخذ حياته وحركته منها. لذلك أطلب من الناس الأشياء التي تخص الناس وأطلب من الله الأشياء التي تخص الله.

وبالإضافة إلى ذلك أنت تعبده كالإله القدير، وأنت تفعل ذلك عارفًا بالتأكيد وشاهدًا أنه يستطيع أن يعطيك إجابة طلباتك. لذلك فأي كلام يكفي للدفاع عنك أيها الذي ترجم المسيح مخلص الكل وتضطهده أنت والباقين؟ وبغباوة شديدة وعدم تقوى تقولون: "*لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف لأنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا*" (يو ١٠: ٣٣).

ولا يجب أن نتعجب من هذه المعجزة فقط، بل من الآتية أيضًا. لأن لعازر قام بالحقيقة من الموت بدعوة المسيح له، الذي جعله يخرج من القبر حينما قد كان له أربعة أيام فيه. والفساد كان قد بدأ في جسده. وأولئك الذين كانوا مشاهدين للمعجزة اندهشوا من جلال الفعل. أما رؤساء مجمع اليهود فقد جعلوا من نفس المعجزة طعامًا للحسد. وهذا العمل العظيم الرائع اختزنوه في ذاكرتهم كبذرة تنمو منها معصية القتل. لأنهم حينما اجتمعوا تشاوروا مع بعضهم ليس لأجل عمل مشروع، بل بالحرى لأجل عمل قد آتي عليهم بالهلاك النهائي، لأنهم قالوا "*ماذا نصنع؟ فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة، إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا*" (يو ١١: ٤٧، ٤٨). فماذا تقول إذًا لهذا؟ أنت رأيت الموت يتلاشى في حالة لعازر، الموت الذي كان دائمًا ولكل واحد سابقًا، كان قاسيًا وغير خاضع. أنت رأيت الهلاك يفقد سلطانه، الذي لم يهرب منه أي واحد على الأرض. فكيف إذًا تتخيل أنك تستطيع

أن تجعله خاضعًا للموت، ذلك الذي هو فوق الموت، وهو الذي يطرح الهلاك، وهو معطي الحياة؟ كيف يستطيع ذلك الذي أنقذ آخرين من مخالب الموت أن يعاني هو نفسه منه إن لم يرد هو ذلك لكي يتمم خطة الخلاص. لذلك فالقول المختص بهم هو حقيقي "*أنهم بنون جاهلون وهم غير فاهمين*" (إر٤: ٢٢).

ولكن مصير الصبية لم يكن بدون نفع لأبيها لأنه كما يحدث أحيانًا أن شدة الأعنة ترجع الجواد المسرع الذي خرج عن الطريق وتعيده إلى الطريق الصحيح، هكذا أيضًا فإن الاضطراب كثيرًا ما يضطر نفس الإنسان أن تخضع لتلك الأشياء التي هي لخيرها. ونجد داود المبارك يخاطب الله عن هذا أيضًا فيما يخص أولئك الناس الذين لا يريدون بعد أن يسلكوا باستقامة، بل وكانوا منقادين بانفعالات عقولهم المضطربة إلى هوة الهلاك فيقول: "*بلجام وزمام أنت تضبط فك أولئك البعيدين عنك*" (مز٣١: ٩س). لأن قوة الظروف تأتي بالناس كما قلت، حتى ضد إرادتهم إلى ضرورة إحناء عنقهم لله كما يمكن أن نرى واضحًا بطريق غير مباشر في أمثال الإنجيل. لأن المسيح قال في موضع ما أنه حينما كانت الوليمة مستعدة أرسل عبدًا ليدعو المدعوين إلى العشاء ويجمع أولئك الذين دعوا، ولكنهم بواسطة أعذار زائفة متنوعة لم يأتوا. حينئذ يقول الإنجيل إن الرب تكلم إلى العبد قائلاً "*أخرج إلى الطرق والسياجات والزمهم بالدخول حتى يمتلئ بيتي*" (لو١٤: ٢٣). فما هو إذًا معنى دعوة الناس من السياجات وذلك كما لو كان بالقوة، إن لم يكن هو المعنى المشار إليه هنا؟ (أي بواسطة الضيقات) فإن الكوارث التي تفوق الاحتمال تؤدي بالناس أحيانًا إلى بؤس شديد. وعندما يلقون عناية ومساعدة من أولئك الذين يتقون المسيح، فإنهم بذلك يرشدونهم إلى الإيمان به ومحبته. وإذ يُفطَمون من ضلالهم السابق الذي تسلموه من آبائهم، فإنهم يقبلون كلمة الإنجيل المخلّصة. ونحن نؤكد أن مثل أولئك هم الذين يدعون من السياجات. فإنهم بالحقيقة أكثر عظمة وجدارة بالمديح حينما يكون الانسحاب من الضلال السابق والإسراع إلى الحق هو ثمرة الإرادة الحرة. ومثل هؤلاء التائبين إذ يجمعون تأكيدات إيمانهم من الكتب المقدسة ويتمتعون بالتعليم من



الرجال المهرة في إدخال الناس إلى الأسرار، سوف يتقدمون إلى الأمام إلى إيمان صحيح وبلا لوم. أما أولئك الآخرون الذين يشتعلون ـ إذا استعملنا هذا التعبير ـ بالأخبار والاضطرابات التي تقابلهم، لكي يعترفوا بالحق، هم ليسوا متساوين مع السابقين، ولكن حينما يدخلون ينبغي أن يكونوا حريصين أن يدوموا ثابتين، ويهربون من تقلب البطش، لأنه من واجبهم أن يحتفظوا بإيمان غير متزعزع لئلا يوجدوا عمالاً مرفوضين وضعفاء ومرتدين بعد الختم[١]، ويكونوا جبناء وخائفين بعد أن حملوا السلاح. فدعهم لا يرجعون مسرعين إلى أعمالهم السابقة لئلا يقال عنهم ما تحدث به أحد الرسل القديسين "*لأنه كان خيرًا لهم لو لم يعرفوا طريق البر من أنهم بعدما عرفوه يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم. قد أصابهم ما في المثل الصادق كلب قد عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة*" (٢بط ٢: ٢١، ٢٢).

ولكي لا يطول بنا هذا الحديث دعونا نعود إلى موضوعنا الأصلي. فيايرس يقترب حينئذ، ولكننا ننكر أن مجيئه كان ثمرة إرادة حرة، بل بالحرى فإن الخوف من الموت هو الذي جعله يتصرف ضد إرادته. فإن الموت بدأ يهاجم ابنته فعلاً وكانت ابنة وحيدة له، فقد جعل شهوة كلماته الرديئة وأفكاره كلا شئ. فهو الذي كثيرًا ما حاول أن يتهجم على المسيح لأقامته الميت من القبر والآن يسأل منه أن يبطل الموت. ولكي يظهر إذًا أن أخلاقه خشنة ورديئة ولكي يتوبخ عن ذلك بالأعمال نفسها، فإن المسيح يصحبه ويلبي طلبه.

ولكن كان هناك نوع من التصرف الحكيم فيما حدث. فلو أن المسيح لم يلبِ طلبه للنعمة فإنه هو وكل من يعاني تحت نفس الجهل مثله أو بالحرى يعاني من نقص الفهم الحسن، كان يقول إن المسيح لم يكن قادرًا أن يقيم الفتاة، ولا أن يطرد الموت منها حتى لو كان قد ذهب إلى المنزل، وأنه كان إذًا بدون قوة ولا يستطيع أن يتمم المعجزة الإلهية، وأنه جعل عدم رضاه عن يايرس حجة للابتعاد بعيدًا. ولذلك لكي يوقف أفكار اليهود النجسة والجامحة ويلجم ألسنة أشخاص عديدين هم على استعداد

[١] أي يتراجعوا بعد أن ختموا ختم الروح في المعمودية.

لاصطياد الأخطاء، فإنه يوافق في الحال وبعد أن يقيم الفتاة التي كانت في خطر، وقد اتبع الوعود بالتتميم لكي لا يكون لهم عذر في عدم الإيمان من جهتهم، ولكي تكـون هذه المعجزة مثل غيرها لدينونتهم، لأن المسيح أيضًا قال عنهم "*لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي*" (يو١٥: ٢٤). حينئذ ذهب المخلص ليقيم الصبية، ولكي يغرس في سكان الأرض الرجاء الأكيد بالقيامة من الموت.

شفاء نازفة الدم:

ولكن بينما كان في منتصف الطريق فإن معجزة أخرى شبيهة بالـسابقة حـدثت بطريقة عجيبة، فقد كانت هناك امرأة مصابة بنزف دم وهو مرض شديد ورديء. لـم يخضع لمهارة الأطباء وفشلت فيه كل العلاجات البشرية. لأنها لم تقدر أن تشفى من أحد، رغم أنها أنفقت كل معيشتها على أولئك الذين وعدوا أن ينقذوها من مرضـــها. لذلك حينما فقدت المرأة البائسة كل رجاء في البشر، وتعيش الآن في بؤس تام فإنهـا فكّرت في خطة حكيمة. لأنها لجأت إلى الطبيب الذي من فوق من السماء باعتبـاره هو الذي يستطيع بسهولة وبدون جهد أن يحقق تلك الأشياء التي تفوق قوتنا. وأي شئ يقرره مهما كان فهو يتممه ولا يوجد ما يستطيع مقاومته.

إن إيمانها بهذا ربما جاء بمناسبة رؤيتها ليايرس وهو يأخذ يسوع معه إلى بيتـه ليتبرهن أنه أقوى من الموت، بإنقاذ ابنته من رباطات الموت التي لا فكاك منها. لأنها ربما فكرت داخل نفسها، أنه إن كان هو أقوى من الموت، وهو محطم الفـساد فكـم بالأكثر يستطيع أيضًا أن يشفيها من المرض الذي أصابها ويغلق بقوته الفائقة ينـابيع نزف دمها! لذلك اقتربت منه ولمست هدب ثوبه، ولكن سرا وليس علانية، لأنها كانت تأمل ألا يلاحظها أحد، وكما لو كانت، تريد أن تسرق الشفاء من واحد دون أن يعلـم ذلك. ولكن أخبروني لماذا كانت المرأة حريصة ألا يلاحظها أحد؟ لماذا لم تقترب من المسيح بجرأة أكثر من ذلك الأبرص وتسأل الشفاء من مرضها غير القابل للـشفاء؟ لأن الأبرص قال "يا سيد أن أردت تقدر أن تطهرني" (لـو ٥: ١٢). ولماذا لم تفعل مثل الأعميان اللذان حينما عبر بهما المسيح صرخا قائلين "*ارحمنا يا سيد يا ابـن داود؟*"



(مت٢٠: ٣٠). فما الذي جعل تلك المريضة ترغب أن تظل مختفية؟ ذلك بسبب أن ناموس موسى الحكيم ينسب النجاسة لأي امرأة تعاني من نزف الدم، ويدعوها نجسة والتي تكون نجسة لا ينبغي أن تلمس أي شئ طاهر، ولا تقترب من أي إنسان مقدس. لهذا السبب كانت المرأة حريصة أن تظل مختفية، لئلا بتعديها الناموس تتعرض للعقاب الذي يفرضه. وحينما لمست المرأة هدب ثوبه فإنها شفيت في الحال ودون تأخير.

ولكن المعجزة لم تظل خافية، لأن المخلص رغم أنه يعرف كل الأشياء سأل كما لو كان لا يعرف قائلاً "*مَنْ لمسني*؟" وحينما قال له الرسل القديسون "*الجموع مضيقون عليك ويزحمونك*". فإنه يضع أمامهم ما قد حدث قائلاً: "*مَنْ لمسني لأني علمت أن قوة قد خرجت مني*"، فهل إذًا لأجل محبة المجد لم يسمح الرب لهذه المعجزة الإلهية التي حدثت للمرأة أن تظل مختفية؟ حاشا أن نقول هذا بل بالحرى لأنه دائمًا يضع في اعتباره منفعة أولئك الذين يدعون إلى النعمة بواسطة الإيمان. إن إخفاء المعجزة كان سيكون ضارًا لكثيرين، ولكن بإعلانها قد أفادتهم بدرجة غير قليلة، وخصوصًا رئيس المجمع نفسه، لأنها أعطت ضمانًا للرجاء الذي كان يتطلع إليه، وجعلته يثق بيقين أن المسيح سينقذ ابنته من رباطات الموت.

ولكن هذه المعجزة هي موضوع مناسب لإعجابنا، لأن تلك المرأة أُنقِذَت، إذ قد تحررت من حالة من المعاناة مرة جدًا وغير قابلة للشفاء، وبذلك فنحن نحصل على يقين أكيد أن عمانوئيل هو الله نفسه، كيف وبأي طريقة؟ من الحادثة المعجزة نفسها، ومن الكلمات التي تكلم بها بكرامة إلهية، لأنه قال "لأني علمت أن قوة قد خرجت مني" ولكن هذا يعلو على مستوانا البشري ربما حتى مستوى الملائكة أن نرسل أية قوة من طبيعتها الخاصة بشئ من ذاتها. أن مثل هذا الفعل هو صفة مناسبة فقط للطبيعة التي هي فوق الكل. والأعلى من الكل لأن كل كائن مخلوق مهما كان يُمنَح قوة سواء للشفاء أو ما يماثل ذلك ولا يملك هذه الثمرة من ذاته، بل كشئ معطى له من الله. لأن المخلوق كل الأشياء هي معطاة له وتتم فيه. ولكن من ذاته لا يستطيع أن

يفعل شيئًا. لذلك، كإله قال " *علمت أن قوة قد خرجت مني* ".

والآن قدمت المرأة اعترافًا بما حدث وقد تركت مع المرض الذي شفيت منه الخوف أيضًا، وهو الذي جعلها ترغب في أن تظل مختفية، أما الآن فقد أعلنت المعجزة الإلهية، ولذلك حسبت أهلاً لكلماته المطمئنة، ونالت تأكيدًا لها بأنها لن تعانِ من مرضها بعد ذلك، لأن مخلّصنا المسيح قال لها "*يا ابنة إيمانك قد شفاك. اذهبي بسلام* ".

وهذا أيضًا كان لمنفعة يايرس رغم أنه كان في الحقيقة درسًا قاسيًا. لأنه تعلم أنه لا العبادة الناموسية، ولا سفك الدم، ولا ذبح الماعز والثيران، ولا ختان الجسد، ولا راحة السبوت ولا أي شئ آخر من هذه الأمور المؤقتة والرمزية يستطيع أن يخلّص سكان الأرض. الإيمان بالمسيح فقط يستطيع أن يعمل هذا. الذي بواسطته تبرر حتى إبراهيم المبارك، ودعى خليل الله، وحُسِبَ اهلاً لكرامات خاصة. وقد أعطيت بركة الله أيضًا لأولئك الذين بحسب الموعد سيكونون أبناءه، أي لنا نحن، "*لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعًا أولاد. بل أولاد الموعد يحسبون نسلاً*" (رو٩: ٦ــ٨). إذًا هذه النعمة تختص بنا، لأننا قد نلنا التبني كأبناء لإبراهيم "*متبررين ليس بأعمال الناموس بل بالإيمان بالمسيح*" (انظر غل٢: ١٦)، الذي به، ومعه. لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس. إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٤٦)
إقامة ابنة يايرس

(لو ٨: ٤٩- ٥٦) "*وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ، جَاءَ وَاحِدٌ مِنْ دَارِ رَئِيسِ الْمَجْمَعِ قَائِلاً لَهُ: قَدْ مَاتَتِ ابْنَتُكَ. لاَ تُتْعِبِ الْمُعَلِّمَ. فَسَمِعَ يَسُوعُ، وَأَجَابَهُ قَائِلاً: لاَتَخَفْ! آمِنْ فَقَطْ، فَهِيَ تُشْفَى. فَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ لَمْ يَدَعْ أَحَدًا يَدْخُلُ إِلاَّ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَأَبَا الصَّبِيَّةِ وَأُمَّهَا. وَكَانَ الْجَمِيعُ يَبْكُونَ عَلَيْهَا وَيَلْطِمُونَ. فَقَالَ: لاَ تَبْكُوا. لَمْ تَمُتْ لكِنَّهَا نَائِمَةٌ. فَضَحِكُوا عَلَيْهِ، عَارِفِينَ أَنَّهَا مَاتَتْ. فَأَخْرَجَ الْجَمِيعَ خَارِجًا، وَأَمْسَكَ بِيَدِهَا وَنَادَى قَائِلاً: يَا صَبِيَّةُ، قُومِي!. فَرَجَعَتْ رُوحُهَا وَقَامَتْ فِي الْحَالِ. فَأَمَرَ أَنْ تُعْطَى لِتَأْكُلَ. فَبُهِتَ وَالِدَاهَا. فَأَوْصَاهُمَا أَنْ لاَ يَقُولاَ لأَحَدٍ عَمَّا كَانَ*".

هلم يا جميع محبي مجد المخلص، هلم وانسجوا أكاليل لرؤوسكم، تعالوا أيضًا، لكي ما نبتهج به، وبينما نحن نمجده بتسابيح لا تنتهي، دعونا نقول بكلمات النبي إشعياء "*يارب أنت إلهي أعظمك. أحمد اسمك لأنك صنعت أعمالاً عجيبة. مقاصدك منذ القديم أمانة وصدق*" (إش٢٥: ١)، ما هي إذًا مشورة الله الآب وقصده الذي كان منذ القديم. وكان صدقًا؟ واضح أن الأمر يخصنا نحن لأن المسيح سبق فعرف سره حتى قبل تأسيس العالم. ولكن في الأزمنة الأخيرة للعالم نهض لأجل سكان الأرض، وإذ قد حمل خطية العالم فإنه يبطلها ويبطل الموت أيضًا الذي نتج عنها، والذي جلبناه على أنفسنا بواسطة الخطية. لأنه هكذا قال هو نفسه بوضوح "*أنا هو القيامة والحياة، من يؤمن بي فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة*" (يو١١: ٢٥؛ ٥: ٢٤). وهذا هو ما نراه يتحقق بالوقائع الفعلية لأن رئيس مجمع اليهود اقترب منه واحتضن قدمي المخلص، وطلب منه أن ينقذ ابنته من رباطات الموت. لأنها كادت أن تصل إلى حالة الموت وكانت في خطر عظيم، ووافق المخلص وانطلق معه، بل إنه كان يسرع إلى بيت ذلك الذي

طلب منه هذا الإحسان. وكان يعرف أن ما يحدث سوف ينفع كثيرين من أولئك الذين يتبعونه، وسوف يكون أيضًا سببًا لمجده. وفي الطريق شفيت المرأة التي كانت فريسة لمرض غير قابل للشفاء (نازفة الدم)، لأنها كانت تعاني من نزف دم لم يستطيع أحد أن يوقفه حتى أن مهارة الأطباء كانت بلا فائدة، ولكنها بمجرد أن لمست هدب ثوبه بإيمان، فإنها شفيت في الحال. وهكذا حدثت معجزة مجيدة وظاهرة نتيجة مجرد سير المسيح في الطريق.

وبعد ذلك جاء واحد من بيت رئيس المجمع قائلاً له "*ابنتك قد ماتت لا تتعب المعلم*". فماذا إذًا كان جواب المسيح إذ هو يملك سلطانًا كاملاً وهو رب الحياة والموت، وبقرار إرادته الكلية القدرة يتمم كل ما يريد؟

لقد رأى الرجل مضغوطًا بأثقال الحزن، ويكاد يغمى عليه، وهو مذهول ويكاد ييأس من إمكانية إنقاذ ابنته من الموت. لأن الكوارث تستطيع أن تسبب اضطرابًا حتى للعقل الذي يبدو متماسكًا، وأن تبعده عن أفكاره المستقرة. لذلك فلكي يساعده، أعطاه كلمة رحمة مخلصة، يمكن أن تسنده في حالته الحائرة، وتخلق فيه إيمانًا غير متذبذب، إذ قال له "*لا تخف، آمن فقط، وهي ستحيا*".

ولما جاء إلى البيت، بدأ يهدئ نواحهم، ويسكت المزمرين، ويكفكف دموع الباكين قائلاً "الصبية لم تمت لكنها نائمة". ويقول الإنجيل إنهم "*ضحكوا عليه*"، وأرجو أن تلاحظوا هنا المهارة العظيمة في التعامل فرغم أنه عرف جيدًا أن الصبية كانت ميتة لكنه قال "أنها لم تمت، ولكنها نائمة". ولماذا قال هذا؟ فإنهم بضحكهم عليه أعطوا اعترافًا واضحًا أن الصبية قد ماتت، لأنه من المحتمل أن يكون هناك بعض من تلك الفئة التي كانت دائمًا تقاوم مجده، أولئك الذين يرفضون المعجزة الإلهية ويقولون إن الصبية لم تكن قد ماتت بعد، وأنه بإنقاذها من المرض لم يكن هناك شئ فوق العادي فعله المسيح. لذلك فلكي ينتزع اعتراف كثيرين أن الصبية قد ماتت قال "*إنها نائمة*"، ولا يستطيع إنسان أن يقرر أن المسيح تكلم بغير الحق. فإنه بالنسبة إليه إذ هو



نفسه الحياة بالطبيعة، ليس هناك شئ ميت، وهذا هو السبب الذي يجعلنا نحن الذين لنا رجاء ثابت في قيامة الموتى، أن نسميهم "الراقدين" لأنهم سيقومون في المسيح، وكما يقول بولس المبارك " *هم يحيون معه* " (رو٦: ٨). ويعني أنهم سيحيون.

ولكن لاحظوا هذا أيضًا. فكما لو أنه يريد أن يعلمنا أن نتجنب المجد الباطل، رغم أننا لن نستطيع بالتأكيد أن نجري مثل هذه الأعمال العجيبة، حينما جاء إلى البيت الذي كانت ترقد فيه الصبية ميتة، فإنه أخذ معه ثلاثة من الرسل القديسين وأبا الصبية وأمها.

والطريقة التي أجرى بها المعجزة طريقة جديرة بالله. فكما يقول الإنجيل، أمسك بيد الفتاة وقال، يا صبية قومي، فقامت في الحال. يالقوة هذه الكلمة، وقدرة الأوامر التي لا يستطيع شئ أن يقاومها! ويا لهذه اللمسة المعطية للحياة، من يده، تلك اللمسة التي تبيد الموت، والفساد! هذه هي ثمار الإيمان، الذي لأجله أعطى الناموس أيضًا للقدماء بواسطة موسى.

ولكن ربما يقول أحد هنا: ولكن أي إنسان يستطيع أن يرى أن الفرائض التي أمر بها الناموس ليست مثل الإيمان بالمسيح، بل هي مختلفة عنه، لأن الناموس يأمرنا أن نقدم ذبائح دموية، والإيمان يرفض كل شئ من هذا النوع، وقد أتى للبشرية بعبادة تُقدَم بالروح وبالحق. لأن المسيح نفسه يتكلم في موضع ما بواسطة قيثارة المرنم موجهًا الحديث لله الآب في السماء "*ذبيحة وقربانًا لم ترد، بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر، ولكن هيأت لي جسدًا. ثم قلت هأنذا أجئ في درج مكتوب عني، لأفعل مشيئتك بالله*" (مز٣٩: ٦، ٧س). لذلك فالتقدمات الدموية لا تنفع، ولكن الرائحة الطيبة للعبادة الروحية هي مقبولة تمامًا عند الله. وهذه العبادة لا يستطيع أحد أن يقدمها له إن لم يكن له أولاً ذلك الإيمان الذي هو بالمسيح. ويشهد بولس المبارك لهذا الإيمان، حيث يكتب "*بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه*" (عب ١١: ٦).

لذلك فمن الضروري لنا أن نشرح بأي معنى نحن نقول إن الناموس قد أعطى بسبب الإيمان. فإبراهيم المبارك تبرر بالطاعة والإيمان لأنه مكتوب أن "*إبراهيم آمن بالله ودعى خليل الله وحسب له الإيمان برا*" (يع٢: ٢٣). ووعده الله أنه سيكون أبًا لأمم كثيرة، وأن كل الأمم ستتبارك فيه، أي بالتمثل بإيمانه. لذلك يمكن أن نرى أن النعمة التي بواسطة الإيمان سابقة على الفرائض التي أمر بها الناموس، إذ أن إبراهيم وصل إلى هذه النعمة بينما كان لا يزال غير مختون. وفيما بعد، بعد فترة من الزمن دخل الناموس على يد موسى. فهل هو يطرح بعيدًا التبرير الذي بواسطة الإيمان، أعني الذي وعد به الله لأولئك الذين يتبعون خطوات إيمان أبينا إبراهيم، الذي كان له وهو لا يزال غير مختتن؟ ولكن كيف يكون هذا صحيحًا؟ لذلك يكتب بولس المبارك "*وإنما أقول هذا أن الناموس الذي صار بعد أربعمائة وثلاثين سنة لا ينسخ عهدًا قد سبق فتمكن من الله نحو المسيح، حتى يجعل الموعد الذي أعطى للآباء باطلاً*" (غل٣: ١٧). وأيضًا يقول "*هل الناموس ضد مواعيد الله؟ حاشا*" (غل٣: ٢١) وبولس الإلهي نفسه يعلمنا الأسباب التي لأجلها دخل الناموس بواسطة خدمة ملائكة، والطريقة التي بها يدعم الإيمان بالمسيح، إذ أن الناموس قد أعطى قبل زمن تجسد الابن الوحيد، وهو يقول مرة أن "*الناموس دخل لكي تكثر الخطية*" (رو٥: ٢٠). وفي مرة أخرى "*إن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية*" (غل٣: ٢٢)، ويقول أيضًا: "*لذلك، فالناموس قد زيد بسبب التعديات*" (غلا ٣: ١٩).

هل تريدون أن تعرفوا كيف أغلق الكتاب على الكل تحت الخطية؟ إني سأشرح هذا الأمر بأقصى ما هو في استطاعتي. فالأمم، الذين كانوا حينئذ بدون إله، ولا رجاء لهم، كانوا في هذا العالم كأناس مسجونين في شراك الدناءة، ومعلقين في حبال الخطية بلا رجاء في النجاة. ومن الجهة الأخرى كان الإسرائيليون حاصلين على الناموس كمؤدب حقا، ولكن لم يستطع أي



إنسان أن يتبرر بواسطته. فلم تكن أي منفعة من تقديمهم ذبائح دموية عن خطاياهم. وهذا ما يشهد له بولس أيضًا قائلاً "*لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا*" (عب١٠: ٤). إن الناموس هو برهان على ضعف جميع البشر، ولذلك فإن بولس المبارك يسميه "*خدمة الدينونة*" (٢كو٣: ٧). وقد كثرت الخطية بواسطة الناموس. وذلك ليس كأنه يجعل الإنسان يخطئ، بل بالحرى لأنه يعلن دينونة كل من هو تحت التعدي. لذلك فقد أُعطى الناموس بسبب التعديات، حتى أنه ليس هناك إنسان يستطيع أن يصل إلى حياة بلا لوم، فإن مجئ التبرير الذي بواسطة المسيح يصير أمرًا ضروريا تمامًا. فلم يكن هناك طريق آخر يستطيع سكان الأرض أن يهربوا بواسطته من طغيان الخطية. إذًا فالناموس دخل أولاً لأجل الإيمان، لكي يكشف خطية أولئك الذين كانوا معرضين للضعفات. ويثبت أنهم خطاة. لذلك فالناموس كما لو كان يرسل الناس إلى التطهير الذي في المسيح بواسطة الإيمان. ولهذا السبب كتب بولس المبارك أيضًا: "*إذن قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح... ولكن بعدما جاء الإيمان لسنا بعد تحت مؤدب*" (غلا ٢: ٢٤، ٢٥)، لأننا جميعًا أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع.

إذًا فالإيمان من كل جهة، هو سبب الحياة، وهو الذي يميت الخطية التي هي أم الموت ومربيته. لذلك كم هو رائع ما قاله المسيح لرئيس مجمع اليهود عندما ماتت ابنته "*لا تخف آمن فقط وهي ستحيا*" لأنه كما قلت، فالمسيح يحيي أولئك الذين يقتربون إليه بإيمان أنه هو الحياة "*لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد*" (أع١٧: ٢٨). "*وهو سيقيم الموتى في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير*" كما هو مكتوب (١كو١٥: ٥٢). وإذ لنا هذا الرجاء فيه فإننا سوف نصل إلى المدينة التي هي فوق، وسنملك كملوك معهم، الذي به ومعه، لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

(أيقونة تصور دعوة الأثنى عشر رسولا)







"ودعا تلاميذه الأثنى عشر وأعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين وشفاء أمراض. وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله . . . ."

الأصحاح التاسع

عظة (٤٧)
إرسال الاثني عشر

(لو ٩: ١ــ٥) *" وَدَعَا تَلاَمِيذَهُ الاثْنَيْ عَشَرَ، وَأَعْطَاهُمْ قُوَّةً وَسُلْطَانًا عَلَى جَمِيعِ الشَّيَاطِينِ وَشِفَاءِ أَمْرَاضٍ، وَأَرْسَلَهُمْ لِيَكْرِزُوا بِمَلَكُوتِ اللهِ وَيَشْفُوا الْمَرْضَى. وَقَالَ لَهُمْ: لاَ تَحْمِلُوا شَيْئًا لِلطَّرِيقِ: لاَ عَصًا وَلاَ مِزْوَدًا وَلاَ خُبْزًا وَلاَ فِضَّةً، وَلاَ يَكُونُ لِلْوَاحِدِ ثَوْبَانِ. وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَهُنَاكَ أَقِيمُوا، وَمِنْ هُنَاكَ اخْرُجُوا. وَكُلُّ مَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ فَاخْرُجُوا مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ، وَانْفُضُوا الْغُبَارَ أَيْضًا عَنْ أَرْجُلِكُمْ شَهَادَةً عَلَيْهِمْ ".*

إنه قول صادق، أنَّ ثمر الأعمال الصالحة مشرِّف، لأن أولئك الذين يريدون أن يحيوا حياة نقية وغير مدنسة على قدر ما هو ممكن للناس، هؤلاء يــزيِّنهم المسيح بمواهبه، ويمنحهم مكافأة مجزية وافرة، لأجل كل أعمال تقواهم، يجعلهم شركاء مجده، لأنه من المستحيل أن يكذب ذاك الذي يقول: "*حيٌّ أنــا، يقــول الرب، فإني أكرم الذين يكرمونني*" (١صم٢: ٣٠ سبعينية).

وكبرهان بسيط وواضح علي هذا فإني استشهد بصحبة الرسل القديــسين، المجيدة والنبيلة، انظروا كيف أنهم ممتازون جدًّا ومتوَّجون بما هو أكثر مــن المجد البشري، أي بهذه العطية الجديدة التي منحها لهم المسيح. لأن الإنجيــل يقول "*إنه أعطاهم قوة وسلطانًا علي جميع الشياطين وشفاء أمراض*". وأرجو أن تلاحظوا أيضًا، أن كلمة الله المتجسد يفوق مستوي البــشرية، وهــو يــشع بأمجاد اللاهوت، لأنه أمر يفوق حدود الطبيعة البشرية، أن يعطي سلطانًا علي الأرواح النجسة لكل من يريد، كما أنه يعطيهم القدرة أيــضًا أن يــشفوا مــن الأمراض أولئك المصابين بها، لأن الله، ينعم علي من يريد بقوَّات مــن هــذا النوع، لأن الأمر يتوقف علي قراره هو وحده ــ أن يتمكن أى أشخاص بحسب

مسرة الله الصالحة ــ أن يعملوا معجزات إلهية، وأن يكونوا خدامًا للنعمة التي تُعطى من فوق، وأما أن يعطوا للآخرين، نفس الهبة التي من فوق التي وهبت لهم، فهذا أمر مستحيل تمامًا. لأن جلال ومجد الطبيعة الفائقة لا يوجدان جوهريًا في أي كائن من الكائنات، سوي في تلك الطبيعة نفسها، وفيها هي وحدها. لذلك فسواء كان ملاك أو رئيس ملائكة أو من العروش والسيادات، أو السيرافيم، التي هي أعلي في الكرامة، فينبغي أن نفهم هذا بحكمة، أنهم في الواقع يملكون سلطانًا متفوقًا بواسطة القدرات المعطاة لهم من فوق مما لا تستطيع اللغة أن تصفه ولا الطبيعة أن تمنحه، ولكن العقل يمنع كلية الافتراض أنهم يستطيعون أن يمنحوا هذه القدرات لآخرين. أما المسيح فهو يمنح هذه القدرات لكونه الله، وذلك من ملئه الخاص، لأنه هو نفسه رب المجد ورب القوات.

إذن، فالنعمة الممنوحة للرسل القديسين هي جديرة بكل إعجاب، ولكن سخاء المعطي يعلو علي كل مديح وإعجاب، لأنه يعطيهم كما قلت، مجده الخاص، فالإنسان ينال سلطانا علي الأرواح الشريرة ويخفض الكبرياء، الذي كان عاليًا جدًّا ومتعجرفًا، أي كبرياء الشيطان، يخفضه حتى العدم، يخفضه حتى العدم، ويجعل شره عديم الفاعلية، وبواسطة قوة الروح القدس وفاعليته يحرقه كما بنار، ويجعله يخرج مع أنَّات وبكاء من أولئك الذين كان متسلطا عليهم. ومع ذلك ففي القديم قال الشيطان: "*إني سأمسك كل العالم في يدي كعش وسأجمعه كبيض مهجور، وليس هناك أحد يهرب مني أو يتكلم ضدي*" (إش١٠: ١٤ سبعينية). لقد فقد (الشيطان) الحق، إذن، وسقط من رجائه، رغم أنه كان متكبرًا ومتهورًا ومتبجحًا علي ضعف الجنس البشري، لأن رب القوات أقام ضده خدام الكرازة الإلهية. وهذا قد سبق التنبؤ به حقًّا بواسطة أحد الأنبياء القديسين حينما تكلم عن الشيطان والمعلمين القديسين: "*ألا يقوم بغتة مقارضوك ويستيقظ مزعزعوك تكون غنيمة لهم*" (حب٢: ٧)، فكأنهم يمزقون الشيطان بالهجوم علي مجده،



ويجعلون الذين سبق فاقتناهم، غنيمة، ويأتون بهم إلى المسيح بواسطة الإيمان به، لأنهم هكذا قد هجموا علي الشيطان نفسه. لذلك فكم هي عظيمة تلك القوة التي أُعطِيَت للرسل القديسين بقرار المسيح مخلِّصنا جميعا وإرادته لأنه أعطاهم "*قوة وسلطانًا علي الأرواح النجسة* ".

وبعد ذلك، تبحث أيضًا، من أين هبطت هذه النعمة الرائعة جدًّا والممتازة جدًّا، علي جنس البشر. إن كلمة الله الوحيد، قد توَّج الطبيعة البشرية بهذا الشرف العظيم بواسطة تجسده، متخذًا شكلنا، وهكذا بدون أن يفقد أي شيء من أمجاد جلاله ـــ إذ أنه عمل أعمالا تليق بالله، رغم أنه كما قلت، قد صار مثلنا من لحم ودم ـــ قد سحق قوة الشيطان بكلمته الكلية القدرة. وبانتهاره للأرواح الشريرة، فإن سكان الأرض أيضًا صاروا قادرين علي أن ينتهروهم.

وأما كون ما أقوله صحيحًا فهذا ما سأسعى لكي أجعله أكيدًا، لأنه، كما قلت، فإن المخلِّص كان ينتهر الأرواح النجسة، ولكن الفريسيين إذ فتحوا أفواههم عليه ليسخروا من مجده كان عندهم من الوقاحة أن يقولوا: " *هذا لا يُخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين*" (مت١٢: ٢٤). ولكن المخلِّص وبخهم لأنهم تكلموا هذا كأناس ميالين إلى السخرية ويتخذون موقفًا معاديًا منه وهم عديمي الفهم تمامًا، لذلك قال لهم: " *إن كنت ببعلزبول أخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يخرجون؟ لذلك هم يكونون قضاتكم*" (مت١٢: ٢٧)، لأن التلاميذ المباركين، الذين كانوا أبناء اليهود حسب الجسد، كانوا سبب رعب للشيطان وملائكته، لأن التلاميذ حطموا قوة الشيطان باسم يسوع المسيح الناصري. وأضاف ربنا قائلا: " *ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله*" (مت١٢: ٢٨). لأنه، إذ هو ابن الآب الوحيد، وهو الكلمة، فقد كان ولا يزال كلي القدرة، وليس هناك شيء غير مستطاع لديه. ولكن، إذ قد انتهر الأرواح الشريرة حينما صار إنسانًا فإن الطبيعة البشرية صارت ظافرة فيه، ومكلَّلة بمجد إلهي، لأنها صارت قادرة علي انتهار الأرواح الشريرة بقوة. لذلك،

فبطرد المسيح للشياطين، قد أقبل علينا ملكوت الله، لأنه يمكننـــا أن نؤكـــد أن القدرة علي سحق الشيطان رغم مقاومته هي كمال الجلال الإلهي.

لذلك، قد مجَّد المسيح تلاميذه بإعطائهم سلطانًا وقوة علي الأرواح الشريرة وعلي الأمراض. فهل كرَّمهم هكذا بدون سبب، وهل جعلهم مشهورين بـــدون سبب مقنع؟ ولكن كيف يمكن أن يكون هذا صحيحًا؟ لأنه كان من الضروري، ومن الضروري جدًّا، وقد أقيموا علانية خدامًا للبشارة المقدسة، أن يكون لهـــم القدرة علي عمل المعجزات، وبواسطة ما يعملونه، يُقنعون الناس أنهم خدام الله، ووسطاء لكل الذين تحت السماء، داعين إياهم جميعًا إلى المصالحة والتبريـــر بالإيمان، وموضحين طريق الخلاص والحياة التـــي بواســـطته. لأن الأتقيـــاء والأذكياء يحتاجون عمومًا إلى التفكير فقط لكي يجعلهم يدركون الحـــق، أمـــا أولئك الذين انحرفوا بدون ضابط إلى العصيان، فهم غير مستعدين أن يقبلـــوا الكلام الصحيح من ذلك الذي يسعى أن يربحهم لأجل منفعتهم الحقيقية، مثـــل هؤلاء يحتاجون للمعجزات وعمل الآيات، ورغم ذلك فنادرًا ما يـــصلون إلـــى اقتناع شامل.

لأننا كثيرًا ما نجد أن كرازة الرسل قد ازدهرت بهذه الطريقـــة، فبطـــرس ويوحنا مثلاً، أنقذا الرجل الأعرج الذي كان يجلس عند باب الهيكل الجميل، من مرضه، فدخل الهيكل معهما وقدم شهادة للعمل العظيم الذي حدث معه. وتكلما بكل جرأة عن المسيح مخلِّصنا جميعًا رغم أنهما رأيا أن رؤساء مجمع اليهود كانوا لا يزالون مشحونين بعداوة مُرَّة ضد المخلِّص، لأنهما قالا: "*أيها الرجال الإسرائيليون، ما بالكم تتعجبون من هذا، ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي ؟ إن إله ابراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب، إله آبائنا، مجَّد فتاه يسوع، الذي أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس وهو حـــاكم بإطلاقه، ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار، وطلبتم أن يوهَب لكم رجـــل قاتـــل. ورئيس الحياة قتلتموه، الذي أقامه الله من الأمـــوات ونحـــن شـــهود لـــذلك.*

وبالإيمان باسمه شدد اسمه هذا الذي تنظرونه وتعرفونه، والإيمان الذي بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم" (أع٣: ١٢ـ١٦). ولكن رغم أن كثيرين من اليهود شعروا بمرارة من مثل هذا الحديث الرفيع، ألاَّ أنهم كبحوا غضبهم رغمًا عن إرادتهم إذ أنهم خجلوا من عظمة المعجزة.

وهناك نقطة أخرى لا ينبغي أن ننساها، وهي أن المسيح إذ وشَّح أولاً الرسل القديسين بقوات عظيمة هكذا، فإنه يدعوهم بعد ذلك أن ينطلقوا بسرعة، ويبدأوا عملهم في إعلان سرّه إلى سكان الأرض كلها. لأنه كما أن القواد المقتدرِين بعد أن يُزوِّدوا جنودهم الشجعان بأسلحة الحرب، يرسلونهم ضد كتائب العدو، هكذا أيضًا يفعل المسيح مخلِّصنا وربنا جميعًا، يُرسل معلمي أسراره القديسين، مُوشَّحين بالنعمة التي يمنحهم إياها، ومُجهزين كلِّيَة بالسلاح الروحاني، ضد الشيطان وملائكته، لكي يكونوا غير مغلوبين ومقاتِلين أشداء. لأنهم كانوا على وشك أن يدخلوا في معركة مع أولئك الذين سيطروا على سكان الأرض في الزمن القديم. أي أن يحاربوا ضد القوات الشريرة المضادة، الذين كانوا قد قسّموا فيما بينهم كل من هم تحت السماء، وجعلوا البشر الذين قد خُلِقوا على صورة الله، يتعبَّدون لهم. هذه الأرواح الشريرة، بدأ التلاميذ الإلهيون، حينئذ يُسببون لها غيظًا بدعوتهم أولئك الذين كانوا في الضلال إلى معرفة الحق، وبإنارتهم لأولئك الذين كانوا في الظلمة. وجعلوا أولئك الذين يتعبدون لهم في القديم، أتباعًا مخلصين للسعي في طريق القديسين.

ولأجل هذا السبب فقد كان مناسبًا جدًّا أن يوصيهم ألا يحملوا معهم أي شيء، وهو يريد بذلك أن يكونوا أحرار من كل هم عالمي، وبذلك يعفيهم من الأتعاب التي تجلبها الأمور العالمية، حتى أنهم بذلك لا يلقون بالاً حتى لخبزهم الضروري والذي لا غنى عنه. ولكنه من الواضح أن الذي يأمرهم أن يمتنعوا عن مثل هذه الأشياء، فإنه بذلك يقطع كلية كل محبة للمال وشهوة الربح والاقتناء. لأنه يقول، إن مجدهم، أي أكاليلهم، هو ألاَّ يمتلكوا شيئًا. وهو



يصرفهم عن الأشياء التي هي ضرورية لاستعمالهم إذ أنه أمرهم ألاَّ يحملوا شيئًا بالمرة: "*لا عصًا، ولا مزودًا، ولا خبزًا، ولا فضة، ولا يكون للواحد ثوبان*". لذلك، فكما قلت، لاحظوا، إنه يصرف أنظارهم عن الارتباكات الباطلة، وعن القلق من جهة الجسد، ويوصيهم ألاَّ يكون لهم أي اهتمام من جهة الطعام، وكأنه يكرر عليهم تلك العبارة التي في المزمور: "*ألقِ على الرب همك فهو يعولك*" (مز٥٥: ٢٢). لأنه حق أيضًا هو ما قاله المسيح: "*لا تقدرون أن تخدموا الله والمال*" (مت٦: ٢٤). وأيضًا: "*لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضًا*" (مت٦: ٢١).

لذلك فلكي يعيشوا حياة لائقة وبسيطة، وأن يكونوا أحرارًا من كل قلق باطل لا لزوم له، ولكي يكرسوا أنفسهم كلية لواجب الكرازة بسر الملكوت، ويجاهدوا بلا توقف في نشر أخبار الخلاص للناس في كل مكان، فإنه يوصيهم ألاَّ يعطوا اهتمامًا بل يكونوا بلا هم من جهة اللباس والطعام. وتكلَّم المخلِّص عن هذا الغرض ذاته في موضع حينما قال: "*لتكن أحقاؤكم مُمنطَقَة وسرجكم موقدة*" (لو١٢ـ٣٥). وهو يعني بقوله "*أحقاؤكم مُمنطقة*"؟ استعداد العقل لكل عمل صالح، وبقوله "*سرجكم موقدة*"، أن يكون قلبهم مملوءًا بالنور الإلهي. وبنفس الطريقة يأمر ناموس موسى بوضوح أولئك الذين أكلوا من خروف الفصح قائلاً: "*وهكذا تأكلونه، أحقاؤكم مشدودة وعصيكم في أيديكم، وأحذيتكم في أرجلكم*" (خر١٢: ١١). لذلك لاحظوا، أن أولئك الذين يسكن فيهم المسيح الحمل الحقيقي يجب أن يكونوا مثل أناس متمنطقين لرحلة، لأنهم يجب أن "*يحذوا أرجلهم باستعداد إنجيل السلام*"، كما كتب لنا بولس المبارك (اف٦: ١٥)، وأن يتوشَّحوا بما هو لائق بالمحاربين. لأنه ليس مناسبًا لأولئك الذين يحملون الرسالة الإلهية ــ إن أرادوا أن ينجحوا في عملهم ــ أن يظلوا غير متحركين، بل ينبغي أن يتحركوا دائمًا إلى الأمام، ويركضوا ليس نحو أمر غير يقيني، بل ليربحوا رجاءً مجيدًا. لأنه حتى أولئك الذين سقطوا مَرَّة تحت يد العدو، فإن كانوا بإيمان يجاهدون لأجل المسيح مخلِّصنا جميعًا فسوف يرِثون إكليلاً لا يفنى.



ولكن يمكنني أن أتخيل واحد يقول، يا رب، أنت قد أوصيت خدامك ألاَّ يحملوا أي زاد من أي نوع مما هو ضروري للطعام واللباس، فمن أيــن إذن يحــصلون علي ما هو ضروري وما لا غني عنه لاستعمالهم؟ هذا ما يشير إليه الرب، فــي الحال قائلاً: "*وأي بيت دخلتموه، فهناك أقيموا، ومن هناك اخرجوا*". وهو بــذلك يقول، إن الثمر الذي ستحصلون عليه من الذين تُعلِّمونهم، سـيكون كافيًــا، لأن أولئك الذين يحصلون منكم علي الروحيات، وينالون الزرع الإلهي في نفوســهم، سيعتنون باحتياجاتكم الجسدية. وهذا أمر لا يستطيع أحد أن يلوم عليه، لأن بولس الحكيم أيضًا كتب في الرسالة: "*إن كنا قد زرعنا لكم الروحيــات، أفعظــيم إن حصدنا منكم الجسديات؟ هكذا أيضًا أمَر الرب، أن الذين ينادون بالإنجيــل مــن الإنجيل يعيشون*" (١كو٩: ١١، ١٤). ويبين بوضوح أن هذه الحقيقة نفسها يشير إليها موسى إذ يقول: "*مكتوب في ناموس موسى لا تكُمَّ ثورًا دارسًا*" (تــث٢٥: ٤). وهو يبين أيضًا ما هو قصد الناموس بقوله: "*ألعلَّ الله تهمه الثيران؟ أم يقول، مطلقًــا من أجلنا، لأنه ينبغي للحَرَّاث أن يحرث على رجاء وللدارس علــى الرجــاء أن يكون شريكا في رجائه؟*" (١كو٩: ٩، ١٠). لذلك فأن يحصل المعلمون علــي هــذه الأشياء التافهة وسهلة المنال من أولئك الذين يتعلمون منهم ليس أمرًا ضارًّا مــن أي ناحية.

ولكن المسيح أمرهم أن يقيموا في بيت واحد ومنه يخرجون، لأنه من الصواب أن أولئك الذين قبلوهم في بيتهم مرة، لا ينبغي أن تُسلب منهم الهبة أو العطيــة. هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى لكي لا يضع الرسل القديــسون أنفــسهم أي عائق في طريق غيرتهم واجتهادهم في الكرازة برسالة الله، بأن يــدعوا أنفــسهم يُحمَلون بالقوة إلى بيوت عديدة بواسطة أولئك الذين يهدفون لا أن يتعلموا مــنهم درسًا ضروريًّا، بل أن يُعِدُّوا أمامهم مائدة فاخرة، متجاوزين مــا هــو معتــدل وضروري.

ونتعلم من كلمات مخلِّصنا أن إكرام القديسين له مكافأته، لأنه قال لهم: "مَــن

يقبلكم يقبلني، ومَن يقبلني يقبل الذي أرسلني" (مت١٠: ٤٠). لأنه يأخذ لنفسه ـــ عن قصد ـــ الإكرامات المقدمة للقديسين، ويجعلها خاصة به، لكي يكون لهم أمان من كل جهة. فهل هناك ما هو أفضل أو ما يمكن أن يقارن بالكرامة والمحبة الواجبة نحو الله؟ ولكن هذا يتحقق بإعطاء الإكرام للقديسين، وإن كان ذلك الذي يقبلهم هو مغبوط حقًا، وله رجاء مجيد، فكيف لا يجب أن يكون العكس أيضًا صحيحًا بصورة كلية ومطلقة، لأنه ينبغي أن يكون مملوءًا من التعاسة التامة، ذلك الذي لا يبالى بواجب إكرام القديسين. لهذا السبب قال الرب: "*حينما تخرجون من ذلك البيت، انفضوا الغبار عن أرجلكم شهادة عليهم*" (انظر مت١٠: ١٤، لو٩: ٥).

وبعد ذلك ينبغي أن نري ماذا يعني هذا الكلام؟ يعني أنهم ينبغي أن يرفضوا أن ينالوا أي شيء بالمرة من أولئك الذين لا يقبلونهم، ولا يحفظون الوصايا التي يسلمونها لهم ولا يطيعوا الرسالة المقدسة، ولا يقبلوا الإيمان. لأنه أمر بعيد الاحتمال أن أولئك الذين يحتقرون رب البيت يكونون كرماء مع خدامه، وأن أولئك الذين ـــ بعدم التقوى ـــ يتجاهلون الدعوة السماوية يطلبون بركة من كارزيها بأن يقدموا لهم أشياء لا قيمة لها، ومثل هذه الأشياء يستطيع التلاميذ أن يحصلوا عليها بدون تعب من الذين يرعونهم. لأنه مكتوب "*زيت الخاطئ لا يدهن رأسي*" (مز١٤١: ٥ سبعينية)، وإلى جانب ذلك ينبغي أن يشعروا أنهم مدينين بالحب، فقط لأولئك الذين يُحبون المسيح ويمجِّدونه ويتجنبون كل الآخرين الذين هم علي خلاف ذلك. لأنه مكتوب "*ألم أبغض مبغضيك، يا رب، وأمقت أعداءك. بغضًا تامًا أبغضتهم. صاروا لي أعداء*" (مز١٣٩: ٢١، ٢٢). هكذا يكون حب الجنود الأرضيين لملكهم: لأنه ليس ممكنًا لهم أن يحبوا الغرباء بينما يقدمون الاهتمام الواجب لمصالح ملكهم. ونحن نتعلم هذا أيضًا، مما قاله المسيح: "*من ليس معي فهو عليَّ ومن لا يجمع معي فهو يفرّق*" (مت١٢: ٣٠).

لذلك فكل ما أوصي به المسيح رسله القديسين كان مناسبا بالضبط لنفعهم وفائدتهم، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والربوبية مع الروح القدس، إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٤٨)

معجزة إشباع الجموع

(لو٩: ١٢ــ ١٧) "*فَابْتَدَأَ النَّهَارُ يَمِيلُ. فَتَقَدَّمَ الاثْنَا عَشَرَ وَقَالُوا لَهُ: اصْرِفِ الْجَمْعَ لِيَذْهَبُوا إِلَى الْقُرَى وَالضِّيَاعِ حَوَالَيْنَا فَيَبِيتُوا وَيَجِدُوا طَعَامًا، لأَنَّنَا ههُنَا فِي مَوْضِعٍ خَلاَءٍ. فَقَالَ لَهُمْ: أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا. فَقَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا أَكْثَرُ مِنْ خَمْسَةِ أَرْغِفَةٍ وَسَمَكَتَيْنِ، إِلاَّ أَنْ نَذْهَبَ وَنَبْتَاعَ طَعَامًا لِهذَا الشَّعْبِ كُلِّهِ. لأَنَّهُمْ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُلٍ. فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: أَتْكِئُوهُمْ فِرَقًا خَمْسِينَ خَمْسِينَ. فَفَعَلُوا هكَذَا، وَأَتْكَأُوا الْجَمِيعَ. فَأَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ، وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَهُنَّ، ثُمَّ كَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ لِيُقَدِّمُوا لِلْجَمْعِ. فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا جَمِيعًا. ثُمَّ رُفِعَ مَا فَضَلَ عَنْهُمْ مِنَ الْكِسَرِ اثْنَتَا عَشَرَةَ قُفَّةً*".

إن اليهود، في رأيي، ليس لهم ولا حجّة واحدة يمكن أن تنفعهم أمام منبر الله ليبرروا بها عدم طاعتم، لأن مقاومتهم لا تبدو معقولة. ولماذا الأمر هكذا؟ لأن ناموس موسى يمكن أن يقودهم ــ بواسطة الظلال والرموز ــ إلى سر المسيح. لأن الناموس ــ أو بالحري الأشياء التي يحتويها ــ كان رمزيًّا، وكان سر المسيح مُصوّرًا فيه بواسطة المثال والظل كما في رسم. وقد سبق الأنبياء المُباركون أيضًا فتنبأوا أنه في الوقت المُعيَّن ينبغي أن يأتي واحد ليفدي كل الذين تحت السماء، بل أعلنوا عن مكان ميلاده بالجسد، والآيات التي سيعملها. ولكن اليهود كانوا معاندين جدًّا، وكان عقلهم متشبثًا بما يتفق فقط مع تحيزاتهم حتى أنهم لم يقبلوا كلمات التعليم ولم ينقادوا للطاعة ولا بواسطة المعجزات الرائعة والمجيدة جدًّا.

هكذا إذن كان سلوكهم، ولكن دعونا نحن الذين قد اعترفنا بحقيقة ظهوره، أن نقدم له تسبيحنا لأجل أعماله الإلهية مثلما هو مُسجّل في الفقرة التي أمامنا، لأننا نتعلم من هذه الفقرة أن مخلّصنا كان يخرج من وقت إلى آخر إلى أورشليم والمدن والبلدان الأخرى، وكانت الجموع تتبعه، فكان البعض منهم

يطلبون التحرر من طغيان الشياطين، أو الشفاء من المرض، ولكن البعض الآخر كانوا يرغبون أن ينالوا منه التعليم، وكانوا يلازمونه علي الدوام بإخلاص عظيم وبجدية، لكي يتعرفوا تمامًا على تعاليمه المقدسة. وحينما بدأ النهار يميل، كما يقول البشير، وكان المساء قد أقبل أعطى التلاميذ اهتمامًا بالجموع واقتربوا من المخلِّص يسألونه من أجلهم. لأنهم قالوا: "*اصرف الجموع ليذهبوا إلى القرى والحقول حوالينا فيبيتوا ويجدوا طعامًا، لأننا هنا في موضع خلاء*".

ولكن دعونا نبحث بعناية عن معني عبارة "*اصرف الجموع*" لأننا سنري بواسطتها الإيمان العجيب الذي للرسل القديسين، وأيضًا سنرى القوة الفائقة للطبيعة والمدهشة التي للمسيح مخلِّصنا، فقد كانوا يتبعونه طالبين منه أن ينقذهم من الأرواح الشريرة التي تعذبهم، بينما آخرون كانوا يطلبون الشفاء من أمراض متنوعة. لذلك حيث إن التلاميذ عرفوا أنه بمجرد رضا مشيئته يستطيع أن يتمم لأولئك المرضى ما كانوا يطلبونه، لذلك قالوا له " اصرفهم"، وهم لا يتكلمون هكذا كما لو كانوا منزعجين من الجموع أو كانوا يعتبرون أن الوقت قد مضى، بل إذ كانوا مأخوذين بالمحبة نحو الجموع، بدأوا يهتمون بالشعب كما لو كانوا يمارسون مقدَّمًا وظيفتهم الرعوية، لكي نتخذ منهم قدوة لأنفسنا. لأن الاقتراب (من الرب) والتوسل إليه نيابة عن الشعب، هو فعل لائق بالقديسين، وهو واجب الآباء الروحيين، ودليل علي قلب له اهتمام ليس بالموضوعات الشخصية وحدها، بل يعتبر مصالح الآخرين هي مصلحته الشخصيَّة، وهذا مثل واضح جدًّا علي هذه المحبة الفائقة. وإن كان يسمح لنا أن نمتد بتفكيرنا فوق مستوى الأمور البشرية، فإننا نقول: لأجل منفعة الذين يناسبهم هذا، إننا حينما نواصل الصلاة بحرارة، مع المسيح، سواء كنا نسأله الشفاء من أمراض أرواحنا، أو أن يخلصنا من أي أمراض أخرى، أو كنا نرغب أن نحصل على أي شيء لأجل فائدتنا، فليس هناك أدنى شك أنه حينما

نسأل في الصلاة أي شيء صالح لنا، فإن القوات العقلية، وكذلك أولئك الرجال القديسين الذين لهم دالة أمامه، يتضرعون لأجلنا.

ولكن لاحظوا اللطف غير المحدود لذلك الذي يتوسلون إليه، فهو لا يهب فقط كل ما يسألون منه أن يمنحه لأولئك الذين تبعوه، بل أيضًا يضيف خيرات من يده اليمنى السخية، منعشًا بكل طريقة أولئك الذين يحبونه، ويرعاهم ويغذيهم بالشجاعة الروحية. هذا ما يمكن أن نراه مما نقرأ الآن، لأن التلاميذ القديسين طلبوا من المسيح أن يصرف أولئك الذين كانوا يتبعونه ليتفرقوا بقدر ما هو مستطاع، ولكنه أمرهم أن يزودوهم بالطعام. ولكن هذا الأمر كان مستحيلاً في نظر التلاميذ، لأنه لم يكن معهم أي شيء سوي خمس خبزات وسمكتين، وهذا ما اعترفوا به له حينما اقتربوا منه. لذلك، فلكي يوضح عظمة المعجزة، ويجعلها تُظهر بكل طريقة أنه هو الله بطبيعته الخاصة، فقد أكثر هذه الكمية الصغيرة أضعافا مضاعفة، ونظر إلى فوق إلى السماء ليطلب بركة من فوق قاصدًا بهذا أيضًا ما هو لخيرنا. لأنه هو نفسه الذي يملأ كل الأشياء، إذ هو نفسه البركة التي تأتي من فوق، من الآب، ولكي نتعلم نحن أننا حينما نبدأ في الأكل ونكسر الخبز، فمن واجبنا أن نقدمه إلى الله، واضعين إياه على أيدينا الممدودة ونستنزل عليه بركة من فوق، ولذلك فقد صار هو سابقًا لنا، ومثالاً، وقدوة في هذا الأمر.

ولكن ماذا كانت نتيجة المعجزة؟ إنها كانت إشباع جمع كبير وذلك بحسب ما أضافه واحد آخر من البشيرين القديسين إلى رواية المعجزة. والمعجزة لا تنتهي هنا، إذ أنه جُمعت أيضًا "*اثنتا عشر قفة من الكسر*"، وما هو الذي نستنتجه من هذا؟ إنه تأكيد واضح أن كرم الضيافة ينال مكافأة جزيلة من الله فالتلاميذ قدموا خمس خبزات، ولكن بعد أن تم إشباع جمع كبير هكذا، فقد جمع لكل واحد منهم قفة مملوءة من الكسر. لذلك، فلا يجب أن يكون هناك شيء يعوق أولئك الذين يريدون أن يستضيفوا الغرباء، مهما كان هناك ما

يمكن أن يثلم إرادة واستعداد الناس لذلك، ولا يقول أحد "إني لا أملك الوسيلة المناسبة، وما أستطيع أن أفعله هو تافه تمامًا لا يكفي كثيرين". يا أحبائي استضيفوا الغرباء، وتغلبوا على عدم الاستعداد الذي لا يربح أي مكافأة لأن المخلِّص سيضاعف القليل الذي لكم مرات أكثر من أي توقع ورغم أنك لا تعطي إلاَّ القليل، فسوف تنال الكثير "*لأن من يزرع بالبركات، فالبركات أيضًا يحصد*" (٢كو٩: ٦) حسب كلمات بولس المبارك.

لذلك، فإن إشباع الجموع في البرية هو جدير بكل أعجاب، ولكنه نافع بطريقة أخرى. لأننا يمكن أن نري بوضوح أن هذه المعجزات الجديدة تتوافق مع تلك المعجزات التي في العهد القديم، وأنها أعمال ذات القوَّة الواحدة التي للشخص المقتدِر الذي صنع المعجزات في العهد القديم. فقد "*أمطر على الإسرائيليين منًّا في البرية وأعطاهم خبزًا من السماء، أكل الإنسان خبز الملائكة*" حسب كلمات التسبيح في المزامير (مز٧٧: ٢٤،٢٥ س). ولكن يا للعجب! فإنه في البرية أيضًا أشبع بسخاء ووفرة أولئك المحتاجين إلى الطعام، أتى به كأنه من السماء. لأن إكثاره للقليل مرات مضاعفة، وإطعامه جمع كثير كهذا بالقليل الذي هو كالعدم، إنما يشبه تلك المعجزة السابقة (إعطاء المن). وأُوجِّه حديثي مرة أخري إلى حشد اليهود قائلا: " إنكم كنتم في حاجة إلى الماء الطبيعي، حينما كنتم تسيرون في تلك البرية الشاسعة، وأعطاكم الله رغبتكم بما يفوق كل التوقعات، وذلك من مكان لم تكونوا تتطلعون إليه". لأنه كما يقول المرنم: " *هو شق الصخرة في البرية، وأعطاهم شرابًا كأنه لجج عظيمة، وأخرج مياهًا من الصخر، وجعل المياه تفيض كالأنهار*" (مز٧٧: ١٥و١٦س). فأخبرني إذن: هل سبَّحتَ صانع المعجزة حينما شربتَ؟ هل تحرك لسانك بالشكر؟ أو هل دفعك ما قد حدث للاعتراف بقوة الله التي لا يُنطق بها؟ الأمر ليس كذلك، لأنك تتذمر علي الله قائلاً: " *هل يقدر الله أن يرتِّب مائدة في البرية؟ إنه ضرب الصخرة فتفجرت المياه، وفاضت الأودية، فهل يستطيع*



أيضًا أن يعطي خبزًا أو يهيئ مائدة لشعبه؟" (مز ٧٧: ١٩و٢٠س). أنت لم تندهش لرؤية الصخر الصواني يصير ينبوعًا لأنهار غزيرة، والينابيع تخرج بطريقة عجيبة من داخل الأحجار، والوديان تجري بقوة سريعة، ولكنك تنسب الضعف للقادر علي كل شيء. ومع ذلك فكيف لا يكون واجبًا عليك بالحري أن تلاحظ وتدرك أنه هو رب القوات ؟ فكيف يكون غير قادر علي أن يهيئ مائدة، وهو الذي جعل الصخر الصواني ينبوعًا ونهرًا يفيضان علي ذلك الجمع؟

ولكن حيث إنك قد أدخلت نفسك إلى هذه الحماقة العظيمة التي تتصور أنه ليس هناك شيئًا مستطاعًا عند الله، وتقول بثرثرة فارغة إنه لا يستطيع أن يرتب مائدة لشعبه في البرية، فأجب علي السؤال الذي نوجهه إليك الآن، هل تقبل الإيمان الآن حينما تري المسيح قد رتب مائدة في البرية، وقد أشبع بوفرة وسخاء جمعًا لا يُحصي بالطعام، حتى تم جمع اثنتي عشر قفة من الكسر المتبقية بعد أن شبعوا؟ أم هل لا تزال ترفض أن تؤمن، وتطلب آية أخرى؟ لذلك، فمتى تصير مؤمنًا؟ متى ستكف عن الاعتراض علي قوة المسيح التي لا يُنطق بها ؟ متى ستضع بابًا ومزلاجًا للسانك ومتى تخلِّص لسانك من لغة التجديف، وتغيِّره إلى استعمال أفضل بأنْ تُسبِّحه لكي يمكنك أن تصير شريكًا في البركات التي يمنحها؟ لأن مراحمه تُستعلن لأولئك الذين يحبونه وهو يخلِّصهم من كل مرض. هو يغذيهم أيضًا بالطعام الروحاني، الذي بواسطته يستطيع كل واحد أن يصل إلى الشجاعة في كل شيء جدير بالمديح،

أما عديمي الإيمان والمزدرين به فهو لا يمنحهم مثل هذه الهبات، بل بالحري يجلب عليهم تلك الدينونة التي يستحقونها عدلاً لأنه قال لهم بواسطة أحد أنبيائه القديسين: " *هوذا الذين يخدمونني يأكلون وأنتم تجوعون. هوذا الذين يخدمونني يشربون وأنتم تعطشون. هوذا الذين يخدمونني يفرحون في سعادة وأنتم تبكون من حزن القلب وتولولون من انكسار الروح*" (إش٦٥: ١٣و١٤س)، ومكتوب أيضًا " *الرب لا يقتل نفس الصديق بالجوع، ولكنه يبيد*



حياة الشرير" (أم١٠: ٣ س).

لأن جماعات المؤمنين، لهم في الكتب المقدسة، مرعى مملوء بأنواع مختلفة من النباتات والزهور، تلك الكتب هي مرشدهم الحكيم، وإذ يمتلئ المؤمنون بالفرح الروحاني بسبب التعاليم المجيدة والإرشادات التي تحتويها هذه الكتب، لذلك فهم يأتون كثيرًا إلى المجالس الملكية المقدسة التي توفرها لهم هذه الكتب المقدسة، وهذا هو ما سبق الأنبياء به منذ زمن بعيد بكلمات إشعياء: "*ويكون على كل جبل عال وعلى كل أكمة مرتفعة سواقٍ ومجاري في ذلك اليوم*" (إش٣٠: ٢٥). وأيضًا "*ويكون في ذلك اليوم أن الجبال تقطر حلاوة، والتلال تفيض لبنًا*" (يؤ٣: ١٨). لأنه من عادة الكتب الإلهية أن تُشبِّه بالجبال والتلال، أولئك الذين أقيموا على الآخرين، أولئك الذين عملهم أن يُعلِّموا الآخرين إذ أنهم مرتفعون جدًّا، وذلك الارتفاع أقصد به سمو أفكارهم المنشغلة بالأمور السماوية، وابتعادهم عن الأمور الأرضية، بينما المياه والحلاوة واللبن تشير إلى التعاليم التي تفيض منهم كما تفيض المياه من الينابيع ويقول الكتاب: "*ويكون حينئذ، في ذلك الوقت أن مياهًا متدفقة وعصيرًا ولبنًا تجرى من كل جبل عال، ومن كل أكمة مرتفعة*"، وهذه هي التعزيات الروحية التي للمعلِّمين القديسين، التي يقدمونها للشعب الذي يتولون مسئولية رعايته. إن الجماعات اليهودية محرومة من هذه التعزيات، لأنهم لم يقبلوا المسيح، رب الجبال والتلال، ومعطي التعزيات الروحانية، وهو الذي يقدم نفسه كخبز الحياة لأولئك الذين يؤمنون به، لأنه هو الذي نزل من السماء، وأعطي الحياة للعالم، الذي به، ومعه، لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس، إلى دهر الدهور. آمين.



عظة (٤٩)

مسيح الله

(لو ٩: ١٨ــ٢٢) " وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي عَلَى انْفِرَادٍ كَانَ التَّلاَمِيذُ مَعَهُ. فَسَأَلَهُمْ قَائِلاً: مَنْ تَقُولُ الْجُمُوعُ أَنِّي أَنَا؟ فَأَجَابُوا وَقَالُوا: يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ. وَآخَرُونَ: إِيلِيَّا. وَآخَرُونَ: إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْقُدَمَاءِ قَامَ. فَقَالَ لَهُمْ: وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ أَنِّي أَنَا؟ فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ: مَسِيحُ اللهِ!. فَانْتَهَرَهُمْ وَأَوْصَى أَنْ لاَ يَقُولُوا ذلِكَ لأَحَدٍ، قَائِلاً: إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَتَأَلَّمُ كَثِيرًا، وَيُرْفَضُ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ ".

حسنًا أن ننادي على أولئك الذين يريدون أن يفتشوا الكتب المقدسة قائلين لهم: "قوموا، واستيقظوا"، لأنه من المستحيل أن ندرك معنى سر المسيح بالضبط إن كنا نستعمل لهذا الغرض عقلاً فاسدًا، وذهنًا ــ كما لو كان ــ غارقًا في النوم. فالأمر يحتاج بالحري إلى عقل يقظ، وبصيرة ثاقبة، لأن الموضوع يصعب فهمه إلى أقصى درجة، وهذا ما يتضح الآن حينما وصل حديثنا إلى شرح هذا المقطع الذي أمامنا. لأنه ماذا يقول البشير؟:

" *وفيما هو يصلي على انفراد، كان التلاميذ معه فسألهم قائلاً، من تقول الجموع إني أنا؟*". والآن فإن أول شيء يجب أن نبحث عنه هو: ما الذي جعل ربنا يسوع المسيح يوجه هذا السؤال أو الاستفسار إلى الرسل القديسين. فلا كلمة من كلماته ولا عمل من أعماله تكون في وقت غير ملائم أو بدون سبب مناسب، بل بالحري هو يعمل كل الأشياء بحكمة وفي حينها. لذلك، فماذا نقول، وأي شرح مناسب نجده لأعماله الحاضرة؟ لقد أطعم جمعًا كبيرًا من خمسة آلاف رجل في البرية، وكيف أطعمهم؟ بخمس خبزات! وكسر معها سمكتين إلى أجزاء صغيرة! وهذه تكاثرت جدًّا من لا شيء حتى إنهم رفعوا اثنتي عشر قفة من الكسر المتبقية. لذلك، فالتلاميذ المباركون والجموع أيضًا



دُهشوا ورأوا بواسطة المعجزة التي أُجريت إنه حقًّا هو الله وابن الله. وفيما بعد، حينما انصرف من الجموع، وكان هو على انفراد، وكان منشغلاً بالصلاة، وفى هذا أيضًا يجعل نفسه مثالاً لنا، أو بالحري يُعلِّم التلاميذ كيف يؤدون بكفاءة واجب وظيفتهم كمعلمين، لأني اعتقد، أن هذا هو واجب أولئك الذين يقامون لرعاية الشعب، والذين نصيبهم أن يُرشدوا قطعان المسيح، أن يشغلوا أنفسهم على الدوام بعملهم الضروري، وبحرية يمارسون تلك الأمور التي يُسر بها الله جدًّا، أي سلوك القداسة والفضيلة الذي ينال إعجابًا عظيمًا، وهو بالتأكيد ينفع الشعب الذي تحت إشرافهم. لأنهم ينبغي إما أن ينشغلوا بنشاط في تلك الواجبات التي لمجد الله، أو أنهم في خلوتهم يحضرون لهم بركة، ويستنزلون عليهم قوة من الأعالي، وواحدة من هذه الأخيرة وهي الممتازة جدًّا فوق الكل في الصلاة. والتي عرفها بولس الإلهي فقال: "*صلوا بلا انقطاع*" (١تس٥:١٧).

وكما قلت حينئذ، فإن رب ومخلص الكل، جعل نفسه مثالاً للتلاميذ في سيرة القداسة، بصلاته على انفراد مصطحبًا إياهم وحدهم فقط معه. ولكن عمله هذا ربما يسبب ارتباكًا للتلاميذ ويولِّد فيهم أفكارًا خطرة. لأنهم رأوه يصلي بطريقة بشرية، وهو الذي نظروه بالأمس يعمل معجزات تليق بالله. لذلك فلا يكون بلا سبب لو أنهم قالوا فيما بينهم: آه، إنه سلوك غريب! ماذا ينبغي أن نعتبره؟ إلهًا أم إنسانًا؟ فإن قلنا إنسان، ومثل واحد منا، أي مثل أحد الأنبياء القديسين، فإننا نرى من معجزاته الفائقة الوصف، التي يعملها، أنه يعلو على حدود الطبيعة البشرية علوًّا كبيرًا، لأنه يعمل عجائب بطريقة متنوعة كإله، وإن قلنا هو الله، فبالتأكيد كونه يصلِّي فهذا لا يناسب مَن هو الله بالطبيعة، لأن مَن هو الذي يستطيع الله أن يسأل منه ما يريد أن يناله؟ وما هو الذي يمكن أن يكون الله في حاجة إليه؟

لذلك، فلكي يطرد مثل هذه الأفكار المربكة، ولكي يهدئ إيمانهم، الذي



ـــ كما لو كانت ـــ تتقاذفه العاصفة، فإنه يسألهم هذا السؤال، ليس كمَن يجهل كليًا ما كان يُشاع عنه عمومًا، سواء من أولئك الذين لا ينتمون إلـــى مجمـــع اليهود، أو من الإسرائيليين أنفسهم، بل كان هدفه بالحري أن ينقذهم من طريقة التفكير العامة، ويزرع فيهم إيمانًا صحيحًا. لذلك سألهم، "*مَنْ تقول الجمـــوع إنـي أنا؟*".

ها أنت ترى مهارة السؤال. هو لم يقل مباشرة، "من تقول إني أنا؟" ولكنـــه يشير أولاً إلى ما أشاعه أولئك الذين من هم من خـــارج، وبعـــد أن يـــدحض رأيهم، ويوضح أنه غير سليم، عندئذ يعود بهم إلى الرأي الحقيقي. وهذا مـــا حدث أيضًا، لأنه حينما قال التلاميذ: "***البعض يقول إنك يوحنـــا المعمـــدان، وآخرون إيليا، وآخرون إن نبيًا من القدماء قد قام، فقال لهم وأنـــتم مـــن تقولون إني أنا***" آه ! كم هي مملوءة معنى تلك الـــ "أنتم"!. فهو يفصلهم عـــن كل الآخرين، لكي يتحاشوا آراءهم، لكي لا يفكروا عنه فكرة غير جديرة به، ولا يضمروا أفكارًا مشوَّشة متذبذبة، أو يتخيلوا أن يوحنا (المعمدان) أو أحـــد الأنبياء قد قام، لذلك يقول، "وأنتم" الذين تم اختياركم، "وأنتم" الذين ـــ بقراري ـــ قد دعيتم إلى الرسولية، "أنتم" شهود معجزاتي، "*من تقولون إني أنا؟*"

أولاً: انطلق بطرس أيضًا، قبل الباقين، وجعل نفـــسه النـــاطق بلـــسان الجماعة كلها، وسكب تعبير المحبة لله، ونطق باعتراف صحيح وبـــلا عيـــب للإيمان قائلاً: "**مسيح الله**". التلميذ هنا معصوم، وهو شـــارح للـــسر بـــذكاء وشمول، لأنه لم يقل مجرد إن (يسوع) هو مسيح، بل بالحري "**مـــسيح الله**"، لأنه يوجد كثيرون قد لُقِّبوا بلقب "**مسيح**"، بسبب أنهم قد مُسحوا من الله بطرق متنوعة. لأن البعض قد مُسحوا ملوكًا، والبعض أنبياء، بينما آخرون قد نـــالوا الخلاص من ذلك "المسيح" الذي هو مخلِّص الجميع، بل نحن أنفسنا نحـــصل على لقب المسيح، لأننا قد مُسحنا بالروح القدس، لأنه مكتـــوب فـــي كلمـــات المرتل، عن أولئك القدماء، أي قبل مجيء المسيح: "*لا تمسوا مسحائي، ولا*

تسيئوا إلى أنبيائي" (مز١٠٥:١٥). أما كلمات حبقوق فتشير إلينا: "*خرجتَ لخلاص شعبك، لتخلِّص مسحائك*" (حب٣:١٣ سبعينية). لذلك فالمسحاء كثيرون، وقد دُعوا هكذا من حقيقة [إنهم قد مُسحوا]، أما الذي هو **مسيح الله** الآب فهو واحد، وواحد فقط، ليس كأننا نحن حقًّا مُسحاء ولسنا مُسحاء الله، بل ننتمي إلى شخص آخر، ولكن بسبب أنه هو، هو وحده له ذلك الذي في السماء أبًا له. لذلك، حيث إن بطرس الحكيم جدًّا، باعترافه بالإيمان ـــ بصواب وبدون خطأ ـــ قال: "**مسيح الله**". فواضح بتمييزه إياه عن أولئك الذين يُطلَق عليهم اللقب عمومًا، فإنه ينسبه[1] إلى الله، باعتباره مسيحه الوحيد. لأنه رغم كونه بالطبيعة الله وأشرق بطريقة لا يُنطق بها من الله الآب ككلمته الوحيد، إلاَّ أنه صار جسدًا بحسب الكتاب. لذلك، فبطرس المبارك، اعترف بالإيمان به، وكما قلتُ سابقًا، عبَّر بكلماته عن كل جماعة الرسل القديسين، وقام بدور الناطق بلسانهم جميعًا، باعتباره أكثر دقة من الباقين.

وينبغي أن نلاحظ هذا أيضًا: إنه في رواية متى نجد التلميذ المبارك قال: "*أنت هو المسيح ابن الله الحي*" (مت١٦:١٦)، ولكن الحكيم لوقا، إذ يلخص المعنى، فهو يتفق معه في الأفكار، ولكنه يستعمل كلمات أقل، ويخبرنا أنه قال "مسيح الله". وبالإضافة إلى ذلك، فلا يوجد ذكر هنا لما قاله له المخلِّص، أما في متى أيضًا فإننا نجد إنه قال بوضوح: "***طوبى لك يا سمعان ابن يونا لأن لحمًا ودمًا لم يُعلِن لك، لكن أبي الذي في السموات***" (مت١٦:١٧). لذلك فالتلميذ تعلم حقًّا من الله، وهو لم يجيء لنا بهذا الاعتراف بالإيمان من مجرد أفكاره الخاصة، بل بسبب أن النور الإلهي أشرق على ذهنه، وقاده الآب إلى معرفة صحيحة لسر المسيح. لذلك، فماذا يقول أولئك المبتدعون[2] المخطئون، عن هذا، أولئك الذين يحرِّفون بلا لياقة السر العظيم والموقر جدًّا، سر تجسد الابن

[1] أي ينسب يسوع المسيح إلى الله الآب (المترجم).

[2] يشير إلى نسطور وأتباعه.



الوحيد، ويسقطون من الطريق المستقيم، سائرين في سبيل الاعوجاج؟ لأن بطرس الحكيم اعترف بمسيح واحد، بينما هم يقسمون ذلك الواحد إلى اثنين، مضادِّين لتعاليم الحق. وهو يجيب[3] ويقول: " ولكن التلميذ اعترف بمسيح واحد، وهكذا نحن أيضًا نؤكِّد أنَّه يوجد مسيح واحد ونعنى به الابن، أي الكلمة الذي من الآب " وبماذا نجيب عن هذا إذًا؟ نقول، أليس واضحًا لكل واحد، أن المسيح لا يسأل الرسل عن ماذا يقول الناس عن كلمة الله أنه هو؟ بل من هو ابن الإنسان؟ وإنه هو الذي اعترف به بطرس أنه "مسيح الله". دعهم أيضًا يشرحون هذا لنا، كيف يكون اعتراف بطرس جديرًا بالإعجاب إن كان لا يحتوى على أي شيء عميق وخفي، وكما لو كان، غير ظاهر لعامة الناس؟ لأن ما الذي أعلنه له الله الآب بالحقيقة؟ هل أعلن له أن ابن الإنسان هو إنسان؟ هل هذا هو السر المعلَن من الله؟ هل لأجل هذا صار موضع إعجاب، ويُحسب أهلاً لمثل هذه الكرامات الفائقة؟ لأنه هكذا خاطبه (الرب)، "*طوبى لك يا سمعان بن يونا*".

ومع ذلك فالسبب الذي لأجله نال هذا التطويب هو سبب عادل تمامًا، وذلك لأنه آمن أن ذلك الذي رآه كواحد منا، أي على شبهنا، هو ابن الله الآب، الكلمة، أي ذلك المولود من جوهره، والذي تجسد وصار إنسانًا. أرجو أن تروا هنا، عمق الأفكار، وأهمية الإقرار (بالإيمان)، والسر العالي الخطير، لأن الذي كان هناك في شبه البشر، وكجزء من الخليقة، هو الله الذي يفوق كل المخلوقات ويتجاوزها! وهو الذي يسكن في المكان العالي الرفيع، نزل من مجده ليكون في فقر مثلنا! والذي هو، كإله هو رب الكل، وملك الكل صار في شكل عبد، وفى درجة عبد! هذا هو الإيمان الذي يكلله المخلِّص، وهو يمد يده

[3] يشير القديس كيرلس إلى نسطور في جوابه على الرسالة التي أرسلها إليه التي تحمل رقم ٤ وتمَّت ترجمتها ونشرها في كتاب "رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي" يوليو ١٩٨٨، مركز دراسات الآباء.

أما رسالة نسطور إلى القديس كيرلس التي يقتبس منها هنا ـــ وهى تحمل رقم (٥) فقد تُرجمت عن اليونانية ونُشرت في "رسائل القديس كيرلس الجزء الثاني" يوليو ١٩٨٩، نشر مركز دراسات الآباء.



اليمنى السخية للذين لهم هذا الفكر. لأنه حينما مدح بطرس، وقال إنه تعلَّم مِن الله كمن قد حصل على إعلان من فوق، من الله الآب، **فإنه جعله أكثر يقينًا، وأكثر تثبتًا بغزارة، في الإيمان الذي قد اعترف به، وذلك بقوله:** "***وأنا أقول، لك أنت صخرة، وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي... وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. كل ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السموات. وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السموات***" (مت١٦: ١٨،١٩). لاحظوا كيف يجعل نفسه رب السموات ورب الأرض في نفس الوقت، لأنه يعِد بأمور تفوق طبيعتنا، وتعلو على قياس البشرية، نعم، بل تعلو أيضًا فوق قياس الرتبة الملائكية، وتلك الطبيعة وحدها هي التي يليق بها أن تعطى، والتي مجدها وسيادتها تتفوق على الكل. لأنه، أولاً، يقول إن الكنيسة هي خاصة به، ومع ذلك فإن الكتب المقدسة تنسبها بالحري بوضوح لله، وحده، إذ تقول إنها "*كنيسة الله*" (١تى١٥:٧) إنها تقول إن **المسيح أحضرها لنفسه بلا دنس ولا عيب.. بل بالحري مقدسة وبلا لوم** (انظر أف٢٧:٥). لذلك، فلكونه الله، يقول إنها له، وفضلاً عن ذلك يعِد أن يؤسسها، ويعطيها أن تكون غير متزعزعة إذ أنه هو نفسه رب القوات.

وبعد ذلك يقول إنه يعطيه مفاتيح السماء. مَن هو ذلك الذي يفيض بالكلمات اللائقة بالله؟ هل هو ملاك؟ أو مَن أية قوات عقلية، سواء كانت رئاسات أم عروش، أم ربوبيات؟ أو أولئك السيرافيم المقدسين، ليس كذلك بالمرة، بل كما قلت سابقًا، مثل هذه اللغة إنما تخص الله الضابط الكل وحده، الذي له السيادة على الأرض وعلى السماء. إذًا فليكف هؤلاء المبتدعين عن تقسيم الله الواحد، فيقولون إن كلمة الله الآب هو ابن واحد، وإن الذي من نسل داود هو ابن آخر. لأن بطرس ذكر مسيحًا واحدًا، الذي هو الابن الوحيد الذي تجسد وصار إنسانًا، ولأجل هذا الاعتراف حُسب أهلاً لهذه الكرامات غير العادية.



ومن جهة أخرى، حينما اعترف التلميذ بإيمانه فإنه **انتهرهم وأوصاهم ألاّ يقولوا ذلك لأي إنسان، إذ يقول:** "***لأن ابن الإنسان سوف يتألم كثيرًا، ويُرفض، ويُقتل، وفي اليوم الثالث يقوم***"، ومع ذلك كيف لا يكون واجبًا على التلاميذ، بالحري أن يُبشِّروا في كل مكان؟ إذ أنه هذا هو العمل نفسه الذي كلِّف به أولئك الذين دعاهم إلى الرسولية. ولكن كما يقول **الكتاب المقدس:** "***لكل شيء وقت***" (جا٣:١) فقد كانت هناك أمور لم تتم بعد، والتي ينبغي أن تكون ضمن محتويات كرازتهم به، مثل الصليب، والآلام، والموت بالجسد، والقيامة من الأموات، تلك الآية العظيمة والمجيدة حقًّا التي بها تتم الشهادة له أن عمانوئيل هو الله حقًّا، وهو بالطبيعة ابن الله الآب. لأنه أبطل الموت تمامًا، ولاشى الهلاك، وأباد الجحيم، وهزم طغيان العدو، وأزال خطية العالم، وفتح الأبواب التي فوق للساكنين على الأرض، ووحَّد الأرض بالسماء، هذه الأشياء برهنت على أنه ــ كما قلت ــ هو الله بالحقيقة. لذلك أوصاهم الله أن يحفظوا السر بصمت ملائم، إلى أن تصل خطة التدبير الكاملة إلى خاتمة مناسبة. لأنه حينما قام من بين الأموات أعطاهم وصية أن السر ينبغي أن يُعلن لكل سكان الأرض، واضعين أمام كل إنسان التبرير بالإيمان والقوة التي للمعمودية المقدسة. لأنه قال: "*دُفع لي كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر*" (مت٢٨:١٨ــ٢٠). لأن المسيح معنا وهو فينا بالروح القدس، ويسكن في نفوسنا جميعًا، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسيادة والكرامة مع الروح القدس، إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٥٠)

إتّباع المسيح

(لو٩: ٢٣ــ٢٦): " *وَقَالَ لِلْجَمِيعِ: إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتْبَعْنِي. فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي فَهَذَا يُخَلِّصُهَا. لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ، وَأَهْلَكَ نَفْسَهُ أَوْ خَسِرَهَا؟ لأَنَّ مَنِ اسْتَحَى بِي وَبِكَلاَمِي، فَبِهَذَا يَسْتَحِي ابْنُ الإِنْسَانِ مَتَى جَاءَ بِمَجْدِهِ وَمَجْدِ الآبِ وَالْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ* ".

إن قادة الجيوش الأقوياء يستحثون جنودهم المدربين على أعمال الشجاعة، ليس فقط بأن يعدوهم بكرامات النصر، بل بأن يخبروهم بحقيقة أن التألم يجلب لهم المجد، ويكسبهم كل مديح، لأنه من المستحيل على أولئك الذين يريدون أن يربحوا الشهرة في السعركة أن لا يتحملوا الجروح أحيانًا من أعدائهم، ولكن تألمهم ليس بلا مكافأة. ونحن نرى ربنا يسوع المسيح يستخدم الأفكار نفسها تقريبًا في الحديث الذي كانت مناسبته كالآتي:

فقبل هذا الكلام مباشرة كان قد أظهر للتلاميذ أنه ينبغي له أن يحتمل مخامرات اليهود الشريرة، وأنهم سيهزأون به، ويتفلون في وجهه، ويقتلونه، وفي اليوم الثالث يقوم ثانية. لذلك فلكي يمنعهم من أن يتخيلوا أنه من أجل حياة العالم، سيحتمل هو نفسه استهزاء أولئك القتلة وأعمالهم الوحشية الأخرى التي أصابوه بها، بينما يتاح لهم أن يعيشوا بهدوء، وأن يتحاشوا التألم لأجل تقواهم ــ دون أن يكون عليهم لوم في ذلك، وأن يتحاشوا أن يحتملوا الموت نفسه في الجسد إن أتى عليهم، وأنهم لن يلحقهم أي عار إن فعلوا ذلك، فلكي يمنعهم من هذا التخيل فهو يشهد بالضرورة أن أولئك الذين سيحسبون أهلاً للمجد الذي يعطيه هو، ينبغي أن يصلوا إليه بأعمال شجاعة مناسبة، قائلاً: " *من أراد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني*".



وهنا أيضًا، ينبغي أن ندهش من محبة المسيح مخلِّصنا جميعًا نحو العالم، لأنه لم يقبل فقط أن يتألم وأن يحتمل عارًا عظيمًا، ويضع نفسه حتى إلى الصليب والموت لأجلنا، لكنه يرفع تابعيه المختارين أيضًا إلى نفس هذه الرغبة الممتازة، أولئك الذين كانوا سيصيرون معلِّمين للناس في كل مكان، ويشغلون وضع القادة لشعوبهم الذين يوكَّلون إلى عنايتهم. لأن أولئك الذين يقامون على خدمة عظيمة يجب أن يكونوا بالفعل شجعانًا وباسلين تمامًا، متسلحين بعقل غير متزعزع وشجاعة غير مغلوبة، وذلك لكي لا يخافوا الصعوبات، وحتى إن أتاهم الموت فإنهم يسخرون من رعبه، ويلاشون كل خوف. وذلك الذي يتصرف هكذا، فإنه ينكر نفسه، إذ أنه يتخلى عن حياته الزمنية ويحسب اهتماماتها غير مستحقة لأي اعتبار، وذلك بقدر اختياره لأن يتألم لأجل الغبطة والمحبة التي في المسيح.

هكذا يتبع الإنسان المسيح، لأن صحبة الرسل القديسين كما لو كانت تضع أمامنا، بواسطة قيثارة المرنم، صارخًا إلى المسيح مخلِّص الجميع: "*من أجلك نُمات كل يوم، قد حُسبنا مثل غنم للذبح*" (مز٣:٢٢س). فهم في هذا أيضًا مثل عمانوئيل، " الذي *من أجل السرور الموضوع أمامه، احتمل الصليب، مستهينًا بالخزي*" (عب١٢:٢).

لذلك فإن أولئك الذين كانوا سيصيرون معلمين لكل الذين تحت الشمس، كانوا مرتفعين فوق الجبن وفوق حب العالم الدنيء، واضعين أمامهم كواجب عليهم أن يتألموا لأجل محبة المسيح. وهو نفسه علَّمنا ما هي ميِّزة رسله الذين يحبونه، إذ قال لبطرس المبارك: "*يا سمعان بن يونا، أتحبني؟ ارع خرافي، ارع غنمي*" (يو١٥:٢١) "*هو الراعي الصالح بذل نفسه عن الخراف*" (يو١١:١٠) فهو لم يكن أجيرًا، بل بالحري أولئك الذين خلصوا هم خاصَّته، وقد رأى الذئب مقبلاً، فلم يحاول أن يهرب، فهو لم يحتقر القطيع، بل بالعكس سلم نفسه ليمزقه الذئب لكي يحررنا ويخلصنا لأننا "*بجراحاته شفينا، وهو مجروح لأجل معاصينا*" (إش٥:٥٣). لذلك، فأولئك الذين يتبعونه، ويرغبون بإخلاص أن يكونوا مثله والذين يقامون

على قطعانه الناطقة، فينبغي أن يجتازوا أتعابًا مماثلة. لأن وحوشًا شرسة كثيرة تحيط بهم، وحوشًا عنيفة حقودة، وهم يذبحون بقسوة، ويسرعون بالنفوس إلى هوة الهلاك. لأن الأكثر علمًا ومهارة بين الوثنيين يملكون فصاحة عظيمة، ويُزيِّنون تعليمهم الزائف بلغة جذابة، وهكذا يخدعون بعض البسطاء ويجعلونهم راغبين في المشاركة في مرضهم، ويبتعدون عن الله الذي هو فوق الكل ليعبدوا آلهة بدلاً منه وهم ليسوا بالحقيقة آلهة. هؤلاء أثاروا اضطهادات لا تُحتمل على الرسل القديسين، وكانوا يعرضونهم للأخطار مرة بعد أخرى. لأن بولس المبارك يتذكر الآلام التي أصابته في أيقونية ولسترة، وفي أفسس ودمشق. فإنه مرة يقول: " *في دمشق والي الحارث الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكني. فتدليت من طاقة في زنبيل من السور ونجوت من يديه*" (٢كو١١: ٣٢، ٣٣). وفي مرة أخرى يقول: "*إسكندر الحداد أظهر لي شرورًا كثيرة*" (٢تى٤: ١٤). فبماذا يشهد هذا الكارز الكبير، هذا البطل الشجاع الباسل، الذي ازدرى بأعظم الأخطار في كل مكان؟ إنه يقول: "*لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح*" (فى١: ٢١). وأيضًا "*مع المسيح صُلبت، فلست أحيا أنا بعد، بل المسيح يحيا فيَّ، فما أحياه الآن في الجسد، أحياه في الإيمان، إيمان ابن الله، الذي أحبني وأسلم نفسه لأجلي*" (غل٢: ٢٠).

ولكن عنف اليهود كان ينفجر كثيرًا ضد الرسل الآخرين أيضًا، حيث اضطهدوهم، واستدعوهم أمام مجامعهم وجلدوهم بقسوة، وأمروهم أن يصمتوا، ويكفوا عن كرازتهم المقدسة، قائلين لهم: "*أما أوصيناكم وصية أن لا تُعلِّموا بهذا الاسم؟ أي اسم المسيح، مخلِّصنا جميعًا ــ وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم*" (أع٥: ٢٨). ولكن بعد أن احتمل التلاميذ اتهامهم العنيف، بسبب محبتهم الراسخة للمسيح، فإنهم خرجوا "*فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه*" (أع٥: ٤١). ولكن لو أنهم كانوا جبناء وأذلاء، ويخافون من التهديدات، ويرتعبون من خوف الموت، فكيف كانوا يثبتون؟ أو كيف كانوا يقدمون أولئك الذين دعوا بواسطتهم، كثمار لله؟ لأن بولس الحكيم أيضًا، الذي لم تستطع أي صعوبة أن



تغلبه، حينما كان في طريقه إلى أورشليم، وجاء النبي أغابوس وأخذ منطقته، ربط رجلي نفسه، وقال: "*الرجل الذي له هذه المنطقة هكــذا ســيربطه اليهــود فــي أورشليم*"، فأجاب بولس "*ماذا تفعلون تبكون وتكسرون قلبي لأني مستعد ليس أن أربط فقط بل أن أموت أيضًا في أورشليم لأجل اســم الــرب يــسوع المــسيح*" (أع٢١:١١، ١٣).

لذلك كم هو رائع، أن يوصيهم أن يتغلبوا برجولة على كــل اضــطهاد، وأن يجتازوا التجارب بجسارة، مؤكدًا لهم بيقين أنهم إذ يكونون غيورين هكذا لأجله، فإنهم يصيرون أصدقاء، ويشتركون في مجده. لذلك فإن كان إنسان ما مستعدًا أن يحتمل مخاوف الموت ويزدرى بها، فهل لو ضيَّع نفسه ورحل، أفلا يبقى له شيء مذخرًا له، لأنه فيما هو يضيع حياته، فإنه يجدها بنوع خاص، بينما لو وجد حياته فإنه يجلب الهلاك لنفسه. لذلك، فأي خوف يمكن أن يشعر به القديسون، إن كــان ما كان يبدو قبلاً أنه صعب، يتضح أنه مفرح لهم بــالحري أن يتحملــوه، بينمــا الحياة العزيزة على الناس، لكونها خالية من الألم، فإنها تنحدر بهم إلــى الهــلاك وإلى فخ الجحيم، كما يقول الكتاب.

ولكنه يوضح لنا، أن التفوّق في محبة المسيح هو أفضل جدًا بما لا يُقاس فوق أُبّهة العالم ولذته، وذلك بقوله: "*لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وأهلك نفسه أو خسرها؟*" لأنه حين ينظر الإنسان بشكل رئيسي إلى لذة ومكسب اللحظة الحاضرة، وبسبب هذا يتحاشى الألم راغبًا أن يحيا في متعة، فإنه حتى إن كان له غنى وممتلكات وفيرة، فماذا ينتفع بها حينما يكون قد خسر نفسه؟ "*الكنوز لا تنفع الأشرار*" (أم١٠:٢س).

فإن "*هيئة هذا العالم تزول*" (١كو٧:٣١)، "*ومثل ظلال تزول كل تلك اللــذات*" (حكمــة٥:٩س)، والثروات تهرب من الذين يملكونها، "*أما البــِر فيُنجِّي من الموت*" (أم١٠:٢).

وأكثر من ذلك، فلكي يضع أمامنا بوضوح المكافأة لاستعدادنا للتعب والألــم،

يقول: "*لأن من استحى بي وبكلامي، فبهذا يستحي ابن الإنسان متى جاء بمجده ومجد أبيه وملائكته القديسين*". إنه يحقق بهذه الكلمات، كثير مما هو نافع وضروري معًا. لأنه، أولاً، يبين أن أولئك الذين لا يستحون[4] به وبكلامه يلزم تمامًا وبالضرورة أن ينالوا المكافأة التي يستحقونها، وأي شيء يمكن أن يعطينا فرحًا مثل هذا؟ لأنه إن كان هناك بعض الناس الذين يشعر أمامهم الديَّان بالتوقير باعتبارهم مستحقين بسبب طاعتهم، لمكافأة وكرامات وإكليل بسبب محبتهم وولائهم له، والكرامات التي ربحوها بشجاعتهم، فكيف لا نقول نحن إن الذين وصلوا إلى مثل هذه البركات الممتازة، سيعيشون بالتأكيد من الآن في تمجيد وتكريم بلا نهاية.

ولكنه بعد ذلك، يُولِّد فيهم الخوف أيضًا، وذلك بقوله إنه سينزل من السماء، ليس في اتضاعه ومذلته السابقة، مثلنا، ولكن في مجد أبيه، أي في مجد إلهي فائق، والملائكة القديسون يحيطون به.

إذًا، فكم هو بائس جدًّا ومدمر أن يكون الإنسان مدانًا بالجبن والتراخي حينما ينزل الديان من الأعالي، والرتب الملائكية واقفة بجانبه. ولكن كم هو عظيم ومبارك التذوُّق المُسبَق للغبطة النهائية، أى أن يستطيع الإنسان أن يبتهج بالأعمال التي تمت فعلاً، وينتظر المكافأة عن الأتعاب الماضية. لأن مثل هؤلاء سوف يُمدحون، إذ يقول لهم المسيح بنفسه: "*تعالوا يا مباركي أبى رثوا الملك المُعد لكم منذ تأسيس العالم*" (متى٢٥:٣٤).

ليتنا نُحسب نحن أيضًا أهلاً لهذه المكافآت بالنعمة ومحبة البشر التي للمسيح مخلِّصنا جميعًا، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

---

[4] هنا يفهم القديس كيرلس كلمة "يستحي" بمعنى حسن، ويترجمها بمعنى "يشعرون بالتوقير لـ"



عظة (٥١)

التجلّي

(لو ٩: ٢٧ــ٣٦) "*حَقًّا أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ ههُنَا قَوْمًا لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوْا مَلَكُوتَ اللهِ. وَبَعْدَ هذَا الْكَلاَمِ بِنَحْوِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، أَخَذَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا وَيَعْقُوبَ وَصَعِدَ إِلَى جَبَل لِيُصَلِّيَ. وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي صَارَتْ هَيْئَةُ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرَةً، وَلِبَاسُهُ مُبْيَضًّا لاَمِعًا. وَإِذَا رَجُلاَنِ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ، وَهُمَا مُوسَى وَإِيلِيَّا، اَللَّذَانِ ظَهَرَا بِمَجْدٍ، وَتَكَلَّمَا عَنْ خُرُوجِهِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يُكَمِّلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ. وَأَمَّا بُطْرُسُ وَاللَّذَانِ مَعَهُ فَكَانُوا قَدْ تَثَقَّلُوا بِالنَّوْمِ. فَلَمَّا اسْتَيْقَظُوا رَأَوْا مَجْدَهُ، وَالرَّجُلَيْنِ الْوَاقِفَيْنِ مَعَهُ. وَفِيمَا هُمَا يُفَارِقَانِهِ قَالَ بُطْرُسُ لِيَسُوعَ: يَامُعَلِّمُ، جَيِّدٌ أَنْ نَكُونَ ههُنَا. فَلْنَصْنَعْ ثَلاَثَ مَظَالَّ: لَكَ وَاحِدَةً، وَلِمُوسَى وَاحِدَةً، وَلإِيلِيَّا وَاحِدَةً. وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَقُولُ. وَفِيمَا هُوَ يَقُولُ ذلِكَ كَانَتْ سَحَابَةٌ فَظَلَّلَتْهُمْ. فَخَافُوا عِنْدَمَا دَخَلُوا فِي السَّحَابَةِ. وَصَارَ صَوْتٌ مِنَ السَّحَابَةِ قَائِلاً: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ. لَهُ اسْمَعُوا. وَلَمَّا كَانَ الصَّوْتُ وُجِدَ يَسُوعُ وَحْدَهُ، وَأَمَّا هُمْ فَسَكَتُوا وَلَمْ يُخْبِرُوا أَحَدًا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ بِشَيْءٍ مِمَّا أَبْصَرُوهُ* ".

إن أولئك الماهرون في المصارعة يفرحون حينما يُصفِّق لهم المشاهدون، وهم يرتفعون إلى مستوى عال ومجيد من الشجاعة بواسطة رجاء الحصول على إكليل النصر. وهكذا أيضًا أولئك الذين يرغبون أن يُحسبوا أهلاً للمواهب الإلهية، والذين يعطشون إلى أن يصيروا شركاء الرجاء المعد للقديسين، فإنهم يدخلون المعارك لأجل التقوى في المسيح، ويسلكون حياة زكية، ولا يركنون إلى الكسل في عدم الشكر، ولا يغرقون في جبن وضيع، بل بالحري، يقاومون برجولة كل تجربة، ولا يخافون من عنف الاضطهادات، إذ هم يحسبونه ربحًا أن يتألموا من أجله، لأنهم يتذكرون أن بولس المبارك يكتب هكذا: "*آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلَن فينا*" (رو ٨: ١٨).

لذلك، لاحظوا كم هي جميلة جدًّا الطريقة التي يستعملها أيضًا ربنا يسوع المسيح

لمنفعة وبنيان جماعة الرسل. لأنه قال لهم: "*إن أراد أحد أن يأتي ورائي، فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني، لأن من يُخلص نفسه يهلكها، ومن يضيع نفسه من أجلي يجدها*". الوصية هي حقًا لأجل خلاص القديسين ولأجل كرامتهم معًا، وهي تؤدّي إلى أعلى مجد، وهي طريق الفرح الكامل، لأن اختيار التألم لأجل المسيح، ليس واجبًا لا شكر فيه، بل بالعكس يجعلنا مشاركين في الحياة الأبدية وفي المجد المُعد. ولكن لأن التلاميذ لم يكونوا قد حصلوا بعد على القوة من الأعالي، فربما يكون من المحتمل، أنهم هم أيضًا سقطوا في ضعفات بشرية، وحينما فكروا في أنفسهم في قول كهذا، ربما سألوا أنفسهم: " كيف يُنكر الإنسان نفسه؟ أو كيف يجد نفسه بنفسه ثانية إذ يكون قد ضيَّعها؟ و أي مكافأة يعوض بها أولئك الذين يتألمون هكذا؟ أو ما هي الهبات التي سيصيرون شركاء فيها؟ لذلك فلكي ينقذهم، من مثل هذه الأفكار الجبانة، ولكي يصوغهم ـ كما لو كان ـ في قالب الرجولة، بأن يُولِّد فيهم رغبة في المجد العتيد أن يمنح لهم، لذلك يقول: "*أقول لكم، إن من القيام ههنا، قومًا لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله*". هل هو يقصد أن حياتهم ستمتد جدًّا حتى تصل إلى ذلك الوقت الذي سيأتي فيه من السماء في نهاية العالم، ليمنح القديسين الملكوت المعد لهم؟ وحتى هذا كان ممكنًا عنده، لأنه كلِّي القدرة، وليس هناك شيء غير ممكن أو صعب بالنسبة لإرادته الكلية القوة. ولكنه يقصد بملكوت الله: رؤية المجد الذي سيظهر به عند ظهوره لسكان الأرض، لأنه سيأتي بمجد الله الآب وليس في الحالة المتواضعة التي تمثل حالتنا، لذلك، كيف جعل أولئك الذين قد نالوا الموعد مشاهدين لأمر عجيب كهذا؟

إنه يصعد إلى الجبل آخذًا معه ثلاثة تلاميذ مختارين، ويتغير إلى مثل هذا اللمعان الفائق والبهاء الإلهي، حتى أن ثيابه كانت تتألق بأشعة من نار، وبَدَت تضئ مثل البرق. وأكثر من ذلك، وقف موسى وإيليا إلى جوار يسوع، وتكلم أحدهما مع الآخر عن خروجه، الذي كان عتيدًا أن يكمله في أورشليم، والذي يقصد به سر التدبير في الجسد، وآلامه الثمينة على الصليب.



لأنه حق أيضًا أن شريعة موسى وكلمة الأنبياء القديسين، أشارت مسبقًا لسر المسيح: فالأول منهما بواسطة أمثلة وظلال، راسمًا إياه ــ كما لو كان ــ في صورة، بينما الآخر بطرق متنوعة معلنة قبل موعدها، وكلاهما يفيد أنه في الوقت المناسب سيظهر في صورتنا، ولأجل خلاصنا وحياتنا كلنا، يرضى أن يعانى الموت على الخشبة. لذلك، فوقوف موسى وإيليا أمامه، وكلاهما الواحد مع الآخر، كان نوعًا من الإشارة الرمزية تُظهِر بصورة رائعة، ربنا يسوع المسيح، وله الشريعة والأنبياء كحارسين لجسده، باعتباره رب الشريعة والأنبياء، وكما أعلن عنه مسبقًا فيهما بواسطة تلك الأمور التي سبق أن بشّرا بها باتفاق متبادل. لأن كلمات الأنبياء ليست مختلفة مع تعاليم الشريعة. وهذا هو ما أتخيل أن موسى الكهنوتي العظيم وإيليا العظيم في الأنبياء كانا يتكلمان عنه أحدهما مع الآخر.

ولكن التلاميذ المباركين ينامون فترة قصيرة، بينما استمر المسيح طويلاً في الصلاة ــ لأنه مارس هذه الواجبات البشرية باعتبارها خاصة بالتدبير ــ وبعد ذلك عند استيقاظهم صاروا مشاهِدين لتغيُّرات باهرة ومجيدة جدًا، إذ ظن (بطرس) حينئذ أن زمن ملكوت الله قد أتى الآن فعلاً فاقترح إقامة مساكن على الجبل، وقال إنه من اللائق أن يوجد هناك ثلاث مظال: واحدة للمسيح، والمظلّتان الأخريتان للشخصين الآخرين موسى وإيليا، ولكنه كما يقول الكتاب: "*وهو لا يعلم ما يقول*". لأنه لم يكن هو وقت نهاية العالم، ولا الوقت الذي فيه يمتلك القديسون الرجاء الموعود لهم به، لأنه كما يقول بولس: "*سيُغيِّر شكل* جسد *تواضعنا ليكون على صورة الذي له، أي صورة* جسد مجد *المسيح*" (فى٣:٢٢). ولذلك، إذ أن التدبير كان لا يزال في بدايته، ولم يكن قد تحقَّق بعد، فكيف يكون مناسبًا للمسيح أن يتخلَّى عن محبته للعالم، ويتحول عن غرض التألُّم لأجله؟ لأنه فدى كل مَن تحت السماء، باحتماله الموت في الجسد وبإبادته الموت بالقيامة من الموت، معًا. لذلك فبطرس لم يكن يعلم ما يقول°.

° هنا يضيف ماي Mai عبارة عن المخطوط B يعطي سببًا متميزًا تمامًا للتجلي، أي أن التجلي لأجل أن يعلم التلاميذ أنه في القيامة "لن نخلع الجسد بل يغلفه نوع من المجد مثل النور".



ولكن إلى جانب منظر مجد المسيح العجيب والذي يفوق الوصف، حدث شيء آخر، نافع وضروري لتثبيت إيمانهم به، وليس نافعًا للتلاميذ فقط بل حتى لنا نحن أيضًا، لأن صوتًا أُعطيَ من السحابة من فوق من الله الآب، قائلاً: "*هذا هو ابني الحبيب له اسمعوا. وحينما كان الصوت، وُجد يسوع وحده*" كما يقول الكتاب. فماذا يقول المجادل والعاصي إذن أمام هذه الأمور؟ ها هو موسى هناك، فهل يأمر الآب الرسل القديسين أن يسمعوا له؟ لو كانت إرادته هي أنهم ينبغي أن يتبعوا وصايا موسى، لكان قد قال، كما أظن، أطيعوا موسى، احفظوا الناموس. ولكن ليس هذا هو ما قاله الله الآب هنا، بل في حضور موسى والأنبياء، فإنه يأمرهم بالحري أن يسمعوا للمسيح.

ولكن لا يقلب أحد الحق ويقول إن الآب طلب منهم أن يسمعوا لموسى وليس للمسيح مخلّصنا جميعًا، فإن البشير ذكر بوضوح قوله: "*وحينما كان الصوت، وُجد يسوع وحده*" لذلك حينما أمر الله الآب من السحابة التي ظللتهم، الرسل القديسين قائلاً: "*له اسمعوا*" كان موسى بعيدًا جدًّا، وإيليا أيضًا لم يعد قريبًا، ولكن كان هناك المسيح وحده لذلك فإياه وحده أمرهم الآب أن يطيعوا.

لأنه هو أيضًا غاية الناموس والأنبياء: ولهذا السبب صرخ بصوت عالي لجموع اليهود: "*لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقون كلامي، لأنه هو كَتَب عني*" (يو٥:٤٦). ولكن لأنهم استمروا إلى النهاية يحتقرون الوصية المعطاة بواسطة موسى الحكيم جدًّا، وبرفضهم كلمة الأنبياء القديسين، فقد استُبعِدوا بعدل وحُرِموا من تلك البركات التي وعد بها لآبائهم، لأن "*الطاعة أفضل من الذبائح، والاستماع أفضل من شحم الكباش*" (١صم١٥:٢٢).

وهكذا قد مُنحت كل هذه البركات بالضرورة لكثيرين من اليهود كما مُنحت لنا نحن أيضًا الذين قد قبلنا الإعلان الإلهي، بواسطة المسيح نفسه كهبة منه لنا، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس، إلى دهر الدهور آمين.



عظة(٥٢)

الثّقة بالمسيح

(لو ٩: ٣٧ــ٤٣) " *وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي إِذْ نَزَلُوا مِنَ الْجَبَلِ، اسْتَقْبَلَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ. وَإِذَا رَجُلٌ مِنَ الْجَمْعِ صَرَخَ قَائِلاً: يَا مُعَلِّمُ، أَطْلُبُ إِلَيْكَ. اُنْظُرْ إِلَى ابْنِي، فَإِنَّهُ وَحِيدٌ لِي. وَهَا رُوحٌ يَأْخُذُهُ فَيَصْرُخُ بَغْتَةً، فَيَصْرَعُهُ مُزْبِدًا، وَبِالْجَهْدِ يُفَارِقُهُ مُرَضِّضًا إِيَّاهُ. وَطَلَبْتُ مِنْ تَلاَمِيذِكَ أَنْ يُخْرِجُوهُ فَلَمْ يَقْدِرُوا. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: أَيُّهَا الْجِيلُ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُلْتَوِي إِلَى مَتَى أَكُونُ مَعَكُمْ وَأَحْتَمِلُكُمْ؟ قَدِّمِ ابْنَكَ إِلَى هُنَا!. وَبَيْنَمَا هُوَ آتٍ مَزَّقَهُ الشَّيْطَانُ وَصَرَعَهُ، فَانْتَهَرَ يَسُوعُ الرُّوحَ النَّجِسَ، وَشَفَى الصَّبِيَّ وَسَلَّمَهُ إِلَى أَبِيهِ. فَبُهِتَ الْجَمِيعُ مِنْ عَظَمَةِ اللهِ*".

كل الكتاب هو مُوحى به من الله ونافع، ولكن بنوع خاص الأناجيل المقدسة، لأن ذلك الذي ــ في القديم ــ تكلم بالناموس للإسرائيليين بواسطة خدمة الملائكة، قد تكلم بشخصه إلينا، حينما أخذ شكلنا وظهر على الأرض وتجوّل بين الناس. لأن بولس الحكيم جدًّا يكتب: " *الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه*" (عب١:١). ويقول هو نفسه في موضع آخر بواسطة أحد أنبيائه القديسين " *أنا هو المتكلم قريب مثل البرق على الجبال، مثل قدمي المُبشِّر بالسلام، المُبشِّر بالخيرات*" (إش٥٢: ٦ سبعينية). لأنه ها هو يحررنا من طغيان العدو، لكيما نتبعه بنقاوة. وإذ قد أبطل " *ولاة العالم على ظلمة الدهر*" (أف٦: ١٢)، أي الأرواح الشريرة، فإنه يُقدِّمنا محفوظين بلا أذى إلى الله الآب.

لأننا قد حصلنا بواسطته على الخلاص من سلطان الأرواح النجسة كما يتضح من هذا الفصل، لأننا سمعنا في القراءة أن رجلاً جرى نحوه من وسط الجمع وأخبره بمرض ابنه غير المحتمل، وقال الرجل إن روحًا شريرًا كان يمزق ابنه بقسوة ويصرعه بتشنجات عنيفة، ولكن طريقة حديثه لم تكن خالية من اللوم، لأنه اشتكى ضد صحبة الرسل القديسين قائلاً إنهم لم يستطيعوا أن ينتهروا الشيطان، بينما كان من المناسب أكثر أن يكرِّم يسوع وهو يسأل مساعدته ويطلب نعمته. لأن الرب يمنحنا



سؤالنا حينما نكرمه ونثق فيه أنه هو بالحقيقة رب القوات، ولا يستطيع أحد أن يقاوم مشيئته، بل بالحري، فإن كل واحد قابِل للحصول على أية قوة إنما يحصل منه على إمكانية وجوده كلية. لأنه كما أنه هو نفسه النور الحقيقي، فإنه يشرق بنوره على أولئك الذين لهم قابلية أن يستنيروا. وبنفس الطريقة كما أنه هو نفسه الحكمة والفهم الكامل، فهو الذي يمنح الحكمة لأولئك الذين يقبلونها. وهكذا أيضًا فكما أنه هو القوة، فهو يمنح القوة لأولئك الذين لهم قابلية لنوالها. لذلك فحينما نحتقر مجده بعدم إيماننا، ونزدري بعظمته الفائقة، فإننا لا نستطيع أن ننال منه شيئًا، لأننا ينبغي " أن *نطلب بإيمان غير مرتابين البتة*"، كما يقول تلميذه (انظر يع١:٦).

ويمكننا أن ندرك أن هذا القول صحيح مما يحدث بيننا. لأن الذين يقدمون الالتماسات لأولئك الذين يترأسون الأعمال على الأرض ويحكمون العروش العظيمة، يوجِّهون طلباتهم بعبارات تكريم مناسبة، ويعترفون بسلطانهم الشامل وبعظمتهم، ويفتتحون خطابهم الذي يقدمونه هكذا: " إلى سادة الأرض، والبحر، وكل شعب وجنس وسط البشر"، وبعد ذلك يضيفون موجزًا لما يطلبونه. لذلك، فوالد الصبي الذي به الروح الشرير، كان خشنًا وغير لطيف، لأنه لم يطلب ببساطة شفاء الولد، ويتوِّج الشافي بالمديح والشكر، بل بالعكس، تكلم باحتقار عن التلاميذ، ويعيب على النعمة المعطاة لهم إذ يقول: "*وطلبت من تلاميذك أن يخرجوه فلم يقدروا*". ومع ذلك فإنه بسبب نقص إيمانه فإن النعمة لم تعمل. لا يدرك هو أنه هو نفسه كان السبب في عدم إنقاذ الولد من مرضه الخطير؟

لذلك، ينبغي أن يكون لنا إيمان حينما نقترب من المسيح، ومن أي واحد قد حصل منه على نعمة الشفاء، وهو يعلِّمنا هذا بنفسه بأن يطلب إيمانًا من أولئك الذين يقتربون منه راغبين أن يحسبوا مستحقين لأي عطية من عطاياه. فمثلاً، مات لعازر في بيت عنيا، ووعد المسيح أن يقيمه، وحينما شكَّت إحدى أختيه في هذا، ولم تكن تتوقع أن تحدث المعجزة، قال المسيح: "*أنا هو القيامة الحياة، من آمن بي ولو مات فسيحيا*" (يو١١:٢٥). ونجد حادثًا مشابهًا في موضع آخر، لأن يايرس رئيس مجمع اليهود،

حينما كانت ابنته تلفظ أنفاسها الأخيرة، وقد أمسكت في شباك الموت، توسل إلى يسوع أن ينقذ الصبية مما حدث لها، وبناءً على ذلك وعد المسيح أن يفعل ذلك عند وصوله إلى بيت السائل. ولكن بينما كان في الطريق، جاء رجل من أقرباء رئيس المجمع قائلاً، "*قد ماتت ابنتك، لا تُتعب المعلم*" (لو٨:٤٩). فماذا كان جواب المسيح؟ "*آمن فقط، وهي ستحيا*" (لو٨:٥٠).

لذلك، كان من الواجب على والد الصبي أن يلقى باللوم على عدم إيمانه، بدلاً من أن يلقيه على الرسل القديسين. لهذا السبب قال المسيح بحق، "*أيها الجيل غير المؤمن والملتوي، إلى متى أكون معكم وأحتملكم؟*" لذلك، فهو بحق يدعو ذلك الرجل نفسه وأولئك الذين على شاكلته "جيل غير مؤمن". لأنه مرض رديء، وكل من يمسك به، فهو يكون ملتويًا، ولا معرفة عنده لكي يسلك باستقامة. لذلك فالكتب المقدسة تقول عن مثل هؤلاء الأشخاص: "*إن طرقهم معوجة وهم ملتوون في سبلهم*" (أم٢:١٥). وقد هرب داود الإلهي من هذا المرض، ولكي ينفعنا أيضًا، فهو يعلن لنا هدفه من هذا الهروب قائلاً: "*لم يلصق بي قلب معوج*" (مز١٠١:٤)، أي أن ذلك الإنسان لا يستطيع أن يسلك باستقامة.

وإلى مثل هؤلاء صرخ المعمدان المبارك، كسابق للمخلص قائلاً: "*أعدوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة*" لذلك فالرجل كان، على وجه العموم، غير مؤمن، وملتوي، ورافضًا للطرق المستقيمة، ويضل عن الصواب، وينحرف عن السبل الصحيحة. والمسيح لا يتنازل ليتعامل مع هؤلاء الذين سقطوا إلى هذا الشر، وإذا تكلّمنا بطريقة بشرية، فإنه يتعب ويسأم منهم وهذا هو ما قاله: "*إلى متى أكون معكم وأحتملكم؟*" لأن ذلك الذي يقول، إن أولئك الذين نالوا القوة بمشيئة المسيح أن يُخرجوا الأرواح الشريرة، ليس لهم قوة أن يطردوا هذه الأرواح، فهو يعيب على النعمة نفسها بالحري لا على الذين نالوا النعمة. لذلك فقد كان تجديفًا رديئًا، لأنه إن كانت النعمة بلا قوة، فلا يكون العيب أو اللوم عليهم هم الذين نالوها، بل بالحري يكون على النعمة نفسها. لأن أي واحد يريد أن يدرك يمكنه أن يرى أن النعمة التي عملت فيهم كانت نعمة المسيح. فمثلاً، الرجل المقعد الذي كان على باب الهيكل



الجميل قد قام وصار صحيحًا، ولكن بطرس نسب المعجزة للمسيح قائلاً لليهـود: "*لأن الذي صلبتموه أنتم الذي أقامه الله من الأموات، بذاك وقف هذا الإنسان أمامكم صحيحًا، وبواسطته أعطاه هذه الصحة*" (أع٤:١٠، ٣:١٦). وفي موضع آخر فإن بطـرس المبـارك أعلن لأحد الذين شفاهم قائلاً: "*يا إينياس يشفيك يسوع المسيح*" (أع٩:٣٤). لذلك، فواضـح من كل ناحية أن الرجل وجَّه اللوم إلى قوة المسيح، بقوله عن الرسل القديـسين، "*لـم يستطيعوا أن يخرجوه*".

وأكثر من ذلك، فإن المسيح يغضب حينما يُساء إلى المبـشرين القديـسين الـذين اؤتُمنوا على كلمة إنجيله، واختارهم ليعلِّموها لكل الذين تحت السماء، إذ يـشهد لهـم بنعمته، أنهم تلاميذه وأنهم أناروا بنور معرفة الله الحقيقية على أولئك الذين اقتنعـوا بتعاليمهم وبالمعجزات العجيبة التي أجروها في كل مكان. لأن المعجزة تقـود إلـى الإيمان. لذلك، فلو أن والد الصبي مضى خائب الأمل وقد مُنعت عنه العطية السخية، لكان مستحقًا لذلك، ولكن لكي لا يتصور أحد أن المسيح أيضًا كان غيـر قـادر أن يصنع المعجزة، لذلك فقد انتهر الروح النجس، وهكذا أنقذ الصبي من هذا المـرض وسلمه لأبيه. لأنه قبل ذلك لم يكن ملكًا لأبيه بل كان ملكًا للروح الذي يتسلط عليـه، أما الآن ـــ إذ قد أُنقذ من يده القاسية، فقد أصبح مرة أخرى ملِكًا لأبيه، كهبـة مـن المسيح، الذي أعطى أيضًا للرسل القديسين أن يصنعوا معجزات إلهيـة، وينتهـروا الأرواح النجسة بقدرة لا تُقاوم، ويسحقون الشيطان.

ويقول البشير، إن الجموع بُهتوا من عظمـة الله. إذن، فحينمـا يـصنع المـسيح معجزات، فإن الله هو الذي يتمجد، الله فقط والله وحـده. لأنـه هـو الله بالطبيعـة، وعظمته لا تُقارن، وعلوه لا منافس له وهو يشع بمجد الربوبية الكاملة التي لله الآب. لذلك يليق به أن نمجده بتسابيح، ولنقل له: "*أيها الرب إله القوات مَن مثلك؟ أنت قوي أيها الرب، وحقك من حولك*" (مز٨٨:٨ سبعينية). لأن كل شيء مُستطاع لديـه، وسـهل عليه أن يتممه، وليس شيء عسير عليه أو عاليًا عنه، الذي به ومعه، لله الآب التسبيح والملك، مع الروح القدس، إلى دهر الدهور آمين.



عظة(٥٣)

سر المسيح

(لو ٩: ٤٣ـ٤٥) *" وَإِذْ كَانَ الْجَمِيعُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ كُلِّ مَا فَعَلَ يَسُوعُ، قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: ضَعُوا أَنْتُمْ هذَا الْكَلاَمَ فِي آذَانِكُمْ: إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ. وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا هذَا الْقَوْلَ، وَكَانَ مُخْفىً عَنْهُمْ لِكَيْ لاَ يَفْهَمُوهُ، وَخَافُوا أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنْ هذَا الْقَوْلِ ".*

عميق وعظيم هو بالحقيقة سر التقوى، بحسب تعبير بولس الحكيم (١تي٣: ١٦)، ولكن الله الآب يعلنه لمن يستحقون نواله. لأن المخلِّص نفسه أيضًا حينما كان يكلِّم اليهود قال: "*لا تتذمروا فيما بينكم، لا يقدر أحد أن يأتي إليَّ، إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني*" (يو٦: ٤٣). فحينما حُسب بطرس المبارك أهلاً لنعمة مجيدة هكذا وعجيبة، إذ كان في نواحي قيصرية فيلبس، فإنه صنع اعترافًا بالإيمان به صحيحًا وبلا عيب قائلاً: "*أنت هو المسيح ابن الله الحي*" وماذا كانت المكافأة التي حُسب مستحقًا لها؟ المكافأة هي أن يسمع المسيح يقول: "*طوبى لك يا سمعان بن يونا، إن لحمًا ودمًا لم يُعلن لك لكن أبي الذي في السموات*" (مت١٦: ١٦، ١٧)، ثم بعد ذلك نال كرامات فائقة، لأن المسيح ائتمنه على مفاتيح ملكوت السموات، وصار اعترافه بالإيمان هو الأساس الراسخ للكنيسة. إذ قال له: "*أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها*".

لذلك، فلكي يعرف أولئك الذين سيعلِّمون العالم كله سرَّه بالضبط، فإنه يشرحه لهم مسبقًا بطريقة نافعة، وبوضوح، قائلاً: "*ضعوا أنتم هذا الكلام في قلوبكم*[٦]*، إن ابن الإنسان سوف يُسلَّم إلى أيدي الناس*". وأظن أن السبب الذي جعل المسيح يتكلم هكذا، هو موضوع نافع كما أنه يستحق التفكير.

---

[٦] في نص الإنجيل الوارد في بداية العظة يستعمل القديس كيرلس" آذانكم" ولكن أثناء الشرح يستعمل كلمة "قلوبكم" بدلاً منها، ربما عن غير قصد، ولكنها تُبيِّن فهمه لكلمة آذان.



فقد أخذ بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد إلى الجبل وتجلّى أمامهم، وأضاء وجهه كالشمس، وأراهم مجده الذي سيرتفع به فوق العالم في الوقت المناسب. لأنه سيأتي ليس في حقارة مثل حقارتنا، ولا في وضاعة حالة الإنسان، بل في جلال اللاهوت وعظمته، وفى مجد فائق، وأيضًا حينما نزل من الجبل، فإنه أنقذ إنسانًا من الروح الشرير العنيف، ومع ذلك فقد كان مزمعًا بالتأكيد أن يحمل آلامه الخلاصية لأجلنا، ويحتمل خبث اليهود، وكما يقول خادم أسراره: "*يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل إنسان*" (عب٢:٩). ولكن حينما حدث هذا، ليس هناك ما سيمنع الافتراض أن تلاميذه سينزعجون، وربما يقولون في أفكارهم الخفية: " الذي له كل هذا المجد، الذي أقام الموتى بقوته الإلهية، الذي انتهر البحر والرياح، الذي سحق الشيطان بكلمة، كيف يُقبض عليه الآن كسجين، ويُمسك به في فخاخ القتلة؟ فهل كنا مخطئين حينئذ في تفكيرنا عنه أنه هو الله؟

وهل سقطنا من المعرفة الحقيقية عنه؟ لأن كون أولئك الذين لم يعرفوا "السر"، أن ربنا يسوع المسيح سوف يحتمل الصليب والموت، سيجدون فرصة للتعثر، هذا أمر سهل أن ندركه، حتى مما قاله له بطرس المبارك. لأنه رغم أنه لم يكن قد شاهد آلامه بعد، ولكنه سمع فقط مسبقًا أن هذه الآلام ستحدث له، فإنه قاطعه، قائلاً: " *حاشاك يا رب، لا يكون لك هذا*" (مت٢٢:١٦).

لذلك، فلكي يعرفوا ما سوف يحدث بالتأكيد، فهو ـ كأنه ـ يدعوهم أن يحتفظوا بالسر في عقلهم. لأنه يقول: " *ضعوا أنتم هذا في قلوبكم*". وكلمة "أنتم" تُميِّز بينهم وبين كل الآخرين. لأنه أراد في الحقيقة أنهم هم أنفسهم ينبغي أن يتعلموا فقط عن آلامه المقبلة، ولكن من الأفضل جدًّا، أن يقتنعوا في نفس الوقت بأنه سيقوم من القبر بقوة إلهية وأنه سيبيد الموت، وهكذا يتحاشى تعرضهم للعثرة. لذلك، فهو يقول، حينما يأتي الوقت الذي ينبغي أن أتألم فيه، فلا تسألوا، كيف أن واحدًا له كل هذا المجد، والذي صنع كل هذه الآيات، قد سقط كواحد منا، على حين غرة، في أيدي أعدائه، ولكن بالعكس، تأكدوا، حينما تتأملون في التدبير، أنني لا أنقاد بإجبار من الناس، بل



أمضي إلى الآلام بإرادتي. لأن ما الذي يعوق ذلك الذي يعرف مسبقًا ما سوف يحدث ويعلنه بوضوح، أن يرفض أن يتألم إذا أراد ذلك؟ ولكن أنا أخضع للآلام، لكي أفدي كل الذين تحت السماء. لأن هذا هو ما يعلمه لنا بوضوح في موضع آخر، قائلاً: "*ليس أحد يأخذ حياتي مني، بل أضعها أنا بإرادتي. لي سلطان أن أضعها، ولي سلطان أن آخذها أيضًا*" (يو ١٠:١٨).

ولكنه يقول: "*أما هم فلم يفهموا هذا القول وكان مُخفى عنهم لكي لا يفهموه*" والآن من الطبيعي أن يتعجب أي واحد، حينما يتأمل مع نفسه، كيف أن التلاميذ لم يعرفوا سر المسيح، فرغم أنهم ينتمون إلى جماعات اليهود، إلا أنهم لم يكونوا كسالى أو مزدرين، بل على العكس جادين جدًا ومجتهدين. فرغم أنهم يعتبرون عمالاً يدويين، إذ كانت مهنتهم الصيد في البحيرة، إلا أنهم ــ كما قلت ــ كانوا متعلمين وعقلاء، ولم يكونوا يجهلون كتب موسى، لأنه لهذا السبب قد اختارهم المسيح، فكيف كانوا إذن يجهلون سر المسيح، حينما كان قد أُشير لهم عنه كظل في مواضع مختلفة بواسطة الناموس، وسبق التنبؤ به بطريقة جميلة في رموزه كما في رسم، ولكي أوضح ما أقصد بمثال، فإنهم لم يستطيعوا أن يهربوا من عبودية مصر، ولا أن يفلتوا من اليد التي اضطهدتهم، إلا عندما ذبحوا حملاً حسب ناموس موسى، وحينما أكلوا لحمه فإنهم مسحوا العتاب العليا بدمه، وهكذا انتصروا على المهلك. فالرموز تتمخض بالحق، وعملهم هذا، كان كما قلت، تنبؤًا، بواسطة ما تم في ظلال، عن الفاعلية الخلاصية لموت المسيح وعن إبطال الهلاك بواسطة دمه، وهو الذي يطرد أيضًا الطاغية القاسي، الشيطان، وينقذ من سيطرة الأرواح النجسة، أولئك الذين كانوا قد استُعبدوا، والذين، مثل الإسرائيليين الذين سخروا في عمل الطوب والبناء، قد صاروا ضحايا الاهتمامات الأرضية والشهوات الجسدية الدنسة، وارتباكات هذا العالم غير النافعة.

إن سر الآلام يمكن أن يُرى في أمر آخر، فإنه حسب ناموس موسى، كان يقدَّم تيسان، لا يختلفان في شيء أحدهما عن الآخر، بل هما متماثلان في الحجم والشكل. واحد من هذين التيسين كان يسمى " للرب"، فإنه يُقدم ذبيحة، والآخر "المُرسَل بعيدًا".



وحينما تخرج القُرعة على التيس الذي يُسمَّى: "للرب"، فإنَّه يُقدَّم ذبيحة بينما الآخر كان يُرسل بعيدًا عن الذبح، ولذلك كان يُسمى "المرسل بعيدًا". ومن هو المُشار إليه بهذا؟ إنه "الكلمة"، الذي رغم أنه الله، فقد صار مثلنا، وأخذ شكلنا نحن الخطاة فيما يختص بطبيعة الجسد. ولكن كان الموت هو ما نستحقه نحن، إذ أننا بالخطية قد سقطنا تحت اللعنة الإلهية، ولكن حينما حمل مخلص الكل نفسه العبء، فإنه نقل الدين الذي كان علينا إلى نفسه، ووضع حياته لأجلنا، لكي نطلق نحن بعيدًا عن الموت والهلاك.

لذلك فالسر سبق أن أُعلن بشكل غامض لليهود بواسطة ما أشير به كالظل في الناموس، لو أنهم كانوا فقط عارفين الكتب المقدسة. ولكن، كما كتب بولس المبارك " *إن العَمَى قد حصل جزئيًا لإسرائيل*" (رو١١:٢٥)، "*وحتى اليوم حين يُقرأ موسى، البرقع موضوع على قلبهم، وهو لا ينكشف، لأنه يبطل في المسيح*" (٢كو٣:١٤ـ١٥).

فهم في الواقع يفتخرون بالناموس، ولكن هدفه مُخفى تمامًا عنهم، إذ أن هدفه أن يقودنا إلى سر المسيح. ولكن مخلِّصنا يوضح أنهم بلا فهم إذ يقول: " *فتشوا الكتب، لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهى التي تشهد لي، ولا تريدون أن تأتوا إليَّ لتكون لكم حياة*" (يو٥:٣٩و٤٠). لأن الكتب الموحَى بها تقود الإنسان الذي له فهم إلى معرفة دقيقة لتعاليم الحق، ولكنها لا تنفع عديمي الحكمة والجهّال والمهملين. ليس لأنهم لا يستطيعون أن يفعلوا هذا، بل بسبب أن ضعف ذهنهم يجعلهم غير قادرين على استقبال النور الذي تعطيه الكتب المقدسة. لأنه كما أن نور شعاع الشمس غير نافع لأولئك المحرومين من البصر، ليس لأنه لا يستطيع أن يضئ، بل بسبب أن عيونهم غير قادرة على رؤية النور واستقباله. هكذا الكتب المقدسة، فرغم أنها موحى بها من الله، فهي لا تنفع الجهَّال والأغبياء شيئًا.

لذلك فواجبنا، هو أن نقترب إلى الله ونقول: " *افتح عينيَّ لكي أبصر عجائب من ناموسك*" (مز١١٨:١٨ السبعينية)، وهكذا فسوف يعلن لنا المسيح سره، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٥٤)
من هو أعظم

(لو ٩: ٤٦ـــ ٤٩) "*وَدَاخَلَهُمْ فِكْرٌ مَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ فِيهِمْ؟ فَعَلِمَ يَسُوعُ فِكْرَ قَلْــبِهِمْ، وَأَخَذَ وَلَدًا وَأَقَامَهُ عِنْدَهُ، وَقَالَ لَهُمْ: مَنْ قَبِلَ هذَا الْوَلَدَ بِاسْمِي يَقْبَلُنِي، وَمَنْ قَبِلَنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي، لأَنَّ الأَصْغَرَ فِيكُمْ جَمِيعًا هُوَ يَكُونُ عَظِيمًا* ".

أنتم الذين تغارون للحذق الروحي، وتعطشون لمعرفة التعاليم المقدسة، تنالون مرة أخرى الأمور التي تحبونها. والذي يقودكم إلى الغنيمة المربحة ليس معلّمًا أرضــيًّا، ولا واحد مثلنا نحن الذين نرشدكم، بل هو كلمة الله، الذي نزل من فــوق، أي مــن السماء، وهو النور الحقيقي للسموات والأرض، لأن كــل الخليقــة العاقلــة تــستنير بواسطته، إذ هو واهب كل حكمة وفهم، ونحن ننال منه كل معرفة الفضيلة، والقــدرة الكاملة على ممارسة الأعمال الصالحة كما يليق بالقديسين. لأنه، كما يقول الكتاب: "*نحن متعلمون من الله*" (يــو ٦: ٤٥، إش ٥٤: ١٣س) والمقطع الموضوع أمامنا يشهد أيضًا لما قد قلته. إذ يقول: " دَاخلهم ــ أي بين الرسل القديسين ــ من هو أعظم فيهم".

والآن فالذي يظن أن يسوع كان مجرد إنسان، دعوه يعرف أنه على خطــأ وأنــه ضل بعيدًا عن الحق. مثل هذا فليعرف، أنه رغم أن كلمة الله صار جسدًا، إلا أنه لــم يكن ممكنًا بالنسبة إليه أن يكف عن أن يكون ما كان عليه، وأنه استمر إلهًا كما كان. فأن يكون قادرًا أن يفحص القلوب والكلى، ويعرف أسرارها، هذه هي صــفة الإلــه العلي وحده، وليست صفة أي كائن غيره مهما كان. ولكن ها هو المــسيح يفحــص أفكار الرسل القديسين، ويثبت عين اللاهوت على مشاعرهم الخفيــة. إذن فهــو الله لكونه مكلل بالكرامات المجيدة جدًّا والإلهية.

ولكن دعونا الآن نبحث هذا السؤال، هل كان التلاميذ قد أصيبوا معًا بهذا المرض؟ وهل هذا الفكر دخل فيهم جميعًا مرة واحدة؟ في رأيي، إنه أمر لا يصدق بــالمرة أن

نفترض أنهم جميعًا صاروا فريسة مشتركة لنفس المرض في نفس اللحظة، ولكن، كما أتصور، حينما صار أحدهم فريسة للمرض، فإن الإنجيلي الحكيم لكي لا يُصوِّب اتهامًا لواحد بعينه بين زملاءه التلاميذ، لذلك يعبر بشكل غير محدد قائلاً: "*وداخلهم فكر من هو أعظم فيهم*" وبهذا يُتاح لنا أن نرى كيف أن الشيطان ماكر في شرّه. لأن هذه الحية هي متلوّنة جدًّا ومملوءة بكل حيلة للأذى، متآمرًا بطرق متنوعة ضد أولئك الذين يثبتون أشواقهم نحو حياة مكرَّمة، والذين يسعون باجتهاد وراء الفضائل الممتازة. وإن كان يستطيع بواسطة اللذات الجسدية أن يسيطر على عقل أي واحد، فإنه يصنع هجومه بوحشية، ويجعل مهماز الشهوانية حادًّا، وبوقاحة هجماته، يذل حتى العقل الثابت إلى حقارة الشهوات الوضيعة. أما الذي يكون شجاعًا ويهرب من هذه الفخاخ، فحينئذٍ يستعمل معه حِيَل أخرى ويخترع إغراءات ليجربه بأفكار مريضة، لأنه يزرع نوعًا أو آخر من البذار التي لا ترضى الله: وأولئك الذين فيهم شيئًا نبيلاً، ويُمدحون لحياتهم الممتازة، يثير فيهم شهوة المجد الباطل، محركًا إياهم قليلاً نحو عجرفة بغيضة. لأنه كما أن أولئك الذين يتهيئون بالزِّي الحربي لمحاربة الغزاة، يستعملون ضدهم حيلاً كثيرة، إمَّا بِلَوي الأقواس التي تطلق السهام، أو بقذف الحجارة من القلاع، أو بأن يهجموا عليهم برجولة بسيوف مسلولة، هكذا الشيطان يستعمل كل حيلة في محاربة القديسين بواسطة خطايا متنوعة.

لذلك، فإن ألم وشهوة المجد الباطل قد هجم على واحد من الرسل القديسين، لأن مجرد المجادلة في مَن هو أعظم بينهم، هو علامة على شخص طموح، متلهف أن يكون رئيسًا للباقين. ولكن الذي يعرف أن يخلِّص، أي المسيح، لم ينم، فقد رأي هذا الفكر في عقل التلميذ ــ يطلع، بحسب كلمات الكتاب، مثل نبات مُر (انظر عب١٢:١٥)، لقد رأى الزوان، عمل الزارع الشرير، وقبل أن ينمو عاليًا، قبل أن يصير قويًّا ويمتلك القلب، فإنه ينتزع الشر من جذوره. لقد رأي سهم البربري (أى الشيطان) الذي قد وجد مدخلاً، وقبل أن يسود ويخترق العقل، فإنه أعطى الدواء. لأن الشهوات حينما تكون في بدايتها، وكما لو كانت في طفولتها، ولم يكتمل نموها بعد ولا صارت



لها جذور راسخة، يكون من السهل التغلب عليها. ولكن حينما تكون قد زادت ونمت، وصارت قوية، فمن الصعب خلعها أو اقتلاعها. لهذا السبب قال الحكيم: "*إن صعدَتْ عليك روح المتسلط فلا تترك مكانك، لأن الهدوء يشفى خطايا كثيرة*" (جا١٠:٤).

بأي طريقة إذن، يبتر طبيب النفوس مرض المجد الباطل؟ كيف يخلِّص التلميذ المحبوب من أن يكون فريسة للعدو، ومن أمر ممقوت من الله والإنسان؟ يقول الكتاب: "*أخذ ولدًا وأقامه عنده*" وجعل هذا الحديث وسيلة لمنفعة الرسل القديسين أنفسهم، ولمنفعتنا نحن خلفائهم، لأن هذا المرض ــ كقاعدة عامة ــ يؤذى كل أولئك الذين هم في وضع أعلى من غيرهم من الناس من أي ناحية.

ولكن الولد الذي قد أخذه، لأي شيء جعله مثالاً ورسمًا؟ لقد كان مثالاً لحياة بريئة غير طامعة، لأن عقل الطفل خال من الخداع، وقلبه مُخلِص وأفكاره بسيطة، وهو لا يطمع في الدرجات، ولا يعرف معنى أن يكون إنسان أعلى من آخر في المركز، وهو ليس عنده عدم ترحيب بأن يُحسب أقل من غيره، وهو لا يضع نفسه فوق أي شخص آخر مهما كان. وحتى إن كان من عائلة شريفة فإنه لا يتشاجر بسبب الكرامة حتى مع عبد، حتى لو كان والداه غنيين، فهو لا يعرف أي فرق بينه وبين الأطفال الفقراء، بل على العكس فهو يحب أن يكون معهم، ويتحدث ويضحك معهم بلا أي تمييز... وفى قلبه وعقله توجد صراحة كبيرة ناشئة من البساطة والبراءة. والمخلص نفسه قال مرّة للرسل القديسين، أو بالحري لكل الذين يحبونه: "*الحق أقول لكم، إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد، فلن تقدروا أن تدخلوا ملكوت الله*". (متى١٨:٣).

وفى مرة أخرى، حينما أحضرت النساء أطفالهن إليه، ومنعهم التلاميذ، قال: "*دعوا الأولاد يأتوا إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات*" (لو١٨:١٦). وأيضًا بولس الحكيم جدًّا يريد أن أولئك الذين يؤمنون بالمسيح ينبغي أن يكونوا رجالاً ناضجين في الفهم، "*ولكن أطفالاً في الشر*" (انظر ١كو١٤:٢٠)، وأحد الرسل القديسين الآخرين قال: "*كأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي عديم الغش لكي تنموا به*

للخلاص، إن كنتم قد ذقتم أن الرب صالح" (١بط٢:٢).

وكما سبق أن قلت، فإن المسيح أحضر الولد كنموذج للبساطة والبراءة، "وأقامه عنده"، مبيناً بذلك ـ كما في رسم توضيحي ـ أنه يقبل الذين مثل هذا الولد ويحبهم، ويحسبهم مستحقين أن يقفوا إلى جواره، لكونهم يفكرون مثله ويتوقون للسير في خطواته. لأنه قال: "*تعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب*" (متى١١:٢٩). وإن كان الذي هو فوق الكل، والمُكلَّل بتلك الأمجاد الفائقة، متواضع القلب، فكيف لا تنطبق على أمثالنا تهمة الجنون المطبق، إن كنا لا نتصرف باتضاع نحو الفقراء، ونعرف ما هي طبيعتنا، بل نحب أن ننتفخ بأنفسنا فوق مقياسنا!

ويقول بعد ذلك: "*من قبل هذا الولد باسمي يقبلني، ومن قبلني يقبل الذي أرسلني*". حيث إن مكافأة أولئك الذين يكرمون القديسين هي نفس المكافأة الواحدة، سواء كان الذي يكرمونه من رتبة متواضعة أو من مركز عالي وكرامة كبيرة ـ لأنهم يقبلون المسيح، وبواسطته وفيه يقبلون الآب ـ فكيف لا يكون أمرًا شديد الحماقة منهم أن يتشاجروا فيما بينهم، ويسعون للترأس، ويكونون غير راغبين أن يحسبوا أقل من الآخرين، في حين أنهم سيُقبَلون من الآخرين على أساس متساوي!

ولكنه يجعل معنى هذا الإعلان أكثر وضوحًا بقوله: "*لأن الأصغر فيكم جميعًا هو يكون أعظم*". وكيف يكون المعتبر أصغر هو الأعظم؟ هل المقارنة من جهة الفضيلة؟ ولكن كيف يكون هذا؟ أي بأية طريقة يكون الأصغر هو الأعظم؟ إنه ربما يدعو الذي يُسر بالأمور المتواضعة، بالأصغر، وهو الذي ـ بسبب تواضعه ـ لا يفكر تفكيرًا عاليًا عن نفسه. مثل هذا يرضى المسيح، لأنه مكتوب: "الذي *يرفع نفسه سوف يوضع، والذي يضع نفسه سوف يرفع*" (لو١٤:١١). والمسيح نفسه يقول في أحد المواضع: "*طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات*" (مت٥:٣). لذلك فإن زينة النفس التي تتقدس هي الفكر المسكين المتواضع، أما الرغبة في النظر إلى النفس نظرة عالية، والنزاع مع الإخوة بسبب الكرامة والمركز، والشجار معهم بحماقة، فهذا



في المقابل هو عار عظيم. مثل هذا السلوك يُفرّق الأصدقاء، ويجعل ذوي الميول المتشابهة أعداء. هذا السلوك يتغلب على قانون الطبيعة، ويقلب المحبة الفطرية التي نُكنها لإخوتنا. إنه يقسم المحبين أحيانًا، ويجعل حتى المولودين من رحم واحد، أعداء بعضهم لبعض. إنه يحارب بركات السلام ويقاومها. إنه بؤس عظيم ومرض اخترعه شر الشيطان. لأنه أي شيء هناك أكثر خداعًا من المجد الباطل؟ إنه يتلاشى مثل الدخان، مثل سحابة يزول، ومثل منظر الحلم يتحول إلى لا شيء، وبالكاد يساوى العشب في احتماله، ويذبل كالحشائش، لأنه مكتوب: "*كل جسد كعشب، وكل مجد إنسان كزهر عشب*" (ابط١:٢٤). لذلك فهو ضعف وهو محتقر في وسطنا، ويُحسب من أعظم الشرور. لأن مَن الذي لا يعتبر الإنسان المحب للمجد الباطل، والمنتفخ بكبرياء فارغة مزعجًا؟ مَن الذي لا ينظر باحتقار، ويعطى اسم "المتفاخر" لذلك الذي يرفض أن يكون على قدم المساواة مع الآخرين، ويقحِم نفسه في المقدمة كمَن يدَّعي أنه يحسب رئيسًا لهم؟ إذن، فليكن مرض محبة المجد الباطل بعيدًا عن أولئك الذين يحبون المسيح، ولنعتبر رفقاءنا بالحري أفضل من أنفسنا، ولنكن تَوّاقِين أن نُزَيِّن أنفسنا بتواضع العقل ـــ الذي يسر الله جدًّا. لأننا إذ نكون هكذا بسطاء الفكر، كما يليق بالقديسين، فإننا سنكون مع المسيح، الذي يكرم البساطة، الذي به ومعه، لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس، إلى دهر الدهور آمين.

عظة (٥٥)

" من ليس علينا فهو معنا "

(لو٩: ٤٩ــ٥٠) "*فَأجَابَ يُوحَنَّا وَقَالَ: يَا مُعَلِّمُ، رَأَيْنَا وَاحِدًا يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِكَ فَمَنَعْنَاهُ، لأَنَّهُ لَيْسَ يَتْبَعُ مَعَنَا. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لاَ تَمْنَعُوهُ، لأَنَّ مَنْ لَيْسَ عَلَيْنَا فَهُوَ مَعَنَا* ".

بولس يطلب منا أن "*نمتحن كل شيء*" ويقول: "*كونوا حكماء*" (اتس٥: ٢١) ولكن المعرفة المضبوطة والمدققة لكل أمر بذاته، لا يمكننا أن نحصل عليها من أي مصدر آخر سوى مِن الكتب الموحى بها من الله. لأن داود، كما لو كان يخاطب المسيح مخلِّص الكل، في المزامير، يُعلن: "*سراج لرجلي شريعتك ونور لسبيلي*" (مز١١٨: ١٠٥س) وسليمان أيضًا يكتب: "*الوصية مصباح والشريعة نور*" (أم٦: ٢٣). لأنه كما أن هذا النور المحسوس الذي في هذا العالم، حينما يسقط على عيوننا الجسدية يطرد الظلمة، هكذا أيضًا شريعة الله، حينما تدخل إلى ذهن الإنسان وقلبه فإنها تنيره كُليَّة، ولا تدعه يتعثر بعثرات الجهل، ولا أن تمسكه الخطية بشرورها.

وأقول هذا من إعجابي بالمهارة التي تظهر في الدروس المأخوذة من الإنجيل الموضوع أمامنا الآن، والمعنى الذي تريدون بلا شك أن تعرفوه، وأنا أراكم قد اجتمعتم هنا بسبب محبتكم للتعاليم المقدسة، وقد كوَّنتم هذا الاجتماع الحاضر باشتياق كثير. لذلك، فما الذي يقوله التلاميذ الحكماء، أو ما الذي يرغبون أن يتعلموه من ذلك الذي يمنحهم كل حكمة، ويعلن لهم فهم كل عمل صالح؟ "*يا معلم، رأينا واحدًا يخرج الشياطين باسمك فمنعناه*" فهل لدغة الحسد أزعجت التلاميذ ؟ هل هم يحسدون أولئك الذين أنعم عليهم؟ هل هم أدخلوا داخل نفوسهم شهوة رديئة جدًّا ومكروهة جدًّا من الله؟ فهم يقولون: "*رأينا واحد يخرج الشياطين باسمك فمنعناه*". أخبرني، هل أنت تمنع واحدًا يزعج الشيطان باسم المسيح، ويسحق الأرواح الشريرة؟ كيف لا يكون مِن واجبك أن تفكر أنه ليس هو فاعل هذه العجائب، بل إن النعمة التي فيه صنعت المعجزة بقوة المسيح؟ لذلك كيف تمنع الذي بالمسيح يربح النصرة؟ يقول: "نعم لأنه ليس يتبع معنا" آه، يا للكلام



الأعمى! لأنه ماذا إن لم يكن معدودًا بين الرسل القديسين، ذلك الذي كُلل بنعمة المسيح، ومع ذلك فهو مُزين بالسلطات الرسولية بالتساوي معكم. فهناك أنواع كثيرة من مواهب المسيح، كما يُعلِّم بولس المبارك، قائلاً: "*فإنه لواحد يعطى كلام حكمة، ولآخر كلام علم، ولآخَر ايمان، ولآخر مواهب شفاء*" (١كو١٢: ٨، ٩).

إذن، فما هو معنى هذه العبارة: "ليس يسير معنا"، أو ما هي قوة هذا التعبير؟ انظروا إذن، فإني سأخبركم بأفضل ما أستطيع. فقد أعطى المخلِّص للرسل القديسين سلطانًا على الأرواح النجسة، ليخرجوها، وليشفوا كل مرض وكل ضعف في الشعب (مت١٠: ١)، وهكذا فعلوا، ولم تكن النعمة المعطاة لهم غير فعالة. لأنهم رجعوا فرحين قائلين: "*يا رب، حتى الشياطين تخضع لنا باسمك*" (لو١٠: ١٧). لذلك، فهم قد تخيلوا، أنه لم يمنح الإذن لأي شخص آخر غيرهم وحدهم، أن يتوشَّح بالسلطان الذي منحه لهم. ولهذا السبب فإنهم يقتربون، ويريدون أن يتعلَّموا، إن كان آخرون أيضًا ربما يمارسونه، حتى إن لم يكونوا قد اختيروا للرسولية، ولا حتى لوظيفة معلِّم.

ونجد شيئًا مثل ذلك أيضًا في الكتب المقدسة القديمة. لأن الله قال مرة لموسى "معلِّم المقدَّسات" (Hierophant) "*اختر أنت سبعين رجلا من شيوخ إسرائيل...، وأنا آخذ من الروح الذي عليك وأعطي لهم*" (عد١١: ١٦، ١٧). وحينما اجتمع أولئك الذين اختيروا، عند الخيمة ــ فيما عدا اثنين فقط قد بقيا في المحلة ــ وحلَّ روح النبوة عليهم، فليس فقط الذين اجتمعوا في الخيمة المقدسة تنبأوا، بل أولئك أيضًا الذين بقوا في المحلة. فيقول إن: "*يشوع خادم موسى قال: ألداد وميداد يتنبآن في المحلة. يا سيدى موسى اردعهما. فقال موسى ليشوع هل تغار أنت لي؟ يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء، إذ جعل الرب روحه عليهم*" (عد١١: ٢٧ــ٢٩). والمسيح هو الذي جعل موسى "معلم المقدَّسات" (Hierophant) يتكلم هكذا في ذلك الوقت، بالروح القدس، وهو هنا الآن أيضًا بشخصه يقول للرسل القدِيسين "*لا تمنعوه*" أي الذي يسحق الشيطان باسمه، "لأنه ليس عليكم، لأن من ليس عليكم فهو معكم"، لأن كل الذين يريدون أن يعملوا لمجد المسيح، هم معنا نحن الذين نحبه، وهم مكلَّلون بنعمته، وهذا قانون

بالنسبة للكنائس مستمر حتى هذا اليوم. لأننا نكرِّم فقط أولئك الذين يرفعون أيادي مقدسة، وبطهارة وبلا عيب ولا لوم، وينتهرون الأرواح النجسة باسم المسيح وينقذون الجموع من أمراض متنوعة لأننا نعلم أن المسيح هو الذي يعمل فيهم.

ومع ذلك، ينبغي أن نفحص مثل هذه الأمور بعناية، فإن هناك أشخاص، هم في الحقيقة لم يُحسبوا مستحقين لنعمة المسيح، ولكنهم جعلوا من سمعة أنهم قديسين ومُكرَّمين، فرصة للربح. ويمكننا أن نقول عن هؤلاء إنهم مراؤون جسورون ولا يخجلون، الذين يقتنصون الكرامات لأنفسهم، رغم أن الله لم يَدعُهُم إليها، وهم يمدحون أنفسهم ويقلِّدون الأعمال الجسورة للأنبياء الكذبة في القديم، الذين قال الله عنهم: "*أنا لم أرسل الأنبياء، بل هم جروا، أنا لم أتكلم إليهم، بل هم تنبأوا*" (إر٢٣: ٢١ س). وهكذا أيضًا يمكن أن يقول عن هؤلاء: أنا لم أقدِّسهم، ولكنهم ينسبون الموهبة لأنفسهم كذبًا، فهم لم يُحسبوا مستحقين لنعمتي، ولكنهم بخبث يقتنصون تلك الأمور التي أمنحها لأولئك الذين هم وحدهم مستحقين لنوالها. فهؤلاء، إذ يصنعون مظهرًا للصوم يمشون بحزن وعيونهم ساقطة إلى أسفل، بينما هم مملوئون خداعًا ودناءةً، وكثيرا ما يفتخرون بأنهم لا يُقلِّمون أظافرهم وهم مغرمون بنوع خاص بأن تكون وجوههم شاحبة، ورغم أن أحدًا لم يجبرهم، فإنهم يحتملون مثل ذلك البؤس الذي يحتمله المسجونون، فيعلِّقون أطواقًا على رقابهم، وأحيانًا يضعون قيودًا في أيديهم وأقدامهم. مثل هؤلاء الأشخاص، قد أوصانا المخلِّص أن نتجنبهم، قائلاً: "*احترزوا من الأنبياء الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة*" (مت٧: ١٥).

ومع ذلك، ربما يعترض أحد على ذلك، ويقول: "ولكن، يا رب من هو الذي يعرف قلب الإنسان؟ من هو الذي يرى ما هو خفي في داخلنا، إلاَّ أنت وحدك، أنت الذي خلقت قلوبنا بنفسك، والذي تمتحن القلوب والكلى؟" نعم يقول: "*من ثمارهم تعرفونهم*" (مت٧: ٢٠)، وليس بالمظاهر، ليس بالشكل الخارجي، بل بالثمار. لأنه ما هو هدف ريائهم؟ واضح تمامًا أنهم يسعون إلى محبة الربح. لأنهم يحدقون في أيدي الذين يزورونهم، فإن رأوها فارغة يحزنون حزنًا عظيمًا ويلدغهم الانزعاج، لأن التقوى



عندهم تجارة. فإن كنت تحب الغنى، وتطمع في الربح القبيح، وقد أعطيت مكانًا في قلبك لتلك الشهوة الدنيئة جدًا ـــ أي محبة المال ـــ فاخلع عنك جلد الحملان، لماذا تتعب نفسك باطلاً، بالتظاهر بحياة متقشفة غير عالمية؟ تخلَّى عن هذه القسوة الزائدة في الحياة، وبدلاً من ذلك اطلب أن تكون شخصًا مكتفيًا بالقليل. اطلب هذا من الله، وانظر بِرَّه: "*ألق على الرب همَّك، فهو يعولك*" (مز٥٤: ٢٢ س).

بل هناك بعض الناس الذين يستعملون ـــ من وقت إلى آخر ـــ تعازيم وغمغمات معيَّنة كريهة، وبخبث يعملون تبخيرات[٧] معيَّنة ويوصون باستعمال التمائم. ويقول واحد من الذين اشتركوا في هذه الممارسات بدون تفكير " **ولكنهم في تعزيمهم يستعملون اسم رب الصباؤوت**". فهل نبرئهم إذن من اللوم، لأنهم يطلقون على شيطان خبيث نجس تعبير يليق بالله وحده، ويسمُّون الشيطان الشرير رب الصباؤوت، طالبين منه ـــ كمكافأة على التجديف ـــ معونة في الأمور التي يسألونه إيَّاها؟ ليس أنه يساعدهم حقيقة، إذ هو بلا قوة، بل بالحري هو يُحدر أولئك الذين يدعونه إلى هوة الهلاك، لأن الرب لا يتكلم بغير الحق حيث يقول إن الشيطان لا يخرج شيطانا.

لذلك فمن الضروري لخلاصنا، كما أنه أمر مرضي لله، أن نهرب بعيدًا من كل أمر مثل هذا، ولكن حينما ترى واحدًا قد تربَّى ونشأ في الكنيسة، وهو طاهر، وبسيط وبدون رياء، وطريقة حياته جديرة بالاقتداء، وهو معروف من كثيرين كصديق للرهبان القديسين، ويهرب من ملاهي المدينة، وهو مغرَم بالمناطق الصحراوية، ولا يحب الربح، ولا الانشقاقات، والى جوار كل هذا له إيمان صحيح، وبواسطة فعل الروح القدس يصير مكرَّمًا بواسطة نعمة المسيح[٨]، ليكون قادرًا أن يعمل تلك الأمور التي هي بواسطة المسيح، إلى مثل هذا اقترب بثقة: فهو سيصلِّي لأجلك بنقاوة، ونعمته ستساعدك، لأن المخلِّص ورب الكل يستجيب لتوسلات الذين يسألونه، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والمُلك مع الروح القدس، إلى دهر الدهور آمين.

---

[٧] توجد ملاحظة في هامش المخطوط تشرح هذه العبارة بأنهم يصنعون دخانًا (بخورًا) مثل "أشخاص يحرقون أطيابًا".

[٨] ليكون قادرًا أن يعمل تلك الأمور التي هي بواسطة المسيح.



عظة (٥٦)

انتهار روح الانتقام

(لو٩: ٥١ـــ٥٦) "*وَحِينَ تَمَّت الأَيَّامُ لارْتِفَاعه ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَرْسَلَ أَمَامَ وَجْهِه رُسُلاً، فَذَهَبُوا وَدَخَلُوا قَرْيَةً لِلسَّامِرِيِّينَ حَتَّى يُعِدُّوا لَهُ. فَلَمْ يَقْبَلُوهُ لأَنَّ وَجْهَهُ كَانَ مُتَّجِهًا نَحْوَ أُورُشَلِيمَ. فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ تِلْمِيذَاهُ يَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا، قَالاَ: يَارَبُّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْـــزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ، كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضًا؟ فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِـــنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ. فَمَـــضَوْا إِلَـــى قَرْيَـــةٍ أُخْرَى*".

أولئك الذين وُهِبَ لهم بوفرة غنى كثير، ويفتخـــرون بثـــرواتهم الـــوافرة، يجمعون أشخاصا مناسبين لولائمهم، ويضعون أمامهم مائدة مجهـــزة بـــسخاء وبواسطة أنواع مختلفة من الأطباق والتوابل يمتعونهم بلـــذة تفـــوق مجـــرد الإشباع من الجوع. ولكن لا فائدة تنشأ من هذا، بل بـــالحري ضـــرر كبيـــر للآكلين، لأن ما يزيد عن الكفاية بعد إشباع نداءات الجوع هو دائمًا مؤذى.

أما أولئك الذين يملكون الغنى السماوي، ويعرفون التعاليم المقدســـة، وقـــد استناروا بالنور الإلهي، فإنهم يُغذون أنفسهم بالاستمتاع بالأحاديـــث المنيـــرة، لكي يصيروا مثمرين نحو الله، كما أنهم يصيرون ماهرين في الطريق إلى كل فضيلة، وجادِّين في تكميل تلك الأمور التي بواسطتها يصل الإنسان إلى نهاية سعيدة. ولذلك فالكلمة المقدسة تدعونا إلى هذه المائدة العقلية والمقدسة، لأنهـــا تقول: "*كلوا واشربوا، واسكروا يا أصدقائي*" (نـــش٥: ١). ولكن أصدقاء مَـــنْ؟ واضح أنهم أصدقاء الله: وجدير بالملاحظة أننا سنسكر بهذه الأمور، وأننـــا لا يمكننا أبدًا أن نشبع بما هو لأجل بنياننا. دعونا نرى إذن، أي نوع من المنفعة يقدمه أمامنا، درس الإنجيل في هذه الفرصة.

لأنه يقول: " *حين تمت الأيام لارتفاعه، ثبّت وجهه لينطلق إلى أورشليم*". وهذا يعني أنه بما أنه قد جاء الآن الوقت الذي يحمل لنا آلامه المخلِّصة ويصعد بعده إلى السماء ويقيم مع الله الآب، فإنه قرر أن يذهب إلى أورشليم. لأني أظن أن هذا هو معنى "*ثبّت وجهه*". لذلك فهو يرسل رسلاً ليعدُّوا مسكنًا له ولرفاقه. وحينما جاءوا إلى قرية للسامريين، لم يقبلوهم. وهذا جعل التلاميذ المباركين ساخطين، ليس لأجلهم هم أساسًا، بل بالأكثر بسبب أنهم لم يكرموه وهو المخلِّص ورب الكل. وماذا بعد ذلك؟ أنهم دمدموا بشدة، ولأن جلاله وقوّته لم تكن غير معروفة لديهم، قالوا: "*يا رب أتريد أن تنزل نار من السماء فتفنيهم؟*" ولكن المسيح انتهرهم لأنهم تكلموا هكذا. وفي هذه الكلمات الأخيرة يكمن مغزى الدرس، ولذلك دعونا نفحص المقطع كله بدقة. لأنه مكتوب "*اعصر اللبن، وهو يصير زبدًا*" (أم٣٠: ٣٣).

إذن سيكون أمرًا غير صحيح أن يؤكد أحد أن مخلِّصنا لم يعرف ما كان على وشك أن يحدث، فلأنه يعرف كل الأشياء، فقد عرف طبعًا، أن السامريين لن يقبلوا رسله. لا يمكن أن يكون هناك شك في ذلك. إذن فلماذا أمرهم أن يسبقوه؟ السبب في هذا أن عادته كانت أن يفيد الرسل القديسين بكل طريقة ممكنة: ولأجل هذا الهدف فقد كان أحيانا يعمل على أن يضعهم موضع الاختبار. كما حدث مثلاً، حينما كان في السفينة مرة على بحيرة طبرية مع التلاميذ، فأثناء ذلك نام عن قصد: وهبت ريح عاتية على البحارة، وبدأت عاصفة قوية غير عادية تثور، وكانت السفينة في خطر، وانزعج البحارة جدًا. لأنه سمح عن قصد للريح وغضب العاصفة أن تثور ضد السفينة، لكي يمتحن إيمان التلاميذ ولكي تظهر عظمة قدرته. وهذه أيضًا كانت النتيجة، لأنهم في قلة إيمانهم قالوا: "*يا سيد نجنا، فإننا نهلك*". فقام في الحال وأظهر أنه رب العناصر، لأنه انتهر البحر والرياح، فصار هدوء عظيم. وهكذا أيضًا في هذه المناسبة، فإنه كان يعرف أن أولئك الذين ذهبوا أمامه لكي يعلنوا عن إقامته

بينهم، لن يقبلهم السامريون، ولكنه سمح لهم أن يذهبوا لكي يكون هذا أيضًا وسيلة لفائدة الرسل القديسين.

فما هو إذن الغرض من هذا الحادث؟ لقد كان صاعدا إلى أورشليم، إذ أن وقت آلامه كان يقترب. كان على وشك أن يحتمل احتقار اليهود، وكان على وشك أن يتعرض للإعدام على يد الكتبة والفريسيين، وأن يحتمل تلك الأشياء التي أصابوه بها حينما تقدموا لكي يكملوا كل عنف وكل تهور شرير. لذلك، فلكي لا ينزعجوا حينما يرونه متألمًا، إذ يفهمون أنه يريدهم هم أيضًا أن يكونوا صابرين، وألاّ يتذمروا كثيرًا، حتى لو عاملهم الناس بازدراء، فهو، كما لو كان قد جعل الاحتقار الذي تعرضوا له من السامريين، تدريبًا تمهيديًا في هذا المجال. فالسامريون لم يقبلوا الرسل. وكان من واجب التلاميذ، باقتفائهم آثار خطوات سيدهم، أن يحتملوا ذلك بصبر كما يليق بقديسين، وألاّ يقولوا عنهم أي شيء بغضب ولكنهم لم يكونوا بعد مستعدين لهذا، ولكن إذ تملكهم سخط شديد، فإنهم كانوا يريدون أن يطلبوا نزول نارًا من السماء عليهم. ولكن المسيح انتهرهم لأنهم تكلموا هكذا.

فأرجو أن تنظروا هنا، ما أعظم الفرق بيننا وبين الله، لأن المسافة لا يمكن قياسها. فهو بطيء الغضب وطويل الأناة، ولطفه ومحبته لجنس البشر لا تضاهَى، أما نحن أبناء الأرض فنسرع إلى الغضب، فينفذ صبرنا سريعًا، ونرفض بسخط أن يديننا الآخرون حينما نرتكب أي فعل خاطئ، بينما نحن نسرع إلى انتقاد الآخرين. لذلك فان الله رب الكل يؤكد قائلا: "*لأن أفكاري ليست أفكارهم، ولا طرقكم طرقي، لأنه كما عَلَت السموات عن الأرض هكذا علت طرقي عن طرقكم وأفكاري عن أفكاركم*" (إش٥٥: ٨، ٩) هكذا، هو إذن، الذي هو رب الكل، أما نحن، كما قلت، فإذ نغتاظ بسهولة، وننقاد بسرعة إلى الغضب، فإننا نَقدم على انتقام فظيع لا يُحتمل ضد أولئك الذين قد تسبَّبوا لنا في إزعاج تافه، ورغم أننا قد أُمِرنا أن نعيش بحسب الإنجيل، إلا أننا نعجز



عن السلوك الذي أمر به الناموس. لأن الناموس في الواقع يقول: " *عين بعين وسن بسن ويد بيد*" (خر٢١: ٢٤)، وأمر أن العقوبة المساوية تكفى، أما نحن، فكما قلت، رغم أننا ربما نكون قد عانينا فقط من خطأ تافه، إلا أننا ننتقم بقسوة، غير متذكرين المسيح، الذي قال: "*ليس التلميذ أفضل من معلمه، ولا العبد أفضل من سيده*" (مت١٠: ٢٤)، الذي أيضًا "*إذ شُتم لم يكن يَشتم عوضًا وإذ تألم لم يكن يُهدد بل كان يُسلم لمن يقضى بعدل*" (١بط٢: ٣٢). وأيوب الصابر كثيرًا هو أيضًا موضع إعجاب بحق بسيره في هذا الطريق، إذ كُتب عنه، أي إنسان كأيوب يشرب الهزء كالماء؟" (أي ٣٤–٧).

لذلك، فقد انتهر الرب التلاميذ لأجل منفعتهم، كابحًا جماح غضبهم بلطف، ولم يسمح لهم أن يتذمروا بشدة ضد أولئك الذين أخطأوا، بل حثهم بالحري أن يكونوا طويلي الأناة، وأن يحتفظوا بقلب غير متحرك بواسطة أي شيء من هذا القبيل.

وهذا أفادهم أيضًا بطريقة أخرى. فهم كانوا سيصيرون معلّمي العالم كله، ويتجولون في المدن والقرى مُبشّرين بأخبار الخلاص السارة في كل مكان. ولذلك، فإنهم أثناء سعيهم لتتميم إرساليتهم، بالضرورة يلتقون مصادفة مع أناس أشرار، يرفضون الأخبار الإلهية، وكما لو كانوا، لا يقبلون يسوع ليسكن معهم. لذلك، فلو أن المسيح مدحهم لرغبتهم أن تنزل نار على السامريين ويأتي عليهم مثل هذا العذاب المؤلم ليصيبهم، لكانوا قد تصرفوا بطريقة مشابهة في مناسبات أخرى كثيرة، وحينما يحدث أن يتجاهل الناس الرسالة المقدسة فإنهم ينطقون بالدينونة عليهم، ويطلبون أن تنزل نار عليهم من السماء. وماذا تكون النتيجة عندئذ من مثل هذا السلوك؟ إن المتألمين يصيرون كثيرون جدًّا بلا عدد، ولا يعود التلاميذ يكونون أطباء فيما بعد، بل بالحري معذِّبين، ويصيرون غير محتمَلين من الناس في كل مكان. لذلك، فلأجل خيرهم الخاص، انتهرهم الرب، حينما ثاروا أكثر من الحد بسبب احتقار

السامريين، وذلك لكي يتعلموا، أنهم كمعلمين للأخبار الإلهية، ينبغي بالحري أن يكونوا مملوئين من طول الأناة واللطف، ولا يكونوا منتقمين ولا يستسلموا للغضب، ولا يهاجموا بقسوة أولئك الذين يسيئون إليهم.

ويعلِّمنا القديس بولس أن خُدام رسالة الله كانوا طويلي الأناة، إذ يقول: "*فإني أرى أن الله أبرزنا نحن الرسل آخِرين كأننا محكوم علينا بالموت، لأننا صرنا منظرًا للعالم للملائكة والناس... نُشتم فنبارِك، يُفترى علينا فنعظ، صرنا كأقذار العالم ووسخ كل شيء إلى الآن*" (١كو٤: ٩-١٢). وكتب أيضًا إلى آخرين، أو بالحري إلى كل الذين لم يكونوا بعد قد قبلوا المسيح في داخلهم بل كما لو كانوا، لا يزالون مصابين بكبرياء السامريين، "*نطلب عن المسيح، تصالحوا مع الله*" (٢كو٥: ٢٠).

لذلك، عظيم هو نفع دروس الإنجيل لأولئك الذين هم كاملون في العقل بحق. وليتنا نحن أيضًا، إذ نتخذ هذه الدروس لأنفسنا، ننفع نفوسنا، مسبِّحين المسيح مخلِّص الكل دائمًا إلى الأبد، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والربوبية مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

عظة (٥٧)
أين يسكن المسيح ؟

(لو٩: ٥٧، ٥٨) "*وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ فِي الطَّرِيقِ قَالَ لَهُ وَاحِدٌ: يَا سَيِّدُ، أَتْبَعُكَ أَيْنَمَا تَمْضِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ، وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ* ".

إنَّ اشتهاء المواهب النازلة من فوق من الله هو في الواقع أمر يستحق أن نسعى إليه، وهذا يجعلنا نربح كل خير. ولكن رغم أن رب الكل هو مُعطي سخي وكريم، إلاَّ أنه لا يعطي كل الناس هكذا ببساطة دون تمييز، بل يعطي بالحري لمن هم مستحقين لسخائه، لأنه كما أن أولئك المتوشِّحين بمجد الملوكية يمنحون كرامتهم، ووظائف الدولة المتنوعة ليس لأناس أجلاف وجُهال، الذين ليس عندهم شيئًا جديرًا بالإعجاب، بل بالحري يكرمون أولئك الذين يملكون نبلاً وراثيًا، وقد أثبتوا بالاختبار أنهم جديرون بالقبول، ومن المتوقع أن يكونوا ناجحين في تأدية واجباتهم. هكذا الله أيضًا، الذي يعرف كل الأشياء فانه لا يمنح نصيبًا في عطاياه للنفوس المهمِلة التي تسعى للذة، بل للذين هم في حالة مناسبة لنوال هذه العطايا. إذن فأي واحد يريد أن يُحسب مستحقًّا لهذه الكرامات العظيمة، وأن يكون مقبولاً من الله، فدعه أولاً يُنقِّي نفسه من أدناس الشر، وخطية عدم المبالاة، لأنه هكذا يصير قادرًا على نوال هذه العطايا، ولكن إن لم يكن هذا اتجاه تفكيره فدعه يرحل بعيدًا.

وهذا هو المعنى الذي تعلمنا إياه آيات الإنجيل التي وُضعت أمامنا الآن، لأن إنسانًا ما اقترب من المسيح مخلِّصنا جميعًا وقال له: "*يا سيد أتبعك أينما تمضي*". ولكنه رفض هذا الإنسان وقال له "*للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، وأما هو فليس له أن يُسنِد رأسه*". ومع ذلك فربما يسأل أحدهم ويقول:

(إن ذلك الذي وعد أن يتبعه قد وصل إلى اشتهاء ما هو مكرَّم، وصالح، ونافع، لأن أي شيء يمكن مقارنته بالوجود مع المسيح واتِّباعه ؟ أو كيف لا تساعد هذه الشهوة على خلاصه ؟ فلماذا إذن يرفض المخلِّص مَن يرغب باشتياق أن يتبعه باستمرار؟ لأن المرء يمكن أن يتعلَّم من كلماته الخاصة (أي المسيح)، أن اتِّباعه يؤدى إلى كل بركة، لأنه قال "من *يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة*" (يو٨: ١٢). فما هو الأمر غير اللائق في أن يعد بأن يتبعه، لكي يربح نور الحياة؟)

إذن فما هي إجابتنا على هذا؟ إجابتنا أن هذا لم يكن هو هدفه. كيف يمكن أن يكون له هذا الهدف؟ لأنه من السهل على أي واحد يفحص هذه الأمور بدقة أن يرى، أولاً: أن طريقة اقترابه من المسيح كانت مملوءة بجهالة عظيمة، ثانيا: إنها كانت مملوءة باجتراء زائد جدًّا. لأن رغبته لم تكن مجرد أن يتبع المسيح كما فعل كثيرون آخرون من الجمع اليهودي، بل بالحري أن يقحم نفسه على الكرامات الرسولية. هذا هو إذن الإتبّاع الذي كان يسعى لأجله، إذ أنه دعا نفسه، بينما بولس المبارك يكتب "*ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون أيضًا*" (عب٥: ٤). لأن هرون لم يدخل إلى الكهنوت من نفسه، بل بالعكس فقد كان مدعوًّا من الله، وهكذا نجد أن كل واحد من الرسل القديسين لم يرفع نفسه إلى الرسولية، بل بالحري نال الكرامة من المسيح، لأنه قال، " *هلم ورائي فأجعلكما تصيران صيادَي الناس*" (مر١: ١٧) وأما هذا الإنسان ـــ كما قلت ـــ فإنه بجسارة يتخذ لنفسه مواهب كريمة بهذا المقدار، ورغم أن أحدًا لم يدعُهُ، فإنه يقحم نفسه إلى ما هو فوق رتبته. والآن، لو أن أي واحد اقترب من ملك أرضي وقال: " سوف أرفع نفسي إلى هذه الكرامة أو تلك، حتى ولو لم تمنحني إياها، أيًّا كانت هذه الكرامة" فإن هذا يكون عملاً خطيرًا، بل قد يؤدي به إلى أن يفقد حتى حياته نفسها. ومَن يستطيع أن يشك أن هذه هي النتيجة بالتأكيد؟ لأننا في كل أمر، يجب أن



ننتظر قرار ذلك الذي يملك السُّلطة المهيمِنة. فكيف إذن يكون مناسبًا لهذا الإنسان أن يُعيِّن نفسه بين التلاميذ، ويتوج نفسه بالسلطات الرسولية بدون أن يكون مدعوًّا إليها بالمَرَّة من المسيح؟

وهناك سبب آخر جعل المسيح يرفضه بصواب، ويحسبه غير مستحق لكرامة بارزة مثل هذه. لأن اتِّبَاع المسيح بحماس شديد هو بلا شك أمر نافع للخلاص، ولكن من يرغب أن يُحسب مستحقًّا لمجد عظيم مثل هذا، ينبغي أن يحمل صليبه ــ وما معنى أن يحمل الصليب؟ معناه أن يموت بالنسبة إلى العالم، بأن يتنكَّر لارتباكاته الفارغة، ويتخلَّى برجولة عن الحياة الجسمانية المُحِبَّة للذة، فإنه مكتوب: لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم، لأن كل ما في العالم هو شهوة الجسد، وشهوة العيون، وتعظم المعيشة" (١يو٢: ١٥). وأيضًا "*ألستم تعلمون أن محبة العالم هي عداوة لله ؟ لذلك فمن أراد أن يكون محبًّا للعالم فقد صار عدوًّا لله*" (يع٤: ٤). لذلك فالإنسان الذي اختار أن يكون مع المسيح يحب ما هو جدير بالإعجاب وما هو نافع للخلاص، ولكنه يجب أن ينصت لكلماتنا: ابتعد بنفسك عن الشهوات الجسدية، تطهَّر من أدناس الشر، تنقَّ من البقع الناتجة عن الحب الدنيء للذة، لأن هذه تجعلك بعيدًا، ولا تسمح لك أن تكون مع المسيح. انزع عنك ما يفصلك، حطِّم العداوة، أُنقض الحاجز المتوسط، فإنك حينئذ تكون مع المسيح. أما إن كان الحاجز الذي يبعدك عن الشركة معه لم يهدم بعد، فبأي طريقة تستطيع أن تتبعه؟

وهو يوضح أن هذا هو الحال مع الإنسان الذي أمامنا، بالتوبيخ غير المباشر الذي أعطاه له، لا لكي يؤنبه، بل بالحري لأجل إصلاحه، لكي ينمو إلى الأفضل من تلقاء ذاته، ويصير مجتهدًا في اتِّبَاع طريق الفضيلة. لذلك يقول: "*للثعالب أوجرة، ولطيور السماء أوكار، أما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه*". والمعنى البسيط والقريب لهذا المقطع هو كالآتي: إن الوحوش والطيور لها جحور ومساكن، أما أنا فليس عندي شيء لأقدمه من هذه الأشياء



"*فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غني لكي تستغنوا أنتم بفقره* " (٢كو٨: ٩). لأنَّ أخذه ما لنا ــ أي حالة الطبيعة البشرية ــ هو افتقار بالنسبة لله الكلمة، أمَّا أخذنا ما له فهو غِنًى للطبيعة البشرية، وواحدة منها هي كرامة الحُريَّة، وهي هبة تليق خاصة بمن قد دُعوا إلى البنوة، وهذه أيضًا هي هبة منه كما ذكرتُ لأنه قال لنا "*لا تدعوا لكم أبًا على الأرض، لأن أباكم واحد الذي في السموات. وأنتم جميعًا إخوة*" وهو أيضًا نفسه كذلك، من أجل محبته اللانهائية للبشر، لا يستنكف أن يدعونا إخوة قائلاً هكذا "*أخبر باسمك إخوتي*" (مز٢٢:٢٢). فلأنه صار شبيهًا بنا لهذا بعينه قد ربحنا الأُخوَّة معه.

لذا فهو يوصينا أن تكون لنا دالة ونصلِّي قائلين: "أبانا" نحن أبناء الأرض والعبيد والخاضعون له بحسب ناموس الطبيعة، هو الذي خلقنا ندعوه هو الذي في السماء "أبا". إنه لمن المناسب جدًّا أن يجعل الذين يُصلُّون يفهمون هذا أيضًا، أنه إذا كنا ندعو الله "أبا" وقد حُسبنا أهلاً لهذه الكرامة السامية جدًّا، ألا ينبغي علينا أن نسلك في سيرة مقدَّسة وبلا لوم تمامًا، وأن نحيا هكذا كما يرضي أبانا, وألاَّ نفتكر في شيء أو أن نقول شيئًا لا يليق أو لا يتناسب مع هذه الحرية التي مُنحت لنا.

وهكذا يقول أحد الرسل القديسين: "*وإن كنتم تَدعُون أبًا الذي يَحكُم بغير محاباة حسب عمل كل واحد, فسيروا زمان غربتكم بخوف*" (١بط١: ١٧). إنَّه لأمر خطير للغاية أن نُحزِن ونُغضِب أبًا لنا بالإنحراف وراء الأمور غير المستقيمة، فكيف يتصرَّف الآباء الأرضيون أو ما هو شعورهم نحو أبنائهم عندما يرونهم موافقين لرغباتهم، سالكين ذلك الطريق الذي يرضيهم؟ إنهم يحبونهم ويكرمونهم، ويفتحون لهم بيوتهم، ويغدقون عليهم هدايا كثيرة من كل ما يرغبون, ويعترفون بهم كورثة لهم. أمَّا إذا كانوا متمرِّدين غير طائعين، لا يحترمون نواميس الطبيعة غير مبالين حتى ولا بالحب الفِطري المغروس فينا،



صوت المرنم قديمًا: "*أنا قلتُ إنَّكم آلهة وبنو العليِّ كلكم*" (مز ٨١: ٦ س). فهو هنا يحرِّرنا من مستوى العبودية واهبًا لنا بنعمته ما لم نكن نملكه بالطبيعة، ويسمح لنا أن ندعو الله أبًا لنا، بعد أن أدخلنا في مرتبة البنين، وهذا ـــ مع كل الامتيازات الأخرى ـــ قد نلناه من الرب، حسبما يشهد بذلك الحكيم يوحنا الإنجيلي إذ يكتب: "*إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله، وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه، الذين وُلِدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل بل من الله*" (يو ١: ١١ـ١٣) لأننا قد خُلِقنا في البنوَّة، بواسطة تلك الولادة التي حدثت فينا روحيًّا "*لا من زرع يفنى بل بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد*" كما يقول الكتاب (١بط١: ٢٣). وأيضًا هذا ما يعلنه أحد الرسل القديسين قائلاً: "*شاء فولدنا بكلمة الحق لكي نكون باكورة من خلائقه*" (يع١: ١٨).

والمسيح نفسه يشرح بوضوح في موضع آخر طريقة هذا الميلاد قائلاً: "*الحق أقول لك، ما لم يولد الإنسان من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله*" (يو٣: ٥) إذ بالحري ـــ لأنه يحق أن نُكلِّمكم عن تلك الأمور التي هي سِريَّة ـــ فالمسيح نفسه قد صار في نفس الوقت كلا من الطريق والباب، وسببًا لنعمة وُهِبَت لنا، وهى نعمة مجيدة هكذا وجديرة بأن نحصل عليها، وذلك باتخاذه صورتنا. فبالرغم من حقيقة كونه هو الله، وهو حُر تمامًا إلاَّ أنه أخذ صورة عبد (فى٢: ٧)، ليهبنا ما له، ويُثرِي العبد بامتيازاته الفائقة، فهو وحده بالطبيعة حُر تمامًا، لأنه هو وحده ابن الآب، أي مِن ذاك الذي هو العالي وفوق الكل والذي يسود على الكل والذي بالطبيعة وبالحقيقة حُر تمامًا. لأن كل الأشياء التي خُلِقَت تخضع بعنق العبودية لمن خلقها، وها مرنم المزامير يُرتل له قائلاً: "*لأن كل الأشياء متعبِّدة لك*" (مز١١٨: ١٩ س). ولكن كما أنه في التدبير نقل إلى نفسه ما هو لنا، هكذا فقد أعطانا أيضًا ما هو له. ويشهد لنا بذلك بولس الحكيم جدًّا، خادم أسراره، عندما يكتب هكذا قائلاً:



عظة (٧١)

أبانا الذي في السموات

كل توّاق للمعرفة يحتسبه ربنا يسوع المسيح جدير بكل ثناء، لذلك يقول: "*طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يُشبعون*" (مت٥: ٦). لأنه من اللائق أن نجوع ونعطش باستمرار لهذه الأمور، التي بها يصبح الإنسان محبًّا للأمجاد المقدسة، وغيورًا في كل عمل صالح. لمثل هؤلاء، يكشف المسيح الطريق الذي يمكنهم به أن يُحقِّقوا رغبتهم، ولكن معرفة كيف نُصلِّي هي نافعة للأتقياء أكثر من كل شيء آخر للخلاص، حتى لا نُقدِّم طلبات غير مرضية لله القدير. كما كتب لنا الحكيم بولس "*لأننا لسنا نعرف ما نصلِّي لأجله كما ينبغي*" (رو٨: ٢٦). دعنا إذن نقترب من المسيح معطي الحكمة، ونقول "*علِّمنا أن نصلِّي*" (لو١١: ١)، فلنكن مثل الرسل القديسين الذين فوق كل شيء سألوه هذا الدرس الهام والخلاصي.

في اجتماعنا السابق، سمعنا الإنجيل الذي قُرِئ يقول عن المسيح مخلِّصنا جميعًا إنه "*وإذ كان يصلِّي في موضع*". وخاطبناكم شارحين بحسب ما استطعنا، سر التدبير الذي بسببه صلَّى المسيح، وحينما وصلنا في مناقشتنا إلى هذه النقطة، أرجأنا ما تبقَّى إلى فرصة أخرى مناسبة. وها قد حانت الفرصة الآن، فدعونا نتقدم إلى ما يتبع، فالمخلِّص يقول: "*فمتى صلَّيتم فقولوا أبانا*"[١]، وأحد الإنجيليِّين القديسين الآخرين يضيف "*الذي في السموات*" (مت٦: ١).

يا للجود الفائق! ... ويا للُّطف الذي لا يُبارَى، وهذا يليق بالله وحده! إنه يمنحنا مجده الخاص، فهو يرفع العبيد إلى كرامة الحريَّة، فيكلِّل حالة الإنسان بمثل هذه الكرامة التي تفوق قوة الطبيعة، ويُحقق ما سبق وأخبر به بواسطة

[١] يلاحظ القديس كيرلس أنَّ عبارة "*الذي في السموات*" لم تكن موجودة في الإنجيل بحسب لوقا، فإضافتها هنا ترجع إلى أنَّ الصيغة الكاملة الموجودة في الإنجيل حسب متى هى المعروفة أكثر، كما وُجدت في ليتورجيات الكنيسة.



الآب، يُوزِّع من ملئه الخاص، كل الأشياء للجميع, ويقبل الصلوات من سكان الأرض، ومن الأرواح التي فوق، والجميع يكلِّلونه بالتسابيح، فهو بصيرورته مثلنا لم يتوقف عن أن يكون إلهًا، ولكنه استمر رغم ذلك، كما كان قبلاً, لأنه يليق أن يكون دائمًا هو هو كما كان قبلاً، وكما تشهد الكتب المقدسة، ليس معرَّضًا حتى إلى "*ظل دوران*" (يع١: ١٧).

ولكن لأنَّ ما تبقَّى يحتاج إلى حديث طويل، لذلك نتوقف الآن عن الحديث، حتى لا يصير كلامنا مملاً للسامعين، ثم نعود فنشرحه لكم بمعونة الله عندما يجمعنا المسيح مخلِّصنا جميعنا هنا في المرَّة القادمة، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس، إلى دهر الدهور آمين.



اتجاه لينظروا عدد الواقفين هناك وليروا إن كـان هنـاك نُظَّـارة كثيـرون، وبمجرَّد أن يُسرُّوا بعدد الحاضرين، يرفعون يدهم إلى جبهتهم، ليس مرة فقط بل مرات عديدة يصنعون علامة الصليب الثمين، وهكذا إذ ينـسجون صـلاة طويلة حسب خيالهم الخاص، فإنهم يثرثرون بصوت عال كمـا لـو كـانوا يُصلُّون للناس وليس لله. لمثل هؤلاء نقول كلمات المخلِّـص "*قـد اسـتوفيتم أجركم*" (مت٦: ٥). لأنكم تُصلُّون لتتصيَّدوا مديح الناس، وليس لتطلبوا أي شيء من الله. لقد تحقَّقت رغبتكم، فقد مُدحتم كأنكم أتقياء، ونلتم المجد الباطـل، إلاَّ أنكم اشتغلتم في عمل لا ثمر له، لقد زرعتم فراغًا وستحصدون عـدمًا. هـل تريدون أن تروا نهاية ما تصنعونه؟ اصغوا إلى قول المرنم داود: "*الله قد بدَّد عظام الذين يرضون الناس*" (انظر مـز٥٣: ٥)، والمقصود بالعظام طبعًـا لـيس عظام الجسم، لأنه لا يوجد أمثلة لأي أناس حدث لهم هذا، ولكن المقصود هو ملَكَات الفكر والقلب التي بها يصنع الإنسان الصلاح. فقوَّات النفس إذن هـي الغيرة التي تؤدِّي إلى المثابرة، والشجاعة الروحية، والصبر والاحتمال، هـذه الصفات يبددِّها الله من هؤلاء الذين يهتمون بإرضاء الناس.

لذلك، فلكي نبتعد عن هذه الطرق الخاطئة، ونهـرب مـن الفخـاخ التـي يتعرَّض لها الذين يسعون إلى إرضاء الناس، ولأجل أن نُقدِّم لله صلاة مقدسة، بلا لوم، وغير مدنَّسة، فقد قَدَّم المسيح لنا نفسه مثالاً، إذ اعتزل عـن أولئـك الذين كانوا معه، وصلَّى منفردًا. لأنه من الصواب أن يكون رأسنا ومعلِّمنا في كل عمل صالح ونافع، ليس آخر سوى المسيح الذي هو بكر بين الجميع، وهو الذي يَقبَل صلوات الجميع، والذي يمنح، مع الله الآب، أولئك الذين يـسألونه، كل ما يحتاجون إليه، لذلك فإن رأيته يُصلِّي كإنسان، فذلك إنما لكي تتعلَّم أنت كيف تصلِّي، وإياك أن تبتعد عن الإيمان والاعتقاد أنه إذ هو بالطبيعة الله الذي يملأ الكل، فإنه صار مثلنا ومعنا على الأرض كإنسان، وتمَّم كـل الواجبـات البشرية حسبما اقتضى التدبير، ولكنه مع ذلك فهو الجالس في الـسماء مـع

يحتاجه ذلك الذي له، بحق طبيعته، كل ما للآب"؟ لأنه قال بوضوح: "*كل ما للآب فهو لي*" (يو١٦: ١٥). ولكن خاصية الآب هي أن يكون ممتلئًا من كل صلاح ومن تلك الامتيازات التي تليق بالألوهية، وهذا أيضًا هو ما للابن. والقديسون إذ يعرفون هذا يقولون "*ومن ملئه نحن جميعًا أخذنا*" (يو١: ١٦). ولكن إن كان يُعطي من ملئه الإلهي الخاص، فلأي شيء يمكن أن يحتاج؟ وما الذي يحتاج أن يأخذه من الآب، كما لو لم يكن له من قبل؟ وما الذي يصلّي لأجله إن كان هو ممتلئًا ولا يحتاج إلى شيء مما للآب!

نجيب على هذا فنقول: إنه بحسب طريقة التدبير في الجسد، فهو يسمح لنفسه أن يمارس الأعمال البشرية حينما يريد، وكما تستلزم المناسبة دون أن يُلام لأنه فعل هذا. فإن كان قد أكل وشرب ونام، فلماذا يكون من غير المعقول ـ وهو قد وضع نفسه إلى مستوانا، وأكمل البِرَّ البشري ـ أن يُقدِّم الصلاة أيضًا؟ ومع ذلك فهو بالتأكيد غير محتاج إلى شيء، لأنه "ممتلئ" كما سبق أن قلنا. فلأي سبب إذن، ولأي واجب ضروري ونافع، قد صلّى هو؟ لقد فعل هذا لكي يُعلِّمنا ألاّ نتراخى في هذا الأمر بل بالحري أن نكون مداومين على الصلاة وبإلحاح شديد، ولا نقف في وسط الشوارع. فهذا ما اعتاد أن يعمله بعض اليهود، أي الكتبة والفريسيون. ولا نجعل هذا فرصة للتباهي، بل بالحري نُصلِّي على انفراد وبهدوء، أي نتحدَّث بيننا وبين الله وحده، بذهن نقي غير مشتَّت. وهذا قد علَّمنا إيَّاه بوضوح في مكان آخر عندما تكلَّم عن الذين يتظاهرون بصلواتهم، قائلاً: "*إنهم يحبُّون أن يُصلُّوا قائمين في زوايا الشوارع، وفي المجامع... أمَّا أنت فمتى صلَّيتَ فادخل مخدعك وأغلق بابك وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء، وأبوك الذي يرى في الخفاء سوف يجازيك*" (مت٦: ٥ـ٦). لأنه يوجد قوم يربحون لأنفسهم شهرة التقوى، وهم يلتفتون باهتمام إلى المظاهر الخارجية، وهم من الداخل ممتلئون من محبة المجد الباطل. هؤلاء عند دخولهم الكنيسة, قبل كل شيء يجولون بأنظارهم في كل

الأصحاح الحادي عشر

عظة (٧٠)

الصلاة الربانيـة

(لو ١١: ١ــ٤): *"وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ لَمَّا فَرَغَ قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: يَا رَبُّ عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمَ يُوحَنَّا أَيْضًا تَلاَمِيذَهُ. فَقَالَ لَهُمْ: مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُـوا: أَبَانَـا الَّـذِي فِـي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ. خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا كُلَّ يَوْمٍ. واغْفِرْ لَنَا خَطَايَانَا لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضًا نَغْفِرُ لِكُلِّ مَنْ يُذْنِبُ إِلَيْنَـا وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ".*

أيها الحارُّون والملتهبون بالروح، ها قد أتيتم الآن أيضًا، ونحن نرى ساحة الله المقدسة وقد غصّت بالمستمعين الشغوفين، وهدف اجتماعكم بلا شك هـو هدف تَقَوي، فقد اجتمعتم معًا لكي تتلقوا التعليم، ومـوزّع العطايـا الإلهيـة سيشبعكم هو أيضًا بالأمور التي ترغبون أن تُحسبوا أهلاً لنوالها، وسيهيئ لكم مائدة روحية، ويصرخ قائلاً: "*تعالوا كلوا خبزي واشربوا من الخمـر التـي مزجتها لكم*" (أم٩: ٥) وكما يقول المرنم: "*خبز يُقوِّي قلب الإنسان، وخمر عقلي يفرحه*" (مـز ١٠٤: ١٥). لذلك فلنقترب الآن من المائدة المهيَّأة أمامنا، أي لنقترب من معنى دروس الإنجيل: ولنلاحظ بانتباه شديد ما هي الفائدة التي تعطيها لنا، وما تُولِّده فينا من الصفات اللازمة للكرامة اللائقة بالقديسين.

يقول الكتاب، إن المسيح "*كان يصلى على انفراد*" ومع ذلك فهو الله، وهو ابن الله الذي هو فوق الكل، وهو الذي يُوزّع على الخليقة كل الأشياء التي بها تزدهر وتُحفظ في الوجود، وهو ليس في إحتياج على الإطلاق إلى أي شيء، لأنه هو ممتلئ كما قال عن نفسه. وقد يتساءل أحدهم قائلاً: " إذن فما الـذي



" وإذ كان يصلى فى موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه يارب علمنا أن نصلى كما علم يوحنا ايضا تلاميذه . "



(أيقونة تصور المسيح وهو يصلى)

الأصحاح الحادى عشر



بإفراط وكذلك الأقداح الممتلئة وكثرة النبيذ التي تؤدى إلى السُّكر والنهم. ولكن عندما يجتمع القديسون في بيت إنسان يخاف الله، المائـدة بسيطة ومعتدلة والأطعمة بسيطة وبدون إفراط، قليل من الطعام للأكل ببساطة وكذلك كمية محدودة من الشراب. إنَّ مؤونة صغيرة من هذه الضروريات سوف تُشبِع شهيَّة الجسد بطعام بسيط. هكذا ينبغي أن تكون إضافة الغرباء، وهكذا أيضًا استضاف إبراهيم الثلاثة رجال عند بلوطة ممرا، فنال مكافأة اهتمامه وهو الوعد بابنه الحبيب إسحق، ولوط لمَّا كرَّم الملائكة في سدوم لم يهلك بالنار مع الباقين ولم يصير مأكلاً للنار التي لا تُطفأ.

عظيمة إذن هي فضيلة إضافة الغرباء خصوصا القدِّيسين منهم، فليتنا نمارسها أيضًا، وهكذا يجد المعلِّم السماوي راحته ويسكن في قلوبنا، أعني المسيح، الذي به ومعه لله الآب الكرامة والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين آمين.



بالمزارعين المهرة فإننا نكشف قلوبهم لئلا ينبت فيها أصل مرارة ويؤذيهم، ولئلا تهاجمهم دودة الابتداع البَشَرى وتصيبهم بفساد خفي. وإن حدث هذا، فعلينا أن نلقي في عقولهم كلمة التعليم الخلاصية، وكما بأسنان فأس نستأصل جذور عدم التقوى، ونقتلع زوان الضلال من جذوره، ونزرع فيهم معرفة الحق، وهكذا يمكننا أن نحصد الجسديات من أولئك الذين يملكون الوفرة، وننالها منهم كأنها دين عليهم، لأنه يقول: "*الفاعل مستحق أجرته*".

ويشير ناموس موسى إلى نفس الحقيقة بقوله في موضع ما: "*لا تكمّ ثورًا دارسًا*". ولكن كما يقول بولس: "*هل الله تهمّه الثيران أم يقول مطلقًا من أجلنا؟*" (١كو٩:٩). أنت ستعطي إذن أشياء أفضل وأقيم ممّا ستأخذه من الناس. ستعطيهم عطايا أبديّة عوضًا عن الأمور الزمنية، السمائية عوضًا عن الأرضية، والعقلية عوضًا عن الحسيّة، والباقيات عوضًا عن الفانيات.

ولكن دع الذين يفتحون بيتهم لهم، يلاقونهم ببشاشة وسرور، وكشركاء لهم، وليس بشعور من يعطي ولكن بشعور من يأخذ، أي كمن يربح وليس كمن ينفق. إنهم بهذا ينالون فائدة مزدوجة؛ أولاً هم يستفيدون من تعليم أولئك الذين يستضيفونهم بانفتاح؛ وثانيًا يربحون أيضًا مكافأة إضافة الغرباء، ولذلك فهم ينتفعون من كل جهة. ومع ذلك فحينما يستقبلون الإخوة في بيوتهم فلا ينبغي أن يرتبكوا في خدمة كثيرة ولا ينهمكوا بما يفوق مواردهم أو ما يزيد عن الكفاية، فإن الإسراف مؤذي في كل مكان وفي كل شيء، لأنه كثيرًا ما يُسبب تردُّدًا عند أولئك الذين لولاه لكانوا يرغبون في استضافة الغرباء بفرح، وتكون النتيجة أنه لن توجد إلاَّ بيوت قليلة مناسبة لهذا الغرض، بينما هو يُسبب ازعاجًا للضيوف. لأن الأغنياء في هذا العالم يبتهجون بالموائد المسرفة بالمأكولات المتعدِّدة المجهَّزة بالتوابل والروائح، وإن كانت الوليمة فيها مجرَّد الكفاف فهي تُحتقَر تمامًا، فالإفراط هو الذي يُمدح عندهم، ويصير ما فوق الشبع هو مثار الإعجاب والإطراء، والمشروبات والعربدة تكون عندهم



تهتمين وتضطربين لأجل أمور كثيرة"، وبالأكثر مدح مريم لأنها "*اختارت النصيب الصالح الذي لن يُنزع منه*"، لأن اقتناء البركات الروحية لا يمكن أن يضيع.

أول ما يجب أن نفحصه هنا، هو الطريقة التي أراد بها المخلِّص أن يفيد تلاميذه، إذ يجعل نفسه مثالاً، حتى يعرفوا كيف وبأي طريقة يتصرَّفون في بيوت الذين يقبلونهم، لأنهم لا ينبغي أن ينغمسوا في التسلية عند دخولهم البيوت، أو يظنوا أن هذا هو السبب الذي يزورون الناس لأجله، بل بالحري يملأوا مضيفهم بكل بركة، وبالتعاليم الإلهيَّة المقدَّسة. لذلك فبولس الطوباوي يرسل رسالة لأناس معيَّنين يقول فيها: "*إنِّي مشتاق أن أراكم لكي أمنحكم هبة روحية لثباتكم*" (رو١: ١١). لاحظوا إذن أنَّ ربنا يسوع المسيح عندما دخل لزيارة هاتين المرأتين المقدَّستين لم يهمل تعليمهما، بل ومنحهما ــ بدون قيد ــ تعاليم الخلاص الرصينة. كانت إحدى الأختين راسخة في محبتها للاستماع، أما مرثا فكانت مرتبكة في خدمة كثيرة، فهل يلومها أحد إذن بسبب انشغالها وعنايتها بالخدمة؟ طبعًا لا. فالرب نفسه لم يُعنِّفها لأنها ارتأت لنفسها أن تقوم بأعباء هذا الواجب، ولكنه لامها لأنها كانت تتعب عبثًا لسبب رغبتها أن تُدبِّر أكثر مما كان ضروريًّا، وهذا فعله الرب لأجل منفعتنا حتى يضع حدودًا مناسبة لإضافة الغرباء، إذ أنَّ النصيب الآخر وهو الرغبة في استماع التعليم الإلهي هو أفضل جدًّا.

فنحن لا نقصد بكلامنا هذا أنَّ الرغبة في إضافة الغرباء حينما لا تتجاوز الحدود المقبولة ينبغي أن تُحتَقَر أو أنها ليست خدمة، فالقدِّيسون أنفسهم يصمِّمون على القناعة بالقليل، وعندما يجلسون على المائدة ويأكلون، وهم يفعلون ذلك ليُشبعوا حاجة الجسد حسب قوانين الطبيعة، ولكن ليس بقصد الاهتمام باللذة والاسترخاء. لذلك يجب علينا عندما يستضيفنا الإخوة، لنحصد منهم الجسديات، يلزم أولاً أن نزرع لهم الروحيات، وإذ نتمثل في ذلك



عظة (٦٩)

النصيب الصالح ـ إضافة الغرباء

(لو ١٠: ٣٨ـ٤٢): " *وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ دَخَلَ قَرْيَةً، فَقَبِلَتْهُ امْرَأَةٌ اسْمُهَا مَرْثَا فِي بَيْتِهَا. وَكَانَتْ لِهذِهِ أُخْتٌ تُدْعَى مَرْيَمَ، الَّتِي جَلَسَتْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلاَمَهُ. وَأَمَّا مَرْثَا فَكَانَتْ مُرْتَبِكَةً فِي خِدْمَةٍ كَثِيرَةٍ. فَوَقَفَتْ وَقَالَتْ: يَارَبُّ، أَمَا تُبَالِي بِأَنَّ أُخْتِي قَدْ تَرَكَتْنِي أَخْدُمُ وَحْدِي؟ فَقُلْ لَهَا أَنْ تُعِينَنِي! فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: مَرْثَا، مَرْثَا، أَنْتِ تَهْتَمِّينَ وَتَضْطَرِبِينَ لأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَلكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ. فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا* ".

يا من تعشقون الفضائل التي تُزيِّن التقوى، وتمارسون بحرص، كل الفنون التي للقدّيسين، تعالوا أيضًا واصغوا إلى التعليم المقدّس ولا تدعوا خصلة إضافة الغرباء غريبة عنكم، فهي خصلة عظيمة وحميدة كما يشهد الحكيم بولس بقوله: "*لا تنسوا إضافة الغرباء لأن بها أضاف أناس ملائكة وهم لا يدرون*" (عب١٣: ٢). ليتنا نتعلّم من المسيح مخلِّص الجميع هذه الفضيلة، بل وأيضًا جميع الفضائل. إنه مما يخزينا أنه بينما كل الذين يطلبون الحكمة العالمية، والذين يجمعون المعرفة المكتوبة، يختارون أفضل المعلِّمين لتعليمهم، فإننا نحن الذين لنا المسيح معلِّمًا ومرشدًا، والذي هو مُعطِي كل حكمة، والذي يحثنا أن نصغي باجتهاد للتعاليم الفائقة القدر، لا نتمثل بهذه المرأة ـــ مريم ـــ في محبَّتها للتعاليم، والتي جلست عند قدمي المخلِّص، وملأت قلبها بالتعاليم التي علَّم بها، وهى تشعر كأنها لن تشبع مما ينفعها نفعًا عظيمًا.

دخل المخلص إلى منزل المرأتين القدّيستيْن، ويقول الكتاب: وكانت مريم تسمع كلامه، أمَّا مرثا فكانت مرتبكة في خدمة كثيرة، فطلبت إليه أن يجعل أختها تشاركها اهتماماتها، ولكن الرب لم يقبل وقال لها: "*مرثا مرثا أنت*



القديم غير إله العهد الجديد، فواحدٌ هو الملك المطبوعة صورته على الدينارين. ومثلما أعطى صاحب الفندق الدينارين، هكذا أعطى المسيح العهدين لرعاة الكنائس المقدسة، وهم أضافوا عليهما الكثير بأتعابهم وجهدهم لنشر التعليم. هذه هي النقود التي تُنفق دون أن تنقُص بل على العكس تزيد، مما يُبيّن أنها في الحقيقة كلمة التعليم الإلهي].

[أعود من حديثي إلى السيِّد الذي سوف يُكرِّم في اليوم الأخير العبد الذي سوف يقول له يا سيد وزنتين سلَّمتني هوذا وزنتان أُخريان ربحتهما فوقهما بقوله له "*نعمًا أيها العبد الصالح والأمين، كنتَ أمينًا في القليل أقيمك على الكثير، ادخل إلى فرح سيدك*" (مت٢٥: ٢٢ـ٢٤)]. لذلك سأل المسيح الناموسي بحق قائلا: "*فأي هؤلاء الثلاثة ترى صار قريبًا للذي وقع بين اللصوص؟*" فأجاب الناموسي " الذي صنع معه *الرحمة*"، فلا الكاهن ولا اللاوى صارا قريبَيْن للمصاب، لكن هذا الذي رحمه. عند هذا قال له المسيح اذهب أنت أيضًا واصنع هكذا. ها قد رأيتَ أيها الناموسي وتَبَرهَن بهذا المثل أنه لا فائدة لاتخاذ الأسماء الفارغة والألقاب السخيفة التي بلا معنى ما دامت لا تصاحبها أعمال سامية، لأن درجة الكهنوت لا تفيد أصحابها، وكذلك تعب معلِّم الناموس لا يفيد أولئك الذين يشتهرون به إن لم يتفوّقوا بالأعمال أيضًا وليس بالألقاب فقط.

ها قد ضفر إكليل المحبة لذلك الذي يحب قريبه، وقد تبرهن أنَّ السامري هو الذي كسب الإكليل، ولم يُرفَض لكونه سامريًّا. وكما يكتب المتقدم بين التلاميذ بطرس المبارك قائلا "*بالحق أنا أجد أنَّ الله لا يقبل الوجوه، بل في كل أُمَّة الذي يتقيه ويصنع البرَّ مقبول عنده*" (أع١٠: ٣٤ـ٣٦) لأن المسيح الذي يحب الفضيلة يَقبَل كل الذين يجتهدون في المساعي الصالحة، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

هذا المثل يُظهِر السيد كيف أنَّ القريب ليس هو المحب لذاته ولكن هو ذاك الذي يتجاوز محبة ذاته، فبينما هذان (الكاهن واللاوي) عبرا بالمصاب دون أن يشعرا نحوه بأي عاطفة إنسانية، وبدون أن ينقطا زيت المحبة، لأن نفوسهم كانت خالية من الشفقة والعطف، نرى السامري الغريب الجنس يُتمِّم ناموس المحبة. [من ناحية أخرى فإنه حسب المكتوب "*إنسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي تباد*" (مز٤٩: ٢٠)، والمسيح إلهنا صار بداية لجنسنا، فهذا الذي لم يعرف الخطية هو أوّل من أظهر لنا كيف يمكننا أن نتخطَّى شهواتنا الحيوانية إذ اخذ ضعفاتنا وتحمَّل أمراضنا، وبإصعاده على دابَّته ذاك الذي كان في حاجة إلى الشفاء جعلنا أعضاء لنفسه ولجسده، وقاده إلى الفندق أي الكنيسة. **فالكنيسة تُدعَى الفندق الذي يَقبَل الكل ويتَّسع للكل بعكس المفهوم الضيق للناموس اليهودي والعبادة الشكلية، فبدلا من أن نسمع القول "*ولا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب*"** (تث٢٣: ٣)، **نسمع "*اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم*"** (مت٢٨: ١٩) **وأيضًا في "*في كل أمَّة الذي يتَّقيه ويصنع البِرَّ مقبول عنده*"** (أع١٠: ٣٥)**]**.

[وجَّه المسيح اهتمامه نحو الأمم الذين كانوا أمواتًا في عبادة الأوثان واهبًا عطاياه الروحية لصاحب الفندق إذ أنه عند صعوده إلى السموات أعطى لصاحب الفندق – الذي يشير إلى الرسل ولمن بعدهم من رعاة ومعلِّمين – دينارين لكي يرعى المريض باهتمام وأخبره كيف أنه إذا أنفق أكثر من ذلك فهو بنفسه سوف يوفيه عند رجوعه. الديناران هما العهدان: العهد الذي أعطى بناموس موسى وبالأنبياء، والعهد الذي أعطى بالأناجيل وبتعاليم الرسل. والعهدان هما لإله واحد ويحملان صورة واحدة للملك السماوي الواحد مثل الدينارين، حيث أنَّ الروح الذي تكلَّم في العهدين واحد. لذا فإن الكلمات المقدسة التي للعهدين تَختم على قلوبنا نفس صورة الملك وتطبعها. وهذا عكس ما نادى به ماني وماركيون اللذان قالا إن إله العهد



هل ترفع نفسك فوق كل إنسان؟ اخفض تشامخك، واذكر ما يقوله صاحب سفر الأمثال: "*أولئك الذين يعرفون أنفسهم هم حكماء*" (أم١٣: ١٠ س).

[حقيقة إن قوة الحياة هي أن نحب الله والقريب، دون أن نُغيِّر شيئًا في هاتين الوصيتين، بل نكملهما فوق المقاييس اليهودية وفوق حرف الناموس، لأنه بمحبة الله من كل القلب والنفس والعقل نتخطَّى محبة المال ولذَّة المجد الباطل ونخرج من دائرة الاهتمامات العالميَّة ونتحرَّر ونتَّحد بالمسيح. هذه المحبة من شأنها أن تقود كل من هو يهودي إلى المسيحية، كذلك المحبة نحو القريب هي مرتبطة بمحبة الله، عندما لا تمارَس فقط بين أبناء الجنس الواحد لكن بين كل الناس. هذه المحبة نحو القريب عندئذ تتبع المحبة نحو الله، عندما نُقتَدَى بالمسيح الذي لم يحب مثل نفسه فقط لكن وأكثر من نفسه، حتى وَضَع نفسه لأجل أحبائه. إن موقف الناموسي هذا يتشابه مع موقف ذلك الفريسي الذي في صلاته قال "*أنا لست مثل باقي الناس*" (لو١٨: ١١) دون أن يعرف أنَّ الغرور من شأنه أن يفسد بِرَّ الإنسان. هكذا يتضح لنا أنَّ هذا الناموسي كان فقيرًا في محبته الداخلية والخارجية أي في كل ما يتعلَّق بمحبته نحو الله وفى كل ما يتعلق بمحبته نحو القريب "*لأن من لا يحب أخاه الذي يبصره كيف يقدر أن يحب الله الذي لم يبصره*" (١يو٤: ٢٠)].

إن الناموسي يرفع نفسه ويتنفَّس الكبرياء وينفخ نفسه بتصوُّرات باطلة. ولكنه تعلَّم عن المسيح أنه ما دام فقيرًا في محبة القريب، فإن مجرد كون وظيفته ناموسي فهذا لا ينفعه شيئًا لأن الله ينظر فوق الكل بالحري إلى الكلمة، ولا يُعطِي المدح على مُجرد مِهَن صوريَّة.

[من ثمَّ نلاحظ كيف أنَّ المخلِّص في تعريفه لمعنى القريب لا يحصره في جنس معين ولا يربطه بمستوى الفضائل ولكنه يطلقه على الطبيعة الإنسانية]، وبمهارة شديدة نسج مخلِّص الكل المَثَل، عن الذي سقط بين لصوص موضِّحًا أنَّ عمل الخير يجب أن يكون لكل إنسان فيما تحتاجه الطبيعة الإنسانية. في

يقتربون منه. أمَّا الناموسي المتكبِّر، فانه استخدم نفس التعبيرات ليسخر منـــه، كما قلت لكم.

لو كنتَ حقًّا ترغب في التعليم، لكنتَ سمعتَ منه الكلمات التي تؤدى إلـــى الحياة الأبدية، ولكن لأنك تُجرِّبه بخبث، فلن تسمع منه غير الوصـــايا التـــي أعطِيَت منذ القديم بموسى، [والتي هي بالتأكيد ليست أجرًا للحياة الأبدية بـــل للحياة الحاضرة] "*إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمرَّدتم تؤكلون بالسيف*" (إش١: ١٩ــ٢٠) لأنه يقول له: "*ما هو مكتوب في النـــاموس؟ كيف تقرأ؟*". وبعدما كرَّر الناموسي ما هو مُشرَّع في الناموس، فإن المـــسيح العالم بكل شيء ــ ليعاقبه على شرِّه وليوبِّخه على قصده الخبيث ــ قال لـــه: "*بالصواب أجبتَ، افعل هذا فتحيا*". لقد فقد الناموسي فريسته، وأخطأ الهدف، وخبثه لم يحالفه التوفيق، ولدغة حسده توقَّفَت وتمزَّقَت شبكة خداعه، وبذاره لم تأت بثمر، وتعبه لم يأت بفائدة، وكمثل سفينة غرقت لسوء طالعها فإنه قاســـي من خراب مُر. لنصرخ في وجهه بكلمات إرميا: "*قد وُجِدتَ وأمسكتَ لأنـــك قد خاصمتَ الرب*" (إر٥٠: ٢٤).

ولكن ــ كما قلت ــ إذ فقد فريسته، فإنه سقط بسرعة في الغرور، مسرعًا من حفرة إلى أخرى، ومن فخ إلى فخ، ومن خديعة إلى كبرياء، وكل رذيلـــة تُسلِّمه إلى أخرى، وتقذف به في كل جانب، وما أن تُمسِك به رذيلة حتى تدفع به إلى أخرى، وتحمله إلى حيثما تصادف، وتطوف به بسهولة، من دمار إلى دمار. فالناموسي لم يسأل الرب ليتعلَّم، ولكن كما يقول البـــشير: "*إذ أراد أن يُبرِّر نفسه*"، لاحظ كيف بسبب إعجابه بنفسه وكبريائه سأل بدون أي خجل: "*ومن هو قريبي؟*" [من هو هذا القريب حتى أحبه مثل نفسي؟ أنا أعلا مـــن الكل، أنا ناموسي، أنا أدين الكل ولا أُدان من أحد، أحكم على الكل ولا يُحكـــم عليَّ من أحد، أنا غير الكل وأفضل من الكل، آمُر الكل ولا يأمرني أحد، الكل يحتاجون إلَّي وأما أنا فلا أحتاج إلى أحد]. ألا يوجد أحد أيها الناموسي مثلك؟



المقدَّس، إذ هو كلمة الآب الابن المولود منه بالطبيعة. لقد رأيته ككرسي الرحمة في الخيمة المقدَّسة والذي حوله وقف الشاروبيم، لأنه هو كرسي رحمة لغفران خطايانا، بل وحتى كإنسان فإن السيرافيم الذين هم القوات العقلية والمقدسة تمجده، لأنهم قائمون حول عرشه الإلهي. إنك رأيته كالمنارة ذات السرج السبعة في قدس الأقداس، لأنه المخلِّص يفيض نوره بوفرة لمن يسرعون إلى المسكن الداخلي. إنك رأيته كالخبز الموضوع على المائدة، لأنه هو الخبز الحي الذي نزل من السماء المعطي حياة للعالم (يو٦: ٥٢). إنك رأيته كالحية النحاسية التي رُفِعَت عالية كعلامة، ومن ينظر إليها كان يُشفى من لدغات الحيات. إنه كان مثلنا في الهيئة التي تبدو كما لو كانت خاطئة إذ أخذ شبهنا، إلاّ أنه بالطبيعة صالح وسيبقى على ما كان عليه. فالحيَّة هي مثال الشر، ولكنه برفعه واحتماله الصليب لأجلنا، فإنه أبطل لدغات الحيات العقلية، التي هي ليست إلاّ الشيطان والقوات الشريرة التي تحت إمرته.

ورغم أنَّ الناموسي كان متّشحا بسمعة كونه عالِم في الناموس ولكنه جاهل تمامًا بذلك الذي تشير إليه ظلال الناموس رغم أنه قد أُعلن منذ القديم بكلمات الأنبياء القديسين. فلو أنه لم يغرق في أعماق الجهل التام، فكيف يقترب إلى المسيح كمجرَّد إنسان؟ وكيف تجرّأ على أن يُجرِّب الله الذي يفحص القلوب والكُلى والذي ليس شيء مما فينا خفي عليه؟ إذ قال للمخلِّص " يا معلِّم" ماذا أعمل لأرث الحياة الأبديَّة. هل تدعوه "مُعلِّم" وأنت لم تخضع للتعليم؟ أتتظاهر بتكريم مَن تريد أن تصطاده، وتضع حلاوة الكلام كطُعم في شصِّك.

ماذا تريد أن تتعلَّم ؟ إنَّه يسأل: " *ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟*" لاحظوا ثانية — أتوسل إليكم — الخبث الذي في كلمات الناموسي. فقد كان يمكنه أن يقول: " ماذا أعمل كي أخلُص، أو كيف أُرضِي الله وأنال ثوابه؟" لكنه ترك هذه العبارات ويستخدم نفس تعبيرات المخلِّص ليرمي بالسخرية على رأس (المسيح)، الذي اعتاد أن يتكلم باستمرار عن الحياة الأبدية لكل الذين كانوا



التي تُطلق بعنف وتُصوَّب من الأقواس.

وبرهان كلامي هذا، في متناول اليد. فدعونا نفحص كلمات الناموسي وننزع عنه شكله المُستعار ونعرِّي خططه، ونرى كلماته التي تبدو حلوة ولكنها تنبع من خداع، وما تخفيه من مكر. وإذ يقول: "*وإذا ناموسي قام يجرِّبه قائلاً: يا معلِّم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟*" إن الإنجيلي المبارك يقصد بهذا الناموسي ــ حسب عادة اليهود ــ أنه عارف بالناموس، أو على الأقل له شهرة أنه يعرفه، مع أنه في الحقيقة هو لا يعرفه. إنَّه تصور أنه قادر على اصطياد المسيح، وسأخبركم كيف أنَّ بعض الذين اعتادوا أن يتكلموا بطريقة عشوائية، كانوا يتجوَّلون في كل مكان، في اليهودية وأورشليم نفسها وهم يتَّهمون المسيح قائلين إنه يعلِّم بأن وصية موسى هي غير نافعة، وأنه رفض أن يراعي الناموس الذي أُعطى منذ القديم للآباء، كما أنه يُدخِل تعاليم جديدة، ويُكلِّم كل الذين يتَّقون الله بأمور من فكره الخاص، ولا تتفق مع الناموس الذي أعطى منذ القديم. ولكن حتى في ذلك الوقت كان هناك مؤمنون يقاومون كلام أولئك الناس ويتقبَّلون أخبار الإنجيل الخلاصية. أما الناموسي إذ كان يرغب ويتوقع أنه يستطيع أن يصطاد المسيح بكلمة، بأن يجعله يقول شيئًا مخالفًا لموسى، أو أن تعليمه أفضل كثيرًا من وصايا موسى، لذلك اقترب من المسيح ليجرِّبه قائلاً: ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟.

إن من يعي جيدًا سر التجسد سيقول لهذا الناموسي: حسنًا، إذا كنت حاذقًا في الناموس وفي معرفة معنى تعليمه الخفي، لما جهلتَ مَنْ هو هذا الذي تجرؤ أن تُجرِّبه، إنك تظن أنه مجرد إنسان فقط وليس إلهًا ظهر في شكل إنسان، وهو الذي يعرف الخفايا، ويمكنه أن يرى ما في قلوب الذين يقتربون منه. إن عمانوئيل قد رُسم لك بطرق مختلفة من خلال الظلال الموسويَّة. لقد رأيته هناك كحمل يُذبح ولكنه يقهر المُهلِك يبيد الموت بدمه. إنك رأيته أثناء إعداد التابوت الذي أُودِعَت فيه الشريعة المقدسَّة، لأن التابوت يشير إلى جسده

عظة (٦٨)
مثل السامرى الصالح[٤]

(لو ١٠: ٢٥–٣٧): "*وَإِذَا نَامُوسِيٌّ قَامَ يُجَرِّبُهُ قَائِلاً: يَا مُعَلِّمُ، مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟ فَقَالَ لَهُ: مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي النَّامُوسِ. كَيْفَ تَقْرَأُ؟ فَأَجَابَ وَقَالَ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ. فَقَالَ لَهُ: بِالصَّوَابِ أَجَبْتَ. افْعَلْ هذَا فَتَحْيَا. وَأَمَّا هُوَ فَإِذْ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّرَ نَفْسَهُ، قَالَ لِيَسُوعَ: وَمَنْ هُوَ قَرِيبِي؟ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: إِنْسَانٌ كَانَ نَازِلاً مِنْ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَرِيحَا، فَوَقَعَ بَيْنَ لُصُوصٍ، فَعَرَّوْهُ وَجَرَّحُوهُ، وَمَضَوْا وَتَرَكُوهُ بَيْنَ حَيٍّ وَمَيْتٍ. فَعَرَضَ أَنَّ كَاهِنًا نَزَلَ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ، فَرَآهُ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَكَذلِكَ لاَوِيٌّ أَيْضًا، إِذْ صَارَ عِنْدَ الْمَكَانِ جَاءَ وَنَظَرَ وَجَازَ مُقَابِلَهُ. وَلكِنَّ سَامِرِيًّا مُسَافِرًا جَاءَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا رَآهُ تَحَنَّنَ، فَتَقَدَّمَ وَضَمَدَ جِرَاحَاتِهِ، وَصَبَّ عَلَيْهَا زَيْتًا وَخَمْرًا، وَأَرْكَبَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، وَأَتَى بِهِ إِلَى فُنْدُقٍ وَاعْتَنَى بِهِ. وَفِي الْغَدِ لَمَّا مَضَى أَخْرَجَ دِينَارَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا لِصَاحِبِ الْفُنْدُقِ، وَقَالَ لَهُ: اعْتَنِ بِهِ، وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ أَكْثَرَ فَعِنْدَ رُجُوعِي أُوفِيكَ. فَأَيَّ هؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ تَرَى صَارَ قَرِيبًا لِلَّذِي وَقَعَ بَيْنَ اللُّصُوصِ؟ فَقَالَ: الَّذِي صَنَعَ مَعَهُ الرَّحْمَةَ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: اذْهَبْ أَنْتَ أَيْضًا وَاصْنَعْ هكَذَا* ".

يا أحبائي، إن النفاق والرياء في أعمالنا وسلوكنا هو وباء دنيء جدًّا، فيتظاهر الإنسان بحلاوة الكلام، وبلسان دهن، وبمعسول الخداع، بينما القلب مملوء بمرارة شنيعة. عن مثل هذا نقول بكلمات أحد الأنبياء القديسين: "*لسانهم كسهم قاتل يتفوّه بالكذب، وبفمه يخاطب جاره بسلام، وفي قلبه عداوة له*" (إر٩: ٨ س)، وأيضًا: "*كلماته ألين من الزيت وهي سهام*" (مز٥٤: ٢١ س)، ومعنى هذا أنَّ لها قوة السهام

[٤] هذه العظة (٦٨) على مثل السامرى الصالح قد روجعت أيضًا على النص اليوناني الموجود في مجلد PG77 الذي يحوي أجزاء من عظات القديس كيرلس على إنجيل لوقا باليونانية. وقد قام بترجمة هذه الأجزاء من اليونانية إلى العربية دياكون مجدي وهبه صموئيل وذلك لأنها كانت ضمن دراسته لرسالة الماجستير "عن تفسير الآباء لمثل السامري الصالح" وقد ميّزنا الأجزاء المُترجمة عن اليونانية في هذه العظة بوضعها بين قوسين مضلّعين [ ] (مركز دراسات الآباء).

الشيطان". إذن فقد أقبل علينا ملكوت الله، بواسطة الكلمة الذي صار مثلنا والذي مارَسَ في الجسد الأعمال اللائقة بالله.

وأعطى الرسل القديسين أيضًا قوة وسلطانًا على إقامة الأموات وتطهير البرص وشفاء المرضى، وكذلك أن يستدعوا الروح القدس من السماء على من يريدون بوضع الأيدي. كما أعطاهم سلطانًا أن يحلُّوا ويربطوا خطايا الناس، كما قال: "*لأني أقول لكم ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطًا في السماء وما حلّلتموه على الأرض يكون محلولاً في السماء*" (مت١٨:١٨). هذه هي الأشياء التي نرى أنفسنا الآن نملكها، فطوبى لأعيننا وأعين جميع من يحبُّونه. إننا سمعنا تعليمه الذي لا يُنطق به، فأعطانا معرفة الآب، وأرانا إياه في طبيعته الخاصة، والأشياء التي كانت بواسطة موسى لم تكن سوى مثالاً ورمزًا، أمَّا المسيح فقد أعلن لنا الحق... وعلَّمنا أنه ليس بالدم والدخان، بل بالذبائح الروحية، يجب أن نُكرِّم ذلك الذي هو غير جسدي وغير مادي[٣] وهو فوق كل إدراك. إنَّ أنبياء قديسين كثيرين اشتهوا أن يروا هذه الأشياء، وملوكًا كثيرين أيضًا. اسمعهم مرة يقولون: "*أرني يا رب رحمتك وأعطني خلاصك*" (مز٨٥: ٧)، لأنهم يدعون الابن "*رحمة وخلاصًا*". وفي وقت آخر أيضًا: "*اذكرني برضا شعبك وتعهَّدني بخلاصك، لنرى سعادة مختاريك، ونفرح بفرح شعبك*" (مز١٠٥: ٤ س). من هو الشعب المختار في المسيح بواسطة الله الآب ؟ يقول لنا بطرس الحكيم، وهو يتكلم إلى الذين تشرَّفوا بالإيمان: "*أما أنتم فجنس مختار، وكهنوت ملوكي، أمَّة مقدَّسة، شعب اقتناء، لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب*" (١بط٢: ١).

ونحن إنما قد دُعينا إلى هذا بواسطة المسيح، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

---

[٣] يقصد الله الآب، الذي علَّمنا المسيح أنه روح، والسجود له ينبغي أن يكون بالروح والحق (يو ٤: ٢٤).

لأجلنا، إنها أبصرت ذلك الذي هو شريك عرش الآب، ساكنًا فيما بيننا، وفي شكلنا، لكي بالتبرير والتقديس يُشكّلنا على شبهه، ويطبع علينا جمال ألوهيته بطريقة عقلية وروحية. وعن هذا يشهد بولس ويكتب: "*وكما لبسنا صورة الترابي هكذا نلبس صورة السمائي*" (١كو١٥: ٤٩)، والرسول يقصد بصورة الترابي آدم الذي خُلِق أولاً، ويقصد بالسماوي الكلمة الذي هو من فوق، الذي أشرق من جوهر الله الآب، ولكنه صار ــ كما قلت ــ مثلنا. فالذي هو بالطبيعة ابن، أخذ شكل العبد، ولكنه لم يأخذ حالتنا لكي يستمر في وضع العبوديّة، بل لكي يعتقنا نحن الذين رُبِطنا بنير العبودية؛ لأن كل ما هو مخلوق هو بالطبيعة عبد ولكي يُغنينا بما له. لأننا به ومعه قد نلنا اسم البنين، إذ قد صرنا مُكرمين بسخائه ونعمته. وهو الذي كان غنيًا شاركنا فقرنا ليرفع طبيعة الإنسان إلى غناه، وذاق الموت على خشبة الصليب ليرفع من الوسط الإثم الذي ارتُكِب بسبب شجرة (المعرفة)، وليمحو الذنب الذي نتج عن ذلك، ولينزع من الموت طغيانه علينا. لقد رأينا الشيطان يسقط، رأينا ذلك القاسي ينكسر، ذلك المتكبِّر يُوضَع، رأينا ذلك الذي جعل العالم يخضع لنير مُلكه، يُجرَّد من تسلُّطه علينا، وجعل المزدَرى والمحتَقر والذي كان يُعبد يومًا يصير هو مزدَرَى ومحتَقَرًا، والذي جعل نفسه إلهًا تطأه أقدام القدِّيسين، والذي تمرَّد على مجد المسيح صار مدوسًا بواسطة الذين يحبُّون المسيح: "*لأنهم أخذوا سلطانًا لينتهروا الأرواح الشريرة ويخرجوها*". وهذه القوة هي كرامة عظيمة وعالية جدًّا بالنسبة للطبيعة البشرية، لكنها لائقة فقط بالإله العلي.

والكلمة الذي ظهر في شكل بشري كان هو أول من وضع لنا المثال، لأنه هو أيضًا انتهر الأرواح الشريرة. أما اليهود الأشقياء، فإنهم تقيأوا ضد افتراءات حسدهم قائلين: "*هذا الإنسان لا يُخرج الشيطان إلا ببعلزبول رئيس الشياطين*" (مت١٢: ٢٤). ولكن الرب فنَّد هذه الكلمات الشريرة بقوله: "*إن كنت أنا ببعلزبول أُخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يُخرجون؟ ولكن إن كنتُ بروح الله أُخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله*". فإن كنتُ ــ يقول الرب ــ "وأنا إنسان مثلكم أُمارس القوة الإلهية، فقد أقبَلَت عليكم البركة العظيمة لأن الطبيعة البشرية قد تمجدت فيَّ لأنِّي وطأتُ

بل أحباء، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده، ولكنّي دعوتكم أحباء لأني أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي" (يو١٥:١٥). بلا شك كان هناك كثيرون مجتمعون وواقفون في حضرته إلى جوار أتباعه المختارين، ولكنهم لم يكونوا جميعهم مؤمنين، فكيف يمكنه أن يتكلم بالحق للجميع وبلا تمييز قائلاً: "*طوبى للعيون التي تنظر ما تنظرونه، وطوبى للذين يسمعون ما تسمعونه*؟" لذلك فهناك سبب مناسب أن يلتفت إلى تلاميذه، أي أنه حوّل وجهه عن هؤلاء الذين لن ينظروا ولن يسمعوا، بل هم غير مطيعين، وعقلهم مظلم، لذلك أعطى نفسه كلية لمن أحبوه، ونظر إليهم وقال: "*طوبى للعيون التي تنظر ما تنظرونه*"، أي بالحري التي تتفرس في الأشياء التي يجب رؤيتها أولاً قبل كل الأشياء الأخرى.

أمّا عن التعبير المُستخدَم هنا، فهو مستمَد من عادات الناس الشائعة، وفي مثل هذه العبارات لا تشير الرؤية إلى عمل عيوننا الجسدية، ولكن بالحري إلى التمتع بالأمور التي يمنحها المسيح لخائفي الله. كما يقول أحدهم مثلاً: " هؤلاء وأولئك رأوا أوقاتًا سعيدة" بدلاً من أن يقول " استمتعوا بأوقات سعيدة". وبنفس الطريقة يمكنك أن تفهم المكتوب في المزمور الموجَّه إلى الذين يُثبِّتون أفكارهم في الأشياء التي فوق: "*وتبصر خيرات أورشليم*" (مز١٢٨: ٥) بدلاً من "*وتشترك في سعادة أورشليم*"، أي الأشياء التي فوق في السماء، التي يدعوها الحكيم بولس "*أم جميع القديسين*" (غل٤: ٢٦). وأي شك يمكن أن يكون في أنّ أولئك الذين نظروا المعجزات الإلهية التي صنعها المسيح، والأعمال العجيبة التي فعلها لم يكونوا مغبوطين في كل الأحوال، فجميع اليهود رأوا المسيح يعمل بجلال إلهي، ومع ذلك فليس من الصواب أن نحسبهم جميعًا مغبوطين، لأنهم لم يؤمنوا ولا رأوا مجده بعيون العقل. إنهم بالحق مذنبين بالأكثر ولا يليق أن يُعتَبَرُوا مُطوَّبين، لأنهم رغم رؤيتهم ليسوع وهو مملوء بالمجد بواسطة الأعمال الفائقة الوصف التي عملها، إلاّ أنهم لم يؤمنوا به.

ولكن تعالوا نسأل، ماذا رأت أعيننا؟ ولماذا نالت التطويب؟ ولأي سبب وصلت إلى هذه البركة؟ إنها رأت أنَّ الله الكلمة، الذي كان في صورة الله الآب قد صار جسدًا



عظة (٦٧)

تطويب التلاميذ

(لو ١٠: ٢٣، ٢٤) " *وَالْتَفَتَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ عَلَى انْفِرَادٍ وَقَالَ: طُوبَى لِلْعُيُونِ الَّتِي تَنْظُرُ مَا تَنْظُرُونَهُ! لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ وَمُلُوكًا أَرَادُوا أَنْ يَنْظُرُوا مَا أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَلَمْ يَنْظُرُوا، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا* ".

إن المظاهر التي يُقدّمها العالم (ممثّلة في المسارح والمباريات) تُؤدّى بالناس غالبًا إلى رؤية أشياء غير نافعة أو بالحري تُسبب لهم ضررًا كبيرًا. والمُتردّدين على هذه الأمكنة إمّا يسلمون أنفسهم للإعجاب بالراقصين، وإذ يستسلمون لما يتبع ذلك من استرخاء كسول فإنهم يذوبون في عواطف مخنّثة، أو أنهم يُمجّدون الخطباء ذوى المشاعر الفاترة، أو يُلذّذون أنفسهم بأصوات واهتزازات المزمار والقيثار. ولكن كل هذه الأشياء باطلة وغير نافعة، وتستطيع أن تذهب بعقل الإنسان بعيدًا عن كل صلاح. أما نحن الذين نسلك طريق الحياة الفاضلة والغيورون في الأعمال المستقيمة، فإن المسيح يجمعنا في كنائسه المقدسة، لكي إذ نبهج أنفسنا بالتسبيح له، فإننا نصير سعداء بكلماته المقدسة وتعاليمه التي تقودنا إلى الحياة الأبدية.

دعنا لذلك نرى هنا أيضًا أيّة عطايا تفضّل وأنعم بها علينا نحن الذين قد دُعينا بالإيمان به إلى معرفة مجده. يقول الإنجيل " *والتفت إلى تلاميذه وهم على انفراد وقال لهم، طوبى للعيون التي تنظر ما تنظرونه*". والآن فربُّ معترض يقول: " لماذا لم يخاطب كل المجتمعين هناك بكلماته التي تصف هذه البركات؟ وما الذي جعله يلتفت إلى تلاميذه وهم على انفراد ويقول لهم طوبى للعيون التي تنظر ما تنظرونه؟". ماذا إذن تكون إجابتنا؟ إنه ليس من اللائق أن نُوصّل الأمور التي لها طبيعة سريّة لكل من يصادفنا، ولكن للأصدقاء الحميمين فقط، فأولئك هم أصدقاؤه الذين حسبهم مستحقين للتلمذة له، الذين استنارت عيون قلوبهم، وصارت آذانهم مستعدّة للطاعة. فإنه قال في إحدى المرّات للرسل القديسين: "*لا أعود أسمّيكم عبيدًا*



الابن أيضًا بالمثل هو كذلك كما تشهد الكتب الإلهية الموحى بها في مواضع كثيرة، فهو النور والحياة والحكمة، ولكن إن كان هو أدنى من الآب، يكون مديونًا له بهذه الصفات، وذلك ليس في صفة واحدة، بل في كل الخصائص التي تختص بجوهره، ولن يكون هو الحياة كاملة ولا النور كاملاً ولا الحكمة كاملةً. وإن كان هذا صحيحًا إذن يكون فيه شيء من الفساد وشيء أيضًا من الظلام وأيضًا شيء من الجهالة؟ ولكن مَن الذي سيوافقكم في تفكيركم هذا؟ لأنه إن كان هو مخلوقًا، إذن، فكما قلت، فلا يجب أن تقارنوه بالخالق ورب الكل. أنتم تخفضون رتبته إلى مستوى الخليقة، بينما ترفعون إلى سمو لا يقارن تلك الطبيعة التي خَلَقَت الكل والتي فوق الكل. ولكن إن كان حقًّا هو الله الحق صادر من الله الحق والآب، فكيف تؤكدون أنَّ الآب له ابن هو غير مساوٍ له في الطبيعة، وأن طبيعته هذه وحدها هي التي عانت من هذا التمييز السيئ، بينما من المؤكد أنه بين كل الخلائق لا يوجد من يلاقى مثل هذا الحظ السيئ! فالإنسان يولد من الإنسان، وكل الأوصاف التي في جوهر أبيه توجد كلها في المولود، وهكذا بالمثل بالنسبة لباقي الحيوانات، تُنظِّمها قوانين طبيعتها الخاصة. فكيف يكون إذن لطبيعة الله الفائقة للكل أن تعاني ما لا نعانيه حتى نحن، ولا أي من الخلائق الأخرى.

لذلك دع أولئك الذين يُفكِّرون بازدراء عن عظمة مجد الابن أن يسمعوا، دع أولئك المخمورين أن يستفيقوا من خمرهم، ليعبدوا معنا هذا الذي هو مساو في الجوهر مع أبيه، والمكلَّل بتسابيح مساوية، وتفوُّق مماثل بدون اختلاف "*لأن له تجثو كل ركبة ممَّن في السموات ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أنَّ يسوع المسيح رب لمجد الله الآب*" (في٢: ١٠و١١) آمين.



"*هو الحق*" (يو١٤: ٦) فكيف تجرؤون أن تُفكِّروا وتقولوا إنه أدنى من الآب وهو الذي يقول: "*ليس أحد يعرف الابن إلا الآب*" فقط، كأنكم تعرفون بالضبط من هو؟ ومع ذلك فكيف أنَّ ذلك الذي يعرفه الآب فقط، لا يتعالى كثيرًا جدًّا على قدرات الكلام، تمامًا مثل الآب نفسه أيضًا، الذي هو معروف من ابنه فقط؟ لأن الثالوث الواحد في الجوهر هو وحده الذي يعرف نفسه، إذ هو فائق جدًّا على كل كلام وفهم. فكيف تقول أنت إذن إنه أدنى من الآب بينما ترى أنه لا أحد يعرف من هو إلا الآب الذي ولده فقط ؟

وسأضيف هنا شيئًا آخر: هل تقول إنه " إله الحق" ولكنه أدنى من ذلك الذي هو " الإله الحق والآب" أو أنه مصنوع ومخلوق؟ إن كان مخلوقًا، فلن يمكنك المقارنة بينهما على الإطلاق، لأن المسافة بين الخالق والمخلوق لا نهاية لها، كما بين السيِّد والعبد، وبين الذي هو بالطبيعة الله وبين الذي قد أُحضِر إلى الوجود، لأن الشيء المخلوق ليس هو فقط أدنى بالنسبة لله، ولكن هو مختلف تمامًا أيضًا في الطبيعة وفى المجد وفى كل صفة تتعلق بالجوهر الإلهي. فإن كان مخلوقًا كما تؤكدون، فكيف " لا يعرف أحد من هو؟"، إذن لن يكون فوق كل فهم حتى إن عجز عقل الإنسان عن معرفة طبيعة ما هو مخلوق، ولكن إن كنت من الجهة الأخرى تؤكد أنَّه الله الحقيقي، وأنه هو هكذا بالطبيعة، ومع ذلك تقول إنه أدنى من الآب، فأنا لا أفهم كيف يمكن أن يكون هذا؟ أرجوك أخبرني مِن ماذا يتكوَّن هذا التدنِّي وأعطني مثلاً. هؤلاء الذين هم من نفس الطبيعة والجوهر، هم طبعًا متساوون في كل الصفات التي تختص بهم فيما يتعلق بجوهرهم، فالإنسان مثلاً ليس أدنى من إنسان آخر من جهة البشرية التي هي مشتركة بينهما، وهكذا الملاك بالنسبة لملاك آخر، فكيف إذن يكون إله حق أدنى من إله حق؟

تعالوا إذ شئتم ودعونا نرفع أنفسنا إلى فحص امتيازات الآب وتلك الصفات التي تختص به كإله، فالله الآب بالطبيعة هو الحياة والنور والحكمة، ولكن

الله الآب بواسطة نفسه، إذ هو الباب والطريق الذي به يتم هذا، لأنه قال بوضوح: "*ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي*" (يو١٤: ٦) إذن، فالذي خلَّص إسرائيل في القديم من طغيان المصريين بيد موسى، وعيَّن لهم الناموس ليكون مؤدِّبهم، قد دعا الآن كل العالم، ولأجل ذلك مد شبكة رسالة الإنجيل بحسب مشيئة الله الآب الصالحة. وهذا هو إذن سبب قوله "*كل شيء قد دفع إليّ من الآب*".

ومع أننا نؤكد أنَّ هذه الأمور قد فهمناها فهمًا مستقيمًا، ونشرحها لكم بالصواب، فإن الهرطوقي، لا يخضع لشروط التدبير، ولكنه يعمد إلى قلَّة حيائه المعتاد، ويجعل ما يُقال طعامًا لخبث عقله، ويقول "إن الآب يمنح كل شيء للابن، وإن الابن لم يكن في احتياج إلى أخذ شيء لو كان من الجائز له أن يحصل عليه من نفسه. فكيف يكون إذن مساويًا للآب كما تقولون حينما ينال منه سلطانًا على ما لم يكن يملكه من قبل؟" دعنا الآن نرى إن كان هو في أي شيء أدنى من الآب في المجد والعلو كما تقول في غبائك.

توجد عدة مجالات يمكن استخدامها للدفاع عن تعاليم الحق، ولكن في مناسبتنا الحاضرة هذه، سنبحث عن الحقيقة من الدروس الموضوعة أمامنا الآن، ومن نفس كلمات الابن، لأنه بعد أن قال: "*كل شيء قد دُفع إليّ من أبي*"، مكرِّمًا بذلك سر تجسُّده، ومستخدمًا عبارات مناسبة لإنسانيته، فإنه يرتفع في الحال كما قلت، إلى مجده وعلوه الخاص، ويبيِّن أنه ليس أدنى من أبيه بأي حال، لأنه ماذا كانت الكلمات التي قالها بعد ذلك ـــ "*لا أحد يعرف الابن إلَّا الآب، ولا الآب إلَّا الابن ومن أراد الابن أن يُعلِن له*". دعنا نسأل الآن الذين قاوموا مجده ولا زالوا يقاومونه، هل المسيح يتكلم بالكذب أم بالحق؟ لأنه إن كان يتكلم كذبًا، وأنتم تؤكدون أنَّ هذا هو الحال فأنتم خالون من كل فهم، وقد فقدتم عقولكم وشربتم من الخمر "*خمر سدوم*" (تث٣٢:٣٢)، وعثرتم كالسكارى في مسالك غير مستقيمة. أما إن كنتم تؤمنون أنه يتكلم بالحق لأنه



عظة (٦٦)
معرفة الآب والابن

(لو ١٠: ٢٢) "*وَالْتَفَتَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ: كُلُّ شَيْءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبِي. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الابْنُ إِلاَّ الآبُ، وَلاَ مَنْ هُوَ الآبُ إِلاَّ الابْنُ، وَمَنْ أَرَادَ الابْنُ أَنْ يُعْلِنَ لَهُ* ".

يكشف لنا ربنا يسوع المسيح مرَّة ثانية مجده وكرامة جلال ألوهيته وطريقته الحكيمة في تدبير التجسُّد، كما يبيِّن لنا بوضوح عظم الفائدة التي حصل عليها سكان الأرض من جراء ذلك. ليتنا نسأله الحكمة ونطلب الفهم، كي يمكننا أن ندرك معنى كلماته بالضبط. فهو الذي "*يكشف الأغوار في الظلام، ويخرج الأمور الخفية إلى النور*" (أي١٢: ٢٢)، ويعطي الحكمة للعميان، ويجعل نور الحق يضيء على أولئك الذين يحبونه، ومن بينهم نحن. فها أنتم قد أقبلتم ثانية كعطاش، والكنيسة ممتلئة من الراغبين في الاستماع وجميعهم عابدون حقيقيُّون باحثون عن تعاليم التقوى. تعالوا إذن ولنقترب من كلمات المخلِّص بذهن مفتوح، وكلماته هي: "*كل شيء قد دُفع إليَّ من أبي*".

لقد كان المخلِّص، ولم يزل هو رب السماء والأرض، وهو الجالس مع الآب في عرشه المشارك له بالمساواة في حُكمه على الكل، ولكنه إذ وضع نفسه نزل إلى أرضنا وصار إنسانًا، فإنه يتكلم بطريقة مناسبة للتدبير في الجسد، كما لا يرفض أن يستخدم العبارات التي تناسب وضعه بعد أن أخلى نفسه حتى يمكن الإيمان به، كمن قد صار مثلنا ولبس فقرنا. لذلك فالذي هو رب السماء والأرض وكل الأشياء، يقول: "*كل شيء قد دُفع إليَّ من أبي*". لقد صار الحاكم المُهيمِن على كل ما هو تحت السماء. وإن كان في القديم، إسرائيل بحسب الجسد فقط هو الذي أحنى رقبته لشرائعه، و لكن الله الآب أراد أن يجعل كل شيء جديدًا فيه، وبواسطته يصالح العالم لنفسه، لأنه "*صار وسيطًا بين الله والناس*" (١تي٢: ٥)، وصار "*سلامنا*" (أف٢: ١٤)، إذ وحَّدنا مع



أنه جاهل في نظر حكماء هذا العالم، ولكن له في قلبه وفكره نور رؤية الله الحقيقيَّة فهو حكيم أمام الله. وبولس يؤكد هذا أيضًا بقوله: "*لأن المسيح أرسلني لا لأُعمِّد بل لأبشِّر، لا بحكمة كلام لئلا يتعطَّل صليب المسيح، فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلَّصين فهي قوة الله، لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء وأرفض فهم الفهماء*" (١كو١: ١٧-١٩) (إش٢٩: ١٤)، وقد أرسل بولس أيضًا قائلاً: "*فانظروا دعوتكم أيها الإخوة أنْ ليس كثيرون حكماء حسب الجسد، ليس كثيرون أقوياء، ليس كثيرون شرفاء، بل اختار الله جُهَّال العالم ليخزى الحكماء*" (١كو١: ٢٦)} والذين يظهرون كأنهم جهلاء، بمعنى أنهم ذوو ذهن نقي وعديم المكر، وهم بسطاء كأطفال في الشر، لهؤلاء أعلن الآب ابنه، إذ هم أنفسهم أيضًا قد سبق فعرفهم وسبق فعيَّنهم لتبنِّي البنين.

ومن المناسب في ظنِّي أنَّ نضيف أيضًا ما يأتي، أنَّ الكتبة والفريسين الذيَن بلغوا شأنًا عظيمًا عند اليهود بسبب علمهم الناموسي كانوا يعتبرون أنفسهم حكماء، ولكن حكم عليهم بنفس النتيجة أنهم ليسوا هكذا في الواقع، فإرميا النبي يخاطبهم في موضع ما قائلاً: "كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا بينما حوَّلها قلم الكتبة الكاذب إلى الكذب. خزيَ الحكماء ارتاعوا وأُخذوا، ها قد رفضوا كلمة الرب فأيَّة حكمة لهم؟ (إر٨: ٨و٩)، لأنهم رفضوا كلمة المخلِّص أي رسالة الإنجيل الخلاصيَّة، أو بعبارة أخرى، كلمة الله الآب الذي من أجلنا صار إنسانًا، لذلك فهم أنفسهم قد رُفِضوا، وعنهم قال أيضًا إرميا النبي: "*وهم يُدعَون فضة مرفوضة، لأن الرب قد رفضهم*" (إر٦: ٣٠).

وقد أخفى عنهم سر المسيح أيضًا، لأنه قال عنهم في موضع ما لتلاميذه "*لأنه قد أُعطِيَ لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات، وأما لأولئك فلم يعطَ*" (مت١٣: ١١) "*أُعطِيَ لكم*"، أي لمن؟ هو بوضوح للذين آمنوا، لهؤلاء الذين تعرَّفوا على ظهوره، للذين يفهمون الناموس روحيًا، الذين يدركون أنه معنى الإعلان القديم الذي للأنبياء، الذين يعترفون أنه الله وابن الله، لهؤلاء سُر الآب أن يُعلِن ابنه الذي به، ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين آمين.



"*لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأعلنتها للأطفال، نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرَّة أمامك*"، لأن الآب قد كشف لنا السر الذي كان مكتومًا ومحفوظًا في صمت عنده، من قبل إنشاء العالم الذي هو تجسُّد الابن الوحيد، الذي كان معروفًا سابقًا حقًّا، قبل إنشاء العالم، ولكن أُعلن لسكانه في أواخر الدهر. فالمبارك بولس يكتب: "*لي أنا أصغر جميع القديسين أُعطِيَتْ هذه النعمة أن أُبشِّر به بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأُنير الجميع في ما هو تدبير السر*[٢]*المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع*" (أف٣: ٨). إن هذا السر العظيم المسجود له الذي لمخلِّصنا كان من قبل تأسيس العالم، مخفيًّا في معرفة الآب، وبالمثل نحن قد سبق أن عرفنا، وسبق أن عيَّنَنا لتبنِّي البنين. وهذا ما يُعلِّمنا إياه أيضًا المبارك بولس بقوله: "*مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح، كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه إذ سبق فعيَّننا في المحبة للتبنِّي بيسوع المسيح لنفسه*" (أف١: ٣ــ٥). فلنا إذن ــ كما للأطفال ــ كشف الآب السر الذي كان مخفيًّا ومحفوظًا في صمت طوال الدهور.

لقد سبقنا في هذا العالم حشد كبير كانوا على مستوى الكلمات، لهم لسان طلق متميِّز، لهم سمعة كبيرة في الحكمة، وفى فخامة التعبير، والأسلوب الجميل، ولكن كما قال عنهم بولس: "*حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي، وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء، وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والطيور والدواب والزحافات... لذلك أسلمهم الله إلى ذهن مرفوض*" (رو١: ٢١ــــ٢٥)، "*وجعل الله حكمة هذا العالم جهالة*" (١كو١: ٢٠)، كما أنه لم يعلن لهم السر. أمَّا لنا نحن فقد كتب: "*إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر، فليصر جاهلاً لكي يصير حكيمًا، لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله*" (١كو٣: ١٨). لذلك، فيمكن المرء أن يؤكد أنَّ من له مجرَّد حكمة العالم فقط، هو جاهل وبلا فهم أمام الله، ولكن من يظهر

[٢] لاحظ أنَّ أغلب المخطوطات اليونانية تكتب Oikonomia بمعنى "تدبير" وليس Koinonia بمعنى شركة، كما تنص ترجمة دار الكتاب المقدس القديمة وصُوِّبت في كل الترجمات الحديثة بالكلمة "تدبير". راجع في هذا كتاب شرح رسالة أفسس ص ٦٩ للدكتور نصحي عبد الشهيد، إصدار بيت التكريس لخدمة الكرازة.

الذين دعاهم أيضًا رسلا، وبعد ذلك عيَّن سبعين آخرين الذين أرسلهم كسابقين أمامه إلى كل قرية، ومدينة في اليهودية، ليُبشِّروا به وبالأمور المختصَّة به، وقد أرسلهم مزيَّنين حسنًا بالكرامات الرسولية، ومميَّزين بفعل نعمة الروح القدس، لأنه أعطاهم قوة على الأرواح النجسة ليخرجوها، لذلك فبعد أن عملوا معجزات كثيرة، رجعوا إليه قائلين: "*يا رب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك*" وكما قلتُ لكم سابقًا، إذ أنَّ الرب يعلم جيدًا أنَّ الذين أرسلهم قد صنعوا خيرًا لكثيرين بل وهم أنفسهم قد عرفوا مجده بالاختبار، فإنه امتلأ بالفرح بل بالتهليل، ولأنه صالح ومحب البشر ويريد خلاص الجميع، فقد وجد لنفسه سببًا للتهليل، ألا وهو تحوُّل أولئك الذين كانوا في الضلال، واستنارة الذين كانوا في الظلمة، واستعلان مجده لأولئك الذين بلا معرفة أو تعليم.

فماذا يقول إذن؟ "*أحمدك أيها الآب رب السموات والأرض*"... وهذه الكلمات: "أعترف لك" يقولها مثل البشر بدلاً من "أقبل إحسانك" أي " أشكرك"، لأن الكتب الإلهية الموحَى بها اعتادت أن تستعمل كلمة " أعترف" بمثل هذه الطريقة، لأنه مكتوب: "*سيعترفون لاسمك العظيم المرهوب، يا رب، لأنه مرهوب وقدوس*" (مز٩٨: ٣ س)، وأيضًا "*أعترف لك يا رب بكل قلبي وأخبر بجميع عجائبك*" (مز٨٥: ٢ س).

ولكني ألاحظ أيضًا أنَّ أذهان الناس الفاسدين لا ترعوى عن فجورها، وبعضًا منهم يعترض علينا قائلاً "ها الابن يُقدِّم اعتراف الحمد للآب، فكيف لا يكون أقل من الآب؟" ولكن كل من هو ماهر في الدفاع عن تعاليم الحق، يجيب عن هذا قائلا: "وماذا يمنع أيها السادة الكرام، أنَّ الابن مع كونه مساويًا في الجوهر، يحمد ويشكر أباه، لأنه يخلِّص كل الذين تحت السماء بواسطته؟ ولكن إن ظننتَ أنه بسبب شكره هو أقل من الآب، فلاحظ أيضًا ما يلي: أنه يدعو الآب "*رب السماء والأرض*". ولكن بالتأكيد فإن ابن الله الضابط الكل بالتساوي معه هو رب الكل، وفوق الكل وليس هو أقل منه، أو مختلف عنه في الجوهر، ولكنه إله من إله، مكلَّل بنفس الكرامات، ويملك بحق جوهره، المساواة معه في كل شيء"، وهذا كاف للإجابة عليهم.

لكن دعونا الآن نتأمل الكلمات التي خاطب بها أباه بخصوصنا ونيابة عنا إذ يقول:



عظة (٦٥)

الآب يعلن أسراره للأطفال

(لو ١٠: ٢١) "*وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَهَلَّلَ يَسُوعُ بِالرُّوحِ وَقَالَ: أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ، رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ، لأَنْ هكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ* ".

قال أحد الأنبياء القديسين: " *هلمّوا إلى المياه أيها العطاش جميعًا*" (إش٥٥: ١٠) وهو بهذا يوجِّهنا إلى كتابات البشيرين القدِّيسين كما إلى ينابيع مياه، فكما أنَّ المياه مُبهجة للنفس الظامئة كما يقول الكتاب (أم٢٥:٢٥)، هكذا تكون معرفة أسرار المخلِّص التي تُعطِي الحياة للعقل الذي يُحب التهذيب. دعونا نقترب من الينابيع المقدَّسة، من المياه الحيَّة والمعطية الحياة، تلك المياه التي هي عقلية وروحية. هيا لنمتلئ منها ولا نكل من الشُّرب. فإن ما يزيد عن الكفاية في هذه الأمور، لا يزال لأجل بنياننا"، والشَّره هنا ممدوح جدًّا، إذن، ما هو الذي قاله المخلِّص ـ هذا الينبوع النازل من السماء، نهر الفرح ـ فذلك نتعلَّمه مِمَّا قد تُلِيَ علينا الآن: " *في تلك الساعة تهلَّل يسوع بالروح القدس وقال*". إذن يجب على كل من يُحب التَّعليم أن يقترب من كلمات الله بكل عناية وليس بلا حماس، بل بالعكس، بكل غيرة، لأنه مكتوب: "*كل من يتعب ويجتهد له خير وفير*" (أم٢٤: ٢٣)، فلنفحص الكلمات وخاصَّة ما هو المقصود بالتعبير أنه "*تهلَّل بالروح القدس*".

الروح القدس ينبثق من الله الآب كما من الينبوع، ولكنه ليس غريبًا عن الابن، لأن كل ما للآب فهو للكلمة الذي هو بالطبيعة وبالحقيقة مولود منه. لقد رأى المسيح أنَّ كثيرين قد رُبحوا بفعل الروح الذي منحه هو للذين يستحقونه، وللذين أوصاهم ليكونوا خُدَّاما للرسالة الإلهية. لقد رأى أنَّ آيات عجيبة تجرى على أيديهم، وأن خلاص العالم بواسطته ـ أعنى بالإيمان ـ قد بدأ الآن، لذلك فقد تهلَّل بالروح القدس، أي بالأعمال والمعجزات التي تمَّت بواسطة الروح القدس. لقد عيَّن الرب الاثنا عشر

لهم؟ ماذا نقول عن هذا؟ إنَّني أجيب بأن المسيح يرفعهم إلى شـــيء أعظـــم، ويوصيهم أن يحسبوا أنَّ مجدهم هو أنَّ أسماءهم كُتبت في السموات، لأنه يُقال لله عن القديسين "*وفي سِفْرِك كُتبوا* جميعهم" (مز١٣٨: ١٦ س). وإلى جوار ذلك فإن فرحهم بقدرتهم على عمل المعجزات، وبأنهم يسحقون أجناد الـــشياطين، من المحتمل أن يولد فيهم أيضًا رغبة المجد الباطل ــ وقريبُ هـــذه الـــشهوة والملازم لها دائمًا هو الكبرياء.

لذلك، فمن المفيد جدًّا أن يُوبِّخ مخلِّص الكل الافتخار من بدايتـــه، ويقطـــع جذوره بسرعة، وهو الذي ينمو من حب المجد الوضيع، وهو بـــذلك يتمثـــل بالزُرّاع الذين متى رأوا شوكًا في حقلهم أو حديقتهم، فإنهم يقطعونه بأســـنان الفأس قبل أن يضرب بجذوره في العمق.

لذلك، فإذا ما نلنا هبة ما من المسيح، جديرة بالإعجاب، فلا يجب أن نفتكر فيها بتعالي، ولكن بالحري أن نجعل الرجاء الموضوع أمامنا هو سبب الفرح، وبأن أسمائنا كُتبت في صحبة جماعات القديسين، بهبة المسيح مخلِّصنا كلِّنـــا، الذي بسبب محبته للإنسان يمنح إضافة إلى كل ما لنا، هذه الهبة أيضًا، هـــذا الذي يليق به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القـــدس إلـــى دهـــر الدهور آمين.



أنا بالطبيعة الله، قد لبستُ شكل العبد وظهرتُ على الأرض كإنسان مثلكم.
ولكن ما هو برهان هذه الأمور؟ انظروا: " *ها أنا أعطيكم سلطانًا أن تدوسوا الحيات والعقارب*". هذا ليس مجرد عمل إنسان، وليس لأحد مثلنا أن يمنح آخرين مثل هذا السلطان المجيد والعجيب لكي يكون لهم القدرة أن يدوسوا على كل قوة العدو، هذا بالحري عمل خاص بالله فقط، الذي هو العالي فوق الكل والمكلَّل بالكرامات الفائقة.

والموضوع يمكن أن يُشرح أيضًا بطريقة أخرى، فهو بهذا لا يدع للتلاميذ أي عذر للاستسلام للجُبن، ولكنه يطلب منهم بالحري أن يكونوا أقوياء القلب وشجعانًا. لأنه هكذا ينبغي أن يكون خُدَّام الكلمة الإلهية، غير جبناء، وغير مقهورين بالكسل، ولكن "*يكرزون بقوَّة عظيمة*" كما يقول الكتاب (أع٩: ٢٣)، وجسورين في متابعة أولئك الذين يُنظِّمون أنفسهم ضدهم، ويحاربون بشجاعة ضد العدو، فالمسيح الذي يساعدهم، وهو الذي سيُخضع قوات الشر الدنسة تحت أقدامهم، بل وحتى الشيطان نفسه.

" *من هو الإنسان الذي هو أقوى من رؤساء عالم الظلمة*" (أف٦: ١٢) أو أقوى من تلك الحية الخبيثة ورئيس الشر؟ لذلك فالذي يكسر رؤوس التنانين (مز٧٣: ١٣س) كيف يكون عاجزًا عن أن يُخلِّصهم من هجمات أي واحد من سكان هذا العالم؟ إذن ليس بدون نفع، يُعلن المسيح لتلاميذه: " *ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو*".

ولكنه يزيدهم منفعة إذ يضيف في الحال: "*لكن لا تفرحوا بهذا أنَّ الشياطين تخضع لكم، ولكن افرحوا بالحري أنَّ أسمائكم كتبت في السموات*" ألا تسمح يا رب للذين كرَّمتهم أن يفرحوا بما كرَّمتهم به ؟ ومكتوب عن الذين عُيِّنوا للرسولية: "*يا رب بنور وجهك يسلكون، باسمك يبتهجون اليوم كله، وبعدلك يرتفعون، لأنك أنت فخر قوتهم وبرضاك ينتصب قرننا*"(مز٨٨: ١٥ س)، كيف يا رب توصيهم إذن ألا يفرحوا بالمجد والكرامة التي منحتها أنت نفسك

هذا النوع، ولكنهم فرحوا فقط بسبب أنهم استطاعوا أن يسحقوا الشيطان.

وماذا كانت إجابة المسيح؟: "*رأيتُ الشيطان ساقطًا مثل البرق من السماء*" أي، أنا أعلم هذا تمامًا، لأنكم بما أنكم ذهبتم في هذه الرحلة بتفويض منِّي، فقد قهرتم الشيطان. "*رأيته نازلا كالبرق من السماء*"، أي سقط من العلاء إلى الخزي، من القوة العظيمة إلى منتهى الضعف. وهذا القول حق، فقبل مجيء المخلص تملك الشيطان على العالم، وكان الكل خاضعًا له، ولم يكن إنسان يقدر أن يفلت من شباك قوته الساحقة، الكل كانوا يعبدونه، وفي كل مكان كانت تُشيَّد له هياكل ومذابح لتقديم ضحايا، وكان له جمهور لا يُحصى من العابدين. ولكن لأن الابن الوحيد كلمة الله قد جاء من السماء، فإنه سقط مثل البرق، وهذا الذي كان قديمًا وقحًا ومتشامخًا، الذي كان يتنافس على مجد الألوهية، والذي كان يعبده كل الذين في الإثم، وُضع الآن تحت أقدام الذين كانوا يسجدون له. أليس حقًّا إذن سقط من السماء إلى الأرض، بمعاناته لمثل هذا السقوط الفظيع والمرعب؟

من هو إذن، الذي حطَّم قوَّته وأذلَّه إلى هذا الحضيض؟ واضح أنه هو المسيح، وهذا أعلنه لنا الرب في كلماته: "*ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء*". ولكن قد يجيب أحد ويقول: " إننا يا سيد نفرح بالمجد والنعمة اللتين منحتهما لنا، لأننا نعترف أنه حتى الشياطين تخضع لنا باسمك، وكيف إذن سنُخبر أولئك الذين يعرفون هذا وقد اعترفوا به صراحة"؟ "*ها أنا قد أعطيتكم سلطانًا أن تدوسوا الحيات والعقارب*". يقول، نعم ـــ إنَّني أدعوكم أن تتذكروا هذه الأشياء التي تعرفونها، حتى لا تنساقوا بجهالة اليهود، الذين إذ لا يعرفون سر تجسُّدي، فإنهم يقتربون منِّي كمجرد إنسان، ويضطهدونني قائلين: "*لماذا وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا؟*" (يو١٠: ٣٣). وهو يقول إنه كان واجبًا عليهم أن يعرفوا أنَّني، لست بكوني إنسانًا ـــ بحسب كلماتهم ـــ أقول عن نفسي إنَّني الله، ولكن بالحري إذ



أكلمهم" (إر١٤:١٤). وحتى لا يشك الناس في الذين أرسلهم المسيح، فإنه أعطاهم السلطان على الأرواح النجسة والقدرة على عمل الآيات، لأنه إذا ما تبعت المعجزة الإلهية الكلمة، فلن يمكن لا للمشتكي أو لليهودي الكاذب أن يجد فرصة ضدهم، لأنهم سيوبِّخون بسبب اتهامهم لهم بلا سبب، بل بالحري لأنهم قصدوا أن يُحارِبوا الله. إنَّ عمل المعجزات ليس في استطاعة أي إنسان، إلاَّ إذا أعطاه الله القوة والسلطان لهذا الغرض. إنَّ نعمة الروح شهدت لهؤلاء الذين أرسلهم المسيح أنهم لم يكونوا أشخاصًا ركضوا من أنفسهم، أو دعوا أنفسهم للكلام عن المسيح، بل على العكس، إنما هم قد أُقيموا ليكونوا خدامًا لرسالته.

إن السلطان الذي حمله التلاميذ لينتهروا الأرواح الشريرة، والقوة لسحق الشيطان، لم تُعطَ لهم لكي ينظر الناس إليهم بإعجاب، بل لكي يتمجَّد المسيح بواسطتهم، ولكي يؤمن أولئك الذين يعلِّمونهم أنه هو بالطبيعة الله وابن الله، ولكي يُكرَّم بالمجد العظيم والعلو والقوة لكونه استطاع أن يمنح الرسل القوة ليطأوا الشيطان تحت أقدامهم.

أما التلاميذ، الذين حُسبوا مستحقِّين لهذه النعمة العظيمة، فالكتاب يقول إنهم: "*رجعوا بفرح قائلين: يا رب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك*". إنهم اعترفوا بسلطان المسيح الذي شرَّفهم به، وتعجَّبوا من قوته الفائقة والعظيمة. ويبدو أنهم فرحوا، ليس كثيرًا بسبب أنهم خُدَّام للرسالة، ولا لأنهم حُسبوا أهلاً للكرامات الرسولية، بقدر فرحهم لأنهم صنعوا معجزات. ولكن كان من الأفضل لهم أن يعرفوا أنه أعطاهم القوة لصنع المعجزات لا لينظر إليهم الناس بإعجاب لهذا السبب، ولكن لكي تُقبَل بشارتهم وتعاليمهم، إذ يشهد الروح القدس لهم بالآيات الإلهية. كان الأجدر بهم أن يفرحوا بالذين رُبِحوا للمسيح ويجعلوا هذا سببًا للتهليل. كما افتخر الحكيم جدًّا بولس بالذين دُعُوا بواسطته قائلاً: "*يا سروري وإكليلي*" (فى٤: ١). أمَّا التلاميذ فلم يقولوا شيئًا من



عظة (٦٤)

المسيح يُخضِع الشياطين للتلاميذ

(لو ١٠: ١٧-٢٠) "*فَرَجَعَ السَّبْعُونَ بِفَرَحٍ قَائِلِينَ: يَارَبُّ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ! فَقَالَ لَهُمْ: رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ. هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَلاَ يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ. وَلكِنْ لاَ تَفْرَحُوا بِهذَا: أَنَّ الأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ، بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ* ".

قال أحد الأنبياء القديسين: " *هل يعمل الله شيئًا دون أن يُعلنه لخدّامه الأنبياء*" (عا٣: ٧)، لأن إله الكل قد كشف للأنبياء القديسين هذه الأمور التي ستحدث فيما بعد، لكي يُعلنوها مسبقا حتى أنه حينما يتحقّق ما قد سبق وأخبروا به فلا يمكن لأحد أن لا يصدّقهم. ومن يريد يمكنه أن يرى أنَّ ما قد أكّدناه الآن هو صحيح حتى من الدروس التي أمامنا. يقول الكتاب: "*فرجع السبعون بفرح قائلين: يا رب حتى الشياطين تخضع لنا باسمك*" لأن الرب عيَّن أولاً اثنا عشر تلميذاً قدّيسين ومختارين وجديرين بكل إعجاب. ولكن، وبحسب ما قد أوضح المسيح أنَّ " *الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون*" (لو١٠: ٢)، فإنه عين بالإضافة لهم سبعين آخرين أرسلهم إلى كل قرية ومدينة في اليهودية أمام وجهه، حتى يكونوا سابقين له، وليبشّروا بالأمور المختصة به.

وعندما أرسلهم، فإنه شرَّفهم بنعمة الروح القدس، وأيَّدهم بقوة عمل المعجزات حتى يصبح مستحيلاً أن لا يصدّقهم الناس، ولا أن يظنُّوا أنهم دعوا أنفسهم بأنفسهم إلى الرسولية، كما تنبأ البعض في القديم، كما يقول الكتاب: "*لم يتكلموا بما أوحى به فم الرب*" (إر٢٣: ١٦)، فيتقيأون كذبًا من قلوبهم. كما تكلّم الرب بفم إرميا في موضع آخر قائلاً: "*إنِّي لم أرسل هؤلاء الأنبياء ومع ذلك انطلقوا راكضين ولم أوحِ لهم ومع ذلك يتنبّأون*" (إر٢٣: ٢١) وأيضًا في موضع آخر: "*إن الأنبياء يتنبأون زورًا باسمي وأنا لم أرسلهم ولم آمرهم ولم*



صار جسدًا، أي إنسانًا وليس أنه اصطحب معه إنسانًا في كرامة متساوية، كما يتجاسر البعض ويُفكِّرون ويقولون بأن كلمة الله الذي من الآب نعتبـره ابنًـا على حِدة، أما الذي خرج من العذراء القدّيسة فهو آخر إلى جـواره منفـصلاً عنه وعلى حِدة. هذه هي الاختراعات الدنسة لهؤلاء الناس. أمَّا نحن فنوافـق المبارك بولس إذ يقول: "*رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحـدة*" (أف٤: ٥). فنحن لا نقسم غير المنقسم. ولكن نعترف بمسيح واحد، الكلمة الذي مـن الله الآب، الذي تجسَّد وصار إنسانًا، الذي تعبده الملائكة وتكرمه، ونحـن أيـضًا نُسبِّحه معهم ونكلِّله بالمجد الإلهي، ليس كإنسان أصبح إلهًا بل كإلـه صـار إنسانًا. وإذ نتمسَّك بهذا الرأي عنه، فإننا بواسطة (شخصه) سـندخل ملكـوت السموات، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

من ذلك أنه كما يؤكدون لم يكن موجودًا في البدء، لأنه لا يمكن للمخلـــوق أن يكون بلا بداية. فكيف يقول الحكيم بولس إذن: "*الآب بـــه عمـــل العـــالمين*" (عب١: ٢). فإن كان مخلوقًا، فلابد أن يكون له بداءة وجود، ولابد أنه قد كـــان هناك زمان سابق على وجوده، وكان لابد أيضًا من وجود زمان لم يكن فيـــه الآب أبًا كما يدل اسمه، بل لم يكن على الإطلاق أبًا بالطبيعة، ولذلك تكـــون الكلمة التي أتت إلينا بشأنه غير صحيحة. وهكذا يصير أيضًا بالنسبة للابـــن، ويكون كلا الاثنان قد دُعيا هكذا كذبًا.

كيف إذن يمكن أن نصدّق قول الابن "*أنا هو الحق*" (يو١٤: ٦)، كيف يكون هو الحق ذاك الذي لا يكون بحسب ما يدل عليه اسمه، وكيف لا يكون بولس مخطئًا في كلماته عندما يكتب: "*لأن ابن الله يسوع المسيح الذي كُرِز به بينكم بواسطتنا أنا وسلوانس وتيموثاوس لم يكن نعم ولا*" (٢كو١: ١٩). كيف " لم يكن نعم ولا" أن قيل إنه الله، ولم يكن هو الله بالطبيعة؟ وأن يُدعى ابنًا "وهو لـــيس ابن الآب؟" إذ قالت الكتب الإلهية المُوحَى بها إنَّ العالمين خُلِقت به، بينما كان هناك وقت قبل وجوده؟ إذا كانت كل الأشياء قد وُجِدت به بينما هو نفسه واحد من هذه الموجودات، إذا اعتبرناه مخلوقًا؟ إذًا فهل هو دُعي بالابن الوحيد وهو ليس هكذا بالحق؟ لأن الأشياء التي أُوجِدت من العدم بـــالخلق، توجـــد بـــين بعضها البعض قرابة. ولكننا نحن لا نتبع كلمات هؤلاء القوم الباطلة، ونهمـــل كتابات الرسل والمبشِّرين القدّيسين. أي نحن لا نرذلهم لكي لا نرذل المـــسيح وبه ومعه نرذل الآب. نحن نؤمن بأن الابن الوحيد كلمة الله هو الله، وهو ابن الله بالطبيعة، وأنه غير مخلوق ولا مصنوع بل هو خالق كل الأشياء، ولـــيس سَمّوه هكذا فقط بل هو بالحري جوهريًّا مع الآب عال فوق الكـــل. وعنـــدما تسمع أيضًا البشير يوحنا يقول: "*والكلمة صـــار جـــسدًا*"، فـــنحن لا نُزيِّـــف التعبير، ولا نستعمل العنف ضد هذه الإعلانات الواضـــحة، ولا نقلـــب ســـر المسيح إلى ما هو ليس صحيحًا. نحن نؤمن أنَّ الكلمة، مع أنه هـــو الله، فقـــد

" الذي يسمع منكم يسمع مني". إنه يُعطي هؤلاء الذين يبغون التعلُّم الضمان بأن كل ما يقوله الرسل الأطهار أو الإنجيليين عنه يجب أن يُقبَل بدون شك، وأن يُكرم بكلمات الحق، لأن من يسمع منهم يسمع من المسيح، كما يقول المغبوط بولس أيضًا: "*أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلم فيَّ*" (٢كو١٣: ٣)، والمسيح نفسه يقول للرسل القديسين في مكان آخر: "*لستم أنتم المتكلِّمين ولكن روح أبيكم الذي يتكلَّم فيكم*" (مت١٠: ٢٠)، فالمسيح يتكلَّم فيهم بالروح القدس الواحد معه في الجوهر. وإذا كان هذا صحيحًا وواضح أنه صحيح، أنهم يتكلمون بالمسيح، فكيف يمكن للإنسان أنَّ يخطئ ضد ما هو أكيد: أي أنَّ من لا يسمع لهم لا يسمع للمسيح، ومن يرذلهم يرذل المسيح ومعه الآب.

فالعقاب المقرر للهراطقة الأشرار محتَّم، لأنهم يرفضون كلمات الرسل القديسين والبشيرين ويقلبون معاني هذه الكلمات التي بدون فحصها جيدًا تبدو لهم صحيحة. إنَّهم يحيدون عن الطريق المستقيم، ويضلُّون عن تعاليم التقوى: "*مضلِّين ومضَلّين*" (٢تي٣: ١٣)، لأنهم إذا تحوَّلوا عن الكتب المقدسة فإنهم يتكلمون من قلوبهم وليس من فم الله (إر٢٣: ١٦ س) كما يقول الكتاب.

فبينما يكتب المغبوط يوحنا البشير: " *في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله*" (يو١:١)، نراهم يقلبون كلاًّ من العقيدة الخاصة بالمسيح والاقتباس الدال عليها إلى العكس تمامًا قائلين إنَّ الكلمة، الابن الوحيد من الله، لم يكن في البدء، وليس الله نفسه، بل وأيضًا لم يكن مع الله، أي في اتحاد معه بالطبيعة، لأن غير المادي كيف يمكن تصور وجوده في أي مكان؟ هؤلاء المتوقِّحون يقولون إنه مخلوق، ويقيسون مجده بأن يرفعوه فوق المخلوقات بقدر ما تحمل اللغة من ثناء، وإذ يخترعون هذه العظمة المجرَّدة والعارية يظنون أنهم يضعون شيئا بحكمة أو حتى بتقوى، ولا يدرون أنه لو اعتُبر لأي سبب أنه مجرد كائن مخلوق، فإنه يصبح من العبث إثبات أنه الله حقًّا، وإن كان من أي وجهة هو مخلوق، وطبيعته مشابهة للأشياء المخلوقة، فينتج

عظة (٦٣)
كرامة الرسل وألوهية المسيح

(لو ١٠: ١٦) *"اَلَّذِي يَسْمَعُ مِنْكُمْ يَسْمَعُ مِنِّي، وَالَّذِي يُرْذِلُكُمْ يُرْذِلُنِي، وَالَّذِي يُرْذِلُنِي يُرْذِلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي"*[1].

عندما يريد الذين يتسلطون على الممالك الأرضية والذين لهم السلطة العالمية أن يُبجِّلوا الناس المشهورين بكرامات هذا العالم فإنهم يرسلون إليهم الرسائل المحتوية على المراسيم التي تأمر بتعيينهم، وتحوى هذه الرسائل تزكيات لهم وإشادة بأفضالهم. هذا ما نرى المسيح يفعله الآن. ما أعظم السلطان الذي خوّله المسيح للرسل القديسين وجعلهم جديرين بالمديح وزيَّنهم بأعظم الكرامات. دعونا نبحث في الكتاب المقدس أي كنز كلمات الإنجيل المكتوبة، فنرى هناك عَظَمَة السلطان المعطَى لهم، فنجد: " *الذي يسمع منكم يسمع مني، والذي يرذلكم يرذلني، والذي يرذلني يرذل الذي أرسلني*" يا له من شرف عظيم! إنها كرامة لا تقارن بأي شيء! ما أعظم هذه العطية التي تليق بالله! فمع أنهم بشر، وأولاد التراب، فالرب يُسربلهم بمجد إلهي، ويأتمنهم على كلامه، حتى يدينوا المقاومين والذين يجرؤون على رفضهم، وهو يؤكد أنه بشخصه هو الذي يتألم من رفض المقاومين لهم، وأن ما يُصنع ضده يمتد إلى الله الآب، فانظروا إذن وافهموا بعيون ذهنكم لتروا إلى أي ارتفاع يرفع خطية القوم الذين يرفضون القديسين، يا له من سور يحيطهم به، وأي طمأنينة عظيمة يوجدها لهم، ويجعلهم مهوبين بكل الطرق ويحفظهم من الأذى.

وتوجد وسيلة أخرى يمكنكم بها فهم معاني حديث المسيح وهو يقول:

---

[1] نلاحظ أنّ القديس كيرلس قد عبر على الأعداد ٨ ـ ١٥ المحتوية الويلات الموجَّهة إلى مدن كورزين وبيت صيدا وكفر ناحوم لأنها لم تقبل تعاليم المسيح. كما وفي مناسبة أخرى مختلفة يحذف فقرات أخرى، وهذا ربما بسبب أنه قام بشرحها في أوقات أخرى.



الرسل، وللذين يجعلون من تعاليمهم الجديرة بالاعتناق، فرصة أحياناً للسخرية، كيف يمكن لهؤلاء أن يقبلوا الرسل كمستحقِّين لإعجابهم؟ وهذا ما حدث في أثينا أيضًا، فالبعض هزءوا ببولس الإلهي لمَّا علّمهم " أنَّ *الله لا يسكن في هياكل مصنوعات بالأيادي*" (أع١٧: ٢٤)، فهو غير مادي ولا نهاية له، وهو الذي يملأ الكل ولا يحويه شيء، ثم بيَّن لهم أنه يُعلِّمهم عن " الذي مع أنهم لا يعرفونه يتصوَّرون أنهم يعبدونه بالحق" ولكنهم إذ سلَّموا أنفسهم للعجرفة وهم يُعظِّمون أنفسهم بسبب طلاقة ألسنتهم قالوا في غبائهم: " *ماذا يريد هذا المهزار أن يقول؟ لأنه يظهر مناديًا بآلهة غريبة*". أما كلمة مهزار Seed Picker فهي اسم لطائر لا قيمة له، والذي من عادته أن يلتقط البذار من الطريق، وهم إذ يُشبِّهون بولس الإلهي به، فإن هؤلاء الأغبياء يهزأون بكلمة الخلاص التي قُدِّمَت لهم.

لذلك أوصاهم المسيح أن يسكنوا مع أبناء السلام، وأن يأكلوا على نفقتهم، مبينًا أنَّ هذا قانون عادل "*لأن الفاعل مستحق أجرته*" ؟ لذلك يجب على كل من يقبل الحق ألاَّ يهمل بل يعتني بواجب إكرام القديسين لأنهم يباركوننا: حينما يزرعون لنا الروحيَّات، فإنهم يحصدون منا الجسديَّات، " *هكذا أَمَرَ الرب أيضًا أنَّ الذين ينادون بالإنجيل مِن الإنجيل يعيشون*" (١كو٩: ١١، ١٤) حيث إنه أيضًا بحسب ناموس موسى فإن " *الذين يُقدِّمون الذبائح يُشارِكون المذبح*".

فيجب على الذين لا يعتنون بإكرام القديسين ويمسكون أيديهم بشح عنهم، أن يتأكدوا أنهم إنما يحرمون أنفسهم من بركتهم، وليكن نصيبنا في أن نكون شركاء البركات التي أعدَّها الله لهم، بأن نقدِّم لهم كثمر أي شيء نملكه، ونفعل هذا بشعور المسرَّة، لأن المُعطِي المسرور يُحبه المسيح (٢كو٩: ٧) الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين آمين.

لا يكون مناسبًا لهؤلاء الذين أُرسلوا ليُغيِّروا الذين في الظلمة، وليأتوا بهم إلى معرفة الحق، أن يستخدموا الرقة واللطف بدلاً من أن يبتعدوا عنهم بخشونة ويرفضون مصاحبتهم، بل وحتى يرفضون السؤال عن صحتهم؟ فبالتأكيد إنه بالإضافة إلى الصفات الأخرى الجيِّدة، فإن رقَّة الحديث مع صفات حسنة أخرى هي أمور تليق بالقديسين، وهكذا التحيات ما دامت تؤدَّى بطريقة مناسبة. وقد يحدث أن يكون مَن يتقابلون معهم، ليسوا مِن غير المؤمنين بل مِن نفس معتقدهم، أو مِن الذين سبق أن استنيروا، الذين يجب تقديم المحبة لهم عن طريق تحيَّة رقيقة.

فماذا يقصد المسيح إذن من تعليمه هذا؟ إنه لا يوصيهم أن يكونوا شرسين ولا يأمرهم أن لا يهتموا بعدم التحيَّة، هو بالحري يُعلِّمهم أنَّ يتحاشوا مثل هذا التصرف. ولكن السبب هو أنه قد يحدث أنه بينما يسافر التلاميذ بين المدن والقرى ليعلِّموا الناس الوصايا المقدسة، فإنهم قد يرغبون في أداء هذه المهمة، ليس بسرعة بل بتلكؤ وإذ يحيدون عن الطريق ليروا صديقًا أو آخر، وهكذا فإنهم سيصرفون الوقت المناسب للتعليم بإضاعته في أشياء غير هامة، لذلك فهو يقول لهم: كونوا متحمِّسين وفى اجتهاد شديد لتوصيل رسالتكم المقدسة، وألا يبطئوا بلا سبب من أجل صداقة ما، ولكن ليكن ما يرضي الله هو المُفضَّل لديكم عن كل الأشياء الأخرى، وهكذا إذ تمارسون اجتهادًا لا يقاوَم ولا يُعرقَل، فإنكم تمسكون تمامًا باهتماماتكم الرسوليَّة.

وإلى جانب ذلك هو يوصيهم أيضًا قائلا: "*لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير*" (مت٧: ٦)، وذلك بأن يمنحوا لغير المؤمنين الشركة بالإقامة عندهم، بدلاً من أن يمنحوها متفضِّلين بها لمن يستحقون، بأن يكونوا أبناء سلام ومطيعين لرسالتهم، لأنه أمر مكروه لهم أن يقتربوا مع من لا يزال يقاوم مجد المسيح، ويخطئ بعدم الإيمان، لأنه " أي *نصيب للمؤمن* مع غير *المؤمن*؟" (٢كو١١: ١٥)، لأنه كيف يمكن للذين لم ينصتوا بعد لكلمات



أحرارًا من جميع مجاذبات هذا العالم ومن كل اهتمام عالمي، حتى يكونوا متمنطقين بإحكام، ولابسين السلاح الروحي، فإنهم يجاهدون باقتدار ضد أولئك الذين قاوموا مجد المسيح، وقد جعلوا كل الذين تحت السماء غنيمة لهم، لأنهم جعلوا سكانها يعبدون المخلوق بدلاً من الخالق، وأن يُقدِّموا خدمة دينيَّة لعناصر الكون، فيجب أنَّ هؤلاء التلاميذ يتسلَّحون بترس الإيمان ودرع الحق وسيف الروح الذي هو كلمة الله، حتى يبرهنوا أنهم بحق مقاومين للأعداء لا يقهرون، فلا يجرُّون خلفهم حملاً ثقيلاً من الأشياء التي تستوجب اللوم والإدانة: كمحبة الغنى، والمدخرات من الأرباح الخسيسة، والتلهف نحوهما، لأن هذه الأشياء تحيد بذهن الإنسان عن السلوك الذي يرضي الله، ولا تسمح له بالصعود نحوه، بل بالحري تحدره إلى مشاعر متعلِّقة بالتراب والأمور الأرضية.

فبتوجيه الرب للتلاميذ ألاَّ يحملوا كيسا ولا مزودا... وبالأكثر ألاَّ يشغلوا أنفسهم بالحذاء، فهو إنَّما يُعلِّمهم بوضوح أنَّ وصاياه تلزمهم أن يتخلوا عن كل غنى جسداني وأن يتحرَّروا من كل عائق عند دخولهم إلى العمل الذي دعوا خصِّيصًا له: عمل الكرازة، أي تعليم سر المسيح للناس، في كل مكان، وأن يربحوا إلى الخلاص الذين كانوا متورِّطين في شباك الهلاك.

ثم يضيف على هذا أنهم: "*لا يسلِّموا على أحد في الطريق*"، ولكن أي ضرر يسبب السلام للرسل القديسين؟ تعالوا إذن، تعالوا لنرى لماذا وجب عليهم ألاَّ يُسلِّموا على أحد من الذين يقابلونهم، بلا شك سوف تقول إنه قد يحدث أن يقابلوا غير مؤمنين، فلا يصح إذن لهؤلاء الذين لا يعرفون هذا الذي هو الله بالطبيعة وبالحق، لا يصح أن يتقبلوا البركة من التلاميذ.

ماذا نقول ردًّا على هذا التفكير؟ ألا يظهر أنه افتراض غير مقبول أن يكون هذا هو السبب الذي لأجله أوصاهم الرب ألاَّ يُسلِّموا على أحد في الطريق؟ لأنه أرسلهم لا ليدعوا أبرارًا بل خطاة إلى التوبة (مت٩: ١٣)، فكيف

وكل صلاح. ما يريده منهم إذن هو أنهم عندما يُعلِّمون الناس في كل مكـــان بالكلمة التي قالها لهم، وفي دعوتهم لسكان الأرض كلها الخلاص، يجب عليهم أن يسافروا بلا كيس ولا مزود ولا أحذية، وأن يمضوا بسرعة من مدينة إلى مدينة ومن مكان إلى مكان. ولكن يجب ألاَّ يقول أحد بأي حال أنَّ الهدف من تعليمه هذا هو أن يجعل الرسل يرفضون استخدام الأدوات الطبيعية، لأنه ماذا ينفعهم أو ماذا يضرهم إذا كان لهم حذاء في أرجلهم أو يمضوا بدونه، ولكـــن الذي يرغب أن يَعلَموه من هذه الوصية وأن يجتهدوا أن يمارسوه هـــو هـــذا بالتأكيد: ينبغي أن يلقوا بكل تفكير في احتياجهم وقُوتِهم عليـــه، وأن يـــتذكروا القديس الذي قال: "*ألقِ على الرب همك فهو يعولك*" (مز٥٤: ٢٢) لأنه يُعطـــي القديسين ما يلزمهم للحياة، وهو لا يتكلم عبثًا حيث يقول: "*لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون، لأن أباكم السماوي يَعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها. لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تُزاد لكم*" (مت٦: ٢٥).

لأنه كان حقًّا لائقًا جدًّا بهؤلاء المتحلِّين بالكرامات الرسوليَّة أن يكون لهـــم ذهن خالٍ من الشهوة، وكارهًا تمامًا لتقبُّل الهدايا، بل وبالعكس قانعًا بما يمنحه الله، لأنه كما يقول الكتاب: "*لأن محبة المال أصل لكل الشرور*" (١تـــي٦: ١٠)، لذلك كان يجب ــ ومن كل جهة ــ أن يكونوا أحرارًا ويكونوا معفين مما هو أصل ومُغذِّي كل الشرور، ويُوجِّهوا كل غيرتهم إلى واجباتهم الضرورية، فلا يتعرضوا هكذا لهجوم الشيطان إذ أنهم لا يأخذون معهم أي ثروة عالمية، لكن يحتقرون أمور الجسد راغبين فقط في ما يريده الله.

وكما أنَّ الجنود الشجعان عندما يمضون إلى المعارك لا يحملون معهم شيئًا سوى ما يخص الحرب فقط، هكذا كان لائقًا أنَّ أولئك الذين أرسلهم المـــسيح ليعينوا العالم وليشنُّوا حربًا ضد "*ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر*" (أف٦: ١٢)، نعم بل وضد الشيطان نفسه، لحساب الذين كانوا في خطر، يجب أن يكونـــوا



عظة (٦٢)

" لأجل تذكارات الرسل " ـ٢

(لو١٠: ٤ــ٧): *"لاَ تَحْمِلُوا كِيسًا وَلاَ مِزْوَدًا وَلاَ أَحْذِيَةً، وَلاَ تُسَلِّمُوا عَلَى أَحَدٍ فِي الطَّرِيقِ. وَأَيُّ بَيْتٍ دَخَلْتُمُوهُ فَقُولُوا أَوَّلاً: سَلاَمٌ لِهذَا الْبَيْتِ. فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ ابْنُ السَّلاَمِ يَحُلُّ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ، وَإِلاَّ فَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ. وَأَقِيمُوا فِي ذلِكَ الْبَيْتِ آكِلِينَ وَشَارِبِينَ مِمَّا عِنْدَهُمْ، لأَنَّ الْفَاعِلَ مُسْتَحِقٌ أُجْرَتَهُ. لاَ تَنْتَقِلُوا مِنْ بَيْتٍ إِلَى بَيْتٍ "*.

النحلة الحكيمة الماهرة تزور الزهور في الحقول والمروج، وتجمع الأكل من عليها ومنه تصنع العسل الحلو، والحكيم سليمان يدعونا لنحاكيها في سلوكها فيقول: " *اقترب من النحلة وتعلم من كدها، وكم هو رائع نتاجها، لذلك فهو ممدوح ومحبوب من كل الناس، ومن (نتاجها) يستخدم الملوك والعظماء لأجل صحتهم*" (أم٦: ٨ س). تعال الآن إذن ودعنا نتجوّل في المروج العقلية لنجمع الندى المتساقط من الروح القدس على رسالة الإنجيل الإلهية، حتى إذا ما امتلأت عقولنا بالغِنى نحصل على العسل الروحاني، أي الكلمة المفيدة والنافعة لكل العطاش لوصول التعاليم الإلهية، إن كانوا نبلاء مشهورين أو خاملي الذكر أو بسطاء في دعة من الحياة، لأنه مكتوب " *الكلمات الطيِّبة كقرص الشهد وحلاوتها شفاء للنفس*" (أم١٦: ٢٤).

والآن ماذا تكون هذه الكلمات الطيِّبة الرقيقة إلاَّ ما يقوله لنا المسيح، جاعلاً هؤلاء الذين يحبونه حاذقين بسبب تكرار تعليمهم في السعي المقدس؟ وخذ دليلاً على كلامي هذه العبارات التيْ تُلِيَت على مسامعنا الآن: "*لا تحملوا كيسًا ولا مزودًا ولا أحذية*". أتوسل إليك، تفهَّم طبيعة طريق القداسة الرسولي المرسوم لهم، لأنه يجب على هؤلاء الذين سيصيرون أنوارًا ومعلِّمين لكل الذين تحت السماء ألاَّ يتعلموا من آخر سوى الذي هو الكلمة الذي نزل من فوق، من السماء، نبع الحكمة والنور العقلي، الذي منه يأتي كل فهم ومعرفة

والملوثين بالخطية مع القديسين، أي هؤلاء الذين من قطعان الأمم مع أولئك الذين آمنوا من إسرائيل، وعن هذا يتكلم إشعياء النبي بالروح ويقول: "*فيرعى الذئب مع الحمل، ويربض النمر مع الجدي، وترعى البقرة والدب معًا، ويأكل الأسد والثور التبن معًا، ويربض أولادهما معًا*" (إش١١: ٦ س).

اعلم أيها الحبيب وافهم، أنَّ أولئك الذين تقدَّسوا بالإيمان لم يشاكِلوا الأمم في عاداتهم، بل بالعكس، فإن المدعوِّين من الأُمم هم الذين شاكلوهم، فإن الذئب والأسد والنمر والدب هي حيوانات آكلة لحوم، أمَّا الحيوانات ذات الطبيعة الهادئة كالجداء والحملان والثيران تغتذي بالعشب. ولكن الحيوانات المفترسة، يقول النبي، سوف ترعى مع الحيوانات الأليفة وتغتذي بطعامها. إذن فليست الحيوانات الأليفة هي التي شاكَلَت عادات المتوحشة، لقد حدث العكس كما قلت، إذ تمثَّلَت الحيوانات المتوحشة بالحيوانات الأليفة، إذ تخلُّوا عن الاتجاهات الشرسة وتحولوا إلى الوداعة التي تليق بالقديسين، وتغيَّروا بالمسيح حتى صارت الذئاب حملانًا، لأنه هو الذي صيَّرهم ودعاء، ووحَّد الشعبين كما قلت، إلى ذهن مملوء بمحبة الله. هذا ما أعلنه موسى النبي في القديم صارخا: "*تهَلَّلوا أيها الأمم مع شعبه، أعطوا عـزَّة لله*" (تـث٣٢: ٤٣ س). فلنعظِّمه ونكرِّمه بالتماجيد، بسبب المخلِّص رب الكل الذي به وله مع الآب التمجيد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين.



الذي كان في القديم ذئبًا أصبح أكثر وداعة من الحمل، وكرز بالإيمان الـــذي كان يوما يضطهده، وكان مثل هذا التغيير غير المنتَظَر دهشة لجميع النـــاس، والمسيح تمجد، لأنه غيَّره من وحش مفترس إلى حمل. وهذا ما أنبأ به يعقوب الإلهي في بَرَكته بشأنه إذ قال: "*بنيامين ذئب مفترس، في الصباح يأكل لحمًا، وفى المساء يقسم غنيمته*" (تك٤٩: ٢٧ س). لأن الحكيم بولس كـــان مـــن ســـبط بنيامين، وكان في الأول كذئب مفترس يقاوم الذين آمنوا بالمسيح، ولكن بعـــد وقت قصير أي فترة، كما من الصباح إلى المساء، قسم غنيمته، لأنه علَّم عن يسوع وكرز به، والأطفال في المعرفة سقاهم لبنًا، أما البالغين فقدم لهم طعامًا قويًّا. ففي الصباح يأكل لحمًا وفى المساء يقسم ذبيحته، وهذا شيء مختـــصر فيما يخص المبارك بولس.

ولكن هيا بنا نناقش نقطة مشابهة، ألا وهي دعوة الأمم، دعنا نرى مـــا إذا كانوا ــ في وقت ما ــ هم أيضًا وحوشًا كاسرة، وأكثر توحشًا من الذئاب ضد خدام رسالة إنجيل الخلاص، وكيف أنَّهم تحوَّلوا إلى الوداعة وعـــدم الغـــش بمعونة المسيح، فهم أيضًا اضطهدوا الرسل القديسين، ليس كأناس يحـــاربون الذئاب، بل كالوحوش المفترسة يهيجون بوحشيَّة ضد الحملان، ورغم أنهم لم يسيئوا إليهم بل دعـــوهم إلـــى الخـــلاص، إلاَّ أنهـــم رجمـــوهم وســـجنوهم واضطهدوهم من مدينة إلى مدينة، إلاَّ أنَّ هؤلاء الذين تـــصرفوا هكـــذا أولاً أصبحوا فيما بعد ودعاء وبلا غش، وصاروا كـــالحملان التـــي كـــانوا قـــد اضطهدوها!

مَن سوى يسوع المسيح ربنا يعمل كل هذه الأمور؟

لأنه هو أيضًا الذي "*نقض حائط السياج المتوسط مبطلاً ناموس الوصـــايا في فرائض، والذي خلق الشعبين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا صانعًا ســـلامًا مصالحًا الاثنين في جسد واحد مع الآب*" (أف٢: ١٤). ها قـــد صـــار انـــضمام للإيمان باتفاق واتحاد الفكر والإرادة ــ للمتوحشين مع الودعـــاء، للنجـــسين

الجنود، لا تتزعج أفكاركم من كل هذه الأشياء التي ترونها، فنحن لسنا ضعفاء، ولسنا غير محنَّكين في القتال، ولكن اعرفوا جيدًا طرق القتال، فنحن نملك دروعًا مصفَّحة قوية الصنع، ونملك أسلحة وسيوفًا وأيضًا أقواسًا ورماحًا، وبالجهاد سننال النصرة، وشجاعة القلب ستحرز لنا بحق شهرة مجيدة. هكذا إذا جاز لنا القول فإن مخلِّصنا أرسل تلاميذه إلى جموع غير المؤمنين قائلاً: "*ها أنا أرسلكم مثل حملان بين ذئاب*".

ماذا تقول أيها الرب، كيف يستطيع الحمل أن يتحدَّث مع الذئاب؟ متى كان الحيوان المفترس في سلام مع الحمل ؟ فبالكاد يستطيع الرعاة أن يحموا قطعانهم بجمعهم في الحظائر وأن يغلقوا عليها داخل السياجات، وبتخويف الوحوش التي تريد أن تفترس الحملان بواسطة نباح الكلاب، بل وأيضًا يحاربون بأنفسهم ليدافعوا عنها، ويخاطرون لأجل حماية الأعضاء الضعيفة في قطيعهم. كيف إذن يأمر الرب الرسل القديسين الذين بلا لوم ــ كحملان ــ أن يصاحبوا الذئاب ويذهبوا إليهم بأنفسهم؟ أليس الخطر ظاهرًا؟ أمَا يصبحون فريسة جاهزة لهجماتها؟ كيف يستطيع الحمل أن ينتصر على الذئب؟ كيف يمكن للمسالم جدًّا أن يقهر توحش الحيوانات المفترسة؟ نعم، إنه يقول: أنا الراعي لهم جميعًا، للصغير وللكبير، لعامَّة الناس وللأمراء، للمعلِّمين والمتعلِّمين، سأكون معكم وأساعدكم وأخلِّصكم من كل شر. سأذلِّل الحيوانات المتوحِّشة، سأغيِّر الذئاب إلى حملان، وسأجعل المضطهِدين مساعدين للمضطهَدين وسأجعل من يسيئون إلى خرافي شركاء في خططهم المقدَّسة، أنا أصنع كل الأشياء، وأنا أحلها، ولا يوجد شيء يستطيع أن يقاوم إرادتي.

هذه هي النتيجة الفعلية التي حدثت والتي نراها في أمثلة تمَّت بالفعل، فبولس الإلهي كان مجدِّفًا ومضطهِدًا، كان أكثر إيذاءً وقسوة من أي ذئب على أولئك الذين آمنوا بالمسيح، فهل استمرَّ في هذا السلوك؟ هل ظلَّ ذئبًا إلى النهاية؟ كلاَّ بالمرة، لأنه دُعِيَ من المسيح واختبر تغييرًا غير متوقَّع، وهذا



عظة (٦١)

" لأجل تذكارات الرسل "

(لو ١٠: ٣) "*اِذْهَبُوا! هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ مِثْلَ حُمْلاَنٍ بَيْنَ ذِئَابٍ* ".

الذين يمدحون الكلمة الإلهية والمقدَّسة بصواب وبدون خطأ، هم بالتأكيد حلفاء تعاليم الحق وهم أفضل معلميه، ويعرفون جيدًا كيف يقودون باستقامة كل من يرغب في النمو في المسيح، إلى كل عمل صالح وإلى الحياة غير الفاسدة، وإلى الاشتراك في البركات الموهوبة لنا. وعن هؤلاء يُعلن الحكيم جدًّا بولس أنهم "*أنوار في العالم متمسكين بكلمة الحياة*" (فى٢: ١٥).

والتلاميذ الإلهيون هم أول هؤلاء الرجال البارزين والمشهورين، ويُعتبرون المتقدمين في الترتيب، كان لهم معلّمًا هذا الذي هو المُعطِي لكل فهم، والذي يسكب نوره على أولئك الذين يحبونه، فهو النور الحقيقي الذي ينير السماء بل والقوات التي فوق، وهو الذي يُخلِّص من الجهالة والظلمة أولئك الذين على الأرض أيضًا. لاحظ كيف أنه جعل المعلِّمين المعيَّنين (للكرازة) لكل الذين تحت الشمس، فَعَلَة مستعدِّين، ذوي غيرة شديدة، وقادرين أن يفوزوا بمجد الانتصارات الرسولية، غير مفضِّلين أي أمر من شئون العالم على واجب الكرازة بالرسالة المقدَّسة، وهكذا أعدُّوا ذهنهم بكل شجاعة أن يرتفعوا فوق كل المخاوف، لا يرتعبون ولا قيد أنملة في الشدائد، ولا ينزعجون من الموت ذاته عندما يأتي عليهم لأجل المسيح. لأنه يقول لهم: "*اذهبوا*". وفي هذه الكلمة "*اذهبوا*" يُشجِّعهم ليصيروا أشدَّاء، ويجعلهم يرغبون باشتياق في الانتصارات المقدَّسة، وهكذا يُؤسِّسهم ثابتين راسخين أمام كل تجربة، ولا يدعهم ينكمشون أمام عنف الاضطهادات. وعندما تبدأ المعارك، ويُفرِغ الأعداء سهامهم، فإن القادة الأبطال يُشجِّعون مَن تحت إمرتهم أن يقاوموا هجمات العدو، ويحتملوا بشجاعة، فيقولون لهم مثل هذه العبارات: " يا رفاقنا



وقرية وهم يصرخون بكلمات يوحنا "*أعدُّوا طريق الرب*" (مت٣:٣).

ولاحظوا أنه بينما يقول المسيح "*اطلبوا من رب الحصاد أن يُرسِل فعلة إلى حصاده*"، فهو يفعل هذا بنفسه، ورغم أنَّ الذي مَعَنا الآن هو رب الحصاد، أي رب سكان الأرض، إلا أنه هو نفسه بالطبيعة وبالحق، "الله"، لأنه كما يقول الكتاب "*له الأرض وملؤها*" (مز٢٤: ١)، وهو خالق الكل ومصوِّرهم، ولكن إن كان من اختصاص الله العلي وحده أن يُرسِل فعلة " فكيف حدث أنَّ المسيح هو الذي عيَّنهم ؟ أفليس هو إذن رب الحصاد، والله الآب، معه، هو رب كل شيء. كل شيء إذن له، ولا يوجد شيء مِمَّا يُسمَّى، يخص الآب إلاَّ ويخص الابن أيضًا. فهو نفسه قال للآب: "*أولئك الذين أعطيتني من العالم، كانوا لك وأعطيتهم لي*" (يو١٧: ٦) فكما قلت، إن كل ما يخص الآب واضح أنه يخص الابن، وهو يشع بأمجاد أبيه، فمجد الألوهية يخصه، لا كشيء موهوب له من آخر، ولكن قائم في كرامة تخصه بالطبيعة، تمامًا مثل الذي هو ابنه، والحكيم يوحنا يؤكد أيضًا أننا جميعنا له، فيقول عنه: "*أنا أعمدكم بماء. ولكن يأتي بعدي مَن هو أقوى مني، هو سيعمدكم بالروح القدس والنار، الذي رفشه في يده، وسينقى بيدره، وسيجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ*" (مت٣: ١١).

ليت نصيبنا إذن كقمح عقلي، أن نُحمل إلى المخزن أي إلى المنازل العلوية: لكي ننعم هناك في صحبة القديسين بالبركات التي يمنحها الله في المسيح، الذي به ومعه لله الآب المجد والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



التي أراها الله للمبارك موسى مثالاً له. فالآن إذ قد تغيَّر الظل إلى التأمل الروحي، فنحن نرى بعيون العقل سر المسيح الذي كان مخفيًّا في رموز الناموس. لذلك فرغم أنَّ الناموس كان مُرًّا، فقد بطل أن يصير هكذا فيما بعد.

وبعد مارة أتوا إلى "إيليم" ومعناها "زيادة أو صعود" وماذا كان أيضًا في إيليم؟ "*اثنتا عشر عين ماء وسبعون نخلة*" (خر ٢٥: ٧)، لأنه كلما صعدنا إلى معرفة أكمل، وكلما أسرعنا إلى النمو الروحي، فإننا نجد اثنتي عشر عين ماء، أي الرسل القديسين، وسبعين نخلة أي هؤلاء الذي عيَّنهم المسيح. فحسن جدًّا أن يُشبَّه التلاميذ بالينابيع، والسبعين الذين أقامهم بعد ذلك بشجر النخل. فكما أننا نحصل من تلاميذ المسيح على معرفة كل صلاح كما من ينابيع مقدَّسة "فإننا نكرم السبعون أيضًا وندعوهم بالنخيل، لأن هذه الشجرة قوية، وذات جذر ثابت، ومثمرة جدًّا وهى تنمو دائما بجوار المياه، ونحن هنا نؤكد أنه هكذا ينبغي أن يكون القديسون ذوي ذهن نقي، ثابتين، مثمرين، ويبهجون أنفسهم باستمرار بمياه المعرفة.

ولنرجع الآن إلى ما كنا نقوله أولاً أنَّ الرب، "*عيَّن سبعين آخرين*". ولكن ربما يظن البعض أنَّ الأولين قد رُفِضوا وجُرِّدوا من كرامة الرسولية، وأنَّ الآخرين رُفِعوا بدلاً منهم لأنهم أقدر منهم على التعليم، فلنُبعِد هذه الأفكار عن عقولنا.

فإن الذي يعرف القلوب، والعارف بالأمور الآتية يقول: "*إن الحصاد كثير، اطلبوا من رب الحصاد أن يُرسل فعلة إلى حصاده*". فكما أنَّ الأرض الممتلئة بمحصول وافر، وهى واسعة وممتدَّة، تحتاج إلى عدد كبير من الفعلة القادرين، فكم بالحري كل الأرض، بل وجماعة مَن سيؤمنون بالمسيح كم هي عظيمة وغير محصاة، وتحتاج ليس إلى عدد قليل من الفعلة بل إلى عدد كبير يكفي للعمل. لهذا اختار المسيح أولئك الآخرين ليكونوا كحلفاء ومساعدين للاثنا عشر، هؤلاء ذهبوا في إرساليتهم إذ أُرسلوا اثنين اثنين إلى كل مدينة

علوًا باستمرار. إذن ما الذي يُشير إليه ظل الناموس بهذه الأمور؟ ألا يعني هذا أنه لم يكن يوجد أولاً سوى عدد قليل يقومون بنشر أخبار الإنجيل، ثم بعد ذلك صاروا كثيرين؟ فالمسيح عندما بدأ يعمل اختار اثنا عشر رسولاً ثم عيَّن بعد ذلك سبعين آخرين. وليس سبب هذا أنَّ الاثنا عشر الذين اختارهم أولاً لكرامة الرسولية كان فيهم أي عيب أو إهمال أو أي شيء لا يليق؟ كلا، ولكن بسبب أنَّ جمعًا غفيرًا كان سيؤمن به، وليس إسرائيل فقط هو الذي أُمسك في الشبكة بل وجموع الأمم أيضًا. أمَّا عن أنَّ رسالة الخلاص سوف تصل إلى كل العالم، فقد أشار إلى ذلك أحد الأنبياء القديسين بقوله: "*ينبت القضاء كالعلقم في أتلام الحقل*" (هو١٠: ٤ س). فكما أنَّ النجيل ينبت في الخطوط التي تُترك بدون زراعة ويحل فيها ثم ينتشر متقدِّمًا باستمرار، هكذا بالتمام البر، أي النعمة التي تُبرِّر العالم، كما أُعلن في أخبار الإنجيل المخلِّصة، تسود على كل مدينة ومكان.

لذلك، فبالإضافة إلى الاثنا عشر، يوجد أيضًا سبعون آخرون عيَّنهم المسيح، وتوجد إشارة لهذا الحدث في كلمات موسى (عدد١١: ١٦)، فبأمر الله اختار موسى سبعين، وأنزل الله الروح على هؤلاء المختارين. ومرة ثانية نجد الاثنا عشر رسولاً والسبعين أيضًا، يشار إليهم بواسطة ظلال الناموس، لأنه كُتب في سفر الخروج عن بني إسرائيل: فأتوا إلى مارة، ولم يقدر الناس أن يشربوا من مياه مارة، لأنها كانت مُرَّة، فصرخ موسى إلى الرب، فأراه الله شجرة، فرماها في الماء فصارت المياه حلوة (خر١٥: ٢٣). إن معنى عبارة مارَّة حينما تُترجم هو مرارة ونحن نعتبرها ترمز إلى الناموس، لأن الناموس كان مُرًّا، إذ أنه كان يعاقِب بالموت، وعن هذا يشهد بولس: "*مَن خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة*" (عب١٠: ٢٨)، فهو مُر إذن وغير محتمل للقدماء (أع٢٥: ١) وغير مقبول لهذا السبب، كما كانت المياه المُرَّة تمامًا، ولكنها صارت حلوة بالصليب الكريم، الذي كانت تلك الخشبة

الأصحاح العاشر

عظة (٦٠)

المسيح يُرسِل السبعين

(لو١٠: ١ـــ٣) "*وَبَعْدَ ذلِكَ عَيَّنَ الرَّبُّ سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضًا، وَأَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُوَ مُزْمِعًا أَنْ يَأْتِيَ. فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ الْحَصَادَ كَثِيرٌ، وَلكِنَّ الْفَعَلَةَ قَلِيلُونَ. فَاطْلُبُوا مِنْ رَبِّ الْحَصَادِ أَنْ يُرْسِلَ فَعَلَةً إِلَى حَصَادِهِ* ".

لقد أمر الروح القدس بفم الأنبياء القديسين، خُدَّام كلمة الإنجيل المخلِّصة قائلاً: "*انفخوا بالبوق في رأس الشهر عند الهلال ليوم عيدنا المجيد*" (مز٨: ٣ س). ويمكن أن نقارن الهلال بزمن مجيء مخلِّصنا، لأنه قد برز لنا عالم جديد قد صار فيه كل الأشياء جديدة، كما يؤكد لنا بولس الحكيم جدًّا، في كتابته. لأنه يقول "*الأشياء القديمة قد مضت، هوذا كل الأشياء قد صارت جديدة*" (٢كو٥: ١٧). لذلك نحن نفهم أنَّ الهلال والعيد المجيد يشيران إلى زمن تجسد الابن الوحيد، حينما بوَّق البوق بصوت عال وبوضوح مناديًا برسالة الإنجيل الخلاصية. أم ليس هذا هو وقت يدعونا أن نحتفل بالعيد، وهو الوقت الذي فيه تبرَّرنا بالإيمان واغتسلنا من أدناس الخطية وأُبيد الموت الذي تسلَّط علينا وطُرِح الشيطان من سيادته علينا جميعًا، وهو الوقت الذي فيه قد اتَّحدنا بالمسيح مخلِّصنا جميعًا بواسطة التقديس والتبرير، واغتنينا برجاء الحياة والمجد اللذين هما نهاية لهما. هذه هي أصوات البوق العالية، وهي لا تسري في اليهودية فقط مثل ذلك الناموس القديم، بل في كل الأرض.

وهذا ما تُصوِّره لكم كتابات موسى لأن إله الكل نزل في شبه نار على جبل سيناء، وكان هناك سحاب وظلال وقتام وصوت بوق شديد جدًّا، حسب الكتاب. (انظر خر١٩: ١٦، ١٩). وكان دَوِيّ البوق في البداية ضعيفًا ثم أخذ يزداد



"وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين أيضاً وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتي . فقال لهم إن الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون . . . ."





(أيقونة تصور مثل الحصاد والفعلة)

الأصحاح العاشر



إلاَّ لذَّات زائلة، قصيرة الوقت، وتضمحل كالظلال، وهي كأنها مرارة ممزوجة بشهد. ولكن أن يكونوا أعضاءً في كنيسة الله، تلك التي هربوا منهـا بغباء، وبطريقة لا أعرفها، فهذا كان سيسبب لهم فرحًا أبديًّا غير متغير. فأي شخص يتبع المسيح، دعهُ يكن ثابتًا تمامًا، هادفًا فقط إلى تلك الغاية، ولا يكن منقسمًا، ولا يستولى عليه الجهل أو الكسل، دعهُ يكن متحررًا من كل شهوة جسدانية، ولا يُفضِّل أي شيء على حبِّه له، فإذا لم يكن له مثل هذا الميل، أو ليس له هذا الإتجاه في إرادته، فحتى إذا اقترب، فسوف لا يُقبَل.

وناموس موسى قد علَّمنا أيضًا شيئًا مِن هذا القبيل بطريقة رمزية غير مباشرة، فإن بني إسرائيل حينما كانت تطرأ عليهم طوارئ، كانوا يخرجون ليحاربوا أعدائهم، وقبل أن يشتبكوا في القتال، كان المنادي ينادي فيهم قائلاً: " الرجل الذي خطب امرأة ولم يأخذها، فليرجع إلى بيته لئلا يموت في الحرب فيأخذها رجل آخر. والرجل الذي قد بنى بيتًا جديدًا ولم يدشِّنه، فليرجع إلى بيته لئلا يموت في الحرب فيدشِّنه رجل آخر. فأي رجل خائف وضعيف القلب، ليرجع لئلا تذوب قلوب إخوته من الخوف مثل قلبه " (تث٢٠: ٧و٥و٨) فأنت ترى أن الرجل الذي يُحب العالم أو الثروة والمملوء بالاعتذارات، ليس في مكانه، ولكنَّنا سنجد أن الرسل القديسين مختلفين تمامًا عن أمثال هؤلاء.

فعندما سمعوا المسيح يقول: " *هلم ورائي، تصيران صيادي الناس، فللوقت تركا السفينة وأباهم وتبعاه*" (مر١: ١٧). وأيضًا الحكيم بولس يكتب " *ولكن لما سَرَّ الله أن يعلن ابنه فيَّ، للوقت لم أستشر لحما ودما*" (غل١: ١٥). فأنت ترى أن العقل الشجاع والهدف القلبي الشجاع غير خاضع لرباطات الكسل، لكن يفوق كل جبن وكل شهوة جسديَّة، فهكذا ينبغي أن يكون أولئك الذين يتبعون المسيح، لا ينظرون إلى الوراء، لا يرجعون ولا يُحوِّلون وجوهم عن تلك الفضيلة الرجولية التي تليق بالقديسين ويعفون أنفسهم من واجب الجهد، غير محبِّين للأمور الوقتية، فهم ليسوا ذوي رأيين، ولكنهم يسرعون للأمام بالغيرة الكاملة إلى ما يرضى المسيح جدًّا، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسيادة والكرامة مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

بالمثل، لأن ليس هناك أحد يمنعه من الإسراع إلى الهدف المشتهى إذا أراد وفقًا لميول عقله الحرة. ولكن الرغبة نفسها في استشارة أقاربه وجعلهم مستشارين له وهم لا يضمرون مشاعر مشابهة له، ولا يشاركونه مطلقًا في قراره، فتلك الرغبة تكشف وبصورة كافية أنه ضعيف ومتردِّد للوصول للهدف، والفوز بالنصر ونوال إكليل المنتصر، وليس له الاستعداد الكامل بعد ليتصرف وفقًا لرغبته في اتِّباع المسيح.

ولكن المسيح، وكأنه يستعمل توبيخات رقيقة، أصلحه، وعلَّمه أن يكون له غيرة أكثر تصميمًا قائلاً: "*ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله*". وتمامًا مثل الفلاح الذي قد بدأ في حرث أرضه بالمحراث، إذا تعب وترك عمله بعد إنجاز نصفه، فلن يرى حقله مملوء بسنابل القمح، ولا أرضه التي يدرسها مليئة بالحِزَم، وسيعاني بالطبع من الخسارة التي هي نتيجة طبيعية للتكاسل، وغياب المحصول، وما يتبعه من فقر، وأيضًا يجلب على نفسه سخرية أولئك الذين ينظرونه. لذلك فمن يرغب في الالتصاق بالمسيح، دون أن يُودِّع العالم، ويهجر كل حب للجسد، وينكر حتى أقربائه الأرضيين (إذ بفعله هذا يبلغ الشجاعة المصممة في كل المساعي الممدوحة)، فهو لا يصلح لملكوت الله. فمن لا يستطيع الوصول إلى هذا القرار، لأن عقله مقيَّد بالتكاسل: فليس بمقبول لدى المسيح، ولا هو لائق لصحبته، وبالضرورة لا يُصرِّح له أن يكون معه.

فعن هؤلاء تكلَّم المسيح عندما صاغ ذلك المثل في الأناجيل، لأنه قال: "*إنسان غني صنع عرسًا لابنه، أرسل عبيده ليدعوا المدعُوِّين، قائلاً ثيراني ومسمَّناتي قد ذبحت وكل شيء مُعَد*" (مت٢٢: ٢). لكنهم كما يخبرنا الإنجيل لم يأتوا، لكن واحدًا قال لقد اشتريت حقلاً ولا أستطيع الذهاب. وقال ثان لقد اشتريت زوج بقر، وآخر لقد تزوجت بامرأة فاعذرني. فأنت ترى أنهم جميعا دُعُوا، وبينما كان في استطاعتهم أن يشاركوا في الحفل اعتذروا، وصاروا مستعبدين وبلا قيد لهذه الأمور الأرضية الوقتية، التي سرعان ما تضمحل، و التي لابد أن نتخلَّى عن ملكيتها سريعًا. ولكن كان بالتأكيد من واجبهم أن يدركوا أن الزوجة والأراضي والممتلكات الأخرى ما هي



عظة (٥٩)

إتّباع المسيح بلا تردد

(لو٩: ٦١، ٦٢) *"وَقَالَ آخَرُ أَيْضًا: أَتْبَعُكَ يَا سَيِّدُ، وَلكِنِ ائْذَنْ لِي أَوَّلاً أَنْ أُوَدِّعَ الَّذِينَ فِي بَيْتِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ".*

إننا نقول عن الغيرة في مساعينا الفاضلة، إنها تستحق كل مدح، لكن أولئك الذين قد وصلوا إلى هذه الحالة الذهنية يجب أن يكونوا أقوياء في تصميمهم، وليسوا ضعيفي العزم في صبرهم نحو الهدف الموضوع أمامهم. بل بالحري يجب أن يكون لهم ذهن غير متذبذب ولا ينثني، لأنهم بذلك سوف يبلغون الهدف، ويفوزون بالنصر، ويضفرون حول رؤوسهم إكليل المنتصر. ومخلِّص الكل يُشجِّعنا على هذا الإخلاص للهدف بوصفه خاصية تستحق الاقتناء، إذ يقول "*ومن منكم وهو يريد أن يبني برجًا لا يجلس أولا ويحسب النفقة هل عنده ما يكفي لتكميله، لئلا يضع الأساس ولا يقدر أن يكمل، فيبدأ* جميع *الناظرين يهزأون به قائلين هذا الإنسان لم يقدر أن يكمل*" (لو١٤: ٢٨ــ٣٠). فمن يتصرف هكذا لا يصبح إلاَّ موضوعًا للسخرية، لأن كل مسعى مُكرَّم وفاضل له خاتمة لائقة يجب أن تعقبه. وناموس موسى كي يُعلِم هذا الحق، أمر أولئك الذين كانوا يبنون بيتًا أن يقيموا فوقه حائطًا للسطح (انظر تث٢٢: ٨)، لأن من هو ليس كاملاً في الصلاح لا يخلو من اللوم. فكما كان البيت الذي ليس له حوائط سطح، يوصَم بالعار، هكذا فالفقرة التي قُرِئَت علينا من الإنجيل الآن تُعلِّمنا درسًا مشابهًا، لأن واحدًا اقترب قائلاً: "*أتبعك يا سيد ولكن ائذن لي أولاً أن أُودِّع الذين في بيتي*". فالوعد الذي تعهد به، إذن، يستحق التمثل به، وهو مملوء بكل مدح، ولكن حقيقة رغبته في توديع الذين في بيته تُوضِّح أنه منقسم على نفسه، وأيضًا أنه لم يدخل بعد الطريق بذهن غير مُقيَّد، فانظر كيف أنَّه مثل مُهر متحفِّز للسباق، هناك ما يعوقه كأن به لجام، هكذا فإن تيار الأمور العالمية، ورغبته في الاهتمام بمشاغل هذا العالم تعوقه

المخلوقات، الذي يقف حوله الشاروبيم المقتدرون، والذي يفوق كل العروش والربوبيات، والرئاسات، والقوات، أقول هل كان من الضروري أن يسقط هؤلاء في هذا الحمق العظيم بألاَّ يجعلوه فوق كل قرابة طبيعية؟ فهل يمكن أن نكون مذنبين عندما نهمل التكريم الواجب لوالدينا والأولاد والإخوة، لكننا نتحرر من الذنب إذا لم نقدِّم الإكرام الواجب لرب الكل؟ فلنسمع ما يقوله الله لنا بوضوح "*الابن يكرم أباه والعبد يكرم سيده. فان كنتُ أنا أبًا فأين كرامتي وإن كنتُ سيدًا فأين هيبتي، قال رب الجنود*" (ملا ١: ١٦).

لذلك فالمسيح، جعل المدعو للرسولية على دراية بالسلوك الرسولي والرجولة الروحية التي تتطلَّبها الدعوة إذ يقول "*دع الموتى يدفنون موتاهم، وأما أنت فاذهب ونادِ بملكوت الله*". فخدَّام الرسالة الإلهية يجب أن يكونوا كذلك. فلنلتصق إذن بتعاليمه الحكيمة في كل شيء متقدِّمين نحو المسيح الذي بواسطته ومعه لله الآب التسبيح والربوبية مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



حركة العاطفة الطبيعية تجاه ابنه. آه ! يا له من اهتياج عنيف لأفكار مُرَّة ثارت في نفس الشيخ، فقوة العاطفة الفطرية الطبيعية تدعوه أن يحنو على ابنه. لقد تمنى أن يكون أبًا، إذ شكى عقمه لله عندما وعده الله أن يهبه كل الأرض التي أخبره بها، "*فقال أبرام أيها السيد الرب ماذا تعطيني وأنا ماضٍ عقيمًا*" (تك١٥: ٢) ــ فقانون العاطفة الطبيعية إذن يحثه أن يُنقذ الصبي، بينما قوة حبه لله تدعوه للطاعة المتأهبة. فقد كان أشبه بالشجرة التي يُحركها عنف الرياح للأمام وللخلف، أو كسفينة في بحر تتمايل وتترنح بضربات الأمواج... لكن ثمة فكرة واحدة صحيحة وقوية تمسَّك بها إبراهيم بشدَّة، "*لأنه آمن أن الله قادر على الإقامة من الأموات*" (عب١١: ١٩) حتى لو ذبح الصبي وراح ضحية النيران كمحرقة مرضية لله.

فإبراهيم إذن قد تعلَّم الكثير من هذه التجربة، فقد تعلم أولاً: أن الطاعة المستعدَّة تؤدِّي إلى كل بركة، وهى الطريق المؤدِّي إلى التبرير، وعربون صداقة مع الله، وثانيًا: أن الله قادر على الإقامة من الأموات. وأكثر من ذلك فقد تعلم ما هو أهم وأكثر استحقاقًا للتقدير، أعني سر المسيح: إنه لأجل خلاص وحياة العالم فالله الآب سيُقدِّم ابنه الوحيد ذبيحة، الذي هو المحبوب بالطبيعة، أي المسيح. والمبارك بولس يؤكد لنا ذلك بقوله عن الله " الذي *لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين*" (رو٨: ٣٢).

فإبراهيم البطريرك تعلَّم إذن مدى عظم عدم اشفاقه على ابنه الوحيد الذي يحبه، لذلك فقد تبرر لأنه لم يُفضّل أي شيء آخر على الأشياء التي تُرضي الله. فالمسيح يطلب منا أن نكون كذلك لكي نُحب ونُقدِّر كل ما يتعلق بمجده أكثر جدًّا من روابط قرابتنا الجسدية، ومرَّة أخرى لننظر إلى الأمر في ضوء آخر، فمن الصواب أن قوة حبنا لله يجب أن تفوق حتى حبنا لمن ولدونا بالجسد. لقد أعطانا الله نفسه كأب لأنه قال: "ولا تدعوا لكم أبًا على الأرض. لأن أباكم واحد، الذي في السموات. وأنتم جميعا إخوة " (مت٢٣: ٩و٨). وعنه يقول يوحنا الحكيم: "*إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أولاد الله*" (يو١: ١١، ١٢). لذلك هل كان على هؤلاء الذين يعترفون به أنه الآب رب السماء والأرض، الذي يعلو كل

الأساسي لكل الأشياء. لأن وجود أي شيء إنما هو عطيته. فالأب والأم إذن كانا هما الوسيلة التي بواسطتها أتى نسلهما إلى العالم. أليس علينا إذن أن نُحب الموجِد الأول أكثر من الثاني أو التابع؟ أليس الله هو معطينا النعم الثمينة التي تستوجب منا الإكرام الأعظم له؟ فمساعينا إذن لإرضاء والدينا يجب أن تخضع لحبنا لله، والواجبات الإلهية. وقد علَّمنا المخلِّص نفسه هذا عندما قال: "*من أحب أبًا وأمًا أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابنًا أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني*" (مت١٠: ٣٧).

وهو لا يقول إنهم يدانون لأنهم ببساطة أحبوا، ولكن لأنهم أحبوهم "*أكثر مني*". فهو إذن يسمح للأبناء والبنات أن يحبوا آبائهم لكن ليس أكثر من حبهم له. لذلك عندما يلزم أن تفعل أي شيء يتعلق بمجد الله، فلا تدع أي عقبة تقف في الطريق، دع حماسك يكن بغير تعطل، اجعل جهودك الغيورة مشتعلة وغير قابلة للكبت. لذلك هيا حالاً ودع عنك الاهتمام بأبيك وأمك وأولادك، واجعل قوة العاطفة الطبيعية نحوهم تتوقف واجعل الغلبة لحب المسيح.

هكذا عاش إبراهيم المثلث الطوبى، لذلك فقد تبرر ودعِيَ " خليل الله "، وحُسب أهلاً للكرامات الفائقة، فأي شيء يساوى كونه خليل الله؟ وماذا يستطيع العالم أن يقدم ما يمكن مقارنته بنعمة مجيدة وبديعة جدًا؟ فقد كان له وحيد محبوب، أعطاه الله له بعد تأخير طويل وذلك في شيخوخته، ووضع فيه إبراهيم كل رجائه من جهة النسل، إذ قيل له: "*لأنه بإسحق يُدعَى لك نسل*" (تك٢١: ١٢). لكن كما يقول الكتاب المقدس إن الله امتحن إبراهيم قائلاً: "*خذ ابنك حبيبك الذي تحبه إسحق واذهب إلى الأرض المرتفعة وأصعده هناك محرَقة على أحد الجبال الذي أقول لك*" (تك٢٢: ٢ س). هل كان الله يمتحن إبراهيم، وكأنه لم يكن يَعلم مسبقًا ما سيحدث. وينتظر النتيجة؟ ولكن كيف يمكن أن يكون هذا صحيحًا؟ لأن الله يعرف كل الأشياء قبل أن تحدث، فلماذا إذن امتحن إبراهيم؟ وذلك لكي يمكننا بهذا الأمر أن نَعلَم أن الله جعله غير مستعد لهذا العمل لينال البطريرك تقديرًا جديرًا بالإعجاب، لكونه لم يُفضِّل أي شيء على إرادة ربه. فلم يقل له الله ببساطة خذ إسحق بل قال "*ابنك وحيدك الذي تُحبه*"، فهذا يُقوِّي



الكرامة بواسطة القرار الإلهي، إذ هو بلا شك مقدَّس، ومكرَّم، وقادر أن يُشكِّل نفسه ليطابق قصد رسالة الإنجيل. ولكنه لم يكن يعرف بعد بوضوح بأي طريق يجب عليه أن يسلك في هذا الأمر العظيم، فربما كان له أب قد أحنته السنون، وقد ظن في نفسه أنه بتصرفه هذا يرضي الله جدًّا بإظهاره العطف والحب المناسب من نحو والده. فلقد عرف بالطبع مِن كُتُب الناموس أن إله الكل قد أعطى وصية بهذا قائلا: "*أكرم أباك وأمك ليكون لك خير ولكي تطول أيامك على الأرض*" (خر٢٠: ١٢س). لذلك حينما دُعيَ لهذه الخدمة المقدسة ولمهمة الكرازة برسالة الإنجيل ــ كما يتضح من أمر المسيح له أن يتبعه ــ فقد أعياه فهمه البشرى، وطلب مهلة ليجد الوقت الكافي كي يرعى والده في شيخوخته، لأنه يقول: "*ائذن لي أن أمضي أولاً وأدفن أبي*". فما نقوله عنه، ليس أنه طلب إذنًا ليدفن أباه، لكونه قد مات فعلاً، ولم يُدفن بعد ــ لأن المسيح لم يكن ليمنع ذلك ــ وإنما استخدم كلمة " أدفن " بدلاً مِن "أن أرعاه في شيخوخته حتى دفنه".

فماذا كانت إجابة المخلِّص إذن؟ "دع الموتى يدفنون موتاهم، وأما أنت فاذهب وناد بملكوت الله". فليس هناك من شك أن ثمة أقرباء ومعارف آخرين لأبيه، ولكن اعتبرهم أمواتًا، لأنهم لم يكونوا قد آمنوا بالمسيح بعد، ولم يستطيعوا أن يقبلوا الميلاد الجديد للحياة غير الفانية بواسطة المعمودية المقدسة. فالمسيح يقول: "*دعهم يدفنون موتاهم*" لأن لهم في داخلهم عقل ميت، ولم يحيوا بعد مع هؤلاء الذين لهم الحياة التي في المسيح. فمن هنا إذن نتعلم أن مخافة الله يجب أن تسبق الاحترام والحب الواجبين للوالدين، لأن ناموس موسى أيضًا بينما يأمرنا أولاً أن "*تحب الرب إلهك من كل نفسك، ومن كل قدرتك، ومن كل قلبك*" (تث٦: ٥)، يضع بعدها في المرتبة الثانية تكريم الوالدين قائلا: "*أكرم أباك وأمك*".

والآن هيا لنفحص الأمر ونبحث لماذا نعتبر التكريم والحب الواجبين للوالدين شيئًا لا ينبغي إهماله، بل على العكس يجب أن يراعَى باهتمام، وحينئذ ربما يقول واحد: إن هذا يرجع إلى أننا ننال وجودنا بواسطتهم، ولكن إله الكل هو الذي أوجدنا حينما كنا غير موجودين على الإطلاق. فالله هو خالق وصانع الكل، وهو الأصل والجوهر

عظة (٥٨)
دع الموتى يدفنون موتاهم

(لو٩: ٥٩، ٦٠) "*وَقَالَ لآخَرَ: اتْبَعْنِي. فَقَالَ:يَا سَيِّدُ، ائْذَنْ لِي أَنْ أَمْضِيَ أَوَّلاً وَأَدْفِنَ أَبِي. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: دَعِ الْمَوْتَى يَدْفِنُونَ مَوْتَاهُمْ، وَأَمَّا أَنْتَ فَاذْهَبْ وَنَادِ بِمَلَكُوتِ اللهِ* ".

المسيح هو لنا أصل ومُعلِّم كل فضيلة، لأننا "*نحن متعلمون من الله*" كما يُعلن إشعياء النبي (إش٥٤: ١٣ س). وأيضًا يشهد الحكيم بولس قائلا "*الله بعدما كلم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة، كلمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه* " (عب١:١، ٢). فبماذا كلَّمنا خلال ابنه، فمن الواضح أن رسالة الإنجيل ترشدنا بنجاح إلى كل أنواع الفضائل، وبها نتقدم في الطريق الممدوح والرائع، طريق الحياة الأفضل، لكي باقتفائنا خطواته، نربح كنز مواهبه. والدرس الموضوع أمامنا الآن يُعلِّمنا بوضوح الطريق التي بها نتبعه ونُحسب مستحقين لهذه الأمجاد الفائقة الكاملة التي مُنحت أولاً للرسل لأن الإنجيل يخبرنا أنه: "*قال لآخر اتبعني*" (لو٩: ٥٩).

فأول نقطة يجب أن نلاحظها الآن هي هذه: أننا في الفقرة السابقة تعلمنا أن واحدًا اقترب منه وقال له: "*يا معلم أتبعك أينما تمضي*". لكن المسيح رفضه، لأنه أولاً: يدعو نفسه ويقحمها في الأمجاد التي يهبها الله لمن يستحقها، فالمسيح يُتوِّج المشهود لهم بكل الخصائص الممتازة والحاذقين في ممارسة الأعمال الصالحة، ويدرجون ضمن جماعة المعلمين القديسين. وإذ لم يكن له هذا الميل، فقد وبَّخه المسيح، لأن عقله كان مسكنًا للأرواح الشريرة، ومملوءًا بكل نجاسة. فالمخلِّص لَمَس حالته بطريقة غير مباشرة فقال له: "*للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار، وأما ابن الإنسان فليس له أين يُسنِد رأسه*".

ففي اجتماعنا الأخير ناقشنا الطريقة التي بها فهمنا هذا بصورة كافية. وأما الآن فالذي أمامنا لم يدعُ نفسه بنفسه، وليس هو متقدمًا بوقاحة ليقوم بأعمال ممدوحة، بل على العكس، فهو شخص دعاه المسيح إلى الرسولية كمَن هو لائق لها، لأنه قد نال



فيه المسيح هو هيكل، ليس لواحد من تلك الآلهة الكاذبة، بل هيكل للذي هو بالطبيعة وبالحقيقة، الله. لأننا قد تعلَّمنا أن نقول "*إننا هيكل الله الحي*" (٢كو٦: ١٦). أمَّا الهيكل الإلهي فيليق به البخور، الذي يكون من أطيب رائحة، وكل فضيلة هي بخور عقلي، مقبول تمامًا عند إله الكل.

لذلك، "*فلنُطهِّر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح*" (٢كو٧: ١). "*ولنُمِت تلك الأعضاء التي على الأرض*" (كو٣: ٥) دعونا نغلق المنافذ أمام الأرواح النجسة. ولا نَدَع الطيور المرفوضة والشريرة تسكن داخلنا. وليكن قلبنا مُقدَّسًا وغير مدنس، بأقصى ما هو مستطاع وممكن. لأننا هكذا نتبع المسيح، بحسب النعمة التي يعطيها لنا، وهو سيسكن فينا بفرح، لأنه حينئذٍ سيكون له أين يسند رأسه. ويستريح فينا كقديسين. لأنه مكتوب "*كونوا قديسين لأني أنا قدوس*" (لا١١: ٤٥) وإذ نكرس أنفسنا لهذه المساعي الهامة جدًّا، فإننا سنصل إلى المدينة التي فوق بعون المسيح نفسه، الذي بواسطته ومعه لله الآب التسبيح والربوبية مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

التي يسعى وراءها عموم الناس، إذ ليس لي مكان لنفسي لأسكن فيه وأستريح، وأسند رأسي. وأما المعنى الداخلي السرِّي لهذا المقطع فيمكن الوصول إليه بواسطة أفكار أكثر عمقًا. لأنه يبدو أنه يقصد بالثعالب وطيور السماء تلك القوات الشريرة، والخبيثة، والنجسة، أي قطعان الشياطين، لأنهم يُلقَّبون هكذا في مواضع كثيرة في الكتب الموحَى بها. لأن المرنم المبارك يقول عن بعض الناس: "*يكونون أنصبة للثعالب*" (مز٦٣: ١٠)، وفي نشيد الأناشيد مكتوب أيضًا "*خذوا لنا الثعالب، الثعالب الصغيرة المفسدة للكروم*" (نش٢: ١٥). والمسيح نفسه يقول في موضع ما عن هيرودس، الذي كان إنسانًا شرِّيرًا وماكرا في شرِّه، "*قولوا لذلك الثعلب*" (لو١٣: ٣٢). وفي موضع آخر قال عن البذار التي سقطت على الطريق، "*جاءت طيور السماء وأكلتها*" (لو٨: ٥) وهذا، نحن نؤكده أنه قال هذا ليس عن الطيور المادية المنظورة، بل بالحري عن تلك الأرواح النجسة الشريرة التي أحيانًا كثيرة، حينما تقع البذار السماوية على قلوب الناس فإنهم ينتزعونها وكما لو كان يحملونها بعيدًا لكي لا تأتي بأي ثمر. لذلك، فكما أن الثعالب والطيور لها أوجرة وأوكار فينا، فكيف يستطيع المسيح أن يدخل؟ أين يمكنه أن يستريح؟ فَأي شركة هناك بين المسيح وبليعال؟ لأنه يستريح في القديسين، ويسكن في أولئك الذين يحبونه، ولكنه يبتعد عن النجسين وغير الأنقياء. فاطرد الوحوش، وامسك الثعالب، وشتِّت الطيور بعيدًا، وطهِّر قلبك من نجاستهم، لكي ما يجد ابن الإنسان مكانًا في داخلك ليسند فيه رأسه، أي الذي هو كلمة الله الذي تجسد وصار إنسانًا. لأن النور ليس له توافق مع الظلمة ولا النجس له توافق مع المقدَّس. إنَّه أمر لا يُصدق أن تختزن العطر والرائحة الكريهة في زجاجة واحدة، إنَّه من المستحيل على أي إنسان أن يتوشَّح بالكرامة الرسولية ويكون بارزًا بسبب فضائله وكل صفات صالحة ورجولية إن لم يكن قد قَبِل المسيح في داخله. وهكذا قد علَّمنا بولس الحكيم جدًّا قائلاً: "*هل تطلبون برهان المسيح فينا؟*" (٢كو١٣: ٣) ولكن ذلك الذي يسكن



فإنهم يطردونهم من بيوتهم ويعتبرونهم غير جديرين بأيَّة كرامة أو تسامح أو محبة، بل إنهم يأبون أن يعترفوا بهم كأبناء، ولا يُقرُّون بأي ميراث لهم.

والآن أدعوكم لنرتفع بتفكيرنا من هذه الأمور الحاصلة معنا إلى تلك السمائية التي تفوقها. فأنت تدعو الله أبًا، فأكرمه بطاعة متأهِّبة، وقدِّم له الخضوع الذي يحق له، وعش الحياة التي ترضيه، ولا تسمح لنفسك أن تكون عنيفًا أو متكبرًا، بل على النقيض مذعنًا خاضعًا، مستعدًّا بلا أيِّ إبطاء أن تتبع أوامره حتى يكرمك هو بدوره ويجعلك شريكًا في الميراث مع من هو ابنه بالطبيعة, لأنه إذا كان قد "*بذله لأجلنا، كيف لا يهبنا أيضًا معه كل شيء*" (رو٨: ٣٢) حسب تعبير المبارَك بولس. ولكن إن كنتَ لا تُراعي نفسك, ولا تُبالي بسخاء النِّعمة التي أُعطيت, فقد برهنتَ على أنك بلا حياء ـ وإن جاز القول ـ بلا ملح ـ محبًّا للذة أكثر من حبك للآب السماوي، فخف إذن لئلا يقول عنك الله أيضًا ما قيل عن الإسرائيليين بفم إشعياء "*اسمعي أيتها السموات وأصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم، ربَّيتُ بنين ونشَّأتهم, أمَّا هم فعصوا عليَّ*" (إش١: ٢).

فظيع ـ من كل ناحية ـ يا أحبائي هو جُرم الذين يتمرَّدون، وإثم عظيم للغاية هو رفض الإنسان (لله). فإذن، لَحِكمة بالغة ـ كما قلت ـ يمنحنا مخلِّص الكل أن ندعو الله " أبًا ", حتى إذ نعرف جيدًا أننا أبناء الله, نسلك بطريقة تليق بمن أكرمنا هكذا، فإنه هكذا سيقبل ابتهالاتنا التي نُقدِّمها في المسيح، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

عظة (٧٢)
ليتقدّس اسمك

(لو ١١: ٢):

لكل الذين يشتهون كلمات الله المقدسة، ها هو صوت إشعياء النبي ينادي: "*أيها العطاش جميعًا هلموا إلى المياه*" (إش٥٥: ١)، لأن كل من يريد، يمكنه أن يستقى من الينبوع المعطي الحياة. ومن هو يا تُرى هذا الينبوع؟ واضح أنه المسيح وتعاليمه, فهو نفسه قال في موضع ما: "*إن عطش أحد فليُقبل إليَّ ويشرب*" (يو٧: ٣٧). فلنأتِ نحن مرّة أخرى كما إلى ينبوع، هلم لنملأ أنفسنا ونشبع ذواتنا من روضة النعمة، فداود المبارك يتحدث عنه في المزامير مخاطبًا الله الآب: "*يروون من دسم بيتك، ومن نهر نعمك تسقيهم، لأن عندك ينبوع الحياة*" (مز٣٦: ٨). لأن نهر النِعم يتدفّق بوفرة لأجلنا، وكذلك ينبوع الحياة، أي تلك الحياة التي في المسيح، الذي تكلم عنه واحد من أنبيائه بخصوصنا هكذا "*هاأنذا أنحني إليهم كنهر سلام وأفيض عليهم كسيل جارف بمجد الأمم*" (إش٦٦: ١٢ س).

انظروا كيف يروينا المسيح بينابيع غنية من البركات الروحية، فماذا يريد أن يلقّننا من تعاليم بعد ذلك؟ إنه يقول لنا: "*متى صلّيتم فقولوا: أبانا، ليتقدس اسمك*"، لنتبيَّن بأية طريقة ينبغي أن نفهم هذه أيضًا.

هل نحن إذن نصلى حتى أن مزيدًا من القداسة يمكن أن يضاف لله كُلِّي القداسة؟ وكيف لا يكون هذا أمرًا سخيفًا وغير معقول على الإطلاق؟ لأنه لو أن الله الذي هو فوق الكل كان ينقصه أي شيء، لكان محتاجًا لمزيد من القداسة، لكي يصير كاملاً وغير محتاج إلى أي شيء. ولكن إن كان ممتلئًا، كما يقول هو، وهو كامل من كل جهة في ذاته وبذاته، وهو مانح القداسة للخليقة من "ملئه" (إش١: ١١ سبعينية)؛ فما هي الإضافة التي يمكن أن ينالها؟ لأن كل الأشياء هي له، وهو بالغ أعلى الكمال في كل صلاح، لأن هذه أيضًا



إحدى خواصه بالطبيعة. وبالإضافة إلى ذلك، فمن الجهل والسخف بمكان أن يتصور الذين يُصلُّون أنهم يقدمون توسلاتهم لا نيابة عن أنفسهم بل نيابة عن الله. فماذا يكون إذن معنى "ليتقدس اسمك"؟

نقول إذن إن البشر لا يبتهلون من أجل مزيد من القداسة لله العليِّ على الكل، لأن من هو أعظم منه حتى يستطيع أن يعطيه ازدياد؟ "*لأنه بدون أدنى شك الأصغر يُبارَك من الأكبر*" (عب٧:٧). وإنما هم بالحري يطلبون أن تُمنح هذه القداسة لهم وللبشرية كلها، لأنه حينما يكون يقيننا وإيماننا الراسخ أن الذي هو بالطبيعة الله العلي على الكل، هو قدس الأقداس؛ فإننا نعترف بمجده، وجلاله الأعلى، وعندئذ نحصل على مخافة في قلبنا، ونحيا حياة مستقيمة وبلا لوم، لكي عندما نصير نحن أنفسنا هكذا قديسين، نستطيع أن نكون بالقرب من الإله القدوس ــ لأنه مكتوب: "*كونوا قديسين لأني أنا قدوس*" (لا١١: ٤٤)، وقد قال أيضًا مرَّة لموسى معلِّم الأقداس Hierophant : "*سأتقدس في أولئك الذين يقتربون مني*" (لا١٠: ٣). فالصلاة، إذن، هي: ليت اسمك يُحفظ مقدَّسًا فينا، في أذهاننا وإرادتنا، فهذا هو معنى الكلمة " ليتقدس". وكما أن من يعاني من مرض في بصره الجسدي ولا يستطيع أن يرى إلاَّ قليلاً وبصعوبة، فمتى صلَّى قائلاً، " يا رب الكل، امنحني أن ينيرني نور شعاع الشمس أيضًا"، فهو لا يُقدِّم ابتهالاته لأجل الشمس، بل بالعكس، من أجل نفسه، هكذا أيضًا إذا قال إنسان: "*أبانا، ليتقدس اسمك*"، فهو بهذا لا يطلب أن تحدث أية إضافة إلى قداسة الله، لكنه بالحري يطلب أنه هو نفسه يقتني مثل ذلك الذهن والإيمان، لكي يشعر أن اسم الله مُكرَّم وقدوس. فهذا الفعل (التقديس) هو مصدر الحياة وسبب كل بركة، فإذا كان الإنسان ينعطف هكذا نحو الله، فكيف لا يكون هذا مدعاة لأسمى اعتبار، ونافع لخلاص النفس؟ ولكن لا تتخيَّل أنه حينما يكون الذين يعتمدون على محبته، جادِّين في توسُّلاتهم إلى الله، أنهم يطلبون منه مثل هذه الأمور لأجل أنفسهم فقط، بل اعلم أن غرضهم هو أن يشفعوا لأجل كل



السكان على الأرض، ولأجل كل الذين قد آمنوا مِن قَبْل، ومن أجل كل الذين لم يقبلوا الإيمان بعد، ولا اعترفوا بالحق. لأنهم من جهة أولئك الذين آمنوا مِن قبل، يطلبون لهم أن يكون إيمانهم راسخًا، وأن يستطيعوا ممارسة أمجاد الحياة الأفضل والممتازة جدًّا. بينما من جهة الذين لم يصيروا مؤمنين بعد، فهم يطلبون لأجلهم أن ينالوا الدعوة وأن تنفتح أعينهم، وهم في هذا إنما يتبعون أثر خطوات المسيح، الذي بحسب كلمات يوحنا هو: "*الشفيع عند الآب، لأجل خطايانا، وليس لخطايانا فقط بل لكل العالم أيضًا*" (١يو٢: ١). إذن فالذي هو الشفيع عن القديسين وعن كل العالم، يريد من تلاميذه أن يكونوا مثله. فإذن عندما نصلِّي للآب قائلين: "*ليتقدس اسمك*"، فنحن نضع في أذهاننا أنه وسط أولئك الذين لم يحصلوا بعد على نور الحق، ولم يقبلوا الإيمان، ويُزدرى باسم الله بينهم، لأنه لم يظهر لهم بعد أنه قدوس ومُكرَّم وجدير بالعبادة. ولكن حالما يشرق عليهم نور الحق ويستفيقون بجهد شاق كما من ليل وظلمة، فحينئذ يعرفون "من هو"، وكم هو عظيم. ويتعرفون عليه معترفين أنه هو (قدوس الأقداس)، ومِن ثمَّ يكون لهم عواطف مطابقة وإيمان لائق.

تلك العبارة، أن الله يتقدس بواسطتنا، هو اعترافٌ منَّا بأنه " قدوس الأقداس". وهذا لا يمنحه أية قداسة إضافية، هذا هو ما ينبغي أن تفهموه. فقد قال أحد الأنبياء القديسين: "*قدِّسوا الرب فيكون مخافتكم، وإن آمنتم به يصير قداسة لكم*" (أش٨: ١٣ سبعينية).

فهل نحن إذن الذين نجعل الله قدوسًا ؟ هل هو عمل الطبيعة البشرية أن تمنح أي شيء لله؟ هل الشيء المصنوع ينفع الصانع ؟ هل يتصور أي إنسان أن ذلك الذي من ملئه يُوزِّع مواهبه بغنى على المخلوقات، هو نفسه ينال أي شيء منا ؟ أنصت إلى ما يقوله المغبوط بولس: "*أي شيء لك لم تأخذه؟*" (١كو٤: ٧) لذلك فحينما قال النبي: "*قدِّسوا الرب فيكون مخافتكم ويصير قداستكم*"، فإننا نؤكد أن ما يُعلِّمه لنا هو: " آمنوا أنه القدوس، لأنكم ستهابونه

عندئذ، وهكذا سيصير هو نفسه واسطة تقديسكم".

وقد كُتب أيضًا عن المسيح مخلِّصنا جميعًا: "*قدِّسوا ذلك الذي قد استهان بنفسه*" (إش٤٩: ٧ سبعينية)، لأنه قد استهان بنفسه بأنه لم يعمل حسابًا لحياته، واضعًا إياها من أجلنا. ولكن عندما يقول " قدسوه " أي اعترِفوا بأنه قدوس، لأنه هو هكذا بالطبيعة، كونه هو الله نفسه، وابن الله، لأن القداسة الجوهرية لا تناسب أيًّا من تلك الأشياء التي أتى بها من العدم إلى الوجود، بل تناسب فقط تلك الطبيعة الفائقة السمو التي تفوق الكل، ولذلك، فإيماننا أنه بالطبيعة قدوس، لأنه هذا هو معنى تقديسنا له ـــ ونعترف بالتالي أنه هو الله ذاته.

لذلك، فلنصلِّ لأجل أنفسنا وليس لأجل الله قائلين: "*ليتقدس اسمك*"، لأننا إذا اتَّخذنا هذا الموقف، وقدَّمنا صلوات مثل هذه، بذهن حُر، فإن الله الآب سيقبلنا، ومعه المسيح سيبارِكنا، الذي بواسطته ومعه يليق بالله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس، إلى دهر الدهور. آمين

عظة (٧٣)
ليأتِ ملكوتك

(لو١١: ٢)

أولئك الذين يحبون المال الكثير، ويشغلون ذهنهم بالثروة والربح لا يألون جهدًا في اتخاذ كل ما أمكنهم من وسيلة لتحقيق ما يرغبونه ويشتهونه. ولكن مسعاهم ينتهي إلى عاقبة غير سعيدة. لأنه ـ كما يقول المخلِّص ـ "*ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟*" (مت١٦: ٢٦). أمَّا من يحبون كلمة الخلاص، وينقبون الأسفار الإلهية كمن يبحث عن كنز، ويفتِّشون باهتمام عن الأمور المخفيَّة فيها، فإنهم حتمًا سيجدون المعرفة المحييَّة التي تقودهم إلى كل المساعي الفاضلة، وتجعلهم كاملين في معرفة تعاليم الحق. لذلك فلنبحث نحن عن معنى الفقرة التي أمامنا، وغايتنا هي أن نفهم بذكاء ما أوصى به المخلِّص. فقد قال إنه ينبغي علينا عندما نصلِّي أن نفهم هذه الطلبة "*ليأت ملكوتك*". فهو يملك على الكل مع الله الآب، ولا يمكن أن يضاف شيء إلى مجده الملوكي، كأن يزاد له من الخارج أو كأنه يُعطَى له بواسطة آخر، ولا أن ينمو معه مع مرور الزمن، لأن مجده الملوكي أشرق معه بلا بداية، فهو كائن منذ الأزل وما يزال كما كان، لذلك فلأنه هو إله بالطبيعة وبالحق؛ فبالتالي ينبغي أن يكون كلِّي القدرة، وتكون هذه الخاصية هي له بلا بداية وبلا نهاية، إذ يقول أيضًا واحد من الأنبياء القديسين: "*الرب سيملك إلى الدهر والأبد*" (خر١٥: ١٨)، والمرنم الإلهي يتغنَّى قائلاً: "*ملكوتك ملكوت أبدي*" (مز١٤٤: ١٣س). وأيضًا: "*الله ملكنا قبل الدهور*" (مز٧٢: ١٢س). فإذا كان الله دائم الملوكية وكلِّي القدرة، فبأي معنى يُقدِّم أولئك الذين يدعون الله أبًا ويقولون في توسلاتهم: "*ليأت ملكوتك*". يبدو أنهم يريدون أن يروا المسيح مخلِّص الجميع ناهضًا مرَّة أخرى فوق العالم. لأنه سيأتي، نعم سيأتي وينزل كديَّان، ولكن ليس بعد في هيئة متواضعة مثلنا، ولا في وضاعة الطبيعة البشرية؛ ولكن في



مجد كما يليق بالله، الذي يسكن في نور لا يُدنَى منه (١تي٦: ١٢)، ويأتي مع الملائكة. فهكذا قال هو نفسه في موضع ما: " *ابن الإنسان سيأتي في مجد أبيه مع ملائكته القديسين*" (مت١٦: ٢٧). لذلك، أظن أنني ينبغي أن أضيف هذا أيضًا: " إنه في نهاية هذا العالم، سينزل من السماء، ولكن لا لكي يُعلِّم فيما بعد الذين على الأرض، كما قيل في القديم، ولا لكي يُريهم طريق الخلاص، إذ أن أوان هذا قد مضى وفات؛ ولكنه سينزل ليدين العالم. والحكيم بولس أيضًا يشهد لِما أقول معلنًا هذا: "*لأنه لابد أننا جميعًا نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرًا كان أم شرًا*" (٢كو٥: ١٠).

لذلك. فمنبر الدينونة مرعب، والقاضي لا يأخذ بالوجوه. إنه وقت المساءلة؟ لا بل هو وقت المحاكمة والمجازاة. والنار مُعَدَّة للأشرار وعقاب دائم وعذاب أبدي ــ كيف يمكن إذن للناس أن يطلبوا أن يعاينوا ذلك الوقت؟ أتوسل إليكم ثانية، لاحظوا، أرجوكم، مهارة المخلِّص وحكمته العجيبة في كل التفاصيل، لأنه يأمرهم أن يطلبوا في الصلاة أن يأتي هذا الوقت المرعب، لكي يجعلهم يعرفون أنه يجب عليهم أن يحيوا ليس بإهمال، ولا بانحلال، ولا أن يُخدعوا بالتسيُّب وحب اللذة، بل على العكس أن يعيشوا كما يليق بالقديسين وبحسب مشيئة الله، لكي تكون تلك الساعة بالنسبة لهم، هي واهبة الأكاليل، وليس النار والدينونة. أما بالنسبة للأشرار والنجسين، الذين يسلكون حياة شهوانية ومنحلّة ومرتكبين لكل رذيلة، فلا يناسبهم بالمرّة أن يقولوا في صلواتهم: "*ليأت ملكوتك*"، بل دعهم بالحري يعرفون أنهم بقولهم هذا إنما يدفعون الله لقصاصهم، بينما زمن عقابهم لم يحِن بعد أو يظهر، وعن هؤلاء يقول واحد من الأنبياء القديسين: "*ويلٌ للذين يشتهون يوم الرب، ماذا يكون لكم يوم الرب؟ يوم ظلام لا نور، وقتامًا ولا نور له*" (عا٥: ١٨).

فالقديسون إذن يطلبون سرعة مجيء المُلك الكامل للمخلِّص لأنهم جاهدوا



كما ينبغي، وصاروا أنقياء السَّريرَة، وهم يتوقَّعون المجازاة عمـا سـبق أن فعلوه. لأنه كما أن الذين ينتظرون عيدًا و" فرحًـا " علـى وشـك المجـيء وسيظهر بعد قليل، يتلهَّفون لوصوله، هكذا يفعل هؤلاء أيضًا، لأنهم سـيقفون ممجَّدين في حضرة الديان، وسيسمعونه يقول: "*تعالوا يا مباركي أبي، رثـوا الملكوت المُعَد لكم منذ تأسيس العالم*" (مت٢٥: ٣٤). لقد كانوا وكـلاء حكمـاء غيورين أقامهم الرب على أهل بيته ليقدِّموا لهم الطعام في حينه، وقد وزَّعـوا حسنًا وبحكمة على العبيد رفقائهم ممَّا قد نالوه هم أنفسهم واغتنوا به من قبل، لأنهم وضعوا في قلوبهم قول الرب: "*مجانًا أخذتم، مجانًا أعطوا*" (مت١٠: ٨). وعندما أخذوا منه الوزنة لم يطمروها في الأرض، فلم يكونـوا مثـل العبـد الكسلان المتراخي المهمِل الذي اقترب من السيد وقال: "*يا سيد عرفتُ أنـك إنسان قاسٍ، تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر، فخفتُ ومـضيتُ وأخفيتُ وزنتك في الأرض، هوذا الذي لك*" (مـت٢٥: ٤٢)، بل علـى العكـس تاجَروا بها وربحوا كثيرًا، وقدَّموها مع ربحها قائلين: "يا سـيِّد وزنتـك قـد ربحت عشرة وزنات" (لو١٩: ١٦)، فوُهب لهم الدخول إلى كرامات أعظم. لقـد كانوا ذوي غيرة قلبية حارة، ونيَّة مستقيمة شُجاعة فلبسوا سلاح الله الكامـل درع البر، وخوذة الخلاص، وأخذوا سيف الروح. لأنه لم يغب عنه أنهـم لا يحارِبون ضد لحم ودم، بل ضد رؤساء وقوات، ضد ولاة العالم علـى هـذه الظلمة، ضد أجناد الشر الروحية في السماويات (أف٦: ١٢)، فكثيرون هم الذين يجدلون لأنفسهم أكاليل الشهادة، وباحتمالهم الصراعات حتى بذل الحياة وسفك الدم، قد صاروا "*منظرًا للعالم للملائكة والناس*" (١كـو٤: ٩)، وحُسبوا مستحقين لكل إعجاب ومديح. وآخرون صبروا على الأتعاب والاضطهادات مجاهِـدين بغيرة حارة لأجل مجد المسيح. وكما يعلن بولس الإلهي: "*فقد دخلت ذئـاب خاطفة بين قطعان المسيح، وهي لا تشفق علـى الرعيـة*" (أع٢٠: ٢٩). فعلـة ماكرون، رُسُل كذبة (٢كو١١: ١٣)، يتقيَّأون خبث الشيطان وحقده "*ويتكلمـون*

بأمور ملتوية" (أع٢٠: ٣٠)، ليقودوا نفوس الجهلاء إلى الهلاك، "*ويجرحون ضميرهم الضعيف*" (١كو٨: ١٢). هؤلاء بتملُّقِهِم سلطات هذا العالم، أثاروا اضطهادات وضيقات على أبطال الحق، ولكن الأبطال لم يَحسِبوا كثيرًا ما عانوه من آلام لأنهم كانوا ينظرون إلى الرجاء الذي لهم في المسيح، فلم يكونوا يجهلون أنهم إن كانوا "*يتألمون من أجله فإنهم سيملكون معه*" (٢تي٢: ١٢). فهم تيقَّنوا أنه في زمن القيامة "*سيُغيِّر شكل تواضعهم ليكون على صورة جسده الممجَّد*" (في٣: ٢١). إنهم آمنوا تمامًا بما قاله الرب عن نهاية العالم، إنه عندما يظهر لهم ثانية من السماء: "*سيضيئون كالشمس في ملكوت أبيهم*" (مت١٢: ٤٣).

إذن فيسوغ لهم بحق أن يقولوا في صلواتهم: "*ليأتِ ملكوتك*"، لأنهم يشعرون بالثقة أنهم سينالون مجازاة شجاعة إيمانهم، وسيبلغون غاية الرجاء الموضوع أمامهم.

ليته يكون لنا نحن أيضًا نصيب معهم، أن نُحسب أهلاً لهذا الميراث العظيم في المسيح، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس، إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٧٤)

لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض

(لو ١١: ٢)

توسّل داود النبي إلى المسيح مخلِّص الجميع قائلاً: "*امـدني إلـى حقـك وعلِّمني إنك أنت الله مخلِّصي*" (مز٢٥: ٥)، لأن الذين هم في المسيح بالإيمـان هم الذين يتعلَّمون من الله، ونحن، من بين هؤلاء، لذلك لنلتمس منه أن يشرح لنا كلماته، لأن كل من يريدون أن يفهموا جيدًا دونما خطأ ما يريد الـرب أن يعلِّمهم، هم في حاجة إلى النور الإلهي، إذ هو المانح لكل حكمـة، ويـشرق بنوره على ذهن وقلب أولئك الذين يسألونه، وها مرنم المزامير يقول أيـضًا: "*افتح عيني فأرى عجائب من شريعتك*" (مز١١٩: ١٨). لذلك، فلنفحص أيـضًا هذا الجزء من الصلاة، لأن ما سنربحه لخلاص النفس ليس قليلاً.

لماذا إذن، أوصى الرب القديسين أن يخاطبوا الله الآب الذي فـي الـسماء قائلين: "*لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض*؟".

إن هذه الطلبة تليق بالقديسين، وهي مملوءة مديحًا أيضًا. إنه يليق بالقديسين أن يتوسّلوا من أجل أن تسود مشيئة الله الصالحة على الأرض، ومـا الـذي يهدف إليه هذا التوسُّل سوى أن يعيش كل البشر حياة مختارة تستحق المديح، وأن يمارسوا ويعرفوا كل فضيلة؟ فـنحن نؤكـد أن الملائكـة القديـسين إذ يصنعون مشيئة الله فإنهم يقيمون في مجد في السماء لأنه مكتوب: "*بـاركوا الرب يا جميع قواته، يا خدامه العاملين مشيئته*" (مز١٠٢: ٢١س). لأنهم بالتزامهم بمشيئة سيدهم وبتتميمهم البر الذي يفوق الأمور البشرية، يحفظـون رتبـتهم العالية، وأما أولئك الذين فعلوا بخلاف ذلك، فقد سقطوا من رتبتهم.

ولكن لكي نسير قُدُمًا ونحصر معنى الكلام باختصار، فلنتضرع أن يمـنح الله القوة للساكنين على الأرض، لكي يصنعوا مشيئته ويتمثّلوا بالسلوك الـذي



يمارسه الملائكة القديسون فوق في السماء، لذلك، فلنتأمل بقدر ما نستطيع بأية طريقة تمارس القوات العلوية ورتب الملائكة القديسين واجبهم بنجاح، كيف يكرِّمون الله؟ هل بتقديم ذبائح دموية؟ هل بأطياب وبخور كما كان يفعل إسرائيل حسب الجسد؟ ولكنني أظن أن هذا غير معقول فكرًا وقولاً. لأنه من الصواب بالحري أن نؤكد أنهم يُتمِّمون خدمة روحية وليست مادية، مقدِّمين دائمًا التماجيد والتسابيح لخالق الكل، ومكمِّلين البِرَّ اللائق بالأرواح القديسة. إذن فأولئك الذين يتوسلون في صلواتهم أن تتم مشيئة الله على الأرض، ينبغي بالضرورة أن يحيوا هم أنفسهم بلا لوم، وأن لا يبالوا بهذه الأمور الأرضية، بل أن يتحرَّروا من كل دنس، ويقفزوا خارجًا من حفرة الإثم، "*مكمِّلين القداسة في خوف الله*" (٢كو٧: ١)، وكما يقول بولس الرسول أيضًا، أنه حتى وإن كانوا يسيرون على الأرض، تكون "*سيرتهم هي في السموات*" (في٣: ٢٠). وفوق كل شيء، فليعرف أولئك المُنتَمون إلى الجماعة اليهودية، ولكنهم قد اغتنوا بالبِر الذي في المسيح بالإيمان، أنه من اللائق جدًّا أن يُتمِّموا كلمة الله، وأن يتخلوا عن الخدمة التي تتكون من المظاهر والرموز، ويختاروا بالأحرى الخدمة الروحية، النقية وغير المادية، كما يقول المخلِّص في موضع ما: "*الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له*" (يو٤: ٢٤).

أما كون الطريقة الناموسية للخدمة ليست هي ما يطلبه الله، فإنه أمر ليس من الصعب أن نراه من الكتابات النبوية والرسولية. لأنه يقول بفم إرميا النبي: "*لماذا تأتون لي باللبان من شبا وقصب الذريرة من أرض بعيدة؟ محرقاتكم غير مقبولة وذبائحكم لا تلذ لي*" (إر٦: ٢٠ س) ويقول بصوت داود: "*لا آخذ من بيتك ثورًا ولا من حظائرك جداء... هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس*" (مز٤٩: ٩-١٣س). كما أن المغبوط بولس يوضِّح أيضًا أن خدمة الناموس هي بلا قوَّة للتبرير فيقول: "*ولكن أن ليس أحد يتبرَّر بالناموس عند*

الله فظاهر" (غلا٣: ١١). إذن، فمشيئة الله التي نصلّي لأجل أن تكون على الأرض، ليست هي أن نتطابق مع الناموس وأن نحيا بحسب خشونة الحرف، بل أن نجتهد أن نحيا بالإنجيل. وهذا يتم بإيمان صحيح بلا عيب، وبحياة مقدسة لها الرائحة الحلوة لكل فضيلة ولها برهان بشهادة السلوك الصالح النبيل في كل ما هو ممتاز.

ولكي أشرح لكم بطريقة أخرى معنى ما هو موضوع أمامنا، فنحن نقول إن أولئك الذين يتوسلون قائلين: "*لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض*"، إنما يُصلُّون أن يروا توقُّف الخطية. لأن ناموس موسى أُعطيَ للإسرائيليين ليكون مؤدِّبًا لهم، ولكن الذين استلموه قدمْوا اهتمامًا ضئيلاً بوصاياه، وكانوا "*محبين للذَّات دون محبة الله*" (٢تى٣: ٢-٤) وتحوّلوا ليتبعوا مشيئتهم الخاصة، فضلُّوا وراء تعاليم ووصايا الناس، وقال الله عنهم في موضع ما: "*هذا الشعب يقترب إليَّ، ويكرمني بشفتيه، وأما قلبهم فأبعدوه عنِّي وصارت مخافتهم منِّي باطلة، بينما يُعلِّمون تعاليم ووصايا الناس*" (إش٢٩: ١٣).

وقال عنهم أيضًا بفم إرميا: اسمعي أيتها الأرض، هاأنذا جالب شرًّا على هذا الشعب ثمر أفكارهم لأنهم لم يصغوا لكلامي، وشريعتي رفضوها (إر٦: ١٩). هكذا كانت حالة اليهود، ولكن الشعوب الأخرى التي انتشرت في كل الأرض كانت في ضلال بطرق مختلفة، "*لأنهم عبدوا المخلوق دون الخالق*" (رو١: ٥)، وإذ أذلُّوا عقولهم بالخضوع للأرواح النجسة، لذلك انقادوا بواسطتهم بسرعة وبدون فهم إلى كل ما هو دنيء، وكل نوع من الشر كان مكرَّمًا بينهم "الذين مجدهم في خزيهم"، كما يقول الكتاب (في ٣: ١٩).

فالقديسون يبتهلون من أجل جميع الناس أيًّا كانوا، من إسرائيل كما من الأمم ليُحسَبوا مُستحقين للسلام الذي من الأعالي، وأن يجدوا راحة القلب بعد البؤس الذي كانوا يقاسونه حينما كانوا واقعين في حبال الإثم الذي لم يكن لهم إمكانية الفرار منه: وإذ ينالون البر الذي في المسيح بالإيمان، يمكنهم أن يصيروا

أطهارًا، وناجحين في كل عمل صالح. من أجل هذا يُصلُّون قـائلين: " لـتكن مشيئتك، كما في السماء كذلك على الأرض "، لأن مشيئة إله الكل ـ كما سبق وقلت ـ هي أن يحيا سكان الأرض بقداسة وتقوى وبلا لوم، إذ يُغسَلون مـن كل دنس، وهم مثابرون على التمثُّل بالجمال الروحي للأرواح العلويـة فـي السماء، حتى أن الكنيسة على الأرض، كَونها هي المثال المنظور والـصورة "لكنيسة الأبكار" التي في الأعالي، تصير مرضيَّة للمسيح، الذي به ومعـه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس، إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٧٥)
أعطنا كل يوم خبزنا الضروري

(لو ١١: ٣)

أولئك الذين يقتنون الثروات الأرضية يَدعون أصحابهم الذين يودُّون أن يكرموهم إلى بيوتهم، ويضعون أمامهم المآدب الفاخرة، قاصدين بذلك أن يعطوهم الفرصة ليمتِّعوا ذواتهم، مع أنهم لم يعدُّوا لهم شيئًا أكثر مما يشبع شهيتهم للطعام المادي. أمَّا مخلِّصنا رب الكل، فلا يقدم لنا مأدبة نستمتع بها جسديًّا، فهذا ليس بنافع لنا، بل قد يكون ضارًّا حتى للجسد نفسه، وإنما هو يقدم ولائم روحية لقلوب أولئك الذين يريدون أن يحيوا بالتقوى، مانحًا إياهم تعليم الإنجيل الخلاصي الذي به يصير الإنسان ممتلئًا من كل صلاح ووارثًا للحياة الأبدية، وما قد قلته، تُعلِّمه لنا بوضوح هذه الفقرة التي أمامنا الآن، والرب يقول: "متى صلَّيتم ينبغي أن تقولوا: "*أعطنا كل يوم خبزنا الضروري*".

ولكن ربما يعترض البعض قائلاً: إنه ليس من المناسب ولا من اللائق بالقديسين أن يطلبوا من الله هذه الأمور الجسدانية، ولذا قد يأخذون ما قيل بالمعنى الروحي، ويؤكدون أنهم لا يسألون الخبز الأرضي أو ما هو للجسد، بل ذلك الذي نزل من فوق، من السماء فأعطى الحياة للعالم. وأنا أيضًا بلا أدنى شك أقول: إنه من الأليق جدًا بالقديسين أن يسعوا بكل جهد ليُحسَبوا مستحقين للعطايا الروحية، ولكن من جهة أخرى ينبغي لنا أن نفهم أنه حتى إذا ما كانوا يطلبون مجرد الخبز العادي إلاَّ أنه لا لوم عليهم البتَّة في ذلك إذا كانوا يسألونه من الله حسبما يدعوهم المخلِّص أن يفعلوا هكذا، لأن هذا يليق بتقوى حياتهم. فيجب علينا أن نمعن النظر في المعنى المتوارى لهذه الكلمات وما يحتويه من تعليم.

فالرب إذ أوصاهم أن يسألوا من أجل الخبز، أي من أجل خبز يوم واحد، فهذا برهان واضح على أنه لا يسمح لهم بامتلاك أي شيء، بل يطلب منهم أن يمارسوا

الفقر اللائق بالقديسين. فالطلب ليس من حق من يمتلكون بل لمن هم بالحري في حاجة لم يحتاجه الجسد بصورة ضرورية، ولا يستطيع أن يعمل بدونه. فإذا افترضنا أن واحدًا ليس محتاجًا إلى شيء، وطلب من الله العالِم بكل شيء قائلاً: "*أعطنا* خبز *اليوم*"، فإنه يبدو بطبيعة الحال كمن يأخذ باستهزاء، أو ربما كمن يجعل الوصية مدعاة للسخرية، ويتصور كما يفعل البعض أن "*الرب لا يبصر وإله يعقوب لا يلاحظ*" (مز٩٤: ٧).

ولكن بهذه الوصية نفسها ــ طالما هم يسألون ما ليس عندهم نفهم أن الرب لا يروم لتلاميذه أن يبتغوا الغنى الأرضي، وهو ينهاهم في مناسبة أخرى قائلاً لهم بوضوح: "*لا تقلقوا من أجل حياتكم ماذا تأكلون أو ماذا تشربون، ولا أجسادكم ماذا تلبسون لأن هذه الأمور كلها تطلبها الأمم، ولكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزاد لكم، لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها*" (مت٦: ٢٥ـ٣٣).

وكلمة " إيبى أوسيوس " ἐπιούσιον التي تُطلَق على الخبز، يشرحها البعض بمعنى ما هو آتٍ، أي المزمع أن نُعطاه في العالم الآتي بالمفهوم الروحي أيضًا، في حين أن آخرين يُعطون للكلمة معنىً مغايرًا. ولكن إذا كان حقًّا أن الخبز الذي يُشار إليه في هذه الطلبة سيعطى في العالم الآتي، فلماذا يضيفون: "*أعطنا كل يوم*"؟ لأن من هذا نرى أنهم يلتمسون مؤونتهم اليومية، وهم يسألون لا كأناس محبين للثروة بل كأحرار من كل هَمّ أرضي. فمعنى ἐπιούσιον إذن ما هو ضروري وكافي. والرسول المغبوط بولس قد استخدم هذا التعبير مع تحوير طفيف عندما تكلم عن المسيح مخلّص العالم قائلاً عنه: " أنه أعد لنفسه شعبًا خاصًا περιούσιον مستعملاً "بيرى أوسيوس" بدلاً من " إيبى أوسيوس" قاصدًا بذلك " شعب كُفء لا يعوزه الكمال" فهم عندما يطلبون قوت يومي فحسب (كفافهم) يعرفون أنهم يقدمون طلبتهم كأناس أحرار من شهوة الغنى بل ويحسبونه فخرًا لهم أن يكونوا معدمين تمامًا من كل الأشياء الأرضية.

لأنه يليق بمن تعيّنوا للخدمة الكهنوتية أن يكونوا خالين من كل هم وإنشغال



دنيوي، غير منقادين وراء تلك الأمور التي تغرق الناس في الهموم وتلقي بهم كما في حمأة، في قاذورات الشهوات العالمية: "*لأن محبة المال أصل لكل الشرور*". ومن الصواب أن أقول لمن يبتغون أن يقلعوا عن مثل هذه العيوب أنهم ينبغي أن يتركوا للعالم ما يخصه وأن يجحدوا كل الأمور الجسدية، وأن يطلبوا من الله فقط ما هو ضروري لقوام الحياة، مُتَحَدِّين عجز الجسد الذي لا يكف عن طلب الطعام، ومستعدِّين ـــ لو كان ذلك جائزًا ـــ أن يهربوا منه تمامًا، وبذا يمكن أن تطول الحياة، بل وأن يتقبَّلوا هذا بفرح عظيم، بقبول هذا التجرُّد.

لأنه كما أن أولئك الذين يعرفون كيف يجاهدون المصارعات الجسدانية، ويبرعون في ألعاب المسابقات، يتجرَّدون حتى من ثيابهم، ويقفون بشهامة صامدين أمام شِدَّة بأس مقاوميهم، كذلك القديسون إذ يتخلصون من كل الهموم الدنيوية والشهوات الجسدانية، بل ولا يبالون حتى أن يقتنوا وفرة من القوت، متجرِّدين ـــ كما قلت ـــ لمقاومة إبليس وكل أعوانه أعداء الحق، فإنهم يُكرِّسون أنفسهم تمامًا للجهاد الموضوع أمامهم في الخدمة الكهنوتية، فينالون النصرة كمجاهدين.

وهذا ما يقوله أيضًا الرسول الإلهي بولس في إحدى رسائله (٢تي٢: ٤) عن أولئك الذين يحاربون في الجسد: "*ليس أحد وهو يتجنَّد يرتبك بأعمال الحياة لكي يرضي من جنَّده*"، لأنه ليس من محارِب يذهب إلى معركة وهو محمَّل بأشياء زائدة عن الحاجة، بل فقط تلك المُعدَّات الضرورية المناسبة للمحاربين.

إذن يليق بالقديسين، كأناس أُعطي لهم أن يجاهدوا ليس فقط ضد: "*دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة عالم ظلمة هذا الدهر مع أرواح الشر في السماويات*" (أف٦: ١٢)، يليق بهم أن يمنطقوا حسنًا أحقاء ذهنهم حتى لا يكونوا معرَّضين لضربة أولئك الخصوم الذين يقاومونهم ويحاربون ضد الرسالة التي يكرزون بها. ومن اللائق بهم أيضًا أن يكونوا ذوي غرض واحد في حياتهم، بمعنى أن يفكروا ويسعوا فقط فيما يرضى الرب، وأن لا يسمحوا بأن يتسرب إليهم شيء من هذا العالم، بل إذ يكونون كلهم مقدَّسين بالتمام وبلا لوم، فإنهم يجعلون حياتهم ذبيحة

مقدَّمة لله، لأنه مكتوب أن "*كل تقدمة كاهن تحرق بكمالها*" (لا٦: ٢٣). لأن حياة محبِّي العالم تكون منقسمة (بسبب هَمّ العالم) بحسب تعبير القديس بولس[٢]، أمَّا حياة القديسين فليست كذلك، إذ أنهم كرَّسوا حياتهم بالكامل وتقدَّسوا تمامًا، فتنبعث منهم رائحة طيِّبة أمام الله.

وهذا هو ما نقول عنه إنه " محرقة كاملة " أو " تُحرق بكاملها " ولكن إذا وُجد شيء ما غير مقدَّس في أيَّة تقدمة فإنه يلوِّث الذبيحة ويُغيِّرها ويقسمها أو بالحري يختلط النجس بالطيِّب. وتتلاشى رائحته الطيِّبة، فمحبة المال إذا تسربت إلى حياة القديسين فهي تكون كشيء كريه الرائحة، وكذلك القلق من أجل أمور الجسد، لأن الله في كل مكان قد وَعَدَ القديسين أنهم لن يكونوا في عوز إلى شيء.

فإذا كنا لا نثق أنه سيمنحنا هذا، فقد صرنا شركاء اليهود في عدم إيمانهم، لأنه عندما أخرج الله الكلِّي القدرة لهم ماء من الصخرة، بطريقة إعجازية لا يُعبَّر عنها — تذمَّروا عليه قائلين: " *هل يقدر الله أن يرتِّب مائدة في البرية؟*" (مز٧٨: ١٩).

ولماذا لا يقدر، ولماذا لا يعطي ما قد وعد به؟ لأنه إذا كان الناس ذو السجايا الحسنة يكونون دائمًا أوفياء لما تنطق به أفواهم، فكيف يكون الله الذي هو أسمى من الجميع غير صادق فيما وعد به، بل إن البشر بعد أن يَعِدُوا بشيء صالح، كثيرًا ما يعجزون أن يوفوا بما وعدوا، أما هو الذي لا يشوبه ضعف، بل هو رب القوات، الذي يفعل كل ما يريد بلا مشقة بل بكل سهولة، كيف لا يُتمِّم كل ما يَعِد به البشر.

إذن فلنسأله ونحن "*ملقين كل همنا عليه*" (١بط٥: ٧)، ما يكفي لحياتنا، أي الطعام والكساء وكل ما يقوم بضروريات الحياة متجنِّبين كل رغبة في الغِنى، لأن ذلك يهدِّد حياتنا بالدمار، وإن كانت هذه هي إرادتنا فإن المسيح يقبلنا ويباركنا، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

[٢] يشير القديس كيرلس هنا إلى حديث الرسول بولس عن هم العالم في (١كو٧:٣٢ــ٣٤) (المعرِّب).



عظة (٧٦)
و اغفر لنا خطايانا، لأننا نحن أيضًا نغفر لكل من أساء إلينا

(لو١١: ٤)

إن إشعياء النبي المبارك عندما كان يتنبأ عن طريق الخلاص بالكرازة بالإنجيل، نطق هكذا قائلاً في موضع ما: "*وستكون هناك طريق مستوية يُقال لها الطريق المقدّسة*" (إش٣٥: ٩س)، لأنها تقود أولئك الذين يسلكون فيها إلى القداسة بعبادة روحية وبِر أعلا من الناموس.

ويحضرنا كذلك ما يقوله المسيح لمن يحبونه: "*الحق أقول لكم، إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين، فلن تدخلوا ملكوت الله*" (مت٥: ١٠). وأقول إنه من واجب من دُعوا بالإيمان إلى معرفة مجد المسيح مخلِّصنا جميعًا، وقد اتخذوه رأسًا لهم أن يفرحوا في تمثُّلهم بأعماله، وأن يكونوا جادِّين في أن يجعلوا نورهم يضيء بالسِّيرة المقدسة التي لم تكن لهم قبل أن يأتوا إلى الإيمان: "*لأن كل الأشياء قد صارت جديدة في المسيح*" (٢كو٥: ١٧).

فالرب يطلب من تلاميذه أن يكونوا ودعاء بطيىء الغضب، حتى يستطيعوا أن يقولوا بلا لوم في صلواتهم: "*واغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضًا نغفر لكل من أساء إلينا*".

يا لعظمة حكمة الله العجيبة وعُمق غنى معرفته الفائقة ! إنه يطلب منهم أولاً أن يسألوه الغفران عن خطاياهم التي ارتكبوها، وبعد ذلك أن يعترفوا أنهم يغفرون أيضًا كُليَّة للآخرين، وكأنهم يسألون الله أن يطيل أناته عليهم كما يفعلون هم أيضًا مع الآخرين، وأن يعاملهم بمثل اللطف الذي يمارسونه هم مع العبيد. إنهم يتوسلون أن ينالوا نفس الكيل من الله الذي يُعطي بعدل، ويعرف كيف يُظهِر الرحمة لكل إنسان.

فتعالوا بنا نسعى لندرك بوضوح أكثر معنى هذه الصلاة، بالتعمُّق في هذا المقطع الذي أمامنا والتدقيق فيه. فكما قلت: إن الرب أوصانا عندما نتقدَّم إليه أن نقول:



"*اغفر لنا خطايانا*". فلنفحص معًا من فضلكم ما هي المنفعة التي تنالها من هذه الصلاة. فالذين يتوسلون إلى الرب هكذا، ليسوا متشامخين، وهم لا يرتأون في أنفسهم أمورًا عظيمة، ولا يتعالون على الضعفاء، بل كما يقول الكتاب "*هم قضاة لأنفسهم*" (أم١٣: ١٠س). فهم ليسوا مثل ذلك الفريسي، الجاهل والمتكبر، الذي تجاسر حتى على أن يجعل الرب نفسه شاهدًا له، حسبما يقول ذلك المثل "*إنسانان صعدا إلى الهيكل ليُصليا، واحد فريسي والآخر عشار، أما الفريسي فوقف يُصلِّي في نفسه هكذا: اللهم أنا أشكرك أنِّي لستُ مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار، أصوم مرتين في الأسبوع وأعشِّر كل ما أقتنيه، وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: اللهم ارحمني أنا الخاطئ، أقول لكم إن هذا نزل إلى بيته مبرَّرًا دون ذاك*" (لو١٨: ١٠ــ١٤).

فانظروا كم هو مهلك للنفس أن يتعالى الإنسان بنفسه على الضعفاء، متوهمًا أن سلوكه غير معرَّض للوم من أي ناحية مطلقًا. بل بالحري ينبغي علينا أن نضع في اعتبارنا على الدوام ونُفكِّر: "*إننا في أشياء كثيرة نعثر جميعًا*" (يع٣: ٢). بل ويمكننا أن نقول إننا دائمًا نخطئ، وأحيانًا حتى بغير إرادتنا، لأنه مكتوب: "*مَن يستطيع أن يدرك خطاياه؟*" (مز١٨: ١٢س)، وها هو مُنشِد المزامير المغبوط يتوسل إلى الله بحرارة وبصراحة تامة قائلاً: "*مِن الخطايا المستترة طهِّرني، ومِن المتكبرين احفظ عبدك فلا يتسلطوا عليَّ، حينئذ أكون بلا لوم، وأتنقَّى مِن خطية عظيمة*" (مز١٨: ٢٣ س).

وكذلك أيضًا أيوب الذي كان مثالاً عظيمًا في الصبر، نراه يُقدِّم ذبائح عن خطايا أبنائه، غير المعروفة، أو بالأحرى غير المكتشفة، قائلاً: "*ربما أخطأ بنيَّ وجدَّفوا على الله في قلوبهم*" (أي١: ٥)، ونذكر أيضًا بولس ذا الحكمة العالية الذي عندما كتب قائلاً: "*فإنِّي لستُ أشعر بشيء (من الخطأ) في ذاتي*"، استدركَ قائلاً "*لكنني لست بذلك مبرَّرًا، ولكن الذي يَحكُم فيَّ هو الرب*" (١كو٤:٤).

إذن من النافع لنا جدًّا وعلى الدوام أن نخرَّ ساجدين أمام الله الذي يُحب كل ما هو صالح ونقول: "*اغفر لنا خطايانا*"، فهو قد قال بفم أحد أنبيائه القديسين: "*اعترف أولاً*

بتعدياتك لكي تتبرَّر" (إش٤٣: ٢٦س). وإذ لم يكن هذا المبدأ مجهولاً لدى المغبوط داود، فقد أنشد هكذا في مزاميره: "*قلتُ أعترف للرب بذنبي، وأنت غفرتَ إثم قلبي*" (مز٣١: ٥).

لأن الله سريعًا ما يرضى على الإنسان ويتراءف على من لا يتناسون ذنوبهم، بل يسقطون على وجوهم أمامه ويسألونه الغفران، إلاَّ أنه شديد بحق وعدل على قساة القلوب والمتكبِّرين، وعلى كل من يسعى بمنتهى الجهل أن يُبرئ نفسه من اللوم. فالرب قد قال لمن هو على مثل هذا الحال: " *هاأنذا أحاكمك لأنك قلتَ، إنِّي لم أخطئ*" (إر٢: ٣٥)، لأنه مَنْ يمكنه أن يفتخر بأن له قلبًا نقيًّا؟ أو من يقدر أن يتجاسر ويقول إنه برئ من الخطايا؟ إذن فالطريق المؤدِّي إلى الخلاص والذي ينقذ الجادِّين في السير من غضب الله، هو الإقرار بالذنوب، وأن نقول في صلواتنا لمن يبرِّر الأثيم: "*اغفر لنا خطايانا*".

هناك أيضًا طريقة أخرى ننتفع بواسطتها: فأولئك الذين يعترفون بحق أنهم أخطأوا، ويريدون أن ينالوا الصفح من الله، فهؤلاء بالضرورة يهابونه باعتباره أنه هو الذي سيكون الديان، فهم لا يمكنهم أن ينسوا أنهم سيقفون أمام كرسي دينونة الله الرهيب، وكما يكتب بولس الحكيم جدًّا: "*لأنه لابد أنَّنا جميعًا نُظهَر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرًا كان أم شرًّا*" (٢كو٥: ١٠).

إن أولئك الذين يضعون في اعتبارهم أنهم لابد أنهم سيقفون أمام كرسي الديان ويعطون حسابًا عما فعلوا، وأنهم إذا أُخذوا بجريرة ما، فسوف يقاسون عقابًا مريرًا، أو سيُمدحون إذا ما كانوا قد سلكوا سلوكًا حسنًا وعاشوا حياة فاضلة في الجسد على الأرض. مثل هؤلاء، من جهةٍ، سيتُوقون إلى الصفح عما ارتكبوا من خطايا حتى ينجو من العذاب الذي لا نهاية له والعقوبة الأبدية، ومن جهةٍ أخرى، فإنهم يهتمون بأن يحيوا باستقامة ويسيروا سيرة لا عيب فيها، حتى يمكنهم أن ينالوا الإكليل اللائق بحياتهم الفاضلة، لأنهم بهذا سيتلطَّف بهم الديان، ولن يذكر لهم شيئًا مما عملوه من سيئات، فالرب يقول: "*شَر الشِّرير لا يؤذيه يوم يتوب عن شرِّه*" (حز٣٣: ١٢س).

ولكن لا يتوهَّم أحد، أنه يحق لكل الناس بلا تفرقة أن يقولوا: "*اغفر لنا آثامنا*"،

فإنه لا يليق بمن يستمرِئون البقاء في شرورهم أن يقولوا: "*اغفر لنا خطايانا*"، بل لمن تخلّوا عن رذائلهم السابقة راغبين بكل جدية أن يحيوا كما يليق بقديسين، وإلاَّ فلا شيء يمنع فعلة الشر، ضاربي الآباء وقاتلي الأمهات، والزناة والسحرة، وكل من ارتكب مثل هذه الجرائم الأشد شناعة، أن يستمر في فعلها ويعزّز وجود دوافعها الشريرة كما هي بدون تغيير، ويُنجّس نفسه بكل الأفعال الدنيئة، ثم يتقدم إلى الله بجسارة ويقول: "*اغفر لنا خطايانا*". لهذا السبب فإن مخلّص العالم ورب الكل لم يختم هذه العبارة عند هذا الحد، بل أمرنا أن نضيف قائلين: "*لأننا نحن أيضًا قد غفرنا لكل من أساء إلينا*". فإن هذا لا يتناسب إلا مع الذين قد اختاروا لأنفسهم الحياة الفاضلة، وساروا بلا تراخٍ في طريق مشيئة الله، تلك التي هي كما يقول الكتاب: "*صالحة ومرضيَّة وكاملة* " (رو١٢: ٢). هؤلاء يتحلّون بطول الأناة، ولا يلومون الذين أساءوا إليهم. وحتى إذا ما أساء إليهم أحد، فإنهم لا يفكرون في هذا الأمر. فبطء الغضب هو فضيلة ممتازة، وهو ثمرة تلك المحبة التي قال عنها الرسول الحكيم إنها: "*تكميل الناموس*" (رو١٣: ١٠).

ثم تأملوا معي في جمال هذه الفضيلة الفائقة ولو بالمقارنة مع قبح الرذيلة المضادة لها، لأن الغضب في الواقع هو مرض خطير، ومن استسلم له بفكره صار إنسانًا حادَّ الطبع، نكدًا، عنيفًا، وعنيدًا، ومَرتعًا خصبًا للغضب والصياح، وإذا ما استمر المرء على هذا الحال وقتًا طويلاً لكان من الصعب شفاؤه، بل، وأكثر من ذلك نجده دائمًا ينظر بعين شريرة لكل من أساء إليه فهو يترقبه بحقد شديد، متطلعًا إلى متى وأين يمكنه أن يلحق الضرر به، وهذا في أغلب الأحيان لا يكون كيلاً بكيل، بل مرات كثيرة يكون الانتقام أشد من الإساءة بكثير.

إن مثل هذا الإنسان لا يكف عن تدبير المكيدة في الخفاء. ألا يكون مثل هذا قد عرَّض نفسه لكل العيوب، بل ويكون مبغضًا لله ومرفوضًا منه، وبالتالي يكون في غاية البؤس ؟ كما هو مكتوب: "*أمَّا سبل الغضوب فهي إلى الموت*" (أم١٢: ٢٨ س).

ولكن الإنسان البسيط القلب غير الغضوب يتّسِم أوّل ما يتّسِم بالاحتمال، إلا أن



الاحتمال الذي يمارسه البشر ليس بنفس القدر كالذي يأتي من فوق ومن الله، فإنسان الله الذي لا يستسلم قلبه لانفعال الغضب، بل يسود عليه ويتحكَّم في نفسه أمام كل إثارة مكدِّرة تنشأ فيه. إنه صفوح وعطوف على كل رفقائه، لطيف وودود ومترفِّق بضعف قريبه ـــ وهذه كانت سجايا تلاميذ المخلِّص ـــ وها هو المغبوط بولس يكتب قائلاً: "*نُشتم فنبارِك، نُضطهد فنحتمل، يُفترى علينا فنعظ*" (١كو٤: ١٢، ١٣). لأنهم تمثلوا بربهم: "*الذي إذ شُتم لم يكن يشتم عوضًا، وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلِّم لمن يقضي بعدل*" (١بط٢: ٢٣). فنحن إذن ينبغي علينا أن نطلب من الله مغفرة خطايانا التي ارتكبناها عندما نكون نحن أنفسنا قد سبقنا وغفرنا لمن أساء إلينا في أي شيء، بشرط أن تكون خطيتهم ضدنا وليس ضد مجد الله الكائن على الكل، لأنه ليس لنا سلطان على هذه الأخيرة، بل على تلك التي تكون قد ارتُكِبَت ضدنا نحن، وهكذا، بالصفح لإخوتنا عما عملوه في حقنا فإننا يقينًا سنجد المسيح مخلِّص الكل مترفِّقًا بنا مستعدًّا أن يُظهِر رأفته، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٧٧)
ولا تدخلنا في تجربة

(لو ١١: ٤)

هلموا يا جميع مَنْ تحبون أن تكمّلوا المشيئة الإلهية، ويا مَنْ تشتاقون بغيرة حارة أن تسلكوا حياة لا عيب فيها، هلّموا لنقترب من الله الكائن على الكل، ونتوسل إليه قائلين: "*عرِّفني يا رب طرقك وعلِّمني سبلك*" (مز ٢٤: ٤س)، لأن كل حكمة وفهم هما منه، معرفة كل صلاح تأتينا من فوق من العرش الفائق العلو، كما من ينبوع، ولا يستطيع إنسان أن يكمل أي شيء يستحق المدح ما لم يأخذ القدرة على ذلك منه.

وهذا ما يعلِّمنا إياه الرب نفسه قائلاً: "*بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئًا*" (يو١٥: ٥). فالرب الذي يعطي لكل الناس كل الأشياء التي يمكنهم أن يفتخروا بها عن حق، هو نفسه يقودنا الآن إلى أمر آخر من تلك الأمور الضرورية لخلاصنا. فهو يوصينا عندما نقف للصلاة أن نقول "*لا تدخلنا في تجربة*".

بهذه الكلمات يختم القديس لوقا الصلاة، أما القديس متى فنجده يضيف: "*لكن نجنا من الشرير*" (مت٦: ١٣)، ويوجد تقارب كبير بين كلا النصين: فمِن الواضح أن مَن لا يدخلون في تجربة، فهم أيضًا ينجون من الشرير... وإذا قال أحدهم: إن عدم الدخول في التجربة يساوي النجاة منها، فمثل هذا لا يكون قد حاد عن الصواب. ولكننا لنتأمل في هذا: هل يريد مخلِّص ورب الكل لأحبائه أن يكونوا جبناء؟ أو أن يكونوا متكاسلين وأذلاء مفضِّلين تجنُّب النضال عن الفوز بإكليل المجد؟

والروح القدس يقول في سفر المزامير: "*تشدَّدوا ولتتشجع قلوبكم يا جميع المتكلين على الرب*" (مز٣٠: ٢٤س). والمخلِّص نفسه يقول في موضع ما: "*طوبى للمضطَهدين من أجل البر لأن لهم ملكوت السموات*" (مت٥: ١٠)، فإن كان



الرب يُتوِّج ذاك الذي يُضطَهَد بمثل هـذه الكرامـات العظيمـة، وإن كـان الاضطهاد هو بلا شك تجربة، فبأي معنى يوصيهم الرب أن يتفادوا التجربة؟ إن الذين يدخلون المباريات الرياضية ويوجَدون مستحقين للتكـريم وتـصفيق الأيدي، لا يحصلون على ذلك من فراغ أو بدون بذل مجهود أو هم نـائمون على بساط الراحة، بل بعد كدٍّ وعناء شديدَين في تدريبات عنيفة.

كذلك فالرجل المتضلِّع جيدًا في فن التكتيك الحربي، والشجاع المحنَّك فـي المعارك، لا يُعرَف في السِّلم، بل عندما يُرى هذا الإنسان مُنازِلاً شديد البـأس مقابل عدوه. فإذا كان الأمر كذلك، فلماذا نرى الرب وكأنه يُعوِّق محبيه عـن الدخول في الجهاد بجعلهم يقولون: "*لا تدخلنا في تجربة*"؟

نجيب على هذا بقدر ما يمكننا من فهم، فنقول: إن الرب لم يرد لتابعيه أن يكونوا مُستضعَفين أو كسالى في أي طريق آخر، بل إنه يستحثهم أن يكونـوا شجعانًا في كل الأمور الجديرة بالمديح قائلاً لهم: "*ادخلوا من الباب الـضيق لأنه ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدِّي إلى الحياة الأبدية وقليلون هم الذين يجدونه*" (مت٧: ١٣).

فينبغي إذن أن يكون لنا غيرة روحية دائمة وطول أناة، وأن يكون لنا فكر ثابت لا يتزعزع في الملمَّات مهما كانت، مثلما كان للمغبوط بـولس عنـدما قال: "*من سيفصلني عن محبة المسيح، أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف*"؟ (رو٨: ٣٥). ولكن حتى إذا ما تسلّحنا بهذه النيَّة وبلغنا إلى هذه الدرجات من الشجاعة، إلا أنه ينبغي علينا أن نُفكِّـر باتـضاع عـن أنفسنا، ونكون "*مساكين بالروح*" حسب قول المخلِّص (مت٥: ٣)، ولا نتـصوَّر دائمًا أننا دائمًا سنتغلَّب على كل التجارب بالضرورة. لأنه يحـدث أحيانًـا أن يداهِم عقل الإنسان فزع لا يُحتمل، ينزل به إلى خوف سـاحق، كمـا يفعـل الشيطان المبغِض لكل خير، وإن عنف التجربة قد يَهِزّ أحيانًا عقل أشد الناس شجاعة. مثلما تفعل لطمات الأمواج العنيفة التي لا تطاق، فتُحطِّم أمتن السفن



بناءً وأكبرها حجمًا. وهكذا فإن العدد الكثيف من القذائف التي ترشقها أيـدي العدو من شأنها أن تجعل أشد الجنود بسالة يولي الإدبار، إذ لا ينبغي لأحد أن يثق في نفسه بزيادة غير مبالٍ بمصادمة التجارب مهما كان شـجاعًا ورابـط الجأش، بل بالحري يجب أن نعرف ضعف ذهننا، وليكن لنا مخافة متَّزنة لئلا نكون مثار سخرية أمام الذين يجرِّبوننا بكوننا غير قادرين على تحمُّـل شـدَّة القتال.

لذلك، فلنصلِّ أن لا نُجرَّب، لأنه أمر صعب أن نفرَّ من التجربة، كما أنـه أمر صعب بالنسبة لمعظم الناس أن يصمدوا إلى النهاية، ولكن إذا ما دعـت الضرورة وأُلقينا فيها رغمًا عنا، فلابد أن ندخل المعركة باذلين أقصى جهدنا ونصارع من أجل نفوسنا، غير هيَّابين البتة، بل بالعكس فإننا نتذكَّر ما قاله لنا المسيح مخلِّص الكل: "*لا تخافوا من الذين يقتلون الجـسد ولكـن الـنفس لا يقدرون أن يقتلوها، بل خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجـسد كليهما في جهنم*" (مت١٠: ٢٨). وكما كتب أيضًا ذلك الرسول القديس الذي قال: "*طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة، لأنه إذا تزكَّى ينال إكليل الحيـاة الـذي وعد به الرب للذين يحبونه*" (يع١: ١٢).

هناك، على أي حال، أنواع عديدة من التجـارب: منهـا اثنتـان عامَّتـان وشائعتان ومنتشرتان جدًّا في كل مكان، ومن اللائق بنا أن نخبركم بهمـا: إذ توجد في العالم هرطقات كثيرة، ويوجد رُسُل كذبة، ومعلِّمون كذبة، الـذين إذ يجمعون البدع التافهة ويثقلون أنفسهم بها، وإذ يفتخرون بفنون حكمـة هـذا الدهر، فإنهم يزيِّفون لغة الكرازة المقدسة، ويُكثرون مـن أقـوال التجـديف مغالِطين أنفسهم، وكما يقول المزمور: "*يرفعون إلى العلا قـرنهم متكلِّمـين بالإثم ضد الله*" (مز٧٤: ٥س). أجل وضدَّ الله الكلمة خالق الكل، الـذي بحـسب زعمهم، يحسبونه من بين تلك الأشياء التي خلقها. ويقولون أنه عبد وليس ابنًا، وانه مخلوق وليس ربًا... وهؤلاء إذ يقاومون المناضلين مـن أجـل الحـق،



يضطهدون أولئك الذين اختاروا التمسُّك بالتعليم الصحيح، والذين يدافعون عن المجد الإلهي، والذين يسعون أن يكلِّلوا كلمة الله الوحيد الجنس ويقدِّموا له التسبيح بأسمى عبارات التقديس. لذلك عندما تقابلك تجربة من هذا النوع فلا تطرح عنك درعك، ولا تكن كجندي يفر من المعركة أو كمصارع عديم المهارة والشجاعة، ولا تشتهي سلامًا في غير أوانه، يكون سببًا في دمار في المستقبل، بل تذكَّر أن المسيح مخلِّص الكل، قد قال: "*لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض، وما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا*" (مت١٠: ٣٤). وحتى إذا ما كان للمضطهدين سلطان دنيوي، فلا تخف من الأذى الذي يمكنهم أن يلحقوه بك، ولا حتى من خطر سفك الدم وضياع الحياة، لكن تذكَّر أيضًا نصيحة الرسول القديس الذي يقول: "*فإذن الذين يتألمون بحسب مشيئة الله فليستودعوا أنفسهم لخالق أمين*" (١بط٤: ١٩)، وأيضًا: "*فلا يتألم أحدكم كسارق أو فاعل شر أو متداخل في أمور غيره، ولكن إن كان كمسيحي فلا يَخجل، بل يُمجِّد الله من هذا القبيل*" (١بط٤: ١٥). لأنه أمر طبيعي أننا إن كنا نتألم ظلمًا من أجل اسمه، فنُحسب مستحقِّين لكرامات أبدية. فالجهاد لا يكون بدون مكافأة، والتعب ليس باطلاً، فكما قال القديس بولس: "*لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم وتعب المحبة التي أظهرتموها نحو اسمه*" (عب٦: ١٠). فهذه إذن هي الصراعات الموضوعة لكل الذين يتقون الله، لإعطاء الدليل على مَن يعرف كيف يحتمل الضيقات بصبر. فالشهداء المغبوطون قد فازوا بأكاليل البر بعد أن "*جاهدوا الجهاد الحسن وأكملوا سعيهم وحفظوا الإيمان*" (٢تى٤: ٧).

ثم أن هناك أنواعًا أخرى من التجارب، بجانب هذه، يمكننا أن نقول إنها عامة على الكل ولكنها تختلف من واحد لآخر، فكما يقول واحد من الرسل القديسين: "*لا يقل أحد إذا جُرِّب إني أجرَّب من قِبَل الله، لأن الله غير مجرَّب بالشرور، وهو لا يجرِّب أحدًا، ولكن كل واحد يجرَّب إذا انخدع وانجذب من شهوته، ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتًا*" (يع١:

١٣ـ١٥). يوجد إذن، جهاد، وخطر جسيم، قد وُضع على كل واحد حتى لا يسقط في الخطية، وينحرف عن جادَّة الصواب، ويتوه في ارتكاب الأعمال الخاطئة. إنَّ قوة الشهوات عنيفة جدًّا، ومثيرة لحروب جمَّة وأهواء شرسة ولذَّات دنيئة وعديدة ضد ذهن الإنسان؛ فالبعض قد ينغلبون من الشهوة الجسدية، وينحرفون إلى أحط أنواع الخلاعة، وآخرون قد ينساقون في حب الربح المادي، إلى أن يصيروا فريسة لحب الاكتناز الخسيس الذي يقودهم أخيرًا إلى أشنع الجرائم.

لذلك، يليق بنا حسنًا، نحن المعرَّضين لمثل هذه الشرور الخطيرة حتى ـــ وإن لم نكن قد سقطنا فيها بعد ـــ أن نُصلِّي قائلين: "*لا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير*". لأنه جيِّد للإنسان أن يكون بمنأى من كل شر، أما إن هاجمتك التجربة، فكن شجاعًا ولا تقبل الهزيمة، وأقمع الجسد، وألجم العقل واطلب المعونة من الله، فتحوز الأمان بالقوة الممنوحة لك من الأعالي. تشدَّد وتقوَّ ولا تكن ضعيفًا أو سهل الوقوع في فخاخ العدو، بل كن حذرًا، كن محبًا لله أكثر من حبك لأي لذة أخرى، فهو حينئذ سوف يعينك ويهبك النصرة، فهو مخلِّص الكل ورب الكل، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان، مع الروح القدس إلى دهر الدهور، آمين.



عظة (٧٨)

مثل صديق نصف الليل

(لو١١: ٥ـــ١٠): "*ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: مَنْ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ صَدِيقٌ وَيَمْضِي إِلَيْهِ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُولُ لَهُ: يَا صَدِيقُ أَقْرِضْنِي ثَلاَثَةَ أَرْغِفَةٍ، لأَنَّ صَدِيقًا لِي جَاءَنِي مِنْ سَفَرٍ وَلَيْسَ لِي مَا أُقَدِّمُ لَهُ. فَيُجِيبَ ذَلِكَ مِنْ دَاخِلٍ وَيَقُولَ: لاَ تُزْعِجْنِي! اَلْبَابُ مُغْلَقٌ الآنَ وَأَوْلاَدِي مَعِي فِي الْفِرَاشِ. لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَقُومَ وَأُعْطِيَكَ. أَقُولُ لَكُمْ: وَإِنْ كَانَ لاَ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ لِكَوْنِهِ صَدِيقَهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَجْلِ لَجَاجَتِهِ يَقُومُ وَيُعْطِيهِ قَدْرَ مَا يَحْتَاجُ. وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: اسْأَلُوا تُعْطَوْا. اُطْلُبُوا تَجِدُوا. اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ*"

إن لُغة الكتاب الإلهية المُوحَى بها دائمًا عميقة، فلا ينكشف معناها لمن عندهم مجرَّد رغبة فقط أن يفهموها، بل لأولئك الذين يعرفون أن يفحصوا أغوارها جيدًا، وقد اغتنوا بالنور الإلهي في ذهنهم، ذلك النور الذي بواسطته يبلغون إلى معنى الحقائق الخفية. لذلك فليتنا نطلب الفهم الذي يأتي من فوق، من الله، مع استنارة الروح القدس، حتى نبلغ إلى منهج سليم لا يخطئ. وبهذا المنهج يمكننا أن نرى الحق الذي تحويه الفقرة التي أمامنا.

قد سمعنا ما قاله المخلِّص في المثل الذي قُرئ علينا، الذي لو فهمناه جيدًا فسنجده مُحمَّلاً بالفوائد! إنَّ تسلسُل الأفكار فيه عجيب جدًّا، لأن مخلِّص الكل قد علَّمنا بناء على طلب الرسل القديسين ـــ ما هي الطريقة التي ينبغي أن نُصلِّي بها. ولكن قد يحدث لأولئك الذين تعلموا منه هذا الدرس الخلاصي الثمين، أن يُقدِّموا صلواتهم أحيانًا بحسب النمط الذي أُعطي لهم، ولكنهم يفعلون ذلك بمللٍ وكسلٍ. وهكذا حينما لا يُستجاب لهم بعد صلاتهم للمرَّة الأولى أو الثانية، فإنهم يكفُّون عن تقديم التوسلات وكأنها لا تجديهم نفعًا، ولذلك، فلكي لا يحدث معنا هذا، ولكي لا نعاني من الأذى الناتج عن صغر العقل هذا، فإنه يُعلِّمنا أن نواصِل ممارسة الصلاة باجتهاد. وبواسطة المثل

يبيِّن لنا بوضوح أنَّ الملل في الصلاة هو خسارة لنا. بينما الصبر في الصلاة هو نفع عظيم لنا، لأنه من واجبنا أن نثابر دون أن نستسلم للتراخي. وهذا يُعلِّمنا إياه بقوله: " *إن كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه فإنه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر ما يحتاج* ".

والآن فلننتقل إلى الحق الذي أعلنه في صورة مثل. كن لجوجًا في الصلاة، اقترب من الله المحب الشفوق، واستمر في ذلك على الدوام، وإذا رأيتَ أن عطية النعمة قد تأخرت، فلا تستسلم للضجر، ولا تيأس من جهة نوال البركة المتوقَّعة، لا تتخلى عن الرجاء الموضوع أمامك، ولا تقُل في داخلك بغباء: "إنني قد تقرَّبتُ مرَّات من الله، ولم أحصل على أي شيء مطلقًا، لقد بكيتُ ولم أنل شيئًا، لقد تضرعتُ ولم أُستجَب، طلبتُ لأجل كل شيء ولم يتحقَّق شيء". بل فكِّر بالحري في داخلك هكذا: " إن ذلك الذي هو الخزانة الجامعة لكل صلاح، يعرف حالنا أكثر مما نعرف نحن، ويعطي كل إنسان قدر ما يحق له وما يناسبه ". فأحيانًا أنت تطلب ما يعلو قامتك وتريد أن تحصل على تلك الأشياء التي لا تستحقها بعد. أما الواهب نفسه، فيَعلَم الوقت المناسب لمنح هباته.

إن الآباء الأرضيين لا يُحقِّقون لأولادهم رغباتهم في الحال، ولا يعطونهم إياها بدون تمييز، ولكنهم يبطئون غالبًا رغم الإلحاح عليهم، وهذا ليس بسبب شح أيديهم ولا لأنهم لا يعتبرون ما هو الذي يُسر سائليهم، بل لأنهم يعتبرون ما هو نافع وضروري لأجل سلوكهم الحسن.

فكيف إذن لذلك المعطي الغني والسخي، أن يهمل الإنجاز الواجب للناس، الذي يُصلُّون لأجله، إلاَّ إذا كان ــ طبعًا وبدون شك ــ يَعلَم أنه لن يكون نافعًا لهم أن ينالوا ما يسألونه ؟ لذلك، فينبغي أن نُقدِّم صلواتنا لله، عن معرفة، وبمواظبة، وحتى إذا كان هناك بعض الإبطاء في الاستجابة، فاستمر بصبر مثل جامعي الكَرْم، وتأكد أن ما نحصل عليه بدون عناء، ونربحه بسهولة فهو



عادة يكون محتَقَرًا، أمَّا ما نحصل عليه بكدٍ فهو يهبنا سعادة أكبر ويكون ملكًا ثابتًا لنا.

ولكنك ربما تقول: " إنني أتقدم إلى الله كثيرًا متوسلاً ولكن بدون نتيجة، أنا غير متكاسل في التضرعات، بل مثابر ولحوح جدًا، فمَنْ الذي يضمن لي أنني سأنال ما أطلب؟ مَنْ الذي يضمن لي أنَّ تعبي لن يكون باطلاً؟". "*وأنا أقول لكم*". هكذا يتكلم مُعطِي المواهب الإلهية نفسه إليك قائلاً: "*وأنا أقول لكم اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم، لأن كل مَنْ يطلب يجد ومَنْ يقرع يُفتح له*". وهذه الكلمات: "*وأنا أقول لكم*" لها كل قوة القَسَم. ليس أن الله يكذب حينما يكون الوعد غير مصحوب بقسم. بل لكي يُوضِّح أن ضعف إيمانهم قائم على غير أساس. وهو أحيانًا يُثَبِّت سامعيه بقَسَم. لذلك نجد المخلِّص في مواضع كثيرة يسبق كلماته بعبارة "*الحق الحق أقول لكم*". لذلك فعندما يجعل وعده قسمًا فانه يصبح أمرًا غير برئ من الإثم أن لا نصدقه.

لذلك فحينما يدعونا الرب أن نسأل، فهو يأمرنا ببذل الجهد لأننا بواسطة الجهد، نجد دائمًا ما نحتاج إليه، خاصةً إذا كان ما نطلبه يناسبنا أن نحصل عليه. فذلك الذي يقرع، لا يقرع مرَّة واحدة فقط ولكن مرَّة ومرات يهز الباب، إما بيده أو بحجر، لدرجة أن صاحب البيت يصبح غير قادر على احتمال ضجيج القرعات فيفتح له، حتى ولو ضد إرادته. فتعلَّم إذن مما يحدث حولنا، الطريقة التي بها تحصل على ما هو نافع لك. اقرع وكن لجوجًا واسأل، فإنه هكذا ينبغي أن يعمل كل من يسأل أي شيء من الله. كما أن الحكيم بولس يقول: "*صلُّوا بلا انقطاع*" (١تس٥: ٧).

نحن في احتياج إلى صلاة لحوحة لأن اضطرابات الأمور العالمية المحيطة بنا كثيرة جدًّا، لأن الحية المتعدِّدة الرؤوس تضايقنا كثيرًا، وتورِّطنا أحيانًا في صعوبات غير متوقَّعة، حتى تُحدرنا إلى الحضيض وإلى الخطية بأنواعها. زِد على ذلك، فهناك أيضًا ناموس الشهوة الطبيعي المختبئ في أعضائنا الجسدية،

والذي يحارب ناموس ذهننا كما يقول الكتاب: (رو٧: ٢٣)، وأخيرًا هناك أعداء تعاليم الحق، أي عصبة الهراطقة الدنسين النجسين، الذين يقاومون مَن يرغبون أن يتمسَّكوا بالتعاليم الصحيحة.

لذلك فالصلاة المستمرة والجادة، هي ضرورية جدًّا، وكما أن الأسلحة وآلات الحرب هي ضرورية للجنود ليتمكنوا من قهر أعدائهم، هكذا الصلاة بالنسبة لنا، لأنه كما يقول الكتاب: أسلحتنا ليست جسدية بل قادرة بالله (٢كو١٠: ٤).

وهذا ما ينبغي أن أضيفه، أيضًا، لأنه يفيدنا في اللجوء إلى الصلاة سريعًا. فالمخلِّص ورب الكل تراه مرَّة ومرات يقضي الليل كله في الصلاة، عندما كان على وشك أن يجتاز آلامه الخلاصية على الصليب الثمين، نجده يحني ركبته ويصلي قائلاً: "*يا أبتاه، إن أمكن فلتعبُر عنِّي هذه الكأس*" (مت٢٦: ٣٩). هل حدث هذا لأن الذي هو "الحياة" كان خائفًا من الموت؟ هل كان هذا لأنه لم يكن له مهرب من الشبكة، ولا خلاص من الفخ حتى أن يد اليهود كانت أقوى من قوَّته؟ كم هو رديء أن نفكِّر هكذا؟ فهو بالطبيعة الله ورب القوات، ورغم إنه كان مثلنا في الشكل؛ فقد احتمل الآلام على الصليب لأنه هو معيننا كلنا. فهل كان يحتاج إلى الصلاة إذن؟ ولكنه فعل هذا لكي نتعلم أن التوسل أمر لائق ومملوء بالمنافع، وأنه يجب أن نكون مداومين على الصلاة حينما تصيبنا أي تجربة وحينما تضغط علينا قوة الأعداء كموجة عنيفة.

ولكي نلقى ضوءًا آخر على هذا الأمر، نضيف: أن حديث الإنسان مع الله شرف عظيم للطبيعة البشرية. وهذا ما نفعله في الصلاة، إذ قد أوصانا الرب أن نخاطب الله كآب، ونقول: "يا أبانا"، فإن كان أبًا، فبالضرورة هو يحب أولاده ويدلِّلهم ويكرمهم، ويحسبنا أهلاً لرحمته وصفحه. فاقتربوا إذن بإيمان مع مثابرة، واثقين أن من يسأل المسيح بلجاجة فهو يسمع له، ذلك الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٧٩)
الآب يهبنا العطايا الروحية

(لو ١١:١١ــ١٣) "*فَمَنْ منكُمْ وَهُوَ أَبٌ يَسْأَلُهُ ابْنُهُ خُبْزًا أَفَيُعْطيه حَجَرًا؟ أَوْ سَمَكَةً أَفَيُعْطيه حَيَّةً بَدَلَ السَّمَكَة؟. أَوْ إِذَا سَأَلَهُ بَيْضَةً أَفَيُعْطيه عَقْرَبًا؟. فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي منَ السَّمَاء يُعْطي الرُّوحَ الْقُدُسَ للَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ*".

حب التعلم والشوق إلى الاستماع أمر يليق بالقديسين، ولكن ينبغي على أولئك الذين لهم هذا الفكر أن يتذكَّروا ويختزنوا في مخازن قلبهم ما يقوله أولئك المحنَّكون في تعليم العقيدة المستقيمة، والذين تُمكِّنهم دراستهم من إدخال الناس في الحق. وهذا نافع لنفوسهم لأجل تقدُّمهم الروحي إلى جانب أنه يُفرِّح المعلِّم نفسه، كالبذرة التي تبهج الفلاح عندما تبزغ بعد أن تُدفن جيدًا في التربة وتفلت من أن تكون طعامًا للطيور.

لعلكم تذكرون حديثنا الماضي، الذي كلَّمناكم فيه عن فائدة الصلاة بلا انقطاع، وعن التوسُّل المستمر في تقديم طلباتنا إلى الله، وأنه ينبغي ألا نستسلم لصغر النفس، وألاَ نضجر لو تأخر في منح عطيته معتبرين أنه يعرف ما هو لفائدتنا، وأنه لا يمكن أن ينسى الوقت المناسب لمنح عطاياه السخية.

وفي درس هذا اليوم، يعلِّم المخلص نقطة أخرى نافعة جدًا لبنياننا. فما هي؟ لنكشفها لكم كبنين. يحدث أحيانًا أن نقترب من إلهنا السخي، متوسلين إليه لأجل أمور متنوعة بحسب رغبة كل واحد ولكن هذا يحدث أحيانًا بدون تمييز، وبدون فحص جيِّد لما هو لنفعنا، وما إذا كان ما سيمنحنا الله إياه هو حقًّا بركة، أو أن ما سنناله سيكون لضررنا؟ وهكذا بسبب قِلَّة تبصُّرنا وسوء تصورنا نقع في شهوات مشحونة بالدمار، وهي تلقي بروح هؤلاء الذين يفكرون فيها في شرك الموت وشباك الهاوية، لذلك، فحينما نسأل الله أي شيء

من هذا النوع، فإننا لن نناله بل بالعكس فإننا نُقدِّم طلبة لا تستحق سوى السخرية. ولماذا لا يمنحنا الله طلبتنا؟ هل يضجر إله الكل من منح العطايا لنا؟ حاشا.

وقد يقول أحدهم، لماذا إذن لا يعطي حيث أنه سخي في العطاء ؟! بالأحرى ها أنت قد سمعته يقول: "*أم أي إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزًا يعطيه حجرًا*"(مت٧: ٩)[٣]. أنظره وهو يصوِّر لنا هذا التشبيه مما يجرى وسطنا، إنَّ المعنى هو هكذا: أنت أب ولك أولاد، وتشدُّك العاطفة الطبيعية نحوهم، وتريد أن تفيدهم بكل الطرق، لذلك، متى رأيت ابنك يطلب خبزًا فللتو تعطيه إياه وبكل مسرة، إذ تعلم منك طعامًا صحيًا، ولكن إن حدث بسبب قصور الفهم والإدراك أن يأتي طفل صغير وهو لا يقدر أن يميز جيدًا ما يبصره، أو لا يعرف فائدة الأشياء المختلفة التي تقابله أو طريقة استخدامها، ثم يسأل حجرًا ليأكل، فالرب يقول، هل تعطيه؟ أم تجعله يكف عن مثل هذه الرغبة التي تؤدي إلى أذيته؟

ونفس التفكير والاستنتاج يطرحه الرب عن مَثَل الحيَّة والسمكة والبيضة والعقرب. إن سأل الابن أباه فإنه سيعطيه إياها، ولكن إن رأى حيَّة وأراد أن يمسك بها، فإنه للتو سيبعد يد الطفل عنها. وهكذا إذا ما أراد بيضة، فإنك ستمنحه إياها في الحال، بل وستُشجعه على طلب مثل هذه الأشياء، حتى يتقدَّم الطفل وينمو في القامة، ولكن إن رأى عقربًا زاحفًا نحوه وجرى الطفل إليه ظانًّا أنه شيء جميل وهو يجهل الضرر الذي سيلحق به، فإنك بطبيعة الحال توقفه ولا تدع الأذى يلحقه من هذا الحيوان المهلك. وعندما يقول الرب: "*وأنتم أشرار*"، فهو إنما يقصد أن أذهان البشر تتأثر بالشر، وليست باستمرار منحازة مثل إله الكل، تجاه الصلاح. وعندما يقول: "*تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحري أبوكم الذي في السموات يهب الروح الصالح للذين يسألونه*"، فإنه يقصد " بالروح الصالح: النعمة الروحية لأنها من جميع

---

[٣] لاحظ هنا أن القديس كيرلس الكبير يتلو من الذاكرة اقتباسًا من إنجيل متى ويستخدمه أحيانًا بدلاً من نص إنجيل لوقا.



الجوانب، صالحة، وإذا ما نالها الإنسان، فانه يصير مغبوطًا جدًّا ويستحق الإعجاب به.

لذلك، فإن أبانا السماوي، مستعد تمامًا أن يسكب عطاياه علينا، حتى أن كل من لم ينل ما طلبه، يكون هو نفسه السبب في ذلك، لأنه يسأله ما لن يعطيه الله له. فإن الله يريد أن نكون قديسين وبلا لوم، وأن نمضي بإقدام واستقامة في كل عمل صالح، وأن نبتعد عن كل ما يُدنِّس، وعن محبة اللذة الجسدية، وأن نرفض الاهتمامات العالمية، وألا ننهمك في مشغوليات عالمية، وألا نحيا في الخلاعة وفي الإهمال وألاَّ نبتهج بالملذات الجامحة، ولا نمارس حياة متسيِّبة، بل هو يريدنا أن نحيا حسنًا وفي تعقُّل بحسب وصاياه، واضعين الناموس الذي أعطانا، كضابط لسلوكنا، صائرين حارِّين في السعي نحو كل ما يؤدِّي رأسًا إلى بنياننا، فإن أردت أن تنال شيئًا من هذه الأنواع، فتقدم إليه بفرح، فان أبانا الذي في السماء، سيميل بسمعه إليك، لأنه يحب الفضيلة.

امتحن إذن صلاتك لأنك إن طلبت شيئًا تصير بنوالك إياه محبًّا لله، فكما قلت، سيهبك الله إياه، ولكن إن كان أمرًا غير معقول أومضرًّا لك، فإنه سيسحب يده عنك، ولن يمنحك ما ترغب، أولاً لأنه لا يمنح شيئًا ذا طبيعة ضارة ــ فهذا أمر غريب عنه تمامًا ــ وثانيًا حتى لا يصيبك ضرر بنوال هذا الأمر. ودعني الآن أشرح لك كيف يكون هذا؟ ولهذا الغرض سأُقدِّم الأمثلة الآتية: إنك إذا ما سألت ثروة، فلن تنالها من الله، لماذا؟ لأن الثروة تفصل قلب الإنسان عن الله، فالمال يُولِّد الكبرياء والفجور وحب اللذة، ويأتي بالناس إلى مهاوي الشهوات العالمية، وعن هذا علَّمنا واحد من تلاميذ ربنا قائلاً: "*من أين الحروب والخصومات بينكم، أليست من هنا من لذَّاتكم المحاربة في أعضائكم ــ تشتهون ولستم تمتلكون، تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون رديًا لكي تنفقوا في لذَّاتكم*" (يع٤: ١ــ٣). كذلك إن سألت قوة عالمية، فالله سوف يدير وجهه عن سؤالك، إذ يعرف أن هذه الطلبة ضارة جدًا لمن يحوزها. إذ

التعسف والاضطهاد يصاحبان دائمًا ذوى القوة العالمية، هؤلاء الذين يكونون في الغالب متكبرين متسيِّبين منتفخين وكراماتهم دائمًا وقتية. كذلك إن طلبتَ هلاك شخص ما، أو طلبتَ أن يتعرض لعذابات شديدة، لأنه ضايقك أو أزعجك في شيء ما، فالله لن يمنحك هذه الطلبة. لأنه يريد أن نكون طويلي الأناة، لا نجازي عن شرٍ بشرٍ، بل نصلي لأجل الذين يضايقوننا، وأن نفعل الصلاح لمن يؤذينا، وأن نحاكيه في شفقته. لأجل هذا مدح سليمان لأنه لما صلَّى لله فإنه قال: "*فأعط عبدك قلبًا فهيمًا لأحكُم على شعبك وأُميِّز بين الخير والشر*" (١مل٣: ٦). وقد سُرَّ الله بطلب سليمان، وماذا عمل الله الذي يحب الفضيلة له؟ ماذا قال له؟: "*مِن أجل أنك قد سألت هذا الأمر ولم تسأل لنفسك أيامًا كثيرة ولا سألت لنفسك غِنًى ولا سألت أنفس أعدائك بل سألت لنفسك تمييزًا لتفهم الحكم، هوذا قد فعلتُ* حسب *كلامك، هوذا أعطيتك قلبًا* حكيمًا، ومميزًا".

فاسأل من الله عطايا روحية هذه التي يمنحها بلا حصر، اسأل القوة حتى تقدر بشجاعة أن تقاوم كل شهوة جسدانية. اسأل الله مزاجًا غير شهوانيًّا، أطلب احتمالاً، وداعة، واطلب أم كل صلاح أي الصبر، أطلب طبعًا هادئًا وقناعة وقلبًا نقيًّا، واطلب بالأكثر الحكمة التي تأتي منه. هذه الأشياء سيمنحها لك سريعًا، هذه التي تخلِّص النفس، وتجعل فيها ذلك الجمال الأفضل، وتطبع فيها صورة الله. هذا هو الغِنَى الروحاني، هذه هي الثروة التي لا ينبغي أن نتخلى عنها، هذه التي تُعِد لنا نصيب القديسين، وتجعلنا أعضاء في شركة الملائكة القديسين، هذه تُكمِّلنا في التقوى، وسريعًا ما تقودنا إلى رجاء الحياة الأبدية، وتجعلنا وارثين لله لملكوت السموات، بمعونة المسيح مخلِّصنا جميعًا، هذا الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

عظة (٨٠)
يسوع يخرج شيطانًا أخرس

(لو ١١: ١٤-١٨) *" وَكَانَ يُخرِجُ شَيْطَانًا وَكَانَ ذَلِكَ أَخرَس، فلما اخرج الشَّيطَانُ تَكَلَّمَ الأخرَسُ فتعجَّبَ الجُمُوعُ. وَأَمَّا قَوْمٌ مِنهُمْ فَقَالُوا: بِبَعْلَزَبُول رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخرِجُ الشَّيَاطِينَ. وَآخَرُونَ طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً مِنَ السَّمَاءِ يُجَرِّبُونَهُ. فَعَلِمَ أَفْكَارَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: كُلُّ مَمْلَكَةٍ مُنْقَسِمَة عَلَى ذَاتِهَا تَخرَبُ وَبَيْتٌ مُنقَسِمٌ عَلَى بَيت يَسْقُطُ. فَإِنْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَنْقَسِمُ عَلَى ذَاته فَكَيْفَ تَثْبتُ مَمْلَكَتُهُ؟ لأنَّكُمْ تَقُولُونَ: إِنِّي بِبَعْلَزَبُولَ أُخرِجُ الشَّيَاطِينَ".*

يقول الكتاب المقدس " غرتُ *غيرة للرب*" (امل١٩: ١٠)، وأنا أيضًا أقول هكذا، مركِّزًا انتباهي بدقَّة على دروس الإنجيل المطروحة أمامنا، ليتَّضح أن لسان إسرائيل المجنون هو وقِح ومُسيَّب بالشتائم، مطغي بغضب شديد غير منضبِط، ومقهور بحسدٍ لا يمكن إخماده. انظر كيف كانوا يُصرُّون بأسنانهم على المسيح مخلِّص الكل لأنه جعل الجموع يتعجبون من معجزاته الإلهية الخارقة العديدة، ولأن الشياطين كانت تصرخ من قوَّته وسلطانه الفائقين الإلهيين، وأظن أن هذا هو ما رنَّم به داود مخاطبًا له: "*من عِظَم قوَّتك سيوجد أعداؤك كاذبون*" (مز٦٥: ٣ سبعينية).

أما عن السبب الذي جعل هؤلاء الناس يقاومون المجد الذي يظهر به، فإن هذا الفصل سيعلِّمنا إياه بوضوح، فيقول: "*أحضَروا إليه إنسانًا به شيطان أخرس*". والشياطين الخرساء يصعب على القديسين أن ينتهروها، كما أنها أكثر عنادًا من الأنواع الأخرى، وهي وقحة جدًّا، ولكن لا يصعب شيء على إرادة المسيح الكلية القدرة، والذي هو مخلِّصنا كلنا. فللحال أُطلق الرجل الذي أحضروه إليه حرًّا من الروح النجس الشرير، ومَن كان لسانه من قبل مغلقًا بواسطة باب ومزلاج، اندفع مرة أخرى إلى الكلام المعتاد. لأن الإنجيل قال عنه إنه أخرس، كما لو كان بدون لسان، أي بلا نطق، ولم يكن سبب الخرس

نقص طبيعي ولكن بسبب عمل الشيطان. ولما لم يكن المجنون يستطيع الكلام طبعًا فإن المسيح لم يطلب منه أن يُقِر بالإيمان كعادته. ولما أجرى المسيح هذا العمل المعجزي فإن الجموع مجَّدته بتسابيح، وأسرعت لتُتوِّج صانع المعجزة بكرامة إلهية.

يقول الكتاب إن بعضًا من الكتبة والفريسيين الذين امتلأت قلوبهم بسم الكبرياء والحسد، وجدوا في المعجزة وقودًا لمرضهم، فلم يُمجِّدوا الرب، بل عكفوا على العكس تمامًا. لأنهم جرَّدوه من الأعمال الإلهية التي عملها، وعزَوْا هذه القوة الفائقة إلى الشيطان، وجعلوا بعلزبول هو مصدر **قوة** المسيح، فقالوا: "*ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين*"، **وآخرون إذ** أصيبوا بشرٍ مقارب لهذا، اندفعوا بدون تمييز إلى جرأة **الكلام** الوقح، وإذ كانوا ملدوغين بمنخاس الحسد، طلبوا منه أن يريهم آية من السماء، كما لو كانوا يريدون أن يقولوا له: " إن كنتَ قد طردتَ روحًا خبيثًا ووقحًا فهذا أمر غير جدير بالإعجاب، إن ما فعلته لا يدل على قدرة إلهية، إننا لم نرَ بعد شيئًا يشبه المعجزات القديمة، أرنا بعض الأفعال التي تدل ــ بدون أي شك ــ إنها معمولة بقوة من فوق. إن موسى جعل الناس يَعبُرون البحر بعد أن انفلقت المياه وصارت كسد، وضرب الصخرة بعصاه فصارت منبعًا للأنهار حتى تدفَّقت الينابيع من حجر صوان. وبالمثل فإن خليفته يشوع جعل الشمس تقف في جبعون، والقمر في وادي أرنون، ووضع قيودًا على مجارى الأردن، ولكن أنت لم ترنا أفعالاً مثل تلك. إنك أخرجت شيطانًا للناس. ولكن هذا السلطان يمنحه بعلزبول رئيس الشياطين للناس، إنكَ قد استعرتَ منه قوة صُنع هذه الأشياء التي تتسبَّب في إعجاب الناس الجهلاء الأُميِّين. بهذا الشكل تظهر جرأة القوم الذين يتصيَّدون الأخطاء، واتَّضح الآن من رغبتهم في أن يعمل آية من السماء أنهم يضمرون مثل هذه الأفكار عنه.

بماذا أجاب المسيح على هذه الأمور؟ أولاً، هو في الواقع يبرهِن على أنه



إله بمعرفته بما تهامسوا به خفية في داخلهم، لأنه مكتوب أنه " *عَلِمَ أفكارهم*"، وهذا العمل يخص الله تمامًا، أي معرفة ما في الفكر وما في القلب وما يتكلم به الناس في الخفاء. ولكي يبعدهم الرب عن هذه الجريمة الفظَّة، فإنه يقول لهم: "*كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب، وكل بيت منقسم على ذاته يسقط، فإن كان الشيطان ينقسم على نفسه فكيف تثبت مملكته؟*". ولعله كان يقول لهؤلاء المثرثرين الأغبياء: " إنكم قد جانبتم الصواب، ابتعدتم عنه جدًّا، وأنتم بلا شك تجهلون طبيعتي. إنكم لا تلتفتون إلى عظمة قوَّتي وجلال قدرتي، موسى كان خادم الناموس ولكن أنا المُشرِّع له، لأنني الله بالطبيعة، كان هو خادم الآيات، ولكن أنا الصانع والمُجري لها، أنا الذي فلقتُ المياه فعبر الشعب. أنا الذي أظهرتُ الحجر الصوان كينبوع للأنهار. أنا الذي جعلتُ الشمس تقف في جعبون، وقوَّة أوامري هي التي أوقفت القمر في وادي أرنون. أنا الذي وضعتُ قيودًا على مجاري الأردن.

والآن أنا أسألكم، فلو أن المسيح قال لهم مثل هذه الكلمات، لكان من غير المُستبعَد أن نتصوَّر أنهم كانوا سيَتَّقِدُون بالأكثر بنيران الحسد، وكانوا سيقولون: " إنه يعطي نفسه العظمة فوق مجد القديسين، إنه يفتخر بنفسه أعلى من الآباء البطاركة المشهورين، الذين يقول عنهم إنهم ليسوا شيئًا. وينتحل لنفسه مجدهم". وكانوا سيضيفون كلمات أخرى تعطي الفرصة للجهال للاندفاع الشرير ضده.

لذلك وبحكمة فائقة، فإنه لا يتكلم عن تلك الأحداث، ولكن يتقدَّم لمحاجاتهم آخذًا مادة للكلام من الأمور المعتادة، ولكنها تحمل قوة الحق فيها، فيقول: "*كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب، وكل بيت ينقسم على ذاته يسقط، وإذا انقسم الشيطان على ذاته كيف تثبت مملكته؟*"، إن ما يثبِّت الممالك هو ولاء الأشخاص وطاعة أولئك الذين تحت الصولجان الملكي، والبيوت تثبت إن لم يناقض سكانها الواحد الآخر، بل بالعكس يتوافقون في الإرادة والفعل. وهكذا



أظن أنا، إن الذي يُثبِّت مملكة بعلزبول أيضًا هو أن يمتنع عن عمل ما يضاد نفسه، فكيف يمكن إذن لشيطان أن يخرج شيطانًا؟ إذن نستنتج من ذلك أن الأرواح الشريرة لا تخرج من الناس باتفاقها مع بعض، ولكن ضد رغبتها، فالرب يقول: إن الشيطان لا يحارب نفسه ولا يهين أتباعه ولا يسمح لنفسه أن يؤذى حامل سلاحه الأخصَّاء، بل على العكس هو يساعد مملكته. بقى عليكم أيها اليهود أن تفهموا أنني أسحق الشيطان بقوة إلهية.

هذا ما يجب علينا أن نقتنع به نحن الذين نؤمن بالمسيح وقد ابتعدنا عن شر اليهود، لأنه ماذا يستحيل على اليد اليمنى القادرة على كل شيء؟ وأي شيء يكون عظيمًا أو صعبًا عليه هو الذي يستطيع أن يفعل كل شيء بإرادته وحده؟ هو الذي يُثبِّت السموات وأساسات الأرض، خالق الكل، كلِّي القدرة، كيف يمكنه أن يحتاج إلى بعلزبول؟ إنها أفكار لا يسوغ النطق بها! هذا شر لا يطاق! شعب أحمق لا يفهم! ومن العدل أن يقال عن الإسرائيليين: "*لهم عيون ولا يبصرون ولهم آذان ولا يسمعون*". (مر٨: ١٨)، لأنهم مع أنهم يبصرون الأعمال المعجزية التي يقوم بها المسيح، والتي تمَّت على يد الأنبياء القديسين، الذين سمعوا عنهم، وعرفوهم من قبل، إلاَّ أنهم استمروا في عنادهم وجموحهم، لذلك كما يقول الكتاب: "هم يأكلون من ثمر طُرُقهم " (أم١: ٣١). يجب علينا أن نجتهد في تعظيم المسيح بتمجيدات لا تنتهي، وهكذا نرث مملكة السماء، بنعمة المسيح نفسه، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٨١)

إخراج الشياطين بروح الله

(لو ١١: ١٩–٢٦) "*فَإِنْ كُنْتُ أَنَا بِبَعْلَزَبُولَ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ فَأَبْنَاؤُكُمْ بِمَنْ يُخْرِجُونَ؟ لِذَلِكَ هُمْ يَكُونُونَ قُضَاتَكُمْ. وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُ بِإِصْبِعِ اللهِ أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ فَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْكُمْ مَلَكُوتُ اللهِ. حِينَمَا يَحْفَظُ الْقَوِيُّ دَارَهُ مُتَسَلِّحًا تَكُونُ أَمْوَالُهُ فِي أَمَانٍ. وَلَكِنْ مَتَى جَاءَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ فَإِنَّهُ يَغْلِبُهُ وَيَنْزِعُ سِلاَحَهُ الْكَامِلَ الَّذِي اتَّكَلَ عَلَيْهِ وَيُوَزِّعُ غَنَائِمَهُ. مَنْ لَيْسَ مَعِي فَهُوَ عَلَيَّ وَمَنْ لاَ يَجْمَعُ مَعِي فَهُوَ يُفَرِّقُ. مَتَى خَرَجَ الرُّوحُ النَّجِسُ مِنَ الإِنْسَانِ يَجْتَازُ فِي أَمَاكِنَ لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ يَطْلُبُ رَاحَةً، وَإِذْ لاَ يَجِدُ يَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي الَّذِي خَرَجْتُ مِنْهُ. فَيَأْتِي وَيَجِدُهُ مَكْنُوسًا مُزَيَّنًا. ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَأْخُذُ سَبْعَةَ أَرْوَاحٍ أُخَرَ أَشَرَّ مِنْهُ فَتَدْخُلُ وَتَسْكُنُ هُنَاكَ فَتَصِيرُ أَوَاخِرُ ذَلِكَ الإِنْسَانِ أَشَرَّ مِنْ أَوَائِلِهِ!*".

إن إله الكل في توبيخه لكبرياء اليهود، وأيضًا لجنوحهم المستمر واندفاعهم إلى العصيان، يتكلم بصوت إشعياء: "*اسمعي أيتها السماوات، وأصغي أيتها الأرض، لأن الرب تكلم، ولدتُ بنين ونشَّأتهم، أما هم فرفضوني*" (إش١: ٢س). لأنهم رفضوا الله الآب باستخفافهم بالابن بطرق متعددة، الذي رغم أنه وُلِدَ منه بالطبيعة، إلاّ أنه فيما بعد صار مثلنا لأجلنا، ودعاهم إلى النعمة التي بالإيمان، لعلهم يُكمّلون الوعد الذي أُعطيَ لآبائهم، حتى تُمجِّد الأمم الله من أجل الرحمة (انظر رو١٥: ٨). إن كلمة الله الوحيد الجنس صار إنسانًا حتى يكمل وعد البركة المعطى لهم، ولكي يعرفوا أنه هو الذي سبق الناموس فصوَّره، وهو الذي تنبأ عنه جماعة الأنبياء القديسين مسبقاً، وقد أجرى هذه الأعمال الإلهيّة وانتهر الأرواح الشريرة.

ومع أنه كان من الواجب عليهم أن يُمجِّدوه كصانع معجزات، كواحد له القوة والسلطان الفائقين للطبيعة، وبدرجة لا تقارَن، إلاّ أنهم على العكس احتقروا مجده قائلين: "*هذا لا يُخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين*". وبماذا أجاب المسيح عن هذا؟ "*إن كنتُ أنا ببعلزبول أُخرج الشياطين،*



فأبناؤكم بمَنْ يخرجونهم".

وهذا الموضوع قد شرحته لكم باستفاضة في اجتماعنا الماضي[4].

أما بخصوص شر اليهود الذين يثرثرون عبثًا " ضده " والذين يلزم توبيخهم أكثر ببراهين عديدة ومقنعة، فانه يضيف إلى ما سبق أن قاله، اعتبارًا آخر لا يمكن الرد عليه وما هو؟ فهذا ما سأذكره لكم الآن كما لأولادي: كان التلاميذ يهودًا، وأولادًا لليهود بحسب الجسد، ولكنهم حصلوا من المسيح على السلطان لإخراج الأرواح النجسة، فكانوا يحرِّرون أولئك الذين تسلَّطت عليهم الأرواح، وذلك بدعائهم عليهم بهذه الكلمات: "*باسم يسوع المسيح*"، وبولس أيضًا بسلطان رسولي، أمر ذات مرة روحًا "نجسًا" قائلاً: "*أنا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منه*" (أع١٦: ١٨). لهذا فهو عندما يقول إن أولادكم يدوسون بعلزبول باسمي، وذلك بأن ينتهروا أتباعه ويطردونهم من هؤلاء الذين (يسكنون) فيهم، فماذا يكون القول إنني أستمد هذه القوة من بعلزبول إلاَّ تجديف واضح مقترن بجهل عظيم؟ لذلك فهو يقول إنكم ستُدانون وتُوبَّخون بواسطة إيمان أبنائكم، لأنهم قد أخذوا مني سلطانًا وقوة على الشيطان، وإنهم ضد إرادته يخرجونه من الذين كان يسكنهم، بينما أنتم تقولون إنني أستخدم قوّته في صنع المعجزات الإلهية. أمَّا وقد ثبت أن ما تقولونه ليس صحيحًا، ولكن بالعكس هو فارغ وهراء ومجرد إفتراء، فقد أصبح من الواضح أنني أخرج الشياطين بأصبع الله (مت١٢: ١٨)، وهو يقصد بأصبع الله، الروح القدس. لأن الابن يُسمَّى يد الله الآب وذراعه، فالآب يعمل كل الأشياء بالابن، وبالمثل فإن الابن يعمل بالروح. فكما أن الأصبع يمتد إلى اليد، كشيء ليس غريبًا عنها ولكن يختص بها بالطبيعة، هكذا أيضًا "الروح القدس"، لكونه مساوٍ في الجوهر فهو مرتبط في وحدانية مع الابن رغم أنه ينبثق من الله الآب لأن الابن يعمل كل شيء بالروح المساوي. وهنا المسيح يقول عن قصد إنه يُخرِج

---

[4] يقصد العظة السابقة.



الشياطين بأصبع الله متكلمًا كإنسان، لأن اليهود بسبب ضعف وغباء ذهنهم لن يحتملوه إذا قال: " إني بروحي الخاص أُخرِج الشياطين".

فلكي يُهدئ من استعدادهم الشديد للغضب، وميل ذهنهم للعجرفة والجنون، فإنه يتكلم كإنسان، مع أنه هو الله بالطبيعة، وهو نفسه الذي يعطي الروح من الله الآب لأولئك الذين يستحقّونه، ويستخدم كمِلك خاص له، تلك القوة الخارجة منه، لأن الروح مساو له في الجوهر، ومهما قيل إن الله الآب يعمله، فبالضرورة يعمله الابن في الروح. لذلك فإذا قال إنني وقد صرتُ إنسانًا، وأصبحتُ مثلكم، أُخرج الشياطين بروح الله، فإن الطبيعة البشرية قد بلغت فيَّ أنا أولاً إلى ملكوت الله. وقد صارت مجيدة بتحطيمها قوة الشيطان، وبانتهارها الأرواح النجسة والفاسدة. فهذا هو معنى الكلمات: "*قد أقبل عليكم ملكوت الله*". أما اليهود فلم يفهموا سرَّ تدبير الابن الوحيد في الجسد، رغم أنهم كان ينبغي أن يتأمّلوا أنه بواسطة **كلمة الله** الوحيد الجنس الذي تجسد دون أن يتوقف عن أن يكون كما كان دائمًا ـ فقد مجَّد طبيعة الإنسان، بأنه لم يستنكف من أن يأخذ وضاعتها على نفسه لكي يسكب عليها غناه الخاص.

وكما كان ضروريًا، كما بينتُ لكم، أن الجدال في هذا الموضوع سوف يقودنا إلى اعتبارات أخرى متعدّدة، فإن المسيح يستخدم مقارنة بسيطة وواضحة، وبواسطتها سيرى من يريد أن يرى، أنه قد قهر رئيس هذا العالم، وكما يُقال ـ قطع أوتار رجليه ـ ونزع عنه القوة التي يمتلكها، وقدَّمه فريسة لتابعيه (أي التلاميذ). لهذا يقول: "*حينما يحفظ القوي داره متسلِّحًا، تكون أمواله في أمان، ولكن متى جاء من هو أقوى منه وغلبه، فانه ينزع منه سلاحه الكامل الذي اتَّكل عليه ويوزِّع غنائمه*". وهذا كما قلت توضيح بسيط، ومثال للأمر مشروحًا بحسب ما يحدث في الأمور البشرية. فإنه طالما يحصل الإنسان القوي على التفوُّق، ويحرُس ممتلكاته الخاصة، فلن يكون في خطر من النهب، ولكن متى جاء من هو أقوى وأشد منه وهزمه، فإنه يسلبه. وهذا



هو ما صار إليه مصير عدونا المشترك، الشيطان الأثـيم، الحيَّـة المتعـددة الرؤوس، مخترع الخطية. لأنه كان قبل مجيء المخلِّص. في قـوة عظيمـة، وكان يوقع ويقود إلى حظيرته قطعانًا ليست له، ولكنها تخص الله الذي فـوق الكل، (ويأخذها) كلص مغتصب ووقح جدًّا. ولكن حيث إن كلمـة الله الـذي فوق الكل، والمانح لكل قوة، ورب القوات، اقتحمه، بأن صار إنسانًا، فإن كل ممتلكاته اندحرت، وغنيمته وُزِّعَت، لأن القدماء° الذين كانوا قد وقعوا بواسطة شراكه في عدم التقوى وفي الضلال، قد دعاهم الرسل القديسين إلى معرفـة الحق، وأتوا بهم إلى الله الآب وذلك بالإيمان بابنه.

هل تريد أن تسمع وتتعلم أنت أيضًا أمرًا مقنعًا آخر بجانب هذه الأمـور؟ فهو يقول: "*من ليس معي فهو عليَّ، ومن لا يجمع معي فهو يُفـرِّق*". إنـه يقول: أنا قد أتيتُ لأنقذ كل إنسان من أيدي الشرِّير، لأخلِّص من مَكرِه أولئـك الذين اقتنصهم، لأُطلِق المسجونين أحرارًا، لأضئ للذين في الظلمـة، لأقـيم الساقطين، لأشفي منكسري القلوب، ولأجمع معًا أبناء الله الذين تشتَّتوا خارجًا. هذا هو مجيئي. أما الشيطان فهو ليس معي بل بالعكس هو ضـدِّي، والـذي يُنظِّم شروره ضد أهدافي، كيف يمكنه أن يمنحني قوة ضد نفـسه؟ كيـف لا يكون غباء مجرد تصور احتمالاً كهذا؟

أما السبب الذي جعل جمهور اليهود يسقطون في مثل هذه الأفكـار عـن المسيح، فإنه هو نفسه أوضحها بقوله: "*متى خرج الروح النجس من الإنسان، فيذهب ويُحضِر سبعة أرواح أخر أشرَّ منه، فتصير حالة ذلك الإنسان الأخيرة أشر من أوائله*". فطالما كانوا تحت العبودية في مصر، وكانوا يعيشون بحسب عادات وقوانين المصريين التي كانت ممتلئة نجاسة، فإنهم عاشوا حياة دنسة، وكان يسكن فيهم روح شرير، لأنه يقيم في قلوب الأشـرار. ولكـن حينمـا خلصوا برحمة الله بواسطة موسى وأخذوا الناموس كمعلِّم، ودعاهم إلى نـور

° يقصد الأمم الوثنية.



معرفة الله الحقيقية، فإن الروح النجس والفاسد طُرد منهم عندما ذبحوا الحمل الذي كان رمزًا للمسيح ودهنوا دمه على الأبواب فهرب المُهلك. ولكن لأنهم لم يؤمنوا بالمسيح بل رفضوا المخلِّص، فإن الروح النجس هاجمهم ثانية، لأنه وجد قلوبهم خاوية وخالية من أي مخافة لله، ومكنوسة كما كانت، فأخذ مسكنه فيهم. لأنه كما أن الروح القدس عندما يبصر قلب أي إنسان خاليًا من أي نجاسة ونقيًّا، فانه يسكن فيه ويستريح، هكذا أيضًا الروح النجس اعتاد أن يسكن في نفوس الأشرار، لأنهم كما قلت يكونون خالين من كل فضيلة ولا توجد فيهم مخافة الله، ولذلك صارت أواخر الإسرائيليين أشر من أوائلهم، كما قال تلميذ المخلِّص: "*لأنه كان خيرًا لهم لو لم يعرفوا طريق الحق من أنهم بعدما عرفوا يرتدُّون عن الوصيَّة المقدَّسة المسلَّمة لهم، قد أصابهم ما في المَثل الصادق، كلب قد عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة*" (٢بط٢: ٢١ـ٢٢).

فلنهرب إذًا من أن نكون مثل اليهود، وليتمجد المسيح الذي يعمل المعجزات، مِنَّا نحن، ذاك الذي به ومعه لله الآب التسبيح والمُلك، مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

عظة (٨٢)
آية يونان النبي

(لو ١١: ٢٩ــ٣٦) "*وَفِيمَا كَانَ الْجُمُوعُ مُزْدَحِمِينَ ابْتَدَأَ يَقُولُ: هَذَا الْجِيلُ شِرِّيرٌ. يَطْلُبُ آيَةً وَلاَ تُعْطَى لَهُ آيَةٌ إِلاَّ آيَةُ يُونَانَ النَّبِيِّ. لأَنَّهُ كَمَا كَانَ يُونَانُ آيَةً لأَهْلِ نِينَوَى كَذَلِكَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضًا لِهَذَا الْجِيلِ. مَلِكَةُ التَّيْمَنِ سَتَقُومُ فِي الدِّينِ مَعَ رِجَالِ هَذَا الْجِيلِ وَتَدِينُهُمْ لأَنَّهَا أَتَتْ مِنْ أَقَاصِي الأَرْضِ لِتَسْمَعَ حِكْمَةَ سُلَيْمَانَ وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ سُلَيْمَانَ هَهُنَا. رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هَذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ وَهُوَذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هَهُنَا!*".

ليس أحدًا يوقد سراجًا ويضعه في خفية ولا تحت مكيال، بل على المنارة لكي ينظر الداخلون النور. سراج الجسد هو العين، فمتى كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون مملوءًا نورًا.. ومتى كانت عينك شريرة فجسدك يكون مملوءًا ظلامًا. فإن كان جسدك كله مملوءًا نورًا ليس فيه جزء مظلم، يكون كله مملوءًا بالنور كما حينما يضيء لك السراج بنوره ".

نتج الطلب من خبثهم، لذلك لم يمنح لهم كما هو مكتوب: "*الأشرار سيطلبونني ولا يجدونني*" (هو٥: ٦ س)[٦]... دعونا نرى الأقوال التي قالها الله لموسى وما هي الحقيقة التي تشير إليها؟ وهذا ما يلزم أن نفحصه بالتأكيد، لأني أقول إنه لا يوجد شيء من كل ما تحويه الكتب المقدسة، غير نافع للبنيان. فعندما أقام إسرائيل مدة طويلة في مصر ونشأ على عوائد سكانها (في ذلك الوقت)، فإنه ضلّ بعيدًا عن الله، وصار كمن سقط من يد الله، وأصبح حيّة. والحيّة تشير إلى الشخص ذو النزعة الخبيثة جدًّا بطبعه، ولكن لما أمسك الله به ثانية فقد أعاده إلى حالته الأولى وأصبح عصا أي غرس الفردوس، لأنه دُعي إلى معرفة الله الحقيقية واغتنَى بالناموس كوسيلة لحياة فاضلة.

---

[٦] أجزاء مفقودة في المخطوط.



وصنع الله أيضًا أمرًا آخرًا له صفة معجزية مساوية. لأنه قال لموسى: "*ادخل يدك في عبّك. فأدخل يده في عبّه ثم أخرجها من عبه، وإذا يده صارت برصاء مثل الثلج؟ ثم قال له: رُد يدك إلى عبك فرد يده إلى عبه ثم أخرجها من عبه وإذا هي قد عادت مثل لون جسده*" (خر٤: ٦ـ٧س).

لأنه طالما كان إسرائيل متمسكًا بعادات آبائه، وكان يُظهِر في أخلاقه نموذج الحياة الفاضلة التي كانت له في إبراهيم وإسحق ويعقوب، فإنه كان كأنه في حضن الله، أي تحت رعايته وحمايته، ولكن بتخلّيه عن فضيلة أجداده، فإنه صار كأنه أبرص، وسقط في النجاسة لأن الأبرص هو نجس بحسب ناموس موسى، ولكن عندما قبله الله ثانية، ووضعه تحت حمايته، فانه تخلّص من برصه، وخلع عنه نجاسة الحياة المصرية (الوثنية). ولما حدثت هذه المعجزات أمامهم، فإنهم صدّقوا موسى عندما قال: "*الرب إله آبائكم أرسلني إليكم*" (خر٣: ١٥).

لذلك لاحظوا، إنهم لم يتخذوا من إظهار المعجزات سببًا لتصيُّد الخطأ. فلم يشتموا موسى الإلهي، ولم يجمحوا بلسان متسيِّب ويقولوا إنه صنع المعجزات التي صنعها أمامهم بواسطة بعلزبول، ولم يطلبوا آية من السماء محتقِرين أعماله المقتدرة. ولكن ها أنت تنسب إلى بعلزبول أعمالاً مكرَّمة ومعجزية، ولم تخجل من أن تأتي بآخرين وبنفسك أيضًا إلى الهلاك عن طريق تلك الأمور نفسها (المعجزات) التي كان ينبغي أن تجعلك تحصل على إيمان ثابت بالمسيح. ولكنه لن يعطيك آية أخرى لكي لا يعطي القدسات للكلاب ولا يطرح الدُرر أمام الخنازير. لأنه كيف يمكن لهؤلاء المفترين بشدة على المعجزات التي صنعها (المسيح) أمامهم للتو، أن يستحقوا معجزات أكثر؟ بل على العكس فنحن نلاحظ الكرّامين المهرة حينما يجدون أن الأرض بطيئة في إعطاء الثمر، فإنهم يرفعون يدهم عنها، ويرفضون أن يحرثوها مرة أخرى، حتى لا يتكبدوا خسارتين معًا: خسارة تعبهم، وخسارة البذار.

ومع ذلك، فقد قال، إنه ستُعطَى لهم آية يونان فقط والتي يقصد بها الآلام على الصليب والقيامة من الأموات. لأنه يقول: "*كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام*



وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة ليال" (مت١٢: ٤٠). ولكن لو أنه كان ممكنًا أن المسيح لا يريد أن يقاسي الموت بالجسد على الصليب لما كانت قد أُعطِيَت هذه الآية لليهود، ولكن حيث إن الآلام التي احتملها لأجل خلاص العالم كانت لابد منها، فقد أُعطِيَت هذه الآية لأولئك العديمي الإيمان لأجل دينونتهم. وأيضًا عندما كان يكلِّم اليهود في مرَّة أخرى قال لهم: "*انقضوا هذا الهيكل وأنا في ثلاثة أيام أقيمه*" (يو٢: ١٩). وكما أتصوره، فان إبطال الموت وملاشاة الفساد بالقيامة من الموت ــ التي هي آية عظيمة جدًّا تدل على قوة الكلمة المتجسد وسلطانه الإلهي ــ يتم البرهنة عليها بشكل كافٍ بالنسبة للناس الجادين، بواسطة جنود بيلاطس الذين عُيِّنوا لحراسة القبر، وقد رشوهم بأموال كثيرة ليقولوا إن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه (مت٢٨: ١٣). فهي إذن آية ليست بدون منفعة، بل هي كافية لإقناع كل سكان الأرض أن المسيح هو الله، وأنه قاسى الموت في الجسد بإرادته وحده. إذ أنه أمر رباطات الموت أن ترحل وأباد الفساد. أما اليهود فلم يؤمنوا أيضًا بالقيامة، ولهذا السبب قيل عنهم بحق، إن "*ملكة التيمن ستقوم في يوم الدين ضد هذا الجيل*".

وهذه المرأة رغم أنها بربرية، فقد بحثت بشغف لتسمع سليمان، ولهذا الغرض سافرت مسافة طويلة جدًّا لتصغي إلى حكمته في طبيعة الأمور المنظورة والحيوانات والنباتات. أما أنتم فرغم أنكم حاضرون الآن وتستمعون إلى الحكمة ذاته، الذي أتى إليكم متحدثًا عن أمور غير منظورة وسماوية. وهو يؤكد ما يقوله بالأعمال والمعجزات، فإنكم تتحولون بعيدًا عن كلامه ولا تبالون بطبيعة كلامه العجيبة. فكيف إذن لا يكون هنا أعظم من سليمان، أي في شخصي أنا؟ وأرجوا أن تلاحظوا ثانية مهارة لغة الرب: فلماذا يقول "هنا" ولا يقول "فيَّ أنا" ؟ هو يقول ذلك لكي يحثنا أن نكون متضعين حتى لو كانت قد وُهِبت لنا مواهب روحية. وإلى جانب ذلك فإنه من المحتمل أن لو سمعه اليهود يقول: " يوجد أعظم من سليمان في شخصي أنا"، لكانوا قد تجرّأوا أن يتكلموا عليه بطريقتهم المعتادة ويقولون: " انظروا إنه يقول إنه أعظم من الملوك الذين تملكوا علينا بمجد". لذلك، فالمخلِّص ــ لأجل التدبير ــ يستخدم لغة مناسبة ويقول "ها هنا" بدلاً من "فيَّ أنا".

ويضيف الرب على ذلك قائلاً: إن رجال نينوى سيقومون يوم الدين ويدينون اليهود.



لأنهم كانوا شرسين وأمميين ولا يعرفون الرب الذي هو الله بالطبيعة وبالحق، ولم يسمعوا قط أية نبوات من موسى، وكانوا يجهلون عظمة أخبار النبوة، ومع أن هذه كانت هي حالتهم الذهنية إلاَّ أنهم تابوا بمناداة يونان، كما يقول الرب. إذن فقد كان هؤلاء الرجال أفضل جدًّا من الإسرائيليين، وسوف يدينهم. ولكن انصتوا إلى الكلمات نفسها: "*رجال نينوى سيقومون في الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان، وهوذا أعظم من يونان ههنا*".

"*ليس أحدًا يوقد سراجًا ويضعه في خفية ولا تحت المكيال، بل على المنارة، لكي ينظر الداخلون النور*" (لو١١: ٣٣).

ماذا كان القصد بالنسبة لهذه الكلمات؟ إنه يقاوم اليهود باعتراض مأخوذ من غبائهم وجهلهم، لأنهم قالوا إنه يعمل معجزات لا ليؤمن به الناس أكثر، ولكن لكي يصير له أتباع كثيرون، ويحصل على ثناء وتصفيق أولئك الذين ينظرون أعماله الخارقة. والرب يدحض هذا الافتراض باستخدام السراج كمَثَل، فهو يقول إن السراج يكون دائمًا مرفوعًا وموضوعًا على المنارة، فيكون نافعًا لمن يبصرونه. ولنتأمل الآن النتيجة التي يشير إليها هذا الكلام. فقبل مجيء مخلصنا، كان الشيطان ــ أب الظلمة ــ قد أظلم العالم، وجعل كل الأشياء سوداء بقتام عقلي، ولكن وبينما العالم في هذه الحالة، فإن الآب أعطى ابنه ليكون نورًا للعالم، ليسطع علينا بنور إلهي، ولينقذنا من الظلمة الشيطانية. ولكن أيها اليهودي، إن كنت تلوم السراج لأنه غير مخفي، ولكن على العكس هو موضوع على منارة، وهو يعطى نوره لمن ينظرون؛ عندئذ يمكن أن تلوم المسيح لأنه لا يريد أن يكون مختفيًا، بل على العكس أن يراه الجميع، منيرًا أولئك الذين في الظلمة، وليفيض عليهم بنور معرفة الله الحقيقية. فهو يصنع معجزاته لا لكي يعجب به الناس، ولا يسعى بواسطتها إلى الشهرة، بل بالحري لكي نؤمن أنه بينما هو الله بالطبيعة، إلاَّ أنه صار إنسانًا لأجلنا، دون أن يكُف عن أن يكون كما كان (أي إلها)، ومن فوق الكنيسة المقدسة كمنارة تُشع بالتعاليم التي ينادي بها هو، فإنه يعطى نورًا لأذهان الجميع بأن يملأهم بالمعرفة الإلهية.



عظة (٨٣)
طهارة الداخل

(لو١١: ٣٧-٤١) "*وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ سَأَلَهُ فَرِّيسِيٌّ أَنْ يَتَغَدَّى عِنْدَهُ فَدَخَلَ وَاتَّكَأَ. وَأَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ تَعَجَّبَ أَنَّهُ لَمْ يَغْتَسِلْ أَوَّلاً قَبْلَ الْغَدَاءِ. فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: أَنْتُمُ الآنَ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافًا وَخُبْثًا. يَا أَغْبِيَاءُ أَلَيْسَ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ صَنَعَ الدَّاخِلَ أَيْضاً؟. بَلْ أَعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً فَهُوَذَا كُلُّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا لَكُمْ*".

يخبرنا الحكيم جدًّا بولس بحق، "*إن المسيح جاء إلى العالم ليخلِّص الخطاة*" (١تى١: ٥) فهذا كان هدفه، ولأجل هذا الغرض، أوضع ذاته لدرجة أنه أفرغ نفسه من مجده، وظهر على الأرض في الجسد، وتحدث مع الناس لأنه كان لائقًا به، لكونه الخالق ورب الكل أن يعطى يدًا منقذة لأولئك الذين سقطوا في الخطية، ويظهر لأولئك الذين كانوا تائهين في الضلال، طريقًا يقودهم مباشرة نحو كل عمل صالح وإلى إمتياز أفعال الفضيلة.

وقد قال واحد من الأنبياء القديسين بخصوص الذين دُعوا بالإيمان إلى معرفة مجده: "*ويكون الجميع متعلِّمين من الله*" (إش٥٤: ١٣س). إذن كيف يقودنا إلى كل أمر نافع؟ ذلك بأنه ينزل بنفسه ليصير مع الخطاة، بل وأيضًا بارتضائه أحيانًا أن يهبط إلى مستوى تلك الأمور التي لا تناسبه، حتى يمكنه بذلك أن يُخلِّص كثيرين، وهذا ما يمكن أن نتعلَّمه من فصل الإنجيل الموضوع أمامنا الآن: إذ يقول إن أحد الفريسيين سأله أن يتغذى في بيته فدخل واتكأ ليأكل، كيف لا يكون واضحًا لكل أحد أن زمرة الفريسيين كانت دائمًا طبقة شريرة ودنسة، وهم مكروهون، وحاسدون، ومتحفِّزون للغضب، وعندهم كبرياء فطري، ويتجاسرون دائمًا بالكلام ضد المسيح مخلِّصنا جميعًا؟ لأنهم اعترضوا على معجزاته الإلهية، وحشدوا فِرق مشيرين أشرار ليخطِّطوا



لموته. كيف يكون المسيح إذن ضيفهم؟ أما كان يعلم خبثهم؟ ولكن كيف يمكننا تأكيد هذا ؟ لأنه كإله، هو يعلم كل الأشياء فما هو التفسير إذن؟ التفسير هو أنه كان مهتمًا بنوع خاص أن يحذِّرهم، وفي هذا فهو يشبه أمهر الأطباء. لأن الأطباء المهرة يستخدمون علاجاتهم مع المرضى بأخطر الأمراض ـ الذين يصارعون ضد المرض الذي يعانون منه ـ حتى يُسكِّنوا هجماته الضارية، أما الفريسيون وإذ هم قد استسلموا بلا رادع إلى ذهن مخدوع، فكان من الضروري أن يُحدِّثهم المسيح بما هو لازم ونافع لخلاصهم، فقد قال هو نفسه في مكان ما: "*إنه لم يأتِ ليدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة* " (مت٩: ١٣)، كما قال أيضًا: "*لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى*" (مت ٩: ١٢).

لذلك فالفريسي لغرض ما في نفسه يدعو (المسيح) إلى وليمة، ومخلص الجميع يقبل هذا، كما قلت، من أجل التدبير، ولكنه جعل هذا الأمر فرصة لإعطاء تعليم، وهو لا يُضيِّع وقت اجتماعهما للتلذذ بالطعام والمشهيات، بل لكي يجعل المجتمعين هناك يزدادون فضيلة. أما الفريسي الأحمق، فقد أوجد لنفسه فرصة للحديث، لأنه تعجَّب أن (يسوع) لم يغتسل قبل الغذاء، إذن هل تعجب الفريسي كأنه فعل شيئًا هو يستحسنه كأنه لائق بالقديسين؟ لم تكن هذه هي نظرته، فكيف يمكن أن تكون هكذا؟ وحدث العكس فقد كان ممتعضًا بسبب أنه كانت للمسيح شهرة بينهم كإنسان بار ونبي، إلاَّ أنه لم يكن يماثلهم في عاداتهم غير المعقولة لأنهم يغتسلون قبل الأكل كما كانوا يُطهِّرون أنفسهم من كل نجاسة. ولكن كان هذا أمرًا في غاية السخف، لأن الاغتسال بالماء نافع جدًّا لإزالة وسخ الجسد، ولكن كيف يستطيع أن يُطهِّر الناس من دنس الفكر والقلب؟

أيها الفريسي الأحمق، احتجاجنا هو هذا: أنت تتفاخر كثيرًا بمعرفتك للكتب المقدسة وتقتبس دائمًا من ناموس موسى، لذلك فأخبرنا في أي موضع كتب لك موسى عن هذه الفريضة؟ أيّ وصية أمر بها الله تطالِب الناس بأن يغتسلوا

قبل الأكل؟ إنَّ مياه الرش قد أُعطِيَت فعلاً بأمر موسى لتُطهِّر من القذارة الجسدية، كمثال للمعمودية التي هي بالحق مقدسة ومطهرة، وهذا يتم بالمسيح. وأيضًا أولئك الذين كانوا يُدعون إلى الكهنوت، كانوا يغتسلون بالماء، لأنه هكذا فعل موسى الإلهي مع هارون واللاويين معه، فالناموس يُعلِن بواسطة الاغتسال الذي تمَّ في مثال وظل، أنه حتى كهنوت الناموس ليس فيه ما يكفي للتقديس، ولكن على العكس ـ يحتاج إلى معمودية إلهية ومقدسة للتطهير الحقيقي، وأكثر من ذلك يرينا ببراعة أن مخلِّص الجميع هو كافٍ أن يقدسنا بحق، نحن جيل المكَّرسين لله ومختاريه بواسطة المعمودية المقدسة والثمينة، وفضلاً عن ذلك، من الواضح أنه لم يأمر في أي موضع بالاغتسال قبل الأكل كأمر واجب. إذن فلماذا تتعجب ولماذا تمتعض أيها الفريسي؟ إنه هو نفسه الذي أمر بالفريضة في القديم، لم يخالف ما قاله موسى. وكما قلتُ فإن الناموس الذي تجعله وسيلة للحصول على الكرامة، لم يعطك مثل هذه الوصية في أي موضع.

ولكن ماذا يقول المخلِّص؟ لقد وجد الفرصة ليوبِّخهم قائلاً: "*أنتم الآن أيها الفريسيون، تنقُّون خارج الكأس والقصعة؛ وأما باطنكم فمملوء اختطافًا وخبثًا*"، لأنه كان من السهل على الرب أن يستخدم كلمات أخرى بقصد تهذيب الفريسي الأحمق، ولكنه انتهز الفرصة لأن يمزج تعاليمه بالأشياء الموجودة أمام أعينهم. وحيث أنه كان وقت الغذاء، والجلوس حول المائدة، فإنه استخدم الكأس والقصعة كوسيلة مقارنة واضحة، وبيَّن أن أولئك الذين يخدمون الله بإخلاص يجب أن يكونوا أنقياء وأطهارًا، ليس فقط من النجاسة الجسدية، ولكن أيضًا مما هو خفي في داخل العقل. وبالمثل أيضًا، فإن الأواني التي تُستخدم على المائدة يجب أن تكون نقية ليس من الأقذار الخارجية فقط، بل من الداخلية أيضًا. لأنه يقول: "*أليس الذي صنع الخارج صنع الداخل أيضًا*"، وهو يقصد بهذا أن الذي خلق الجسد خلق النفس أيضًا، وبما أن كليهما هما



صنعة إله واحد محب للفضيلة، فلهذا يلزم أن يكون نقاؤهما واحدًا.

ولكن لم تكن هذه عادة الكتبة والفريسيين، لأنه ما أن ذاع صيتهم أنهم أطهار، حتى صاروا شغوفين أن يعملوا كل شيء، فإنهم مضوا بوجوه معبّسة شاحبة اللون من الصوم، وكما يقول المخلّص: "*يُعرّضون عصائبهم ويُعظّمون أهداب ثيابهم*" (مت٢٣: ٥)، و"*يُصلّون قائمين في الشوارع لكي يظهروا للناس*" (مت٦: ٥)، راغبين أن ينالوا المدح من الناس لا من الله، وأن يستجدوا استحسان الناظرين. وباختصار فبينما هم يُبيّنون للناظرين أنهم يمارسون بالضبط نمط حياة الفضيلة التي بحسب الناموس، نجدهم قد ابتعدوا بكل طريقة ممكنة عن أن يكونوا محبّين لله. قد كانوا " قبورًا مبيضة من الخارج " كما قال المخلص عنهم التي: "*من الخارج تظهر جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة*" (مت٢٣: ٢٧).

أما المسيح فلا يريدنا أن نكون مثلهم، ولكن أن نكون عابدين بالروح وقديسين وبلا لوم في النفس والجسد كليهما. لأن واحد من شركتنا يقول أيضًا: "*نقّوا أيديكم أيها الخطاة وطهّروا قلوبكم يا ذوى الرأيين*" (يع٤: ٨)، ويرنّم داود النبي في موضع ما ويقول: "*قلبًا نقيًا اخلق فيَّ يا الله وروحًا مستقيمًا جدد في داخلي*" (مز٥١: ١٠). ويتكلم أيضًا إشعياء النبي كما لو كان في شخص الله ويقول: "*اغتسلوا، تطهروا، اعزلوا شر أفعالكم من أنفسكم من أمام عينيَّ، كفّوا عن فعل الشر*" (إش١: ١٦س). لاحظوا دقة التعبير لأن كلماته هي: "*من أمام عينيَّ، اعزلوا شر أفعالكم من أنفسكم*". لأنه يحدث أحيانًا أن يهرب الأشرار من أعين الناس، ولكنهم لا يقدرون أن يهربوا من عيني الله. علينا إذن ما دام الله يرى الخفيات، أن نعزل الشر من أمام عينيه.

أما الفريسيون، فلم تكن لديهم أية معرفة عن حياة القداسة هذه، فأي دواء يقدمه لهم المخلّص بعد توبيخاته؟ بأية طريقة يشفيهم من ضربتهم، إنه يقول: " أعطوا ما عندكم صدقة، فهوذا كل شيء يكون نقيًا لكم" إننا نؤكد أنه توجد طرق كثيرة



للسلوك الفاضل كالوداعة والاتضاع وما إليها من فضائل، فلماذا لم يذكر هذه، وأوصى الفريسيين أن يكونوا رحماء؟ أيَّة إجابة نقدمها؟ إن الفريسيين كانوا بخلاء جدًّا، وعبيدًا للربح القبيح، ويجمعون بطمع كنوزًا من المال. وها رب الكل يقول في موضع عنهم: "*كيف أن صهيون المدينة الآمنة الملآنة بالحق صارت زانية! كان العدل يبيت فيها، وأما الآن فالقاتلون! فضتك صارت زغلاً، وتجارك يخلطون الخمر بالماء، ورؤساءك متمردون ولغفاء لصوص، يحبون الرشوة ويسعون وراء العطايا، لا يقضون لليتيم ودعوى الأرملة لا تصل إليهم* " (إش١: ٢١ــ٢٣). لذلك فهو يكشف عن قصد هذا الداء المتملِّك عليهم ويُمزّق طمعهم من جذوره، حتى إذا ما شفوا من شرِّه وبلغوا نقاء الفكر والقلب يصيرون عابدين حقيقيين.

لذلك فقد تصرَّف المخلِّص في كل هذه الأمور بحسب خطة الخلاص، فإذ دُعي إلى وليمة، فإنه منح طعامًا روحيًّا، ليس فقط لمن دعاه، بل ولجميع الذين كانوا في الوليمة معه. ليتنا نصلِّي إليه من أجل هذا الطعام الروحي، لأنه هو "*الخبز الحي النازل من السماء والواهب حياة للعالم*" (يو٦: ٥١)، هذا الذي به ومعه، لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٨٤)

الحق ومحبة الله

(لو ١١: ٤٢ـــ٤٤) "*وَلَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّذَابَ وَكُلَّ بَقْلٍ وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللهِ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ!. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ لأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ وَالتَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ. وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ لأَنَّكُمْ مِثْلُ الْقُبُورِ الْمُخْتَفِيَةِ وَالَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَيْهَا لاَ يَعْلَمُونَ*".

أولئك الذين يراعون الوصايا المقدسة ــ لا يجرؤون بأية طريقة أن يسيئوا إلى إله الكل، لأنهم يشعرون بصدق المكتوب: "*لأن من حفظ كل الناموس وإنما عثر في واحدة فقد صار مجرمًا في الكل لأن الذي قال لا تزن قال أيضًا لا تقتل، فان لم تزن ولكن قتلت فقد صرت متعديًا الناموس*" (يع٢: ١٠ــ١١). لذلك فإن من يتعدَّى وصية واحدة فقد تعدَّى الناموس، أي أن هذا يبرهن أن ذلك الإنسان هو بلا ناموس. أما إن احتقر أي إنسان تلك الوصايا، وخصوصًا تلك التي هي أكثر أهمية من الباقي فأية كلمات يجدها قادرة أن تنقذه من العقاب الذي يستحقه؟ لذلك فقد استحق الفريسيون هذه الانتقادات الحادَّة التي أثبتها عليهم الرب بقوله: "*ويل لكم أيها الفريسيون! لأنكم تُعشِّرون النعناع والشذب وكل بقل وتتجاوزون عن الحق ومحبة الله، كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتغاضوا عن الأخرى*"، أي ألا تتركوا تلك. إنهم بينما حَذَفُوا الواجبات التي كان ينبغي بنوع خاص أن يعملوها ــ كأنها بلا أهمية ــ مثل الحق ومحبة الله ــ نجدهم يراعون باهتمام وبتدقيق أو بالحري يأمرون الناس الخاضعين لسلطاتهم أن يراعوا تلك الوصايا التي هي فقط وسيلة للحصول على إيراد كبير لأنفسهم. ولكي أُوضِّح لكم هذه الأمور بأكثر تفصيل، يا أحبائي، فإنني يلزم أن أتكلم كما يلي: أوصى ناموس موسى الإسرائيليين أن يعطوا العشور للكهنة، لأنه يقول: "*لا يكون لبني لاوي ميراث مع بنى إسرائيل، وقائد الرب هي نصيبهم*" (تث١٨: ١). لأن كل ما يوهب



من أي واحد لأجل مجد الله، أقصد من عشوره، فهذه يفرزها الله لأولئك الذين كـان عملهم هو الخدمة، وكان هذا هو نصيبهم، ولكن إذ كان الفريسيون جشعين أكثر مـن غيرهم ومولعين بالربح القبيح، فإنهم كانوا يأمرون أن قانون العشور هـذا يلـزم أن يراعَى بتدقيق شديد وعناية، حتى إنهم لا يغفلون حتى الأعشاب الرديئة والتافهة؛ بينما استخفوا وأهملوا ما كان يجب أن يحفظوه، أى الوصايا الأساسـية التـي أعطاهـا موسى، مثل الحق، والذي يقصد به العدل في القضاء، وكذلك وصية محبة الله. لأنـه كان يمكن أن يُحتسب قضاء عادلاً وحكمًا مستقيمًا؛ لو أنهم اعتبروا كل ما أُوصى به أنه مستحق اهتمامًا ومراعاة بالتساوي، وألاّ يهملوا الأشياء التي لها الأهمية الأولـى، ولكننا نجدهم يعطون تدقيقًا شديدًا فقط لتلك الأمور التي تؤول لمنفعتهم. ومراعـاتهم لمحبة الله كانت ستجعلهم يتجنبون إغضابه من أية جهة، والخوف من كسر أي جزء مهما كان من الناموس.

ولنُوضّح (ما قلناه) بطريقة أخرى، فيمكن أن يقول قائل إنَّ هذا القضاء قد يحكـم أحكامًا عادلة، ولا يقرر بشأن أي أمر مهما كان، قرارًا غير عـادل. وهـذا أيـضًا تغاضى عنه الفريسيون، لأن الروح يُوبِّخهم بصوت داود في قوله: "*قام الله في مجمع الآلهة، وفى وسط الآلهة يقضي، حتى متى تقضون جورًا فتقبلون وجوه الأشـرار؟*" (مز٨٢: ١ــ٢). كما اتهمهم أيضًا بصوت إشعياء قائلاً: "*كيف صارت المدينة الأمينـة صهيون، الملآنة بالحق صارت زانية؟ كان العدل يبيت فيها أما الآن فالقاتلون. فضتك صارت زغلاً، وتجارك يخلطون الخمر بالماء، ورؤساؤك متمردون شركاء اللصوص يحبون الرشوة ويجرون وراء العطايا، لا يقضون لليتيم، ويهملون دعوى الأرملـة؟*" (إش١: ٢١ــ٢٣ س). لأن الحُكم بغير عدل ليس هو صفة أولئك الذين يمارسـون محبـة الإخوة، بل هو بالحري ذهن شرير، وبرهان واضح على السقوط في الخطية. لـذلك يقول: "*بينما تُعشّرون النعناع والشذب وكل بقل، وتأمرون بأن تُحفظ الوصـية مـن جهة هذه الأمور بدقة شديدة. فإنكم لا تعطون أي اهتمام بأمور الناموس الأكثر أهمية، أعني تلك الوصايا التي هي ضرورية أكثر ونافعة للنفس، والتي من خلالها تُظهرون*



أنفسكم مكرَّمين ومقدَّسين ومملوئين بكل مديح كما يليق بأولئك الذين يريدون أن يحبوا الله ويرضونه ".

ثم يضيف الرب ويلاً آخر لمن تكلم عنهم سابقًا بقوله: " *ويل لكم أيها الفريسيون لأنكم تحبون المجلس الأول في المجامع والتحيات في الأسواق*". فهل هذا التوبيخ مفيد للفريسيين فقط؟ ليس هو كذلك، لأن فائدته إنما تمتد لتشملنا نحن أيضًا، لأنه حقًّا أن الكاملين في أذهانهم، والمحبين للسلوك المستقيم، يجدون في توبيخ الآخرين طريقة لسلامهم هم أيضًا، لأنهم بلا شك سوف يتجنَّبون أن يتشبهوا بهم، وألاَّ يُعرِّضوا أنفسهم أن يسقطوا في أخطاء مماثلة. لذلك فالاتهام الذي يوجِّهه المسيح ضد الفريسيين بأنهم يسعون إلى التحيات في الأسواق، والمجالس الأولى في المجامع والاجتماعات، يبين أنهم كانوا مولعين بالمديح، ويشتهون أن يمتعوا أنفسهم بتباهي فارغ وتشامخ زائف. وماذا يمكن أن يكون أسوأ من هذا؟ أو كيف لا يتحتم أن يكون مثل هذا السلوك مكروهًا من أي إنسان، باعتباره سلوكًا منتفخًا ومزعجًا، وخاليًا من ثناء الفضيلة، ويقصد به فقط أن يختلس الشهرة بالكرامة؟ وكيف لا ينبغي أن يكون أقل بكثير جدًّا من سلوك الذين هم مساكين بالروح، ودعاء، دمثين، لا يحبون الانتفاخ بل لطفاء، لا يخدعون الناس بالمظاهر الخارجية الزائفة، بل هم بالحري عابدون حقيقيون، مزيَّنون بذلك الجمال العقلي الذي يطبعه فينا الكلمة الإلهي بواسطة كل فضيلة وقداسة وبر.

لأنه إن كان يجب أن نُبرهِن أننا أفضل من الآخرين وليس ما يمنع ذلك ـ فلندع الحكم لنا بالتفوُّق يعطَى لنا من الله، وذلك بأن نزيد عليهم من جهة السلوك والأخلاق وبمعرفة حكيمة للكتب المقدسة لا يشوبها عيب. لأنه، أن يكرمنا الآخرون بالتحية، وأن نجلس في أماكن أعلى مرتبة من أصدقائنا، فهذا لا يُثبِت على الإطلاق أننا أشخاص جديرون بذلك. لأن هذا يمتلكه كثيرون مِن الذين هم بعيدون جدًّا عن الفضيلة. بل هم محبون للذات ومحبون للخطية، وهم يغتصبون الكرامات من كل إنسان، إما بسبب امتلاكهم لثروة كبيرة أو سلطة عالمية.

أما كوننا نستحوذ على إعجاب الآخرين دونما فحص أو تروى، وبدون أن يعرفوا

حالتنا الحقيقية، فهذا لا يزكينا أمام الله الذي يعرف كل الأشياء، هــذا مــا يوضــحه المخلِّص على التو بقوله: " *ويل لكم! لأنكم مثل القبور المخفية والذين يمشون عليها لا يعملون*". إنني أرجوكم أن تلاحظوا قوّة المَثَل بوضوح شديد، فأولئك الذين يعتبرونــه شيئًا عظيمًا وبشغف أن تكون لهم المتكآت الأولى في المجامع، هؤلاء لا يختلفون في شيء عن القبور المختفية المزينة حسنًا من الخارج ولكنها ممتلئة من كل نجاسة. إنني أرجوكم أن تلاحظوا هنا أن الرياء يُلام بالتمام، فهو مرض ممقوت أمــام الله وأمــام الناس. لأن كل ما يظهر به المرائي ويُفكِّر أنه يكون عليه فهو ليس هكذا، بــل هــو يستعير شهرة الصلاح. وبهذا فهو يحكم على دناءته. لأن نفس الشيء الــذي يمدحــه ويعجب به، هو نفسه لا يمارسه. ولكن ليس ممكنًا أن تخفي رياءك لمدة طويلة، لأنه كما أن الأشكال التي تُرسَم في الصور تبهت لأن الوقت يُجفِّف الألوان، هكذا أيــضًا المراؤون، فإنهم يوبخون في داخلهم حالاً أنهم ليسوا شيئًا في الحقيقة.

يجب علينا إذن أن نكون عابدين حقيقيين، وليس كمن يرغبون فــي أن يرضــوا الناس لئلا نخيب عن أن نكون خدامًا للمسيح، وهكذا يقول بولس المبارك في مكــان ما: "*أفأستعطف الآن الناس أم الله؟ أم أطلب أن أرضي الناس؟ فلو كنت بعد أرضي الناس لم أكن عبدًا للمسيح*" (غلا١: ١٠). لأن الافتراضات في أمور السمو الأخلاقي هي سخيفة، وغير جديرة بالاعتبار أو الثناء، لأنه كما يُرفض ما هو مزيَّف ومغشوش في العملات الذهبية، هكذا المرائي يُنظر إليه باحتقار من الله ومن الناس. أمــا الإنــسان الصادق فيلاقي إعجابًا، مثل نثنائيل الذي قال عنه المسيح: " *هوذا إسرائيلي حقًّــا لا غش فيه*" (يو١: ٤٧). مَنْ هو هكذا فله تقديره أمــام الله، ويُحــسب جــديرًا بالأكاليــل والكرامات، وله رجاء مجيد معطًى له منه، وهو "*رعيَّة مع القديسين وأهل بيت الله*" (أف٢: ١٩).

فلنهرب إذن من مرض الرياء، وليسكن فينا بالحري ذهن نقي وغير فاسد، ومتألِّق بالفضائل المجيدة، لأن هذا سوف يوحِّدنا بالمسيح الذي به ومعه لله التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين آمين.



عظة (٨٥)

ويل لكم أيها الناموسيون

(لوقا ١١: ٤٥ــ٤٨) "*فأجاب وَاحِدٌ مِنَ النَّامُوسِيِّينَ وقال له: يَا مُعَلِّمُ حِينَ تَقُولُ هَذَا تَشْتِمُنَا نَحْنُ أَيْضاً. فَقَالَ: وَوَيْلٌ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ لأَنَّكُمْ تُحَمِّلُونَ النَّاسَ أَحْمَالاً عَسِرَةَ الْحَمْلِ وَأَنْتُمْ لاَ تَمَسُّونَ الأَحْمَالَ بِإِحْدَى أَصَابِعِكُمْ. وَيْلٌ لَكُمْ لأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ الأَنْبِيَاءِ وَآبَاؤُكُمْ قَتَلُوهُمْ. إِذًا تَشْهَدُونَ وَتَرْضَوْنَ بِأَعْمَالِ آبَائِكُمْ لأَنَّهُمْ هُمْ قَتَلُوهُمْ وَأَنْتُمْ تَبْنُونَ قُبُورَهُمْ*".

إن التوبيخ هو دائمًا أمر عسير أن يحتمله أي إنسان، ولكنه ليس بغير فائدة للعاقلين، لأنه إنما يقودهم إلى التزام ممارسة تلك الأشياء التي تجعلهم مستحقين للكرامة، وتجعلهم محبين لاقتناء الفضائل، أما الذين يسرعون إلى الشرور بكل اهتمام، والذين جعلوا قلوبهم ضد قبول النصح، فإنهم ينجرفون بسرعة إلى خطايا أعظم عن طريق نفس الأسباب التي كان يجب أن تجعلهم أكثر تعقلاً، بل إنهم يتقسّون بواسطة كلمات الذين يحاولون أن ينفعوهم. وكمثل لهذه الحالة من التفكير أنظر إلى أولئك الذين يدعون بالناموسيين عند اليهود. كان مخلّص الجميع يوبّخ الفريسيين كأناس منحرفين بعيدًا عن الطريق الصحيح وواقعين في ممارسات غير لائقة، إذ وبّخهم على كونهم منتفخين، ومرائين، ومحبين للتحيات في الأسواق، وراغبين في الجلوس في المتكآت الأولى في المجامع، بل ودعاهم أكثر من ذلك قبور تظهر جميلة من الخارج، ولكن من الداخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة (مت٢٣: ٢٧). وعندما قال هذه الكلمات، تذمّرت فئة الناموسيين الأغبياء، ونهض واحد منهم وعارض تصريحات المخلّص وقال: "*يا معلم حين تقول هذا تشتمنا نحن أيضًا*".

يا له من غباء عظيم! أي عَمَى في العقل والفهم من جهة كل شيء ضروري! إنّ هؤلاء الناس يعرّضون أنفسهم للتوبيخ، بل بالأحرى أن قوة الحق أظهرتهم أنهم مستحقون كذلك لنفس الاتهامات كالفريسيين، وأنهم يفكرون مثلهم ويشاركونهم في أعمالهم الشريرة ما داموا يعتبرون أن ما يقوله المسيح عن الآخرين قد قيل ضدهم هم

أيضًا، وإلاَّ فأخبرني لأي سبب تغضب! لأنه حينما يوجّه أي لوم إلى الفريسيين فأنت تقول إنك أيضًا تُشتَم، إذن فأنت تعترف بأعمالك، وأنت تدرك طبعًا في نفسك بأن سلوكك مثلهم. ولكن إن اعتبرت هذا توبيخًا واجبًا لهم على أي شيء من هذا النوع، ورغم ذلك فإنك لا تُغيِّر سلوكك، فإن سلوكك هذا هو الذي يستحق اللوم. إن كنت تكره التوبيخ كما لو كان شتيمة، فاظهر نفسك أنك أسمى من الأخطاء التي تُتَّهَم بها أو بالحري لا تنظر إلى كلمة التقويم على أنها شتيمة. ألا ترى أن هؤلاء الذين يشفون أجساد الناس يتحدَّثون مع المرضى عن الأسباب التي أدَّت إلى أمراضهم ويستخدمون الأدوية المؤلمة ليوقفوا ما حدث، ومع ذلك فلا يغضب منهم أحد لهذا السبب ولا يعتبر أحد أن ما يقولونه شتيمة، ولكنك أنت ضيِّق الفكر في تقبُّل النصائح ولا ترضَى أن تتعلَّم ما هي الأوجاع التي تؤذي قلبك. كان من الأفضل جدًّا أن تُحب التوبيخ وأن تطلب لأجل التخلُّص من أمراضك ولأجل شفاء قروح نفسك، وكان من الأفضل جدًّا بالحري أن تقول: "*اشفني، خلِّصني فأخلُص، لأنك أنت هو تسبيحي*" (إر١٧: ١٤).

لا شيء من هذا النوع يدخل عقل الناموسيين ولكنهم تجاسروا أن يقولوا: "*بقولك هذا تشتمنا نحن أيضًا*" معتبرين بجهلهم أن اللوم الذي هو لمنفعتهم وفائدتهم، شتيمة. لماذا إذن أجابهم المسيح؟ إنه جعل توبيخه لهم أكثر شدَّة وأوضح كبرياءهم الفارغ بقوله هكذا: "*ويل لكم أيها الناموسيين، لأنكم تُحمِّلون الناس أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل وأنتم لا تمسُّون الأحمال بأحد أصابعكم*". إنه يصوغ نقاشه ضدهم بمَثَل واضح، لأنه كان أمرًا معترَفًا به أن الناموس عسر الحمل للإسرائيليين.

كما اعترف بذلك أيضًا التلاميذ الإلهيُّون بأنهم كانوا ينتهرون أولئك الذين سعوا لجعل الداخلين إلى الإيمان أن يعودوا إلى فرائض الناموس، لأنهم قالوا: "*فالآن لماذا تُجرِّبون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم نستطع نحن ولا آباؤنا أن نحمله*؟" (أع ١٥: ١٠). والمخلص نفسه علَّمنا هذا مناديًا بقوله "*تعالوا إليَّ يا جميع المتعَبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم، احملوا نيري عليكم وتعلَّموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم*" (مت١١: ٢٨ـ٢٩). إذن فهو يقول إن الذين تحت الناموس هم



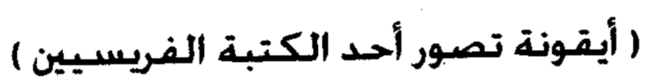
متعَبون وثقيلو الأحمال، بينما يدعو نفسه وديعًا، كما لو كان الناموس ليس فيه شيئًا من هذه الصفة، لأنه كما يقول بولس: "*لأن من خالف ناموس موسى فعلى فم شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة*" (عب١٠: ٢٨). لذلك فهو يقول، ويل لكم أيها الناموسيون، لأنكم بينما تُحمِّلون الناس أحمالاً عسرة الحمل وغير ممكن رفعها، تضعونها على أولئك الذين هم تحت الناموس، وأنتم أنفسكم لا تلمسونها. لأنهم بينما يأمرون بأن تُحفظ شريعة موسى بدون انتهاك، ويحكمون بالموت على الذين يستخفون بها، فإنهم هم أنفسهم لا يُظهرون أي مبالاة لواجب تنفيذ فرائضها ــ وإذ اعتادوا أن يفعلوا هكذا، فإن بولس الحكيم يُعنفهم أيضًا بقوله: "*هوذا أنت تُسمَّى يهوديًا وتتَّكل على الناموس وتفتخر بالله، وتعرف مشيئته وتميِّز الأمور المتخالفة متعلِّمًا من الناموس، وتثق أنك قائد للعميان، ومهذِّب لمن هم بلا فهم، ومعلِّم للأطفال، ولك صورة العلم والحق في الناموس، فأنت إذًا الذي تُعلِّم غيرك ألست تُعلِّم نفسك؟ الذي تكرز أن لا يُسرق أتسرق ؟ الذي تقول أن لا يُزنى أتزني؟ الذي تستكره الأوثان أتسرق الهياكل؟ الذي تفتخر بالناموس أبتَعدِّي الناموس تهين الله؟*" (رو٢: ١٧ــ١٣). لأن المعلِّم يصير مرفوضًا ويخزى إذا كانت تصرفاته لا تتفق مع كلماته، ويَحكُم عليه المخلِّص بالعقاب الشديد، لأنه يقول: "*إن من علَّم وعمل يكون عظيمًا، أما من يعلِّم ولا يعمل فإنه يدعى صغيرًا في ملكوت السموات*" (مت٥: ١٩). ولنفس السبب يكتب لنا تلميذ المخلِّص ويقول: "*لا يكن فيكم معلِّمين كثيرين يا إخوتي عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم، لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا*" (يع٣: ١).

وهكذا بعد أن أظهر المخلِّص هذه العُصبة الرديئة من الناموسيين فانه يواصل حديثه لينطق بتوبيخ عام لكل رؤساء اليهود فيقول "*الويل لكم ! لأنكم تبنون قبور الأنبياء وآباؤكم قتلوهم، فأنتم إذن تشهدون وترضون بأعمال آبائكم، لأنهم هم قتلوهم وأنتم تبنون قبورهم*". دعنا إذن نفحص بعناية ماذا يقصد المخلِّص، لأن ما هو العمل الشرير الذي يمكننا أن نقول إنهم أجرموا فيه ببنائهم قبور القديسين؟ ألم يصنعوا بهذا تكريمًا متميزًا لهؤلاء القديسين؟ فمن وقت لآخر كان أسلاف اليهود يسلِّمون للموت

الأنبياء القديسين الذين يأتونهم بكلمة الله ويقودونهم إلى الطريق الصحيح، أما أبناؤهم فإذ اعترفوا أن الأنبياء كانوا قديسين ورجالاً مكرَّمين فإنهم يُشيِّدون قبورًا ومدافن لهم، كما لو كانوا يمنحونهم كرامة تليق بالقديسين. إذن، فآباؤهم ذبحوهم، أما هم فبإعتقادهم أنهم أنبياء ورجالاً قديسين صاروا قضاة لآبائهم الذين ذبحوهم، لأنهم بعزمهم على تقديم الكرامة لأولئك الذين قُتلوا فإنهم بهذا يتَّهمون آباءهم بخطئهم فيما عملوه. أما هم فإذ أدانوا آباءهم بسبب هذه الجرائم القاسية، فقد صاروا على وشك أن يقترفوا ذنب جرائم مساوية، ويرتكبوا نفس الأخطاء، أو بالحري أخطاء أكثر شناعة منها لأنهم ذبحوا رئيس الحياة المخلص والمنقذ للجميع، وأضافوا أيضًا لشرهم نحوه أعمال قتل أخرى، ممقوتة. فها هم قد قتلوا إستفانوس، لا كمُتَّهَم بأي شيء رديء بل بالحري بسبب نصحه لهم إذ كلمهم بما هو في الكتب الموحَى بها، وجرائم أخرى بجانب هذه ارتكبوها ضد كل قديس كان يُبشرهم برسالة الإنجيل الخلاصية.

لذلك فإن الرب يبكِّت الناموسيين والفريسيين بكل طريقة، كأناس يكرهون الله، وهم دائمًا منتفخون ومحبون للذة أكثر من محبة الله، ومن كل وجه يرفضون أن يخلُصوا، لهذا أضاف المسيح تلك الكلمة: "ويل" كشيء يختص بهم، الذي به وله ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين آمين.

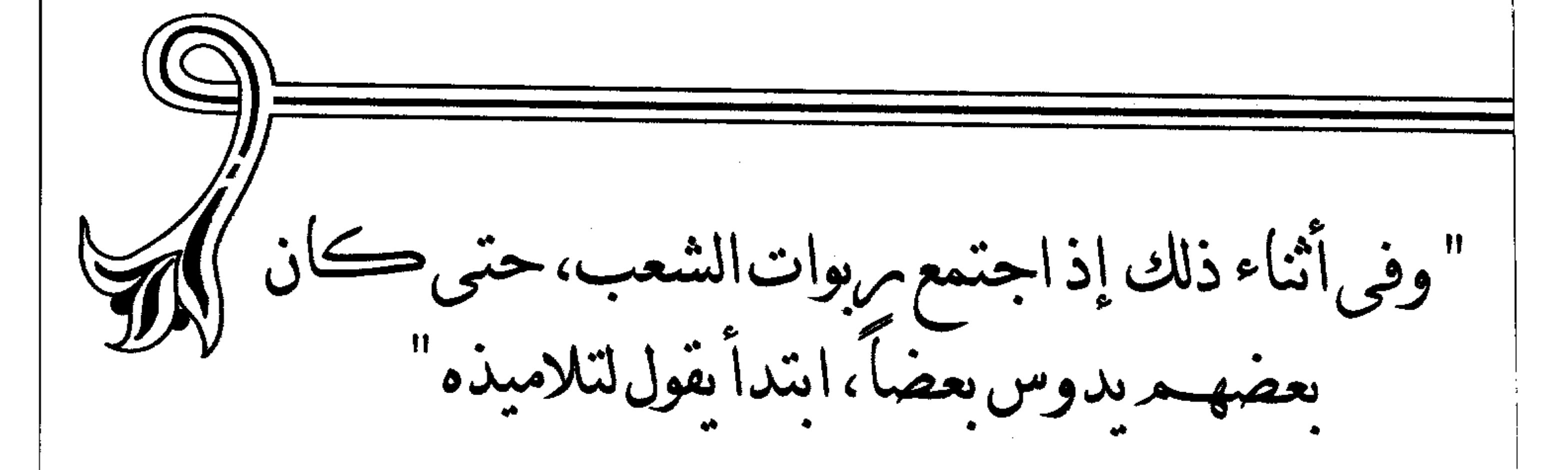






(أيقونة تصور أحد الكتبة الفريسيين)

الأصحاح الثانى عشر



" وفى أثناء ذلك إذ اجتمع ربوات الشعب، حتى كان
بعضهم يدوس بعضاً، ابتدأ يقول لتلاميذه "

الأصحاح الثاني عشر

عظة (٨٦)
مفتاح المعرفة

(لو ١١: ٥٢ ــ ١٢: ١ــ٢) *" وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا النَّامُوسِيُّونَ لأَنَّكُمْ أَخَذْتُمْ مِفْتَاحَ الْمَعْرِفَةِ. مَا دَخَلْتُمْ أَنْتُمْ وَالدَّاخِلُونَ مَنَعْتُمُوهُمْ. وَلَمَّا خَرَجَ مِنْ هُنَاكَ ابْتَدَأَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ يَحْنَقُونَ جِدًّا وَيُصَادِرُونَهُ عَلَى أُمُورٍ كَثِيرَةٍ. وَهُمْ يُرَاقِبُونَهُ طَالِبِينَ أَنْ يَصْطَادُوا شَيْئًا مِنْ فَمِهِ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ. وَفِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ إِذِ اجْتَمَعَ رَبَوَاتُ الشَّعْبِ حَتَّى كَانَ بَعْضُهُمْ يَدُوسُ بَعْضًا ابْتَدَأَ يَقُولُ لِتَلاَمِيذِهِ: أَوَّلاً تَحَرَّزُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَمِيرِ الْفَرِّيسِيِّينَ الَّذِي هُوَ الرِّيَاءُ. فَلَيْسَ مَكْتُومٌ لَنْ يُسْتَعْلَنَ وَلاَ خَفِيٌّ لَنْ يُعْرَفَ، لِذَلِكَ كُلُّ مَا قُلْتُمُوهُ فِي الظُّلْمَةِ يُسْمَعُ فِي النُّورِ وَمَا كَلَّمْتُمْ بِهِ الأُذْنَ فِي الْمَخَادِعِ يُنَادَى بِهِ عَلَى السُّطُوحِ "*.

الذين يفتِّشون الكتب المقدسة ويعرفون إرادة الله، عندما يكونون رجالاً فاضلين، ومهتمين بما هو نافع للناس، وماهرين فى قيادتهم باستقامة إلى كل الأمور الممتازة، سوف يُكافأون بكل بركة، إذا أدُّوا مهامهم بكل اجتهاد. وهذا ما يؤكده لنا المخلِّص حيث يقول: " *فمن هو إذن العبد الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام فى حينه، طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا، الحق أقول لكم إنه يقيمه على جميع أمواله*" (مت٢٤:٤٥ــ٤٧)، ولكن إن كان كسولاً ومهملاً وتسبب فى ضرر من أؤتُمن عليهم، فإنه بإنحرافه عن الطريق المستقيم، يكون في بؤس عظيم وفى خطر عقاب محقَّق، لأن المسيح نفسه أيضًا قد قال: " *ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي، فخيرٌ له أن يُعلَّق في عنقه حجر حمار*[1] *ويُغرق في لُجَّة البحر*"

[1] يقصد القديس فى نصه هنا حجر الرحى الكبير الذى يُدار بحمار، لتمييزه عن حجر الرحى الصغير الذى يُدار باليد.

(مت١٨: ٦).

وقد أثبت المسيح أنهم مذنبون بأخطاء فظيعة أولئك الذين يدعون أنهم حاذقون في الناموس، أقصد الكتبة والناموسيون، ولهذا يقول لهم: " *ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة*"، ونحن نعتقد أن مفتاح المعرفة يَقصد به الناموس نفسه، والتبرير بالمسيح وأنا أعني بالإيمان به. لأنه رغم أن الناموس كان ظلاً ومثالاً، إلاَّ أن هذه الرموز ترسم لنا الحقيقة، وتلك الظلال تصوِّر لنا بِر المسيح بطرق متنوعة. كان يقدَّم حَمَل ذبيحة بحسب ناموس موسى، وكانوا يأكلون لحمه ويدهنون القائمتين بدمه، وهكذا كانوا يَغلبون المهلِك. ولكن مجرد دم خروف لا يمكن أن يبعد الموت. لقد كان المسيح هو المشار إليه بمثال في شكل حمل، هو الذي احتمل أن يكون ذبيحة عن حياة العالم، وأن يخلِّص بدمه أولئك الذين يشتركون فيه. ويمكن للإنسان أن يذكر أمثلة أخرى كثيرة، يمكن بواسطتها أن نميِّز سر المسيح المرسوم في ظلال الناموس. والمسيح نفسه لمَّا تكلم ذات مرة لليهود قال: "*يوجد الذي يشكُوكم وهو موسى الذي عليه رجاؤكم، لأنكم لو كنتم تُصدِّقون موسى لكنتم تصدِّقونني لأنه هو كتب عني*" (يو٥: ٤٥ــ٤٦)، وأيضًا "*فتِّشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي التي تشهد لي، ولا تريدون أن تأتوا إليَّ لتكون لكم حياة*" (يو٥: ٣٩)، لأن كل كلمة في الكتب الإلهية الموحَى بها تتطلَّع نحوه وتشير إليه. وإن كان موسى الذي يتكلم، فهو على أي حال كان كما رأينا مثالاً للمسيح، وإن كان الأنبياء القديسون الذين تُذكر أسماؤهم، فإنهم أيضًا أعلنوا لنا سر المسيح مسبقًا عن الخلاص الذي بواسطته.

لذلك كان يجب على أولئك الذين يُدعَون ناموسيون، بسبب دراستهم لناموس موسى وكانوا على دراية كبيرة بأقوال الأنبياء القديسين، كان ينبغي أن يفتحوا أبواب المعرفة لجماهير اليهود، لأن الناموس يُوجِّه الناس إلى المسيح، والإعلانات المقدسة التي للأنبياء القديسين تقود ــ كما قلت لكم ــ



للتعرُّف عليه. لكن المدعُوِّين ناموسيون لا يفعلون هكذا، بل على العكس أبعدوا مفتاح المعرفة، والذى ينبغي أن نعرف أنه إرشاد الناموس. أو هو بالحقيقة الإيمان بالمسيح، لأن معرفة الحق هى بالإيمان، كما يقول إشعياء النبي في موضع ما: "*إن لم تؤمنوا فلا تفهموا*" (إش٧: ٣٩ س). وطريقة الخلاص هذه نفسها بالإيمان بالمسيح أعلنها لنا سابقًا بواسطة الأنبياء القديسين قائلاً: "*قليلاً، بعد قليل سيأتي الآتي ولا يبطئ...*" (حبقوق٢: ٣ س) "*وإن ارتدَّ لا تُسر به نفسي*" (عب١٠: ٣٧)، والمقصود بارتداد الشخص هو أن يستسلم للتواني، لذلك يقول إنه لا يجب أن يرتد واحد، فالمقصود أنه إذا كان يزداد توانيًا فى سَيرِه نحو النعمة التى بالإيمان فإن نفسي لن تُسر به.

أما كون الآباء قد تزكوا بالإيمان، ففحص أعمالهم يوضِّح ذلك. خُذ على سبيل المثال أب الآباء إبراهيم الذى دُعيَ خليل الله، ماذا كُتب عنه؟ "*آمن إبراهيم بالله فحُسب إيمانه له برًا ودُعيَ خليل الله*" (يع٢: ٢٣). كما كُتب أيضًا "*بالإيمان نوح لما أُوحيَ إليه عن أمور لم تُرَ بعد خاف فبنى فُلكًا لخلاص بيته، الذي فيه خلص قليلون أي ثماني أنفس بالماء*" (عب١١: ٧، ١بط٣: ٢٠). كما أن المبارك بولس قدَّم لنا تعريفًا، أو بالحرى قانونًا عامًّا بقوله: "*بدون إيمان لا يمكن ارضاء الله*" (عب١١: ٦)، لأنه قال إن به نال القدماء، شهادة حسنة (عب١١: ٢).

أما هؤلاء المدعوون ناموسيون فقد أخذوا مفتاح المعرفة، ولم يسمحوا للناس أن يؤمنوا بالمسيح مخلِّص الجميع. إنه أجرى عجائب بطرق متنوعة، فأقام الموتى من القبور، وأعاد البصر للعميان الذين فقدوا الرجاء، وجعل العرج يمشون وطهَّر البرص، وانتهر الأرواح النجسة، أما هم رغم أنه كان من واجبهم أن ينظروا إليه بإعجاب بسبب هذه الأمور، إلا أنهم احتقروا آياته الإلهية، وجعلوا الشعب الذى أودع أمانة عندهم أن يعثر فيه، إذ قالوا: "*هذا الإنسان لا يُخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين*" (مت١٢: ٢٤). ها أنت ترى أنهم قد أخذوا مفتاح المعرفة. فهو علَّم في مجامعهم، وكشف لسامعيه

مشيئة الله الآب الصالحة والمرضية الكاملة (رو١٢: ٢)، لكنهم لم يتركوا حتـى تعاليمه هذه بدون لوم، لأنهم صرخوا للجموع: به شيطان، وهو يهذي "*لماذا تسمعون له*؟" (يو١٠: ٢٠). حقًّا إنهم أخذوا مفتاح المعرفة فما دخلوا هم أنفـسهم ومنعوا الآخرين.

وهكذا وقد صاروا ساخطين على هذا التوبيخ، فإنهم كما يقول الكتاب: "*بدءوا يحنقون عليه*" والذى يعني أنهم بدءوا يهاجمونه بمكرٍ ويقاومونه، ويُظهـرون بغضهم له، بل وتجاسروا أيـضًا كمـا يقـول: "*أن يُفحمـوه علـى أمـور كثيرة*"[٢]،ومرَّة ثانية ما هو المقصود بأن يُفحموه (يسكتوه)؟

المقصود هو أنهم طلبوا منه فورًا، أي بدون إعطائه فرصـة للتفكيـر فـي الإجابة على أسئلتهم الشريرة، ومتوقِّعين بكل تأكيد أن يقع في شباكهم وأن يقول شيئًا ما أو شيئًا آخر يمكن الاعتراض عليه. ولكنهم لم يعلموا أنه هـو الله، بـل بالحري هم الذين كانوا حقيرين، مغرورين، منتفخـين. ولـذلك قـال المـسيح لأصدقائه، أعني لتلاميذه: "*تحرَّزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين والكتبة*"، وهو يقصد بالخمير تظاهرهم الكاذب، لأن الرياء أمر ممقوت لدى الله ومكروه مـن الناس ولا يجلب مكافأة وهو عديم الفائدة تمامًا لخلاص النفس بل بالأحرى هو سبب هلاكها. وإن اختبأ ولم ينكشف لفترة قصيرة، فلابد أن يُفضح بعد زمـن ليس بطويل، ويجلب عليهم الاحتقار، مثل النسوة قبيحات المنظر، عندما تُنزع عنهن زينتهن الخارجية التى عملوها بوسائل مصطنعة.

لذلك فالرياء شيء غريب عن أخلاق القديسين، لأنه من المستحيل أن تلـك الأمور التى نفعلها ونقولها، أن تخفى على عين الله، وهذا ما أوضحه بقولـه: "*فليس مكتومٌ لن يُستعلن، ولا خفيٌّ لن يُعرف*"، لأن جميع أقوالنـا وأعمالنـا سوف تنكشف فى يوم الدينونة. إن الرياء إذن هو عناء لا لـزوم لـه، ومـن واجبنا أن نثبت أننا عابدون حقيقيون، نخدم الله بوجـه طلـق مكـشوف، ولا

[٢] هذا بحسب النص الذى فى يد القديس كيرلس To put him to Silence وكذلك نفس المعنى بحسب النص اليونانى. وفى ترجمة دار "الكتاب المقدس": " يصادرونه على أمور كثيرة ".



نخضع فكرنا لمن أخذوا مفتاح المعرفة، بل يجب أن نرى حتى في النـــاموس سر المسيح، ونمسك بكلمات الأنبياء القديسين لتثبت معرفتنا به. وهذا أيضًا ما علَّمنا به تلميذه بقوله: "*وعندنا الكلمة النبوية وهى أثبت، التى تفعلون حسنًا إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم* " (٢بط١: ١٩).

فنحن الذين في المسيح قد أشرق إذن علينا النهار، وقد طلع كوكب الصبح العقلي، حاصلين على معرفة صحيحة وبلا لوم لأنه هو نفسه قد وضـــع فـــي ذهننا وقلبنا المعرفة الإلهية، إذ هو المخلِّص ورب الكل، الذي بـــه ومعـــه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

عظة (٨٧)

عناية الله بمحبّيه

(لو١٢: ٤ــ٧): " *وَلَكِنْ أَقُولُ لَكُمْ يَا أَحِبَّائِي: لاَ تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَبَعْدَ ذَلِكَ لَيسَ لَهُمْ مَا يَفْعَلُونَ أَكْثَرَ. بَلْ أُرِيكُمْ مِمَّنْ تَخَافُونَ: خَافُوا مِنَ الَّذِي بَعْدَمَا يَقْتُلُ لَهُ سُلْطَانٌ أَنْ يُلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ. نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ: مِنْ هَذَا خَافُوا! أَلَيْسَتْ خَمْسَةُ عَصَافِيرَ تُبَاعُ بِفَلْسَيْنِ وَوَاحِدٌ مِنْهَا لَيسَ مَنْسِيًّا أَمَامَ اللهِ؟. بَلْ شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ أَيْضًا جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ! فَلاَ تَخَافُوا. أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ!* ".

الذِّهن الصبور المحتمِل الشجاع، هو سلاح القديسين الذى لا يمكن اختراقه، لأنه يجعلهم مزكّين ومتألِّقين بمدائح التقوى. أخبَرَنا أحد الرسل القديسين مرَّة قائلاً: "بصبركم *تقتنون أنفسكم* " (لو٢١: ١٩) وفى مرَّة أخرى: "*لأنكم تحتاجون إلى الصبر حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد*" (عب١٠: ١٦). بمثل هذه الفضائل الرجولية نصير مشهورين وجديرين بالثناء، ولنا صيت بين الناس فى كل مكان، ومستحقين لكل الكرامات والبركات المعدَّة للقديسين، وحتى تلك البركات التى "*لم ترها عين ولم تسمع بها أذن*" (١كو٢: ٩) كما يقول الحكيم بولس، وكيف لا يجب أن تكون تلك الأشياء جديرة بالإعجاب والاقتناء، وهى تفوق كل فهم وكل عقل؟ لهذا كما قلت، فإن المسيح يهيئ[٣] الذين يحبونه للثبات الروحى فيقول: " أقول لكم يا أحبائي".

إن حديث المسيح الحالى، كما يتبين، لا يخص كل أحد حتمًا بل على العكس إنه فقط لمن يحبونه بوضوح بكل قلبهم، ويستطيعون أن يقولوا بحق: " *من سيفصلني عن محبة المسيح، أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف* " (رو٨: ٣٥). لأن هؤلاء الذين ليست لهم محبة وثيقة للمسيح وأكيدة ومؤسسة جيدًا، من الممكن

---

[٣] حرفيًا "يمسح"، وهى استعارة مأخوذة من معهد المصارعة (الجمنزيوم) حيث كان المصارع يُدهن بالزيت قبل أن تبدأ المعركة مباشرة، فصار معنى يمسح إذن هو الإعداد للجهاد المرتقب.

أن يحتفظوا بإيمانهم بالمسيح في الأوقات الهادئة، ولكن متى أزعجتهم الضيقة أو اضطهاد قليل فإنهم يَعرِضون عنه ويهجرونه ويفقدون إيمانهم كما يفقدون الدافع الذى حرّكهم لمحبته. وكما أن النباتات الصغيرة التى أينعت حديثًا لا تقدر أن تحتمل عنف الريح العاصفة لأنها لم تكن قد ضربت جذورها في العمق، بينما تلك التى ثبتت بمتانة وتأصّلت جذورها تظل آمنة فى الأرض حتى ولو هزّتها عاصفة من الرياح الشديدة، هكذا أيضًا هؤلاء الذين لم تثبت عقولهم بمتانة في المسيح، فإنهم يتركونه بسهولة، ويهجرونه بسرعة. أما الذين يختزنون ويمتلكون في عقلهم وقلبهم حبًا متينًا ثابتًا غير متزعزِع للمسيح، هؤلاء يكونون غير متغيِّرين في عقلهم ولهم قلب ثابت غير متذبذب. إذ يصيرون أعلى من كل تراخٍ، وينظرون بازدراء إلى أعظم المخاطر التى لا تُحتمل، ويسخرون من الأهوال، كما لو كانوا يهزأون برعبة الموت. فالوصيَّة هنا إذن تخص هؤلاء الذين يحبونه.

ولكن مَن هم هؤلاء الذين يحبونه؟ إنهم المشابهون له في فكرهم وهم مشتاقون أن يقتفوا خطواته. ولهذا فإن رسوله يشجّعنا بقوله: "*إذ قد تألم المسيح من أجلنا بالجسد، تسلحوا أنتم أيضًا بهذه النيّة*" (ابط٤: ١) إنه وضع نفسه عنا "*وكان بين الأموات غير مقيّد*" (انظر مز٨٧: ٥ س)، لأن الموت لم يهاجمه مثلما هاجمنا بسبب الخطية، لأنه منفصل بعيدًا عن كل خطية، وهو بلا إثم، ولكن بإرادته وحده احتمل الموت لأجلنا، بسبب حبه غير المحدود لنا، فلننصت إليه وهو يقول بوضوح: "*ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه* " (يو١٥: ١٣)، فكيف لا يكون إذن أمرًا رديئًا جدًا ألاّ نرُد إلى المسيح ــ كدَيْن ضروري علينا ــ ما قد نلناه منه؟

ولكي أضع الموضوع في ضوء آخر، فإنه يجب علينا، كأحبائه، ألا نخاف الموت ولكن بالحري نتمثل بإيمان الآباء القديسين. فإن أب الآباء إبراهيم لما جُرِّب، فإنه قدّم ابنه الوحيد إسحق "*حاسبًا أن الله قادر على الإقامة من الأموات*" (عب١١: ١٩). فلذلك أي رعبة من الموت هذه التى يمكن أن تهجم علينا؟ بعد أن "*أبطلت الحياة الموت*" (انظر ٢تي١: ١٠). فالمسيح هو "*القيامة والحياة*" (يو١١: ٢٥).

ويجب أيضًا أن نضع في ذهننا أن الأكاليل يُظفر بها بالجهاد. إنَّ بذل الجهد الشديد متحدًا مع المهارة هو الذى يُكمِّل أولئك المصارعين الأقوياء في المباريات. إنها الجرأة والذهن الشجاع هما النافعان جدًّا لهؤلاء الماهرين في المعارك، بينما الرجل الذى يلقي عنه ترسه، فحتى أعداؤه يسخرون منه، وإن عاش الهارب فإنه يعيش حياة ملؤها الخزي، ولكن الذي يصمد في المعركة ويقف بجرأة وشجاعة وبكل قوته ضد العدو، فإنه يُكرَم إذا نال النصرة، وإن سقط فإنه يُنظر إليه بإعجاب. وهذا ما يجب أن نحسبه لأنفسنا، لأنه عندما نحتمل بصبر ونواصل المعركة بشجاعة فهذا يجلب لنا مكافأة عظيمة. وهو أمر مرغوب فيه جدًا، وننال منه البركات الممنوحة من الله. أما إذا رفضنا مكابدة الموت في الجسد من أجل محبة المسيح، فهذا سوف يجلب علينا عقابًا دائمًا أو بالحري لا نهاية له، لأن غضب الانسان إنما يصيب الجسد على الأكثر، وموت الجسد هو أقصى ما يمكن أن يدبِّروه ضدنا، ولكن عندما يعاقِب الله، فإن الخسارة لا تصيب الجسد فقط، ولكن النفس التعيسة أيضًا تُلقى معها في العذابات. ليت نصيبنا إذن يكون بالأحرى هو الموت المُكرَّم، لأنه يجعلنا نرتقي إلى بداءة حياة أبدية، والذى يلحق بها بالضرورة تلك البركات أيضًا التي تأتي من الجود الإلهي. وليتنا نهرب من حياة الخزى ونحتقرها، تلك الحياة الملعونة، قصيرة الأجل، والتي تهبط بنا إلى عذاب أبدى مرير.

ولكي يمنح وسيلة أخرى بها يسعف عقولنا، فإنه يضيف بقوة: "*أليست خمسة عصافير بالكاد ربما تساوى فلسين، ومع ذلك فحتى واحد منها ليس منسيًّا قدام الله*". ويقول فضلاً عن ذلك: "*أيضًا شعور رؤوسكم محصاة*" تأمل إذن ما أعظم العناية التي يخلعها على هؤلاء الذين يحبونه. لأنه إن كان حافظ الكون يمدّ معونته إلى أشياء تافهة بهذا المقدار، ويتنازل ــ إن جاز القول ــ إلى أصغر الحيوانات، فكيف يمكنه أن ينسى هؤلاء الذين يحبونه، لاسيما إذا كان يعتني بهم عناية عظيمة، ويتنازل ليفتقدهم لكي يعرف بالضبط أصغر الأشياء عن حالتهم، بل وحتى كم عدد شعور رؤوسهم. أين إذن هو تفاخُر الوثنين وثرثرتهم الفارغة الحمقاء؟ "*أين الحكيم؟ أين*



الكاتب؟ أين مباحث هذا الدهر ألم يُجهّل الله حكمة العالم؟" (١كو١: ٢٠). لأن بعضًا منهم ينكر تمامًا العناية الإلهية، بينما آخرون يجعلونها تصل إلى القمر فقط، ويضعون عليها قيودًا كما لو كانت هذه السلطة قد خُوِّلت لهم. لمثل هؤلاء نقول: " هل عناية الله أضعف من أن تمتد إلى ما هو أسفل بل وحتى أن تبلغ إلينا، أم أنَّ خالق الكل مُتعَب لهذه الدرجة حتى أنه لا يرى ما نفعل؟ إن قالوا إذن إن العناية ضعيفة جدًّا، فهذا هو الغباء بعينه ليس إلا. أما إذا صوَّروا الطبيعة الإلهية أنها خاضعة للكسل، فإنهم يجعلونها أيضًا قابلة للحسد وهذا أيضًا هو تجديف وجرم لا يوجد أعظم منه. ولكنهم يجيبون أنه إزعاج للإرادة الإلهية والفائقة أن تثقَّل بالعناية بكل هذه الأمور الأرضية، لأنهم لا يعلمون كم هي عظيمة هذه الطبيعة الإلهية التي لا يمكن للعقل أن يفهمها أو للنطق أن يصفها، والتي تملك على الكل، لأنه بالنسبة لها فإن جميع الأشياء صغيرة، وهكذا يعلِّمنا النبي المبارك إشعياء حيث يقول: " *حقًّا إنما جميع الأمم كنقطة من دلو وتحسب كغبار الميزان، وتُعدّ كبصاق، فبمَّن تشبِّهون الرب؟*" (إش٤٠: ١٥، ١٨ س). فماذا تكون نقطة واحدة من دلو؟ وماذا يكون غبار الميزان؟ وماذا يكون البصاق؟ أي تفلة واحدة؟ فإن كان هذا هو وضع جميع الأشياء أمام الله، فكيف يكون أي أمر عظيمًا عليه، أو يكون أمرًا يسبِّب له إزعاجًا أن يعتني بكل الأشياء؟ إن مشاعر الوثنيين الضارة إنما هي عديمة العقل.

ليتنا إذن لا نشك، بل نؤمن أنه بيد سخيَّة سوف يمنح نعمته لهؤلاء الذين يحبونه. لأنه إما أنه لن يسمح لنا أن نقع في تجربة، أو إذا سمح ــ بقصده الحكيم ــ أن نؤخذ في الشرك لأجل أن نربح المجد بالآلام، فإنه بكل تأكيد سيمنحنا القوة أن نحتملها. وبولس المبارك هو الشاهد لنا ويقول: "*الله أمين، الذى لا يدعكم تجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضًا المنفذ لتستطيعوا أن تحتملوا*" (١كو١٠: ١٣). لأن الذي هو المخلِّص وهو ربنا جميعًا هو رب القوات، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين آمين.

عظة (٨٨)
الاعتراف بالمسيح وإنكاره

(لو١٢: ٨ ـــ١٠) *" وَأَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَنِ اعْتَرَفَ بِي قُدَّامَ النَّاسِ يَعْتَرِفُ بِهِ ابْنُ الإِنْسَانِ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ. وَمَنْ أَنْكَرَنِي قُدَّامَ النَّاسِ يُنْكَرُ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ. وَكُلُّ مَنْ قَالَ كَلِمَةً عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ يُغْفَرُ لَهُ وَأَمَّا مَنْ جَدَّفَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلاَ يُغْفَرُ لَهُ "*.

هنا أيضًا يا من تُحبون أن تسمعوا، املأوا نفوسكم بكلمات القداسة، اقبلوا في داخلكم معرفة التعاليم المقدسة لكي إذ تتقدمون بنجاح في الإيمان، فإنكم تحصلون على أكليل المحبة والثبات في المسيح، لأنه يمنحه ليس لضعاف القلوب التي تهتز بسهولة، ولكن بالأولى لأولئك الذين يستطيعون أن يقولوا بحق "*لي الحياة هي المسيح والموت هو ربح*" (فى١: ٢١). لأن هؤلاء الذين يعيشون بقداسة، يعيشون للمسيح، أولئك الذين يحتملون الأخطار لأجل التقوى يربحون الحياة غير الفاسدة، إذ يكلَّلون معه أمام منبر قضائه. هذا هو ما يعلِّمنا إياه بقوله: "*كل من اعترف بي قدام الناس يعترف به ابن الإنسان أيضًا قدام ملائكة الله*".

إذن فهو شيء يعلو فوق كل الأشياء الأخرى وهو جدير بانتباهنا، أن نفحص من هو الذي يعترف بالمسيح، وبأية طريقة يمكن أن يعترف بالمسيح، بأية طريقة يمكن أن يُعترف به بحق وبلا لوم، لذلك فإن بولس الحكيم جدًّا يكتب لنا: "*لا تَقُل في قلبك من يصعد إلى السماء؟ أي ليُحدِرِ المسيح، أو من يهبط إلى الهاوية؟ أي ليُصعدِ المسيح من الأموات، لكن ماذا يقول الكتاب؟ الكلمة قريبة منك، في فمك وفي قلبك، أي كلمة الإيمان التي نكرز بها، لأنك إن اعترفت بفمك بأن يسوع هو الرب وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات فسوف تحيا، لأن بالقلب يؤمن الإنسان للبرِ وبالفم يُعترف للخلاص*" (رو١٠: ٦ـــ١٠).

يشرح الرسول بهذه الكلمات سر المسيح بطريقة ممتازة جدًّا. فأول كل



شيء يجب أن نعترف أن الابن المولود من الله الآب، هو الابن الوحيد لجوهره، وأنه هو الله الكلمة، وهو رب الكل، وليس كَمَن وُهِبَت له الربوبية من الخارج، بالانتساب، بل هو الرب بالطبيعة وبالحق مثل الآب تمامًا، ويجب بعد ذلك أن نؤمن أن "*الله أقامه من الأموات*"، أي أنه عندما صار إنسانًا، فإنه قد تألم من أجلنا بالجسد، ثم قام من الأموات.

فالابن إذن ــ كما قلت ــ هو رب، ولكن لا يجب أن يُحسب بين أولئك الأرباب الآخرين الذين يُعطَى لهم ويُنسَب إليهم اسم الربوبية، لأنه ــ كما قلت ــ هو وحده الرب بالطبيعة، لكونه الله الكلمة، الذى يفوق كل شيء مخلوق، وهذا ما يعلّمنا إياه الحكيم بولس بقوله: "*لأنه وإن وُجد ما يُسمَّى آلهة في السماء أو على الأرض ــ كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون ــ لكن لنا إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن منه، ورب واحد يسوع المسيح الذى به جميع الأشياء ونحن به* " (١كو٨: ٦٥).

ولكن رغم أنه يوجد إله واحد الذى اسمه الآب، ورب واحد الذى هو الابن، ولكن لا الآب كفَّ عن أن يكون ربًّا بسبب كونه الله بالطبيعة، ولا الابن توقَّف عن أن يكون هو الله بسبب كونه ربًّا بالطبيعة، لأن الحرية الكاملة هى صفة الجوهر الإلهي الفائق وحده، وأن يكون بعيدًا عن نير العبودية، أو بالأحرى فإن الخليقة تكون خاضعة تحت قدميه. لذلك، رغم أن كلمة الله الوحيد الجنس صار مثلنا، وإذ اتخذ قياس الطبيعة البشرية، فإنه وُضع تحت نير العبودية، لأنه دَفَع عن قصد ــ الدرهمين لجباة الضرائب اليهود بحسب ناموس موسى، إلا أنه لم يخبئ المجد الذي سكن فيه، لأنه سأل المغبوط بطرس "*ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية، أمِن بنيهم أم من الأجانب؟ ولما قال من الأجانب، عندئذ أجابه: إذن البنون أحرار*" (مت١٨: ٢٥ــ٢٦).

كذلك فالابن في طبيعته الذاتية هو رب لأنه حر، كما يعلّمنا الحكيم بولس أيضًا ويكتب: "*ونحن جميعًا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة*

نتغيَّر إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو٣: ١٨)، "*وأمَّا الرب فهو الروح، وحيث روح الرب فهناك حرية*" (٢كو٣: ١٧).

لذلك لاحظ كيف يؤكِّد أن الروح هو رب. لا كمن يملك البنوة إذ أنه هو الروح وليس الابن، بل لكونه واحدًا مع الابن في الجوهر، الذي هو رب وحر، وقد تبرهن بهذه المساواة الطبيعية معه أن له تلك الحرية التى تليقْ بالله.

إذن، فمن يعترف بالمسيح أمام الناس أنه إله ورب، فسوف يعترف به المسيح أمام ملائكة الله. ولكن متى؟ واضح أنه في الوقت الذي سوف ينزل فيه من السماء في مجد أبيه مع الملائكة القديسين عند نهاية هذا العالم، وعندئذ سوف يكلِّل المعترِف الحقيقي به، الذي له إيمان غير متزعزع وأصيل، وهكذا يقدم اعترافه، وهناك أيضًا سوف يضيء جماعة الشهداء القديسين الذين احتملوا الضيقات كل الحياة وحتى الدم، وكرَّموا المسيح باحتمالهم وصبرهم، لأنهم لم ينكروا المخلص، ولا كانوا يجهلون مجده، بل احتفظوا بولائهم له. مثل هؤلاء سوف يُمدحون من الملائكة القديسين الذين أيضًا سوف يُمجِّدون المسيح مخلِّص الجميع، لأنه منح القديسين تلك الكرامات التى تحق لهم بنوع خاص، وهذا ما يعلنه المرتل أيضًا، "*وتُخبر السموات بعدله، لأن الله هو الديان*" (مز٤٩: ٦ س)، وهذا سوف يكون نصيب أولئك الذين يعترفون به.

أما الباقون، الذين أنكروه واحتقروه، فسوف ينكرهم، عندما يقول لهم الديان، كما تكلم أحد الأنبياء القديسين فى القديم: "*كما فعلت سيُفعل بك، وعملك يرتدّ على رأسك*" (عوبديا١٥) وسوف ينكرهم بهذه الكلمات: "*اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم، إننى لست أعرفكم* " (لو١٣: ٢٧). مَن هم هؤلاء الذين سوف ينكرهم؟ أولاً: هم أولئك الذين عندما ضغط عليهم الاضطهاد ولاحقتهم المحن، تركوا الإيمان. إن رجاءِ مثل هؤلاء سوف يفارقهم تمامًا من جذوره، ولمثل هؤلاء لا تكفي كلمات بشرية لوصف حالتهم، لأن الغضب والدينونة والنار التى لا تُطفأ سوف تبتلعهم.



وبطريقة مماثلة، فإن معلِّمي الهرطقة وتابعيهم ينكرونه لأنهم يجترئون ويقولون إن كلمة الله الوحيد الجنس ليس هو الله بالطبيعة وبالحق، ويطعنون في ولادته التي لا يُنطَق بها، بقولهم إنه ليس من جوهر الآب، بل وبالأحرى يحسبون من هو خالق الكل ضمن الأشياء المخلوقة. ويصنِّفون ذلك الذي هو رب الكل مع أولئك الذين هم تحت نير العبودية، رغم أن بولس يؤكد أننا يجب أن نقول إن "*يسوع رب*" (في: ١١).

كما أن تلاميذ " ثرثرة نسطوريوس الباطلة " أيضًا ينكرونه بقولهم بابنين، واحد زائف، والآخر حقيقي: الحقيقي هو كلمة الآب، والزائف هو الذى يملك كرامة واسم ابن بالانتساب فقط. وهو بأسلوبهم هذا فقط هو ابن، ونَبَت من نسل المبارك داود بحسب الجسد. إن دينونة هؤلاء أيضًا هى ثقيلة جدًّا، لأنهم "*ينكرون الرب الذى اشتراهم*" (٢بط٢: ١) ولم يفهموا سر تدبيره فى الجسد، لأنه يوجد "*رب واحد وإيمان واحد*" كما هو مكتوب (أف٤: ٥).

فنحن لا نؤمن بإنسان وبإله، ولكن برب واحد الكلمة الذي هو من الله الآب، الذى صار إنسانًا واتَّخذ لنفسه جسدنا. فلذلك فإن هؤلاء أيضًا يُحسبون ضمن من ينكرونه.

وقد علَّمنا الرب أن التجديف هو جريمة عظيمة جدًّا يرتكبها الناس، بقوله أيضًا: "*كل من قال كلمة على ابن الانسان يُغفَر له، وأمَّا من جدَّف على الروح القدس فلا يُغفر له*". فبأية طريقة يجب أن نفهم هذا أيضًا، إذا كان المخلِّص يقصد هذا، وهو أنه إذ استُعملَت كلمة احتقار من أي إنسان منا تجاه إنسان عادي فإنه سوف يَحصل على الغفران إذا ما تاب، فإن الأمر يكون خاليًا من أي صعوبة، لأن الله إذ هو صالح بالطبيعة، فإنه سوف يبرئ من كل لوم جميع الذين يتوبون. ولكن إن كان التجديف موجه إلى المسيح نفسه، مخلِّص الكل، فكيف يمكن أن يتبرأ أو ينجو من الدينونة ذلك الذى يتكلم ضده؟ فما نقوله إذن هو هذا: أي شخص، لم يتعلم بعد معنى سر المسيح، ولم يفهم

أنه إذ هو بالطبيعة الله، وقد وضع نفسه ونزل إلى حالتنا، وصار إنسانًا، ثم يتكلم هذا الإنسان، أي شيء ضده (المسيح)، ويجدف لحدٍّ ما، ولكن ليس بدرجة الشر التى تفقده الغفران، فالله سوف يغفر لأولئك الذين أخطأوا عن جهل. ولكى أُوضّح ما أعنيه بمثال، فإن المسيح قال في موضع ما: "*أنا هو الخبز الحي النازل من السماء والمعطي الحياة للعالم*" (يو٦: ٥١).

لذلك فبسبب أن البعض لم يعرفوا مجده، بل ظنّوا أنه إنسان، فإنهم قالوا "*أليس هو ابن النجار الذى نحن عارفون بأبيه وأمه، فكيف يقول إنّي نزلت من السماء؟*". وفى مرة أخرى بينما كان واقفًا يعلّم في المجمع حتى تعجَّب منه الجميع، لكن البعض قالوا: "*كيف هذا يعرف الكتب وهو لم يتعلّم*" (يو٧: ١٥)، لأنهم لم يكونوا يعرفون طبعًا أن "*فيه مذخر كل كنوز الحكمة والعلِم*"(كو٢: ٣).

مثل هذه الأمور يمكن أن تُغفر، إذ قيلت بتهوُّر عن جهل.

أما من جهة أولئك الذين قد جدّفوا على اللاهوت نفسه فإن الدينونة محتَّمة والعقاب أبدي في هذا العالم وفي الآتى. لأنه يقصد بالروح هنا ليس فقط الروح القدس ولكن كل طبيعة الألوهة، وكما هو معروف إنها هي طبيعة الآب والابن والروح القدس. والمخلِّص نفسه يقول فى مكان ما: "*الله روح*" (يو٤: ٢٤). فالتجديف على الروح هو على كل الجوهر الفائق، لأنه كما قلت، إن طبيعة الألوهة كما أُعلِنَت لفهمنا هي الثالوث القدوس المسجود له الذي هو واحد. ليتنا إذن كما يقول يشوع ابن سيراخ في حكمته: "*نضع بابًا ومزلاجًا للسان*" (يشوع ابن سيراخ٢٨: ٢٥)، ونقترب بالأكثر نحو الله ولنقل: "*ضع يا رب حافظًا لفمي، وبابًا حصينًا لشفتيَّ، ولا تمل قلبي إلى كلام الشر*" (مز١٤٠: ٣ س). لأن تلك التجاديف هى كلمات رديئة ضد الله. وهكذا إن كنا نخاف الله حقًّا فالمسيح سوف يباركنا، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة (٨٩)
تحفظوا من الطمع

(لو١٢: ١٣ـــ٢١) " *وَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْجَمْعِ: يَا مُعَلِّمُ قُلْ لأَخِي أَنْ يُقَاسِمَنِي الْمِيرَاثَ. فَقَالَ لَهُ: يَا إِنْسَانُ مَنْ أَقَامَنِي عَلَيْكُمَا قَاضِيًا أَوْ مُقَسِّمًا؟. وَقَالَ لَهُمُ: انْظُرُوا وَتَحَفَّظُوا مِنَ الطَّمَعِ فَإِنَّهُ مَتَى كَانَ لأَحَدٍ كَثِيرٌ فَلَيْسَتْ حَيَاتُهُ مِنْ أَمْوَالِهِ. وَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلاً قَائِلاً: إِنْسَانٌ غَنِيٌّ أَخْصَبَتْ كُورَتُهُ. فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ قَائِلاً: مَاذَا أَعْمَلُ لأَنْ لَيْسَ لِي مَوْضِعٌ أَجْمَعُ فِيهِ أَثْمَارِي؟. وَقَالَ: أَعْمَلُ هَذَا: أَهْدِمُ مَخَازِنِي وَأَبْنِي أَعْظَمَ وَأَجْمَعُ هُنَاكَ جَمِيعَ غَلاَّتِي وَخَيْرَاتِي. وَأَقُولُ لِنَفْسِي: يَا نَفْسُ لَكِ خَيْرَاتٌ كَثِيرَةٌ مَوْضُوعَةٌ لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ. اسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَافْرَحِي. فَقَالَ لَهُ اللهُ: يَا غَبِيُّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ فَهَذِهِ الَّتِي أَعْدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟. هَكَذَا الَّذِي يَكْنِزُ لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ هُوَ غَنِيًّا لِلهِ* ".

يوصي القديس بولس كإنسان حكيم بمداومة الصلاة فيقول: " *صلُّوا بلا انقطاع*" (١تس٥: ١٧)، وهذا بالحقيقة أمر مليء بالفائدة، ولكني أقول هذا، إن كل من يقترب من الله يجب عليه أن لا يفعل هذا بإهمال، ولا أن يُقدّم توسُّلات غير لائقة، فيمكن للواحد منا أن يؤكد بحق أنه يوجد عديد من التوسلات غير المناسبة، ومثل هذه ليست مناسبة لله أن يعطيها، كما أن نوالها غير نافع بالنسبة لنا. وإذا وجّهنا نظرة فاحصة من عقلنا إلى الفقرة التى أمامنا سوف نرى بدون صعوبة صدق ما قلته، فقد اقترب من المسيح مخلِّصنا جميعًا واحد من الجمع وقال له: "*يا معلِّم قُل لأخي أن يقاسمني الميراث*"، ولكن الرب قال له: "*يا إنسان من أقامني عليكما قاضيًا أو مقسِّمًا*"؟ إن الابن فى الحقيقة عندما ظهر وصار مثلنا، فقد أقيم من الله الآب "*كرئيس وملك على صهيون جبل قدسه*" بحسب كلمات المرتل (انظر مز٢: ٦)، وطبيعة وظيفته أعلنها هو نفسه بوضوح بقوله "*لأني جئت لأكرز بأمر الله*"، وما هو هذا؟ إن سيدنا المحب للفضيلة يريدنا أن نبتعد من كل الأمور الأرضية والزمنية، وأن نهرب من



محبة الجسد، ومن همٍّ انشغال الربح الباطل، ومن الشهوات الدنيئة، ولا نلقي بالاً لما في الخزائن، وأن نحتقر الثروة وحب الربح، وأن نكون صالحين ومحبين بعضنا لبعض، وألا نكنز كنوزًا على الأرض، وأن نسمو فوق النزاع والحسد، ولا نتشاجر مع الإخوة، بل بالحري نفسح لهم المجال، حتى ولو كانوا يسعون لكسب فرصة أكثر منا، لأن الرب يقول: "*ومن أخذ الذى لك فلا تطالبه*" (لو٦: ٢٩)، بل بالأحرى نسعى وراء تلك الأمور النافعة والضرورية لخلاص النفس.

فبالنسبة لأولئك الذين يعيشون هكذا، يضع المسيح لهم قوانين يصيرون بها لامعين وجديرين بالمديح، لأنه قال "*لا تقتنوا ذهبًا ولا فضة ولا ثوبين... ولا مزودًا، ولا نحاسًا في مناطقكم* " (انظر مت١٠: ٩، ١٠). ويقول أيضًا: "*اعملوا لكم أكياسًا لا تفنى، كنزًا لا ينفد في السموات* " (لو١٢: ٣٣). وعندما اقترب منه شاب يسأله؟ "*يا معلِّم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟* " أجابه: "*اذهب بع كل أملاكك وأعطِ الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني* " (مت١٩: ١٦ـ٢١).

لذلك، فلهؤلاء الذين يحنون رقاب أذهانهم المطيعة، يعطي وصايا ويُعيِّن لهم قوانين، ويضع لهم تعاليم، ويوزِّع عليهم الميراث السماوي، ويعطيهم بركات روحية، ويكون لهم مستودع لمواهب لا تنقص أبدًا. بينما لأولئك، الذين يفكرون فقط في الأمور الأرضية، وقد وضعوا قلوبهم على الثروة، ولأولئك الذين تقسَّى ذهنهم، وصاروا بلا رحمة، بلا لطف أو محبة للفقراء، فإنه لمثل هؤلاء سوف يقول بعدل: "*من أقامني عليكم قاضيًا أو مقسِّمًا؟*" لذلك فهو يرفض ذلك الإنسان لأنه مزعج ولأنه لا يملك رغبة في أن يتعلم ما يناسبه.

ولكنه لا يتركنا بدون تعليم، لأنه إذ قد وجد فرصة مواتية، فإنه يضع حديثًا نافعًا وخلاصيًّا، ويعلن محذِّرًا إياهم: "*انظروا وتحفَّظوا من الطمع*"، إنه يرينا فخ الشيطان، أي الطمع، وهو أمر مكروه من الله، والذى يدعوه الحكيم بولس



" *عبادة الأوثان*" (كو٣:٥)، ربما لأنه يتناسب فقط مع أولئك الذين لا يعرفون الله، أو كأنّهم مُتساوون في الدنس مع أولئك الناس الذين يختارون عبادة الأصنام والحجارة. إنه فخ الأرواح الشريرة، الذى بواسطته يحدِرون نفس الإنسان إلى شباك الهاوية. لهذا السبب فهو يقول بحق تمامًا، محذّرًا إياهم: " *انظروا وتحفظوا لأنفسكم من كل طمع*"، أي من الطمع كثيره وقليله، ومن الاحتيال على أي إنسان أيًا كان، لأنه كما قلت، هو شيء بغيض عند الله والناس.

لأنه من ذا الذى لا يهرب ممَّن يستخدم العنف وهو سلاَّب وطمَّاع، ومستعِد للظلم في تلك الأشياء التى لا حقَّ له فيها، والذى بيد جشعه يجمع ما ليس له؟ أي وحش مفترس لا يفوقه مثل هذا الإنسان المحتال في وحشيته؟ وأية أحجار لا يكون هو أكثر قساوة منها؟ لأن قلب الذي يتم الاحتيال عليه يتمزق، بل إنه أحيانًا يذوب من الألم الحارق كما لو كان الألم نارًا ولكن المحتال يسر بهذا ويبتهج، ويجعل آلام الذين يعانون سببًا لفرحه. ولأن الإنسان المُساء إليه هو بالضرورة وبصفة عامة لا حَوْل له ولا قوة، فإنه لا يستطيع شيئًا سوى أن يرفع عينيه إلى هذا الذي هو وحده قادر أن يَغضب لأجل ما قد تألم به، وهو (الله)، لأنه عادل وصالح، يقبل توسلاته ويشفق على دموع المتألم ويعاقِب أولئك المخطئين.

وهذا يمكنك أن تتعلَّمه مما يقوله هو بنفسه بفم الأنبياء القديسين: "*لذلك من أجل أنكم تسحقون رؤوس المساكين وتأخذون منهم هدايا مختارة، وبنيتم بيوتًا من حجارة منحوتة لكنكم لن تسكنوا فيها، وغرستم كرومًا شهية ولن تشربوا خمرها، لأني علمتُ ذنوبكم الكثيرة وخطاياكم الثقيلة*" (عا٥: ١١، ١٢ س). وأيضًا: " *ويل للذين يَصِلون بيتًا ببيت ويقرنون حقلاً بحقل، حتى يأخذوا ما لجارهم. أتسكنون وحدكم فى الأرض؟ لأن هذه الأشياء قد بلغت أذني رب الجنود، لأنه مع أنَّ بيوتكم كثيرة فإنها تصير خرابًا، ومع أنها كبيرة وحسنة*

فإنها ستصير بلا ساكن، لأن الأرض التي يفلحها عشرة فدادين بقر تصنع بثًّا واحدًا، والذي يزرع ستة أرادب سوف يجمع ثلاثة مكاييل" (إش٥: ٨ــ١٠)، لأن البيوت والحقول هي ناتجة عن ظلم الآخرين، لهذا يقول عنهــا أنهـا تتبـدَّد وتصير مهجورة (بلا ساكن)، وسوف لا تأتي بأية فائدة لمن يعملون بظلم، لأن غضب الله العادل منسكب عليهم، لذلك فلا فائدة في الطمع من كل ناحية.

ولكي ننظر إليه بمنظار آخر، فإن الطمع لا يفيد شيئًا، لأنه كما يقول الرب، "*متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله*"، وهذا واضح أنه حقيقــي، لأن سِنِيّ حياة الإنسان لا تزداد بنسبة ثرائه، كما أن محــصِّلة حياتــه لا تــسير متوازية مع أرباحه الظالمة، وهذا قد أظهره المخلِّص وكشفه لنا بوضوح بأن أضاف بمهارة شديدة المَثَل الذي أمامنا مرتبطًا بحجته السابقة فيقول: "*رجُـل غني أخصبت كورته وأغَلَّت ثمارًا كثيرة*"، تمعَّن بدقة، وتعجب من جمال فــن الحديث، لأنه لم يُشر لنا إلى مقاطعة أعطَى جزء منها فقط حصادًا وفيرًا، بل كلها كانت خصبة ومثمرة لصاحبها، مما يدل على اتساع ثروته. وهذا يــشبه قول أحد الرسل القديسين: "*هوذا أجرة الفَعَلَة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ وصياح الحصَّادين قد دخل إلى أذني رب الجنود*" (يــع٥: ٤)، لذلك يقول المخلِّص إن كل كورته قد أغلَّت محاصيل وفيرة.

لذلك فما الذى فعله الرجل الغني، وهو محاط بوفرة من بركات كثيرة جدًّا تفوق كل إحصاء؟ إنه ينطق في ضيق وقلق بكلمات الفقر، فهو يقول: "*وماذا أعمل؟*"، إن الإنسان الذي في احتياج إلى الضروريات يبث باســتمرار هــذه اللغة البائسة، ولكن انظر هنا! إن واحدًا من ذوى الأمــوال غيــر المحــدودة يستخدم تعبيرات مشابهة. لقد قرر أن يبني مخازن أكثر اتــساعًا، وعــزم أن يمتِّع نفسه بمفرده فقط بتلك الموارد التى كانت تكفي مدينة مكتظَّة بالناس. إنه لا ينظر إلى المستقبل، ولا يرفع عينيه نحو الله، ولم يحسبه أمرًا جديرًا بــأن ينفق ماله من أجله ليربح لقلبه تلك الكنوز التى هى فوق فى السماء، ولا يهتم

بمحبة الفقير، ولا يرغب فى التقدير الذي يحصل عليه من جــراء هــذا، ولا يتعاطف مع المتألمين، فهذا أمر لا يؤلمه ولا ينهض فيه الشفقة. وما هو أكثر من ذلك مما هو غير معقول، إنه يقرِّر لنفسه سنيِّ حياته، وكأنه سوف يحصد هذا أيضًا من الأرض لأنه يقول: "*أقول لنفسي، يــا نفــس لــك الخيــرات موضوعة لسنين كثيرة، كلي واشربي وافرحي*"، ولكن أيها الإنــسان الغبـــي، يمكننا أن نقول لك، أنت فعلاً تملك مخازن كثيرة لغلالك، ولكــن مــن أيــن تحصل على سنين عديدة لنفسك؟ لأنه بحُكم من الله قد قَصُرت أيامك. لأن الله قال له: "*يا غبي هذه الليلة سوف تُطلب نفسك منك، فهذه التي أعددتها لمــن تكون؟* ".

لذلك، فإنه أمر حقيقي أنَّ حياة الإنسان ليست من ممتلكاته، أي ليست بسبب أن له أموالاً كثيرة. بل يكون مغبوطًا جدًّا وله رجاء مجيد ذلك الإنسان الــذي هو غَنِي نحو الله. من هو هذا إذن؟ من الواضح أنه هو الذي لا يُحب الثــروة بل بالأحرى يحب الفضيلة، والذي يكفيه القليل، (انظر لو١٠: ٤٢)، وهو الذي يده مبسوطة لاحتياجات المعوزين، والذي يريح الفقراء ويُعزِّيهم بحسب إمكانياته وبأقصى ما في طاقته. إنه هذا الذى يجمع في المخازن التي هي فوق، ويكنز كنوزًا في السماء، مثل هذا سوف يجد أرباح فضيلته، ومكافأة حياته المستقيمة والتى بلا لوم، والمسيح سوف يباركه، الــذي بــه ومعــه لله الآب التــسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين آمين.

عظة (٩٠)

عدم الاهتمام بالطعام واللباس

(لو١٢: ٢٢ـ٣١) " *وَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: مِنْ أَجْلِ هذَا أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَلاَ لِلْجَسَدِ بِمَا تَلْبَسُونَ لأَنَّ الْحَيَاةَ أَفْضَلُ مِنَ الطَّعَامِ وَالْجَسَدُ أَفْضَلُ مِنَ اللِّبَاسِ. تَأَمَّلُوا الْغِرْبَانَ: أَنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلَيْسَ لَهَا مَخْدَعٌ وَلاَ مَخْزَنٌ وَاللهُ يُقِيتُهَا. كَمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلُ مِنَ الطُّيُورِ! . وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً؟. فَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَقْدِرُونَ وَلاَ عَلَى الأَصْغَرِ فَلِمَاذَا تَهْتَمُّونَ بِالْبَوَاقِي؟. تَأَمَّلُوا الزَّنَابِقَ كَيْفَ تَنْمُو! لاَ تَتْعَبُ وَلاَ تَغْزِلُ وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ وَلاَ سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ مَجْدِهِ كَانَ يَلْبَسُ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَإِنْ كَانَ الْعُشْبُ الَّذِي يُوجَدُ الْيَوْمَ فِي الْحَقْلِ وَيُطْرَحُ غَدًا فِي التَّنُّورِ يُلْبِسُهُ اللهُ هكَذَا فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يُلْبِسُكُمْ أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي الإِيمَانِ؟. فَلاَ تَطْلُبُوا أَنْتُمْ مَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ وَلاَ تَقْلَقُوا. فَإِنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا أُمَمُ الْعَالَمِ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَبُوكُمْ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ. بَلِ اطْلُبُوا مَلَكُوتَ اللهِ وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ* ".

إن ناموس موسى قد رتّبه الله للإسرائيليين لكى يرشدهم إلى ما كان واجبًا عليهم ليفعلوه، ولكى يضع أمامهم بوضوح كل ما كان لمنفعتهم. وهذا جعلوه أمرًا ذا بهجة عظيمة فقالوا: " *طوبى لنا نحن أبناء إسرائيل لأن الأمور التى ترضي الرب قد صارت معروفة لدينا* " (باروخ٤:٤). ولكني أؤكد لكم أنه يناسبنا نحن ويلائمنا بالأكثر أن نستخدم هذه الكلمات، لأن الذى كلّمنا ليس نبيًّا ولا حتى ملاكًا، بل هو الابن في شخصه الذاتي، الذي هو رب الملائكة القديسين والأنبياء. وهذا ما يعلّمنا إياه بوضوح الحكيم بولس خادم أسراره، فيكتب هكذا: " *الله بعدما كلّم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة، كلّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه، الذي جعله وارثًا لكل شيء، الذي به أيضًا عمل العالمين* " (عب١:١ـ٢). لذلك، فطوبى لنا نحن، فقد تعلّمنا منه هو ذاته إرادته الصالحة والمخلِّصة، والتي بها يرشدنا إلى كل سعي فاضل، وهكذا إذ نكمل حياة جديرة بالمحاكاة، التى تليق بالمختارين، فإننا سنملك معه.



لذلك، لاحظ كيف أنه بعناية وبمهارة فائقة يصوغ الرب حياة الرسل القديسين نحو الرفعة الروحية، ولكنه يفيدنا نحن أيضًا معهم، لأنه يريد أن جميع البشر يخلصون، وأن يختاروا الحياة الحكيمة والأكثر امتيازًا. لأجل هذا السبب فهو يجعلهم يتخلّون عن الاهتمام غير الضروري، ولا يسمح لهم أن يمارسوا عملاً ما بقلق وباستعجال لأجل الرغبة في جمع ما يزيد عن ضرورياتهم، ففي هذه الأمور، فإنّ الزيادة سوف لا تضيف شيئًا لمنفعتنا، لذلك يقول "*لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون، ولا جسدكم بما تلبسون لأن الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس*". فهو لم يقل ببساطة "لا تهتموا" بل أضاف " لحياتكم "، ويقصد بذلك لا تنشغلوا باهتمام في هذه الأشياء، بل أعطوا اهتمامكم لأشياء ذات أهمية أعلى بكثير، لأن الحياة فى الواقع هي أكثر أهمية من الطعام والجسد أكثر أهمية من اللباس. لذلك، حيث أن هناك خطر يحيط بنا بخصوص الحياة والجسد كليهما، وهناك ألم وعقاب مقضيًّا بهما على أولئك الذين لا يعيشون باستقامة، فلنطرح عنا جانبًا كل هَمّ من جهة اللباس والطعام.

وبجانب هذا، كيف لا يكون أمرًا دنيئًا بالنسبة لأولئك الذين يحبون الفضيلة، والساعين باجتهاد نحو الفضائل السامية والمقبولة من الله، أن يسكروا مزينين بزينة أنيقة مثل الصبية الصغار، وأن يسعوا وراء الموائد الفاخرة! لأن هذه يتبعها للتوّ حشد متوحّش من الشهوات الأخرى أيضًا، وتكون النتيجة الارتداد عن الله، لأنه مكتوب: "*لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم*" (ايو٢: ١٥)، وأيضًا: "*ألا تعلمون أن محبة العالم هي عداوة لله*" (يع٤:٤). فواجبنا إذن أن نحفظ أقدامنا بعيدًا عن جميع الشهوات، وأن نجعل بالأحرى لذّتنا في الأمور التي ترضي الله.

ولكن ربما تجيب على هذا وتقول: "*مَن سيعطينا إذن ضروريات الحياة؟*". وجوابنا على هذا كالآتي: إن الرب جدير بأن يُصدَّق، وهو وَعَدَك بوضوح بهذه الأشياء، وبواسطة الأمور الصغيرة يعطيك تأكيدًا كاملاً أنه سيكون صادقًا أيضًا في الأمور العظيمة، فهو يقول: "*تأمّلوا الغربان، إنها لا تزرع ولا تحصد وليس لها مَخدَع ولا مخزن والله يقيتها*". كذلك أيضًا عندما كان يُقوّينا نحو الثبات الروحي، فإنه

علّمنا أن نحتقر حتى الموت ذاته بقوله "*لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها*" (لو١٢: ٤، مت١٠: ٢٨). وبنفس الطريقة لكي يُظهر لك عنايته، فإنه استخدم أشياء بلا قيمة تمامًا لكي يُثبت بها كلامه فيقول: "*أليس عصفوران يباعان بفلس، وواحد منها لا يسقط بدون أبيكم، وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة، فلا تخافوا أنتم أفضل من عصافير كثيرة*" (مت١٠: ٢٩ـــ٣١). هكذا أيضًا بواسطة العصافير وزهور الحقل فإنه يغرس فيك إيمانًا ثابتًا غير متزعزِع. وهو لا يسمح لنا مطلقًا بالشك، بل بالتأكيد إنه سيعطينا مراحمه، ويمد يده المريحة ليهبنا كفاية في كل الأشياء. وبالإضافة إلى ذلك، إنه أمر رديء جدًّا، أنه بينما أولئك الذين هم تحت نير العبودية الجسدية يعتمدون على سادتهم كمصدر كاف لتزويدهم بالطعام واللباس، لا نضع نحن ثقتنا في الله ضابط الكل، عندما يعدنا أن يعطينا ضروريات الحياة.

وأي فائدة توجد على الإطلاق في حياة الترف: ألا تجلب معها بالأحرى الدمار الكامل؟ لأنه سريعًا ما يدخل مع لذّات التنعُّم، مخازي الشهوانية الوضيعة والحقيرة ــ الأشياء التي عندما تقترب منا، تكون مقاومتها صعبة. وأيضا أن نكتسي بلباس فخم أمر لا فائدة له بالمرّة، لأنه يقول: "*تأملوا الزنابق كيف تنمو لا تتعب ولا تغزل، ولكن أقول لكم ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها*". وهذا أيضًا حقيقي لأن كلاً من الزنابق والزهور الأخرى التي تنبت في الحقول، فإن بهاء ألوانها يحوي جمالاً بارعًا بسبب تنوُّع درجات الألوان، وبسبب اختلاف ترتيبها، فتتألّق في لونها الأرجواني الطبيعي، أو تضيء بلمعان ألوان أخرى، ومع ذلك فإن كل ما يفعله الإنسان بفنِّه ليُحاكِي جمالها، إما عن طريق مهارة الرسام أو بفنِّ الزخرفة والتطريز، فانه يعجز تمامًا عن الوصول إلى الحقيقة، وحتى ولو كان العمل ناجحًا كإنتاج فنِّي، فإنه نادرًا ما يقترب من الحق.

لذلك فإن كانت هذه الإيضاحات عن طريق الفن، هي أدنى كثيرًا من مجد الزنابق وجمال ألوان الزهور الأخرى، فكيف لا يكون صوابًا أنه ولا سليمان، رغم أنه كان

ملكًا عظيمًا جدًّا، فإنه في كل مجده لم يكن يلبس كواحدة منها؟ فباطل إذن تعبنا لأجل اللباس الجميل. يكفي الناس العقلاء أن يكون لباسهم كما تقتضيه الضرورة، محتشمًا، ويسهل اقتناؤه ويصاحب هذا قليل من الطعام الضروري الذي يكفى حاجات الطبيعة. ولتكن وليمتهم فى المسيح كافية للقديسين، فتكون وليمة روحية، إلهية، وعقلية بالإضافة للمجد الذي سوف يأتي بعد ذلك. لأنه "*سيُغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده*" (في٣: ٢١)، وكما يقول الرب نفسه: "*سيضيئون كالشمس في ملكوت أبيهم*" (انظر مت١٣: ٤٣). إذن فأي ثياب مهما كانت فإن العَظَمَة التي في المسيح تفوقها جدًّا في البهاء.

وبنظرة أخرى، لا يليق بأولئك الذين سيصيرون قدوة ومثالاً للآخرين في السلوك المقدس، أنهم بإهمالهم يسقطون هم أنفسهم في تلك الأمور، التى بمجرَّد أن يصيروا معلمين للعالم، سيكون واجبًا عليهم أن يحثُّوا الآخرين على تركها. لأن تثقُّل التلاميذ بالاهتمام بالانشغالات العالمية سيكون له ضرر غير قليل يصيب غيرتهم وحماسهم، يؤثِّر على فائدة كرازتهم المقدسة. بل على العكس من واجبهم أن يهملوا تمامًا بعقل ثابت هذه الأمور، وأن يهتمُّوا بحماس وببساطة بالانتصارات الرسولية. ولهذا السبب فهو يشجب بحق تمامًا وصراحة الانشغال بالأمور الزمنية، فهو يقول: "*إن هذه كلها تطلبها أمم العالم*"، وينهضهم إلى الاقتناع الراسخ الذى لا يهتز إنه بالتأكيد وفى جميع الأحوال سيكون عندهم ما يكفيهم، لأن أباهم الذي في السماء يعلم جيدًا ما يحتاجون إليه. وفي مناسبة ملائمة جدًّا يدعوه " الآب " حتى يَعلَموا أنه لن ينسى أولاده، بل هو شفوق ومُحب لهم.

إذن فلنطلب ليس ذلك الطعام غير الضروري والزائد عن اللزوم، بل كل ما يؤدِّي إلى خلاص النفس، وليس ملابس كثيرة الثمن، بل أن نخلِّص جسدنا من النار ومن الدينونة. وليتنا نفعل هذا طالبين ملكوته، وكل ما يساعدنا على أن نصير شركاء ملكوت المسيح، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين آمين.

عظة (٩١)

الكنز السماوي

(لو١٢: ٣٢ــ٣٤) *"لاَ تَخَفْ أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ لأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ سُرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الْمَلَكُوتَ. بِيعُوا مَا لَكُمْ وَأَعْطُوا صَدَقَةً. اعْمَلُوا لَكُمْ أَكْيَاسًا لاَ تَفْنَى وَكَنْزًا لاَ يَنْفَدُ فِي السَّمَاوَاتِ حَيْثُ لاَ يَقْرَبُ سَارِقٌ وَلاَ يُبْلِي سُوسٌ. لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكُمْ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكُمْ أَيْضًا"*.

يتنازل المخلِّص مرَّة أخرى لينعم علينا بطريق يؤدِّي إلى الحياة الأبدية، ويفتح لنا باب الخلاص بسِعَة، حتى عندما نسافر على هذا الطريق، ونزيِّن النفس بكل فضيلة، يمكننا أن نصل إلى المدينة التي هي فوق، والتي شهد عنها النبي إشعياء أيضًا قائلاً: *"وستنظر عيناك أورشليم، المدينة الغنيَّة، الخيمة التي لا تُقلَع أوتادها إلى الأبد"* (إش٣٣: ٢٠س). لأن تلك الخيمة التي في السماء هي غير متزعزعة، والفرح الذي لا ينتهي هو نصيب أولئك الذين يسكنون فيها. والرب يرينا طبيعة الطريق الذي يقودنا إلى هناك بقوله: *"لا تخف، أيها القطيع الصغير، لأن أباكم قد سُرَّ أن يعطيكم الملكوت"*. هذا، إذن هو حقًا العزاء الروحاني، والطريق الذي يقودنا إلى الإيمان اليقيني.

لذلك، أظن أنه يجب عليَّ قبل كل شيء أن أُوضِّح لكم السبب الذي لأجله تكلم المخلِّص بكلمات مثل هذه، لأنه بذلك يصير المعنى الكامل للفقرة التى أمامنا أكثر وضوحًا للسامعين. لذلك عندما يعلِّم المخلِّص تلاميذه أن لا يكونوا محبِّين للمال، فهو أيضًا يحوِّلهم عن القلق الدنيوي، وعن الأتعاب الباطلة والترف وأُبَّهة الملابس الفاخرة، وكل العادات الرديئة التى تتبع هذه الأمور، ويحثهم بالحري أن يكونوا جادِّين بشجاعة في السعي وراء الأمور التى هي صالحة وممتازة جدًّا، بقوله: *"لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون ولا للجسد بما تلبسون. لأن الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس"* وأضاف أيضًا إلى هذا: *"إن أباكم الذي في السماء يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه"* (لو١٢: ٢٢ و٢٣ و٣٠).

فقد أعلَن كقاعدة عامة ــ نافعة وضرورية للخلاص ــ ليس فقط للرسل القديسين،



بل لكل الساكنين على الأرض، أن الناس يجب أن يطلبوا ملكوته، وهم متيقِّنون أن ما يعطيه هو سيكون كافيًا لهم، حتى أنهم لن يكونوا فى احتياج إلى أي شيء بالمرَّة. لأنه ماذا يقول؟ "*لا تخف أيها القطيع الصغير*". وهو يعنى بـ"*لا تخف*"، أنهم ينبغي أن يؤمنوا بكل يقين، وبلا أدنى شك أن أباهم السماوي سيعطي وسائل الحياة للذين يحبونه. وهو لن يهمل خاصته، بل بالحري سوف يفتح يده لهم (انظر مز١٠٤: ٢٨) وهى التي تُشبِع دائمًا الكون كله بالخير.

وما هو البرهان على هذه الأمور؟ هو يقول إنَّ "*مسرَّة أبيكم الصالحة أن يعطيكم الملكوت*"، وذلك الذي يعطي أشياء عظيمة وثمينة بهذا المقدار، ويعطي ملكوت السموات، فكيف يمكن أن تكون إرادته غير مستعدَّة للشفقة علينا، أو كيف لا يُزوِّدنا بالطعام واللباس؟ لأن أي خير أرضي يتساوى مع الملكوت السماوي؟ أو ما هو الذي يستحق أن نقارنه بتلك البركات، التى سيعطيها الله لنا، والتي لا يستطيع الفهم أن يدركها، ولا الكلمات أن تصفها "*ما لم تره عين، وما لم تسمع به أذن ولم يخطر على قلب إنسان، الأمور التي أعدها الله للذين يحبونه*" (١كو٢: ٩). فحينما تَمدح الغِنى الأرضي، وتَعجَب بالسلطان العالمي، فإن هذه الأشياء ليست سوى العدم بالمقارنة بتلك التي أعدَّها الله لنا. لأنه مكتوب: "*لأن كل جسد كعشب وكل مجد إنسان كزهر عشب*" (١بط١: ٢٤). وإن تكلَّمت عن الغِنَى الزمني وأسباب الترف وعن الولائم، فهو يقول: "*العالم يمضي وشهوته*" (١يو٢: ١٧)، لذلك فأمور الله تفوق بدرجة لا تُقارَن ما يمتلكه هذا العالم، لذلك فإن كان الله يعطي ملكوت السموات لأولئك الذين يحبونه، فكيف يمكن أن يكون غير راغب أن يعطى اللباس؟

وهو يدعو الذين على الأرض " القطيع الصغير".لأننا أقلّ من جموع الملائكة، الذين لا يحصون، ويتفوَّقون بغير قياس في القوة على أمورنا المائتة. وهذا أيضًا قد علَّمنا إياه المخلِّص نفسه، في ذلك المَثَل الوارد في الأناجيل، والذي صيغ ببراعة ممتازة لأجل تعليمنا، لأنه قال: "*أي إنسان منكم له مئة خروف وأضاع واحدًا منها، ألا يترك التسعة والتسعين على الجبال، ويذهب ليطلب ذلك الذي ضل، وإذا وجده*



فالحق أقول لكم، فإنه يفرح به أكثر من التسعة والتسعين الذين لم يضلُّوا" (لو١٥: ٤ـ٥). لاحظوا إذن أنه بينما عدد المخلوقات العقلية يصل إلى مئة، فإن القطيع الـذى علـى الأرض ليس سوى واحد من مئة. ولكن رغم أنه صغير، فى الطبيعة كما في العـدد والكرامة، بالمقارنة بجماعات وفِرَق الأرواح غير المحصاة التى هـي فـوق، إلاَّ أنَّ صلاح الآب الذى يفوق كل وصف قد أعطَى له أيـضًا نـصيبًا مـع تلـك الأرواح المتعالية، وأعني نصيبًا في ملكوت السموات، لأنه قد أعطى الأذن بالدخول لكل مـن يريد أن يصل إلى هناك.

ونحن نتعلم من كلمات المخلِّص، الوسائل التي نصل بواسطتها إلى الملكوت، لأنه يقول: "*بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة*". هذه ربما تكون وصية قاسية ويـصعب علـى الأغنياء أن يحتملوها، لأنه هو نفسه قد قال فى موضع ما: "*ما أعسر دخول الأموال إلى ملكوت الله*" (لـو١٨: ٢٤). ومع ذلك فالوصية ليست مستحيلة بالنسبة للذين لهم قلب كامل. فهيَّا بنا، واسمحوا لي أن أُوجِّه كلمات قليلة لأولئك الأغنياء. حوِّل انتباهك قليلاً عن تلك الأمور الزمنية. كُف عن مثِل هذا الفكر الدنيوي جدًّا، وثبِّت عين عقلك على العالم الآتي فيما بعد، لأنه بلا نهاية. أما هذا العالم فهو محدود وزمنه قصير وفتـرة حياة كل فرد هنا محدودة بمقياس، أما حياته فى العالم الآتي فهي غير فانية، بل هـي دائمة. لذلك فليكن سعينا هو الجري وراء الأمور الآتية، بلا تذبذب أو تردُّد، ولنختزن ككنز لنا، الرجاء فيما سيكون فيما بعد، فلنجمع لأنفسنا مقدَّمًا تلـك الأمـور، التـي بواسطتها سنُحسب عندئذ جديرين بالهبات التى يمنحها الله لنا.

إنه يحثنا أن نعتني بأنفسنا العناية الواجبة، لذلك هيا بنا نُفكِّر في الأمر بيننا وبـين أنفسنا بالرجوع إلى الحسابات البشرية العادية. لنفترض أن واحدًا منا أراد أن يبيـع مزرعة خصبة وفيرة الإنتاج، أو إن شئت فعندما يكون هناك بيت جميل جـدًّا فـي بنائه، فإن واحدًا منكم ـ الذي يملك كثيرًا من الذهب ووفرة من الفضة ـ تكون لـه الرغبة فى شرائه، أفلا يشعر بالسعادة عندما يشتريه، ويقدِّم في الحال النقـود التـي كانت موضوعة فى خزائنه، بل وقد يضيف إلى ما يمتلكه نقودًا أخرى يقترضـها؟ لا



أظن أنه يمكن أن يكون هناك شك فى هذا الأمر، بل سوف يشعر بالسعادة في تقـديم أمواله، لأن الصفقة لن تعرضه للخسارة بل بالحري فإنَّ توقُّعه للأربـاح المـستقبلة ستجعله فى نشوة فرح. والآن فإن ما أقوله هو مشابه لهذا إلى حد ما. فإله الكل يقدِّم لك الفردوس لتشتريه، وهناك سوف تحصد حياة أبدية، وفرحًا لا نهاية له، ومـسكنًا مكرَّمًا ومجيدًا، ولمجرد وجودك هناك سوف تكون مباركًا بحق وسوف تملـك مـع المسيح. لذلك تعال واقترب، بحماس واشتياق، واشترِ المملكة، واحصل على الأمـور الأبدية بهذه الأشياء الأرضية. أعطِ ما هو فانٍ، واربح ما هو ثابت ومضمون، أعـطِ هذه الأشياء الأرضية واربح تلك التى فى السماء، أعطِ ما لابد أن تتركه ولو كان ضد إرادتك، لكى لا تفقد الأمور الآتية. أقرِض الله أموالك، حتى تكون غنيًّا بالحقيقة.

والطريقة التى تُقرض بها يُعلِّمنا إياها بقوله: "*بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة. اعملوا لكم أكياسًا لا تفنى وكنزًا لا ينفد (أي كنزًا أبديًّا) في السموات*". ونفس هـذا الكـلام يعلمنا إياه أيضًا داود المبارك في المزامير، حيث يتكلم بالوحي عن كل رجل صـالح ورحوم: "*فرَّق، أعطى المساكين، برّه يبقى إلى الأبـد*" (مـز ١١١: ٩ س). لأن الغنَـى الدنيوي له أعداء كثيرون، فاللصوص عديدون، وعالمنا هذا مليء بالظـالمين الـذين اعتاد بعضهم أن يسلبوا بوسائل خفيَّة، بينما البعض الآخر يستعملون العنف لينتزعوا المال حتى من أصحابه عندما يقاومونهم، أما الكنز الذى يوضع فوق في السماء فـلا يسرقه أحد لأن الله هو حافظه، وهو الذي لا ينام.

وبجانب هذا، فهو أمر سخيف جدًّا، أنه بينمـا نحـن نـأتمن عـادة الأشـخاص المستقيمين على ثروتنا الأرضية ولا نشعر بالخوف من أي خسارة قد تنتج من ثقتنـا في استقامة أولئك الذين استلموها منا، فإننا لا نأتمن الله عليها وهو الذى يستلم منا هذه الأمور الأرضية، كأنها قَرض وهو يعدنا أنه سوف يعطينا أمورًا أبدية مُضافًا إليهـا الأرباح. لأنه يقول: "*كيلاً جيدًا ملبدًا مهزوزًا فائضًا يعطون فى أحضانكم*" (لو٦: ٣٨). وكون الكيل فائضًا، فهذا برهان مباشر على وفرتها (الأشياء الأبدية) العظيمة جدًّا.

اهربوا إذن بعيدًا عن هذا الغِنَى المحب للذَّة، الذي هو والد الـشهوات الوضـيعة،

وهو المحرِّض على الدنس الجسدي، وهو صديق الطمع وصانع الافتخار الباطل، فهو يربط الذهن البشري بأغلال لا تنفك مؤديًّا به إلى التخنُّث والتراخي من جهة كل ما هو صالح، وهو يمد عنقًا متصلِّبة ومتعالية ضد الله، لأنه لا يخضع لذلك النير الذي يقود إلى التقوى.

كن رقيقًا، ورحيمًا، وراغبًا في التواصل مع الآخرين، وبشوشًا. لأن الرب صادق، وهو الذى يقول: "*حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضًا*". لأن كل أشواق أولئك الذين يقدِّرون تلك الأشياء الزمنية هي موضوعة فيها، بينما أولئك الذين يشتهون تلك الأشياء التي في السماء فإنهم يوجِّهون عين ذهنهم إلى هناك. لذلك، فكما قلتُ: كن صديقًا لرفقائك ورحومًا بهم. وبولس المبارك يجعلني أتحدَّث إليك حيث يكتب: "*أوصِ الأغنياء في الدهر الحاضر ألا يستكبروا، ولا يلقوا رجاءهم على الغنَى غير اليقيني، بل على الله الذي الذي يمنحنا كل شيء بغنى للتمتّع، وأن يصنعوا صلاحًا، وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة، مدَّخرين لأنفسهم كنوزًا سوف تكون أساسًا للمستقبل، لكي يمسكوا بالحياة الأبدية*" (اتي٦: ١٧ و١٨ و١٩). هذه هي الأشياء التي إن مارسناها بجديَّة، فسوف نصير ورثة لملكوت السموات، بالمسيح يسوع، الذي به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس، إلى دهر الدهور. آمين



عظة (٩٢)

الاستعداد والسهر

(لو١٢: ٣٥ـــ٤٠) "*لِتَكُنْ أَحْقَاؤُكُمْ مُمَنْطَقَةً وَسُرُجُكُمْ مُوقَدَةً. وَأَنْتُمْ مِثْلُ أُنَاسٍ يَنْتَظِرُونَ سَيِّدَهُمْ مَتَى يَرْجِعُ مِنَ الْعُرْسِ حَتَّى إِذَا جَاءَ وَقَرَعَ يَفْتَحُونَ لَهُ لِلْوَقْتِ. طُوبَى لأُولَئِكَ الْعَبِيدِ الَّذِينَ إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُمْ يَجِدُهُمْ سَاهِرِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَتَمَنْطَقُ وَيُتْكِئُهُمْ وَيَتَقَدَّمُ وَيَخْدُمُهُمْ. وَإِنْ أَتَى فِي الْهَزِيعِ الثَّانِي أَوْ أَتَى فِي الْهَزِيعِ الثَّالِثِ وَوَجَدَهُمْ هَكَذَا فَطُوبَى لأُولَئِكَ الْعَبِيدِ. وَإِنَّمَا اعْلَمُوا هَذَا: أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ الْبَيْتِ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي السَّارِقُ لَسَهِرَ وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ يُنْقَبُ. فَكُونُوا أَنْتُمْ إِذاً مُسْتَعِدِّينَ لأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لاَ تَظُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الإِنْسَانِ*".

يخاطبُ المرنمُ المسيحَ مخلِّص الجميع في موضع ما قائلاً: "*وصيَّتُك واسعة جدًّا*" (مز١١٨: ٩٦ س). ويمكن لأي إنسان أن يرى إن أراد ـــ من الوقائع ذاتها أن هذا القول صحيح، فإن الله لكي يقودنا إلى الخلاص يهيئ لنا سبلاً لا حصر لها غير محصاة، وهو يجعلنا نتعرَّف على كل عمل صالح، حتى إذا ما ربحنا إكليل التقوى لتتويج رؤوسنا، وتمثَّلنا بسلوك القديسين السامي، فإنه يمكننا أن نَصِل إلى ذلك النصيب الذى أُعِدَّ لهم بحسب ما هو ملائم. لهذا فهو يقول: "*لتكن أحقاؤكم مُمنطقة ومصابيحكم موقدة*"، فهو يكلمهم كأشخاص لهم اهتمام روحاني، ومرَّة أخرى يصف الأمور العقلية بتشبيهات ظاهرة ومرئية.

لا يقل أحد إنه يريد أن تكون أحقاؤنا الجسدية ممنطَقة، ولنا مصابيح موقدة فى أيدينا. مثل هذا التفسير يناسب الغباء اليهودي فقط، ولكن قوله لتكن أحقاؤكم ممنطقة يعني به استعداد الذهن أن يعمل باجتهاد فى كل أمر جدير بالمديح. مثل أولئك الذين ينكبُّون على الأتعاب الجسدية، وينشغلون بأعمال شاقَّة يلزم أن تكون أحقاؤهم ممنطقة. والمصباح حسب الظاهر يُمثِّل، يقظة القلب والفرح العقلي. ونقول إن الذهن البشري يكون يقظًا عندما يَطرُد (عنه) كل ميل إلى الكسل الذى هو غالبًا الوسيلة التى تؤدِّي إلى الاستعباد لكل أنواع



الشرور، فحينما يستغرق فى السبات، فإن النور السماوي الذي في داخله يتعرَّض للخطر، بل وقد يكون قد وقع فى الخطر فعلاً بسبب عاصفة ريح عنيفة، لذلك يأمرنا المسيح أن نسهر، فلهذا تلميذه أيضًا ينهضنا بقوله: "*اصحوا واسهروا*" (١بط٥: ٨)، وأكثر من ذلك فإن بولس الحكيم جدًّا أيضًا يقول: "*استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح*" (أف٥: ١٤).

لذلك، فمن واجب أولئك الذين يريدون أن يكونوا مشتركين في الحياة الأبدية، وهم يثقُون بصورة يقينية أن المسيح سوف ينزل فى الوقت المعيَّن من السماء كديَّان، من واجب هؤلاء ألاَّ يكونوا متراخين ويذوبون متحلِّلين في الملذات، ولا يكونون كأنهم منسكبون ومنصهرون بانغماسهم فى الشهوات العالمية، بل بالأحرى لتكن إرادتهم ممنطَقَة بشِدَّة، وأن يكونوا متميِّزين بغيرتهم في الاجتهاد في تلك الواجبات التي يُسرّ بها الله كثيرًا، ويجب أكثر من ذلك أن يكون لهم ذهن ساهر ويقِظ ويتميَّزون بمعرفة الحق وأن يكونوا موهوبين بغنى بإشعاع رؤية الله، حتى يحق لهم أن يفرحوا بهذا قائلين: "*لأنك أنت يا رب ستضيء سراجي، أنت يا إلهي ستنير ظلمتي*" (مز١٧: ٢٨ س).

إن مثل هذا التعبير غير مناسب بالمرَّة للهراطقة، سواء كانوا من المتشيِّعين أو من معلِّميهم، لأن المسيح نفسه قال: "*الظلمة أعمت عيونهم*" (يو١٢: ٤٠)[٤]، وهذا ما يشرحه لنا بولس بقوله إن: "*إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح*" (٢كو٤:٤). لذلك فمن الواجب علينا، أن نتحاشى بحرص كلماتهم الزائفة، وألاَّ نحيد عن تعاليم الحق، وألا نفسح مجالاً في أذهاننا لظلمة الشيطان، بل بالأحرى نقترب من النور الحقيقي، الذي هو المسيح، ونُسبِّحه بمزامير ونقول: "*أنر عيني لئلا أنام إلى*

[٤] من الواضح أن القديس كيرلس في هذا الاقتباس قد أدمج (يو١٢: ٤٠) مع (١يو٢: ١١) حيث يقول: "*لأن الظلمة أعمت عيونهم*".



الموت" (مز١٢: ٣ س)، لأنه في حقيقة الأمر فإن السقوط من استقامة التعاليم الصحيحة واختيار الكذب بدلاً من الحق، هو موت ــ ليس موت للجسد ــ بل هو موت للنفس. فلتكن إذن أحقاؤنا ممنطقة ومصابيحنا موقدة بحسب ما قد قاله لنا الرب هنا. فلنعرف أيضًا أن ناموس موسى الحكيم جدًّا قد أمر الإسرائيليين بشيء من هذا القبيل، فقد كان يذبح في اليوم الرابع عشر من الشهر الأول حَمَل كمثال للمسيح (خر١٢: ٦)، "*لأن فصحنا أيضًا، المسيح قد ذُبِح لأجلنا*" (١كو٥: ٧)، بحسب شهادة المقدَّس جدًّا بولس، و"معلِّم الأقداس"[٥] موسى، بل بالحري الله نفسه بواسطته، أمرهم عندما يأكلون لحم الخروف قائلاً: "*لتكن أحقاؤكم ممنطقة وأحذيتكم في أرجلكم وعصيّكم في أيديكم*" (خر١٢: ١١). لذلك أنا أؤكد أنه من الواجب على الذين هم شركاء المسيح، أن يحذروا الكسل العقيم بل بالحري ألا تكون أحقاؤهم غير ممنطقة وسائبة، ولكن أن يكونوا مستعدِّين بابتهاج أن يقوموا بكل الأعمال والأتعاب اللائقة بالقديسين، وإلى جوار ذلك أن يُسرعوا بنشاط وفرح إلى حيثما يقودهم ناموس الله. ولهذا السبب فقد أوصى بما هو مناسب جدًّا لهم أن يلبسوا ثياب المسافرين (في الفصح)[٦].

فقد علَّمنا المسيح أن ننتظر مجيئه ثانية من السماء لأنه سيأتي في مجد الآب مع الملائكة القديسين، ولذلك قال لنا: "*وأنتم تشبهون أناسًا ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس، حتى متى جاء وقرع يفتحون له الوقت*". لأن المسيح سوف يرجع كما من عرس، ومن هذا يظهر بوضوح أن الله يسكن في بهجة دائمة كما يليق به. لأنه لا توجد في السماء أي أحزان بالمرَّة، حيث لا

[٥] معلِّم الأقداس هى ترجمة للكلمة اليونانية Hierophant وهى لقب للكاهن الإغريقي القديم (ويستعملها القديس كيرلس ليعبِّر عن سمو قدر موسى كوسيط للعهد القديم ومعلِّم الشعب فيما يخص أقداس الله وعبادته).

[٦] يقصد القديس كيرلس أن شركاء المسيح يجب أن يمنطقوا أحقاؤهم بشدّة وأن يلبسوا ثياب المسافرين أي كأناس عابرين في طريقهم إلى السماء، وهذا هو معنى كلمة في الفصح أي لأن كلمة فصح تعني العبور من الموت إلى الحياة ومن الهلاك إلى الخلاص ومن العبودية إلى الحرية ومن الأرض إلى السماء.

يستطيع شيء أن يُحزِن تلك الطبيعة التى لا تقبل التألُّم، أو التأثُّر بأي نوع من الأوجاع بالمرَّة.

لذلك فعندما يأتي ويجدنا ممنطَقين وساهرين وقلبنا مستنير، عندئذ فإنه في الحال سوف يجعلنا مباركين، لأنه "*يتمنطَق ويخدمهم*"، ومن هذا نتعلم أنه سوف يكافئنا على أتعابنا، وبسبب أننا نبدو مجهَدين من التعب، فإنه يريحنا ويضع أمامنا موائد روحانية، ويبسط المائدة السخيَّة لمواهبه الخاصة.

ويقول: "*وإن أتى في الهزيع الثاني أو أتى في الهزيع الثالث فطوبى لهم*". أرجوكم أن تلاحظوا هنا، اتِّساع الكَرَم الإلهي وسخاء لطفه من نحونا، لأنه يعرف حقًّا طبيعتنا، والاستعداد الذي به ينحرف عقل الإنسان نحو الخطية. إنه يَعلَم أن قوَّة الشهوة الجسدية تستبد بنا، وأن ارتباكات هذا العالم ــ كما لو كانت ــ تجرنا ضد إرادتنا بالقوة، وتقود الذهن إلى كل ما هو غير لائق، ولكن لأنه هو صالح، فإنه لم يتركنا لليأس بل على العكس، يشفق علينا، وقد أعطانا التوبة كدواء للخلاص، لهذا فطوبى لهم. والآن لابد أنكم تريدون فهم معنى هذه الكلمات بوضوح. إن الناس عادة يقسمون الليل إلى ثلاث أو أربع فترات (أهزعة). لأن حُرَّاس أسوار المدينة، الذين يراقبون تحركات العدو، بعد قيامهم بالحراسة ثلاث أو أربع ساعات، يُسلِّمون السهر والحراسة إلى آخرين. هكذا بالنسبة لنا، فإنه يوجد ثلاث مراحل: الأولى، هي التي نكون فيها أطفالاً، والثانية هي التي نكون فيها شبابًا، والثالثة هي التي نصل فيها إلى الشيخوخة. والآن فأوَّل هذه المراحل التى فيها كُنَّا لا نزال أطفالاً، لا نحاسَب عنها أمام الله، بل هي مرحلة تُحسب مستحقَّة للعفو، بسبب أن العقل يكون فيها ناقصًا، والفهم ضعيفًا. أمَّا الثانية والثالثة، اللتان هما مرحلتا الرجولة والشيخوخة، فنحن يكون علينا فيهما واجب الطاعة لله والعيشة بالتقوى، بحسب مسرته الصالحة. لذلك، فكل من يوجد ساهرًا متمنطقًا حسنًا ــ سواء كان لا يزال



شابًا أم قد صار شيخًا ــ فإنه سوف يكون مغبوطًا، لأنه سوف يُحسب مستحقًا للحصول على مواعيد المسيح.

وبوصيَّته لنا أن نسهر، فإنه يضيف أيضًا لأجل سلامتنا، مثلاً واضحًا بسيطًا، وهذا (المَثَل) يرينا بطريقة رائعة جدًا، أنه من الخطر أن نسلك بغير ذلك. لأنه يقول: *"وإنما اعلَموا هذا أنه لو عرف رب البيت في أية ساعة يأتي السارق لسهر ولم يدع بيته يُنقَب، فكونوا أنتم إذن مستعدين لأنه في ساعة لا تظنُّون يأتي ابن الإنسان"*. وكما قال تلميذه: "*سيأتي كلص في الليل يوم الرب الذى فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها، ولكننا ننتظر بحسب وعده سموات جديدة وأرضًا جديدة*" (٢بط٣: ١٠، ١٣)، ويضيف إلى هذا: "*فبما أن هذه كلها تنحلّ، فأي أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدَّسة وبلا لوم أمامه؟*" (٢بط٣: ١١). لأنه لا يعلم أحد أبدًا وقت انحلال كل الأشياء، الذى فيه سيظهر المسيح من فوق، من السماء، ليدين المسكونة بالعدل، عندئذ سوف يعطِي أكليلاً لا يفنى للذين يسهرون، لأنه هو المُعطِي، ومُوزِّع وواهب العطايا الإلهية، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

عظة (٩٣)

الوكيل الأمين الحكيم

(لو١٢: ٤١- ٤٨) "*فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: يَا رَبُّ أَلَنَا تَقُولُ هَذَا الْمَثَلَ أَمْ لِلْجَمِيعِ أَيْضاً؟. فَقَالَ الرَّبُّ: فَمَنْ هُوَ الْوَكِيلُ الأَمِينُ الْحَكِيمُ الَّذِي يُقِيمُهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ الْعُلُوفَةَ فِي حِينِهَا؟. طُوبَى لِذَلِكَ الْعَبْدِ الَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هَكَذَا!. بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُقِيمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِ. وَلَكِنْ إِنْ قَالَ ذَلِكَ الْعَبْدُ فِي قَلْبِهِ: سَيِّدِي يُبْطِئُ قُدُومَهُ فَيَبْتَدِئُ يَضْرِبُ الْغِلْمَانَ وَالْجَوَارِيَ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَسْكَرُ. يَأْتِي سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لاَ يَنْتَظِرُهُ وَفِي سَاعَةٍ لاَ يَعْرِفُهَا فَيَقْطَعُهُ وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ الْخَائِنِينَ. وَأَمَّا ذَلِكَ الْعَبْدُ الَّذِي يَعْلَمُ إِرَادَةَ سَيِّدِهِ وَلاَ يَسْتَعِدُّ وَلاَ يَفْعَلُ بِحَسَبِ إِرَادَتِهِ فَيُضْرَبُ كَثِيراً. وَلَكِنَّ الَّذِي لاَ يَعْلَمُ وَيَفْعَلُ مَا يَسْتَحِقُّ ضَرَبَاتٍ يُضْرَبُ قَلِيلاً. فَكُلُّ مَنْ أُعْطِيَ كَثِيرًا يُطْلَبُ مِنْهُ كَثِيرٌ وَمَنْ يُودِعُونَهُ كَثِيرًا يُطَالِبُونَهُ بِأَكْثَرَ*".

إنه أمر صالح ويؤدّي إلى خلاصنا أن نوجّه نظرة سريعة نفّاذة من عقلنا إلى كلام الله، لأنه مكتوب عن الكلمات التي يقولها الله: "*من هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور، أو فهيم حتى يعرف معناها*" (هو١٤: ٩س)، لأن مجرد السماع وقبول الكلمة المنطوقة في الأذن، هو أمر مشترك بين الناس: للحكماء ولغير الحكماء، لكن عادة النفاذ العميق إلى الأفكار النافعة يوجَد فقط لدى من هم بالحق حكماء. لذلك فلنطلب هذا الأمر من المسيح، لنقتدي بالطوباوي بطرس ذلك التلميذ المختار، ذلك الوكيل الأمين، والمؤمن الحقيقي، الذي عندما سمع المسيح يقول كلامًا له منفعة عظيمة لهم، طلب أن يشرح له (الرب) ما قاله، ولم يَدَع الأمر يعبر بدون فهم، لأنه لم يكن قد أدرك معناه بوضوح بعد، لأنه قال: "*يا رب ألنا تقول هذا المثل أم للجميع أيضًا؟*" (لو١٢: ١٤). إنه يسأل: هل هذا قانون عام يسري على الكل بالتساوي، أم هو يناسب فقط أولئك الذين هم أعلى من الباقين؟ فما الذي أزعج التلميذ الحكيم، أو ما الذى جعله يرغب أن يتعلّم أمورًا كهذه من المسيح؟ لذلك فسوف نناقش هذه النقطة أولاً.

إذن توجد بعض وصايا تناسب فقط أولئك الذين قد وصلوا إلى الكرامات



الرسولية، أولئك الذين امتلكوا معرفة أكثر من المعتاد وامتلكوا فضائل روحية أعظم، بينما هناك وصايا أخرى تخُص من هم في حالة أدنى، ويمكننا أن نرى مما كتبه المغبوط بولس إلى بعض تلاميذه أن هذا الكلام الصحيح ــ بحسب ما قلته: "*سقيتكم لبنًا لا طعامًا لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون، بل والآن أيضًا لا تستطيعون، أما الطعام القوي فللبالغين الذين بسبب التمرُّن قد صارت لهم الحواس مدرَّبة على التمييز بين الخير والشر*" (كو٣: ٢)، (عب٥: ١٤). فمثلاً كما أن الأحمال الثقيلة جدًّا يمكن أن يحملها أشخاص لهم بِنيَة قوية جدًّا، وهذا ما لا يقدر عليه ذوو البنية الضعيفة، هكذا يمكننا أن نتوقَّع بصواب مِن أصحاب الذهن القوي أن يُتمِّموا الوصايا البسيطة والسهلة جدًّا والخالية من كل صعوبة، فإنها تناسب أولئك الذين لم يصلوا بعد إلى هذه القوَّة الروحية. لذلك فإن الطوباوي بطرس إذ فكَّر في نفسه في قوة الكلام الذي قاله المسيح، سأل بصواب، هل يشير كلام الرب إلى كل المؤمنين، أم هم وحدهم أي الذين دعوا، وخاصة أولئك الذين شُرِّفوا بعطية السلطات الرسولية؟

وماذا كان جواب ربنا؟ إنه استخدم مثالاً واضحًا صريحًا جدًّا، ليظهِر أن الوصية موجَّهة بنوع خاص إلى أولئك الذين يشغلون مركزًا أكثر كرامة، وقد قُبِلوا في رتبة المعلِّمين. لأنه يقول: "*فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده على خدمه ليعطيهم طعامهم في حينه*" (لو١٢: ٤٢). إنه يقول: "لنفترض رب بيت كان مزمعًا أن يسافر في رحلة، أوكَلَ لواحد من عبيده الأمناء مهمَّة تدبير كل بيته، لكي يعطي أهل البيت (أي خدَمَه)، الطعام المستحق لهم في حينه. ويقول، لذلك عندما يعود إلى بيته، إن وجده يفعل هكذا كما أمره، سيكون ذلك العبد مغبوطًا جدًّا ويقول إنه سوف يقيمه على جميع أمواله. ولكن إن كان مهملاً وكسولاً ويُسرّ بضرب العبيد رفاقه ويأكل ويشرب مُستسلِمًا لأهوائه وشهواته، فحينما يأتي سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره، وفي ساعة لا يعرفها فإنه سيشقّه من وسطه، أي أنه سيعاقبه بأشر عقوبة".

هذا هو المعنى البسيط والواضح للفقرة، والآن إن ثبَّتنا ذهننا بدقَّة في النص، سنرى ما هو المقصود به، وكيف أنه نافع لأولئك الذين دُعُوا إلى الرسولية، أي إلى

وظيفة المعلِّم. لقد أقامهم المخلِّص كوكلاء على خَدَمَه ــ أي على أولئك الــذين تــمَّ ربحهم بواسطة الإيمان لكي يعرفوا مجده ــ أناس أمناء ولهم فهم عظــيم ومتعلِّمــين جيدًا في التعاليم المقدسة. وقد أقامهم وأمرهم أن يعطوا العبيد رفقاءهم ما يحق لهم من الطعام، وذلك ليس اعتباطًا وبدون تمييز، بل بالأحرى في الوقت المناسب وأقصد به الطعام الروحي كما يكفي لكل فرد ويناسبه. لأنه لا يليق أن نقدِّم تعليمًا عن كل النقاط لكل الذين قد آمنوا بالمسيح، لأنه مكتوب: "*معرفة اعرف نفوس قطيعــك*" (أم٢٧: ٢٣ س). لأن الطريقة التي بها نثبِّت في طريق الحق مَن قد بدأ الآن أن يصير تلميذًا هي مختلفــة تمامًا، إذ أننا نستعمل فيها تعليمًا بسيطًا لا يكون فيه شيء عميق أو صــعب الفهــم، ناصحين إيَّاه أن يهرب من ضلال تعدُّد الآلهة، وبطريقة مناســبة نُقنعــه أن يعــرف بواسطة جَمَال الأشياء المخلوقة، الصانِع والخالِق العام الذي هو واحد بالطبيعة، وهو الله بالحقيقة. وتلك الطريقة تختلف عن الطريقة التي نُعلِّم بها أولئك الذين هم أكثر ثباتًا في الذهن، ويقدرون أن يفهموا ما هو العُلُو والعمق والطول والعرض، وأن يــدركوا تعريفات اللاهوت الفائق. لأنه كما سبق وقلنا: "*وأما الطعام القوي فللبالغين*".

لذلك فمن يُقسِّم لرفقائه في العبودية بحكمة، في الوقت المناسب نــصيبهم بحــسب احتياجهم أي طعامهم، فإنه يكون مغبوطًا جدًّا بحسب كلمة المخلِّص، لأنه سيُحــسَب مستحقًّا لأمور أعظم، وسوف ينال مكافأة مناسبة لأمانته. إنه يقول "*لأنه يقيمه علــى جميع أمواله*". وهذا قد علَّمنا إياه المخلِّص في موضع آخر، حيث يمتدح العبد الأمين والنشيط بقوله: "*نعمًا أيها العبد الصالح والأمين، كنت أمينًا في القليل فأقيمك علــى الكثير، ادخل إلى فرح سيدك*" (مت٢٥: ٢١).

ويقول الرب إنه لو أهمل واجبه في أن يكون مجتهدًا وأمينًا، وازدرى بالسهر في هذه الأمور كأنَّ السَّهَر ليس مهمًّا، وجعل ذهنه يسكر بالاهتمامات الدنيويَّة، وسقط في سلوك غير لائق، فيتسلَّط بالقوَّة، ويظلم أولئك الخاضعين له، ولا يعطــيهم نــصيبهم، فإنه سيكون في قمَّة التعاسة. لأني أظن أن هذا هو المقصود بأنــه يُقطــع. ويقــول "*ويجعل نصيبه مع الخائنين*". لأن كل من أساء إلى مجــد المــسيح، أو تجاســر أن



يستخف بالقطيع المؤتمن على رعايته، فإنه لا يختلف مِن أي ناحية عن أولئك الذين لم يعرفوا الرب أبدًا، ومثل هؤلاء الأشخاص سيُحسبون بحق ضمن أُولئك الذين لم يعرفوا الرب أبدًا. ومثل هؤلاء الأشخاص سيحسبون بحق ضمن أولئك الذين ليس لهم محبة نحو الرب، لأن المسيح أيضًا قال ذات مرَّة للمغبوط بطرس: "*يا سمعان بن يونا، أتحبني! ارع خرافي، وارع غنمي*" (يو٢١: ١٦، ١٧). لذلك إن كان من يرعى خرافي يحبها، هكذا بالطبع فمن يهملها ويترك الخراف التى قد أؤتمن عليها بدون رعاية، فإنه يبغضها، وإن أبغضها فسيعاقَب، ويكون عرضة للدينونة المحكوم بها على غير المؤمنين (الخائنين)، لأنه يُدان بسبب إهماله وازدرائه، وهكذا كان ذلك الذي نال الوزنة ليتاجر بها في الروحيات ولم يفعل، بل بالعكس أحضر ما قد أُعطيَ له بدون ربح قائلاً "*يا سيد عرفتُ أنك إنسان قاس تحصد حيث لم تزرع، وتجمع من حيث لم تبذر، فخفتُ ومضيتُ وأخفيتُ وزنتك في الأرض، هوذا الذي لك*" (مت٢٥: ٢٤ ــ٢٥). لكن الذين أخذوا الخمس وزنات أو أكثر منها، وتعبوا وأحبُّوا الخدمة، قد شُرِّفوا بكرامات مجيدة لأن واحدًا منهم سمع القول: "*ليكن لك سلطان على عشر مدن*" (لو١٩: ١٧ــ١٩) بينما ذلك العبد المستهتِر والكسول لاقى أقصى دينونة. لذلك فهو خطر أو بالحري يُسبِّب هلاك الناس، أن يكون الإنسان مهملاً في تأدية واجبات الخدمة، ولكن تأديتها بغيرة لا تكل يجلب لنا الحياة والمجد. وهذا يعني أن نتكلم مع العبيد رفقائنا بطريقة سليمة وبدون خطأ في الأمور التي تخص الله، وكل ما من شأنه أن ينفعهم فى الوصول إلى المعرفة والمقدرة على السلوك باستقامة. والمغبوط بطرس أيضًا يكتب إلى بعض الأشخاص قائلاً: "*ارعوا رعية الله التي بينكم، ومَتَى ظهر رئيس الرعاة تنالون مكافأتكم*" (انظر ١بط٥: ٢ــ٤).

ولأن بولس أيضًا يعرف أن الكسل هو باب الهلاك، يقول: "*ويل لي إن كنتُ لا أبشِّر*" (١كو٩: ١٦).

وكون تلك العقوبة المرَّة والحتميَّة تهدِّد كل من هم كسالى في هذا الواجب، هذا ما أظهره المخلِّص في الحال بإضافة مثالين واحدًا بعد الآخر فقال: "*لأن العبد الذى يَعلَم*

إرادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب إرادته فيُضرَب كثيرًا، ولكن الذي لا يَعلَم ويفعل ما يستحق ضربات يُضرَب قليلاً". والآن فإن الذنب لا جدال فيه في حالة مَن عرف إرادة سيده لكنه أهملها بعد ذلك، ولم يفعل ما كان يجب عليه أن يعمله. فإنَّ هذا ازدراء واضح، لذلك يستحق ضربات كثيرة، لكن لأي سبب أُوقعَت ضربات قليلة على من لم يعرف إرادة سيده ولم يفعلها ! لأنه ربما يسأل أحد، كيف يمكن لمن لم يعرف إرادة سيده أن يكون مذنبًا؟ السبب، هو لأنه لم يعرفها رغم أنه كان في مقدوره أن يتعلَّمها. لكن إن كان الذي تُوقَع عليه ضربات كثير بعدل وهو الذي عرف إرادة سيده واحتقرها؟ "*فكل من أعطِيَ كثيرًا يُطلب منه كثيرًا، ومن يودعونه كثيرًا يطالبونه بأكثر*" (لو١٢: ٤٨).

لذلك، فمن يعلمون دينونتهم كبيرة جدًّا، وهذا أوضحه تلميذ المسيح، بقوله: "*لا تكونوا معلِّمين كثيرين يا إخوتي عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم*" (يع٣: ١). لأن إعطاء المواهب الروحية يكون بسخاء لأولئك الذين هم رؤساء الشعب، لأنه هكذا كتب بولس الحكيم أيضًا فى مكان ما إلى تيموثاوس المغبوط: "*ليعطك الرب فهمًا فى كل شيء*" (٢تى٢: ٧) و"*لا تُهمل الموهبة التي فيك التي أُعطِيَت لك بوضع يدي*" (انظر ٢تى١: ٦). فهؤلاء الذين أعطاهم مخلِّص الكل كثيرًا هكذا، يطالبهم بكثير. وما هى الفضائل التي يطلبها؟ الثبات فى الإيمان، سلامة التعليم، أن يكونوا راسخين جدًّا في الرجاء، صابرين بلا تزعزع ولهم قوة روحية لا تُغلَب، فرحين وشجعان فى كل إنجاز ممتاز جدًّا، لكي بذلك نكون أمثلة للآخرين في الحياة الإنجيلية لأننا إن عشنا هكذا، فالمسيح سوف ينعم علينا بالإكليل، الذي به ومعه يليق لله الآب التسبيح والسلطان، مع الروح القدس، إلى أبد الآبدين. آمين.



عظة (٩٤)
جئت لألقى نارًا على الأرض

(لو١٢: ٤٩ – ٥٣) *" جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟. وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟. أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ أَقُولُ لَكُمْ! بَلِ انْقِسَامًا. لأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُنْقَسِمِينَ: ثَلاَثَةٌ عَلَى اثْنَيْنِ وَاثْنَانِ عَلَى ثَلاَثَةٍ. يَنْقَسِمُ الأَبُ عَلَى الابْنِ وَالابْنُ عَلَى الأَبِ وَالأُمُّ عَلَى الْبِنْتِ وَالْبِنْتُ عَلَى الأُمِّ وَالْحَمَاةُ عَلَى كَنَّتِهَا وَالْكَنَّةُ عَلَى حَمَاتِهَا".*

الله الآب أرسل لنا الابن من السماء لأجل خلاص الكل. لأنه قد أعطى للإسرائيليين الناموس كمعين لهم وذلك بحسب الكتاب، وأيضًا تحدث إليهم بواسطة الأنبياء القديسين عن تلك الأشياء التى كانت نافعة لخلاصهم، وقد وعدهم بالخلاص الذي بواسطة المسيح. لكن عندما جاء الزمان الذي كان ينبغي أن تتم فيه الأشياء التي تنبأ بها الأنبياء منذ القديم، أشرق علينا الرب الذى هو الله. وهو يخبرنا سبب ذلك بهذه الكلمات: " *جئتُ لألقي نارًا على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت!*". لذلك تعالوا لنفحص ما هى طبيعة هذه النار التي يتحدث عنها هنا. هل هي نافعة لمن هم على الأرض؟ هل هي لأجل خلاصهم؟ أم أنها تُعذِّب الناس وتُسبِّب هلاكهم مثل تلك النار المعدَّة لإبليس وملائكته؟

لذلك نحن نؤكِّد أن النار التي أرسلها المسيح هي لأجل خلاص البشر ونفعهم. وقد تفضَّل الله ومنحنا أن تمتلئ قلوبنا بها. لأن النار هنا هي رسالة الإنجيل المخلِّصة وقوَّة وصاياه. فنحن الذين على الأرض الذين كنا باردين وأموات بسبب الخطية، ونجهل ذاك الذي هو الله بالطبيعة وبالحق، تضرم فينا هذه النار حياة التقوى ونصير "*حارِّين في الروح*"، بحسب تعبير الطوباوي بولس. وبالإضافة إلى هذا نصير نحن شركاء الروح القدس الذي هو كنار داخلنا، لأننا قد اعتمدنا بالنار والروح القدس، لأننا قد عرفنا الطريق إلى هذا بما يقوله المسيح لنا، فى هذه الكلمات: " *الحق الحق*

أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو٣: ٥).

علاوة على هذا، فمن عادة الكتاب الموحَى به من الله أن يُعطِي أحيانًا اسم النار للكلمات الإلهية والمقدَّسة وللفاعلية والقوة التي بالروح القدس، والتي بها نصير كما قلت: "*حارِّين في الروح*". لأن أحد الأنبياء القديسين تكلم الله فيه من جهة المسيح مخلِّصنا هكذا: "*يأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه وملاك العهد الذى تُسرُّون به، هوذا يأتي قال الرب، ومن يحتمل يوم مجيئه، أو من يَثْبُت عند ظهوره، لأنه مثل نار المُمحّص، ومثل أشنان القصَّار، فيجلس كمن هو منقِّيًا وممحِّصًا... كالفضة وكالذهب*" (ملا ٣: ١-٣ س). وهو هنا يقصد الجسد المقدس بالحق وغير الدنس، الذى قد وُلِد من العذراء القديسة بواسطة الروح القدس بقوة الآب، لأنه هكذا قيل للعذراء المباركة: "*الروح القدس يحل عليكِ وقوة العلي تظّللك*" (لو١: ٣٥). وهو دعاه "*ملاك العهد*" لأنه يُعرِّفنا مشيئة الآب الصالحة، ويخدم هذه المشيئة بالنسبة لنا. لأنه هو نفسه قال لنا: "*لأنِّي أعلمتكم بكل ما سمعته من أبي*" (يو١٥:١٥). وأيضًا إشعياء النبي يكتب هكذا من جهته: "*لأنه يولد لنا ولد نُعطَى ابنًا وتكون الرياسة على كتفه، ويُدعَى اسمه ملاك المشورة العُظمَى*" (إش٩: ٦س). لذلك كما أن الذين يعرفون كيف يُنقُّون الذهب والفضة، فإنهم يذيبون الشوائب التى فيهما باستخدام النار، كذلك أيضًا مخلِّص الكل ينقي قلوب كل الذين قد آمنوا به، بواسطة تعاليم الإنجيل بقوة الروح.

وفضلاً عن ذلك قال إشعياء النبي أيضًا إنه، "*رأى رب الجنود جالسًا على كرسي عالٍ ومرتفع، وحوله وقف السيرافيم يُسبِّحونه*" بعد ذلك قال هو لنفسه: "*ويل لي إنِّي هلكت لأني إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود*" (إش٦: ١ و٢ و٣ و٥). ولكنه يضيف إلى هذا أنه "*طار إليَّ واحد من السيرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح، ومسَّ بها فمي وقال إنَّ هذه قد مسَّت شفتيك فانتُزِع إثمك وكُفِّر عن خطيتك*" (إش٦:٦و٧)، فأي تفسير إذن يجب أن نضعه للجمرة التي مسَّت شفتي النبي وطهَّرته من كل خطية؟ من الواضح أنها رسالة الخلاص، وإقرار الإيمان بالمسيح، فإن كل من يعترف به بفمه يتطهَّر تمامًا



وفي الحال. وهذا الأمر يؤكده لنا بولس قائلاً: " لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت" (رو١٠: ٩).

لذلك نحن نقول إن قوة الرسالة الإلهية تشبه جمرة حيَّة وتشبه النار. ورب الكل قال في موضع ما لإرميا النبي، " *هأنذا جاعل كلامي في فمك نارًا*"، "*وهذا الشعب حطبًا فتأكلهم*" (إر٥: ٤٩) وأيضًا "*أليس كلامي هكذا كنار يقول الرب*" (إر٢٣: ٢٩ س). لذلك فبحق قال لنا ربنا يسوع المسيح، " *جئت لألقي نارًا على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت*؟" (لو١٢: ٤٩). لأن بعضًا من الجمع اليهودى آمنوا به، وباكورة هؤلاء كانوا التلاميذ القديسين. والنار إذ تشتعل مرة فإنها حالاً ما تمسك بكل العالم، وفي الحال يصل التدبير إلى كماله سريعًا، أي أنه قد احتمل آلامه الثمينة على الصليب وأمَر رباطات الموت أن تتوقف. لأنه قام في اليوم الثالث من بين الأموات.

وهو يعلِّمنا هذا بقوله: "*ولي صبغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل*!" (لو١٢: ٥٠). ويقصد بصبغته، موته بالجسد، ويقصد بكونه ينحصر بسببها، أنه كان حزينًا ومضطربًا إلى أن اكتملت، لأنه ما الذي كان سيحدث حينما تكتمل؟ الذي كان سيحدث هو أن رسالة الإنجيل المخلِّصة يُكرَز بها ليس في اليهودية فقط. وهو يقارن هذا بالنار عندما يقول: " *جئت لألقي نارًا على الأرض*"، بل ينبغي أن تنتشر الآن إلى العالم كله، لأن الكرازة بوصايا وبمجد معجزاته الإلهية كان منحصرًا في اليهودية فقط قبل صليبه الثمين وقيامته من الأموات، ولكن بسبب أن إسرائيل أخطأوا إليه، إذ قتلوا رئيس الحياة فإنه قام سالبًا ـــ القبر ـــ الغنيمة التي كان قد اغتنمها. وفى الحال أعطى وصية لرسله القديسين قائلاً: " *اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به*" (مت٢٨: ١٩، ٢٠). لذلك ها أنتم ترون أن تلك النار الإلهية والمقدسة قد انتشرت في كل الأمم بواسطة الكارزين القديسين.

وقد تحدث المسيح عن الرسل القديسين والبشيرين، بواسطة أحد الأنبياء في موضع ما فقال: "*وسيحدث فى ذلك اليوم أني أجعل رؤوس الألوف ليهوذا كمصباح*

نار بين الحطب وكمشعل نار بين الحزم، فيأكلون كل الشعوب حولهم عن اليمين وعن اليسار" (زك١٢: ٦). وكأنهم أكلوا الشعوب كنار واغتذوا بالأرض كلها، وأشعلوا كل سكانها، الذين ـــ كما قلت ـــ كانوا باردين وكانوا يعانون من موت الجهل والخطية.

هل تريد أن ترى تأثيرات هذه النار الإلهية والعقلية؟ اسمع إذن مرّة أخرى كلماته: "*أتظنون أني جئت لأعطي سلامًا على الأرض، كلا أقول لكم، بل انقسامًا*" (لو١٢: ٥١). ومع ذلك فالمسيح هو سلامنا بحسب الكتب "*أنه نقض حائط السياج المتوسط،... لكي يوحّد الشعبين في إنسان واحد جديد، صانعًا سلامًا، ويصالح الاثنين في جسد واحد مع الآب*" (اف٢: ٤، ١٥). لقد وحّد الأشياء السفلى بالأشياء العليا، فكيف يكون أنه لم يأت ليعطي سلامًا على الأرض؟ فماذا نقول إذن عن هذه الأشياء؟ ذلك السلام هو مُكرَّم، وهو بالحق أمر سامي جدًّا، ذلك أنه معطًى لنا من الله لأن الأنبياء أيضًا يقولون: "*يا رب أعطنا سلامك لأن كل شيء قد أعطيتنا*" (إش٢٦: ١٢س). لكن ليس كل سلام هو بالضرورة يخلو من العيوب. لأنه يوجد أحيانًا سلام غير مضمون، مثل هذا السلام يفصل عن محبة الله أولئك الذين لا تمييز لهم ولا فحص عندهم بل هم يرفعون من قيمة هذا السلام أكثر مما يستحق. ومثلاً فإن التصميم على تحاشي الأشرار، وعلى أن نرفض أن تكون في سلام معهم وأعني به أن لا نقبل أن نشاركهم في نفس عواطفهم ـــ هو شيء مفيد ونافع لنا. وبنفس الطريقة فإن الاتجاه المضاد هو مؤذي لأولئك الذين آمنوا بالمسيح وأدركوا معرفة سرّه، فمن غير النافع لمثل هؤلاء أن يرتضوا اتِّباع نفس المشاعر مثل أولئك الذين ابتعدوا عن الطريق المستقيم، وسقطوا في شبكة الضلال الوثني، أو أُمسكوا في حبائل الهرطقات الخبيثة، إنه لأمر كريم أن نقاوم مثل هؤلاء، وأن نتهيأ للحرب ضدهم وأن نفتخر بالتمسُّك بمشاعر عكس مشاعرهم. وحتى إن كان ذلك الذي لا يؤمن هو أب، فيكون الابن غير ملام عندما يناقضه ويقاوم آراءه.

وبنفس الطريقة أيضًا لو كان الأب مؤمنًا ومخلصًا لله، لكن له ابن عاصي وله دوافع شريرة وهو يقاوم مجد المسيح، فإن الأب يكون أيضًا غير مُلام لو تجاهل



العواطف الطبيعية من الأبوة له. ونفس الوضع يكون من جهة الأم والابنــة، والكنَّــة والحماة. لأنه من الصواب أن أولئك الذين هم فى ضلال ينبغي أن يتبعوا ذوي التفكير الصحيح، وليس العكس، إن أولئك الذين اختاروا أن تكون لهم مشاعر صحيحة ولهم معرفة سليمة بمجد الله يجب ألا يستسلموا للأشرار.

وهذا أعلنه المسيح لنا أيضًا بطريقة أخرى فقال: "*من أحب أبًا أو أمًا أكثر منــي فلا يستحقنـي ومن أحب ابنًا أو ابنة أكثر منـي فلا يستحقني*" (مت١٠: ٣٧). لذلك عنــدما تُنكِر أباك بالجسد لأجل تقواك تجاه المسيح، فإنك ستقتني لك أبًا أي الآب الذي هو في السموات. ولو أنك تخلَّيت عن أخيك لأنه أهان الله برفضه أن يخدمه، فالمسيح سيقبلك كأخ له، لأنه مع إنعاماته الأخرى قد أعطانا هذه العطية أيضًا قائلاً: "*أخبِر باســمك إخوتـي*" (مز٢١: ٢٢ س). اترك أمك بحسب الجسد واتخذ لك تلك التي هي فوق، أورشليم السماوية "*التى هي أمنا جميعًا*" (غلا٤: ٢٦). وهكذا سوف تجد نَسَبًا مجيدًا وعاليًا فــي أسرة القديسين. ومعهم ستصير وارثًا لمواهب الله، التي لا يمكن للعقل أن يدركها ولا للسان أن يخبر بها، التي يمكن أن نُحسَب أهلاً لها بنعمة ورأفــة ومحبــة المــسيح، مخلِّصنا كلنا، الذي به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القــدس إلــى دهر الدهور آمين.



عظة (٩٥)

تمييز زمن المسيح

(لوقا ١٢: ٥٤ ـ ٥٩) *"ثُمَّ قَالَ أَيْضًا لِلْجُمُوعِ: إِذَا رَأَيْتُمُ السَّحَابَ تَطْلُعُ مِنَ الْمَغَارِبِ فَلِلْوَقْتِ تَقُولُونَ: إِنَّهُ يَأْتِي مَطَرٌ. فَيَكُونُ هكَذَا. وَإِذَا رَأَيْتُمْ رِيحَ الْجَنُوبِ تَهُبُّ تَقُولُونَ: إِنَّهُ سَيَكُونُ حَرٌّ. فَيَكُونُ. يَا مُرَاؤُونَ تَعْرِفُونَ أَنْ تُمَيِّزُوا وَجْهَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَأَمَّا هذَا الزَّمَانُ فَكَيْفَ لاَ تُمَيِّزُونَهُ؟. وَلِمَاذَا لاَ تَحْكُمُونَ بِالْحَقِّ مِنْ قِبَلِ نُفُوسِكُمْ؟. حِينَمَا تَذْهَبُ مَعَ خَصْمِكَ إِلَى الْحَاكِمِ ابْذُلِ الْجَهْدَ وَأَنْتَ فِي الطَّرِيقِ لِتَتَخَلَّصَ مِنْهُ لِئَلاَّ يَجُرَّكَ إِلَى الْقَاضِي وَيُسَلِّمَكَ الْقَاضِي إِلَى الْحَاكِمِ فَيُلْقِيَكَ الْحَاكِمُ فِي السِّجْنِ. أَقُولُ لَكَ: لاَ تَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ حَتَّى تُوفِيَ الْفَلْسَ الأَخِيرَ".*

أولئك الأطباء المدقِّقون في عملهم والذين صاروا ماهرين بالممارسة الكثيرة، يشفون المرضى من أمراضهم باستخدام أنواع متعددة من الأدوية، والتي بواسطتها يُسكِّنون الآم الناس المبرحة، جامعين من كل الأصقاع كل ما من شأنه أن يفيدهم. وهذا ما يفعله المسيح مخلِّص الكل هنا أيضًا، لأنه طبيب الأرواح وهو يخلِّصنا من أمراض النفس، لأنه قال أيضًا بواسطة واحد من الأنبياء القديسين: "*ارجعوا أيها البنون العصاة فأشفي عصيانكم*" (إر٣: ٢٢). وإذ قد عرف النبى إرميا هذا الأمر، قدَّم توسلاته إليه بهذه الكلمات: "*اشفني يا رب فأشفى، خلِّصني فأخلُص لأنك أنت مجدي*" (إر١٧: ١٤ س).

لذلك لاحظوا كيف يُعِد لنا دواء النصح، ليس كما اعتاد أن يوجِّه كلامًا مباشرًا، بل إن جاز القول يخلطه، وكما لو كان ينسج معه صُوَرًا توضيحيَّة مأخوذة من أمثلة، ليجعل الحديث أكثر نفعًا جدًّا، لأنه يكلم الجموع قائلاً: " إذا رأيتم السحاب تطلع من المغرب فللوقت تقولون إنه يأتي مطر فيكون هكذا، وإذا رأيتم ريح الجنوب تهب تقولون إنه سيكون حر فيكون ". لأن الناس يُركِّزون انتباههم على أشياء من هذا النوع، وبمداومة الملاحظة والممارسة يخبرون مقدمًا متى سيسقط المطر أو بحدوث

عواصف شديدة. ويلاحظ المرء أن البحَّارة على الأخص ماهرون جدًّا في هذا الأمر. لذلك فهو يقول، ألا يليق حسنًا بأولئك الذين يمكنهم أن يحسبوا أشياء من هذا النـــوع، ويتنبأون إن كانت العواصف على وشك الحدوث، أن يُثبتوا نظرة نفاذة من عقــولهم على الأمور ذات الأهمية أيضًا وما هي هذه الأمور؟

إن الناموس أظهر مقدَّمًا سر المسيح، وأنه بالتأكيد سوف يشرق في الأزمنة الأخيرة على سكان الأرض، وأنه سيصير ذبيحة لأجل خلاص الجميـــع. لأن النـــاموس قــد أوصى أيضًا بذبح حَمَل كمثال له نحو المساء، وعند إضاءة المصابيح (خر١٢: ٦) نفهم ــ أنه عندما يميل العالم إلى نهايته مثل النهار ــ فإنه ستتم الآلام العظيمة والثمينــة والخلاصية حقًّا، وينفتح باب الخلاص على مصراعيه لأولئك الــذين يؤمنـــون بـــه، ويكون نصيبهم سعادة غامرة. لأننا نجد أيضًا المسيح يدعو العروس في نشيد الأنشاد والتي تمثِّل شخصية الكنيسة ويصفها بتلك الكلمات: "*قومي، تعالي يـا حبيبتـــي يـا جميلتي، لأن الشتاء قد مضى والمطر مَرَّ وزال، الزهور ظهرت في الأرض وبلــغ أوان القضب*" (نش٢: ١٠ــ١٢). لذلك كما قلت، إن سلامًا كالنهر الهادئ كان على وشك أن يظهر بالنسبة لمن يؤمنون به. لكن ضد هؤلاء الذين فـــي عِظَـــم خبـــثهم ازدروا بصلاحه ورفضوا المخلِّص، هناك غضب وشقاء مقضي به، وكما لو كان شتاء مـــن العذاب والعقوبة، وذلك من العاصفة التي سيكون من العسير الإفلات منها، لأنهم كما يقول المزمور: "*نار وكبريت، وريح السموم، نصيب كأسهم*" (مـز١٠: ٦س). ولمــاذا هذا؟ لأنهم كما قلت رفضوا النعمة التي هي بالإيمان، ولذلك فذنب خطاياهم لا يمكن أن يُمحى، وينبغي لهم أن يتحملوا ــ كما يستحقون ــ العقوبة اللائقة لمـــن يحبـــون الخطية. لأنه هكذا عندما يكلم اليهود يقول: "*الحق أقول لكم إن لم تؤمنوا إني أنا هو تموتون في خطاياكم*" (يو٨: ٢٤).

وكون الأنبياء الطوباويون أيضًا بشَّروا بسر المسيح بطرق متنوعة، فهـــذا مـــا لا يمكن لأحد أن يتشكك فيه. لأن واحدًا منهم هكذا يتكلم باسم شخص الله الآب قـــائلاً: "*ها أنا واضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل من يؤمن به لا يخـــزى*"

(رو٩: ٣٣، إش٨: ١٤). لأن أولئك الذين هم في خطاياهم، هم مملوؤن خزيًا، لأنه هكـذا قيل في موضع ما عن الإسرائيليين الذين انتهكوا ناموس موسى: "*كخِزي السارق إذا وُجد هكذا يكون خزي بني إسرائيل*" (إر٢: ٢٦). لكن الذين هم في المسيح بالإيمان، ويفلتون من دنس الخطية هؤلاء يكونون ليس فقط غير مملوءين بالخزي، بل تكـون لهم تلك الدالة التى تليق بالأحرار.

لذلك يقول، كان من واجبهم، نعم من واجبهم، لكونهم يملكون الفهم ويقـدرون أن يميِّزوا وجه السماء والأرض أن يفحصوا الأمور المستقبلة أيضًا، وألاَّ يَـدَعوا تلـك العواصف التي تأتي على هذا العالم أن تفلت من ملاحظتهم، لأنه ستكون ريح جنوبية ومطر، أي عذاب ناري لأن ريح الجنوب ساخنة وإنزال تلك العقوبة شديد وحتمـي، مثل المطر النازل على من يباغتهم فجأة. لذلك لا ينبغي لهم أن يدعوا زمن الخلاص يعبر عليهم دون أن ينتبهوا له، ذلك الزمن الذى جاء فيه مخلِّصنا، الزمن الذي فيـه وَصلَت معرفة الحق الكاملة إلى البشرية، وأشرقت النعمة التي تطهر الخطاة. وذلك، ليس بواسطة الناموس، لأن "*الناموس لا يكمل شيئًا*" (عب٧: ١٩)، إذ له فقـط الأمثلـة والظلال، بل بالأولى بالإيمان بالمسيح، غير رافضين الناموس بل متمِّمينـه بعبـادة روحية. لأن الحكيم جدًّا بولس الرسول كتب يقول: "*أفنُبطِل الناموس بالإيمان، حاشا*" ذلك الذي قد أعلن عنه بطرق عديدة مسبقًا بواسطة موسى والأنبياء.

لذلك فمن واجبنا أن نسهر ونسعى بسرعة كي نصل إلى الخلاص من خطايانا، أمَّا الوسيلة للإفلات من اللوم قبل أن نصل إلى نهاية حياتنا الطبيعية، فإنه أظهرها بقوله: "*ولماذا لا تحكُمون بالحق من قِبَل نفوسكم. حينما تذهب مع خصمك إلى الحاكم، ابذل الجهد وأنت في الطريق لتتخلَّص منه، لئلا يَجُرّك إلى القاضي، ويسلِّمك إلى الحـاكم فيلقيك الحاكم في السجن. أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفي الفلس الأخير*" (لـو ١٢: ٥٧-٥٩).

ربما يتخيل البعض أن معنى هذا النص عسير الفهم، لكنه سيصير سهلاً جدًّا لـو فحصنا هذا التشبيه بما يحدث بيننا. وهو يقول، لنفترض أن أحدهم قدَّم ضدك شكوى

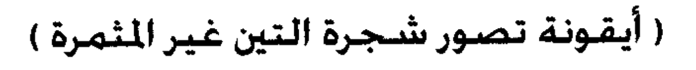


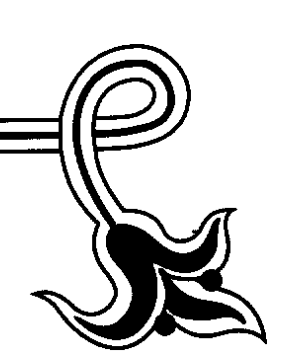
أمام أحد المسئولين إلى المحكمة، وجعلك تؤخذ إلى هناك. لذلك بينما أنت " في الطريق" أي قبل أن تصل إلى القاضي " اجتهد" أي لا تملَّ من استخدام كل جهدك حتى تتخلَّص منه، وإلاَّ سيسلِّمك للقاضي، وآنذاك عندما يَثبُت أنك مدين له، فإنك ستسلَّم إلى الحاكم، والحاكم سيلقي بك في السجن حتى توفى الفلس الأخير.

نحن كلنا بلا استثناء الذين على الأرض مدانون بالآثام، والذي له قضية ضدنا ويلومنا هو الشيطان الخبيث، لأنه هو "*العدو والمنتقم*" (مز٨: ٢). لذلك بينما نحن في الطريق أي لم نصل بعد إلى نهاية حياتنا هنا (على الأرض)، لنخلِّص نفوسنا منه، لنتخلَّص من الخطايا التي نحن قد أذنبنا بها، فلنغلق فمه، ولنتمسَّك بالنعمة، أي بالمسيح. هذه التي تحرِّرنا من كل دين وعقوبة، وتخلِّصنا من الخوف والعذاب، لئلا إن لم نتطهَّر من دنسنا، فإننا نقف أمام القاضي ونسلَّم إلى الحاكم، أي المعذبين الذين لا يمكن لأحد أن يفلت من قساوتهم، بل بالحري سينتقمون انتقامًا دقيقًا عن كل خطية، سواء كانت كبيرة أم صغيرة.

إن الذين يفتشون عن زمن مجيء المسيح ولا يجهلون سره بل يعرفون جيدًا أن الكلمة مع أنه إله، أشرق على سكان الأرض وأنه صار مثلنا كواحد منا، هؤلاء هم بعيدون تمامًا عن هذا الخطر، فالمسيح يحرِّرهم من كل لوم. وهو يبارِك بغبطة زائدة أولئك الذين يؤمنون به ويعترفون به كإله وابن الله، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان، مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

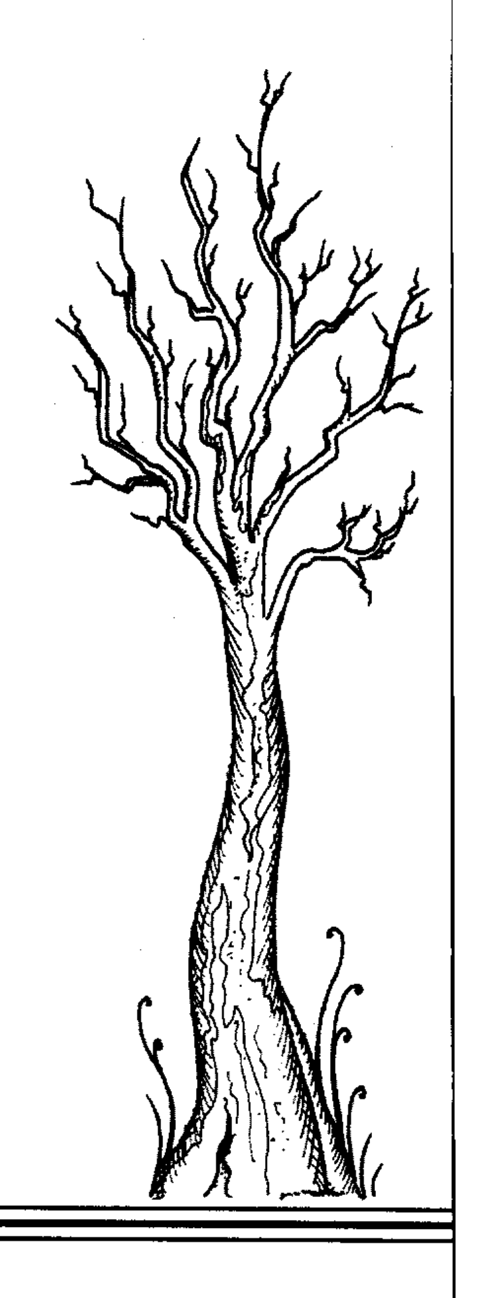






(أيقونة تصور شجرة التين غير المثمرة)

الأصحاح الثالث عشر



وقال هذا المثل : كانت لواحد شجرة تين مغروسة فى كرمه . وأتى ليطلب فيها ثمراً ولم يجد

(لوقا ١٣ : ٦)

الأصحاح الثالث عشر

عظة ٩٦

مثل شجرة التين

(لو١٣: ٦ــ٩)[1]: "*وَقَالَ هَذَا الْمَثَلَ: كَانَتْ لِوَاحِدٍ شَجَرَةُ تِينٍ مَغْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ فَأَتَى يَطْلُبُ فِيهَا ثَمَرًا وَلَمْ يَجِدْ. فَقَالَ لِلْكَرَّامِ: هُوَذَا ثَلاَثُ سِنِينَ آتِي أَطْلُبُ ثَمَرًا فِي هَذِهِ التِّينَةِ وَلَمْ أَجِدْ. اِقْطَعْهَا. لِمَاذَا تُبَطِّلُ الأَرْضَ أَيْضاً؟. فَأَجَابَ وقال له: يَا سَيِّدُ اتْرُكْهَا هَذِهِ السَّنَةَ أَيْضًا حَتَّى أَنْقُبَ حَوْلَهَا وَأَضَعَ زِبْلاً. فَإِنْ صَنَعَتْ ثَمَرًا وَإِلاَّ فَفِيمَا بَعْدُ تَقْطَعُهَا*".

يُظهِر المرنِّم اللطف الفائق للمسيح مخلّصنا كلنا بهذه الكلمات: "*يا رب من هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده*" (مز ٨: ٤). لأن الإنسان من جهة طبيعته الجسدية هو تراب ورماد، ليس من جهة هيئته الجسدية بل بالأحرى بسبب أنه يستطيع أن يكون بارًا وصالحًا ولائقًا لكل فضيلة. لذلك يعتني به الخالق لكونه خليقته وكي يزيِّن به الأرض لأنه كما يقول إشعياء النبي: "*لم يخلقها باطلا (بل) للسكن صوّرها*" (إش ٤٥: ١٨)، فهي مسكونة بالطبع بكائن حيّ عاقل يمكنه بعيني الذهن أن يدرك خالق الكون وصانعه وأن يمجّده مثل الأرواح العلوية. ولكن بسبب أنه انحرف بعيدًا نحو الشر بسبب حيل الحيّة الخادعة، وبسبب أنه قُيِّدَ بسلاسل الخطية وابتعد تماما عن الله، فالمسيح لكيَ يُمكِّنه أن يرتفع مرة ثانية إلى فوق؛ جاء لكي يبحث عنه ويشكِّله من جديد على الصورة التي كان عليها في الأول، ومنحه التوبة كطريق يقوده للخلاص.

لذلك فهو يقدِّم مثلاً حكيمًا، لكن ينبغي علينا أولاً أن نشرح ما هي المناسبات التي

---

[1] نلاحظ هنا إنّ القديس كيرلس قد حذف في شرحه الأعداد من (١ــ٥)، لكنه أشار بعد ذلك إلى أن ما جاء في هذه الأعداد كان هو المناسبة التي دعت الرب أن يقدّم مثل شجرة التين.



أدت إلى ذلك، أو ما هي الضرورة التي دعت الرب أن يقدّم هذا المثل. فقد كان هناك البعض الذين أخبروا المسيح مخلّصنا كلنا أن بيلاطس قتل ــ بطريقة وحشيّة وبلا شفقة ــ بعض الجليليين وخلط دمهم بذبائحهم. وآخرون أخبروا عن برج سلوام الذي سقط وقتل ثمانية عشر شخصًا تحت أنقاضه. ويشير المسيح بعد ذلك لهذه الأشياء بقوله لسامعيه: "*الحق أقول لكم إنكم إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون*". هذا هو أساس وأصل المثل الحالي، وما يهدف إليه.

والآن فالمعنى الظاهري لهذه الفقرة لا يحتاج إلى كلمة واحدة لتفسيره، لكن عندما نفحص في المغزى الداخلي والخفي، فإننا نؤكد ما يلي: كان حقاً على الإسرائيليين بعد صلب مخلّصنا أن يقعوا في البلايا التي يستحقونها، فحوصرت أورشليم وذُبح السكان بسيف العدو ولم يَهلَكوا هكذا فقط، بل أُحرقت بيوتهم بالنار، وحتى هيكل الله قد دُمِرَ. لذلك فمن المحتمل أنَّ الرب يشبّه مجمع اليهود بشجرة تين، لأن الأسفار المقدّسة تشبّههم أيضاً بنباتات مختلفة، مثلاً بالكرمة وبالزيتونة وحتى الغابة، لأن هوشع النبي يقول مرّة عن أورشليم أو بالأحرى عن سكانها: "*إسرائيل كرمة ممتدة*" (هوشع ١:١٠س)، ويقول إرميا النبي أيضًا: "*زيتونة خضراء ذات ثمر جميل الصورة دعا الرب اسمك. بصوت ضجة عظيمة، أوقد ناراً عليها فانكسرت أغصانها*" (إر ١١:١٦). ويقارنها أحد الأنبياء القديسين بجبل لبنان فيتكلّم هكذا: "*افتح أبوابك يا لبنان فتأكل النار أرزك*" (زك ١١:١)، لأن الغابة التي كانت في أورشليم والناس الذين كانوا هناك وكانت أعدادهم كبيرة أُبيدوا كما بنار. لذلك فكما قلت، فإن الرب يأخذ شجرة التين التي تكلّم عنها في المثل كرمز للمجمع اليهودي أي للإسرائيليين. ويقول: "*هوذا ثلاث سنين آتي أطلب ثمراً في هذه التينة فلم أجد*". وأنا أرى أن الرب يشير لنا بهذه الثلاث سنوات إلى ثلاث فترات متعاقبة لم يأتِ أثناءها المجمع اليهودي بأية ثمار. ربما يمكن للمرء أن يقول إن الفترة الأولى منها كانت تلك التي عاش فيها موسى وهارون وأبناؤه الذين خدموا الله متقلّدين وظيفة الكهنوت بحسب الناموس. الفترة الثانية كانت فترة يشوع ابن نون والقضاة الذين جاءوا من بعده، والفترة الثالثة كانت

تلك التي ازدهر فيها الأنبياء المباركون إلى زمن مجيء يوحنا المعمدان. أثناء تلك الفترة لم تأتِ إسرائيل بأي ثمر.

ولكنني أتخيّل أن البعض يعترضون على هذا قائلين: " ولكن انظر، فإنها قد أكملت الخدمة التي أمر بها الناموس وقدّمت الذبائح التي هي عبارة عن دم الضحايا وحرق البخور". ولكن على هذا نجيب: أنه في كتابات موسى كان هناك فقط ظل للحق (وليس الحق ذاته)، وخدمة مادية وبدائية. لم تكن هناك بعد خدمة بسيطة نقية وروحية مثل التي نؤكد أن الله يحبها أصلاً والتي تعلّمناها من المسيح الذي قال: "*الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا*" (يو ٤:٢٤). لذلك، فإن ما يعتبر أنه المشيئة الحسنة للآب، التي هي أيضًا مشيئة الابن، فإن العبادة التي كانت تتكون من ظلال ورموز هى غير مقبولة وخالية تمامًا من الثمر من جهة ما يختص بالرائحة الروحانية الحلوة، ولذلك رُفضت هذه الخدمة، لأن المخلِّص يعلّمنا هكذا عندما يقول لله الآب في السماء: "*بذبيحة وتَقدُمة لم تُسَرَّ، محرقة وذبيحة خطية لم تطلب*" (مز ٦:٣٩ س). وأيضًا يقول الرب نفسه بفم إشعياء لمن كانوا يريدون إتمام الذبائح: "*لأن مَنْ طلب هذا من أيديكم؟ لا تدوسوا دوري بعد، لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة، البخور هو مكرهة لي*" (إش١:١٢ـــ١٣). لذلك هو يقول: " *هوذا ثلاث سنين آتي أطلب ثمرًا في هذه التينة ولم أجد، أقطعها، لماذا تبطل الأرض أيضًا*" (لـو ١٣:٧)، كما لو كان يود أن يقول: دعْ موضع شجرة التين العقيمة فارغًا، لأنه سيزرع مكانها فيما بعد أشجار أخرى، وهذا أيضًا قد تم لأن جموع الأمميين قد دُعوا ليحلوا محلهم ويمتلكوا ميراث الإسرائيليين. إنهم صاروا شعب الله، زرع الفردوس، نبتة صالحة ومكرّمة تعرف كيف تثمر ثمرًا ليس في ظلال ورموز، بل بالأحرى بخدمة طاهرة وكاملة بلا عيب أي تلك التي تُقدَّم بالروح وبالحق لله الذي هو كائن غير مادي.

لذلك قال صاحب الأرض إن شجرة التين التي لم تأت بثمر على مدى فترة طويلة يلزم إنّ تُقطع. لكن الكرّام توسل إليه قائلاً: "*يا سيد أتركها هذه السنة أيضًا حتى أنقب حولها وأضع زبلاً، فإن صنعت ثمرًا وإلاّ ففيما بعد تقطعها*" (لو



٨:١٣، ٩).

يحق لنا إنَّ نتساءل الآن: مَنْ يكون الكرَّام؟ إن قال أحد إنه الملاك الذي عيَّنه الله كحارس لمجمع اليهود، فإنه لن يكون قد جانب التفسير المناسب، لأننا نتذكَّر أن زكريا النبي كتب أنَّ أحد الملائكة القديسين وقف يُقدِّم توسلات لأجل أورشليم فقال: "*يا رب الجنود إلى متى أنت لا ترحم أورشليم ومدن يهوذا التي غضبت عليها هذه السبعين سنة؟*" (زك١٢:١)، ومكتوب أيضًا في سفر الخروج أنه عندما كان فرعون ملك مصر وجنوده يُسرعون في أثر الإسرائيليين وكانوا على وشك الالتحام معهم في معركة؛ أن ملاك الرب وقف بين معسكر الإسرائيليين ومعسكر المصريين ولم يقترب أحدهما من الآخر طوال الليل. لذلك لا يوجد ما يمنع أن نفترض هنا أن الملاك المقدَّس الذي كان حارسًا للمجمع اليهودي قدم توسلات لأجله وطلب مهلة، فربما يأتي المجمع بثمار لو أنه أذعن وخضع لله.

لكن لو كان لأحد أن يقول إن الكرّام هو الابن، فوجهة النظر هذه لها ما يبررها، لأنه هو شفيعنا لدى الآب (انظر ١يو ١:٢)، أي" كفّارتنا"، وراعي نفوسنا الذي يشذّب نفوسنا دائمًا مما يضرّنا، ويملأنا ببذار عقلية ومقدَّسة لكي نأتِ له بثمر وهكذا تكلّم عن نفسه قائلاً: "*خرج الزارع ليزرع زرعه*" (لو ٥:٨). ولا ينقص من مجد الابن أنه يتخذ صفة الكرّام، لأن الآب نفسه أخذ هذه الصفة أيضًا دون أن يتعرض لأي لوم بسبب ذلك، لأن الابن قال للرسل القديسين: "*أنا الكرمة وأنتم الأغصان، وأبي الكرّام*" (انظر يو ١:١٥)، لأنه يلزم استخدام التعبير اللفظي من حين لآخر لكي يتمشّى مع الافتراضات الموضوعة.

لذلك، فلنعتقد أنه هو الشفيع لأجلنا وهو يقول: "*اتركها هذه السنة أيضًا حتى أنقب حولها وأضع زبلاً*". فما هو المقصود إذن بهذه السنة؟ من الواضح إنَّ هذه السنة الرابعة هي الزمن الذي يأتي بعد تلك الفترات السابقة أي هي تلك التي فيها صار **كلمة الله الوحيد** إنسانًا، يستحث بنصائحه الروحية الإسرائيليين الذين ذبلوا بالخطية، وينقّب حولهم ويدفّئهم ليجعلهم حارين في الروح، لأنه توعّدهم مرارًا بالخراب



والدمار والحروب والمذابح والحرائق والأسرْ والسخط الذي لا يخمد، بينما من الناحية الأخرى، فقد وعد أنهم إن آمنوا به وصاروا في النهاية أشجارًا مثمرة فسوف يعطيهم الحياة والمجد ونعمة التبني، وشركة الروح القدس وملكوت السموات. لكن إسرائيل كان عاجزًا عن أن يتعلم حتى من هذا أيضًا. لقد ظلّ شجرة تين عقيمة ويستمر هكذا. لذلك قُطعت الشجرة لكي لا تُشغل الأرض باطلاً ونبت عوضًا عنها ـ كنبات خصيب ـ كنيسة الأمم، الجميلة وحاملة الثمار والمتأصلة بعمق، والتي لا يمكن أن تتزعزع لأنهم قد حُسبوا كأولاد إبراهيم، وطُعِّموا في شجرة الزيتون الجيدة الأصل، لأن الأصل قد حُفظ، وإسرائيل لم يهلك تمامًا.

أما كونها استحقت القطع لأجل عقمها التام، فهذا أعلنه أيضًا يوحنا المعمدان بهذه الكلمات: " *والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمرًا تُقطع وتُلقى في النار* " (لو ٣:٩)[٢].

[٢] بقية هذه العظة وكل عظة ٩٧ وبداية عظة ٩٨ مفقودة في المخطوطة الأصلية.

عظة ٩٧، ٩٨[٣]

شفاء المرأة التي بها روح ضعف

(لو١٣: ١٠-١٣): " وَكَانَ يُعَلِّمُ فِي أَحَدِ الْمَجَامِعِ فِي السَّبْتِ. وَإِذَا امْرَأَةٌ كَانَ بِهَا رُوحُ ضَعْفٍ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَتْ مُنْحَنِيَةً وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَنْتَصِبَ الْبَتَّةَ. فَلَمَّا رَآهَا يَسُوعُ دَعَاهَا وَقَالَ لَهَا: يَا امْرَأَةُ إِنَّكِ مَحْلُولَةٌ مِنْ ضَعْفِكِ. وَوَضَعَ عَلَيْهَا يَدَيْهِ فَفِي الْحَالِ اسْتَقَامَتْ وَمَجَّدَتِ اللهَ ".

كان هناك في المجمع امرأة منحنية لم تَقدِر أن تنتصب لمدة ثماني عشرة سنة بسبب روح ضعف، وربما تبرهن حالتها على منفعة ليست بقليلة لمن لهم فهْم، لأنه ينبغي لنا أن نجمع ما هو مفيد لنا من كل جانب، إذ مما حدث نرى أنَّ الشيطان غالبًا ما ينال السلطان على بعض الأشخاص، منهم مثلاً الذين يسقطون في الخطية فيصيرون متراخين في بذل الجهد لأجل التقوى. لذلك فكل من يمسك به الشيطان في نطاق سلطانه يصيبه بأمراض جسدية، إذ إنه يفرح بالعقوبة وهو عديم الرحمة. الله الحكيم جدًّا الذي يري كل شيء يمنحه هذه الفرصة حتى إذا ما تضايق الناس جدًّا من ثقل بؤسهم يصممون في أنفسهم أن يتغيّروا إلى الطريق الأفضل. لأجل ذلك سلّم القديس بولس للشيطان أحد الأشخاص في كنيسة كورنثوس كان قد اتُهم بالزنا "*لهلاك الجسد، لكي تخلص الروح*" (١كو ٥:٥). لذلك قيل عن المرأة التي كانت منحنية إنها عانت هذا من قسوة الشيطان بحسب كلمات ربنا إذ قال: "*ربطها الشيطان لمدة ثمانية عشرة سنة*". وكما قلت فإن الله سمح بهذا، إما بسبب خطاياها، أو بسبب قانون عام وشامل، لأن الشيطان الملعون هو سبب مرض أجساد البشر، كما نؤكد أنَّ تعدي آدم، كان بتأثير الشيطان، وبواسطة هذا التعدي صارت هياكلنا البشريّة معرَّضة للمرض والانحلال. ومع أنَّ هذا كان حال البشر فإن الله الصالح بطبعه لم يتخلَّ عنا ونحن

[٣] عظة ٩٧ وعظة ٩٨ فُقدتا من المخطوط السرياني، وتُرجم الجزء المفقود من اليونانية إلى الإنجليزية من:
Mai Nov. Bib. Vol. II.



نعاني من عقوبة مرض مستعصٍ طويل الأمد، بل حرّرنا من قيودنـــا، مظهــرًا ــــ كعلاج مجيد لأتعاب البشرية ــ حضوره الذاتي وظهوره في العالم، لأنه جاء ليعيــد صياغة طبيعتنا إلى ما كانت عليه في الأصل، لأنه كما هو مكتوب: "*إن الله لم يصنع الموت وهو لا يُسر بهلاك الأحياء. لأنه إنما خلق البرايا لتكون موجــودة، وصــنع أجيال العالم معافاة وليس فيها سم التهلكة*" (حكمة ١٣:١، ١٤ س)، لكن "*بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم*" (حك ٢٤:٢ س).

إن تَجسُّد **الكلمة** وأخذه لطبيعة بشريّة تم لأجل دحر الموت وملاشاة ذلك الحــسد الذي ألهبته الحيّة الشريرة التي كانت العلّة الأولى للشر. وهذا يتبرهن لنا من الحقائق نفسها. ولذلك حرّر ابنة إبراهيم من مرضها المزمن، فدعاها قائلاً: "*يا امــرأة إنــك محلولة من ضعفك*". وهذا كلام يليق جدًّا بالله، وهو مملوء قوة فائقة للطبيعــة، لأنــه بالسلطان الإلهي لمشيئته طَرَد المرض. وهو أيضًا وضع يديه عليها، وفــي الحــال استقامت. ومن ثَمَّ يمكننا أيضًا أن نرى أنَّ جسده المقــدس يحمــل داخلــه قــوة الله وفاعليتها، لأنه هو جسده الذاتي وليس جسد ابن آخر بجانبه، مُمَيّزًا ومنفصلاً عنه كما يتخيل بعض عديمي التقوى.

(لو ١٤:١٣) "*فَأَجابَ رَئِيسُ الْمَجْمَعِ، وَهُوَ مُغْتَاظٌ لأَنَّ يَسُوعَ أَبْرَأَ فِــي الــسَّبْتِ، وَقَــالَ لِلْجَمْعِ: هِيَ سِتَّةُ أَيَّامٍ يَنْبَغِي فِيهَا الْعَمَلُ، فَفِي هذِهِ ائْتُوا وَاسْتَشْفُوا، وَلَيْسَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ!*".

ولكن ألم يكن من الواجب عليه بالحري أن يندهش لكون المسيح حرّر ابنة إبراهيم هذه من قيودها؟ إنك رأيتها تتحرّر من بليتها على غير ما كان متوقعًا، وكنت شــاهد عيان بأن الطبيب لم يتوسل، ولا نال ــ كمنحة من آخر ــ شفاء المرأة المريضة، بل إنه فعل هذا بفعل قدرته. وبحكم كونك رئيسًا للمجمع أفترض أنك تعرف كتب موسى. لقد رأيت موسى يصلي في كل مناسبة، ولم يعمل شيئًا بقوته الذاتية، فعندما أصــيبت مريم بالبرص لمجرد أنها تكلّمت ضده بشيء من اللوم ــ وذلك عن حق لأنــه أخــذ لنفسه امرأة كوشية ــ لم يستطع موسى أنَّ يقهر المرض بل على العكس سقط أمــام الله قائلاً: "*اللّهم اشفها*" (عــدد ١٣:١٢). ولكن رغم تضرعه هذا، لم تُرفَع عنها عقوبــة

خطيتها. كما أن الأنبياء القديسين عندما كانوا يصنعون أية معجزة، فإننا نرى أنهم صنعوها بقوة الله. أتوسل إليك أن تلاحظ هنا أن المسيح مخلّص الكل لم يقدم أية صلاة بل تمّم الأمر بقوته الذاتية وشفاها بكلمة وبلمسة يده. لأنه بسبب كونه ربًا وإلهًا أظهر أن جسده الخاص له فاعلية مساوية مع نفسه؛ لتحرير البشر من أمراضهم، ومن ثَمَّ كان يقصد أن يدرك البشر فحوى السر المختص به. لذلك لو كان رئيس المجمع رجلاً ذا فهم لكان أدرك من هو المخلّص وكم كان عظيمًا بسبب هذه المعجزة العجيبة جدًا، ولما كان قد تكلّم بنفس الطريقة الجاهلة كالجموع، ولا كان قد اتهم من يقومون بشفاء المرضى، بكسر الشريعة، من جهة الامتناع التقليدي عن العمل يوم السبت.

لكن من الواضح: " أنَّ تُشفى هو أنَّ تعمل". فهل تنكسر الشريعة عندما يُظهر الله رحمةً حتى في يوم السبت؟ مَنْ هو الذي أمر الله أن يكف عن العمل؟ هل أمر ذاته؟ أم لم يكن بالأحرى أنتم؟ لو كان قد أمر ذاته، لجعل عنايته الإلهية بنا تتوقف يوم السبت .. إذن لتسترح الشمس من مسارها اليومي، ليتوقف المطر عن الهطول، لتتوقف ينابيع المياه وكذلك الأنهار الدائمة الجريان، وكذلك تتوقف الريح. لكن لو أمَرَكم أنتم بالراحة فلا تلوموا الله لأنه بسلطان أظهر رحمة حتى في يوم السبت. ولماذا هو أوصى البشر أن يستريحوا في يوم السبت؟ إنه كان ـ كما قيل لكم ـ لكي يستريح عبدك وثورك وحصانك وماشيتك. لذلك فعندما يريح هو البشر بتحريرهم من أمراضهم وأنتم تمنعون ذلك، يتضح أنكم تكسرون السبت في عدم سماحكم لِمَن يعانون تحت ثقل الألم والمرض والذين ربطهم الشيطان، أن يستريحوا.

لكن عندما رأي رئيس المجمع غير الشكور المرأة المنحنية والتي كانت أطرافها كسيحة، وقد نالت رحمة من المسيح فانتصبت في استقامتها، بمجرد لمسة من يده وأنها تسير بخطوات منتصبة تليق بإنسان، وتُعظِّم الله لأجل شفائها، اغتاظ جدًا واشتعل بغضب ضد مجد الرب، وتورّط في الحسد، وافترى على المعجزة، ولكنه تحاشى الحديث مع الرب ـ لأنه كان سيفضح رياءه ـ ووبّخ الجمع لكي يبدو أن اغتياظه كان لأجل حفظ يوم السبت. لكن هدفه كان في الحقيقة هو أن يسيطر على



من كانوا متفرّقين على مدى الأسبوع ومنشغلين بأعمالهم، لكي لا يكونوا مشاهدين ومعجبين بمعجزات الرب يوم السبت لئلا يؤمنوا هم أيضًا به.

ولكن أخبرني ــ يا من أنت عبد للحسد ــ أي نوع من الأعمال يمنعه الناموس عندما يوصيك بأن تكف عن كل عمل يدوي في يوم السبت؟ هل يمنع عن عمل الفم والتكلم؟ إذن فامتنع عن الأكل والشرب والتحادث وترتيل المزامير في يوم السبت. لكن لو امتنعت عن هذه الأعمال بل وامتنعت أيضًا عن قراءة الناموس، فما هي منفعة السبت لك؟ لكن لو قَصَرت المنع عن العمل اليدوي فكيف يكون شفاء امرأة بكلمة نوعًا من العمل اليدوي؟ لكن لو دعوته عملاً لأن المرأة قد شُفيت بالفعل فأنت أيضًا قد أديت عملاً في لومك لشفائها، لكن رئيس المجمع يقول إن المسيح قال: "*أنت محلولة من ضعفك فانحلت منه*" حسنًا! ألا تحل أنت منطقتك في يوم السبت ألا تخلع حذاءك وترتب فراشك وتغسل يديك عندما تتسخ بالأكل؟ فلماذا أنت غاضب هكذا من مجرد كلمة "*أنك محلولة*"؟ وما العمل الذي عَمَلَته المرأة بعد قول هذه الكلمة؟ هل شرعت في عمل النحاس أو النجار أو البناء؟ هل ابتدأت في هذا اليوم ذاته في النسج أو العمل على النول؟ سيجيب لا، إنها صارت منتصبة، كأن مجرد الشفاء هو نوع من العمل.

لكن لا، فأنت لست غاضبًا بالحق لأجل السبت، بل إنه يوجد شيء مخفي في قلبك وأنت تنطق وتتعلّل بشيء غيره، ولهذا السبب فإنك إذ رأيت المسيح يُكرَّم ويُعبَد كإله اغتظت واهتجت وأكلك الحسد. فأنت مُدان تمامًا من قِبَل الرب الذي يعرف حججك الباطلة، وتنال اللقب الذي يليق بك إذ دعاك: "مرائي" ومتصنّع وغير مخلص.

(لو١٣: ١٥): "*يَا مُرَائِي أَلاَ يَحُلُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ثَوْرَهُ أَوْ حِمَارَهُ مِنَ الْمِذْوَدِ وَيَمْضِي بِهِ وَيَسْقِيهِ؟*".

يقول الرب: أنت تندهش لأني حلّلت ابنة إبراهيم من مرضها، بينما تريح ثورك وحمارك وتحلّه من أتعابه وتقوده ليشرب، لكن عندما يعاني كائن بشري من مرض، ويُشفى بطريقة عجيبة ويُظهر له الله رحمته، فإنك تلوم كليهما كمتعديين: أي ذلك



الذي أجري الشفاء والأخرى التي تحرّرت من مرضها.

أتوسل إليكم أن تنظروا كيف أنَّ رئيس المجمع يعتبر أن كائنًا بشريًا له في نظره اعتبار أقل من الحيوان، إذ أنه على الأقل يعتبر أن حماره وثوره جديران بالرعاية في يوم السبت، لكنه ــ في حسده ــ ما كان يريد أن المسيح يحرّر المرأة المنحلّة، ولا أن يراها وقد استعادت شكلها الطبيعي، ولكن الرئيس الحسود كان يُفضّل أن تظل المرأة التي استقامت، منحنية دائمًا مثل الحيوانات ذات الأربع، عن أن تستعيد الشكل الذي يليق بالبشر، ليس لهدف آخر سوى أن لا يتعظّم المسيح ولا يُنادى به كإله بسبب أعماله، لذا فقد أُدين هذا الإنسان كمرائي، لأنه ــ على الأقل ــ يقود ماشيته الخرساء لتشرب في يوم السبت، ولكنه يغتاظ بسبب أن هذه المرأة ــ التي كانت ابنة إبراهيم بالجسد، وبالأكثر أيضًا بواسطة إيمانها، تتحرّر من قيود مرضها. لأنه يعتبر أن خلاصها من مرضها هو تعدٍّ على شريعة السبت.

(لو١٣:١٧): " *وَإِذْ قَالَ هَذَا أُخْجِلَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا يُعَانِدُونَهُ وَفَرِحَ كُلُّ الْجَمْعِ بِجَمِيعِ الأَعْمَالِ الْمَجِيدَةِ الْكَائِنَةِ مِنْهُ* ".

خزي إذن جميع الذين نطقوا بهذه الآراء الفاسدة، الذين تعثروا أمام حجر الزاوية الأساسي، وانكسر الذين قاوموا الطبيب، الذين تصادموا مع الفخاري الحكيم أثناء انشغاله في تقويم الأوعية المعوجة، لم يكن هناك جواب يمكن أن يجيبوا به. لقد أدانوا ذواتهم بطريقة ليس فيها جدال، ودفعوا إلى الصمت، وتشكّكوا فيما ينبغي أن يقولوا. وهكذا أغلق الرب أفواههم المتجاسرة، لكن الجموع الذين ربحوا فائدة المعجزات كانوا فرحين. لأن مجد وعظمة أعماله لاشت كل تساؤل وشك عند أولئك الذين سعوا إليه بدون نية سيئة.



عظة ٩٨ بقية
ملكوت الله (وحبَّة الخردل والخميرة)

(لو١٣: ١٨ــ٢١): "*فَقَالَ: مَاذَا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ اللهِ وَبِمَاذَا أُشَبِّهُهُ؟. يُشْبِهُ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَأَلْقَاهَا فِي بُسْتَانِهِ فَنَمَتْ وَصَارَتْ شَجَرَةً كَبِيرَةً وَتَآوَتْ طُيُورُ السَّمَاءِ فِي أَغْصَانِهَا. وَقَالَ أَيْضاً: بِمَاذَا أُشَبِّهُ مَلَكُوتَ اللهِ؟. يُشْبِهُ خَمِيرَةً أَخَذَتْهَا امْرَأَةٌ وَخَبَّأَتْهَا فِي ثَلاَثَةِ أَكْيَالِ دَقِيقٍ حَتَّى اخْتَمَرَ الْجَمِيعُ* ".

هذه المقارنة هي من النوع الممتاز وهي مناسبة لكي يضع أمامهم ما حدث وما تمّ عند الكرازة الإلهية والمقدَّسة بالإنجيل، هذه الكرازة بالإنجيل يعطيها هنا اسم ملكوت السموات، لأنه عن طريق الإنجيل نقتني نحن حق الاشتراك في ملكوت المسيح. ففي البداية كُرز بالإنجيل لأشخاص قليلين، وعلى نطاق ضيق، لكن فيما بعد اتسعت دائرة تأثير الإنجيل وانتشر ووصل إلى كل الأمم، لأنه في البداية كَرَزَ به الرب في اليهودية فقط حيث كان التلاميذ المباركين قليلين جدًّا في العدد، لكن بعد أن عصى إسرائيل، ورفضوا الإنجيل أُعطيت الوصية للرسل الأطهار أن "*يذهبوا ويتلمذوا* جميع *الأمم*" (انظر متى ٢٨: ١٩). فكما أن حبَّة الخردل هي أصغر في الحجم من جميع البذور لكنها تنمو وترتفع إلى علو عظيم، أكبر جدًّا عما هو معتاد بين الأشجار، حتى أنها تصير مأوى لطيور السماء. كذلك أيضًا ملكوت السموات الذي هو الكرازة الجديدة والمقدَّسة بالخلاص، والتي بها ننقاد إلى كل عمل صالح ونعرف ذلك الذي هو الله بالطبيعة وبالحق، تلك الكرازة قد تمّ توجيهها في البداية إلى أشخاص قلائل، وبينما كانت تلك الكرازة صغيرة ومحدودة أولاً فإنها نَمَتْ وانتشرت بعد ذلك انتشارًا سريعًا. وصارت هذه الجماعة النامية ملجأ لكل من يهرب إليها طالبًا الخلاص. هؤلاء لأنهم بشر صغار بالمقارنة بالله، يمكن تشبيههم بالطيور.

إن ناموس موسى قد أُعطى للإسرائيليين، ولكن حيث إن سكان الأرض لم يكن ممكنًا إنقاذهم بواسطة الظل الذي كان يحتويه الناموس بعبادته المادية، لذلك كان أمرًا

ضروريًا أن يُكرز ببشارة الإنجيل الخلاصية. وهكذا انتشرت سريعًا هذه الكرازة إلى كل من يحيا تحت السماء. وهذا ما أشار به إلينا حرف الناموس الموسوي في لغز لأنه هكذا يقول: "*وكلَّم الرب موسى قائلاً: اصنع لك بوقين من فضة مسحولين*[٤] *تعملهما فيكونان لك لمناداة الجماعة ولارتحال المحلات* " (عدد ١٠: ١، ٢). وقال بعد ذلك في الحال: "*وبنو هارون الكهنة يضربون بالأبواق، فتكون لكم فريضة أبدية في أجيالكم*" (عدد ١٠: ٨). والقصد بهذا الكلام هو *أن* نفهم كلاً من التدريب الإعدادي للناموس والكمال الذي يتم الوصول إليه في المسيح بواسطة طريقة الحياة بالإنجيل والتعليم الذي يفوق الظلال والرموز.

إذن فالناموس هو بوق، وكذلك أيضًا بشارة الإنجيل المخلِّصة هي بوق، لأنه بهذا الاسم أيضًا يذكرها (البشارة) إشعياء النبي فيقول: "*يكون في ذلك اليوم أنه يضرب ببوق عظيم*" (إش ٢٧: ١٣). لأنه قد انطلق في الواقع بوق عظيم بواسطة صوت الرسل القديسين دون إلغاء البوق الأول، بل احتووه أيضًا في كرازتهم، لأنهم كانوا دائمًا يبرهنون على كل ما يقولون بخصوص المسيح، من الناموس والأنبياء، مستخدمين شهادات الأزمنة القديمة.

إذن كان هناك بوقان مسحولان مصنوعان من الفضة، حيث الفضة تشير إلى البهاء، لأن كل كلمة من الله هي مجيدة وليس فيها شيء من ظلمة العالم. وطَرْقُ المعدن أظهر أن البوق المقدس والإلهي، أي كلاً من الكرازة الجديدة والقديمة ستتقدمان وتنميان إلى الأمام لأن ما يُطرق يمتد، كما لو كان امتداده باستمرار إلى الأمام كما يمتد في العرض والطول.

الآن عندما جاء المسيح لأجل سكان الأرض، فإن الناموس القديم تقدَّم ونما إلى تفسيره الروحي لأننا نكرز به نحن الذين قد بلغنا إلى الاستنارة الروحية في المسيح، وهكذا كان لابد لرسالة الإنجيل أنَ تنتشر إلى أن احتضنت العالم كله.

إن الناموس قد أعطى الكهنة أن يستخدموا الأبواق ليأمروا الشعب، أما المسيح فقد

---

[٤] أي تم طرقها بالمطرقة.



أعطى لخدَّام البشارة الجديدة ــ أي الرسل القديسين ــ الوصية بــأن يكــرزوا بــه وبتعاليمه. لأنهم يعلنون سره مستخدمين ــ كما لو كان ــ بوقين، والبوقان يكــرزان به، لكونهم: "*منذ البدء معاينين وخدامًا للكلمة* " (لو ١:٢)، حيث إنهم أضافوا ــ تأكيدًا لكلماتهم ــ الشهادات الصادقة للناموس والأنبياء.

وليس من العسير أن نرى رسالة الكرازة بالإنجيل، مع كونها صغيرة في البداية، لكنها قفزت حالاً، إلى ازدياد عظيم، حيث إن الله قد سبق وأخبر عن هذا بصوت إشعياء فقال: "*لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر*" (إش ٩:١١). لأن كرازة الخلاص تنفجر في كل موضع مثل بحر، وسيرها إلى الأمام لا يمكن مقاومته. وهذا أيضًا أخبرنا به إله الكل بوضوح بصوت النبي: "*والحق سيتدفق كمياه والبر كفيضان لا شيء يعيقه*" (عا ٢٤:٥ س). لأنه يعطي اسمي الحق والبر لرسالة الإنجيل، ويمنحنا تأكيدًا أنه سيتدفق على العالم كمياه وفيضان، والذي تتدفع مجاريه بقوة لا يمكن للإنسان أن يوقفها.

ملكوت الله والخميرة:

ونفس طريقة التفسير تنطبق حسنًا على ملكوت الله عندما يُقارن أيضًا بــالخميرة، لأن الخميرة مع أنها صغيرة في الحجم لكنها تمسك بالعجين وتنتشر فيه كله وتنقــل إليه بسرعة كل خواصها. وكلمة الله تعمل فينا بطريقة مشابهة، لأنه حينما نقبلها فــي داخلنا، فهي تجعلنا مقدّسين وبلا لوم، وتغزو ذهننا وقلبنا وتجعلنا روحيين كما يقــول بولس الرسول: "*لتُحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح*" (١تــس ٢٣:٥). وكون أن الكلمة الإلهية تنسكب إلى عمق ذهننا، هذا يُظهره إله الكل، حيث يقول بواسطة أحد الأنبياء القديسين: " *ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبــائهم يــوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر، حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب، بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقــول الــرب، أجعــل شرائعي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم*" (إر ٣١:٣٠ــ٣٣ س).



لذلك نحن نقبل في أذهاننا وأفهامنا الخميرة العقلية والإلهية، لكي بهــذه الخميــرة الثمينة والمقدَّسة والنقية نوجد روحيًا غير مختمرين بالشر إذ ليس فينا شيء من شــر العالم لأن القوة المحييّة التي لتعليم الإنجيل إذ تدخل إلى الذهن فهي تحــوِّل الــنفس والجسد والروح إلى خواصها الذاتية (انظر ١كــو ٥:٧)، ولذلك نكون أنقيــاء ومقدَّســين وشركاء للمسيح الذي به وله مع الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهــر الدهور. آمين.



عظة ٩٩

الباب الضيّق

(لوقا١٣: ٢٢ــ ٣٠): *" وَاجْتَازَ فِي مُدُنٍ وَقُرًى يُعَلِّمُ وَيُسَافِرُ نَحْوَ أُورُشَلِيمَ. فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ: يَا سَيِّدُ أَقَلِيلٌ هُمُ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ؟ فَقَالَ لَهُمُ: اجْتَهِدُوا أَنْ تَدْخُلُوا مِنَ الْبَابِ الضَّيِّقِ فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَطْلُبُونَ أَنْ يَدْخُلُوا وَلاَ يَقْدِرُونَ. مِنْ بَعْدِ مَا يَكُونُ رَبُّ الْبَيْتِ قَدْ قَامَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ وَابْتَدَأْتُمْ تَقِفُونَ خَارِجًا وَتَقْرَعُونَ الْبَابَ قَائِلِينَ: يَا رَبُّ يَا رَبُّ افْتَحْ لَنَا يُجِيبُ ويقول لكم: لاَ أَعْرِفُكُمْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ! . حِينَئِذٍ تَبْتَدِئُونَ تَقُولُونَ: أَكَلْنَا قُدَّامَكَ وَشَرِبْنَا وَعَلَّمْتَ فِي شَوَارِعِنَا. فَيَقُولُ: أَقُولُ لَكُمْ لاَ أَعْرِفُكُمْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ! تَبَاعَدُوا عَنِّي يَا جَمِيعَ فَاعِلِي الظُّلْمِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ مَتَى رَأَيْتُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ فِي مَلَكُوتِ اللهِ وَأَنْتُمْ مَطْرُوحُونَ خَارِجًا. وَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَمِنَ الْمَغَارِبِ وَمِنَ الشِّمَالِ وَالْجَنُوبِ وَيَتَّكِئُونَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ. وَهُوَذَا آخِرُونَ يَكُونُونَ أَوَّلِينَ وَأَوَّلُونَ يَكُونُونَ آخِرِينَ".*

تنقاد السفينة إلى الميناء المطلوب التوجه إليه بواسطة الدفة، أما كلمة الله فتُرشد نفس الإنسان بدون خطأ إلى كل ما هو ضروري للخلاص لأنه هكذا تحدَّث أحد الأنبياء القديسين فقال: " *خذوا معكم كلامًا*" (هو ١٤: ٢). أي ذلك الكلام الموحى به من الروح القدس، لأن لا أحد له فهم سيقول إن المقصود هو كلام حكماء هذا العالم، لأن كلماتهم تقود الناس إلى هوَّة الهلاك بإدخال تعدّد الآلهة إلى العالم، وبتحريضهم على اللّذة الجسدانية، وإلى اشتهاء ملاهي العالم الباطلة. أما كلام الله فيشير إلى الطريق المؤدي إلى حياة أفضل ويُولِّد فينا جديّة تجعلنا نتقدّم ببهجة إلى تأدية كل الأشياء التي بواسطتها نصير شركاء في الحياة الأبدية.

لذلك فلننصت لكلمات المخلّص التي وجّهها لمن أرادوا أن يعرفوا إن كان الذين يخلصون هم قليلون، والذين أجابهم الرب قائلاً: "*اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق*".

والآن ربما تبدو هذه الإجابة أنها خرجت عن مجال السؤال، لأن السائل أراد أن

يعرف إن كانوا قليلين هم الذين يخلصون، لكنه وصف له الطريق الذي بواسطته يمكن أن يَخلص بقوله: "*اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيِّق* ".

فبماذا نجيب على هذا الاعتراض؟

نحن نجيب كما يلي: إنها كانت عادة المسيح مخلّصنا كلنا أن يجاوب سائليه، ليس بما يمكن أن يبدو حسنًا بالنسبة لهم، بل كمَنْ وضع في اعتباره ما هو نافع وضروري لسامعيه. وهذا فعله على الأخص عندما كان أي شخص يسأله عن ما هو عديم الأهمية وما هو غير بنّاء، لأنه أي خير يوجد في رغبة التعرف عمّا إذا كان الذين سيخلصون كثيرين أو قليلين؟ فما المنفعة الناتجة من هذا للسامعين؟ على العكس كان من اللازم والمفيد أن يعرفوا بأية طريقة يمكن للإنسان أن يبلغ الخلاص. لذلك نجده قد صمت عن عمد من جهة السؤال العقيم الذي سُئل عنه. لكنه يتكلّم عن ما كان أساسيًا، أي عن المعرفة الضرورية لممارسة تلك الواجبات التي بها يمكن للناس أن يدخلوا من الباب الضيق لأن هذا قد علّمه لنا أيضًا في موضع آخر إذ قال: "*ادخلوا من الباب الضيق لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك، وكثيرون هم الذين يدخلون منه. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه*" (مت ٧:١٣، ١٤).

إنني اعتبر أنّ من واجبي أن أذكر لماذا أن الباب الذي يمضي منه إنسان إلى الحياة هو ضيق، فمن يود الدخول يلزمه بالضرورة أولاً قبل كل شيء آخر أن يقتني إيمانًا مستقيمًا وغير فاسد. وثانيًا أن تكون له أخلاق بلا عيب فلا تكون معرّضة لأي احتمال للوم بحسب معيار البر البشري، لأنه هكذا يتكلّم أيضًا داود النبي في موضع ما، فصاغ بطريقة ممتازة توسلاته إلى الله قائلاً "*أقض لي يا رب حسب بري وبحسب براءتي جازني*" (مز ٧:٨ س). لأن براءة وبرّ الملائكة القديسين الذي يتناسب مع طبيعتهم ومجدهم هو متميّز تمامًا عن برّ سكان الأرض، لأن طبيعة الأرضيين هي من نوع أدنى وأقل من كل جهة كما أنهم أقل منهم في الطبيعة أيضًا. لكن الذين يريدون أن يحيوا في قداسة، لا يمكنهم أن يفعلوا بدون مشقة: لأن الطريق المؤدي



إلى الفضيلة هو دائمًا صعب وعسير جدًا لغالبية الناس أن يسيروا فيه، لأن الأتعاب تنشأ أمامنا، ونحن نحتاج إلى ثبات وصبر وسلوك نبيل، بل وما هو أكثر من هذا نحن نحتاج إلى ذهن لا يمكن أن يسود عليه الانحلال ليشترك في الملذات الدنيئة، أو أن تقوده دوافع غير عاقلة إلى الشهوة الجسدانية. فذلك الذي قد وصل إلى هذا المستوى في ذهنه وثباته الروحي سيدخل بسهولة من الباب الضيق، ويركض في الطريق الكرب. لأنه مكتوب اسمه "*بالمشقات يتعب الإنسان لأجل ذاته، وبتغصب ينتصر على هلاكه*" (أم١٦: ٢٦س).

أنت تسمع كيف يقول النبي بوضوح أنه ينتصر على هلاكه بالتغصب، لأنه هكذا يقول الرب نفسه: "*ملكوت السموات يُغصب، والغاصبون يختطفونه*" (مت ١١: ١٢).

لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي بكثيرين إلى الهلاك.

وما الذي ينبغي أن نفهمه من رحابة الطريق؟ إنه يعني ميلاً مفرطًا للشهوة الجسدية، يعني حياة دنيئة ومحبة للذة، وتلذذًا بالولائم الفخمة المترفة، والمرح الصاخب والعربدة، وانعطافًا غير مكبوح إلى كل ما يدينه الناموس وإلى ما هو غير مُرضٍ لله. إنه يعني ذهنًا صَلِبْ الرقبة لا ينحني لنير الناموس، حياة ملعونة ومتراخية في كل فجور، وطاردة للناموس الإلهي من ذاتها وغير مكترثة تمامًا للوصايا المقدَّسة: إنه يعني الغنى والرذائل التي تنبع منه، الازدراء والكبرياء والتخيّل الباطل للشهوات الزائلة، وعلى الذين يريدون الدخول من الباب الضيق لكي يكونوا مع المسيح وأن يفرحوا معيّدين معه أن يبتعدوا من كل هذه الأمور.

وقد أظهر في الحال بمَثَلٍ واضحٍ أن الذين ليس لهم هذا الاهتمام لا يمكنهم السير في هذا الطريق. لأن الذين جاءوا متأخرين جدًا ـ ولم يصلوا إلى الوليمة ـ كان نصيبهم أن يُرفضوا في الحال، إذ يقول: "*من بعد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب وابتدأوا يقفون خارجًا ويقرعون الباب قائلين يا رب يا رب افتح لنا*، يجيب *ويقول لهم: لا أعرفكم من أين أنتم*" لأن في هذا التصوير كما لو كان رب بيت قد

جمع كثيرين من جيرانه في بيته وعلى مائدته، وفيما بعد دخل مع ضيوفه وأغلق الباب، يقول إن أولئك الذين يقرعون بعد ذلك سيكون الرّد عليهم هكذا: "*لا أعرفكم من أين أنتم..*"، ويقول: ولو أنكم تلحون قائلين: "*أكلنا قدامك وشربنا وعلَّمتَ في شوارعنا*"، فإنكم سوف تسمعون القول: "*لا أعرفكم من أين أنتم، تباعدوا عني يا جميع فاعلي الظلم* ". لأنه ليس هناك شركة للنور مع الظلمة، ولا يمكن لأي واحد أن يكون قريبًا من الإله الكامل النقاوة وهو ملوَّث بأدناس الخطيّة ولم يغتسل من نجاسته بعد. لكن يلزمنا بعد ذلك أن نسأل عن مَنْ هم الذين قالوا للمسيح: "*أكلنا قدامك وشربنا وعلَّمت في شوارعنا*"؟ فمثل هذا التأكيد يناسب الإسرائيليين الذين قال لهم المسيح أيضًا: "*ستروْن إبراهيم وإسحق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله وأنتم مطروحون خارجًا* ".

لكن كيف كانوا يأكلون ويشربون أمام الله؟

أجيب: بأدائهم الخدمة التي شرّعها الناموس، لأن عند تقديمهم ذبائح لله بسفك دمها، أكلوا وطاب قلبهم، وهم سمعوا أيضًا في مجامعهم كتابات موسى تُفَسِر لهم رسائل الله، لأنه كان دائمًا يستهل كلامه دائمًا: " *هكذا يقول الرب*". إذن هؤلاء هم الذين يقولون: "*أكلنا قدامك وشربنا وعلَّمت في شوارعنا*". لكن العبادة بسفك الدم ليست كافية للتبرير، ولا أيضًا يغتسل الإنسان من خطاياه حقًا إن كان فقط مستمعًا للشرائع الإلهية دون إن يفعل شيئًا مما أُوصي به.

وبطريقة أخرى، فطالما أنهم رفضوا قبول الإيمان الذي يبرّر الأثيم، ولم يتبعوا الوصايا الإنجيلية التي يمكن بواسطتها ممارسة الحياة الممتازة والمختارة، فكيف يمكنهم الدخول إلى ملكوت الله؟ لذلك فالرمز لا يفيد لأنه لا ينفع أي إنسان، ويستحيل على دم الثيران والعجول أن ينزع خطايا.

يمكنك أن تعدّد مع الذين سبق ذكرهم بعض أناس آخرين يمكنهم أن يقولوا أيضًا لديّان الكلّ: "*أكلنا قدامك وشربنا وعلَّمت في شوارعنا*". فمن هم هؤلاء أيضًا؟

كثيرون آمنوا بالمسيح ويحتفلون بالأعياد المقدّسة إكرامًا له ويتردّدون على



الكنائس ويسمعون أيضًا تعاليم الإنجيل، لكنهم لا يختزنون في ذهنهم أي شيء من حقائق الكتاب بالمرّة، وبمشقة يأتون إلى ممارسة الفضيلة، بينما قلبهم يكون عاريًا تمامًا من الثمر الروحي. هؤلاء أيضًا سيبكون بمرارة ويصرّون بأسنانهم لأن الرب سينكرهم أيضًا لأنه قد قال: "*ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات، بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات* " (مت ٧:٢١).

لكن كون اليهود على وشك السقوط تمامًا من رتبتهم كأهل بيته بالمعنى الروحي، وأن جموع الأمميين سيدخلون عوضًا عنهم فهذا أظهره بقوله سوف يأتون من المشارق ومن المغارب ومن الشمال والجنوب أي يأتي كثيرون ممن قبلوا الدعوة ويتكلّمون مع القديسين، أما اليهود سيُطرحون خارجًا لأنه بينما كانت لهم قبلاً المرتبة الأولى، فإنهم سوف يأخذون الآن الموضع الثاني بسبب أن الآخرين صاروا مُفضّلين عليهم. وهذا حدث فعلاً، لأنه تم إكرام الأمميين أكثر جدًا من القطيع اليهودي، لأنهم كانوا مدانين بالعصيان وبقتلهم للرب، بينما أن الأمميين أكرموا الإيمان الذي في المسيح الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.



عظة ١٠٠

الرب يفضح الفريسيين

(لو١٣: ٣٠ـ٣٥): "*فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلِينَ لَهُ: اخْرُجْ وَاذْهَبْ مِنْ هَهُنَا لأَنَّ هِيرُودُسَ يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَكَ. فَقَالَ لَهُمْ: امْضُوا وَقُولُوا لِهَذَا الثَّعْلَبِ: هَا أَنَا أُخْرِجُ شَيَاطِينَ وَأَشْفِي الْيَوْمَ وَغَدًا وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ أُكَمَّلُ. بَلْ يَنْبَغِي أَنْ أَسِيرَ الْيَوْمَ وَغَدًا وَمَا يَلِيهِ لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجًا عَنْ أُورُشَلِيمَ. يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا. هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا! وَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ لاَ تَرَوْنَنِي حَتَّى يَأْتِيَ وَقْتٌ تَقُولُونَ فِيهِ: مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ*".

إن جماعة الفريسيين كانوا أشرارًا ومصمّمين ومتلهفين إلى الخداع والغش، ويصرون بأسنانهم على المسيح وتشتعل قلوبهم بنيران الحسد حينما يرون الناس يبدون إعجابهم به، مع أن واجبهم كان بالأولى ـ بصفتهم قادة للشعب ويرأسون جموع العامة ـ هو أن يقودوهم إلى الاعتراف بمجد المسيح، لأن هذا كان هو الغرض من سَنْ الشريعة وكرازة الأنبياء القديسين، ولكنهم في شرّهم العظيم لم يتصرفوا هكذا، بل بالعكس فإنهم بكل طريقة، أثاروا سخطه باستمرار، ولذلك قال المسيح لهم: "*ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة، ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم*" (انظر لو ١١:٥٢). لأنه يمكن للمرء أن يرى أنهم قد سقطوا في حالة الخبث هذه، وفي وضع مُضاد تمامًا لمحبة الله، حتى أنهم لم يكونوا يرغبون أن يقيم في أورشليم خوفًا من أن يفيد الناس، سواء بملئهم بالدهشة بسبب معجزاته الإلهية أو بإنارتهم بنور الرؤية الصحيحة لله بواسطة تعليم الحقائق التي هي أعلى من تعاليم الناموس. هذه هي الأفكار التي تقودنا إليها الدروس الموضوعة أمامنا الآن، إذ يقول النص: "*في ذلك اليوم تقدّم بعض الفريسيين قائلين له: "اخرج واذهب من ههنا لأن هيرودس يريد أن يقتلك*".



تعالوا لنثبّت عين الذهن الفاحصة على ما قالوه هنا، لنفحص بتدقيق لكي نرى هل الذين قالوا هذا الكلام هم من بين الذين يحبونه أم هم ضمن من يقاومونه. ولكن كما هو واضح فمن السهل أن ندرك أنهم كانوا يقاومونه بشدة. فمثلاً أقام المسيح الميّت من القبر مستخدمًا في ذلك قوة هي قوة الله، لأنه صرخ: "*لعازر هلّم خارجًا*" (يو ١١:٤٣)، وقال لابن الأرملة: "*أيها الشاب لك أقول قم*" (لو ٧:١٤)، أما هم فقد جعلوا المعجزة وقودًا لحسدهم، بل إنهم قالوا حين اجتمعوا معًا: "*ماذا نصنع فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة، إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به فيأتي الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا. فقال لهم واحد وهو قيافا ـــ الذي كان يخطط لقتله ـــ " أنتم لستم تعرفون شيئًا، ولا تفكرون أنه خيرٌ لنا أن يموت إنسان واحد ولا تهلك الأمة كلها*" (انظر يو ١١:٤٧ـــ٥٠).

وهم قاوموه أيضًا بطرق أخرى، أحيانًا بمعاملته بازدراء والاستهزاء بقوته المعجزية، بل والتجاسر على سلطانه الإلهي قائلين إن كل ما يعمله هو بواسطة بعلزبول، بل وفي مرّة أخرى سعوا في تسليمه إلى سلطات القيصر، فلكي يتهموه أنه يمنع الإسرائيليين من دفع الجزية لقيصر، اقتربوا منه بخبث ومكر قائلين: "*أيجوز أنَ تُعطى جزية لقيصر أم لا؟*" (لو ٢٠:٢٢). فهل يمكن إذًا لكل من وضعوا له أنواع الفخاخ هذه، الذين في وقاحتهم وقساوتهم لم يتورَّعوا حتى عن القتل، الذين لكونهم بارعين في الشر، هاجموه بعنف شديد القسوة، ومارسوا باجتهاد كل هذه الحيَل لأنهم يكرهونه كراهية مُطلقة، هل يمكن أن نعتبرهم ضمن من أحبوه؟

فلماذا إذًا تقدَّموا إليه قائلين: " *اخرج واذهب من ههنا لأن هيرودس يريد أن يقتلك؟*"، وما هو غرضهم من هذا الكلام؟

إن البشير يخبرنا عن هذا بقوله: "*في ذلك اليوم (تلك الساعة) تقدَّم إليه*"، وما معنى هذه اللهجة المدقِّقة؟ لماذا كان هذا الإتقان (في التحديد)؟ أو أي يوم (حرفيًا ساعة) يقصد أنَّ الفريسيين قالوا فيه هذا الكلام ليسوع؟ كان يسوع مُنشغلاً في تعليم جموع اليهود، عندما سأله أحدهم إن كان كثيرون هم الذين يخلصون، ولكنه عبر على

السؤال كأمر غير مفيد، واتجه إلى ما كان مناسبًا أن يخبرهم بـه إذ أخبرهم عن الطريق الذي ينبغي للناس أن يسيروا فيه ليصيروا ورثة لملكوت السموات إذ قال: "*اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق*" وأخبرهم أنهم لو رفضوا أن يفعلوا هذا، فإنهم "*سيرون إبراهيم واسحق ويعقوب وجميع الأنبياء في ملكوت الله وهم يُطرحون خارجًا*" وأضاف بعد ذلك قوله: "*حيث إنهم كانوا أولين، فسيصيرون آخرين*" بسبب دعوة الوثنيين.

أثارت هذه الملاحظات غضب الفريسيين إذ رأوا الجموع تتوب بالفعل، وتقبل الإيمان به بحماس، وأنهم لم يعودوا يحتاجون سوى قليل من التعليم أيضًا ليعرفوا مجده وعظمة سر تجسده الذي يستحق السجود، لذلك إذ كان من المحتمل أن يفقد (الفريسيون) وظيفتهم كرؤساء للشعب، بل وإذ كانوا قد سقطوا بالفعل وطُردوا من سلطانهم على الشعب، وحُرموا من المنافع التي يجنونها منه، لأنهم كانوا محبين للمال وجشعين وباعوا أنفسهم للربح الحرام ـ نراهم وقد تظاهروا بالمحبة له، فتقدموا إليه قائلين: "*اخرج واذهب من ههنا لأن هيرودس يريد أن يقتلك*".

لكن أيها الفريسي صاحب القلب الحجري، لو كنت حكيمًا، لو كنت على دراية حسنة بشريعة موسى الحكيم جدًا، لو أنك ثبّت ذهنك على إعلانات الأنبياء القديسين، لمَا غاب عنك أنه مادام ذهنك مملوءًا مرارةً وحقدًا، فلابد أن تتكشف مشاعرك الكاذبة. إنه لم يكن مجرد إنسان وواحد من الذين يشبهوننا حتى يكون بذلك مُعرضًا للخداع، بل هو الله في شبهنا، هو الله الذي يفهم كل شئ، كما هو مكتوب: "*يعرف الأسرار وفاحص القلوب والكلى*" (مز ٢١:٤٣ س، مز ٧:١)، وهو الذي "*كل شيء عريان ومكشوف له*" (عب ١٣:٤)، والذي لا يُخفى عليه شيء، لكنك لم تعرف هذا السر الثمين والعظيم، وظننت أنه يُمكنك أن تخدع حتى ذلك الذي قال: "*من الذي يُخفي عني فكره ويُغلق على الكلمات في قلبه ويظن أنه أخفاها عني؟*" (أي ٢:٣٨ س).

فكيف أجاب المسيح عن هذه الأشياء؟

إنه أجابهم برفق وبمعنى خفي كما هي عادته، إذ قال: "*امضوا وقولوا لهذا*



الثعلب".

أصغوا بانتباه إلى قوة التعبير، لأنه يبدو أن الكلمات المستخدمة كانت موجهة لشخص هيرودس، لكنها بالحري تشير أيضًا إلى دهاء الفريسيين، لأنه بينما كان من الطبيعي أن يقول: "*قولوا لذلك الثعلب*"، فإنه لم يفعل هكذا، بل استخدم بمهارة فائقة نوعًا وسيطًا من التعبير، وأشار إلى الفريسي الذي كان بالقرب منه وقال: "*هذا الثعلب*"، وهو يقارن الإنسان بثعلب، لأنه من الثابت أنه حيوان ماكر جدًّا، ولو كان لي أن أقول، فهو خبيث تمامًا كما كان الفريسيون، لكن ماذا أوصاهم أن يقولوا (لهيرودس)؟: "*هاأنا أخرج شياطين وأشفي اليوم وغدًا وفي اليوم الثالث أكمَّل*". أنتم ترون أنه يُعلن قصده في أن يعمل ما يعرف أنه سيُحزن معشر الفريسيين، الذين يريدون طرده من أورشليم لئلا بعمل الآيات يربح كثيرين إلى الإيمان به، لكن حيث إن هدفهم هنا لم يُخفَ عليه لكونه الله، فإنه يعلن قصده في عمل ما يبغضونه ويقول إنه: سينتهر الأرواح النجسة ويخلِّص المرضى من أتعابهم وأنه سيُكمَّل، والتي تعني أنه بمشيئته سوف يحتمل الآلام على الصليب لأجل خلاص العالم. لذلك كما يبدو، فإنه عرف كيف ومتى سيحتمل الموت بالجسد.

لكن الفريسيين تخيّلوا أن سلطان هيرودس سيرعبه، وسوف يخضعه للمخاوف رغم أنه رب القوات الذي يُولِّد فينا شجاعة روحية بكلماته التي تقول: "*لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أنَ يقتلوها*" (مت ١٠:٢٨)، وأوضح أنه لا يضع اعتبارًا لعنف الناس، بقوله: "*بل ينبغي أن أسير اليوم وغدًا وما يليه*". وبقوله: "*ينبغي لي*" فإنه لا يعني بأنها ضرورة حتميّة ــ قد وُضعت عليه، بل بالحري تعني أنه بسلطان مشيئته الخاصة، وبحرية وبدون تعرّض للخطر فإنه سيمضي إلى حيث أراد أن يمضي ويجتاز اليهودية دون أن يقاومه أحد أو يتآمر ضده، إلى أن يقبل نهايته بإرادته الخاصة بالموت على الصليب الثمين.

لذلك فليمتنع قتلة الرب هؤلاء عن التباهي بأنفسهم أو أن يتشامخوا بعجرفة عليه. أنت أيها الفريسي، لم تحرز النصرة على شخص هارب من الألم، أنت لم تمسكه

رغمًا عنه، ولم تبسط سيطرتك على من رفض أن يُضبط في شباك مكرك، بل هو الذي بمحض إرادته ارتضى أن يتألم لأنه متيقّن جدًا أنه بموت جسده سيلاشى الموت ويعود ثانية إلى الحياة، فإنه قام من الأموات وقد أقام معه الطبيعة الإنسانية كلها وأعاد صياغتها من جديد إلى حياة لا تفسد.

لكنه يُظهِر أن أورشليم ملوّثة بدماء كثير من القديسين فيقول: "*لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارجًا عن أورشليم*" وما الذي ينتج من هذا؟ ينتج من هذا أنهم كانوا على وشك أن يسقطوا من عضويّتهم في عائلة الله الروحية، وأنهم كانوا على وشك أن يُرفضوا من رجاء القديسين ويُحرَموا تمامًا من ميراث تلك البركات المُذخّرة لمن قد خَلصوا بالإيمان. أما عن كونهم كانوا ناسين تمامًا لعطايا الله وجامحين ومتكاسلين من جهة كل شيء يمكن أن ينفعهم، فهذا أظهره بقوله: "*يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها*، كم مرة *أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا، هوذا بيتكم يُترك لكم خرابًا*" (لو ١٣:٣٤ــ٣٥). لأن الله علّمهم بواسطة موسى الحكيم جدًا ورتب لهم ناموسًا ليوجّههم في سلوكهم ويكون قائدهم ومرشدهم في حياة جديرة بالإعجاب، والذي رغم أنه ليس سوى ظلال لكنه كان يحوي رمز العبادة الحقيقية. فالله قد نصحهم بواسطة الأنبياء القديسين، وكان سيجعلهم تحت الحماية أي تحت سلطانه، لكنهم فقدوا هذه البركات الثمينة بكونهم أردياء في دوافعهم وغير شاكرين ومستهزئين.

ثم يقول الرب: "*إنكم لا ترونني حتى يأتيَ وقت تقولون فيه مبارك الآتي باسم الرب* " (تابع لو ١٣:٣٥).

فماذا يعنى هذا أيضًا؟ الرب ينسحب من أورشليم، ويترك أولئك الذين قالوا له اخرج واذهب من ههنا، لأنهم غير مستحقين لحضوره بينهم. وبعد ذلك إذ اجتاز اليهودية وخلّص كثيرين، وأجرى معجزات كثيرة يعجز الكلام عن وصفها بدقة، عاد ثانية إلى أورشليم، هذا حدث عندما دخل جالسًا على أتان وجحش ابن أتان، بينما الجموع المحتشدة والأطفال يحملون في أيديهم سعف النخيل وساروا أمامه وهم



يسبحونه قائلين: "*أوصانا لابن داود، مبارك الآتي باسم الرب*" (مت ٢١:٩). لذلك إذ قد تركهم بسبب أنهم غير مستحقين، يقول إنهم لن يروه إلاّ حينما يكون وقت آلامه قد حلّ، لأنه مضى أيضًا إلى أورشليم ودخلها وسط التهليل، وفي تلك المرة ذاتها كابد آلامه المُخلِّصة نيابة عنا، لكي بالآلام يُخلِّص ويجدّد ـ إلى عدم فساد ـ سكان الأرض. لأن الله قد خلّصنا بالمسيح، الذي به وله مع الآب والروح القدس التسبيح والسلطان إلى دهر الدهور. آمين.





(أيقونة تصور شفاء المسيح للإنسان المستسقى)

الأصحاح الرابع عشر





وإذ جاء إلى بيت أحد رؤساء الفريسيين فى السبت
ليأكل خبزاً كانوا يراقبونه

الأصحاح الرابع عشر

عظة ١٠١

شفاء مُستسق يوم السبت

(لو ١٤: ١ـــ٦) *" وَإِذْ جَاءَ إِلَى بَيْتِ أَحَدِ رُؤَسَاءِ الْفَرِّيسِيِّينَ فِي السَّبْتِ لِيَأْكُلَ خُبْزًا كَانُوا يُرَاقِبُونَهُ. وَإِذَا إِنْسَانٌ مُسْتَسْقٍ كَانَ قُدَّامَهُ. فَسَأَلَ يَسُوعُ النَّامُوسِيِّينَ وَالْفَرِّيسِيِّينَ: هَلْ يَحِلُّ الإِبْرَاءُ فِي السَّبْتِ؟. فَسَكَتُوا. فَأَمْسَكَهُ وَأَبْرَأَهُ وَأَطْلَقَهُ. ثُمَّ سَأَلَ: مَنْ مِنْكُمْ يَسْقُطُ حِمَارُهُ أَوْ ثَوْرُهُ فِي بِئْرٍ وَلاَ يَنْشُلُهُ حَالاً فِي يَوْمِ السَّبْتِ؟. فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُجِيبُوهُ عَنْ ذَلِكَ ".*

يُجري الرب من جديد معجزات ويمارس قوة إلهية فائقة، ويعمل أعماله العادية ويُظهر مجده، فهو بطرق كثيرة يقدّم منفعة للفريسيين الجموحين والمعاندين. لأنه كما أن الأمراض المستعصية أكثر من غيرها لا تستسلم لمهارة الأطباء، بل تستلزم أقصى قوة من الأشخاص ذوى الذكاء الحاد، كذلك أيضًا الذهن البشرى الذي قد حاد إلى الشر يرفض كل ما يمكن أن ينفعه، حتى أنه يصير ضحية لميل غير مقهور نحو العصيان، وهو قد وصل إلى هذه الحالة بانحرافات عن الطريق الصحيح لم يتم توبيخها.

ويمكن لمن سيعطي انتباهه للدروس الموضوعة أمامنا هنا أن يرى أن هذا الأمر حقيقي لا يُنكر، لأن فريسيًا من طبقة عالية فوق العادة دعا يسوع إلى وليمة، ومع أن الرب عرف خبثهم مضى معه واشترك معهم في الطعام، وهو أذعن لهذا الأمر تنازلاً منه، وليس لكي يكرّم من دعاه، بل بالحرى لكي ينفع أولئك الذين كانوا في صحبة الفريسي، وذلك بواسطة تلك الكلمات والأعمال المعجزية التي يمكن أن تقودهم إلى الاعتراف بالعبادة الحقيقية، وهى تلك التي يُعلِّمها لنا الإنجيل، لأنه عرف أنه سيجعلهم شهود عيان لقوته ومجده الذي هو أكثر من أية مجد بشري. لعلهم بهذا يمكنهم أن يؤمنوا أنه هو إله وابن الله الذي اتخذ شكلنا، ولكنه استمر بغير تغيير، ولم يكف عن

أن يكون ما قد كان عليه دائمًا.

إذًا فهو قد صار ضيفًا لمن يدعوه، كي يتمّم ــ كما قلت ــ واجبًا ضروريًا. ولكن يقول الإنجيل إنهم كانوا يراقبونه، ولأي سبب كانوا يراقبونه، وعلى أي أساس؟ لكي يروا إن كان يتجاهل الإكرام الواجب للناموس، وهكذا يفعل شيئًا أو آخر من الأشياء الممنوعة في السبت. لكن أيها اليهودي عديم الشعور، افهم أن الناموس كان ظلاً ومثالاً ينتظر مجيء الحق، والحق هو المسيح ووصاياه، فلماذا إذن تتمسك بالمثال وتشهره كسلاح ضد الحق؟ لماذا تجعل الظل مقاومًا ومضادًا للتفسير الروحاني؟ احفظ سبتك بتعقّل، ولكن إن لم ترتضِ أن تفعل هكذا، ستقطع نفسك من حفظ السبت الذي هو مُرضٍ لله، ولن تعرف الراحة الحقيقية التي يطلبها منا من أعطى الناموس لموسى في القديم، فلنكف عن خطايانا، ولنسترح من آثامنا ولنغسل ذنوبنا، ولنتحاشَ الحب الجسداني النجس، ولنهرب بعيدًا عن الطمع والنهب والمكاسب غير الشريفة ومن محبة الربح القبيح ولنجمع أولاً مؤنًا لنفوسنا لأجل الطريق، القوت الذي يكفينا في الدهر الآتي، ولنعكف على الأعمال المقدَّسة، وبهذا نحفظ السبت عقليًا وروحيًا. أولئك الذين كانت وظيفتهم أن يخدموا بينكم بحسب الناموس، واعتادوا أن يقدّموا لله الذبائح المعينة حتى ولو في يوم السبت، وذبحوا الذبائح في الهيكل، وأدوا أعمال الخدمة تلك التي كانت موضوعة عليهم ولم يلمهم أحد، وحتى الناموس ذاته صمت من جهتهم. لذلك فإن الناموس لم يمنع الناس من أن يقدّموا الخدمة في السبت. لذلك كان هذا مثالاً لنا، لأنه ــ كما قلت ــ فإنه من واجبنا أن نحفظ السبت بطريقة عقلية روحية لنرضي الله برائحة روحية طيبة، وكما قلت من قبل نحن نتمّم هذا حينما نكف عن الخطايا ونقدّم لله رائحة مقدَّسة وجديرة بالإعجاب كتقدمة مقدَّسة، ونتقدم بثبات نحو كل فضيلة، لأن هذه هي الذبيحة الروحانية المرضية عند الله. لكن إن لم يكن لك شيء من هذا في ذهنك وتتمسك فقط بحرف كتاب الناموس، وتخلّيت عن الحق كشيء لا يمكنك أن تصل إليه، فاسمع الله الذي يخبرك بصوت إشعياء النبي فيقول: "*غلِّظ قلب هذا الشعب وأطمس عينيه وثقل أذنيه لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا*



بقلبهم ويرجعوا فأشفيهم" (إش ٦: ١٠ س). فكيف لم يكونوا ثقيلي (الأذن) وبدون فهم ولهم ذهن أهمل المعونة (المقدَّمة) له، وهم الذين عندما كان يمكنهم أن يدركوا أنه المسيح بواسطة تعليمه الذي كان يفوق الناموس وبالعجائب التي أجراها، (إلاّ أنهم) كانوا معاندين ووضعوا في اعتبارهم فقط فكرتهم التي سبق فتخيّلوها عن الصواب، أو بالحري كانوا مهتمين فقط بما أحدرهم إلى هوة الهلاك !

لكن ماذا كانت المعجزة التي كانوا معاينين لها؟ كان يوجد أمام الرب إنسان مُستَسْقٍ، لذلك يسأل الرب الناموسيين والفريسيين إن كان يَحلّ الإبراء في السبت أم لا ؟ والكتاب يقول: إنهم، "سكتوا".

لكن لماذا صَمتَ أيها الناموسي؟ أُذكر شيئًا من الأسفار يبيّن أنَّ ناموس موسى يلوم فعل الخير في السبت؟ برهن لنا أن الناموس يريدنا من أجل راحة أجسادنا أن نكون قساة القلب وغير رحومين أي أنه يمنع الشفقة وذلك من أجل إكرام السبت؟ أن هذا الأمر لا يمكنك أن تبرهن عليه من أي جزء في الناموس. ولأنهم كانوا صامتين بدافع من الخبث، فالمسيح يدحض وقاحتهم التي لا تهدأ بواسطة الحجج المقنعة التي يستعملها. فيقول: "*مَنْ منكم يسقط حماره أو ثوره في بئر ولا ينشله حالاً في السبت؟*" (لو ١٤: ٥). لو أن الناموس يمنع إظهار الرحمة في السبوت، فلماذا تشفقون أنتم على ذلك الحيوان الذي سقط في بئر؟ إذن لا تزعج ذاتك بخصوص ما يتعرّض له ابنك من خطر في يوم السبت! وانتهر حركة العاطفة الطبيعية التي تحرضك على الإحساس بالحب الأبوي! وسلم ابنك بفرح إلى القبر لكي ما تكرم مُعطي الناموس إذ تعلم أنه قاسٍ وغير رحوم. ليكن صديقك في خطر، ولكن لا تعطه أدنى انتباه من الآن، ولا حتى أيضًا لو بكى طفلك طالبًا المعونة، بل قل له: "*مُت فهذه إرادة الناموس*". إنك لن تقبل هذه الأفكار، بل سوف تمد يد المعونة لمن هو في الضيق، وتعطيه إكرامًا أكثر من الواجب للناموس، أو بالأحرى أكثرَ من راحة لا معنى لها، حتى لو لم تكن تعترف بعد أن السبت ينبغي أن يُحفظ بطريقة روحية. إن إله الكل لم يتوقف من أن يكون عطوفًا، فهو صالح ومحب للبشر، ولم يؤسس ناموس موسى كوسيط للقسوة،

ولا أيضًا جعله معلّمًا للخشونة والوحشية بل بالأحرى كي يقودك إلى محبة القريب. فكيف كان يليق أن وصية مكرّمة هكذا وجديرة بالإعجاب، تفقد قوتها يوم السبت حسب إرادة الله؟ لماذا إذن تصمت أيها الناموسي؟ هذا اعتراف منك أنه ليس لك شيء تقوله، لأن قوة الحق هي شيء عظيم لا يُقهر، وهي قادرة أن تربك الذهن الحسود وتبكم اللسان الكثير العيب.

فالمسيح لم يعط انتباهًا لحسد اليهود وغيرتهم، بل هو أنقذ المريض المُصاب بالاستسقاء وشفاه من مرضه المستعصي.

لقد رأيت أيها اليهودي، المعجزة، إذن فمجد صانعها، أدرك قوته وعظمة سلطانه، اعترف أنه هو الله، قدّم له إيمانك ولا تكن معاندًا، بل كما يقول يوئيل النبي: "*مزقوا قلوبكم لا ثيابكم*" (يو ٢:١٣). وسّع ذهنك وافتح عين قلبك، وافهم أن الأعمال التي يعملها هي أعمال الألوهية حتى لو كان هو إنسانًا مشابهًا لنا في المظهر. لذلك اعترِف بمن لأجلنا لبس شبهنا، مع أنه بالرغم من هذا هو أعلى منا جدًا، أو بالأحرى هو فوق كل الخليقة بميلاده الذي لا يُنطق به من الله الآب، لأنه هو ابن لمن هو فائق على الكل. لكن ومع أنه كان هو الرب، فإنه أخذ شكل العبد، لكي ما يجعل العبد مشابهًا له، لكنه لم يتوقف عن أن يكون هو الله، بل ظل كما هو والذي له تسجد الملائكة والرياسات والعروش والربوبيات، والسيرافيم يسبحونه، فلنعبده نحن أيضًا بالإيمان، ونرتفع بمعونته إلى نصيب القديسين، الذي به وله مع الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.



عظة ١٠٢
المتكأ الأخير

(لو ١٤: ٧-١١): "*وَقَالَ لِلْمَدْعُوِّينَ مَثَلاً وَهُوَ يُلاَحِظُ كَيْفَ اخْتَارُوا الْمُتَّكَآت الأُولَى قَائلاً لهم: مَتَى دُعِيتَ مِنْ أَحَدٍ إِلَى عُرْسٍ فَلاَ تَتَّكِئْ فِي الْمُتَّكَأ الأَوَّلِ لَعَلَّ أَكْرَمَ مِنْكَ يَكُونُ قَدْ دُعِيَ مِنْهُ. فَيَأْتِيَ الَّذِي دَعَاكَ وَإِيَّاهُ وَيَقُولَ لَكَ: أَعْطِ مَكَانًا لِهَذَا. فَحِينَئِذٍ تَبْتَدِئُ بِخَجَلٍ تَأْخُذُ الْمَوْضِعَ الأَخِيرَ. بَلْ مَتَى دُعِيتَ فَاذْهَبْ وَاتَّكِئْ فِي الْمَوْضِعِ الأَخِيرِ حَتَّى إِذَا جَاءَ الَّذِي دَعَاكَ يَقُولُ لَكَ: يَا صَدِيقُ ارْتَفِعْ إِلَى فَوْقُ. حِينَئِذٍ يَكُونُ لَكَ مَجْدٌ أَمَامَ الْمُتَّكِئِينَ مَعَكَ. لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ* "

لا يكف المخلص عن إجراء عمل أو آخر إلاّ ويكون مفعمًا بالفوائد، كما يرشد بالتحذيرات والنصائح كل من يقترب منه نحو التصرّف اللائق، ويعلّمه تلك الرزانة التي تليق بالقديسين، كما يقول بولس: "*لكي يكون إنسان الله كاملاً متأهبًا لكل عمل صالح*" (٢تي ٣: ١٧)، وهو يُمسك بكل فرصة مهما كانت بسيطة، ويرسم لنا بكلماته نصائح جديرة جدًّا بانتباهنا، وهو بهذا يُشبه مزارعًا نشيطًا، لأنه يقطع من أذهاننا كل ما يستوجب اللوم والتوبيخ وما يجلب العار على أولئك الذين يرتكبونه، ويزرع فينا كل ثمر الفضيلة، لأننا كما يقول الكتاب، "*فلاحة الله*" (١كو ٣: ٩).

والفائدة التي يكشفها لنا هنا أيضًا، هذه نتعلّمها من الفقرة التي قُرأت الآن، لأنه كان يأكل يوم السبت مع أحد الفرّيسيين بحسب دعوة الأخير له. أما هدفه من ذلك ودافعه إليه، فقد شرحناه في اجتماعنا السابق، ولكن نظرًا لأنه لاحظ بعضًا من المدعوين يتمسكون بغباء بالمتكآت الأعلى، كشيء مهم ويستحق السعي إليه، ولأنهم كانوا توّاقين إلى المجد الباطل، فلأجل منفعتهم ومنفعتنا فإنه ينطق بتحذير عاجل قائلاً: "*متى دُعيت من أحد، فلا تتكئ في المتكأ*



الأول لعل أكرم منك يكون قد دُعي منه، فيأتي الذي دعاك وإياه ويقول لك أعط مكانًا لهذا، فحينئذ تبتدئ بخجل تأخذ الموضع الأخير".

فربما تبدو هذه الأمور للبعض أنها تافهة، وغير جديرة بانتباه كثير، ولكن حينما يُثبِّت أي واحد عين ذهنه عليها، فإنه يعرف أن هذه الأمور تنقذه من لوم كثير له وتجعل حياته منتظمة انتظامًا عظيمًا. فأولاً، إن الجري وراء الكرامات غير مناسب ولا يليق بنا، بل يُظهر أننا أغبياء، وقحين، متعجرفين، ممسكوين بما لا يناسبنا بل بما يناسب الآخرين الذين هم أعظم وأعلى منا وكل من يتصرف هكذا هو مكروه، وكثيرًا ما يكون أيضًا موضع سخرية عندما يُعيد للآخرين رغم إرادته ـ الكرامة التي لم تكن له ـ لأنه حينما يأتي مَنْ هو أكرم منك، فذلك الذي دعاك وإياه سوف يقول لك أعط مكانًا لهذا، آه! أي خزي عظيم يكون عندما يتم هذا العمل! إنه مثل السرقة وإعادة الأشياء المسروقة فينبغي، أن يرد ما قد أخذه، لأنه ليس له حق في أن يأخذه. أما الرجل المتواضع والجدير بالثناء، الذي بدون خوف من اللوم يحق له الجلوس بين الأولين، ولا يبحث عن هذا المُتَكأ، بل يقدِّم للآخرين ما يحق لهم وهو يبدو غير مغلوب من المجد الباطل، مثل هذا سوف يحصل على الكرامة كما يحق له، لأنه سوف يسمع: "*الذي دعاه يقول: ارتفع إلى فوق*".

والآن لذلك فالفكر المتواضع هو خير عظيم يفوق الوصف لأنه يُخلِّص أصحابه من اللوم والاحتقار ومن تهمة المجد الباطل، أما محب المجد الباطل فيقول: نعم! " إنني أحب أن أكون مشهورًا ومعروفًا وليس مُحتَقَرًا ومهملاً ومعدودًا ضمن غير المعروفين ". فإن كنت ترغب في المجد البشرى الزائل، فأنت إنما تضل عن الطريق المستقيم والذي به يمكن أن تصير لامعًا حقًا، وتصل إلى المديح الذي يستحق الاقتداء به، لأنه مكتوب: "*لأن كل جسد كعشب، وكل مجد إنسان كزرع عشب*" (١بط ١:٢٤)، كما يلوم داود النبي هؤلاء الذين يحبون الكرامات الزمنية، وعنهم يتكلّم هكذا: "*وليكونوا كعشب السطوح الذي ييبس*



قبل أن يُقطع" (مز ١٢٨:٦ س). فكما أن العشب الذي ينبت على السطوح ليس له جذر عميق ثابت، ولذا يجف بسهولة، فهكذا أيضًا من يَجِل الكرامة العالمية، فبعد أن يكون بارزًا لوقت قصير، كزهره فإنه، ينحط أخيرًا إلى العدم.

لذلك فإن رغب أحد بينكم أن يجلس أعلى من الآخرين، فدعه يربح ذلك بمرسوم سماوي، وأن يكلّل بتلك الكرامات التي يمنحها الله. دعه يتفوّق على كثيرين بأن تكون له شهادة الفضائل المجيدة. أما أساس الفضيلة فهو الفكر المنخفض الذي لا يحب التفاخر، نعم إنه التواضع، وهذا يحسبه المغبوط بولس جديرًا بكل احترام، لأنه يكتب لمثل من يرغبون باشتياق في السعي إلى القداسة: "*أحبوا التواضع*" (انظر كو ١٢:٣)، كما أن تلميذ المسيح يمدح التواضع فيكتب هكذا: "*وليفتخر الأخ المتضع بارتفاعه وأما الغنى فباتضاعه، لأنه كزهر العشب يزول*" (يع ٩:١). لأن الفكر المعتدل والمنضبط يُمجَّد من الله، لأنه يقول: "*القلب المنكسر والمتواضع لا يرذله الله*" (مز ١٧:٥٠ س).

ولكن كل من يظن أمورًا عظيمة عن نفسه وهو متشامخ ومعجب بنفسه ويرفع نفسه بغطرسة فارغة، فهو مرفوض ومكروه، وهو يتبع منهجًا مضادًا لمنهج المسيح الذي قال: "*تعلموا منى لأني وديع ومتواضع القلب*" (مت ٢٩:١١)، لأنه مكتوب: "*يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة*" (ابط ٥:٥) كما أن الحكيم أيضًا يبيّن في أماكن كثيرة أمان الفكر المتضّع، ففي مرة يقول: "*لا ترتفع لئلا تسقط*" وفي مرة أخرى يوضّح في تصوير مجازي نفس الشيء ويقول: "*المعلي بابه يطلب الكسر*" (أم ١٩:١٧). إن مثل هذا الشخص مكروه من الله بعدل، إذ أنه قد أخطأ إلى نفسه، وقد استهدف بحماقة أن يرتفع فوق حدود طبيعته. فعلى أي أساس يفكّر الإنسان الذي على الأرض أفكارًا عظيمة عن نفسه؟ بالتأكيد إن فكره ضعيف، وينقاد بسهولة إلى الملذات الدنيئة، كما أن جسده خاضع تحت طغيان الفساد والموت وأيضًا أجَل حياته قصير ومحدود. وليس هذا هو كل شيء، لأننا وُلدنا عراة، ولذلك فالغنى

والثروة والكرامة العالمية إنما تأتينا من خارجنا وهى ليست ملكًا لنا في الواقع، لأن هذه الأشياء ليست من خصائص طبيعتنا. لذلك فلأي سبب ينتفخ فكر الإنسان؟ ماذا هناك عنده حتى يرفعه إلى التشامخ والتباهي؟ فإذا نظر أي واحد منا إلى حالته بذهن متفهّم، فإنه سيصير مثل ابرآم الذي لم يفتر من جهة طبيعته فدعا نفسه "*تراب ورماد*" (تك ١٨:٢٧)، وآخر يقول أيضًا: "*كم بالحري الإنسان الرمة وابن آدم الدود*" (اي ٢٥:٦). وهذا الذي هو دود ورمّة وتراب ورماد، هذا العدم نفسه يصير عظيمًا ورائعًا ومكرَّمًا أمام الله إذا ما عرف نفسه، لأنه يُكلَّل من الله بكرامة ومدح، لأن مخلّص ورب الكل يعطي نعمة للمتواضعين، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.



عظة ١٠٣
محبة الفقراء

(لو١٤: ١٢ــ١٤) " وَقَالَ أيْضًا لِلَّذِي دَعَاهُ: إذَا صَنَعْتَ غَدَاءً أوْ عَشَاءً فَلاَ تَدْعُ أَصْدِقَاءَكَ وَلاَ إخْوَتَكَ وَلاَ أَقْرِبَاءَكَ وَلاَ الْجِيرَانَ الأَغْنِيَاءَ لِئَلاَّ يَدْعُوكَ هُمْ أيْضًا فَتَكُونَ لَكَ مُكَافَاةٌ. بَلْ إذَا صَنَعْتَ ضِيَافَةً فَادْعُ الْمَسَاكِينَ الْجُدْعَ الْعُرْجَ الْعُمْيَ. فَيَكُونَ لَكَ الطُّوبَى إذْ لَيْسَ لَهُمْ حَتَّى يُكَافُوكَ لأَنَّكَ تُكَافَى فِي قِيَامَةِ الأَبْرَارِ ".

إن جمال عقل الإنسان هو رائع حقًا، وهو يظهر ذاته بطرق متعدّدة، يتضّح في أنماط متنوعة. وكما أنَّ أولئك المهرة في رسم الأشكال في الصور لا يمكنهم بواسطة لون واحد أن يبلغوا إلى الجمال الكامل في رسمهم، بل بالأولى يستخدمون أنواعًا مختلفة ومتعدّدة من تدرج الألوان، هكذا أيضًا إله الكل الذي هو مُعطي ومُعلم الجمال الروحاني، يزيّن نفوسنا بتلك الفضائل المتنوعة التي تكون في سمو حياة القداسة، لكي يكمل فينا شبهه، لأن أفضل وأعظم جمال في خلائقه العقلية هو على شبه الله، والذي يتحقق فينا برؤية الله الصحيحة وبالفضيلة التي تَكمُل بالجُهد النشط. لذلك لاحظوا كيف أن سيدنا يسوع المسيح يجعل نفوسنا جميلة بواسطة كل زينة روحية، فهو هنا قد أمر الفريسيين والناموسيين أو بالحري الكتبة أن يفكروا باتضاع في أنفسهم وأن يقتنوا ذهنًا خاليًا من محبة المجد الباطل داعيًا إياهم ألا يختاروا المتكآت الأولى. فهو كان يأكل معهم لكي في مصاحبته لهم يمكنه أن يفيدهم حتى ولو ضد رغبتهم، ثم بعد ذلك يحدّث الذي دعاهم وجمعهم للوليمة قائلاً: "*إذا صنعت غداءً أو عشاءً فلا تدع أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء، بل بالأحرى العرج والعمي والجدع*".

هل هو بهذا يجعلنا في حالة فكر مكتئب؟ أو هل إرادته أن نكون غير اجتماعيين ولا نصادق أحدًا، حتى إننا لا نحسب أصدقاءنا، وأقرباءنا مستحقين لتلك المشاعر

التي تناسبهم بنوعٍ خاص وهي واجبة لهم؟ وهل لا نعطي أي اعتبار لأولئك القريبين منا بالعاطفة والحب؟ وهل هو يمنع واجبات حُسن الضيافة؟ بل كيف لا يكون من السخف والجهل أن نتخيّل أنه يناقض وصاياه الخاصة؟ ماذا إذًا يريد الرب أن يعلّمنا؟ ربما يكون شيئًا ما كما يأتي: هؤلاء الذين يمتلكون ثروة كبيرة يعطون اهتمامًا كثيرًا لإظهار غناهم والتفاخر أمام الناس، لأنهم كثيرًا ما يَدعون أشخاصًا للغذاء معهم، ويعدون موائد ذات تكاليف باهظة، (مهيأة) بأطعمة مجهزة بطريقة تثير الفضول، وهكذا لابد أن يوجه إليهم اللوم بالتبذير. وهذا دأبهم أن يعملوها (الموائد) ليربحوا مديح وإطراء ضيوفهم، وبحصولهم على مديح الذين يتملقونهم كمقابل لإسرافهم (في إعداد الموائد)، فإنهم يبتهجون كثيرًا كما لو كانوا قد حصلوا على شيء ذي قيمة، لأنه من عادة المتملقين أن يمدحوا حتى لو كانت الأمور التي يمدحونها تستحق اللوم.

لأنه أي نفع يوجد في مثل هذا التبذير الكثير، أكثر مما تستلزمه الضرورة؟ وكما قال المسيح نفسه في موضع ما: " الحاجة إلى أشياء قليلة، أو إلى واحد فقط" (انظر لو ١٠:٤٢)، أي لما هو ضروري لسد احتياجات الجسد. لذلك فلكي نهرب من خطورة فقدان المكافأة عن الأموال التي ننفقها، فينبغي أن ننفق ثروتنا في الأمور التي سوف تحمل ثمارًا طيبة، لذلك فهو يأمرنا أن ندعو المساكين والجدع والعمي، وأولئك الذين يعانون من أمراض جسدية أخرى وبسخائنا في تتميم هذا، فإننا نبلغ إلى الرجاء الآتي من فوق، من الله، لذلك فإن الدرس الذي يعلّمنا إياه هو محبة الفقراء، الأمر الذي هو ثمين في نظر الله. هل تشعر باللذة عندما تُمدح حينما يكون لديك أصدقاء أو أقارب يشاركونك الوليمة؟ إنني سأخبرك عن شيء أفضل جدًا حيث بواسطته، فإن الملائكة والقوات العقلية من فوق، وكذلك القديسين أيضًا، سوف يثنون على سخائك. بل إن الله الذي يفوق الكل، والذي يحب الرحمة والشفقة هو أيضًا سوف يقبل سخاءك. أقرضه دون أن تخاف شيئًا، وأي شيء أعطيته ستأخذه مع أرباحه، لأنه يقول: "*مَنْ يتعطَّف على المسكين يُقرض الرب*" (أم ١٩:١٧). إنه يقدّر ما تقرضه ويعد بالوفاء، لأنه يقول: "*متى جاء ابن الإنسان في مجد أبيه مع الملائكة القديسين، فإنه يجلس على كرسي*

مجده ثم يقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره، ويقول للذين عن يمينه: " تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم، لأني كنت جوعانًا فأطعمتموني، كنت عطشانًا فسقيتموني، كنت عريانًا فكسوتموني، كنت مريضًا فزرتموني، محبوسًا فأتيتم إليَّ"، وأضاف إلى هذا، "*الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم* " (مت ٢٥: ٣١ـــ٤٠). فالإنفاق إذن لم يكن هنا بلا ثمر، ولكن العطف على الفقراء سيجعل ثروتك ذات رائحة حلوة. اشترِ النعمة التي تأتي من الله، واقتنِ رب السماء والأرض صديقًا لك، فإننا بالحقيقة كثيرًا ما نشتري لأنفسنا صداقة الناس بمبالغ باهظة من الذهب، أما إن كان من يصطلحون معنا هم من مراتب عالية، فإننا نشعر بسرور عظيم عندما نقدِّم لهم هدايا حتى لو كانت فوق مقدرتنا بسبب الكرامة التي تنشأ لنا منهم، رغم أن هذه الأشياء إنما هي عابرة وسريعًا ما تخبو، وهي أضغاث أحلام.

ولكن أن نصير أعضاء في بيت الله، ألا يجب أن نحسب ذلك شيئًا يستحق أن نربحه، ونحسب ذلك كما لو كان ذا أهمية قصوى؟ فنحن بالتأكيد بعد القيامة من الأموات سوف نقف في حضرة المسيح وسوف توجد بالضرورة مكافأة للرحومين والشفوقين، ولكن دينونة مساوية لأعمال أولئك الذين كانوا قساة وليس لهم محبة متبادلة، لأنه مكتوب: "*الحكم بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة*" (يع ٢: ١٣)، وإن كان الأمر هكذا، فكيف لا يكون هذا برهانًا وكمالاً للعقل الفطن، بأنه يجب قبل أن نهبط إلى هوة العذاب أن نتفكر مسبقًا لحياتنا؟ تعال ودعنا نناقش هذا الأمر فيما بيننا، افترض أنه لسبب أو لآخر من الأمور التي يدينها الناموس قد ساقونا أمام القضاة، ثم بعد الإدانة وُضع علينا حكم مناسب لِما تستحقه تعدياتنا، أما كنا، وبكل سرور نضحي بثروتنا لننجو من كل عذاب وعقوبة؟ أيمكن أن يُوجد أي شك في هذا؟ لأن النفس أفضل من الممتلكات، والحياة أفضل من الثروة. نحن الآن مدانون في خطايا كثيرة، ويلزم أن نقدِّم حسابًا للديان عن كل ما فعلناه، فلماذا لا نخلِّص أنفسنا إذن من الدينونة والنار الأبدية مادام الوقت يسمح لنا؟ والطريقة التي بها ننقذ أنفسنا هي أن نحيا في

قداسة، ونعزي الأخوة الحزانى بسبب فقرهم، وأن نبسط أيدينا بسعة لجميع من هم في احتياج، وأن نتعاطف مع المرضى.

أخبرني ماذا يوجد أصعب من الفقر، هذا الوحش الذي يفترس بلا هدوء، هذا السم الذي ليس لنصيحة أن تُشفى منه، الذي هو أردأ الأمراض، بل بالحري هو أكثر قسوة من أي مرض؟ لذلك يجب علينا أن نمد يد المعونة لأولئك الذين يعانون منه، ويلـــزم أن نفتح قلوبنا لهم بسعة، ولا نعبر بدون مبالاة على عويلهم. افترض أن وحشًا فظًـــا وثب على عابر سبيل، أما كان يجب على أي مَنْ يَشهد الواقعة أن يمسك بأي شـــيء يكون في متناول يده، مثل حجر أو عصا، ثم يطرد الوحش الذي يمزّق ويقطع الرجل الواقع تحت ضرباته بدون رحمة؟ من ذا القاسي القلب والمملوء بالبغـــضة للجـــنس البشرى الذي يعبر (بدون اكتراث) على شخص مثل هذا يتحطّم في بؤس عظـــيم؟ ألا ينبغي أن تعرف أنت أن الفقر ــ كما قلت ــ هو أكثر قسوة من أي وحش مفتـــرس؟ ساعد إذن أولئك الذين يسقطون تحت سطوته، أمل أذنيك إلى الفقير واستمع له كمـــا هو مكتوب: "*مَنْ يسد أذنيه عن صراخ المسكين فهو أيضًا يصرخ ولا يستجيب إليه أحد*" (أم ٢١:١٣). أعط لكي تأخذ، استمع لكي يُسمع لك، أبذر القليل الذي لـــك حتـــى تحصد كثيرًا، وبالإضافة إلى ذلك، فإن لذة الجسد هي قصيرة ووقتية وتنتهي بالتعفن، لكن العطاء والمحبة للفقير يتوجان أولئك الذين يمارسونهما، بالمجد من الله، ويقودانهم إلى تلك السعادة التي لا تضمحل، التي يهبها المسيح لأولئك الذين يحبونه، هذا الـــذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.



عظة ١٠٤

الدعوة إلى العشاء العظيم

(لو ١٤: ١٥ـــ٢٤) "*فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُتَّكِئِينَ قَالَ لَهُ: طُوبَى لِمَنْ يَأْكُلُ خُبْزاً فِي مَلَكُوتِ اللهِ. فَقَالَ لَهُ: إِنْسَانٌ صَنَعَ عَشَاءً عَظِيمًا وَدَعَا كَثِيرِينَ. وَأَرْسَلَ عَبْدَهُ فِي سَاعَةِ الْعَشَاءِ لِيَقُولَ لِلْمَدْعُوِّينَ: تَعَالَوْا لأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ. فَابْتَدَأَ الْجَمِيعُ بِرَأْيٍ وَاحِدٍ يَسْتَعْفُونَ. قَالَ لَهُ الأَوَّلُ: إِنِّي اشْتَرَيْتُ حَقْلاً وَأَنَا مُضْطَرٌّ أَنْ أَخْرُجَ وَأَنْظُرَهُ. أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِيَنِي. وَقَالَ آخَرُ: إِنِّي اشْتَرَيْتُ خَمْسَةَ أَزْوَاجِ بَقَرٍ وَأَنَا مَاضٍ لأَمْتَحِنَهَا. أَسْأَلُكَ أَنْ تُعْفِيَنِي. وَقَالَ آخَرُ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ بِامْرَأَةٍ فَلِذَلِكَ لاَ أَقْدِرُ أَنْ أَجِيءَ.فَأَتَى ذَلِكَ الْعَبْدُ وَأَخْبَرَ سَيِّدَهُ بِذَلِكَ. حِينَئِذٍ غَضِبَ رَبُّ الْبَيْتِ وَقَالَ لِعَبْدِهِ: اخْرُجْ عَاجِلاً إِلَى شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ وَأَزِقَّتِهَا وَأَدْخِلْ إِلَى هُنَا الْمَسَاكِينَ وَالْجُدْعَ وَالْعُرْجَ وَالْعُمْيَ. فَقَالَ الْعَبْدُ: يَا سَيِّدُ قَدْ صَارَ كَمَا أَمَرْتَ وَيُوجَدُ أَيْضًا مَكَانٌ. فَقَالَ السَّيِّدُ لِلْعَبْدِ: اخْرُجْ إِلَى الطُّرُقِ وَالسِّيَاجَاتِ وَأَلْزِمْهُمْ بِالدُّخُولِ حَتَّى يَمْتَلِئَ بَيْتِي. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْ أُولَئِكَ الرِّجَالِ الْمَدْعُوِّينَ يَذُوقُ عَشَائِي* ".

ومرة أخرى، إن معنى الدروس المطروحة أمامنا يضطرني أن أقول إن ثمار الأعمال الصالحة إنما هي جديرة بالثناء، لأن تعب القديسين ليس بلا مكافأة، لأنهم يتعبون بمشقة لكي يحيوا تلك الحياة التي هي حقًا جديرة بالإعجاب عند الله والناس. فبولس الحكيم يكتب: "*الله ليس بظالم حتى ينسى تعبكم ومحبتكم التي أظهرتموها نحو اسمه*" (عب ٦: ١٠)، وأيضًا يستخدم كلمات مُشابهة في موضع آخر: "*لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبديًا، ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى بل إلى التي لا تُرى، لأن الأشياء التي تُرى وقتية أما التي لا تُري فأبدية* " (٢كو ٤: ١٧). لأن الأشياء الوقتية هي الأرضية، وهي التي نقول عنها إنها تُدعى الأشياء التي تُرى. أما تلك الأشياء الآتية والتي لا تُرى في الوقت الحاضر، بل هي الأمور المرجوة عند الله فهي مخزونة لنا في منازل لا يمكن أن تتزعزع.

أما لِمَنْ أُعدت هذه الأشياء، ولِمَنْ سوف تُعطى، فهذا شرحه لنا المخلّص هنا،

موضحًا كما في صورة بالمثل الموضوع أمامنا، طبيعة وفاعلية التدبير، ولكن من الضروري على كل حال أن أذكر أولاً المناسبة التي أدت إلى هذا الحديث.

كان الرب يأكل في وليمة عند أحد الفريسيين بصحبة آخرين كثيرين مجتمعين من أصدقاء دعاهم إلى الوليمة، وهكذا فإن مخلّص الجميع لكي يفيد أولئك المجتمعين هناك ــ إذ أنه يحب الرحمة بالحري وليس الكرامة والعظمة ــ فإنه يقود هذا الذي دعاه إلى الكمال، بألاّ يسمح له بأن يصرف بإسراف أو يهدف إلى أن يظهر بأكثر مما تسمح له موارده المالية لكي يحصل على مديح الناس، لأنه قال: "*إذا صنعت غداءً أو عشاءً فلا تدعُ أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الأغنياء ولا جيرانك. بل المساكين، الجدع والعمي*"، لأنه يقول: "*إن هؤلاء الذين يفعلون هكذا يكافأون في قيامة الأبرار*". وهكذا فإن واحد من أولئك المتكئين معهم على المائدة، عندما سمع مثل هذه الكلمات الباهرة قال: "*طوبى لمن يأكل خبزًا في ملكوت الله*". ربما هذا الرجل لم يكن روحانيًا ولكنه كان لا يزال نفسانيًا وغير مؤهّل أن يفهم ما قاله المسيح فهمًا سليمًا. لأنه لم يكن بعد واحدًا من الذين آمنوا ولا كان قد اعتمد بعد، لأنه افترض أن مجازاة القديسين بسبب أعمال محبتهم المتبادلة سوف تكون بأشياء مختصة بالجسد وبسبب أنهم كانوا حتى هذا الوقت إلى هذه الدرجة من غباوة القلب حتى يفهموا فكرة دقيقة، فإن المسيح صاغ لهم مثلاً يوضح بما يحويه من صور ملائمة، طبيعة التدبير المزمع أن يؤسّسه لأجلهم، ويقول: "*إنسان صنع عشاءً عظيمًا ودعا كثيرين، وأرسل عبده في ساعة العشاء ليقول للمدعوين تعالوا لأن كل شيء قد أُعد*".

دعونا أولاً أن نتساءل هنا، ما السبب في أن المدعوين قد دُعوا إلى عشاء وليس إلى غداء؟ بل بالحرى وقبل هذا أيضًا، مَنْ هو الإنسان الذي قيل عنه في المثل إنه أرسل عبده ليدعو إلى العشاء، وأيضًا مَنْ هو الداعي، ومن هم الذين دُعُوا ولكنهم احتقروا الدعوة.

لذلك فينبغي أن نفهم أن المقصود بالإنسان هنا هو الله الآب. إن التشبيهات قد صيغت لتمثل الحقيقة، ولكنها ليست الحقيقة نفسها، لذلك فخالق الكون وأبو المجد



صنع عشاءً عظيمًا، أي عيدًا لكل العالم تكريمًا للمسيح. إذن ففي أزمنة هـذا العـالم الأخيرة ظهر الابن لأجلنا. وفى ذلك الوقت أيضًا عانى الموت لأجلنا، وأعطانا جسده لنأكل، لأنه هو الخبز الذي من السماء الواهب حياة للعالم ونحو المساء أيضًا وعلـى ضوء السرج كان يُذبح الخروف بحسب ناموس موسى. لذلك ولسبب معقول نقول إن الدعوة التي بواسطة المسيح تُدعى عشاءً.

وبعد ذلك، من هو الذي أُرسل، والذي يُقال عنه إنه عبد؟ ربما يكون المقصود هو المسيح نفسه. لأنه مع أن الله **الكلمة** هو بطبيعته إله، والابن الحقيقي لله الآب، الـذي ظهر منه، إلاّ أنه أخلى ذاته ليأخذ شكل العبد. ولأنه أيضًا إله من إله فهو رب الكل، ولكن يمكن استخدام لقب عبد بصواب عنه من جهة بشريته. ومع أنه ــ كما قلت ــ قد أخذ شكل عبد إلاّ أنه رب بسبب كونه إلهًا.

ومتى أرسل؟ يقول: "*وقت العشاء*" لأن **الكلمة** الابن الوحيد لم ينزل من الـسماء في بداية هذا العالم ليصير في الهيئة مثلنا، بل بالحرى نزل عندما أراد الكلي القـدرة نفسه ذلك، أي في هذه الأزمنة الأخيرة كما سبق أن قلنا أيضًا منذ قليل.

وما هي طبيعة الدعوة؟ "*تعالوا! لأن كل شيء قد أُعد*". لأن الله الآب قد أعد فـي المسيح لسكان الأرض تلك العطايا التي مُنِحَت للعالم بواسطته، التـي هـي غفـران الخطايا، والتطهير من كل دنس، وشركة الروح القدس، والتبّني المجيد له، وملكـوت السموات. وإلى هذه البركات دعا المسيح إسرائيل بواسطة وصايا الإنجيـل قبـل أن يدعو كل الآخرين، لأنه يقول في موضع ما بصوت المرنم: "*أنا أقمت منه ملكًا ــــ أي بواسطة الله الآب ــ على صهيون جبل قدسه، لأكرز بأمر الرب*" (مز ٢:٦) وأيضًا: "*أنا لم أُرسل إلاّ إلى خراف بيت إسرائيل الضالة*" (مت ١٥:٢٤).

فهل كان تصميمهم إذن لصالحهم؟ هل نظروا بإعجاب إلى لطف ذلك الذي دعاهم، وإلى وظيفة هذا الذي حمل الدعوة؟ ليس هكذا، لأنه يقول: "*فابتدأ الجميع للتو بـرأي واحد يستعفون ــ كما لو كان بغرض واحد، وبلا إبطاء يعتذرون. قال الأول: إنـي*

اشتريت حقلاً وأنا مضطر أن أخرج وأنظره. أرجوك أن تعفيني، وقال آخر: " إني اشتريت خمسة أزواج بقر وأنا ماضٍ لأمتحنها، أرجوك أن تعفيني، وقال آخر: إني تزوجت بامرأة فلذلك لا أقدر أن أجيء". إنك تلاحظ أنهم إذ استسلموا تمامًا وبحماقة لهذه الأمور الأرضية، فإنهم لم يتمكنوا أن يروا الأمور الروحية، لأنهم إذ قد انغلبوا من محبة الجسد فقد صاروا بعيدين عن القداسة وأصبحوا شهوانيين وجشعين للثروة. إنهم يطلبون تلك الأمور السفلى ولا يعتبرون بالمرة ذلك الرجاء والمواعيد المذخرة عند الله. كان الأفضل جدًّا أن يربحوا أفراح الفردوس بدلاً من الحقول الأرضية وبدلاً من الفرحة المؤقتة ــ وهذا هو المقصود بأزواج البقر ــ أن يجمعوا أثمار البر، لأنه مكتوب: "*ازرعوا لأنفسكم بالبر، واحصدوا كغلة الكرم ثمر الحياة*" (هو ١٠:١٢ س). أمَا كان يجب عليهم ــ بدلاً من الإنسال الجسدي للأطفال ــ أن يختاروا بالأحرى الإثمار الروحاني؟ لأن الأول مُعرَّض للموت والفساد أما الآخر فهو أبدي وذا غِنى دائم للقديسين.

ويقول المثل إن رب البيت لما سمع رَفْضَهُم، فإنه غضب وأمر أن يجمعوا من الشوارع والأزقة، المساكين والجدع والعمي والعرج. فمَنْ هم الذين يمكن أن نفهم عنهم ــ كما قلت لكم ــ أنه من أجل الأراضي والفلاحة والإنجاب الجسدي للأولاد ــ رفضوا أن يأتوا؟ إنهم بالضرورة هم هؤلاء الذين وقفوا في صدارة المجمع اليهودي، الذين هم ذوو ثروات طائلة، عبيد الشهوات، الذين عقولهم منصبَّة على الربح، الذي يركزون عليه كل اجتهادهم. لأنه في كل الكتاب الموحى به نراهم مستوجبين اللوم بسبب هذا الأمر نفسه.

فأولئك إذًا الذين هم أعلى مقامًا من جماعة الشعب العام لم يُخضعوا أنفسهم للمسيح عندما قال لهم: "*احملوا نيري عليكم*" (مت ١١:٢٩). بل رفضوا الدعوة ولم يقبلوا الإيمان وظلوا بعيدًا عن الوليمة، وازدروا بالعشاء العظيم بسبب عصيانهم المتقسِّي. أما عن كون الكتبة والفريسيين لم يؤمنوا بالمسيح، فهذا ظاهر بما يقوله لهم: "*أخذتم مفتاح المعرفة، فلم تدخلوا والداخلون منعتموهم*" (لو ١١:٥٢). لذلك فبدلاً منهم دعا الذين



كانوا في الشوارع والأزقة الذين ينتسبون إلى عامة الشعب اليهودي الذين كان عقلهم مريضًا غير ثابت، مُظلمًا ومتوقفًا لأن مثل هؤلاء يمكن أن نعتبرهم عميان وعرج ولكنهم صاروا أقوياء وأصحاء في المسيح وتعلّموا أن يمشوا باستقامة وقبلوا النور الإلهي في عقولهم. أمّا عن أن جمعًا كبيرًا من اليهود لا يمكن إحصاءه بسهولة قد آمن، فهذا يمكن أن نعرفه من سفر أعمال الرسل.

والمَثَل يقول إنه بعد أن دعا هؤلاء الذين في الشوارع، فإن الذي كانت وظيفته أن يدعو إلى العشاء قال لصاحب البيت: "*يُوجد أيضًا مكان*". فقال السيد لخادمه: "*اخرج إلى الطرق والسياجات وألزمهم بالدخول حتى يمتلئ بيتي لأني أقول لكم إنه ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشائي*".

أرجوكم أن تلاحظوا هنا دعوة الأمم بالإيمان بعد أن دخل الإسرائيليون. كان الأمم في الزمان القديم لهم ذهن غير مثقف، وسذجًا في الفهم، أي أنهم كانوا خارج المدينة، كما لو كانوا يعيشون في إباحية، ويشابهون البهائم أكثر من البشر، ويستخدمون العقل قليلاً، وبسبب هذا الاعتبار فإن الداعي إلى العشاء أرسل إلى الطرق خارج المدينة وإلى السياجات في الحقول. بل والأكثر من هذا، فإنه أُمِرَ مِنْ هذا الذي أرسله، لا أن يدعوهم ويحضهم فقط بل وأيضًا يُلزمهم. إن الإيمان بالنسبة لجميع الناس هو فعل إرادي، وببلوغ البشر بحريتهم الخاصة إليه يكونون مقبولين لدى الله وينالون عطاياه بوفرة. ولكن كيف (في هذا المثل) أن الناس يُلزَمون بالدخول. هذا ذُكر هنا أيضًا عن قصد، وكان هذا ضروريًا بل وضروريًا على نحو جازم بالنسبة للأمم الذين كانوا مُقيَّدين بطغيان لا يُحتمل، والذين كانوا واقعين تحت نير الشيطان، والذين كانوا ممسوكين بشباك خطاياهم التي لا تنحل، والذين كانوا جاهلين تمامًا بهذا الذي هو بالطبيعة والحق، الله، فكان يَلزَم أن تكون دعوتهم بإلحاح كما لو كانت باستخدام القوة، حتى يكونوا قادرين أن يتطلّعوا نحو الله، ويتذوّقوا التعاليم المقدّسة، وأن يتركوا ضلالهم السابق، وأن يخرجوا من يد الشيطان. لأن المسيح قال أيضًا: "*لا يقدر أحد أن يُقبل إليّ إن لم يجتذبه الآب الذي أرسلني*" (يو٦:٤٤). إن الجذب هنا يعني ضمنًا أن

الدعوة هي فعل بالقوة، وهذا لا يصنعه إلاّ الله. ونجد أيضًا المغبوط داود يخاطب الله بعبارات مشابهة بخصوصهم (الأمم): "*بلجام وزمام تكبح (تقيِّد) فك هؤلاء الذين لا يقتربون إليك*" (مز ٩:٣١ س). ها أنت ترى كيف أن رب الكل بلجام يُحوّل إلى نفسه هؤلاء الذين انحرفوا عنه، لأنه صالح ومحب لجنس البشر ويريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبلون.

لذلك فقد ظل رؤساء الشعب الإسرائيلي بعيدين عن العشاء لأنهم كانوا عنيدين ومتكبرين وعصاة ومحتقرين للدعوة الفائقة جدًّا، لأنهم انحرفوا نحو الأشياء الأرضية، وثبّتوا عقولهم نحو انشغالات هذا العالم الباطلة. أما عامة الجمع فقد دُعوا (إلى الوليمة) وبعدهم مباشرة وبدون إبطاء الوثنيون. لأن ربنا يسوع المسيح بعد أن قام من الأموات صرخ نحو رسله القديسين قائلاً: "*دُفع إليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم إنّ يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر*" (مت ١٨:٢٨، ١٩).



عظة ١٠٥

التلمذة للمسيح

(لو ١٤: ٢٥ـ ٣٥) "*وَكَانَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ سَائِرِينَ مَعَهُ فَالْتَفَتَ وَقَالَ لَهُمْ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلاَ يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً. وَمَنْ لاَ يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِي فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذاً. وَمَنْ مِنْكُمْ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بُرْجًا لاَ يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَحْسِبُ النَّفَقَةَ هَلْ عِنْدَهُ مَا يَلْزَمُ لِكَمَالِهِ؟ لِئَلاَّ يَضَعَ الأَسَاسَ وَلاَ يَقْدِرَ أَنْ يُكَمِّلَ فَيَبْتَدِئَ جَمِيعُ النَّاظِرِينَ يَهْزَأُونَ بِهِ. قَائِلِينَ: هَذَا الإِنْسَانُ ابْتَدَأَ يَبْنِي وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يُكَمِّلَ. وَأَيُّ مَلِكٍ إِنْ ذَهَبَ لِمُقَاتَلَةِ مَلِكٍ آخَرَ فِي حَرْبٍ لاَ يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَتَشَاوَرُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلاَقِيَ بِعَشَرَةِ آلاَفٍ الَّذِي يَأْتِي عَلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفًا؟. وَإِلاَّ فَمَا دَامَ ذَلِكَ بَعِيدًا يُرْسِلُ سَفَارَةً وَيَسْأَلُ مَا هُوَ لِلصُّلْحِ. فَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ لاَ يَتْرُكُ جَمِيعَ أَمْوَالِهِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا. اَلْمِلْحُ جَيِّدٌ. وَلَكِنْ إِذَا فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُصْلَحُ؟. لاَ يَصْلُحُ لأَرْضٍ وَلاَ لِمَزْبَلَةٍ فَيَطْرَحُونَهُ خَارِجًا. مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ!*".

الذين يقودون جيوشًا استعدادًا للحرب وقد اكتسبوا لأنفسهم مجدًا عسكريًا، عندما يكون وقت المعركة قد حان، يُعلِّمون الكتائب التي تحت قيادتهم كيف يربحون انتصارًا باهرًا إذ يصطفون هم أنفسهم بشجاعة في مواجهة فيالق العدو؛ ومخلِّص الكل إذ يتمثَّل بمهارة أولئك المذكورين هنا، يبيِّن بكل وضوح لكل مَنْ يتبعونه طريق الشجاعة الروحية: إنه بالتقدُّم بقوة لا يحدها عائق إلى كل ما فيه نصرة التقوى وبواسطة اجتهاد شديد لا يُقاوم، يمكنهم بعدل أن يحصلوا على الحق في أن يكونوا معه وأن يتبعوه.

إذن فهذا الدرس يعلِّمنا بوضوح أي نوع من الأشخاص يريدنا أن نكون فهو يقول: "*إن كان أحد يأتي إليَّ ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضًا فلا يقدر أن يكون لي تلميذًا*" (لو ١٤: ٢٦).

ربما يقول أحد: فماذا يا رب، هل أنت تحتقر العاطفة الطبيعية؟ هل تأمرنا أن

نبغض بعضنا بعضًا وأن نتجاهل الحب الذي يحق للآباء من أبنائهم، وللزوجات من أزواجهن وللإخوة من إخوتهم؟ هل سنجعل مَنْ هم أعضاء في نفس العائلة أعداء لنا، وللذين من واجبنا بالأولى أن نحبهم يلزمنا أن نعتبرهم كأعداء وذلك لكي نكون معك ولكي ما يمكننا أن نتبعك؟

ليس هذا هو ما يقصده المخلّص، حاشا أن يكون له مثل هذا الفكر الباطل، فإن الذي يأمر بأن نحب حتى الأعداء وبأن نغفر لكل من يسيء إلينا إذ يقول:"*أحبوا أعداءكم... وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم*" (مت ٥:٤٤)، كيف يمكن أن يريدنا أن نبغض مَنْ هم مولودون من نفس الأسرة، وأن نغفل الإكرام الواجب بالوالدين، وأن نزدري بإخوتنا، بل نبغض أولادنا أيضًا وكذلك أنفسنا؟ لأن الذي قد نطق بالدينونة حتى على أولئك الذين يهملون قانون المحبة المتبادلة، لا يمكن أن يريد أن يكون لأحبائه ذهن متوحش أو فكر مقهور، لكن ما يريد أن يعلِّمه بهذه الوصايا هو واضح لأولئك الذين يمكنهم أن يفهموا ما قيل في موضع آخر عن نفس الموضوع: "*من أحب أبًا أو أمًا أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابنًا أو ابنةً أكثر مني فلا يستحقني*" (مت ١٠:٣٧). إذًا بإضافة عبارة " أكثر مني " يتضّح أنه يسمح لنا أن نحب لكن ألاّ نحبهم أكثر منه، لأنه يطلب لنفسه عاطفتنا الرئيسية. وذلك عادل جدًا، لأن محبة الله فيمن هم كاملون في الذهن، فيها شيء ما أعلى وأسمى من الإكرام الواجب للوالدين وأسمى من العاطفة الطبيعية التي نشعر بها تجاه الأولاد.

لكن يلزمنا أن نوضّح ما هي المناسبة التي جعلت الرب يوجه كلماته نحو هذا الموضوع. إن النص الذي قرأناه من الإنجيل في اجتماعنا السابق كان عن وصف عشاء عظيم، دُعي إليه كثيرون من قِبل مَنْ صنع الوليمة، ولكن كان المدعوون غير مبالين بالدعوة، إذ ابتدأ الجميع برأي واحد يستعفون. قال له واحد إنه اشترى حقلاً وإنه مضطر أن يخرج وينظره، وقال آخر إنه اشترى خمسة أزواج بقر، وقال ثالث إنه تزوج بامرأة، وبواسطة هذه الأعذار الواهية أغاظوا من دعاهم. لذلك فقد أعطي لنا أن نفهم بمنتهى الوضوح أنه عندما يدعونا الله إليه ليجعلنا شركاء في جوده

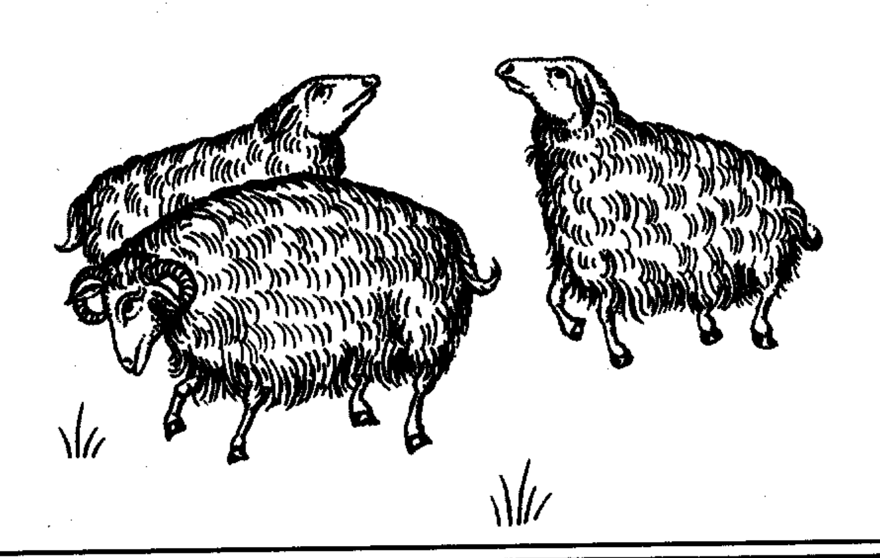


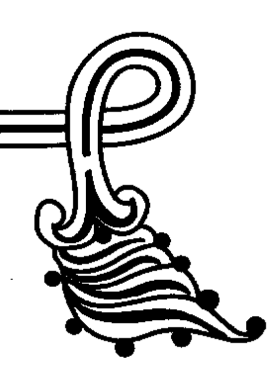
وإحسانه، فإنه يلزمنا أن نزدري بشهوات الجسد التي تخدم الجسد. وأن لا نعطي أي اعتبار لأمور هذا العالم بل يتحتّم أن نبذل قصارى جهدنا للتقدّم نحو تلك الأشياء التي لن نتخلَ عنها أبدًا والتي تملأنا بكل غبطة، إذ أن الله يمنحنا عطاياه بيد سخيّة مثل مَنْ يرحب بنا في وليمة ثمينة ويعطينا الحق أن نبتهج مع باقي القديسين برجاء البركات الآتية. لأن الأرضيات ليس لها سوى قيمة قليلة ولا تدوم إلا لبرهة قصيرة وهي تختص بالجسد وحده، الذي هو فريسة للفساد، ولكن الأمور الإلهية والروحية هي دائمًا وباستمرار تصاحب أولئك الذين حُسبوا أهلاً لنوالها وتصل إلى دهور لا نهاية لها. لذلك فأي قيمة يعلقها العاقلون على المزارع الأرضية أو على حب اللذة الجسدية، أو على الاحترام الواجب للأقرباء بالجسد، إن كان ينبغي أن نترك لأجل محبة المسيح، مزدرين بكل هذه الأشياء التي ذُكرت؟ لأن هناك أمثلة كثيرة كانت لأناس راغبين في حياة بلا لوم، الذين حتى بعد أن لمسوا ــ إن جاز القول ــ تراب حلَبَة المصارعة، واختبروا المصارعة فيها، وكادوا أن يصلوا إلى حق نوال إكليل الدعوة السماوية، نجدهم قد ارتدوا إلى الخلف إما لارتباطهم بالأقرباء أو بسبب كونهم أضعف من أن يحتملوا معركة المثابرة، أو لكونهم تعرقلوا في فخاخ الشهوانية، وفضّلوا بحماقة اللذة الحاضرة على البركات الموضوعة أمامهم بالرجاء. وأيضًا فإن خوف الموت قد أرعب كثيرين، وحينما جاء وقت الاضطهادات ــ حتى بواسطة الامتحان ينالون إكليل عدم الفساد ــ نجدهم وقد أنكروا الإيمان وتحاشوا واجب التألم بصبر، وأظهروا أنفسهم ضعفاء وجبناء، فسقطوا من ثباتهم، لذلك فلكي يخلق الرب فينا ذهنًا لا يتزعزع، ويجعلنا غير مكترثين بكل الأمور العالمية، لأجل محبتنا له، فإنه يأمرنا أن نبغض حتى أقرباءنا حسب الجسد، بل ونبغض أنفسنا حين يدعونا الوقت لهذا كما سبق أن قلت حالاً.

ثم يورد الرب بعد ذلك مثالين، ليشجع أحباءه ليبلغوا إلى ثبات لا يُقهر، وليؤسس أولئك الذين يريدون أن يصلوا إلى الكرامات بالصبر والاحتمال، ويجعل فيهم غيرة لا تتزعزع، لأنه يقول: " *ومَنْ منكم وهو يريد: أن يبني برجًا، لا يجلس أولاً ويحسب*

النفقة هل عنده ما يلزم لكماله، لئلا يضع الأساس ولا يقدر أن يكمل فيبتدئ جميع الناظرين يهزأون به " (لو ١٤: ٢٨ و٢٩). لأن الذين اختاروا أن يحيوا حياة مجيدة وبلا لوم يجب أن يختزنوا مقدمًا في ذهنهم غيرة كافية لتحقيق ذلك، وأن يتذكروا الذي يقول: "*يا ابني، إذا تقدمت لخدمة الرب أعدد نفسك للتجربة واجعل قلبك مستقيمًا واحتمل*" (يشوع بن سيراخ ٢: ١ و٢). أما أولئك الذين ليست لهم مثل هذه الغيرة فكيف يمكنهم أن يصلوا إلى الهدف الموضوع أمامهم؟

يقول الرب: "*وأي ملك إذا ذهب إلى مقاتلة ملك آخر في حرب، لا يجلس أولاً ويتشاور مع نفسه هل يستطيع بالعشرة آلاف التي له أنَ يتغلب على من هو أقوى منه؟*". ماذا يعني هذا الكلام؟ "*إن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السموات*" (أف ٦: ١٢). ونحن أيضًا لنا أعداء كثيرون: الذهن الجسداني، الناموس الذي يحارب في أعضائنا، الأهواء متعددة الأنواع: شهوة اللذة، شهوة الجسد، شهوة الغِنَى، وغيرها من الشهوات، وينبغي أن نصارع مع هذه الشهوات، فهذه هي كتيبة أعدائنا المتوحشين. كيف إذن سننتصر؟ بإيماننا كما يقول الكتاب: إننا "*بالله سوف نصنع ببأس وهو سيبيد أعداءنا*" (مز ٥٩: ١٢ س)، وبهذه الثقة يقول واحد من الأنبياء القديسين: "*هوذا السيد الرب يعينني، فمن هو الذي يجعلني أخزى*" (إش ٥٠: ٩ س). وداود الإلهي يرنم أيضًا قائلاً: "*الرب نوري وخلاصي ممن أخاف، الرب عاضد حياتي ممن أرتعب*" (مز ٢٦: ٨ س). لأنه هو قوتنا وبه سوف ننال النصرة، لأنه قد أعطانا أن ندوس على الحيّات والعقارب وعلى كل قوة العدو. ولذلك يقول: "*الملح جيد ولكن إذا فسد الملح فبماذا يصلح؟* " ثم يقول "*إنه يُطرح خارجًا*" وقال أيضًا: "*ليكن لكم في أنفسكم ملح*" (مر ٩: ٥٠). أي أن يكون لكم الكلام الإلهي الذي يجلب الخلاص، لكن لو ازدرينا بالكلام الإلهي فإننا سوف نصير بلا طعم وأغبياء وعديمي الفائدة تمامًا. ومثل هذه الأشياء ينبغي لجماعة القديسين أن يطرحوها خارجًا، بعطية الرحمة والمحبة التي لهم من المسيح مخلّصنا كلنا، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان، مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.





(أيقونة تصور مثل الراعى والخروف المفقود)

الأصحاح الخامس عشر



وكان جميع العشارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه. فتذمر الفريسيون والكتبة قائلين : هذا يقبل خطاة ويأكل معهم

الأصحاح الخامس عشر

عظة ١٠٦

الخَرُوفُ الضَّال والدِرْهَم المَفْقُود

(لوقا ١٥: ١ــ ١٠) " وَكَانَ جَمِيعُ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاة يَـدْنُونَ مِنْـهُ لِيَـسْمَعُوهُ. فَتَـذَمَّرَ الْفَرِّيسِيُّونَ وَالْكَتَبَةُ قَائِلِينَ: هَذَا يَقْبَلُ خُطَاةً وَيَأْكُلُ مَعَهُمْ. فَكَلَّمَهُمْ بِهَذَا الْمَثَلِ قائلاً: أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ لَهُ مِئَةُ خَرُوفٍ وَأَضَاعَ وَاحِدًا مِنْهَا أَلاَ يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَذْهَبَ لأَجْـلِ الضَّالِّ حَتَّى يَجِدَهُ؟. وَإِذَا وَجَدَهُ يَضَعُهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ فَرِحاً. وَيَأْتِي إِلَى بَيْته وَيَـدْعُو الأَصْـدِقَاءَ وَالْجِيرَانَ قَائلاً لَهُمْ: افْرَحُوا مَعِي لأَنِّي وَجَدْتُ خَرُوفِي الضَّالَّ. أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ هَكَـذَا يَكُـونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ. أَوْ أَيَّةُ امْرَأَةٍ لَهَا عَشْرَةُ دَرَاهِمَ إِنْ أَضَاعَتْ دِرْهَمًا وَاحِدًا أَلاَ تُوقِدُ سِرَاجًا وَتَكْنِسُ الْبَيْـتَ وَتُفَـتِّشُ بِاجْتِهَادٍ حَتَّى تَجِدَهُ؟. وَإِذَا وَجَدَتْهُ تَدْعُو الصَّدِيقَاتِ وَالْجَارَاتِ قَائِلَةً: افْرَحْنَ مَعِي لأَنِّي وَجَدْتُ الدِّرْهَمَ الَّذِي أَضَعْتُهُ. هَكَذَا أَقُولُ لَكُمْ يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ ".

لاشك أنكم انتبهتم هنا أيضا إلى ما قُرأ. وقد تعجبتّم معي من كلمــات المخلّــص، فهل فهمتموها بطريقة شاملة وروحية، وهل ثبتّم عين العقل الفاحصة على تفــسيرها العميق؟ وهل التقطتم معنى ما قيل؟ أم أنَّ الكلمة بعدما رنّت فــي أســماعكم جــرت سريعًا، ولم يستقر منها شيء هناك ليكون لفائدتكم. ولكنني أتخيّل أنه بما أنكم مؤمنون وتحبون التعلّم، فإن المخلّص ينير أفهامكم، لأنه هو الذي يكشف خفايا الظلام، ويضع نور الفهم في قلوب أولئك الذين يحبونه.

إن هذين المثَلين اللذين ذُكرا مرتبطين معًا يوضحان لنا صورة عن الحنان الإلهي ولهما معنى متشابه. وهما متفقان معًا. ولكن اليهود عديّمي الحس يوبخونــه علانيــة لرفضهم أن يفهموا سر التجسد العظيم والعميق. فإنه كان مخفيًا تماما بالنسبة لهــم أن الله الآب أرسل ابنه من السماء لا ليدّين العالم كما يقول هو نفسه، بل لــيخلّص بــه

العالم (انظر يو ١٧:٣). فبأي طريقة إذن كان مناسبا للعالم أن يَخلُص، ذلك العالم الذي أُمسك في شِبَاك الخطية، وصار مذنبا بتهمة الشر، وصار خاضعًا لسيد قاسٍ أي الشيطان؟ هل كانت الطريقة المناسبة هي أن يُعاقَب لسقوطه في التعدّي والخطية؟ ألا يكون بالأحرى بمساعدته، إذ أن الله طويل الأناة ومستعد أن يغطّي بالنسيان على تلك الأشياء التي تعدّى فيها الإنسان، وأن يجدّد إلى قداسة الحياة أولئك الذين لم يعرفوا كيف يعيشون باستقامة؟

أخبرني إذن أيها الفريسي لماذا تتذّمر لأن المسيح لم يستنكف أن يأكل مع العشارين والخطاة، بل هيأ لهم عن قصد هذه الوسيلة للخلاص؟ فلكي يخلّص الناس فقد أخلى نفسه وصار مثلنا في الشكل وارتدى لباس فقرنا البشريّ. وهل تلوم إذن تدبير الابن الوحيد في الجسد؟ وهل تجد خطأ في إنزال نفسه من السماء وهو الذي يفوق الكلّ؟ إنك لا تدع التجسُّد نفسه بدون انتقاد. ومع ذلك فان الأنبياء القدّيسين يتعجّبون من جمال التدبير المُحكَم الذي في هذا السر. فداود النبي يعلن في المزامير: "*رنموا بفهم، لأن الله قد أقام ملكًا على كل الأمم*" (مز ٤٦: ٧ س) . وحبقوق النبي يقول: "*يا رب قد سمعت خبرك فجزعت ونظرت إلى أعمالك فاندهشت*" (حب ٣: ٢ س) فكيف إذن لا تخجل من توجيه اللوم إلى تلك الأشياء التي كان ينبغي أن تُعجب بها. هل تريد أن يكون رب الكلّ صارمًا عنيدًا أم بالأحرى يكون صالحًا وشفوقًا بالبشر؟ فالأسرة البشريّة قد ضلّت طريقها، وقد ابتعدت عن يد رئيس الرعاة، لذلك فإن الذي يُطعِم القطعان السماوية، صار مثلنا لكي يجعلنا نحن أيضًا تسكن في مساكنه، لكي يوحّدنا مع أولئك الذين لم يضلوا أبدا ويطرد منا الوحش المفترس، ويدفع عنا أذى الشياطين النجسين الذين هم كعصابة لصوص شريرة قد أضلوا كل الذين تحت السماء.

لذلك، فقد فتّش عن الضال، ولكي يبيّن أن تصيّد الأخطاء من اليهود بخصوص هذا الأمر باطل، قال لهم: "*أي إنسان منكم له مئة خروف وأضاع واحدا منها، ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده، وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحا*". ويقول إنه يفرح به أكثر من الذين لم يضلّوا. افهموا من هذا ــ يا



أحبائي ـــ الحدود المتسعة لمملكة المخلِّص، وجموع رعاياه الغفيرة التي تفوق الحصر، وخطة تدبيره الحكيمة من نحونا. فإنه يقول إن عدد الخراف مائة، وبذلك يجعل عدد رعاياه يصل إلى عدد كامل ومتكامل معا. فان العدد مئة هو عدد كامل ويتكوّن من عشرة عشرات. وقد تعلّمنا أيضا من الأسفار الإلهية الموحى بها أن ألوف ألوف يخدمون أمام الله، وربوات وربوات وقوف حول عرشه السامي. لذلك، فالخراف هي مائة، وقد ضلّ واحد منها، وأعني به العائلة البشريّة التي على الأرض، والتي جاء رئيس رعاة الجميع يبحث عنها، تاركاً التسعة والتسعين في البرية، فهل لأنه ليس عنده اهتمام بالكثيرين قد أظهر الرحمة للواحد فقط؟ كلا، فان ذلك ليس لعدم اهتمامه بالكثيرين، فان هذا مستحيل، ولكن بسبب أنهم في أمان وهم محروسون بيده المقتدرة؛ لذلك من الصواب أن تظهر الرحمة من نحو ذلك الذي ضلّ لكي لا ينقص شيء من العدد الغفير الكامل، بل إذ يردّ الذي ضلّ فإن المئة تسترد جمالها.

لذلك، فالبحث عن الذي ضل ليس احتقارًا لأولئك الذين لم يضلوا، بل هو فعل نعمة ورحمة وحب للجنس البشرّى، وهو عمل لائق بالطبيعة العالية الفائقة لكي تمنحه لخلائقها الساقطة.

بل هيّا بنا لنفحص الأمر بمساعدة مَثَل آخر أيضا، لكي ما نُظهِر في كل الأوقات شفقة المسيح مخلّصنا جميعا، تلك الشفقة التي لا تُجارى. فلنفترض أنه في بيت واحد يوجد أكثر من ساكن، ويحدث أن أحدهم يسقط مريضًا. فلمن يُستدعى الأطباء المعالجون؟ أليس لذلك الذي سقط مريضا؟ ولكن استدعاء الأطباء للمريض لا يعتبر إهمالاً لبقية سكان البيت، والأطباء يفيدون المريض ـــ بمهارتهم بحسب ما يحتاجه من وقت وعناية. ولذلك فبنفس الطريقة كان جديرًا بالله، بل وجديرًا جدًا، الذي يضبط الكّل أن يمد يده المخلِّصة لذلك الذي ضلّ بعيدًا. وقد اقتنص الوحش المفترس الفرصة، وقاد العائلة البشريّة على الأرض إلى الضلال بعيدًا عن الراعي، وأسرع بها إلى كل أنواع البؤس. أما رئيس الرعاة فقد خلّص العائلة البشريّة، لأنه بحث عن ذلك الذي ضلّ الطريق، وأسّس لنا حظيرة حصينة لا تُهاجَم من الوحوش المفترسة

واللصوص، وأعني بها الكنيسة، التي يمكن أن نقول في وصفها بكلمات النبي: "*انظروا فإن لنا مدينة قوية وحصينة، ويجعل لنا الخلاص أسوارًا ومترسة*" (إش ٢٦: ١ س).

أما معنى المَثَل الآخر التالي فهو مشابه للأول تماماً، والذي فيه يقول إنَّ "*امرأة كان لها عشرة دراهم أضاعت درهمًا واحدًا، وأنها أوقدت سراجًا ووجدته، وأنها فرحت به كثيرًا، وجعلته سببًا لفرح خاص*". كذلك فمن المَثَل الأول الذي فيه يشير الخروف الضَّال إلى العائلة البشرّية، نتعلَّم، أننا نحن خاصة الله فوق الكّل، فانه هو الذي أوجد الأشياء غير الموجودة. لأنه " *هو صنعنا، وليس نحن* " كما هو مكتوب "*وهو إلهنا، ونحن شعب مرعاه وغنم يده*" (مز ١٠٠: ٣). وفى المَثَل الثاني الذي فيه يُشار إلى المفقود بدرهم، وأيضا هذا المفقود هو واحد من عشرة، أي من عدد كامل، ومن جملة مبلغ كامل في الحساب ـ لأن الرقم عشرة هو عدد كامل أيضا، وهو نهاية مجموعة الأعداد من واحد إلى عشرة ـ فهذا يوضِّح، أننا على صورة الله ومثاله، أي من الله الذي هو فوق الكّل. لأن الدرهم، كما أفترض هي العملة المختوم عليها الصورة الملكّية فمن يستطيع أن يشك، أننا نحن الذين سقطنا، وفُقدنا، قد وَجَدنا المسيح، وقد تغيّرنا بالقداسة والبّر إلى صورته، بعد أن كتب الرسول بولس هكذا: "*ونحن جميعا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح*" (٢كو ٣: ١٨). وهو يرسل إلى الغلاطيين أيضا قائلا لهم: "*يا أولادي الذين أتمخضٌ بكم إلى أن يتصوَّر المسيح فيكم*" (غل ٤: ٩).

إذن فقد حدث البحث والتفتيش عن ذلك الذي فُقد، ومن أجل ذلك أوقَدَت المرأة سراجًا، وكما قلت إننا قد وُجدنا من الضلال بواسطة حكمة الله الآب، التي هي الابن، وذلك حينما أشرق علينا النور الإلهي والعقلي، وأشرقت الشمس، "*وطلع كوكب الصبح وانفجر النهار*" حسب الكتب (٢بط ١: ١٩) فإن الله قد قال أيضا بواسطة أحد الأنبياء الذين تنبأوا عن المسيح: "*برى يقترب سريعًا، وتظهر رحمتي، ويتّقد خلاصي كمصباح*" (إش ٦٢: ١ س). وهو يقول عن نفسه مرّة: "*أنا هو نور العالم، من يتبعني فلا يمشى في الظلمة، بل يكون له نور الحياة*" (يو ١٢: ٤٦). إذن فإن الذي فُقد قد



خلّص بواسطة النور، وكان هناك فرح بين القوات العلّوية. لأنهم يفرحون بخاطئ يتوب، كما علّمنا الذي يعرف جميع الأشياء. لذلك فإن كانوا يفرحون معا ـ متناغمين مع القصد الإلهي ـ بواحد فقط قد خلُص، ويمجّدون رحمة المخلص بتسابيح لا تنقطع، فبأي فرح عظيم يمتلئون حينما يَخلُص جميع الذين تحت السماء، ويُدعون للإيمان بالمسيح ويعترفون بالحق، ويخلعون أدناس الخطية، وتتحرّر رقابهم من رباطات الموت، ويُحرَّرون من اللوم أعني لوم الضلال والسقوط! فإننا نحصل على جميع هذه الأشياء في المسيح الذي به وله من الله أبيه التسبيح والسيادة مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة ١٠٧

مثل الابن الضَّال

(لوقا١٥: ١١ــ ٣٢) " *وَقَالَ: إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ ابْنَانِ. فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لأَبِيهِ: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ. وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الابْنُ الأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ وَسَافَرَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ وَهُنَاكَ بَذَّرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ. فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ فَابْتَدَأَ يَحْتَاجُ. فَمَضَى وَالْتَصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْكُورَةِ فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ لِيَرْعَى خَنَازِيرَ. وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرْنُوبِ الَّذِي كَانَتِ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ. فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا!. أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ. وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. اجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ. فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَآهُ أَبُوهُ فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. فَقَالَ لَهُ الابْنُ: يَا أَبِي أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ. وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ. لأَنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ. وَكَانَ ابْنُهُ الأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقَرُبَ مِنَ الْبَيْتِ سَمِعَ صَوْتَ آلاَتِ طَرَبٍ وَرَقْصًا. فَدَعَا وَاحِدًا مِنَ الْغِلْمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا؟. فَقَالَ لَهُ: أَخُوكَ جَاءَ فَذَبَحَ أَبُوكَ له الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ لأَنَّهُ قَبِلَهُ سَالِمًا. فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ. فَقَالَ لأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخْدُمُكَ سِنِينَ هَذَا عَدَدُهَا وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ وَجَدْيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي. وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هَذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ. فَقَالَ لَهُ: يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. وَلَكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ لأَنَّ أَخَاكَ هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ* ".

إني أسمع أحد الأنبياء القديسين وهو يحاول أن يربح البعيدين عن الله إلى التوبة. فيقول: " *ارجع يا إسرائيل إلى الرب إلهك لأنك قد تعثرت بإثمك خذوا معكم كلامًا وارجعوا إلى الرب*" (هو ١٤: ١و ٢). لذلك فأي نوع من الكلام يأمرهم بإرشاد الروح، أن



يأخذوه معهم؟ ألا يكون لائقًا بالذين يرغبون أن يتوبوا، أن يرضوا الله، الذي هو شفوق ويحب الرحمة؟ لأنه قد قال بواسطة أحد الأنبياء القديسين: "*ارجعوا أيها البنون العصاة لأشفي عصيانكم*" (إر ٣: ٢٢). وأيضًا يقول بصوت حزقيال: "*ارجعوا، توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم يا بيت إسرائيل، اطرحوا عنكم كل معاصيكم التي عصيتم بها، لكي لا تصير لكم مهلكة .. لأني لا أسر بموت الخاطئ. بل أن يرجع ويحيا*" (حز ١٨: ٣٠ و٣١). ونفس هذا الحق يعلّمه لنا المسيح هنا في هذا المَثَل الجميل، الذي سأحاول أن أبحثه بأقصى طاقة ممكنة عندي، وسأجمع نقاطه الهامة باختصار وسأشرح وأدافع عن الأفكار التي يحويها.

يرى البعض أن الابنين في المَثَل يشيران إلى الملائكة القديسين، من ناحية وإلينا نحن سكان الأرض من الناحية الأخرى. وأن الابن الأكبر، الذي عاش بتعقّل، يمثل مجموع الملائكة القديسين، بينما الابن الأصغر المنحرف يمثل الجنس البشري. وهناك آخرون بيننا يعطون المَثَل تفسيرًا مختلفًا، قائلين: إن الابن الأكبر السالك حسنًا يشير إلى إسرائيل حسب الجسد، بينما الابن الأصغر الذي اختار أن يعيش في الشهوات والملذات والذي ابتعد بعيدًا عن أبيه، إنما يشير إلى جمهور الأمم الوثنيين. هذه الشروحات أنا لا أوافق عليها وأرجو ممن يحب التعلّم، أن يبحث ما هو حقيقي وما ليس عليه اعتراضات.

لأن ما أقوله هو كما يأتي "*أعط فرصًا للحكيم، وقدم معرفة للأبرار*" (أم ٩: ٩)، كما يوصي الكتاب، لأنهم من الشروحات التي تُعطى لهم سوف يفحصون عن المعنى المناسب، فإن كنا، نشير بالابن المستقيم إلى الملائكة، فإننا لا نجده يتكلّم الكلمات التي تليق بالملائكة، ولا نجده يشارك الملائكة فرحهم بالخطاة التائبين الذين يرجعون من حياة دنسة إلى حياة وإلى سلوك جدير بالإعجاب. لأن مخلّص الجميع يقول: "*إنه يكون فرح في السماء قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب*" (لو ١٥: ٧)، بينما الابن الموصوف لنا في هذا المثل، باعتباره مقبولاً من أبيه، ويسلك حياة بلا لوم، يَظهَر أنه غاضب، بل ويصل في مشاعره غير الحبيّة إلى درجة أنه ينسب اللوم إلى أبيه بسبب



محبته الطبيعية لابنه الذي خَلُص. فالمَثَل يقول: "*إنه لم يرد أن يدخل البيت*". لأنه اغتاظ بسبب قبول الابن التائب ومن ذبح العجل المسمَّن ولأن أباه صنع له وليمة. ولكن هذا كما قلت، يختلف عن مشاعر الملائكة القديسين. لأنهم يفرحون ويسبِّحون الله حينما يرون سكان الأرض يَخلُصُون. لأنه حينما أخضع الابن نفسه ليولد بالجسد من امرأة في بيت لحم، حمَّل الملائكة عندئذ الأخبار السارة إلى الرعاة قائلين: "*لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، لأنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب*" ويتوجون الذي ولد بالتمجيد والتسابيح قائلين: "*المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وفي الناس المسرة*" (لو ٢: ١٠ و ١١ و ١٤).

ولكن إن كان أي أحد يقول: إن إسرائيل حسب الجسد هو المقصود بالابن الأكبر في المثل الذي كان متمسكًا بوصية أبيه فإننا أيضًا لا نستطيع أن نوافق على هذا الرأي، ذلك لأنه من غير المناسب على الإطلاق أن نقول عن إسرائيل إنه عاش حياة بلا لوم. ففي كل الأسفار الموحَى بها نجد شعب إسرائيل متَّهمين بأنهم متمرِّدون وعصاة؛ لأنهم قد أُخبروا بصوت إرميا: "*ماذا وَجَدَ فيَّ آباؤكم من جور حتى ابتعدوا وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً؟*" (إر ٢: ٥). وتكلَّم الله أيضًا بعبارات مشابهة بصوت إشعياء: "*هذا الشعب قد اقترب بفمه، وأكرمني بشفتيه، وأما قلبه فأبعده عني، وهم يعلِّمون تعاليم هي وصايا الناس*" (إش ٢٩: ١٣). فكيف يستطيع أحد أن يطبِّق على أولئك الذين يُوجَّه إليهم اللوم هذه الكلمات المستعملة في المثل عن الابن الأكبر المتمسِّك بوصية أبيه؟ لأنه قال: "*ها أنا أخدُمك سنين هذا عددها، وقط لم أتجاوز وصيتك*"، لأنهم لم يكونوا ليُلاموا على طريقة حياتهم لو لم يتعدوا الوصايا الإلهية، وبذلك أدوا بأنفسهم إلى حياة مستهترة مدنَّسة.

وأيضًا يقول البعض إن العجل المسمَّن الذي ذبحه الأب حينما رجع ابنه إنما يشير إلى مخلِّصنا. ولكن كيف يمكن للابن الأكبر الذي يوصَف أنه حكيم وفطين ومتمسِّك بواجبه والذي يُشير به البعض إلى الملائكة القديسين ـــ كيف يمكن لذلك الابن أن يعتبر ذبح العجل سببًا للغضب والغيظ؟ كما أننا لا نستطيع أن نجد برهانًا على أن



القوات السماوية قد حزنت حينما احتمل المسيح الموت بالجسد أي حينما ذُبح المسيح لأجلنا. إنهم بالحرى فرحوا، كما قلت عندما رأوا العالم يَخلُص بدمه المقدَّس، وأيضًا ما هو السبب الذي جعل الابن الأكبر يقول: " *جديًا لم تعطني قط*". فأي بركة كانت تنقص الملائكة القديسين، إذ أن رب الكّل قد أنعم عليهم ــ بيد سخيّة بفيض من المواهب الروحية؟ وهل كانوا يحتاجون إلى أية ذبيحة فيما يخص حالتهم؟ لأنه لم يكن هناك احتياج أن يتألم عمانوئيل أيضًا نيابة عنهم. ولكن إن تخيّل أحد كما سبق أن قلت، إن المقصود بالابن الأكبر هو إسرائيل حسب الجسد، فكيف يستطيع أن يقول بالحق: " *جديًا لم تعطني قط*؟"، لأنه، سواء دعوناه عجلاً أم جديًا فالمسيح هو الذي يجب أن يُفهم أنه هو الذبيحة المقدَّمة لأجل الخطية. ولكنه قُدِّمَ ذبيحة ليس لأجل الأمم فقط، بل أيضًا لكي يفدي إسرائيل، الذي بسبب تعدياته الكثيرة للناموس، قد جلب على نفسه لومًا عظيمًا، وبولس الحكيم يشهد لهذا الأمر قائلاً: "*لذلك يسوع أيضًا لكي يقدِّس الشعب بدم نفسه تألم خارج الباب* " (عب ١٣: ١٢).

فما هو موضوع المَثَل إذن؟ دعونا نفحص المناسبة التي قادت إليه، فإننا بذلك سنتعلَّم الحقيقة. لذلك فإن لوقا المبارك نفسه قد تكلَّم قليلاً عن المسيح مخلِّصنا قبل هذا المَثَل فقال: "*وكان جميع العشارين والخطاة يدنون منه ليسمعوه. فتذمَّر الفريسيون والكتبة قائلين: هذا الإنسان يقبل الخطاة ويأكل معهم*" (لو ١٥: ١و٢). لذلك، فلأن الفريسيين والكتبة اعترضوا على رحمته ومحبته للإنسان، وبشرٍ وبعدم تقوى لاموه على قبول وتعليم الناس الذين كانت حياتهم مدنسة، فكان من الضروري أن يضع المسيح أمامهم هذا المَثَل، ليريّهم هذا الأمر ذاته بوضوح: إن إله الكّل يريد من الإنسان الثابت والراسخ، والذي يعرف أن يعيش حياة مقدَّسة وقد وصل إلى ما يستحق أعلى مديح لأجل تعقّله في السلوك، يريد من هذا الإنسان أن يكون مُخلِصًا في إتباع مشيئته، لكن حينما يُدعَى أي واحد إلى التوبة حتى إن كان من الذين يعيشون حياة ملومة جدًّا، فإنه ينبغي بالحري أن يفرح ولا يكون عنده غيظ مضاد للمحبة من جهة التائبين.

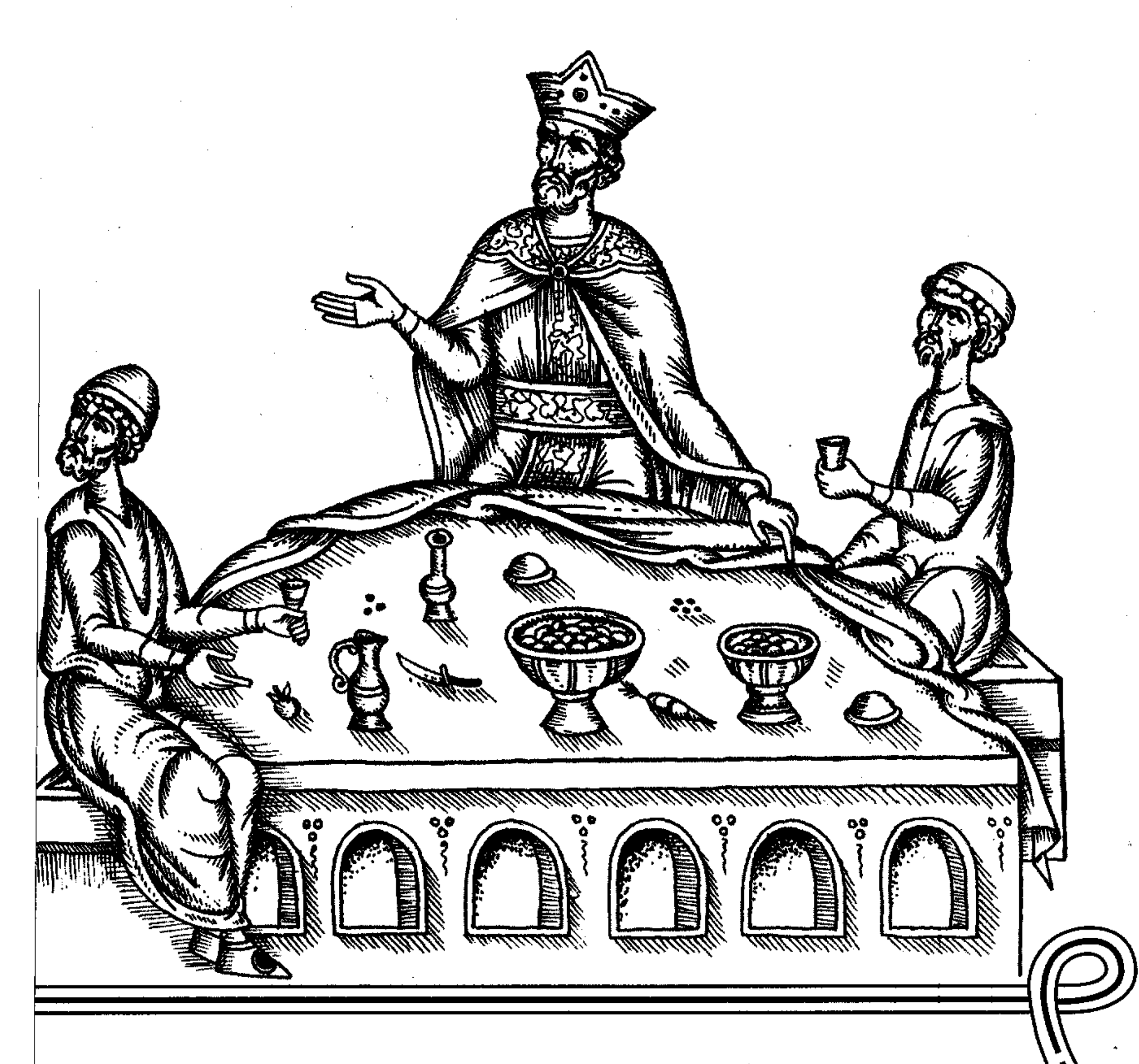
لأننا نحن أحيانًا نختبر شيئًا من هذا النوع لأنه يوجد البعض الذين يعيشون حياة كاملة مكرّمة ثابتة، ويمارسون كل نوع من أعمال الفضيلة، ويمتنعون عن كل شيء

مخالف لشريعة الله، ويتوّجون بمديح كامل في نظر الله والناس. بينما البعض الآخر ربما يكونون ضعفاء عاثرين، ومنحطين إلى كل نوع من الشر ومذنبين بأفعال رديئة، محبين للدنس والطمع وملوثين بكل إثم. ومع ذلك يحدث كثيرًا أن يرجع أحد هؤلاء إلى الله في سن متقدّم ويطلب غفران خطاياه السابقة: إنه يصلي طالبًا الرحمة، وإذ يترك عنه إستعداده للسقوط في الخطية، وتشتعل فيه الرغبة للحياة الفاضلة، أو ربما حينما يوشك على الاقتراب من نهاية حياته، فإنه يطلب المعمودية الإلهية[1] ويغتسل من خطاياه تاركًا شروره، فإن الله يكون رحيمًا به. وقد يحدث أحيانًا أن يتذمر بعض الأشخاص من هذا، بل ويقولون: " هذا الإنسان الذي كان مذنبًا بكذا وكذا من الأعمال الشريرة، وقد تكلّم بكذا وكذا من الكلمات، هذا الإنسان لم يفِ دين سلوكه الرديء أمام قاضي العدل، بل إنه حُسب أهلاً لنعمة سامية وعجيبة وقد حُسب بين أبناء الله، وكُرِّم بمجد القديسين". مثل هذه الشكوى ينطق بها الناس أحيانًا نتيجة ضيق العقل الفارغ. وشكواهم لا تتفق مع غرض أب الجميع. لأن الآب يفرح فرحًا عظيمًا حينما يرى الذين كانوا ضالين يحصلون على الخلاص، وهو يرفعهم ثانية إلى ما كانوا عليه في البداية، معطيًا لهم ثياب الحرية مزينًا إياهم بالحُلة الأولى، ويضع خاتمًا في يدهم، أي السلوك باستقامة، الذي يرضي الله ويليق بالأحرار.

لذلك فإن واجبنا أن نُخضِع أنفسنا لما يريده الله، لأنه يشفي الذين هم مرضى، وهو يرفع الساقطين، ويمد يده بالمعونة للذين يعثرون، ويرد إليه الذين ابتعدوا عنه، وهو يُشكِّل من جديد في شكل حياة ممدوحة وبلا لوم أولئك الذين كانوا يتمرّغون في وحل الخطية، إنه يفتش عن أولئك الذين ضلوا، وهو يقيم من الموت الذين كانوا يعانون من الموت الروحي.

دعونا نفرح أيضًا، هيا نفرح، مع الملائكة القديسين ونسبِّح الله لأنه صالح ومحب للبشر، ولأنه رحيم ولا يذكر الشر، لأنه إن كنا نفكر هكذا فالمسيح سوف يقبلنا، الذي به ومعه لله الآب كل تسبيح وسيادة مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

[1] كانت عادة تأجيل المعمودية إلى ما قبل الوفاة مباشرةً، حرصًا على عدم الوقوع في الخطية بعد المعمودية، هي عادة منتشرة عند البعض في القرون الأولى، وقد واجهت الكنيسة هذه العادة الخاطئة وأوضحت أن الخطية التي يقع فيها الإنسان بعد معموديته يمكن أن تغفر بالتوبة والاعتراف.



(أيقونة تصور قصة الغنى ولعازر)

الأصحاح السادس عشر



كان إنسان غني وكان يلبس الأرجوان والبَزَّ
ويتنعم كل يوم مترفهاً . وكان مسكين اسمه لعازر
الذي طُرح عند بابه مضروباً بالقروح . . .
(لوقا ١٦ : ١٩، ٢٠)

الأصحاح السادس عشر

عظة ١٠٨

وَكِيلُ الظُّلْم

(لو١٦: ١ــ ٩) " *وَقَالَ أَيْضًا لِتَلاَمِيذِهِ: كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ لَهُ وَكِيلٌ فَوُشِيَ بِهِ إِلَيْهِ بِأَنَّهُ يُبَذِّرُ أَمْوَالَهُ. فَدَعَاهُ وَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا الَّذِي أَسْمَعُ عَنْكَ؟ أَعْطِ حِسَابَ وَكَالَتِكَ لأَنَّكَ لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَكُونَ وَكِيلاً بَعْدُ. فَقَالَ الْوَكِيلُ فِي نَفْسِهِ: مَاذَا أَفْعَلُ؟ لأَن سَيِّدِي يَأْخُذُ مِنِّي الْوَكَالَةَ. لَسْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَنْقُبَ وَأَسْتَحِي أَنْ أَسْتَعْطِيَ. قَدْ عَلِمْتُ مَاذَا أَفْعَلُ حَتَّى إِذَا عُزِلْتُ عَنِ الْوَكَالَةِ يَقْبَلُونِي فِي بُيُوتِهِمْ. فَدَعَا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ مَدْيُونِي سَيِّدِهِ وَقَالَ لِلأَوَّلِ: كَمْ عَلَيْكَ لِسَيِّدِي؟. فَقَالَ: مِئَةُ بَثِّ زَيْتٍ. فَقَالَ لَهُ: خُذْ صَكَّكَ وَاجْلِسْ عَاجِلاً وَاكْتُبْ خَمْسِينَ. ثُمَّ قَالَ لآخَرَ: وَأَنْتَ كَمْ عَلَيْكَ؟ فَقَالَ: مِئَةُ كُرِّ قَمْحٍ. فَقَالَ لَهُ: خُذْ صَكَّكَ وَاكْتُبْ ثَمَانِينَ. فَمَدَحَ السَّيِّدُ وَكِيلَ الظُّلْمِ إِذْ بِحِكْمَةٍ فَعَلَ لأن أَبْنَاءَ هَذَا الدَّهْرِ أَحْكَمُ مِنْ أَبْنَاءِ النُّورِ فِي جِيلِهِمْ. وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ: اصْنَعُوا لَكُمْ أَصْدِقَاءَ بِمَالِ الظُّلْمِ حَتَّى إِذَا فَنِيتُمْ يَقْبَلُونَكُمْ فِي الْمَظَالِّ الأَبَدِيَّةِ* ".

إن ربنا يسوع المسيح إذ يُظهِر مجده لجموع اليهود أو بالأحرى لكل من آمنوا به، يقول: "*أنا هو نور العالم*" (يو ٨:١٢) وأيضًا: "*أنا قد جئت نورًا إلى العالم*" (يو ٤٦:١٢)، لأنه هو يملأ ذهن من يخافونه بنور إلهي وعقلي لكي لا يضلّوا عن الطريق الصحيح بالسير في الظلمة والكآبة، بل لكي بالأحرى يعرفون كيف يتقدّمون باستقامة في كل عمل صالح، وفى كل ما من شأنه أن يُعين الإنسان ليحيا حياة القداسة. لذلك هو يريدنا أن نكون صالحين ومستعدين أن نتصل ببعضنا وأن نحب بعضنا البعض، وأن نكون رحومين ومتزيّنين بمكارم الإحسان.

لذلك فإنه أعدَّ لنا بمنتهى الحكمة المَثَل الحاضر، ولأننا مشتاقون أن نشرحه بأقصى ما عندنا من قُدرة، لذلك فنحن بالضرورة نتكلّم كما يلي لأولئك الذين يحبون التعلّم.

وهكذا فإن الأمثال تشرح لنا بطريقة غير مباشرة ومجازية الكثير مما هو لبنائنا،

على شرط أن نتأمل معناها بطريقة مختصرة وملخَّصة، لأنه ليس لنا أن نفحص كل عناصر المَثَل بتدقيق وتطفُّل، لئلا تتسبب المجادلة الطويلة جدًّا بإفراطها الزائد، في تعب حتى أولئك المغرَمين بالاستماع وتنهك الناس بازدحام الكلمات. لأنه لو أن واحدًا مثلاً يأخذ على عاتقه أن يشرح، مَنْ الذي يجب أن نعتبره الإنسان الذي كان له وكيل، وهو الذي وُشي به إليه، أو مَنْ هو الذي يمكن أن يكون قد وُشي به ، وأيضًا مَنْ هم المدينون له ثم خَصَمَ جزءً من ديونهم، ولأي سبب قيل إن واحدًا مَدين بالزيت والآخر بالقمح، فإنه سيجعل حديثه غامضًا وفى نفس الوقت مطولاً بغير داعٍ وأيضًا يجعله غامضًا بآنٍ واحد. لذلك فليست كل أجزاء المَثَل هي بالضرورة ومن كل جهة نافعة لشرح ما تشير إليه الأشياء، بل هي قد أُخذت لتكون صورة لأمر هام معيَّن وهو يقدِّم درسًا لأجل منفعة السامعين.

لذلك فإن مغزى المَثَل الحالي هو شيء مثلما يأتي:

"*الله يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون*" (١تي ٢:٤)، فمن أجل هذا السبب هو أعطى "*الناموس عونًا*" بحسب تعبير النبي (إش ٨:٢٠) والناموس في مثل هذه المقاطع التي نقولها لا يعني بالطبع ما جاء بواسطة موسى فقط، بل بالحري كل الكتاب الموحى به الذي بواسطته نتعلَّم الطريق الذي يؤدي باستقامة إلى كل شيء صالح وخلاصي. لذلك فإن رب الكُل يريدنا أن نكون راسخين تمامًا في سعينا نحو الفضيلة، وأن نُثبِّت رغباتنا نحو الحياة المقدَّسة الأفضل وأن نحرِّر أنفسنا من ارتباكات العالم ومن كل محبة للغنى ومن اللّذة التي تجلبها الثروة، لكي ما نخدم الله باستمرار، وبعواطف غير منقسمة، لأنه يقول أيضًا بقيثارة المرنم: "*ثابروا واعلموا أني أنا هو الله*" (مز ٤٦:١٠) وأيضًا فإن مخلِّص الكُل يقول بفمه لكل مَنْ يقتنون ثروات دنيويّة: "*بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة، اعملوا لكم أكياسًا لا تفنى وكنزًا لا ينفد في السموات*" (لو ١٢:٣٣). إن هذه الوصية هي في الواقع لأجل خلاصنا، لكن ذهن الإنسان ضعيف جدًّا أو مثبَّت باستمرار على أمور أرضيّة وهو غير راغب في الابتعاد بنفسه عن لذَّة الغنى. إنه ذهن يحب المجد الباطل ويرتضي جدًّا بمديح المنافقين، ويتوق إلى



التجهيزات الجذابة، ولا يحب شيئًا أفضل من الكرامة المؤقتة. والمخلِّص نفسه لأنه يعرف هذا، فقد قال عنه في موضع ما: "*ما أعسر دخول ذوى الأموال إلى ملكوت الله*" (لو ١٨: ٢٤)، وأيضًا: "*لأن دخول جمل من ثقب أبره أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله*" (لو ١٨: ٢٥). لأنه طالما أن الإنسان يعيش في غنى ولذّة فإنه يهمل التقوى من نحو الله، لأن الثروة تجعل الناس متكبّرين وتزرع في أذهان مَنْ يمتلكونها بذار كل شهوانية.

إذن أليس هناك طريق لخلاص الأغنياء؟ وألا توجد وسيلة لجعلهم شركاء في رجاء القديسين؟ هل هم قد سقطوا تمامًا من نعمة الله؟ هل جهنم والنار مُعدة لهم بالضرورة مثلما هي نصيب إبليس وملائكته؟

لا، ليس الأمر هكذا، انظر فهوذا المخلِّص قد أظهَرَ لهم وسيلة للخلاص في المَثَل الحاضر فقد جعلهم الله موكَّلين على ثروة عالمية بسماح ورحمة من الله القدير، لكن بحسب قصده فقد جُعلوا وكلاء لأجل الفقراء، لكنهم لم يقوموا بوكالتهم بطريقة صائبة فهم يبعثرون ما قد أُعطي لهم من الرب، لأنهم يبدّدونه على ملذاتهم فقط، واشتروا به كرامات مؤقتة غير متذكرين الله الذي يقول: "*ابسط مراحمك لأخيك، ذلك الذي يحتاج إليك*" (تث ١٥: ٨ س)، ولا متذكرين أيضًا المسيح نفسه مخلِّصنا جميعًا والذي يقول: "*كونوا رحماء كما أن أباكم أيضًا* رحيم" (لو ٦: ٣٦). لكنهم كما قلت لا يعملون أي اعتبار لإظهار الرحمة لإخوتهم، بل يغذّون فقط كبرياءهم. هذه هي التهمة التي توجَّه إليهم أمام رب الكّل. ومن الطبيعي أنهم عند اقتراب الموت يلزمهم أن يتوقفوا عن وكالتهم، بإنتهاء الأعمال البشرية، لأنه لا يمكن لأحد أن يفلت من شبكة الموت. فماذا يريدهم المسيح أن يفعلوا إذن؟ إنهم بينما هم لا يزالون في هذا العالم، حتى ولو كانوا غير راغبين في إعطاء كل ثروتهم للفقراء، فعلى الأقل عليهم أن يقتنوا لهم أصدقاء بجزء منها، وأن يقتنوا لهم شهودًا كثيرين لإحسانهم أي أولئك الذين نالوا خيرًا على أيديهم، حتى إذا انقطعت عنهم ثروتهم الأرضيّة، يمكنهم أن يقتنوا لهم موضعًا في مظالهم، لأنه من المستحيل أن تكون محبة الفقراء بلا مكافأة. لذلك سواء

أعطى الإنسان كل ثروته أو أعطى جزءً منها، فإنه بالتأكيد سوف ينفع روحه.

لذلك فهو عمل يليق بالقديسين وجدير بالمديح الكامل والذي يؤدي إلى ربح الأكاليل التي فوق، أن لا يكنز الإنسان ثروة أرضيّة، بل أن يوزّعها على من هم في احتياج لكي يكنز بالأحرى ما هو في السموات، ويحصل على أكياس لا تفنى (انظر لو١٢:٣٣)، ويقتني كنزًا لا يفنى، ويلي ذلك أن يستخدموا نوعًا من التحايل ليكسبوا القريبين من الله كأصدقاء لهم، بأن يعطوهم جزءً من ثروتهم، ويريحوا كثيرين من الفقراء، لكي بهذا يمكنهم أن يشاركوهم فيما هو لهم. وينصح الحكيم جدًّا بولس الرسول بشيء من هذا النوع قائلاً للذين يحبون الثروة: "*لكي تكون فضالتكم لأعوازهم، كي تصير فضالتهم لأعوازكم*" (٢كو ٨:١٤).

لذلك فمن الواجب علينا، إن كان لنا قلب مستقيم، وإذا ثبّتنا عين الذهن على ما سوف يكون فيما بعد، وإذا تذكّرنا الكتاب المقدس الذي يقول بوضوح: إننا جميعًا سنظهَر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرًا كان أم شرًا (٢كو ٥:١٠)، إن كنا نخاف اللهيب الشديد الذي لا يخمد، أن نتذكّر الله الذي يريدنا أن نُظهِر رحمة نحو إخوتنا، وأن نتألم مع المرضى، وأن نبسط أيدينا لمن هم في احتياج، وأن نكّرم القديسين الذين يقول المسيح عنهم: "*من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني*" (مت ١٠:٤٠) ولأن الرحمة للإخوة إنما هي ليست بدون فائدة أو نفع، لذلك يعلّمنا المخلّص نفسه ويقول: "*مَنْ يُعطي كأس ماء بارد باسم تلميذ لن يضيع أجره*" (مت ١٠:٤٢). لأن مخلِّص الجميع هو سخي في العطاء: الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين.



عظة ١٠٩

الأمينُ في القليلِ

" لاَ تقْدِرونَ أنْ تخْدِموا اللهَ وَالمالَ "

(لو١٦: ١٠ ــ ١٣): *" اَلأَمِينُ فِي الْقَلِيلِ أَمِينٌ أَيْضًا فِي الْكَثِيرِ وَالظَّالِمُ فِي الْقَلِيلِ ظَالِمٌ أَيْضًا فِي الْكَثِيرِ. فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أُمَنَاءَ فِي مَالِ الظُّلْمِ فَمَنْ يَأْتَمِنُكُمْ عَلَى الْحَقِّ؟. وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أُمَنَاءَ فِي مَا هُوَ لِلْغَيْرِ فَمَنْ يُعْطِيكُمْ مَا هُوَ لَكُمْ؟. لاَ يَقْدِرُ خَادِمٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ الْوَاحِدَ وَيُحِبَّ الآخَرَ أَوْ يُلاَزِمَ الْوَاحِدَ وَيَحْتَقِرَ الآخَرَ. لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَخْدِمُوا اللهَ وَالْمَالَ "*.

المعلِّمون الأكثر خبرة وامتيازًا عندما يرغبون في تثبيت أي تعليم هام في عمق أذهان تلاميذهم، فإنهم لا يغفلون أي نوع من التفكير يستطيع أن يلقي ضوءًا على الغرض الرئيسي لأفكارهم. فمرّة ينسجون الحجج معًا، ومرة أخرى يستخدمون أمثلة مناسبة، وهكذا يجمعون من كل حدب وصوب أي شيء يخدم غرضهم. وهذا ما نجد أن المسيح أيضًا يفعله في أماكن كثيرة، وهو الذي يعطينا كل حكمة. لأنه كثيرًا ما يكرّر نفس الحجج بعينها حول الموضوع أيًا كان لكي ما يُرشد ذهن سامعيه إلى الفهم لكلماته بدقة. لذا أتوسّل إليكم أن تنظروا ثانية إلى مغزى الدروس الموضوعة أمامنا. لأنه هكذا ستجدون أن كلماتنا صحيحة، وهو يقول: " *الأمين في القليل أمين أيضًا في الكثير، والظالم في القليل ظالم أيضًا في الكثير* ".

لكن قبل أن أسترسل، أعتقد أنه من المفيد أن نتأمل في ما هي مناسبة مثْل هذا الحديث، ومن أي أصل نشأ، لأن بهذا سيصير معنى الكلام واضحًا جدًّا. كان المسيح آنذاك يُعلِّم الأغنياء أن يشعروا ببهجة خاصة في إظهار الشفقة والعطف نحو الفقراء، وفي مد يدّ العون لكل من هم في احتياج، وهكذا يكنزون لهم كنوزًا في السماء، ويتفكرون مقدمًا في الغنى المُذخر لهم، لأنه قال: " *اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية* " (لو ١٦: ٩). لكن إذ هو إله بالطبيعة، فهو

يعرف جيدًا كسل الذهن البشرّى من جهة كل عمل جاد وصـــالح. ولــم يغـب عـن معرفته، أن البشر في طمعهم في المال والثروة يسلّمون ذهنهم لحـب الـربح، وإذ تتسلّط عليهم هذه الشهوة، فإنهم يصيرون قساة القلوب ولا يبدون مشاركة وجدانية في الألم، ولا يظهرون أي شفقة أيًا كانت للفقراء رغم أنهم قد كدّسوا ثروات كثيرة فـي خزائنهم. لذلك فأولئك الذين يتفكرون هكذا ليس لهم نصيب في هبات الله الروحيـة، وهذا ما يظهره (الرب) بأمثلة واضحة جدًا إذ يقول: "*الأمين في القليل أمين أيضًا في الكثير، والظالم في القليل ظالم أيضًا في الكثير* ".

يا رب اشرح لنا المعنى، وافتح عين قلبنا. لذلك أنصتوا إليه بينمـا هـو يـشرح بوضوح ودقة ما قاله. "*إن لم تكونوا أمناء في مال الظلم، فمن يأتمنكم على الحـق؟*" (لو ١٦: ١١)، فالقليل إذن هو مال الظلم، أي الثروة الدنيوية التي جُمعـت فـي الغالـب بالابتزاز والطمع. أما مَنْ يعرفون كيف يعيشون بالتقوى، ويعطشون إلـى الرجـاء المكنوز لهم، ويسحبون ذهنهم من الأرضيات، ويفكّرون بالأحرى في الأمـور التـي فوق، فإنهم يزدرون تمامًا بالغنى الأرضي، لأنه لا يمنح شيئًا سوى الملذات والفجور والشهوات الجسدانية الوضيعة، والأبهة التي لا تنفع، بل هي أبهة مؤقتة وباطلة وهكذا يعلّمنا أحد الرسل الأطهار قائلاً: "*لأن كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيـون وتعظم المعيشة*" (ايو ٢: ١٦).

لكن مثل هذه الأشياء هي لا شيء بالمّرة لمن يحيون حياة رزينة وتقيّـة، لأنهـا أشياء تافهة، ومؤقتة، ومملوءة بالنجاسة وتؤدى إلى النار والدينونة، ونادرًا ما تستمر إلى نهاية حياة الجسد، وحتى إن استمرت، فإنها تزول على غير توقع عندما يحلّ أي خطر بأولئك الذين يمتلكونها. لذلك يوبخ تلميذ المسيح الأغنياء بقوله: " *هلّم الآن أيها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة، غناكم قد تهرأ وثيابكم قد أكلهـا العـث ذهبكم وفضتكم قد صدئا، وصدأهما يكون شهادة عليكم*" (يع ٥: ١ـــ٣). فكيـف صـدأ الذهب والفضة؟ بكونهما مخزونين بكميات هائلة، وهذا بعينه هو شهادة ضدهم أمـام منبر الدينونة الإلهي، لكونهم غير رحومين، لأنهم جمعوا في كنوزهم كميات كبيرة لا



يحتاجون إليها، ولم يعملوا أي اعتبار لمن كانوا في احتياج، مع أنه كان في استطاعتهم ـ لو هم رغبوا ـ أن يصنعوا خيرًا بسهولة لكثيرين، ولكنهم لم يكونوا أمناء في القليل.

لكن بأي طريقة يمكن للناس أن يصيروا أمناء؟ هذا ما علّمنا إياه المخلّص نفسه بعد ذلك، وأنا سأشرح كيف ...

طلب أحد الفريسيين منه أن يأكل خبزًا عنده في يوم السبت، وقَبِلَ المسيح دعوته، ولما مضى إلى هناك جلس ليأكل، وكان كثيرون آخرون أيضًا مدعوين معه، ولم يكن أحد منهم تظهر عليه سمات الفقر، بل على العكس كانوا كلهم من الوجهاء وعلية القوم ومحبّين للمجالس الأولى ومتعطشين للمجد الباطل كما لو كانوا متسربلين بكبرياء الغنى. فماذا قال المسيح لمن دعاه: "*إذا صنعت غذاء أو عشاء فلا تدعُ أصدقاءك ولا إخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء لئلا يدعوك هم أيضًا فتكون لك مكافأة، بل إذا صنعت ضيافة فادعُ المساكين الجدع والعرج والعمي، فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافئوك، لأنك تُكافئ في قيامة الأبرار*" (لو ١٤: ١٢ــ١٤). هذا هو إذن ما اعتقد أنه معنى أن يكون الإنسان أمينًا في القليل، أي أن تكون له شفقة على مَنْ هم في احتياج، ويوزِّع مساعدة ممّا لديّه لمن هم في ضيق شديد. لكن نحن بازدرائنا بالطريق المجيد والذي له مجازاة أكيدة، فإننا نختار طريقًا معيبًا وبلا مكافأة، وذلك بأن نعامل باحتقار مَنْ هم في فقر مدقع، بل ونرفض أحيانًا أن نسمح لكلماتهم أن تدخل آذاننا، بينما نحن من ناحية أخرى نُقيم وليمة مكلّفة وببذخ شديد إما لأصدقاء يعيشون في رغد، أو لمن اعتادوا أن يمدحوا أو يداهنوا جاعلين كرمنا فرصة لإشباع حبنا للمديح.

لكن هذا لم يكن هو قصد الله من سَمَاحِه لنا أن نمتلك ثروة، لذلك فإن كنا غير أمناء في القليل بعدم تكييف أنفسنا وفقًا لمشيئة الله، وبإعطاء أفضل قِسْم من أنفسنا لملذاتنا وافتخاراتنا، فكيف يمكننا أن ننال منه ما هو حق؟ (أو ما هو حقيقي). وماذا يكون هذا الحق؟ هو الإنعام الفائض لتلك العطايا الإلهية التي تزيّن نفس الإنسان،



وتجعل فيها جمالاً شبيهًا بالجمال الإلهي. هذا هو الغنى الروحي، وليس الغنى الذي يسمِّن الجسد المُمسك بالموت، بل هو بالأحرى ذلك الغنى الذي يُخلِّص النفس ويجعلها جديرة بأن يُقتدى بها، ومكرَّمة أمام الله، والذي يكسبها مدحًا وأمجادًا حقيقية.
لذلك فمن واجبنا أن نكون أمناء لله، أنقياء القلب، رحومين وشفوقين، أبرارًا وقديسين، لأن هذه الأمور تطبع فينا ملامح صورة الله، وتكمِّلنا كورثة للحياة الأبدية، وهذا إذن هو " الحق ".

وكون أن هذا هو مغزى ومقصد كلمات المخلِّص، فهذا هو ما يمكن لأي شخص أن يعرفه بسهولة مما يلي، لأنه يقول: "*إن لم تكونوا أمناء فيما هو للغير فمن يعطيكم ما هو لكم؟*". وأيضًا نحن نقول إن "*ما هو للغير*" هو الغنى الذي نمتلكه، لأننا لم نولد أغنياء بل على العكس، فقد وُلِدنا عُراة، ويمكننا أن نؤكد هذا عن حق بكلمات الكتاب: "*لأننا لم ندخل العالم بشيء، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء*" (اتي ٦:٧)، لأن أيوب الصبور قد قال أيضًا شيئًا من هذا القبيل: "*عريانًا خرجت من بطن أمي وعريانًا أعود إلى هناك*" (أي ١:٢١). لذلك، فلا يملك أي إنسان بمقتضى الطبيعة أن يكون غنيًا، وأن يحيا في غنى وفير، بل إن الغنى هو شيء مُضاف عليه من خارجه، فهو مجرد إمكانية (أي يمكن أن يوجد أو لا يوجد)، فلو باد الغنى وضاع فهذا أمر لا يخلّ بأي حال بخصائص الطبيعة البشريّة، فإنه ليس بسبب الغنى نكون كائنات عاقلة وماهرين في كل عمل صالح، بل إن هذه هي خاصية للطبيعة البشرية أن نتمكّن من عمل هذه الأشياء. لذلك كما قلت فإن " ما هو للغير " لا يدخل ضمن خصائص طبيعتنا، بل على العكس فمن الواضح أن الغنى إنما هو مُضاف إلينا من الخارج. ولكن ما هو لنا، وخاص بالطبيعة البشريّة هو أن نكون مؤهّلين لكل عمل صالح، كما يكتب الطوباوي بولس: "*قد خُلقنا لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها*" (أف ٢:١٠).

لذلك فعندما يكون البعض غير أمناء "*فيما هو للغير*"، أي في تلك الأشياء التي هي مضافة إليهم من الخارج، فكيف سينالون ما هو لهم؟ كيف سيصيرون شركاء



الخيرات التي يعطيها الله والتي تزيّن نفس الإنسان وتطبع فيها جمالاً إلهيًا، يتشكّل فيها روحيًا بواسطة البّر والقداسة، وبتلك الأعمال المستقيمة التي تُعمل في مخافة الله.

لذلك ليت مَنْ يمتلكون منا ثروة أرضية، يفتحون قلوبهم لأولئك الذين هم في احتياج وعوز، ولنظهر أنفسنا أمناء ومُطيعين لوصية الله، وتابعين لمشيئة ربنا في تلك الأشياء التي هي من خارج وليست هي لنا لكي ما ننال ما هو لنا، الذي هو ذلك الجمال المقدس والعجيب، الذي يُشكّله الله في نفوس الناس إذ يصوغهم على مثاله، بحسب ما كنا عليه في الأصل.

أما أنه شيء مستحيل لشخص واحد بعينه أن يقسّم ذاته بين متناقضات ويمكنه مع ذلك أن يحيا حياة بلا لوم، فالرب يوضح هذا بقوله: "*لا يقدر خادم أن يخدم سيدين لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يكرم الواحد ويحتقر الآخر*" (لو ١٦:١٣). وهذا في الواقع مثال واضح وصريح ومناسب جدًّا لشرح الموضوع الذي أمامنا، لأن الذي يترتب على هذا هو خُلاصة المناقشة كلها: "*لأنكم لا تقدرون أن تخدموا الله والمال*"، وهو يقول: لأنه لو كان لإنسان أن يكون خادمًا لسيدّين لهما مشيئتان مختلفتان ومتضادتان، وفكر كل واحد منهما غير قابل للتصالح مع الآخر، فكيف يمكنه أن يرضيّهما كليهما؟ لأنه بسبب كونه منقسمًا في سعيه أن يعمل ما يوافق عليه كل منهما، يكون هو نفسه في تعارض مع مشيئتيهما معًا، وهكذا فإن نفس الشخص يلزمه حتمًا أن يُظهر أنه شرير وصالح، لذلك يقول (الرب)، إنه لو قرَّر أن يكون أمينًا للواحد فإنه سيبغض الآخر، وهكذا سيعتبره طبعًا كلا شيء، لذلك يستحيل أن نخدم الله والمال. فمال الظلم، الذي يُقصَد به الغنى، هو شيء يُسلِّم للشهوانية، وهو معرَّض لكل لوم، ويولِّد الافتخار ومحبة اللّذة، ويجعل الناس غلاظ الرقبة وأصدقاء للأشرار ومتكبِّرين، نعم، أية رذيلة دنيئة لا يسببها في أولئك الذين يمتلكونه؟!

لكن مسرّة الله الصالحة تجعل الناس لطفاء هادئين متواضعين في أفكارهم، طويلي الأناة، رحومين، ولهم صبر نموذجي، غير محبين للربح، غير راغبين في الغنى وقانعين بالقوت والكسوة فقط، ويهربون على الأخص من محبة المال الذي هو أصل

لكل الشرور (اتي ٦:١٠)، ويباشرون بفرح الأتعاب لأجل التقوى، ويهربون من محبة اللّذة، ويتحاشون باجتهاد كل شعور بالتعب والكلل في الأعمال الصالحة، ودائمًا يُقدِّرون السعي إلى الحياة باستقامة وممارسة كل اعتدال باعتبار أن هذه الأشياء هي التي تربح لهم المكافأة. هذا هو "ما هو لنا" وما "هو الحق "، هذا هو ما سيسبغه الله على مَنْ يحبون الفقر، ويعرفون كيف يوزعون ــ على من هم في احتياج ــ "*ما هو للغير*" ويأتي من الخارج، أي غناهم الذي يُعرَف أيضًا باسم المال. فليتّه يكون بعيًدا عن ذهن كل واحد منا أن نكون عبيدًا له (المال)، لكي بهذا يمكننا بحريّة وبدون عائق أن نحني عنق ذهننا للمسيح مخلّصنا كلنا، الذي به ومعه لله الآب يحق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين أمين.



عظة ١١٠
محبة المال ـ الكبرياء

(لو١٦: ١٤ـــ ١٧): " *وَكَانَ الْفَرِّيسِيُّونَ أَيْضًا يَسْمَعُونَ هَذَا كُلَّهُ وَهُـــمْ مُحِبُّـــونَ لِلْمَـــال فَاسْتَهْزَأُوا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمُ الَّذِينَ تُبَرِّرُونَ أَنْفُسَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ! وَلَكِنَّ اللهَ يَعْرِفُ قُلُوبَكُمْ. أن الْمُسْتَعْلِيَ عِنْدَ النَّاسِ هُوَ رِجْسٌ قُدَّامَ اللهِ. كَانَ النَّامُوسُ وَالأَنْبِيَاءُ إِلَى يُوحَنَّا. وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْت يُبَشَّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَكُلُّ وَاحِدٍ يَغْتَصِبُ نَفْسَهُ إِلَيْهِ. وَلَكِنَّ زَوَالَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ*[١] *مِنَ النَّامُوسِ*..".

يا إخوتي إن محبة المال هي داء شرير جدًّا وليس من السهل التحرُّر منه، لأنـــه بعد أن يزرع الشيطان هذا المرض في نفس الإنسان فإنه يبدأ أن يعميه ولا يسمح له أن ينصت إلى كلمات الوعظ لكي لا نجد لأنفسنا سبيلاً للشفاء يستطيع أن يخلِّص من البؤس أولئك الذين وقعوا في شراكه. وأرجوكم أيضًا أن تلاحظوا مدى صدق كلامي في هذا الموضوع من مثال الفريسيين، لأنهم كانوا محبين للمال ومغـــرمين بـــالربح وينظرون باحتقار إلى مجرد الاكتفاء، لأنه يمكن للمرء أن يري أنهم ملومـــون لهـــذا السبب نفسه عندما يرجع إلى الكتب الإلهية الموحَى بها. إذ قيـــل بـــصوت إشـــعياء لأورشليم أم اليهود: "*رؤساؤك متمردون وشركاء اللصوص، كل واحد منهم يحـــب الرشوة ويتبع العطايا، لا يقضون لليتيم ولا يلتفتون إلى دعـــوى الأرملـــة*" (إش ١: ٢٣ س). وأيضًا قال حبقوق النبي: "*حتى متى يا رب أدعو وأنت لا تسمع، أصرخ إليك مـــن الظلم وأنت لا تخلِّص؟ القضاء أمامي والقاضي أخذ رشوة ولذلك فالشريعة لا تنفع ولا يصل الحكم إلى الاكتمال، لأن الشرير ينتصر على الصديق، لـــذلك يخـــرج الحكـــم معوجًا*" (حب ١: ٢ـــ ٤ س). لأنه كما قلت بسبب كونهم محبيّن للربح، فإنهم يحكمون باستمرار في الأمور التي أمامهم ليس حسب ما يوافق شرائع الله، بل علـــى العكـــس

[١] الكلمة السريانية التي تقابل نقطة (κεραια) اليونانية تعني أصغر جزء من أحد الحروف العبرية .



يقضّون بالظلم وبما يتناقض مع مشيئة الله.

ثم إن المخلّص نفسه وبخّهم هكذا قائلاً: "*ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون، لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون وتركتم أثقل ما في الناموس، الحق والرحمة والإيمان*" (مت ٢٣:٢٣). لأنه إذ قد أعطاهم الناموس حق قبول العشور، فإنه امتدوا ببحثهم وراء العشور بتدقيق حتى وصلوا لأتفه النباتات وأقلها أهمية، بينما لن يعطوا سوى اعتبار قليل لأمور الشريعة الأثقل، أي لتلك الوصايا التي كانت واجبة وضرورية وكانت لخير الناس.

لذلك يقول الإنجيل: "*لأن الفريسيين كانوا محبين للمال*"، فإنهم استهزأوا بيسوع لأنه كان يوجهّهم بتعاليمه الخلاصية إلى طريقة سلوك جديرة بالمدح، وجعلهم راغبين في أمجاد القديسين. وهو يخبرهم بأنه كان يجب عليهم أن يبيعوا ممتلكاتهم ويوزعوا على الفقراء. لأنهم بهذا يقتنون لهم كنزًا في السماء لا يمكن أن يُسرق، وأكياس لا تبلى، وغنى لا يضيع ولا يفنى، إذن فلماذا سَخِرَ منه الفريسيون؟ لأن التعليم كان خلاصيًا بالتأكيد وطريقًا للرجاء في الأمور الآتية وباباً يؤدي إلى الحياة غير الفانية. لأنهم كانوا يتعلّمون منه أساليب النجاح الحقيقي، ويتعلّمون كيف ينبغي أن يمسكوا بإكليل الدعوة السماوية، وأيضًا كيف يصيرون شركاء مع القديسين، وأبناء المدينة التي فوق، أي أورشليم التي في السماء والتي هي حُرَّة حقًا وأم الأحرار. ولأنه هكذا يكتب بولس المبارك: "*وأما أورشليم العليا التي هي أمنا جميعًا فهي حرة*" (غل ٤:٢٦). فلماذا استهزأوا به إذن؟

لننظر إلى سبب شرهم. لقد تملّك داء الطمع على قلبهم، وإذ صار ذهنهم مستعبدًا للطمع فإنه أصبح خاضعًا له حتى ضد إرادته، ومذلولاً تحت قوة الشر، ومقيدًا بقيود لا فكاك منها.

يقول كاتب سفر الأمثال إن: "*كل إنسان مُقيَّد بحبال خطاياه*" (أم ٥:٢٢ س). فكما أن أكثر أمراض الجسد خبثًا لا تقبل علاجات الطب، وكأنها تهرب من الشفاء وحتى إن استخدم أحدهم ذلك العلاج الذي يؤدي إلى الشفاء بطبيعته، فإنها تتهيج أكثر وتثور



مهما كان اللطف الذي يعاملها به فن الطب، هكذا أيضًا تلك الشهوات التي تتعرض لها نفوس الناس، فإنهم يكونون أحيانًا معاندين ويرفضون الإنصات للنصح، ولا يسمعون كلمة واحدة تدعوهم لترك الشر وتوجههم إلى طريق أفضل. وكما أن الخيول الجامحة والمشاكسة والزائدة النشاط لن تطيع اللُجم، كذلك أيضًا ذهن الإنسان عندما يكون تحت تأثير الشهوة، وميالاً تمامًا للانقلاب إلى الشر، فإنه يكون عاصيًا وعنيدًا ويرفض الشفاء بكراهية شديدة.

لذلك بعد أن كلّمهم مخلّص الجميع بكلمات كثيرة، ورأى أنهم لم يتغيروا عن شهواتهم ومقاصدهم الماكرة، بل فضّلوا بالأحرى أن يظلّوا في حماقتهم الغريزية، فإنه لجأ أخيرًا إلى توبيخات أشد. لذلك ففي هذه المناسبة يُظهِر أنهم مراءون وكذّابون يستغلون[٧] المذبح طلبًا للمديح ويتلهّفون على الكرامة التي يستحقها الأبرار والصالحون دون أن يكونوا كذلك فعلاً وهم غير جادين في طلب رضا الله، بل على العكس يفتّشون بحماس عن المجد الذي من الناس. لذلك، يقول: "*أنتم الذين تبررون أنفسكم قدام الناس. ولكن الله يعرف قلوبكم، إن المستعلي عند الناس هو رجس قدام الله*" (لو ١٦:١٥)، وهذا ما يقوله لهم أيضًا في موضع آخر: "*كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدًا بعضكم من بعض والمجد الذي من الله الواحد لستم تطلبونه*" (يو ٥:٤٤)، لأن إله الكل يُكلّل بالمديح للبر، الذين هم صالحون حقيقة؛ أما أولئك الذين لا يحبون الفضيلة، بل هم مراءون، فإنهم يختلسون بأنفسهم وحدهم شهرة الكرامة. وربما يقول البعض، ولكن أيها السادة المحترمون، ليس أحد يُكلّل نفسه، لأن الإنسان الذي يصطنع المديح لنفسه يُستهزئ به بعدل، لأنه مكتوب: "*ليمدحك القريب لا فمك أنت، الأجنبي لا شفتاك أنت*" (أم ٢٧:٢ س). لكن رغم أن المرائين يمكن أن يظلوا دون اكتشاف، ويأخذوا الكرامات التي من الناس، إلاّ أنه يقول هنا: "*لكن الله يعرف قلوبكم*". فالديان لا يمكن أن يُخدع؛ فهو يري أعماق ذهننا؛ ويعرف مَنْ هو المجاهد الحقيقي، ومَنْ الذي يسرق

---

[٧] في اليونانية Βωμολόχος تشير إلى الأشخاص الذين لا يتورعون عن ارتكاب أية دناءات طلبًا للمديح. النسخة السريانية تلتزم بالترجمة الحرفية وهي المترجمة هنا.

بالاحتيال، الكرامة التي يستحقها غيره بحق، وبينما هو يُكرِم مَنْ هو بار حقًا فهو "*يبدد عظام الذين يسعون لإرضاء الناس*" بحسب تعبير المرنم (مز ٥٢:٥ س)، لأن شهوة إرضاء الناس هي دائمًا أم الكبرياء الملعونة ورأسها وجذرها، وهي التي يبغضها الله والناس على السواء. لأن مَنْ يقع ضحية لهذا الداء فإنه يشتهي الكرامة والمديح؛ وهذا الأمر كريه لدى الله؛ لأنه يبغض المتكبر، لكنه يقبل ويرحم ذاك الذي لا يحب المجد (لنفسه) والذي هو متواضع القلب.

وعندما سحقهم المسيح بهذه التوبيخات، أضاف أيضًا شيئًا أكثر، وأعني به، ما كانوا مزمعين أن يعانوه بسبب عصيانهم وشرهم إذ يقول: "*كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا، ومن ذلك الوقت يُبشَّر بملكوت الله وكل واحد يغتصِب نفسه إليه، ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس*". فهو يخفي أيضًا وفي غموض ما سوف يسبب لهم ألمًا ويحجب تنبؤه بخصوص تلك الأشياء التي كانت عتيدة أن تحدث لكل الذين لن يطيعوه، وهو يقول: إن موسى ومعه جماعة الأنبياء القديسين أعلنوا من قبل مضمون السر الخاص بسكان الأرض. فالناموس يُعلِن بالظلال والمثالات أنه من أجل خلاص العالم ينبغي أن احتمل موت الجسد، وأبيد الفساد بالقيامة من الأموات، كذلك أيضًا تكلّم الأنبياء بنفس المعنى من كتابات موسى، لذلك يقول: إنه ليس غريبًا أو ليس غير معروف من قبل أنكم تزدرون بكلامي وتحتقرون كل ما هو نافع لخيركم، لأن كلمة النبوة عني وعنكم تمتد إلى القديس يوحنا المعمدان، ولكن "*من أيام يوحنا يُكرز بملكوت السموات، كل واحد يغتصِب نفسه إليه*". ويقصد هنا بملكوت السموات: التبرير بالإيمان، وغسل الخطية بالمعمودية المقدَّسة، التقديس بالروح، العبادة بالروح، الخدمة التي هي أعلى من خدمة الظلال والرموز، كرامة تبني البنين، ورجاء المجد العتيد أن يُعطَى للقديسين.

لذلك يقول: ملكوت السموات يُكرز به، لأن يوحنا المعمدان وقف في وسطهم وقال: "*أعدوا طريق الرب*" (لو ٣:٤)؛ وقد أظهر قائلاً: ها هو قد اقترب، وكأنه داخل الأبواب وهو الحَمَل الحقيقي لله، الذي يحمل خطية العالم، لذلك فكل مَنْ يسمع ويحب



الرسالة المقدَّسة فإنه يغتصبها، وهو ما يُقصد به: أنه يستخدم كل اجتهاده وكل قوته في رغبته للدخول داخل نطاق الرجاء. لأنه ــ كما قال في موضع آخر ــ "*ملكوت السموات يُغصب والغاصبون يختطفونه*" (مت١١:١٢).

وهو يقول: إن "*زوال السماء والأرض قبل اليوم الذي يأمر به الله فيه بهذا، أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس*"، ويشير أحيانًا بكلمة الناموس إلى الكتب الإلهية الموحى بها معًا، أي كتابات موسى والأنبياء. فما الذي أنبأت به الكتب والذي يجب بالضرورة أيضًا أن يكتمل؟ إنها تنبأت أنه بسبب كفر إسرائيل الشديد وفجوره المفرط سيسقط من كونه من عائلة الله، رغم أنه الابن الأكبر، وأن أورشليم ستُطرح بعيدًا عن إمهال الله ومحبته، لأنه هكذا تكلّم عنها بصوت إرميا[٣]: "*هاأنذا سأسيج طريقها بالشوك وأسد طرقها وهي لن تجد مسلكها*" (هو٢:٦س). لأن من يخشون الله فطريقهم مستقيمة ولا يوجد فيها أي موضع شديد الانحدار، بل كلها مستوّية وممهّدة جيدًا. ولكن طريق أم اليهود، مُسيّج بالشوك لأن طريق التقوى قد صار متعذرًا السير فيه بالنسبة لهم.

وكونهم مظلّمي الذهن ولا يقبلون نور مجد المسيح ــ لأنهم لم يعرفوه ــ فهذا ما سبق أن أعلنه بقوله لجموع اليهود: "*أنا شبهت أمك بالليل، هلك شعبي من عدم المعرفة لأنك رفضت المعرفة أرفضك أنا حتى لا تكهن لي، ولأنك نسيت شريعة إلهك أنا أيضًا بنيك*" (هو٤:٥و٦).

أنت تسمع أن جموع العصاة يُشبهون عن حق بالظلمة والليل. لأن كوكب الصبح العقلي، وشمس البر، يشرق ويضيء في ذهن وقلب من يؤمنون، أما ذهن أولئك الذين يزدرون بالنعمة العظيمة والتي تستحق أن نقتنيها، فقد اسودَّ في الظلمة، والعتمة العقلية، فكثير إذن مما يختص بتلك الأشياء، سبق أن أعلنه جماعة الأنبياء القديسين من جهة إسرائيل.

ولكن الذين يعترفون باستعلان مجد المسيح مخلّص الجميع، فإن الله الآب وعد

---

[٣] النبوة هنا لهوشع وهو أمر شائع عند كُتّاب العهد الجديد والآباء أن يقتبسوا من أسفار الأنبياء الصغار تحت اسم إرميا.

بواسطة أحد الأنبياء القديسين هكذا قائلاً: "*وسأقويهم في الرب إلههم، وباسم إلههم يثبتون*" (زك١٠: ١٢س). ويقول المرنم مخاطبًا ربنا يسوع المسيح بالروح: "*يا رب بنور وجهك يسلكون، باسمك يبتهجون اليوم كله، لأنك أنت فخر قوتهم، وببرك يرتفع قرننا*" (مز٨٨: ١٥ ـ١٧س). لأننا نفتخر في المسيح، لأننا تبرّرنا بواسطته فإننا قد ارتفعنا، وإذ طرحنا عنا ذُل الخطية، ونحن نحيا في امتياز كل الفضائل فقد اغتنينا أيضًا بالمعرفة الصحيحة والنقّية لتعاليم الحق. لأن هذا ما وعدنا الله به حيث يقول بصوت إشعياء: "*وسأقود العمى في طريق لا يعرفونها. وسأجعلهم يمشون في مسالك لم يعرفوها. أجعل ظلمتهم نورًا، وكل مواضعهم المنحدرة أجعلها ممهدة*" (إش٤٤: ١٦س). لأننا نحن الذين كنا مّرة عميانًا قد استترنا ونحن نسير في مسلك جديد من البّر؛ بينما الذين افتخروا بالناموس كمعلّم لهم، قد اظلموا كما قال المسيح نفسه: "*قد أعمت الظلمة عيونهم*" (انظر يو١٢: ٤) والعمى قد حصل جزئيًا لإسرائيل (رو١١: ٥) لأنهم مبصرين ولا يبصرون، وسامعين لا يسمعون (مت١٣: ١٣). لأنهم أخطأوا ضد الأنبياء القديسين بل وتجاسروا أن يرفعوا أياديهم ضد الذي كان يدعوهم إلى الخلاص والحياة. لذلك يقول، ولو أنكم عصاة، ورغم أنكم بحماقة تزدرون بكلماتي التي ستقودكم إلى بلوغ ما هو نافع ولائق، إلاّ أن المسيح سبق فأعلن بواسطة الناموس والأنبياء أمرًا يستحيل أن لا تكتمل فيه كلمات الله، لأنه أعلن ما علم أنه ينبغي حتمًا وبالضرورة أن يحدث.

لذلك، فعدم الإيمان يجلب الهلاك على البشر، مثلما يفعل أيضًا عنق الذهن المتعالي في تصلبه بسبب الكبرياء الزائد ضد المسيح مخلّصنا جميعًا الذي به ومعه لله الآب يحق التسبيح والسلطان مع الروح القدس، إلى أبد الآبدين. آمين.



عظة ١١١

الغنيّ ولعازر

(لو١٦: ١٩ــ٣١): "*كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبَسُ الأَرْجُوانَ وَالْبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهًا. وَكَانَ مِسْكِينٌ اسْمُهُ لِعَازَرُ الَّذِي طُرِحَ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوبًا بِالْقُرُوحِ. وَيَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفُتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ بَلْ كَانَتِ الْكِلاَبُ تَأْتِي وَتَلْحَسُ قُرُوحَهُ. فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ. فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْهَاوِيَةِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ. فَنَادَى: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمُ ارْحَمْنِي وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي لأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هَذَا اللهِيبِ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا ابْنِي اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ وَكَذَلِكَ لِعَازَرُ الْبَلاَيَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ. وَفَوْقَ هَذَا كُلِّهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ أُثْبِتَتْ حَتَّى أن الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ هَهُنَا إِلَيْكُمْ لاَ يَقْدِرُونَ وَلاَ الَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجْتَازُونَ إِلَيْنَا. فَقَالَ: أَسْأَلُكَ إِذًا يَا أَبَت أَنْ تُرْسِلَهُ إِلَى بَيْتِ أَبِي. لأن لِي خَمْسَةَ إِخْوَةٍ حَتَّى يَشْهَدَ لَهُمْ لِكَيْلاَ يَأْتُوا هُمْ أَيْضًا إِلَى مَوْضِعِ الْعَذَابِ هَذَا. قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءُ. لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ. فَقَالَ: لاَ يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ. بَلْ إِذَا مَضَى إِلَيْهِمْ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يَتُوبُونَ. فَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانُوا لاَ يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَلاَ إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ* ".

عندما كان سليمان يقدّم صلواتٍ عن مملكته، فإنه قال لله في موضع ما: "*أعطني الآن حكمة، تلك الحكمة التي تسكن في عرشك*" (انظر ٢أي١: ١٠). فمدحه بسبب رغبته الجادة في مثل هذه البركات، لأنه لا يوجد شيء أنفع للناس أكثر من العطايا المقدّسة، وإحدى هذه البركات التي تستحق أن نقبلها ــ والتي تجعل أولئك الذين قد حُسبوا أهلاً لها كاملين في الغبطة؛ هي الحكمة التي يعطيها الله. لأن الحكمة هي بصيرة الذهن والقلب، ومعرفة كل ما هو صالح ونافع.

وإنه من واجبنا أيضًا أن نُفْتَن بعطايا مثل هذه، حتى عندما نُحسب مستحقين لها فإنه يمكّننا أن نفهم كلمات المخلّص باستقامة وبدون خطأ لأن هذا نافع لنا لأجل تقدّمنا

الروحي، ويقودنا إلى حياة بلا لوم وتستحق المديح. لذلك فإذ قد صرنا شركاء في الحكمة التي من فوق، هيّا بنا لنفحص معنى المَثَل الموضوع أمامنا الآن.

ومع ذلك، أظنه من الضروري أن نذكر أولاً ماذا كانت المناسبة التي قادته (المسيح) للكلام عن هذه الأمور، أو ماذا قصد أن يوضّح وهو يصوّر ويصف بطريقة رائعة المَثَل الموضوع أمامنا. لذلك فالمخلّص كان يكمّلنا في فن فعل الصلاح ويوصّينا أن نسلك باستقامة في كل عمل حسن، وأن نكون جادين في تزيين أنفسنا بالأمجاد التي تأتي من السلوك في الفضيلة. لأنه يريدنا أن نكون محبين ومستعدين للاتصال بعضنا مع بعض، مسرعين في العطاء، ورحومين، ومعتنين بعمل المحبة للفقراء. ومثابرين بشجاعة في تأدية هذا الواجب باجتهاد. وهو ينصح أغنياء العالم خاصة أن يكونوا حريصين على فعل هذا. ولكي يرشدهم إلى الطريق الذي يليق تمامًا بالقديسين، فإنه يقول: "*بيعوا أمتعتكم وأعطوا صدقة، اصنعوا لأنفسكم أكياسًا لا تبلى وكنزًا في السموات لا يفنى* " (لو ١٢:٣٣). فالوصيّة بالحقيقة صالحة وحسنة ومخلّصة ومفيدة، ولكن لم يغب عن علمه أنه من المستحيل للغالبية أن يمارسوها. لأن ذهن الإنسان قد صار منذ القديم عاجزًا عن تأدية تلك الواجبات الثقيلة والصعبة، وأن التخلّي عن الثروة والممتلكات والمتع التي تعطيها، ليس أمرًا مقبولاً تمامًا لأي واحد يكون مغلقًا ومقيدًا كما بحبالٍ لا تنحل، تلك التي تربط الذهن بشهوة اللّذة.

ولأنه صالح ومحب للبشر، لذلك فإنه أمدّهم بمعونة خاصة لئلا يأتي بعد الثروة هنا، فقر أبدى لا نهاية له، ولئلا بعد ملذات الزمان الحاضر يأتيهم العذاب الأبدي. لذلك يقول لهم: "*اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية*" (لو ١٦:٩).

هذه إذًا هي نصيحة ذلك الذي يرشدهم إلى ما يمكنهم أن يعملوه لأنه يقول، إن كنتم لا تقتنعون بالتخلي عن الغنى الميّال للذة وتقتنعوا ببيع مالكم، وتقتنعوا بالتوزيع لمن هم في احتياج، فعلى الأقل اجتهدوا في ممارسة الفضائل الصغرى. "*اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم* "، أي لا تعتبروا ثرواتكم هي ملك لكم وحدكم، بل ابسطوا أيديكم



لأولئك المحتاجين وساعدوا الفقراء والمتألمين، عزوا أولئك الذين قد سقطوا في ضيق شديد، عزوا الحزانى، والمضغوطين بأمراض جسدية والمحتاجين للضروريات، وعزوا أيضًا القدّيسين الذين يعتنقون الفقر الاختياري حتى يمكنهم أن يخدموا الله بدون ارتباك. إن فعلكم هذا لن يكون بغير مكافأة لأنه عندما تفارقكم الثروة الأرضية ببلوغكم إلى نهاية حياتكم، عندئذ فإن هؤلاء سيجعلونكم شركاء في رجائهم، وشركاء في العزاء المُعطى لهم من الله. ولأنه صالح ومتعطّف على البشر فإنه بمحبة وسخاء سوف يسكب فرحه على أولئك الذين تعبوا في هذا العالم، وخصوصًا أولئك الذين بحكمة واتضاع وهدوء، حملوا حمل الفقر الثقيل. ويقدّم بولس الحكيم نصيحة مماثلة لأولئك الذين يحيون في غنى ووفرة، من جهة أولئك الذين يعيشون في بؤس: "*لكي تكون فضالتكم لإعوازهم. كي تصير فضالتهم لإعوازكم*" (٢كو ٨: ١٤). ولكن هذه إنما هي نصيحة مَنْ يأمر ببساطة بما نطق به المسيح: "*اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم*"، لكي بذلك تكون الوصية مستحقة جدًّا لإعجابنا.

ولكي يوضّح أننا إن رفضنا أن نتصرّف هكذا فهذا سيؤدي إلى دمارنا، وسيهبط بنا إلى النار التي لا تُطفأ وإلى حسرة لا تنفع، فإنه يرسم لنا المَثَل الحاضر. لأنه يقول: "*كان إنسان غني يلبس الأرجوان والبز وهو يتنعم كل يوم مترفهًا. وكان مسكين اسمه لعازر الذي طُرح عند بابه مضروبًا بالقروح*".

أرجوكم أن تلاحظوا هنا وأن تنتبهوا بدقة إلى كلمات المخلِّص، لأنه بينما كان سهلاً عليه أن يقول: "كان هناك إنسان غني اسمه كذا كذا، أي مَنْ كان، إلاّ أنه لا يقول هذا، بل يدعوه فقط "*إنسان غني*"، بينما يذكر الإنسان المسكين بالاسم. ماذا نستنتج من هذا؟ إن هذا الإنسان الغني بسبب كونه غير رحوم، لم يكن له اسم في حضرة الله، لأنه قد قال في موضع ما بصوت المرتّل بخصوص أولئك الذين لا يخافونه: "*لا أذكر أسماءهم بشفتي*" (مز ١٥: ٤ س)، بينما المسكين ـ كما قلت ـ يُذكر بالاسم بلسان الله. ولكن فلننظر إلى كبرياء الغني المنتفخ بأمور ليست لها أهمية حقيقية، إذ يقول إنه كان يلبس الأرجوان والبز، أي أن اهتمامه كان أن يتأنّق بملابس

جميلة، وهكذا فإن ثيابه كانت ذات ثمنٍ غالٍ، وكان يعيش في ولائم مستمرة لأن هذا هو معنى " يتنّعم كل يوم "، وبجانب هذا يضيف أنه كان "*يتّنعم مترفهًا*" أي بإسراف. لذلك، فكل أبهة ذلك الإنسان الغنى كانت من أشياء من هذا القبيل كارتداء ملابس نظيفة ورقيقة، ومطرّزة بالبز، ومصبوغة بالأرجوان، لكي يلذِّذ عيون الناظرين، وماذا كانت النتيجة إنه لا يختلف إلاّ قليلاً عن الأشكال التي في التماثيل المنحوتة، والصور الزيتّية. فالذين يُعجبون بالرجل الغني هم عديمو الحس الخالون من المشاعر، وأما قلب الغني فمملوء بالكبرياء والعجرفة، ويفكر أفكارًا عالية ومنتفخة عن نفسه، ورغم أنه لا يملك في ذهنه أي امتياز، فإنه يجعل من الألوان المتدرّجة والمتنوّعة سببًا لكبريائه الفارغ. ولذته هي في الولائم الغالية، وفي الموسيقى والعربدة، ولَديه عديد من الطهاة، الذين يجتهدون في إثارة النهم بالأطعمة المجهَّزة باهتمام كبير. والسقاة متزينّون بملابس مزخرفة، وعنده مغنون ومغنيّات وأصوات المتملقين. هذه هي الأشياء التي كان يعيش فيها الغني. إذ أن تلميذ المسيح يشهد لنا بهذا قائلاً: "*كل ما في العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة*" (ايو ٢: ١٦).

ويقول إنه في أثناء ذلك كان لعازر المضروب بالمرض والفقر، مطروحًا عند باب الغني، وكان الغني يسكن في قاعات عالية ومساكن واسعة فخمة البنيان، بينما كان المسكين مطروحًا، ملقىً هناك ومُهملاً ولا يُعطَى له أي اعتبار. وإذ كان محرومًا من أي شفقة أو عناية، كان يشتهي أن يجمع الفتات الساقط من مائدة الغني ليُشبِع جوعه[٤].

كان المسكين علاوة على ذلك يتعذَّب من مرض خطير وعديم الشفاء، ويقول إن "*الكلاب تأتي وتلحس قروحه*"، وإنها، كما يبدو، لم تأتِ لتؤذيه بل بالحري كأنها تتعاطف معه، وتعتني به، لأنها كانت تسكِّن الآلام بألسنتها، وتزيل المعاناة المصاحبة

[٤] المقطع التالي غير موجود أصلاً في أي من المخطوطات الرئيسية، ويغلب عليه الأسلوب الخطابي وهو كما يلي: " كان يشتهي أن يشبع من الفتات الذي يتبقى على مائدة الغني، ولم يعطه أحد. آه من دناءة هذه الحياة! فإن الغني كان جالسًا وسط مسرّات متنوعة، والفقير لم يكن له شيء وكان يذوي في بلاء الفقر، حتى إنه من فرط عوزه، تعرّض جسده للبرد الشديد. لم يكن له أراض ولا حقول حبوب لتعطيه الكثير، لم يكن له كروم ولا أشجار تعطيه ثمرًا، بل كان مطروحًا مُعرّضًا للشمس، وكانت الحمأة هي وسادته نهارًا وليلاً. كان لعازر المسكين مطروحًا عند باب الغني، ولم يكن مطروحًا على مسافة بعيدة ولكن عند الباب، إذ لو كان على مسافة بعيدة لوجد بعض العذر للغني في قسوته ".



لها، وتهدئ القروح وتلطّفها.

أما الغني فكان أكثر قسوة من الوحوش، لأنه لم يشعر بأي تعاطف مع المسكين أو أية شفقة عليه، بل كان مملوءًا من عدم الرحمة، وماذا كانت النتيجة؟ إن موجز المثَل يعلّمنا الآتي، ولكنه أطول من أن أتحدّث عنه الآن. ولئلا يكون حديثي أكثر مما يلزم لمستمعيَّ، ومرهقًا فوق الطاقة لمَنْ يتحدَّث فإني أتوقف الآن لخيري وخيركم على أن أحدثكم مرة أخرى عن هذه الأمور في اجتماعنا القادم إن منحني المسيح مخلِّصنا جميعًا المقدرة على فعل هذا، وهو الذي به ومعه لله الآب يحق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين. آمين°.

° من بين الشذرات التي جمعها Mai (باليونانية) الشذرة الأولى فقط غير موجودة بالسريانية. وهي تبدأ بالسؤال هل هذا المثَل، وهو يذكر لعازر بالاسم. يعزز التقليد الذي يعتبره ــ شخصًا حقيقيًا ــ وبذلك يمكن أن يتخذ كبرهان على أن الحساب على أعمال الناس الصالحة أو الشريرة يحدث بعد الموت مباشرة؟ هذا السؤال يجيب عليه القديس كيرلس بالنفي، موضحًا من الكتاب المقدس أن الدينونة لا تحدث إلاّ بعد القيامة.

هذه الإجابة يرفضها كاردينال Mai ويقول: إن " الأمر يحتاج إلى شرح أكثر دقة بسبب خطأ الأرثوذكس القاتل لأنهم يقولون إن المجازاة على الأعمال البشريّة تتأجل إلى ما بعد القيامة " ولكن هذا الشرح الذي يقدمه Mai هو في الحقيقة محاولة لدحض تعليم القديس كيرلس؛ لأن هذه الشذرة المذكورة هي للقديس كيرلس وهى الفصل السادس عشر من كتابه " ضد الذين يتصورون الله في شكل إنسان " وهى توضّح التعليم الأصيل للكنيسة الأولى.

عظة ١١٣
الغنيّ ولعازر (تابع)

(لو١٦: ١٩ـــ ٣١)

يقدّم إشعياء النبي المبارك في موضع ما، أولئك الذين بواسطة الإيمان بالمسيح تمّ ربحهم للحياة، على أنهم يدعون ـــ إن جاز التعبير ـــ بعضهم بعضًا ويقولون: " *هلم نصعد إلى جبل الرب وإلى بيت إله يعقوب، فيعلّمنا طريقه ونحن سنسلك فيها*" (انظر إش ٢: ٣). ونحن نؤكد أن الجبل المقصود هنا ليس هو أي جبل أرضيّ، لأنه من الحماقة أن نتخيّل هذا، بل المقصود بالأحرى هو الكنيسة التي خلّصها لنفسه. لأنها عالية وواضحة جدًا للناس في كل موضع، وهي مُمجَّدة، لأنه لا يوجد فيها شيء يهبط بالناس إلى الأرض. لأن الذين يسكنون فيها لا يهتمون أبدًا بأي شيء من الأرضيات، بل بالأحرى يشتهون تلك الأشياء التي فوق، وكما يقول المرنِّم: "*لأنهم قد ارتفعوا جدًا فوق الأرض*" (مز ٤٦: ٩ س)، بسبب شجاعتهم الكاملة وبسالتهم، ويسعون بلا توقف وراء كل ما يرضي الله.

ونحن نعتقد أنكم مثل هؤلاء، وأن رغبتكم الجادة في التعلُّم هي برهان واضح على هذا، لأنكم قد أتيتم طبعًا تطلبون تحقيق الوعد الذي أُعطي لكم؛ لكننا لم ننس ما وعدناكم به، ولكننا نوفي ديننا بأن نُضيف ما لا يزال ناقصًا من كلام إلى ما سبق أن قيل عن مثل لعازر والغني.

فالرب يقول: "*مات لعازر وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم ومات الغني أيضًا ودُفِنَ*". لاحظوا كلمات المخلِّص بعناية كبيرة، لأنه يقول عن المسكين إن الملائكة حملته إلى حضن إبراهيم، ولكنه لم يقل شيئًا من هذا القبيل عن الغنيّ، بل قال فقط إنه مات ودُفن. فإن أولئك الذين لهم رجاء في الله يجدون في رحيلهم من العالم خلاصًا من الكرب والألم. ويعلّمنا سليمان أيضًا شيئًا



مثل هذا بقوله: "*وفي ظن الناس يبدون أنهم (أي الأتقياء) يموتون، وأن خروجهم يُعتبر شقاء ورحيلهم عنا ضياعًا، بينما هم في سلام، والرجاء في الخلود يملأهم*" (حكمة ٣:٢ـ٤).

إذ يُعطى لهم هناك قدر من العزاء يتناسب مع أعمالهم، أو ربما يفوق أتعابهم ويزيد عليها، لأن المسيح قال في موضع ما: "*كيلاً جيدًا ملبدًا مهزوزًا فائضًا سيعطون في أحضانكم*" (لو ٣٦:٦). لأنه كما أن السفن التي تمخر في البحر تصمد أمام الأمواج العاتية وتقاوم عنف الرياح الشديدة، وفيما بعد عندما تصل إلى موانئ هادئة تصلح لراحتها، تكف هناك عن الاهتزاز. كذلك بنفس الطريقة أظن أن نفوس البشر، حينما تخرج من دوامة الأرضيات، فإنها تدخل في المنازل التي فوق، كما في ميناء خلاص.

وهو يقول إن لعازر حملته الملائكة القديسون إلى حضن إبراهيم. أما عن الغنّي فيقول إنه مات ودُفن، لأنه بالنسبة لذلك الغنّي الذي أظهر نفسه قاسيًا وعديّم الرحمة، فإن الانفصال عن الجسد هو موت. فقد خرج من التنّعم إلى العذاب، ومن المجد إلى الخزي، ومن النور إلى الظلمة. هذه هي الأشياء التي كان على الغني أن يعانيها، وهو الذي كان شهوانيًا وبخيلاً وغير ميَّال للرحمة. وما كان يعذبه أكثر وهو في الجحيم أنه رأى لعازر في حضن إبراهيم؛ وتوسّل إليه لكي يرسل نقطة ماء على لسانه لأنه كان معذّبًا كما في لهيب مستعر. فبماذا أجابه رئيس الآباء إبراهيم؟: "*يا ابني أذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلايا*". وكأنه يقول له: إنك كنت شغوفًا بهذه الأمور الزمنية، وكنت متسربلاً بالبز والأرجوان، وكنت متفاخرًا ومتكبّرًا، وكنت تصرف كل وقتك في ترف، وخصَّصت ثروتك لملذاتك وللمتملقين لك، ولم تتذكر مرة واحدة المرضى والحزانى، ولم تشفق على لعازر عندما رأيته مطروحًا عند أبوابك. لقد كنت تراه يعاني من بؤس شديد، وكان فريسة لبلايا لا تُحتمل، لأنه كان مصابًا ببليتّين بآنٍ واحد، وكل واحدة أسوأ من الأخرى



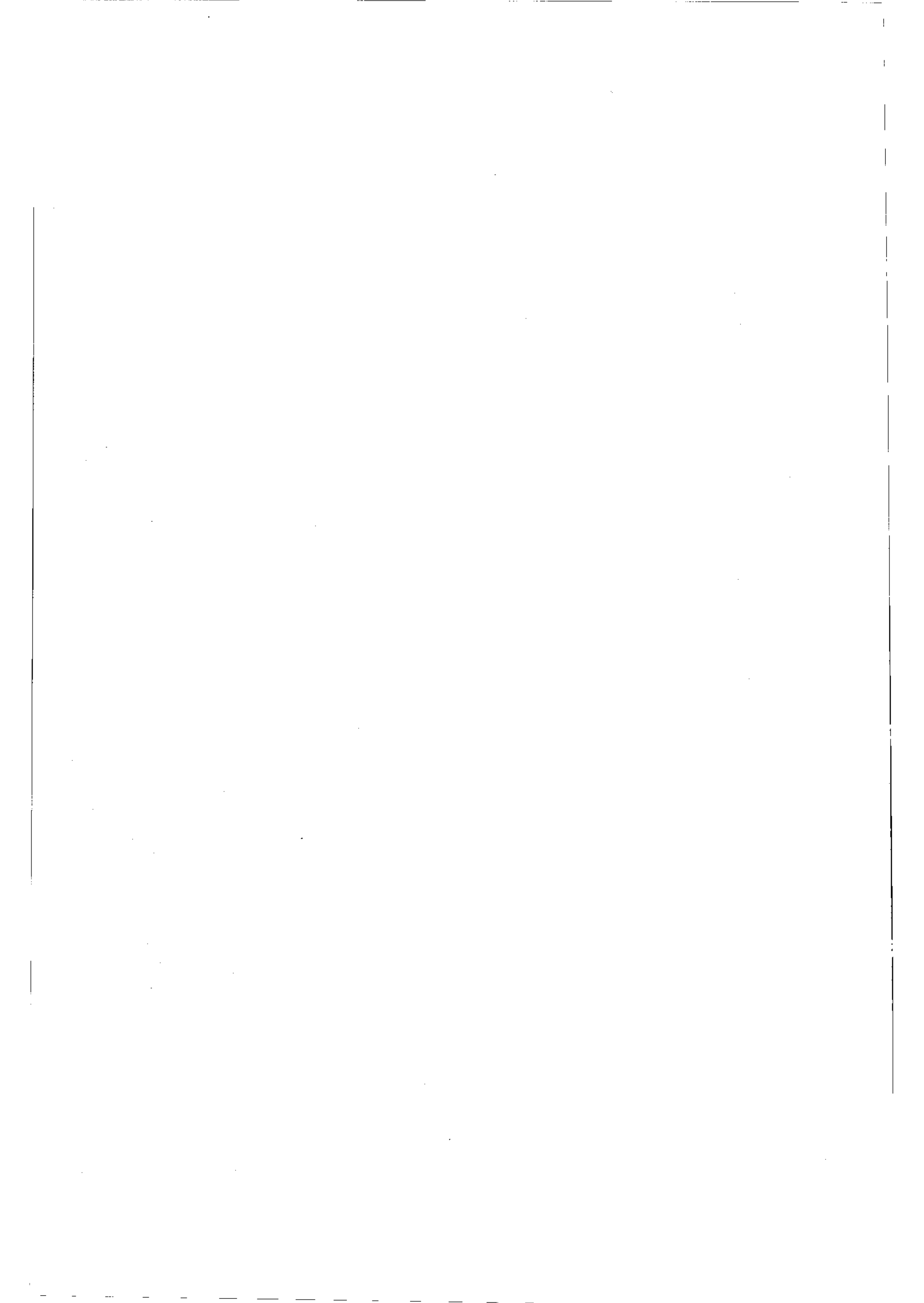
وهما: ألم قروحه الشديد، وعوزه إلى ضروريات الحياة. بل إن الحيوانات أراحت لعازر لأنه كان في ألم، وكانت الكلاب تلحس قروحه. ولكنك كنت قاسي القلب أكثر من الحيوانات. لذلك فأنت استوفيّت خيراتك في حياتك، ولعازر استوفى بلاياه، والآن هو يتعزّى وأنت تتعذّب، وكما يقول الكتاب المقدّس: "*الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة*" (يع ٢:١٣). فلو كنت قد قَبِلتَ لعازر ليكون شريكك في ثروتك لكنت الآن شريكًا له، ولكان قد أعطاك الله نصيبًا من عزاء لعازر، ولكنك لم تفعل هذا ولذلك أنت وحدك تتعذّب، لأن هذا هو العقاب المناسب لعديمي الرحمة، ولمن لا يشعرون بأي تعاطف مع المرضى. لذلك فلنصنع لأنفسنا أصدقاء بمال الظلم، ولننصت إلى موسى والأنبياء وهم يدعوننا إلى المحبة المتبادلة والمودّة الأخويّة، ليتنا لا ننتظر أن يعود أحد ممّن هم في الهاوية ليخبرنا بالعذابات التي هناك، إذ أن الكتاب المقدّس صادق بالتأكيد، ونحن قد سمعنا أن المسيح سوف يجلس على كرسي مجده ليدين المسكونة بالعدل وأنه سوف يقيم الخراف عن يمينه والجداء عن يساره، وسوف يقول لِمَن هم عن يمينه: "*تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملك المُعد لكم قبل تأسيس العالم، لأني كنت جوعانًا فأطعمتموني، وكنت عطشانًا أيضًا فسقيتموني، وكنت عريانًا فكسوتموني، مسجونًا فأتيتم إليّ*". لكن لمن هم عن يساره سوف يقضي بدينونة ثقيلة قائلاً: "*اذهبوا إلى النار الأبدية المُعدة لإبليس وملائكته*"، والتهمة الموجهة لهم هو أنهم فعلوا عكس ما قد امتدح القديسون من أجله تمامًا، "*لأني جعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني.. وبما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا*" (انظر مت ٢٥: ٣١ـ٤٥).

وربما يعترض البعض على هذا، ويقولون إنه توجد طرق كثيرة للحياة الحسنة، لأن الفضيلة متنوعة ومتعدّدة، فلماذا حذف تلك الأنواع الأخرى، ويذكر فقط محبة الفقراء؟ نُجيب بأن هذا العمل هو أفضل من أي نوع آخر من أعمال الخير، لأنه يجعل في نفوسنا مماثلة لله وهذه المماثلة هي التي



تُشكّلنا وتصوغنا حسب صورة الله، لأن المسيح أيضًا قال: "*كونوا رحماء كما أن أباكم الذي في السموات أيضًا رحيم*" (لـو ٦: ٣٦). لأن من يسارع إلى إظهار الرحمة، وهو شفوق وعطوف، فهو يُحسب مع الساجدين الحقيقيين، لأنه مكتوب أن "*الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه، افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم*" (يع ١: ٢٧). والحكيم بولس كتب أيضًا في موضع ما: "*ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع، لأنه بذبائح مثل هذه يُسرّ الله* " (عب ١٣: ١٦)، فهو لا يحب بخور العبادة الناموسية بل يطلب بالأحرى عذوبة الرائحة الروحية الحلوة. ولكن الرائحة الروحية الحلوة لدى الله هي أن نُظهر شفقة تجاه الناس وأن نحتفظ لهم بالمحبة، وهذا أيضًا ما ينصحنا به بولس بقوله: "*لا تكونوا مديونين لأحد بشيء إلّا بأن يحب بعضكم بعضًا*" (رو ١٣: ٨)، فإن الشفقة على الفقراء هي وليدة المحبة.

لذلك هلّموا أيها الأغنياء كفوا عن اللّذة المؤقتة وجدّوا نحو الرجاء الموضوع أمامكم، اكتسوا بالرحمة والعطف، ابسطوا أيديكم لمن هم في احتياج، وأريحوا أولئك الذين هم في عوز، واعتبروا أحزان من هم في ضيق شديد هي أحزانكم ....



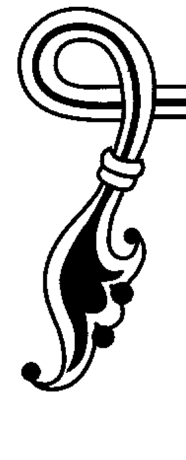




(أيقونة تصور الأبرص الذى رجع ليشكر المسيح بعد أن شفاه)

الأصحاح السابع عشر





. . . استقبله عشرة رجال برص . . . ورفعوا صوتاً
قائلين : يايسوع يامعلم ارحمنا . . . فواحد منهم
رجع . . وخر عند رجليه شاكراً له . .

(لوقا ١٧ : ١٢ـ١٦)

الأصحاح السابع عشر

العظات ١١٣ - ١١٦

العَثَرَاتُ والغُفرَان للمُخْطِئين

(لو١٧: ١-٣): *" وَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: لاَ يُمْكِنُ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعَثَرَاتُ وَلكِنْ وَيْلٌ لِلَّذِي تَأْتِي بِوَاسِطَتِهِ! خَيْرٌ لَهُ لَوْ طُوِّقَ عُنُقُهُ بِحَجَرِ رَحىً وَطُرِحَ فِي الْبَحْرِ مِنْ أَنْ يُعْثِرَ أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ. اِحْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ. وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَوَبِّخْهُ وَإِنْ تَابَ فَاغْفِرْ لَهُ ".*

ما هي العثرات التي يقول عنها المسيح إنها ستحدث بالتأكيد؟ العثرات نوعان: بعض العثرات هي ضد مجد الكائن الأعلى وتهاجم ذلك الجوهر المتعالي على الكلّ، وذلك حسب غرض الذين يتسببّون فيها، بينما عثرات أخرى تحدث بين الحين والآخر ضد أنفسنا ولا تتعدّى أن تكون إيذاء لبعض الإخوة الذين هم شركاؤنا في الإيمان. لأنه أيًا كانت الهرطقات التي أُبتدعت وكل مجادلة تقف ضد الحق، فهي في الحقيقة تقاوم مجد الألوهية الفائقة، باجتذابها أولئك الذين يسقطون فيها بعيدًا عن استقامة العقائد المقدّسة وسلامتها. وهذه هي العثرات التي قال المخلّص نفسه عنها في موضع ما: " *الويل للعالم من العثرات، فلابد أن تأتي العثرات، ولكن ويل لذلك الإنسان الذي به تأتي العثرة*" (مت ١٨:٧). فالعثرات من هذا النوع، التي يسببّها الهراطقة عديمي التقوى ليست موجهة ضد فرد واحد، بل هي موجهة بالأكثر ضد العالم كله، أي ضد سكان الأرض كلها. وبولس المغبوط يوبّخ مخترعي مثل تلك العثرات بقوله: " *وهكذا إذ تخطئون إلى الاخوة وتجرحون ضميرهم الضعيف تخطئون إلى المسيح* " (١كو ٨:١٢). ولكي لا تسود مثل هذه العثرات على المؤمنين، تكلّم الله في موضع ما إلى الذين هم سفراء لكلمة الحق المستقيمة، الماهرين في تعليمها قائلاً: " *اعبروا بالأبواب، هيئوا طريقًا لشعبي، أعدوا السبيل، نقوه من الحجارة* " (إش ٦٢:١٠). والمخلّص قد جعل عقوبة مُرّة على من يضعون مثل هذه المعاثر في طريق الناس.

وربما لا تكون هذه هي العثرات التي يُشار إليها هنا، بل بالحرى هي تلك العثرات التي تحدث كثيرًا بسبب الضعف البشرى بين الأصدقاء والإخوة؛ وهذا الحديث الذي يتبع هذه الملاحظات الافتتاحية مباشرة، والذي يتحدّث عن غفراننا للإخوة عندما يخطئون إلينا، يقودنا إلى تلك الفكرة بأن هذه هي العثرات المقصودة هنا. إذن فما هي هذه العثرات؟ أنا أعتقد أنها أفعال خسيسة ومزعجة، مثل نوبات غضب سواء كانت لسبب ما أم كانت بلا مبرر، إهانات، اغتيابات كثيرة، وعثرات كثيرة أخرى قريبة لهذه ومشابهة لها. والرّب يقول إن مثل هذه العثرات لابد أن تأتي، فهل تأتي إذن، لأن الله، الذي يضبط الكلّ، يُجبر الناس على ارتكاب هذه العثرات؟ حاشا لله أن يصدر منه شيء شرير، بل بالأحرى فهو ينبوع كل فضيلة، فلماذا إذن يتحتّم أن تأتي؟ واضح أنها ــ بسبب عجزنا، كما هو مكتوب: "*لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا*" (يع ٣:٢). وبالرغم من هذا فهو يقول: ويل للإنسان الذي يضع أحجار عثْرة في الطريق، فالرّب لا يترك عدم المبالاة في هذه الأمور بدون توبيخ، بل هو بالأحرى يكبّحه بواسطة الخوف من العقوبة، ورغم ذلك فهو يوصينا أن نحتمل الذين يسببونها، بصبر.

(لو١٧: ٤): "*وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ وَرَجَعَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ قَائِلاً: أَنَا تَائِبٌ فَاغْفِرْ لَهُ* ".

يقول الرّب إن كان الذي يخطئ ضدك، يتوب ويقّر بخطئه فاغفر له، وذلك ليس مرّة واحدة فقط، بل مرّات عديدة جدًّا، لأننا يجب ألاّ نُظهر أنفسنا ناقصين في المحبّة المتبادلة ونهمل الاحتمال. فكلنا ضعفاء ونخطئ مرارًا وتكرارًا، لذلك يجب بالأحرى أن نتشبّه بأولئك الذين يشتغلون بمعالجة أمراضنا الجسديّة، فهؤلاء لا يعتنون بالمريض مرّة واحدة فقط ولا مرتيّن، بل بعدد المرّات التي يمرض فيها. فلنذكر أننا نحن أيضًا عُرضة للضعفات وأننا ننغلب من شهواتنا، وإن كان الأمر هكذا، فنحن نرجو أن أولئك الذين من واجبهم أن يوبّخونا والذين لهم السلطان أن يعاقبونا، يُظهِرون أنفسهم عطوفين علينا وغافرين لنا. لذلك فمن واجبنا ــ إذ لنا شعور عام فيما بيننا بضعفاتنا المشتركة ــ أن "*نحمل أثقال بعضنا البعض، وهكذا نتمّم ناموس*



المسيح" (غل ٦:٢). كما نلاحظ أيضًا أنه في الإنجيل بحسب متى، يسأل بطرس قائلاً: "*كم مرة يخطئ إليّ أخي وأنا أغفر له*"؟ ويخبر الرب الرسل عن هذا الأمر قائلاً: "*وإن أخطأ إليك سبع مرات في اليوم* "، أي يخطئ كثيرًا، فعلى قدر ما يقّر بخطئه اغفر له (انظر مت ١٨: ٢١ و٢٢).

(لو١٧: ٥): "*فَقَالَ الرُّسُلُ: زِدْ إِيمَانَنَا* ".

إن ما يعطي فرحًا أكيدًا لأنفس القديسين ليس هو امتلاك الخيرات الأرضيّة الزائلة، فهي قابلة للفساد وتُفقد بسهولة؛ بل إن ما يعطيهم الفرح بالحري هو تلك الخيرات التي تجعل من ينالونها موقرين ومباركين، أي هي النعم الروحية التي هي عطية الله. والشيء الذي له قيمة خاصة بين هذه النعم هو الإيمان، وأعني به أن يكون لنا ثقة بالمسيح مخلّصنا كلنا، والذي يعتبره بولس الرسول أنه أساس كل بركاتنا؛ لأنه قال: "*بدون الإيمان لا يمكن إرضاؤه*" (عب ١١: ٦)، "*لأنه في كل هذا شُهِدَ للقدماء*" (عب ١١: ٢). لذلك انظروا الرسل القديسين في اقتدائهم بسلوك قديسّي العهد القديم، فما الذي يطلبونه من المسيح؟ "*زد إيماننا*" هم لم يطلبوا مجرد الإيمان، لئلا تظنوا أنهم بلا إيمان، بل بالحرى طلبوا من المسيح زيادة لإيمانهم وأن يتقووا في الإيمان، لأن الإيمان يتوّقف علينا نحن من ناحية، وعلى هبة النعمة الإلهية من ناحية أخرى، لأن بداءته تعتمد علينا، وهكذا أيضًا استمرار الثقة والإيمان في الله بكل قوتنا؛ أما الثبات والقوة اللازمة لهذا (الثبات في الإيمان) فتأتي من النعمة الإلهية. ولهذا فلكون كل الأشياء ممكنة لدى الله. يقول الرب: "*كل شيء مستطاع للمؤمن*" (مر ٩: ٢٣). لأن القوة التي تأتي إلينا بالإيمان هي من الله. والطوباوي بولس إذ يعرف هذا، يقول أيضًا في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: "*فإنه لواحد يُعطى بالروح كلام حكمة، ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد، ولآخر إيمان بالروح*" (١كو ١٢: ٨ و٩). أنتم ترون أنه قد وضع الإيمان أيضًا في قائمة النعم الروحانية، وهذا ما طلب التلاميذ أن ينالوه من المخلّص، مساهمين من جهتهم أيضًا بأن يطلبوه؛ وهو من جهته قد منحهم إياه بعد اكتمال التدبير بحلول الروح القدس عليهم. فقبل القيامة كان إيمانهم ضعيفًا جدًّا لدرجة

أنهم كانوا مُعرَّضين لأن يوصفوا بقلة الإيمان.

فعلى سبيل المثال، كان مخلّص الكلّ يبحر ذات مرة في بحيرة طبرية مع الرسل الأطهار، وسمح لنفسه عن قصد بأن ينام، وعندما هبت ريح شديدة وصدمت الأمواج السفينة بعنف، اضطرب التلاميذ جدًّا، حتى أنهم أيقظوا الرب من النوم قائلين: "*يا معلِّم نجنا فإننا نهلك*" (لو ٨:٢٤)، فقام وانتهر الأمواج وحوّل هياج العاصفة إلى هدوء، لكنه لامَ الرسل الأطهار جدًّا قائلاً لهم: "*أين إيمانكم؟*" لأنه ما كان ينبغي لهم أن ينزعجوا بأي شكل كان طالما أن السيد المهيمّن على الكون والذي ترتعد وتتزلزل أمامه كل خلائقه ــ كان حاضرًا معهم. وإن كان يجب علينا أن نضيف مثلاً آخرَ مشابهًا، فسأذكر واحدًا وهو الآتي: فقد أمر الرب الرسل القديسين أن يصعدوا إلى السفينة ويسبقوه إلى الجانب الآخر من البحيرة، وهم بالطبع فعلوا هكذا. وحينما كانوا قد جدّفوا نحو ثلاثين غلوة نظروا يسوع ماشيًا على البحر فخافوا جدًّا وظنوا أنهم رأوا خيالاً، لكن حينما ناداهم وقال لهم: "*أنا هو لا تخافوا*"، قال له بطرس: "*إن كنت أنت هو فمرني أن آتي إليك على الماء. فقال له تعال. فنزل بطرس من السفينة ومشي على الماء ليأتي إلى يسوع، ولكن لما رأى الريح شديدة خاف، وإذ ابتدأ يغرق صرخ قائلاً: " يا رب نجني"، فأمسك به ونجاه من هذا الخطر، لكنه أيضًا وبخه قائلاً: " يا قليل الإيمان لماذا شككت؟*" (انظر مت ١٤:٢٢ــ٣١، يو ٦:١٩). ومن المعروف جيدًا أنه في أسبوع الآلام عندما جاء الجنود والخدام الأشرار ليقبضوا على يسوع، فإن الجميع تركوه وهربوا، وأن بطرس أيضًا أنكره لأنه ارتعد أمام جارية.

ها أنت قد رأيت التلاميذ بينما لم يكن لهم سوى قليل من الإيمان، والآن تعجَّب منهم بعدما حصلوا من المسيح مخلّصنا جميعًا على زيادة لإيمانهم: لقد أوصاهم أن "*لا يبرحوا أورشليم بل ينتظروا موعد الآب*" (اع ١:٤) إلى أن يلبسوا قوة من الأعالي، ولكن حينما حلّت عليهم القوة التي من الأعالي في شكل ألسنة نارية أي النعمة التي بواسطة الروح القدس، حينئذ صار التلاميذ بالحق شجعانًا وجسورين وحارين بالروح، حتى إنهم احتقروا الموت، بل وحسبوا الأخطار التي كانت تهدّدهم من غير المؤمنين، كلا شيء، بل وأيضًا صاروا قادرين على عمل المعجزات.



عظات ١١٣ ـ ١١٦(بقية)
الإيمان ـ فعل ما يجب علينا

أما الثبات في الإيمان فهو نعمة عظيمة ومتميزة وهذا ما يظهره الرب بقوله: (لو١٧:٦): "*لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهَذِهِ الْجُمَّيْزَةِ انْقَلِعِي وَانْغَرِسِي فِي الْبَحْرِ فَتُطِيعُكُمْ*".

لأن الذي يثق في المسيح، لا يتكّل على قوته الذاتية، بل بالأحرى يؤمن أن المسيح يعمل كل الأشياء بقوته. إذ نحن نعترف أن إتمام كل الأشياء الحسنة في نفوس البشر يأتي منه، ومع ذلك ينبغي على النفوس أن تُعد ذواتها لنوال هذه النعمة العظيمة. لأنه إن كانت قوة الإيمان تنتزع ما هو ثابت ومتأصل في الأرض، فيمكن للمرء أن يقول بطريقة مطلقة إنه لا يوجد شيء مهما كان راسخًا لا يستطيع الإيمان أن يزعزعه لو كان اقتلاعه مطلوبًا. ولذلك فإن الأرض تزلزلت عندما كان الرسل يصلون، كما يخبرنا سفر أعمال الرسل (أع ٣١:٤). وكذلك، فمن ناحية أخرى، فإن الإيمان يوقف الأشياء المتحركة مثل النهر المتدفق بسرعة (يش ١٦:٣) ويوقف الأنوار التي تتحرك بلا توقف في السماء (يش ١٣:١٠)، ومع ذلك يجب علينا أن نلاحظ بعناية، أن الله لا يثير إعجابًا فارغًا أو دهشة باطلة. لأن مثل هذه الأمور هي أبعد ما تكون عن الجوهر الإلهي الذي هو حُرّ تمامًا من الكبرياء والافتخار، وهو حق كله، وهو يعمل كل هذه الأعمال فقط لأجل خير البشر وسلامتهم، وهذا أقوله لكي لا ينتظر أحد من الإيمان المقدس والقوة الإلهية تغيّرات غير نافعة للعناصر مثلاً، أو ينتظر إزالة الجبال والأشجار، فلو أن هذه التغيّرات لم تحدث، لا يكون ذلك بسبب أن الكلمة غير صادقة بل بسبب أن الرّب لا يريد أن يفسح مجالاً لعدم التقوى. وأيضًا لا يُحسب الإيمان ضعيفًا لو أنه لم يستطع أن يتمّم مثل هذه الأعمال. فليكن للشيء بعض الفائدة الحقيقية وعندئذ فلن يُحرَم من القوة اللازمة لإتمامه.



(لو١٧: ٧ــ١٠): " *وَمَنْ مِنْكُمْ لَهُ عَبْدٌ يَحْرُثُ أَوْ يَرْعَى يَقُولُ لَهُ إِذَا دَخَلَ مِنَ الْحَقْلِ: تَقَدَّمْ سَرِيعًا وَاتَّكِئْ. بَلْ أَلاَ يَقُولُ لَهُ: أَعْدِدْ مَا أَتَعَشَّى بِهِ وَتَمَنْطَقْ وَاخْدِمْنِي حَتَّى آكُلَ وَأَشْرَبَ وَبَعْدَ ذَلِكَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ أَنْتَ. فَهَلْ لِذَلِكَ الْعَبْدِ فَضْلٌ لأَنَّهُ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ؟ لاَ أَظُنُّ. كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ. لأَنَّنَا إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا*".

وجّه الرب لنا في هذه الأعداد حديثًا طويلاً وهامًا لكي يرينا الطرق التي تؤدي إلى المجد والكرامة، وليظهر أمجاد الحياة التي بلا لوم، لكي بتقدّمنا فيها وبسيرنا قدمًا وبحماس إلى كل ما هو مثير للإعجاب، فإننا ندرك جعالة دعوتنا العليا (في ٣: ١٤). ولكن حيث إن طبيعة ذهن الإنسان تتجّه دائمًا إلى المجد الباطل وتصاب بسهولة بالميل نحو ذلك الافتخار الباطل، وحيث إن المتميزين أمام الله يقدّمون دائمًا بعض الفضائل النبيلة جدًّا كحجة لهذه الخطية، وحيث إنها خطية خطيرة جدًّا وكريهة أمام الله، فالحيّة مصدر كل شر تقود الناس أحيانًا إلى هذه الحالة الذهنية حتى أنهم ربما يتخيّلون أن الله يكون مدينًا لهم بأعلى الكرامات، عندما تكون حياتهم مجيدة وممتازة. فلكي يجتذبنا الرب بعيدًا عن هذه الأفكار، فإنه يضع أمامنا مغزى الدروس التي قُرئت علينا حالاً ويعلّمنا بواسطتها بمثال، أن قوة سلطان الملك تتطلّب في كل مكان من عبيدها الخضوع، كدين عليهم. ويقول الرب إن السيد لا يعترف بأي فضل للعبد حتى لو فعل كل ما يجب عليه أن يفعل بحسب ما هو لائق بوضع العبد.

أتوسّل إليكم، لاحظوا هنا أن الرب يشجّع التلاميذ بل وكل الخاضعين لقضيب ملك المسيح مخلّصنا جميعًا، على الاجتهاد، ولكن ليس كأنهم يقدّمون خدمتهم له على أنها فضل منهم، بل كمن يدفعون دين الطاعة الواجب على العبيد، وبهذا يبطل داء المجد الباطل، الملعون. لأنك إن فعلت ما يجب عليك، فلماذا تتكبّر في نفسك ألست ترى أنك ستكون في خطر إن لم تسدّد دينك، وأنك حتى لو أوفيته فلا يحق لك الشكر؟ تلك الحقيقة قد تَعلّمَها وفهِمَها جيدًا ذلك الخادم العجيب بولس الرسول الذي يقول: "*لأنه إن*



كنت أبشّر فليس لي فخر إذ الضرورة موضوعة عليَّ فويل لي إن كنت لا أبشّر " (اكو ١٦:٩)، وأيضًا يقول: " *إني مديون لليونانيين والبرابرة، للحكماء والجهلاء* " (رو ١٤:١). لذلك فإن كنت قد فعلت حسنًا وقد حَفظْتَ الوصايا الإلهية، وقد أطعّت ربك، فلا تطلب كرامة من الله كأنها حق لك، بل بالحرى اقترب منه واطلب الهبات من سخائه بتوسل. تذكّر أنه فيما بيننا أيضًا، فإن السادة لا يقرون بأي شكر عندما يؤدي أي واحد من عبيدهم الخدمة المعينّة لهم، رغم أنهم بجودهم يكسبون ارتياح عبيدهم الأمناء، وهكذا يُولِّدون فيهم نشاطًا أكثر بفرح. وبالمثل يطلب الله منا خدمة العبيد، مستخدمًا حق سلطانه الملوكي، ولكن لكونه صالحًا وجوّادًا، فإنه يَعِد أيضًا بالمكافآت لأولئك الذين يتعّبون. وعظمة إحسانه تفوق أتعاب عبيده جدًّا كما يؤكد لكم بولس الرسول إذ يكتب قائلاً: " *إن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يُستعلن فينا* " (رو ١٨:٨). نعم فرغم أننا عبيد فالرب يدعونا أبناء ويكلّلنا بالمجد اللائق بالبنين. ولاحظوا أيضًا أن كل واحد إذ قد أعتنى أولاً بجسده، هكذا ينبغي عليه أن يهتم بعد ذلك بخير الآخرين، " ***لأنه إن كان أحد لا يعرف أن يدبّر بيته حسنًا فكيف يعتني بكنيسة الله*** " (اتي ٥:٣).

(لو١٧: ١٢و١٣): " *وَفِيمَا هُوَ دَاخِلٌ إِلَى قَرْيَةٍ اسْتَقْبَلَهُ عَشَرَةُ رِجَالٍ بُرْصٍ فَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ. وَصَرَخُوا: يَا يَسُوعُ يَا مُعَلِّمُ ارْحَمْنَا* ".

يُظهِر لنا المخلّص مرة ثانية مجده بعمله معجزات إلهية لكي يربح إلى الإيمان، إسرائيل الأحمق، رغم عناده وعدم إيمانه. أيَّة حجة سوف يعتذرون بها في يوم الدينونة لرفضهم قبول الخلاص بالمسيح، لا سيما إذا كانوا هم أنفسهم قد سمعوا كلامه وكانوا معاينّين لعجائبه التي لا ينطق بها؟ ولهذا السبب قال هو نفسه عنهم: " *لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية* "، وأيضًا لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي (يو ٢٢:١٥ و٢٤). وكما قلت لكم سابقًا، فإن تطهير الرجال البرص كان برهانًا واضحًا على قوته العجائبية، فبمقتضى ناموس موسى كان البُرص يُطرَدون خارج المدن والقرى

لكونهم نجسين.

أظن أن هذا يكفي كملاحظات تمهيدية. لذلك فما أن قابل البُرص المخلِّص حتى طلبوا منه باجتهاد أن يحرّرهم من بؤسهم داعين إياه سيدًا أي معلّمًا.

لم يشفق أحد عليهم عندما كانوا يعانون من هذا المرض، سوى هذا الذي ظَهَرَ على الأرض خصيصًا لأجل هذا السبب بعينه، وقد صار إنسانًا لكي ما يُظهِر شفقته على الكّل، فتحرّك بالشفقة عليهم ورحمهم.

(لو١٧: ١٤) "*وَقَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا وَأَرُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْكَهَنَةِ. وَفِيمَا هُمْ مُنْطَلِقُونَ طَهَرُوا*"

ولماذا لم يقل بالحري أريد فاطهروا كما فعل في حالة أبرص آخر (لو ٥:١٣)، بل أمرهم أن يمضوا ليروا أنفسهم للكهنة؟ كان هذا لأن الناموس أعطى توجيهات بهذا الخصوص لأولئك الذين قد تطهَّروا من البَرَص، إذ أمرهم أن يروا أنفسهم للكهنة وأن يقدّموا ذبيحة لأجل تطهيرهم (لاويين ١٤:٢). لذلك هو أمرهم بالذهاب لأنهم شُفوا فعلاً ولكي يمكنهم أن يقدّموا شهادة للكهنة (قادة اليهود) الذين هم دائمًا حاسدون لمجده، إنه بطريقة عجيبة تفوق توقعهم قد تخلّصوا من بليّتهم بمشيئة المسيح الذي أعطاهم الشفاء. وهو لم يشفهم أولاً، بل أرسلهم للكهنة، لأنهم (الكهنة) كانوا يعرفون علامات البَرَص وعلامات شفائه. هو أرسلهم إلى الكهنة وأرسل معهم الشفاء أيضًا. لكن ماذا كانت شريعة البَرَص، وما هي أحكام تطهيره، وما هو معنى كل أوامر الناموس بخصوصه؟ كل هذا قد استوفيناه تمامًا في بداءة معجزات مخلِّصنا بحسب ما كتبه لوقا (انظر لو ٥:١٢)، وكل من هو متعطّش للتعلّم فليرجع إلى ما سبق أن قلناه، أما الآن فلننتقل إلى ما يلي ذلك: إن تسعة منهم إذ كانوا يهودًا سقطوا في نسيان جاحد، ولم يرجعوا ليعطوا المجد لله، وبهذا الأمر يُظهر الرب أن إسرائيل كان قاسي القلب وعديم الشكر تمامًا، أما العاشر الغريب ـ فلأنه سامري فقد كان من جنس أجنبي إذ قد جاء من أشور؛ (لأن عبارة في وسط السامرة والجليل) ليست بلا معنى ـ هذا الغريب رجع ليمجّد الله بصوت عال، لذلك يظهر من النص أن السامريين كانوا شاكرين، أما اليهود فكانوا غير شاكرين رغم انتفاعهم منه.



عظة ١١٧
متى يأتي ملكوت الله؟

(لو١٧: ٢٠ـــ٣٠): " *وَلَمَّا سَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ: مَتَى يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ؟ أَجَابَهُمْ: لاَ يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ بِمُرَاقَبَةٍ. وَلاَ يَقُولُونَ: هُوَذَا ههُنَا أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ لأَنْ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ. وَقَالَ لِلتَّلاَمِيذِ: سَتَأْتِي أَيَّامٌ فِيهَا تَشْتَهُونَ أَنْ تَرَوْا يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ أَيَّامِ ابْنِ الإِنْسَانِ وَلاَ تَرَوْنَ. وَيَقُولُونَ لَكُمْ:هُوَذَا ههُنَا أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ. لاَ تَذْهَبُوا وَلاَ تَتْبَعُوا. لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ الَّذِي يَبْرُقُ مِنْ نَاحِيَةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ يُضِيءُ إِلَى نَاحِيَةٍ تَحْتَ السَّمَاءِ كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا ابْنُ الإِنْسَانِ فِي يَوْمِهِ. وَلكِنْ يَنْبَغِي أَوَّلاً أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيرًا وَيُرْفَضَ مِنْ هذَا الْجِيلِ. وَكَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ نُوحٍ كَذلِكَ يَكُونُ أَيْضًا فِي أَيَّامِ ابْنِ الإِنْسَانِ. كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيُزَوِّجُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ دَخَلَ نُوحٌ الْفُلْكَ وَجَاءَ الطُّوفَانُ وَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ. كَذلِكَ أَيْضًا كَمَا كَانَ فِي أَيَّامِ لُوطٍ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَشْتَرُونَ وَيَبِيعُونَ وَيَغْرِسُونَ وَيَبْنُونَ. وَلكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي فِيهِ خَرَجَ لُوطٌ مِنْ سَدُومَ أَمْطَرَ نَارًا وَكِبْرِيتًا مِنَ السَّمَاءِ فَأَهْلَكَ الْجَمِيعَ. هكَذَا يَكُونُ فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يُظْهَرُ ابْنُ الإِنْسَانِ* ".

مّرة ثانية يقاوم الفريسي الله، وهو لا يشعر أنه يرفس المناخس، لأنه بينما هو يتخّذ مظهر مَنْ هو شغوف بالتعلّم، فإنه يسخر من الأسرار الإلهيّة المقدّسة جدًّا، تلك التي "*تشتهي الملائكة أن تطّلع عليها*" حسب كلام الطوباوي بطرس (١بط ١:١٢). لهذا السبب فإن العمى (القساوة) حَدَثَ جزئيًا لإسرائيل والظلمة أعمّت عيونهم (رو ١١:٢٥). أما عن كونهم مظلمين وعمياناً، لدرجة أنهم كثيرًا ما جعلوا سر المسيح مناسبة للسخرية، فهذا ما يمكن لأي واحد أن يعرفه مما قد قُرِئ علينا الآن. فقد اقتربوا منه وسألوه قائلين: "*متى يأتي ملكوت الله؟*" أيها الفريسي الأحمق خفِّف من كبريائك، وتنحَّ عن السخرية التي تُعرِّضك لذنب ثقيل لا خلاص منه. فالكتاب يقول: "*والذي لا يؤمن بابن الله قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد*" (يو ٣:١٨). لأن موسى الإلهي سبق فأظهر

بالمثال والظل أن الكلمة هو طريق العالم وباب الخلاص، ومع أنه هو الله، فقد ظهر في هيئة بشريّة واحتمل موت الجسد لأجل الأرض كلها. وتتفق أقوال الأنبياء القديسين أيضًا مع ما قاله موسى، لأنهم سبقوا فأنبأوا إنه سيأتي في الوقت المعيَّن في صورة مماثلة لنا. وهذا أيضًا قد حدث؛ لأنه أُظهِرَ للذين على الأرض، متخذًا هيئة عبد؛ ولكنه رغم هذا احتفظ بربوبيته الطبيعية وسلطانه، ومجده الإلهي، كما تبرّهن بروعة الأعمال التي أجراها.

لكن أنت أيها الفريسي لم تؤمن به ولم تقبل التبرير بواسطته لأنك معاند ومتكّبر، وبعد هذا أنت تسأل متى يأتي ملكوت الله؟

لذلك، فكما قلت، (فالفريسي) يسخر من سرّ هكذا مقدَّس حقًا وجدير بالإعجاب. ولأن مخلِّص الجميع كان يتكلّم في أحاديثه العلنيّة من حين لآخر عن ملكوت الله، لذلك فهؤلاء البؤساء، يزدرون به — أو ربما حتى قد وضعوا في ذهنهم أن يصطادوه بخبثهم، فإن عليه أن يحتمل الموت على الصليب — لذلك فهم يسألون في سخرية، متى يأتي ملكوت الله؟ وكأنهم يقولون إنه قبل أن يأتي هذا الملكوت الذي تتحدّث عنه، فإن الصليب والموت سوف يمسكان بك. لذلك، بماذا أجاب المسيح؟

مرّة أخرى يُظهر طول أناته وحبه الذي لا يبارى للإنسان، لأنه "*إذ شُتم لم يكن يشتم عوضًا، وإذ تألم لم يكن يُهدِّد*" (١بط ٢٣:٢). لذلك فلم يُوبخهم بشدة، ولكن بسبب خبثهم لم يتلّطف لكي يجيب على سؤالهم، بل يقول إن ما ينفع كل الناس، هو أن لا يأتي ملكوت الله بمراقبة، لأن ها ملكوت الله داخلكم (لو ٢٠:١٧ و٢١). ويقول لا تسألوا عن الأزمنة التي سيظهر فيها أيضًا ملكوت السموات ويأتي، بل بالحري اجتهدوا لكي تُحسَبوا أهلاً له، لأنه موجود داخلكم، أي أنه يعتمد على مشيئاتكم الخاصة، وهو في متناول أيديكم سواء قبلتموه أو رفضتموه. لأن كل إنسان قد حصل على التبرير بواسطة الإيمان بالمسيح، وهو متزّين بكل فضيلة، فإنه يُحسب أهلاً لملكوت السموات.



لذلك فبعد أن أوضح هذا الأمر للجميع، فإنه الآن يوجه كلامه إلى تلاميذه القديسين، لمن هم رفقاؤه القديسون ويقول: ستأتي أيام تشتهون فيها أن تروا يومًا واحدًا من أيام ابن الإنسان ولا ترون. هل الرب بحديثه هكذا يغرس الجبن في تلاميذه؟ هل هو يضعفهم مقدمًا ويوهن عزيمتهم حتى لا يستطيعوا أن يحتملوا تلك الاضطهادات والتجارب التي يجب عليهم أن يحتملوها؟ ليس هذا هو قصده بل بالأحرى العكس؛ لأنه يريدهم أن يكونوا مستعدين لكل ما يمكن أن يحزن الناس ويتهيئوا لاحتماله بصبر، وهكذا إذ ينالون استحسانه يمكنهم أن يدخلوا ملكوت الله. لذلك فهو ينذرهم مسبقًا بأنه قبل مجيئه من السماء عند انقضاء العالم، فسوف تسبقه تجارب واضطهادات، حتى إنهم يشتهون أن يروا يومًا من أيام ابن الإنسان؛ أي يومًا مثل تلك الأيام التي كانوا فيها لا يزالون يتجوّلون مع المسيح ويتحادثون معه. ومع هذا فإن اليهود كانوا حتى في ذلك الحين يخطئون ضده بعنف غير قليل، فقد رجموه بالحجارة واضطهدوه، ليس فقط مرة واحدة بل مرّات كثيرة؛ واقتادوه إلى حافة الجبل، لكي يطرحوه على الجرف؛ وأغاظوه بالتعييرات والافتراءات، وكل صور الخبث مارسها اليهود ضده. فكيف قال إذًا إن التلاميذ سوف يشتهون أن يروا يومًا من أيامه؟ قال هذا بسبب أن الشرور الأقل تُشتَهى عند مقارنتها بالشرور الأعظم.

أما عن نزوله من السماء في أزمنة العالم الأخيرة، ليس في الخفاء ولا في السرّ، بل بمجد إلهي، وساكنًا في نور لا يدنى منه (١تي ٦:١٦)، فهذا أعلنه بقوله إن مجيئه سيكون كالبرق. قد وُلد حقيقة بالجسد من امرأة لكي يتمّم التدبير لأجلنا، ولهذا السبب أخلى نفسه (في ٢:٧)، وافتقر، ولم يُظهر ذاته في مجد الألوهية؛ لأن الوقت نفسه، وضرورة التدبير، قاده إلى هذا الاتضاع. أما بعد قيامته من بين الأموات ــ وبعد أن صعد إلى السماء وجلس مع الله الآب ــ فسوف ينزل ثانية، بدون إخفاء لمجده، وليس في وضاعة الطبيعة البشريّة، بل في عظمة الآب ومجده، وبرفقة الملائكة المحيطين والواقفين أمامه، كإله

ورب الكّل، لذلك فسوف يأتي، كالبرق، وليس في السّر.

وأيضًا لا يجب أن نصدق أي إنسان يقول: " *هوذا المسيح هنا أو هوذا هناك*". بل كما قال الرب فإنه "*ينبغي أولاً أن يتألم كثيرًا ويرفض من هذا الجيل*" (لو ١٧:٢٥)، والمسيح بقوله هذا، فإنه يقطع من قلب التلاميذ توقعًا آخر لأنهم افترضوا أنه بعد أن كان قد تجوّل في اليهودية وبعد ذلك في أورشليم، فإنه في الحال سوف يظهر ملكوت الله. فتقدّموا إليه وقالوا: يا رب هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل؟ (أع ١:٦). وأم ابني زبدي أيضًا كانت تتوقّع أن هذا سوف يحدث، ولذلك تقدّمت إليه وقالت: "*قل أن يجلس ابناي هذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك*" (مت ٢٠:٢١)، فلكي يعرفوا، أنه كان مزمعًا أولاً أن يجوز آلامه الخلاصية، وأن يبطل الموت بموت جسده، ويطرح خطية العالم خارجًا ويقضي على رئيس هذا العالم، وأن يصعد إلى الآب، وفي الوقت المعيّن يظهر "*ليدين المسكونة بالعدل*" (مز ٩٥:١٣ س)؛ لذلك يقول، إنه "*ينبغي أولاً أن يتألم كثيرًا*".

ولكي يوضّح أنه سوف يظهر على غير توقّع، وبدون أن يعرف أحد متى يكون هذا ومتى تكون نهاية العالم، فإنه يقول إن النهاية ستكون كما كان في أيام نوح ولوط. لأنه يقول إنهم كانوا يأكلون ويشربون ويزوجّون ويتزوّجون، ويشترون ويبيعون، ويبنون؛ لكن مجيء الطوفان قتل الأولين[1]، بينما كان الآخرون[2] فريسة وطعامًا "للكبريت والنار" إذًا، فما معنى هذا؟ هو يطلب منّا أن نكون دائمًا ساهرين ومستعدين لأن نعطي جوابًا أمام منبر الله كما يقول بولس: "*لأنه لابد أننا جميعًا نُظهَر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيرًا كان أم شرًا*" (٢كو ٥:١٠).

---

[1] أي المعاصرين لنوح .

[2] أي أهل سدوم وعمورة .



"*فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار ويقول للخراف تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المُعد لكم منذ تأسيس العالم*"، لكنه سينطق حكمًا مرعبًا على الجداء لأنه سيرسلهم "*إلى النار التي لا تُطفأ*" (انظر مت ٢٥:٣٣ــ٤١).

لذلك، أيها الفريسي، إن أردت أن تُحسب مستحقًا لملكوت الله، فصرّ واحدًا من الخراف، قدّم للمسيح ثمرة إيمانك به، وامدح السلوك المقدّس، الذي بحسب الإنجيل، أما إن ظللّت جديًا، أي غير مثمر، وخالٍ من الإيمان والأعمال الصالحة معًا، فلماذا تسأل متى يأتي ملكوت الله؟ لأنه لا يهمك، بل بالأحرى خَفْ من العذاب المقرّر لغير المؤمنين، ومن النار التي لا تُطفأ المعدّة لأولئك الذين يخطئون ضد المسيح؛ الذي به ومعه لله الآب يحق التسبيح والسلطان، مع الروح القدس، إلى دهر الدهور. آمين.

عظة ١١٨
كيفية خلاص النفس؟

(لو١٧: ٣١-٣٧): "*فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَنْ كَانَ عَلَى السَّطْحِ وَأَمْتِعَتُهُ فِي الْبَيْتِ فَلاَ يَنْزِلْ لِيَأْخُذَهَا وَالَّذِي فِي الْحَقْلِ كَذَلِكَ لاَ يَرْجِعْ إِلَى الْوَرَاءِ. اُذْكُرُوا امْرَأَةَ لُوطٍ! مَنْ طَلَبَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا وَمَنْ أَهْلَكَهَا يُحْيِيهَا. أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يَكُونُ اثْنَانِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدٍ فَيُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الآخَرُ. تَكُونُ اثْنَتَانِ تَطْحَنَانِ مَعًا فَتُؤْخَذُ الْوَاحِدَةُ وَتُتْرَكُ الأُخْرَى. يَكُونُ اثْنَانِ فِي الْحَقْلِ فَيُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الآخَرُ. فَقَالُوا لَهُ: أَيْنَ يَا رَبُّ؟ فَقَالَ لَهُمْ: حَيْثُ تَكُونُ الْجُثَّةُ هُنَاكَ تَجْتَمِعُ النُّسُورُ*".

يقول الكتاب المقدس في موضع ما: "*هيئ أعمالك لأجل رحيلك، واجعل نفسك مستعدة للحقل*" (أم ٢٤: ٢٧ س). وأنا أعتقد أن المقصود برحيلنا هو خروجنا من هذا العالم وانتقالنا من هنا. وبالطبع لابد أن تلحق هذه الساعة كل إنسان، لأنه كما يقول المرنّم: "*أي إنسان يحيا ولا يرى الموت، ومن يستطيع أن ينجي نفسه من يد الهاوية؟*" (مز ٨٨: ٤٨ س). لأن طبيعة الإنسان قد أُدينت في آدم وسقطت في الانحلال، لأنه تعدّى الوصية التي أعطيت له. أما أولئك المهملون والمزدرون فإنهم يعيشون حياة مخزّية ومحبة للذة، وهم لا يعطون ذهنهم فرصة للتفكير في العالم الآتي ولا في الرجاء المعّد للقديسين، كما أنهم لا يشعرون بأي انزعاج من العذاب المعد لمن يحبون الشر. أما الذين يعيشون حياة فاضلة فإنهم يفرحون بالأتعاب لأجل الاستقامة، كما لو كانوا يتركون شهوة السعي وراء الأرضيات، ولا يعطون سوى انتباهًا قليلاً للضجيج الباطل الذي لهذا العالم.

يدعونا المخلّص أن نتمسك بشدة بهذا الهدف الممتاز، وبالاجتهاد المناسب له فيقول: "*في ذلك اليوم من كان على السطح وأمتعته في البيت فلا ينزل ليأخذها، والذي في الحقل كذلك لا يرجع إلى الوراء*". كان المسيح يتكلّم عن اليوم الأخير، أي عن نهاية هذا العالم ويقول: لأنه كما كان في أيام نوح ولوط، كانوا يأكلون ويشربون



ويزوّجون ويتزوّجون إلى أن جاء الطوفان، ونزلت نار على سدوم وأهلكت الجميع، هكذا يكون اليوم الذي فيه يظهر ابن الإنسان. لذلك فهو يقويّهم ليتذكروا اليوم الأخير ونهاية الزمان، فيوصيهم ألاّ يكترثوا بكل الأمور الأرضيّة والوقتيّة، وأن يتطلّعوا فقط إلى غاية واحدة، التي هي اهتمام كل واحد بخلاص نفسه. لذلك يقول: مَنْ كان على السطح وأمتعته في البيت فلا ينزل ليأخذها. ومن الواضح أنه بهذه الكلمات يقصد الإنسان الذي يعيش رغد وسعة ومجد دنيوي، لأن أولئك الذين يقفون على السطوح يكونون دائمًا ظاهرين أمام أعين أولئك المحيطين بالمنزل. وهو يقول: فإن كان هناك أحد فدعه في ذلك الوقت لا يحسب حسابًا لأمتعته المخزونة في بيته، لأن مثل هذه الأشياء تكون حينئذ بلا قيمة ولا نفع منها لحياته، كما هو مكتوب: "*الكنوز لا تنفع الشرير، أما البر فينجي من الموت*" (أم ١٠:٢ س).

ويقول: وإن كان أحد في الحقل، دعه كذلك لا يرجع إلى الوراء. أي إن وُجد أحد منشغلاً تمامًا في فلاحته ومستغرقًا في الأشغال، وهو يرغب في الثمر الروحي وأن يجني عاقبة تعب الفضيلة، فليتمسك بثبات بهذا الاجتهاد، ودعه لا يرجع إلى الوراء، لأنه كما قال المسيح نفسه أيضًا في موضع ما: "*ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله*" (لو ٩:٦٢)، لأنه من واجبنا أن نحافظ على جهاداتنا الروحيّة بلا تذبذب، وأن نثابر فيها بإرادة لا تكل، لئلا نقاسي نفس المصير الذي حلّ بالمرأة في سدوم، وإذ يضرب بها المثل فهو يقول: "*اذكروا امرأة لوط*" لأنها بعد أن أُنقذت من سدوم ولكنها لأنها رجعت بقلبها بعد ذلك، فإنها صارت عمود ملح، أي صارت حمقاء ومثل حجر.

لذلك يقول: في ذلك اليوم وتلك الساعة، كل من هم معتادون على العيش في بذخ، يلزمهم أن يمتنعوا تمامًا عن مثل هذه الكبرياء وأن يجتهدوا بكل استعداد لكي يخلّصوا أنفسهم، وبالمثل على من هم كادحون ويقدّرون الجهاد النافع، يلزمهم أن يتمسّكوا بشجاعة بالهدف الموضوع أمامهم، لأن "من طلب أن يخلّص نفسه يهلكها، ومن أهلكها يحفظها حيّة".

أما عن الطريقة التي يهلك بها الإنسان نفسه لكي ما يخلّصها، وكيف أن مَنْ يتصوّر أنه يخلِّصها يهلكها، فهذا يبيّنه بولس بوضوح عندما يقول عن القديسين: "*الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات*" (غل ٥:٢٤). لأن الذين قد صاروا تابعين حقيقيين للمسيح مخلّصنا جميعًا، يصلبون جسدهم ويميتونه وذلك بانشغالهم دائمًا في أتعاب وجهادات لأجل التقوى، وبإماتتهم شهوة الجسد الطبيعية لأنه مكتوب: "*أميتوا أعضاءكم التي على الأرض، الزنا النجاسة الهوى الشهوة الردية الطمع*" (كو ٣:٥). أما الذين يحبون سلوك الحياة الشهواني، ربما يتخيّلون أنهم يربحون نفوسهم بالعيش في اللذة والتخنث، بينما هم يخسرونها بالتأكيد، لأنه يقول: "*لأن من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فسادًا*" (غل ٦:٨). لكن كل مَنْ يخسر حياته فهو بالتأكيد سيخلِّصها، وهذا ما فعله الشهداء إذ احتملوا الصراعات حتى الدم وبذل الحياة، ووضعوا فوق رؤوسهم، محبتّهم الحقيقية للمسيح إكليلاً لهم. أما أولئك الذين أنكروا الإيمان بسبب ضعف العزيمة وضعف القلب، وهربوا من موت الجسد في الحاضر، فقد صاروا قتلة لأنفسهم لأنهم سيهبطون إلى الجحيم كي يكابدوا عقوبات جبنهم الشرير. لأن الديّان سينزل من السماء، وهؤلاء الذين أحبوه بكل قلوبهم ومارسوا باجتهاد حياة تقوى خالصة سوف يدعوهم قائلاً: "*تعالوا يا مباركي أبي رثوا المُلك المُعد لكم منذ تأسيس العالم*" (مت ٢٥:٣٤). وأما الذين سلكوا حياة إهمال وانحلال، أو مَنْ لم يحافظوا على مجد الإيمان به، فسوف يحكم عليهم بعقوبة صارمة وشديدة جدًّا ويقول لهم: "*اذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية*" (مت ٢٥:٤١).

وهذا ما يعلّمنا إياه بقوله: "*في تلك الليلة يكون اثنان على فراش واحد فيُؤخذ الواحد ويُترك الآخر، تكون اثنتان تطحنان معًا فتُؤخذ الواحدة وتُترك الأخرى*". وعن الاثنين اللذين على فراش واحد، يبدو أنه يلمِّح إلى أولئك الذين يعيشون في راحة ويسر وهم مساوون لبعضهم البعض من جهة امتلاكهم للغنى الدنيوي، لأن الفراش يرمز إلى الراحة. ولكنه يقول واحد يُؤخذ ويُترك الآخر. كيف أو بأي طريقة؟ ذلك أنه ليس كل من يمتلكون ثروة ويحيون في راحة في هذا العالم، هم أشرار وقساة



القلب. فلو أن إنسانًا كان غنيًا لكنه رحوم ولطيف وليس خاليًا من الشفقة الممدوحة على الفقراء؛ وإن كان مستعدًا أن يُشرك الآخرين في ثروته، وهو لطيف المعشر، وسخي ورزين العقل، ومستقيم الإيمان، وله غِيرة حارة للتقوى، وإن كان أيضًا ــ بحسب تعبير المخلّص ــ يعمل أصدقاء لنفسه باستخدام مال الظلم، فمثل هذا الإنسان يُؤخذ، بينما يُترك الآخر، الذي لم يكن اهتمامه هكذا.

ويقول:"*تكون اثنتان تطحنان معًا، فتُؤخذ الواحدة وتُترك الأخرى*". ويبدو أنه يقصد أيضًا بهاتين المرأتين، من يعيشون في فقر وعناء. ويقول حتى في حالة هؤلاء يوجد اختلاف شاسع لأن البعض احتملوا عبء الفقر بشجاعة وهم يسلكون سيرة حياة رزينة وفاضلة، بينما آخرون لهم سمات مختلفة، إذ يحتالون لممارسة كل عمل شرير ويخترعون كل ما هو وضيع. لذلك ففي حالتهم هذه، سيكون هناك فحص دقيق لأخلاقهم، ومن هو صالح، سيؤخذ، ومن هو ليس كذلك، سيُترك.

ولكن عندما استخدم المسيح مخلّصنا جميعًا تعبير "سيُؤخذ"، سأله التلاميذ بطريقة مفيدة وضرورية: أين يا رب؟ فقال لهم: حيث تكون الجثة هناك تجتمع النسور(ع ٣٧). وماذا يعنى هذا؟ فإنه باستخدامه لحقيقة عامة وواضحة جدًّا يشير إلى سرّ عظيم وعميق. وما هو هذا؟ إنه سوف ينزل من السماء ليدين العالم بالعدل (أع ٣١:١٧). لكن كما يقول هو نفسه: "*يرسل ملائكته فيجمعون الأبرار والقديسين من بين الأشرار ويقربونهم إليه*" (انظر مت ٣١:٢٤) أما أولئك الآخرون فسيتركونهم كمستحقين للعذاب ومحكوم عليهم بالعقوبة التي بالنار.

وهذا يصرح به أيضًا بولس الحكيم جدًّا حيث يكتب: "*فإننا نقول لكم إننا نحن الأحياء الباقين لا نسبق الراقدين...*" (اتس ١٥:٤)، "*في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير، فإنه سيبوق والأموات في المسيح سيقومون عديمي فساد، ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعًا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب*" (اكو ٥٢:١٥، اتس ٤: ١٦ و١٧).

لذلك يقول إنه عندما تنكشف جثة مائتة فإن الطيور الجارحة تجتمع حولها، كذلك

عندما يظهر ابن الإنسان. فبالتأكيد فإن النسور حتى تلك التي تطير في علو شاهق وترتفع أعلى من الأشياء الأرضيّة والدنيويّة، تسارع إليه.

وهو يدعو الدينونة " ليل"، بسبب أن مجيئه الثاني غير معروف وقته وغير متوقع. لأننا نتذكر أيضًا واحدًا من الأنبياء القديسين يصرخ إلى من يحبون الخطية ويقول: "*ويل للذين يشتهون يوم الرب! لماذا لكم يوم الرب؟ هو ظلام لا نور وظلمة كثيفة لا نور فيها*" (عا ٥:١٨ س).

وأيضًا المسيح نفسه قال في موضع ما لتلاميذه الأطهار: "*ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني مادام نهار، يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل*" (يو ٩:٤). وأيضًا كتب واحد من الرسل القديسين يقول: "*يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيء*" (١تس ٥:٢) أي، دون أن يكون معروفًا مقدمًا. لذلك، لكي ما يأخذنا المسيح، لنتخلَّ عن كل هموم أرضية ونكرِّس أنفسنا لكل أنواع العمل الصالح. لأنه سوف يقبلنا ويجعلنا خاصته، ويكلِّلنا بكرامات من الأعالي؛ الذي به ومعه يليق لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

(أيقونة تصور مثل الفريسى والعشار)





.. أما الفريسى فوقف يصلى هكذا .. اللهم اشكرك إنى لست مثل الخاطفين الزناة ... وأما العشار فوقف من بعيد لايشاء أن يرفع عينيه نحو السماء بل قرع على صدره قائلاً : اللهم ارحمنى أنا الخاطئ ... (لوقا ١٨ : ٩ـ١٤)

الأصحاح الثامن عشر

عظة ١١٩

الصلاة كل حين بدون مَلَل

(مثل المرأة وَقاضي الظُلْم)

(لوقا١٨: ١ــ٨): " *وَقَالَ لَهُمْ أَيْضًا مَثَلاً فِي أَنهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ: كَانَ فِي مَدِينَةٍ قَاضٍ لاَ يَخَافُ اللهَ وَلاَ يَهَابُ إِنْسَانًا. وَكَانَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَرْمَلَةٌ. وَكَانَتْ تَأْتِي إِلَيْهِ قَائِلَةً: أَنْصِفْنِي مِنْ خَصْمِي. وَكَانَ لاَ يَشَاءُ إِلَى زَمَانٍ. وَلكِنْ بَعْدَ ذلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ: وَإِنْ كُنْتُ لاَ أَخَافُ اللهَ وَلاَ أَهَابُ إِنْسَانًا. فَإِنِّي لأَجْلِ أن هَذه الأَرْمَلَةَ تُزْعِجُنِي أُنْصِفُهَا لِئَلاَّ تَأْتِيَ دَائِمًا فَتَقْمَعَنِي. وَقَالَ الرَّبُّ: اسْمَعُوا مَا يَقُولُ قَاضِي الظُّلْمِ. أَفَلاَ يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلاً وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟. أَقُولُ لَكُمْ انهُ يُنْصِفُهُمْ سَرِيعًا! وَلكِنْ مَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ أَلَعَلَّهُ يَجِدُ الإِيمَانَ عَلَى الأَرْضِ؟*".

المسيح هو ينبوع كل بركة "*الذي صار لنا حكمة من الله*" (١كو ١: ٣٠) لأننا فيه صرنا حكماء وممتلئين بعطايا روحية، والآن فكل مَنْ هو مستقيم الرأي سيؤكد أن معرفة تلك الأشياء التي بواسطتها يمكننا أن نفلح في كل طريقة تختص بحياة القداسة السامية، والتقدّم في الفضيلة، هي هبة من الله، وهي تستحق تمامًا أن نربحها لأنفسنا. ونجد أحدهم يطلبها من الله قائلاً: "*أظهر لي يا رب طرقك وعلمني سبلك*" (مز ٢٤: ٤ س). فالسبل التي تقود أولئك إلى حياة غير فاسدة، والذين يتقدَّمون فيها بحماس، هي سبل عديدة. ولكن هناك سبيل واحد يفيد أولئك الذين يمارسونه بنوع خاص ألا وهو الصلاة؛ والمخلِّص نفسه حرص على أن يعلّمنا بواسطة المَثَل الموضوع أمامنا الآن؛ أننا يجب أن نستخدمه باجتهاد. فهو يقول "*وقال لهم أيضًا مثلاً في أنه ينبغي أن يُصلى كل حين ولا يُملّ*".

وأنا أؤكد أن واجب الذين أوقفوا حياتهم لخدمته ألاّ يكونوا متكاسلين في صلواتهم، وأيضًا لا يعتبرونها واجبًا شاقًا ومُتعبًا، بل بالأحرى أن يفرحوا، بسبب حرية الاقتراب التي منحها الله لهم، لأنه يريدنا أن نتحدّث معه كأبناء مع أبيهم. أفليس هذا إذًا امتيازًا جديرًا جدًّا بتقديرنا؟ فإذا افترضنا أننا نستطيع أن نقترب بسهولة من أحد الذين لهم سلطان أرضيّ عظيم وكان متاحًا لنا أن نتحدَّث معه بمنتهى الحريّة، أما كنا نعتبر هذا سببًا لفرحٍ غير عادي؟ أي شك يمكن أن يكون في هذا؟ لذلك حينما يسمح الله لكلّ منّا أن يقدّم طلباته لأجل كل ما نريد وقد وضع أمام الذين يخافونه كرامة حقيقية عظيمة جدًّا وجديرة بأن نربحها، فليتوقف كل تكاسل يؤدي بالناس إلى صمت مؤذٍ، ولنقترب بالأحرى بتسابيح ونبتهج لكوننا قد أُمرنا أن نتحدَّث مع رب وإله الكل، والمسيح وسيط لنا، والذي يمنحنا مع الله الآب تحقيقًا لكل توسلاتنا، لأن الطوباوي بولس المبارك يكتب في موضع ما: "*نعمة لكم وسلام من الله أبينا ومن ربنا يسوع المسيح* " (٢كو ١:٢). والمسيح نفسه قال في موضع ما لرسله القديسين: "*إلى الآن لم تطلبوا شيئًا باسمي، اطلبوا تأخذوا*" (يو ١٦:٢٤). لأنه هو وسيطنا وكفارتنا ومعزّينا، والواهب لكل ما نطلب. لذلك فمن واجبنا أن نصلي بلا انقطاع (اتس ٥:١٧)، وبحسب كلمات المبارك بولس، عالمين تمامًا ومتيقنّين أن مَنْ نتوسل إليه هو قادر أن يتمّم كل شيء. والكتاب يقول: "*ولكن ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة لأن المرتاب يشبه موجًا من البحر تخبطه الريح وتدفعه، فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئًا من عند الرب*" (يع ١:٦و٧). لأن المرتاب يرتكب فعلاً خطية الاستهزاء لأنك إن لم تؤمن أنه سيميل إليك ويفرّحك ويتمّم طلبك فلا تقترب منه على الإطلاق، لئلا توجد ملومًا من القدير في أنك ترتاب بحماقة. لذلك يجب أن نتحاشى هذا المرض الوضيع.

والمَثَل الحاضر يؤكد لنا أن الله سيُميل سمعه لمن يقدّمون صلواتهم بلا تكاسل ولا إهمال بل باجتهاد ومثابرة. لأنه إن كان المجيء المستمر للأرملة



المظلومة قد تغلَّب على القاضي الظالم الذي لا يخاف الله ولا يهـاب إنسانًا، حتى إنه رغمًا عن إرادته أنصفها، فكيف مَنْ يحب الرحمة ويبغض الإثم، ومن يقدِّم دائمًا يد المعونة لمَنْ يحبونه، فكيف لا يقبل أولئك المتقدِّمين إليه نهارًا وليلاً ولا ينصفهم إذ هم مختاروه؟

بل تعالوا الآن ولنفحص مَنْ هو هذا الذي يسيء إليهم، إن فحص هذا السؤال سوف يتولَّد عنه الكثير من النفع لكل مَنْ هم متعلِّمون جيدًا. إن الذين يسيئون إلى القديسين عددهم عظيم جدًّا، كما أنهم من أنواع مختلفة. إن الخدّام والمعلّمين الأطهار الذين يفَصِّلون كلمة الحق باستقامة يهاجمهم أعداء الحق بعنف، هؤلاء الذين يجهلون التعاليم المقدَّسة، وهم بعيدون عن كل استقامة، ويسيرون في طرق معوّجة بعيدة عن الطريق المستقيم والملوكي، إن مثل هؤلاء هم عصابات الهراطقة الدنسين والنجسين، الذين يستحقون أن يدعوا أبواب الهلاك. هؤلاء يضطهدون ويضايقون كل مَنْ يسير باستقامة في الإيمان. وكرجال سكارى بالخمر لا يستطيعون الوقوف فيمسكون بمَنْ هم قريبين منهم حتى لا يسقطوا على الأرض بمفردهم. كذلك أيضًا هؤلاء الذين بسبب أنهم مُقعَدُون وعُرج يجلبون الدمار لغير الثابتين. ينبغي لكل مَنْ هم معروفون لدى الله أن يُقدِّموا توسلات من جهة هؤلاء الناس، مقتدين في هذا بالرسل القديسين الذين صاحوا ضد شر اليهود وقالوا: "*والآن يا رب انظر إلى تهديداتهم وامنح عبيدك أن يتكلَّموا بكلامك بكل مجاهرة*" (أع ٤:٢٩).

لكن ربما يقول قائل، قال المسيح في موضع ما للرسل القديسين: "*أحبوا أعداءكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم*" (لو ٦:٢٧ و٢٨)، فكيف يمكننا أن نصرخ ضدهم بدون أن نكون بذلك قد احتقرنا وصية إلهية!

على هذا نجيب قائلين: هل إذن نصلِّي أن يعطيهم الله القوة والجسارة حتى يهاجموا بشدة أكثر أولئك الذين يمدحون أعماله ولا يسمحون لهم بالتعليم هؤلاء الذين يقاومون مجد مَنْ نوجِّه له توسلاتنا؟ كيف لا يكون هذا منتهى

الحماقة؟ لذلك عندما تكون الإساءات المرتكبة في حقنا شخصية، نعتبره مجدًا لنا أن نغفر لهم، ونكون مملوءين بالمحبة المتبادلة ونقتدي بالآباء القديسين حتى لو ضربونا واحتقرونا، حتى لو أصابونا بكل أنواع العنف فلا نوجّه لهم أي لوم ونتسامى على الغضب والغيظ. إن مثل هذا المجد يليق بالقديسين كما أنه يُسرُّ الله.

لكن عندما تُوجَّه أي خطية ضد مجد الله، وعندما تتكدَّس الحروب والمضايقات ضد الذين هم خدام للرسالة الإلهية، عندئذ نتقدَّم في الحال إلى الله طالبين معونته صارخين ضد مَنْ يقاومون مجده، مثلما فعل أيضًا موسى العظيم، لأنه قال: "*قم يا رب فلتتبدد أعداؤك ويهرب مبغضو اسمك من أمامك*" (عدد ١٠:٣٥ س)، كما تبيّن أيضًا الصلاة التي نطق بها الرسل القديسون أنه ليس أمرًا عديم المنفعة لأجل نجاح الرسالة الإلهية وإضعاف يد المضطهدين. ويقول الرسل: "*انظر يا رب إلى تهديداتهم*"، أي أجعل مقاومتهم لنا باطلة، "*وامنح عبيدك أن يتكلّموا بكلامك بكل مجاهرة*" (أع ٤:٢٩).

لكن أن يوجد أناس يتاجرون بكلمة الحق ويؤثّرون على كثيرين ليتخلّوا عن الإيمان الصحيح ويورِّطونهم في اختراعات الضلال الشيطاني ويدفعون بهم — كما يقول الكتاب — ليتكلّموا بأمور تخرج من قلوبهم "*وليس من فم الرب*" (إر ٢٣:١٦ س)، فهذا ما قاله الرب: "*متى جاء ابن الإنسان ألعله يجد الإيمان على الأرض؟*". إنه لا يغيب عن معرفته، وكيف يمكن أن يكون هذا وهو الإله الذي يعرف كل الأشياء؟ فهو يخبرنا إذًا بحسب كلماته هو نفسه أن "*محبة الكثيرين تبرد*" (مت ٢٤:١٢)، "*وأنه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الإيمان الصحيح غير الملوم تابعين أرواحًا مضلة وتعاليم شياطين في رياء أقوال كاذبة لأناس موسومة ضمائرهم*" (١تي ٤:١ و٢). ونحن كخدام أمناء نتقدَّم إلى الله ضد هؤلاء متوسّلين إليه أن يلاشي ويبطّل شرّهم ومحاولاتهم ضد مجده.



ويوجد آخرون أيضًا ممن يسيئون إلى خدّام الله. ينبغي أن نقاومهم بالصلاة. ومَنْ هم هؤلاء؟ هم القوّات الشريرة المضّادة، والشيطان عدونا جميعًا، الذي يقاوم بشراسة أولئك الذين يعيشون حسنًا، والذي يوقع في مصائد الشر كل من ينام، والذي يزرع فينا بذار كل خطية، لأنه مع أتباعه يحارب ضدنا بشراسة. لأجل هذا يصرخ المرنِّم ضدهم قائلاً: "*إلى متى تميلون على الإنسان، ستقتلون جميعًا كجدار مائل وسياج منحن*" (مز ٦١: ٣ س) لأنه مثل حائط مائل على جانب واحد، ومثل سياج ينحني كأنه تفكّك ويسقط حالاً حينما يدفعه أي واحد عليهم، كذلك أيضًا ذهن الإنسان بسبب ميله الخاص الكبير إلى محبة اللذّات العالمية، فإنه يسقط فيها حالاً بمجرد أن يجتذبه أحد إليها ويغريه بها. ولكن هذا هو عمل الشيطان، ولذلك نقول في صلواتنا لمن هو قادر أن يخلّص وقادر أن يدفع بعيدًا عنا ذلك الكائن الشرير: "*انصفني من خصمي*". وهذا ما قد فعله كلمة الله الوحيد الجنس بصيرورته إنسانًا، لأنه طرح رئيس هذا العالم من طغيانه علينا، وخلّصنا ونجانا ووضعنا تحت نير ملكوته.

لذلك فما أروع أن نطلب بصلاة دائمة، لأن المسيح سيقبل توسلاتنا، ويتمّم طلباتنا، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

عظة ١٢٠

مَثل الفرّيسيّ والعشّار

(لو١٨: ٩ـ١٤): "*وَقَالَ لِقَوْمٍ وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ وَيَحْتَقِرُونَ الآخَرِينَ هَذَا الْمَثَلَ: إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا وَاحِدٌ فَرِّيسِيٌّ وَالآخَرُ عَشَّارٌ. أَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هَكَذَا: اَللَّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ وَلاَ مِثْلَ هَذَا الْعَشَّارِ. أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الأُسْبُوعِ وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ. وَأَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ لاَ يَشَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلاً: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي أَنَا الْخَاطِئَ. أَقُولُ لَكُمْ أن هَذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا دُونَ ذَاكَ لأن كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ*".

يا مَنْ تحبون التعليم وتتوقون إلى الإصغاء، اقبلوا مرّة ثانية الكلمات المقدّسة، وأبهجوا أنفسكم بعسل الحكمة، لأنه هكذا هو مكتوب: "*الكلمات الحسنة شهد عسل، وحلاوتها شفاء للنفس*" (أم ١٦: ٢٤ س). لأن عسل النحل حلو جدًّا وينفع نفس الإنسان بطرقٍ كثيرة أما العسل الإلهي الخلاصي فيجعل أولئك الذين يستقر فيهم ماهرين في كل عملٍ صالح ويعلّمهم طرق التقدُّم الروحي، لذلك هلّموا كما قلت نقبل ثانية في الذهن والقلب كلمات المخلّص لأنه يعلّمنا بأي طريقة ينبغي أن نقدّم طلباتنا إليه حتى لا يكون فعل الصلاة بلا مكافأة لمن يمارسونه ولكي لا يثير أحد غضب الله المانح العطايا من الأعالي بطلبه الأشياء التي يتخيّل أنه سوف ينال منها بعض المنفعة، لأنه مكتوب: "*قد يكون بارٌ يهلك في بره*" (جا ٧: ١٥).

أتوسّل إليكم أن تنظروا شاهدًا على هذا مُصورًا بوضوح في المَثل الموضوع أمامنا. إنسان صلّى وأُدين لأنه لم يقدّم صلاته بحكمة، لأنه يقول: "*إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا واحد فريسي والآخر عشار*". وهذا يلزمنا أن نعجب بالترتيب الحكيم للمسيح مخلّصنا كلنا في كل ما يفعله ويقوله. لأنه

بالمَثَل الذي سبقت قراءته علينا فإنه يدعونا إلى الاجتهاد إلى واجب تقديم الصلاة بلا انقطاع لأن الإنجيلي قال: " *وقال لهم أيضًا مَثَلاً في أنه ينبغي أن يُصلي كل حين ولا يُمل*" (لو ١٨: ١). لذلك ألحَّ عليهم أن يجتهدوا في الصلاة كل حين، ولكن كما قلت، لئلا بصلاتنا بمثابرة ولكن بدون تمييز نُغضب من نتضرّع إليه، فإنه يعرض لنا بطريقة ممتازة بأية طريقة ينبغي لنا أن نكون مجتهدين في الصلاة، هو يقول:

" *إنسانان صعدا إلى الهيكل ليصليا*". أتوسل إليكم أن تلاحظوا هنا عدم المحاباة والنزاهة التامة التي للطبيعة التي لا تخطئ، لأنه يُسمي مَنْ كانا يصليان: " *إنسانان*"، فهو لا ينظر إلى الغني أو القوة بل ينظر إلى التساوي الطبيعي بينهما ويعتبر كل الذين يسكنون على الأرض بشرًا، كما لا يختلفون في شيء بعضهم عن بعض، وماذا كانت إذن طريقة صلاتهما؟ يقول (النص): "*أما الفريسي فوقف يصلي في نفسه هكذا: اللهّم أنا أشكرك إني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة ولا مثل هذا العشار*". واضحة تمامًا أخطاء الفريسي الكثيرة، أول كل شيء هو منتفخ وعديم الفهم لأنه امتدّح نفسه، مع أن الكتاب المقدس يصيح عاليًا: "*ليمدحك الآخر لا فمك، الأجنبي لا شفتاك*" (أم ٢٧: ٢ س). لكن يمكن للمرء أن يقول له عن حق: أيها السيّد الشريف لاحظ أن أولئك الذين يعيشون في ممارسة الأفعال الصالحة والمقدَّسة ــ كما يمكن للمرء أن يرى ــ هم غير مستعدين بالمرة أن ينصتوا لكلمات المداهنين، بل حتى وإن امتدحهم الناس، ففي الغالب يغطيّهم الخجل، كما يخفضون أبصارهم إلى الأرض ويلتمسون الصمت من أولئك الذين يمتدحونهم. أما هذا الفريسي الذي لا يستحي فإنه يمتدح نفسه ويمجدّها على أنه أفضل من الخاطفين والظالمين والزناة. ولكن كيف فات عليك أن كون الإنسان أفضل ممن هم أردياء لا يثبت بالضرورة وكأمر بديهي أنه يكون جديرًا بالإعجاب، بل حري بك أن تنافس أولئك الذين يفضلّونك، فإن هذا هو الأمر النبيل



والمكرَّم والذي يُدخل الإنسان في مصاف الذين يُمدحون عن استحقاق.

لذلك يلزم ألاّ تتلّوث فضيلتنا بالخطأ، بل ينبغي أن تكون مخلصة وبلا عيب وخالية من كل ما يمكن أن يجلب لومًا. لأنه ما المنفعة في أن تصوم مرتين في الأسبوع إن كنت تفعل هذا (الصوم) فقط كمبّرر لجهلك وغرورك وتصير متكبّرًا وأنانيًا ومتشامخًا؟ أنت تعطي عُشر ممتلكاتك وتتباهى بهذا، لكنك من ناحية أخرى تثير غضب الله بإدانتك للناس عمومًا واتهامك للآخرين وأنت نفسك منتفخ رغم أنك لم تُكلّل بالشهادة الإلهية للبّر، بل على العكس تكدّس المديح لنفسك، إذ يقول النص: "*لأني لست مثل باقي الناس*" . أيها الفريسي هدئ نفسك "*وضع بابًا ومزلاجًا للسانك*" (انظر مز ٣:١٤٠ س). فأنت تكلِّم الله الذي يعرف كل الأشياء. انتظر حكم الديّان. ليس أحد من أولئك الماهرين في الكفاح يتوّج نفسه، ولا ينال أحد الإكليل من ذاته بل ينتظر استدعاء الحَكَمْ. خفِّض من غلوائك لأن العجّرفة ملعونة ومكروهة من الله. لذلك فلأنك تصوم بذهن منتفخ، فبفعلك هذا لن تنتفع شيئًا وتعبك سيكون بلا مكافأة إذ خلطت الروث مع الطيب. بل حتى حسب ناموس موسى فالذبيحة التي بها عيب لا تصلح للتقديم لله. لأنه قيل له عن الغنم والبقر التي تُقدَّم ذبيحة ينبغي ألاّ يكون فيها عيب (انظر لا ٢١:٢٢)، لذلك فحيث إن صومك مصحوبٌ بالكبرياء فيجب أن تتوقّع أن تسمع الله يقول: "*ليس هذا صَوم اختاره يقول الرب*" (إش ٥:٥٨). أنت تقدِّم العشور لكنك بطريقة أخرى تُسيء لمن تكرّمه، بكونك تدين البشر عمومًا. هذا تصرف غريب عن الذهن الذي يخاف الله، لأن المسيح نفسه قال: "*لا تدينوا لكي لا تُدانوا، لا تقضوا على أحد فلا يُقضى عليكم*" (لو ٣٧:٦). ويقول أيضًا واحد من تلاميذه: "*واحد هو واضع الناموس والديان، فلماذا تدين غيرك*"؟ (انظر يع ١٢:٤). لأن الإنسان ذا الصحة الجيّدة لا ينبغي أن يسخر من إنسان مريض بسبب أنه مُلقى وطريح الفراش، بل بالحري يخاف لئلا يصير هو نفسه ضحيّة لآلام مشابهة. ينبغي لمَنْ هو في معركة، ألا يمتّدح نفسه



بسبب أنه أفلت من البليّة وغَيره سقط فيهـا، لأن ضعف الآخرين ليس موضوعًا مناسبًا لمدح أولئك الذين هُم في صحة جيدة، بل حتى وإن كان الإنسان في صحة قوّية أكثر من المعتاد فلا ينبغي أن ينال مجدًا بسبب هذا. هذه هي إذا كانت حالة الفريسي المحّب لنفسه.

لكن ماذا عن العشّار؟ يقول الرّب إنه وقف من بعيد بدون حتى أن يجرؤ أن يرفع عينيه إلى فوق. ها أنت تراه يمتنع عن كل جسارة في الكلام كمَن ليس له حق في ذلك وهو مضروب بتأديبات الضمير، لأنه كان يخشى أن يراه حتى الله، بسبب إنه كان مُهمِلاً في نواميسه ويسلك حياة الخلاعة والفجور. ها أنت ترى أيضًا أنه يدين شقاء نفسه بواسطة تصرّفه الخارجي، لأنه بينما وقف الفريسي الأحمق متجاسرًا ومنتفخًا ورافعًا عينّيه بلا تردد وهو يشهد لنفسه ويتباهى، أما الآخر فكان يشعر بالخزي بسبب سلوكه، ويخاف من ديّانه ويقرع صدره ويعترف بخطاياه، وكأنه يُظهر مرضه للطبيب ويتوسل طالبًا الرحمة، ماذا كانت النتيجة؟ لنسمع ما يقوله الديان: "*هذا نزل إلى بيته مبررًا دون ذاك*".

لذلك فلنصلِ بلا انقطاع بحسب تعبير بولس الطوباوي (١تس ٥:١٧)، ولكن لنحرص على أن نعمل ذلك بطريقة صحيحة. إن محبة الذات لا ترضي الله، وهو يرفض الكبرياء الفارغة والنظرة المتشامخة والانتفاخ، بسب الأمور التي لا قيمة لها، بل حتى ولو كان الإنسان صالحًا ومتزنًا فلا ينبغي أن يسقط في كبرياء مخجلة، بل بالأحرى فليتذكّر المسيح الذي يقول لرسله القديسين: "*متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا*" (لو ١٧:١٠). لأننا مديونون لله فوق الكّل بالضرورة أن نخدمه كعبيد وبطاعة مستعدة في كل الأمور. ورغم أنك تعيش حياة فائقة وممتازة فلا يجب أن تسأل من الرّب أجرة بل بالحري أن تطلب منه عطية، وهو لكونه صالحًا سوف يعطيك، وكأب محب سوف يساعدك، لذلك لا تمتنع عن أن تقول: اللهم

ارحمني أنا الخاطئ، وتذكر من يقول على فم إشعياء: "*أظهر خطايـــاك أولاً لكي تتبرّر*" (إش ٤٣: ٢٦ س)، وتذكّر أيضًا إنه ينتهر من لا يفعلون هكذا، ويقول: "*هاأنذا أحاكمك لأنك قلت لم أخطئ* " (إر ٢: ٣٥)، افحص كلمات القديـــسين، لأن أحدهم يقول: "*البار يلوم نفسه في بداية كلامه*" (أم ١٨: ١٧ س)، وآخـــر يقـــول: "*قلت اعترف للرب بإثمي وأنت غفرت لي إثم قلبي* " (مز ٣١: ٥ س).

فبماذا سوف يجيب عن هذا أولئك الذين يتبنّون آراء نوفـــاتوس[1] الجديـــدة ويقولون عن أنفسهم إنهم أنقياء؟ أية صلاة يمتدحون؟ هل صلاة الفريسي الذي برّأ نفسه أم صلاة العشار الذي أدان نفسه؟ فإن قالوا إنها صـــلاة الفريـــسي، فإنهم يقاومون الحكم الإلهي لأن (الفريسي) قد أُدين كمتكبّر. ولكـــن إن قـــالوا إنها صلاة العشار، فلماذا يرفضون الاعتراف بعـــدم نقـــاوتهم؟ إن الله يبّـــرر بالتأكيد من يعرفون تعدياتهم جيدًا وهم مستعدون للاعتراف بها، أمـــا أولئـــك الناس (النوفاتيون) فسيكون لهم نصيب الفريسي.

لذلك نقول: "*إننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا*" (يع ٣: ٢) ولا يوجد أحد خالٍ من دنس حتى ولو كانت حياته يومًا واحدًا على الأرض. إذن لنسأل الرحمـــة من الله، فإن فعلنا ذلك فإن المسيح سوف يبرّرنا، هذا الذي به ومعـــه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

---

[1] نوفاتوس (أو نوفاتيوس): كان كاهنًا في روما في القرن الثالث وكان مناوئًا لأسقفها كيرنيليوس وكان يرفض قبول توبـــة الذين يخطئون بعد المعمودية. (انظر Ph. Schaff, Church History Vol. II, P. 196) (المعرب).



عظة ١٢١
الرب يسوع يبارك الأطفال

(لوقا١٨: ١٥ـ١٧): "*فَقَدَّمُوا إِلَيْهِ الأَطْفَالَ أَيْضاً لِيَلْمِسَهُمْ فَلَمَّا رَآهُمُ التَّلاَمِيذُ انْتَهَرُوهُمْ. أَمَّا يَسُوعُ فَدَعَاهُمْ وَقَالَ: دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَن لِمِثْلِ هَؤُلاَءِ مَلَكُوتَ اللهِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ* ".

يدّبر لنا المسيح كل أساليب النفع، ويفتح لنا طرق الخلاص على مصاريعها، لأن هدفه هو أن يُخلِّص سكان الأرض ويولِّد فيهم معرفة مساعي التقوى، ويجعلهم ماهرين في كل فضيلة، لكي بامتلائهم بكل ثمر الروح يكونون مقبولين. لذلك فلنرَ أية منفعة يولِّدها فينا بما قُرئ علينا للتو، لأنكم قد سمعتم الإنجيلي المقدَّس يقول إنهم قدَّموا إليه أطفالاً ليلمسهم، وعندما منعهم التلاميذ، أخذهم وقال: دعوهم يأتون إليّ ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله.

إن أمهاتهم هُنَّ اللاتي قدَّمن الأطفال طالبين بركة ملتمسين لمسة يده المقدَّسة لأطفالهن. أما التلاميذ المباركين فقد انتهروهن على فعلتّهن هذه، ليس لأنهم غاروا من الأولاد بل بالأحرى فعلوا هذا على سبيل الاحترام الواجب لمعلّمهم، وإن جاز القول، لكي يجنّبوه أتعابًا غير ضرورية، معطين للنظام اهتمامًا كبيرًا .

والأطفال إلى الآن يُقرَّبون ويُباركون من المسيح عن طريق الأيادي المكرّسة، ونموذج هذا الفعل لا يزال مستمرًا إلى هذا اليوم، وقد انحدر إلينا من عادة المسيح كينبوع لهذه البركة. ولكن لا يتمّ تقديم الأطفال بطريقة غير لائقة أو مشوشة بل بترتيب ووقار ومخافة[٢].

[٢] يشير القديس كيرلس الكبير بهذه الكلمات إلى العادة القديمة للمسحة، أي خدمة مسح الأطفال المعمَّدين بالزيت المقدس. بالطبع كانت الممارسة المعتادة في الكنيسة الأولى هي تعميد الأطفال بالتغطيس الكامل ثلاث مرات، وهو ما تزال الكنيسة الأرثوذكسية تمارسه إلى اليوم.

وبما أن المسيح قال: "*دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله*"، فتعالوا، نعم تعالوا لنفحص بعناية أي نوع من الأشخاص يلزم أن يكون أولئك الذين يريدون الحياة الأبدية والذين هم مغرمون بملكوت السموات، لأنه يوجد بكل تأكيد من يقول: أي شيء يوجد في الأطفال مما هو جدير بالإقتداء؟ هل هو عجزهم عن الحزم والذكاء؟ كيف يكون أمرًا مصدّقًا أن نؤكد أو نتخيّل شيئًا من هذا القبيل؟ ومع ذلك فالمسيح لا يريدنا أن نكون بلا فهم بل يريدنا أن نعرف بصورة كاملة كل شيء نافع وضروري لخلاصنا. لأن الحكمة أيضًا تَعِد أنها سوف تُعطي البسطاء ذكاء وللشبان بدء المعرفة والفهم (أم ١:٤ س). ونحن نجدها أيضًا في سفر الأمثال كمن ترفع صوتها عاليًا وتقول: "*لكم أيها الناس أنادي، وأنطق بصوتي لبني البشر، أيها الحمقى تعلموا ذكاءً، ويا جُهال ضعوا قلبًا في داخلكم*" (أم ٨:٤ و٥ س). إذن يترتب على ذلك أن الجاهل ليس له قلب، كما ينقصه الذكاء، وذلك ليس في الأشياء التي تستوجب اللوم بل في الأمور التي تستحق المديح. لكن المخلِّص يشرح لنا في موضع آخر كيف يمكن للإنسان أن يكون بسيطًا وذكيًا بآنٍ واحد. وذلك بقوله: "*كونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام*" (مت ١٠:١٦)، ويكتب أيضًا بالمثل بولس المبارك: "*أيها الإخوة لا تكونوا أولادًا في أذهانكم بل كونوا أولادًا في الشر وأما في الأذهان فكونوا كاملين*" (١كو ١٤:٢٠).

ولكن من الضروري أن نفحص ما معنى أن نكون أطفالاً في الشّر، وكيف يصير الإنسان هكذا، أما في ذهنه فيكون كاملاً. فالطفل بسبب أنه يعرف القليل جدًّا أو لا يعرف أي شيء مطلقًا، يُعفى بعدلٍ من تهمة الانحراف والشّر. هكذا أيضًا من واجبنا أن نسعى للتمثل بهم بنفس الطريقة، بأن نطرح عنا تمامًا عادات الشّر، لكي نُعتبر كأناس لا يعرفون حتى الطريق المؤدي للخداع، بل كمن لا يعرفون الخبث والاحتيال، وهكذا يعيشون بأسلوبٍ بسيطٍ وبريء، ويمارسون اللطف والاتضاع الفائق الثمن، كما يمتنعون بسهولة عن الغضب والحقد. ونحن نؤكد أن هذه الصفات هي التي تُوجد في أولئك الذين لا يزالون أطفالاً.



لأنه بينما تكون صفاتنا هكذا في البساطة والبراءة، فإنه ينبغي أن نكون كاملين في الذهن، فيكون لنا ذهن مؤسَّس بثبات في المعرفة الواضحة للذي هو بالطبيعة وبالحق خالق الكون وهو الإله والرب، ولا نعترف بأي إله آخر معه أيًا كان جديدًا أو ما يسمى هكذا كذبًا، ونتحاشى ما يجلب علينا الهلاك بانخداعنا بالابتعاد عنه، بتبنينا لعادات الوثنيين، لذلك يلزم أن يكون ذهننا ثابتًا بقوة وواثقًا وغير متزعزع في تمسّكه بالإله الحيّ الحقيقي، ويلزمنا أيضًا أن نهرب من الشراك الأخرى و نبتعد عن أحجار العثّرة التي يضعها إبليس، وأعني بها أولئك الناس الذين يفسدون التعليم المستقيم عن الله ويزّيفون الحق ويرفعون قرنهم عاليًا ويتكلّمون بالشر ضد الله. إنهم يتقيأون أفكارًا من داخل قلوبهم، ويضلّون نفوس البسطاء، ويحاربون ضد مجد ابن الله الوحيد، ويقولون إنه ينبغي أن يُحصَى ضمن المخلوقات، بينما هم جميعًا قد جاءوا إلى الوجود بواسطته. هؤلاء يجلبون على رؤوسهم دينونة صارمة وحتميّة، ولا يخشون أن يقولوا نفس هذه الأشياء أيضًا ضد الروح القدس، لذلك فأيما شخص يقول عنهم إنهم أبواب جهنم لا يجانبه الصواب. والحكيم بولس يؤكد لنا أيضًا أننا ينبغي أن نعرض عن مثل هؤلاء الناس بعيدًا قائلاً: "*إن كان أحد يبشركم بغير ما قبلتم فليكن أناثيما*" (غل ١:٩).

لذلك فالكمال الرئيسي للذهن هو أن يترسّخ في الإيمان، وأن يكون فهمنا غير فاسد، والكمال الثاني الذي يجاور هذا الكمال الرئيسي ومماثل له بل ورفيقه الدائم هو المعرفة الواضحة لطريق السلوك الذي يرضي الله والذي نتعلّمه من الإنجيل، والذي هو كامل وبلا لوم، فأولئك الذين يسيرون في هذا الطريق يعيشون حياة البساطة والبراءة كما أنهم يعرفون أية آراء ينبغي أن يتمسّكوا بها، وأية أفعال صائبة ينبغي عليهم أن يفعلوها هؤلاء يدخلون من الباب الضيق، ولا يرفضون تلك الأتعاب التي تتطلّبها التقوى نحو الله، ولا تلك الأتعاب الضرورية لأن يحيوا حياة مجيدة. وهكذا فإنهم يتقدّمون كما يجب إلى اتساع الفيض الذي هو نحو الله ويبتهجون بعطاياه، ويربحون لأنفسهم ملكوت السموات؛ بالمسيح الذي به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.



عظة ١٣٢

مَاذَا أعمَلُ لأرِثَ الحَيَاةَ الأبدِيَّة؟

(لو١٨:١٨ــ٢٧): " وَسَأَلَهُ رَئِيسٌ: أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ مَاذَا أَعْمَلُ لأَرِثَ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ؟. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحاً؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلاَّ وَاحِدٌ وَهُوَ اللهُ. أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا: لاَ تَزْنِ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ. فَقَالَ: هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَاثَتِي. فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ ذَلِكَ قَالَ لَهُ: يُعْوِزُكَ أَيْضًا شَيْءٌ. بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَوَزِّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتْبَعْنِي. فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ حَزِنَ لأَنَّهُ كَانَ غَنِيًّا جِدًّا. فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ قَدْ حَزِنَ قَالَ: مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!. لأَنَّ دُخُولَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ!. فَقَالَ الَّذِينَ سَمِعُوا: فَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْلُصَ؟. فَقَالَ: غَيْرُ الْمُسْتَطَاعِ عِنْدَ النَّاسِ مُسْتَطَاعٌ عِنْدَ اللهِ ".

الذين يؤمنون أن الكلمة الذي أشرق من جوهر الله الآب نفسه هو الله بالطبيعة وبالحق؛ فإنهم يقتربون إليه كما إلى إله كليّ المعرفة، وهو كما يقول المرنّم: "*فاحص القلوب والكلى*" (مز ٩:٧) ويرى كل ما يجري في داخلنا لأن كل شيء عريان ومكشوف أمام عينيه (عب ١٣:٤) بحسب تعبير بولس الطوباوي. ولكننا لا نجد جموع اليهود يميلون إلى هذا لأنهم مع رؤسائهم ومعلّميهم كانوا في ضلال، ولم يروا بعيون أذهانهم مجد المسيح بل نظروا إليه بالحري كواحد مثلنا أقصد كمجرد إنسان وليس بالحري الله الذي قد صار إنسانًا، لذلك فإنهم تقدّموا إليه ليجرّبوه وينصبوا له فخاخ مكرهم وهذا يمكنكم أن تتعلمّوه مما قد قُرئ الآن. لأنه يقول: "*وسأله رئيس قائلاً: أيها المعلّم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له يسوع لماذا تدعوني صالحًا؟ ليس أحد صالحًا إلاّ واحد وهو الله*". والآن فذلك الذي يُدعى هنا رئيس والذي تخيّل في نفسه إنه عَالِم بالناموس، والذي افترض أنه قد تعلّمه بدقة، تخيّل أنه يستطيع أن يتهّم المسيح باحتقار الوصية التي نطق بها موسى الحكيم جدًّا، وبأنه يُدخل شرائع أخرى من عنده لأن هدف اليهود كان أن يثبتوا أن المسيح عَارِضَ وقَاوَمَ الوصايا



السابقة بقصد أن يؤسِّس ـــ كما قلت ـــ وصايا جديدة بسلطانه الخاص تتعارض مع تلك الوصايا الموجودة سابقًا، حتى يكون لمعاملتهم الشرّيرة نحوه حجة خادعة. لذلك تقدم (الرئيس) وتظاهر بالتكلّم بلطف لأنه دعاه معلّمًا ونعته بالصالح، فأفصح عن رغبته في أن يكون تلميذًا، إذ يقول: "*ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية* ". لاحظوا كيف أنه خلط التملّق مع الغش والخداع كمن يخلط المُرّ مع العسل، لأنه ظن أنه بهذه الطريقة يمكنه أن يخدعه. وعن مثل هؤلاء الناس قال واحد من الأنبياء القديسين: "*لسانهم رمح نافذ، كلمات أفواههم غاشة، يكلِّم صاحبه بسلام، لكن توجد عداوة في نفسه*" (إر ٩:٨ س). وعلى هذا النحو أيضًا يتكلّم عنهم المرنم الحكيم ويقول: "*فمهم مملوء لعنة ومرارة* " (مز ١٠:٧ س)، وأيضًا: "*كلماتهم ألين من الزيت وهي سيوف مسلولة*" (مز ٥٥:٢١).

لذلك تملّق الرئيس يسوعَ وحاول أن يخدعه فتظاهر أنه يتخذ موقفًا متعاطفًا معه، ولكن بماذا أجاب العالِم بكل شيء وهو كما هو مكتوب: "*الآخذ الحكماء بمكرهم*" (أي ٥:١٣)، "*لماذا تدعوني صالحًا، ليس أحد صالحًا إلاّ واحد وهو الله*". ها أنت ترى كيف برهّن المسيح أن ذلك الرجل ليس حكيمًا ولا متعلّمًا رغم أنه رئيس مجمع اليهود وكأنه يقول له: " إن كنت لا تؤمن أنني أنا الله ورداء الجسد قد جعلك تضلّ، فلماذا تدعوني بأوصاف تليق فقط بالطبيعة الفائقة (الإلهية) وحدها، بينما أنت لا تزال تفترض أنني مجرد إنسان مثلك ولست فائقًا على حدود الطبيعة البشرية؟" فإن صفة الصلاح بالطبيعة توجد في الطبيعة التي تفوق الكّل، أي في الله فقط وهو (الصلاح) الذي لا يتغيّر؛ أما الملائكة ونحن الأرضيون فنكون صالحين بمشابهتنا له أو بالحري باشتراكنا فيه. فهو الكائن الذي يكون، وهذا هو اسمه (انظر خر ٣:١٤ و١٥) وذكره الدائم إلى كل الدهور؛ أما نحن فإننا نوجد ونأتي إلى الوجود بأن نصير مشتركين في مَنْ هو كائن حقًا، لذلك هو صالح حقًا أو هو الصلاح المُطلق، أما الملائكة والبشر ـــ كما قلت ـــ هم صالحون فقط بصيرورتهم مشتركين في الإله الصالح لذلك فلنضع الصلاح على أنه الصفة الخاصة بالله وحده الذي فوق الكّل. وهو متصل جوهريًا

بطبيعته وهو صفته الخاصة. وكأنه يقول له: " فإن كنت لا أبدو لك أنني الله حقًا، فأنت قد نسبتَ إليَّ عن جهل وحماقة الخصائص والفضائل التي للطبيعة الإلهية، في نفس الوقت الذي تتخيّل إنني مجرّد إنسان أي من لم يلبس الصلاح أبدًا، ولا صفة الطبيعة غير المتغيّرة، بل يحصل على الصلاح فقط بموافقة الإرادة الإلهية ". إذن فهذا هو مغزى ما قاله المسيح.

لكن ربما لا يوافق على صحة هذا الشرح أولئك الذين فسدت أذهانهم بمشاركتهم لشر آريوس[٣]، لأنهم يجعلون الابن أقل من الله الآب في السمو والمجد، أو بالأحرى هم يجادلون بأنه ليس هو الابن، لأنهم لفظوه عن أن يكون إلهًا بالحق وبالطبيعة، بل واستبعدوه عن أن يكون قد وُلد حقًا، لئلا يؤمن الناس أنه مساوي حقًا في الجوهر لمن وَلَده، لأنهم يؤكدون ـ كما لو أنهم حصلوا على مبرّر لتجديفهم ـ من الفقرة الموجودة أمامنا الآن فيقولون: ها هو قد أنكر بوضوح وبصريح العبارة أنه صالح، وأفرز الصلاح جانبًا على أنه خاص بالله الآب فقط، ولكن مادام (الابن) هو بالحق مساوٍ للآب في الجوهر وقد خرج منه بالطبيعة، فكيف لا يكون هو أيضًا صالحًا إذ هو الله؟ إذًا فلتكن هذه هي إجابتنا على الذين يقاوموننا، حيث إن كل تفكير صحيح ودقيق إنما يعترف أن الابن له نفس جوهر أبيه، فكيف لا يكون صالحًا وهو إله؟ إذ لا يمكن إلاّ أن يكون إلهًا مادام له نفس الجوهر مع مَنْ هو بالطبيعة الله. لأنهم بالتأكيد، مهما كانت الجسارة التي سقطوا فيها شديدة فلن يقدروا أن يثبتوا أنه من أب صالح خرج ابن غير صالح. وعندنا على هذا شهادة المخلِّص نفسه الذي قال: "*لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارًا ردية*" (مت ٧:١٨). فكيف يخرج نبت رديء من جذر صالح، أو كيف يمكن أن يتدّفق نهر مر من نبع عذب؟ هل كان هناك أبدًا وقت ما لم

[٣] آريوس: صاحب الهرطقة الآريوسية والذي علّم بأن الابن غير أزلي مع الآب وبالتالي فهو ليس واحدًا مع الآب في الجوهر وبالتالي فهو مخلوق. وقد أُدينت هذه التعاليم الخاطئة في المجمع المسكوني الأول في نيقية عام٣٢٥م. وأكد على ألوهية الابن المتجسد حسب التقليد المُسلّم من الرسل والآباء. وصاغ قانون الإيمان فيما يخص طبيعة ابن الله وعلاقته الأزلية والجوهرية بالآب، وأيضًا فيما يخص تجسد الابن وعمله الخلاصي بالصليب والقيامة والصعود وانتظار مجيئه في مجده.



يكن فيه الآب موجودًا بينما نحن نعرف إنه هو الآب الأزلي؟ وهو آب لأنه قد ولَـدَ، ولهذا السبب فهو يحمل هذا الاسم (آب)، وهو لم يحمل هذا الاسم مثل من يستعير هذا اللقب بتشبيهه بشخص آخر، لأن منه تسمَّى كل أبوة في السماء وعلى الأرض (انظر أف ٣:١٥). لذلك فنحن نخلص إلى أن ثمرة الإله الصالح هي الابن الصالح.

وبطريقة أخرى، كما يقول بولس الحكيم جدًّا: " *هو صورة الله غير المنظور*" (كو ١٥:١)، وهو الصورة لأنه يُظهِر في طبيعته الخاصة جمال ذاك الذي ولـده، فكيف يمكننا إذن أن نرى في الابن ــ إن كان غير صالح ــ الآب الذي هو صالح بالطبيعة وبالحق؟ إن الابن هو بهاء مجد الآب ومثال شخصه (انظر عب ٣:١)، ولكن لو لم يكـن صالحًا، كما يقول الهراطقة العديمو الفهم، بينما الآب هو صالح بالطبيعـة فسيكون البهاء مختلفًا في طبيعته، ولن يملك جلال ذلك الذي جعله يضيء. كذلك الشبه أيـضًا سوف يكون مزّيفًا أو بالأحرى لا يوجد شبه على الإطلاق، لأنه لن يُمثِّل مَنْ هو على شبهه ويترّتب على هذا أن ما ليس هو صالحًا يكون مضادًا لما هو صالح.

يمكنني أن أقول الكثير ضد (الهراطقة) في هذه النقطة، ولكن لكي لا يمتد حـديثنا بطريقة غير معقولة، ولا يكون عبئًا على أحد، فلن نقول المزيد في الوقت الحاضـر ونمسك كما بلجام حميتنا في هذا الموضوع، لكن في لقائنا القادم سوف نكمّل شـرحنا لمعنى هذه الفقرة من الإنجيل إن شاء المسيح أن يجمعنا هنا سويًا مرة أخرى، هـذا الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين. آمين.



عظة ١٢٣
كيّف يَخْلُصُ الغنيّ؟

أراكم وقد اجتمعتم هنا باجتهاد وغيّرة عظيمين، وكما أظن فإنكم قد جئتم لتطلبوا لكي تأخذوا ما هو لكم. وأنا من جهتي أعترف أنني وعَدتُ في اجتماعنا الأخير أن أستكمل ما كان ناقصًا في حديثي؛ وأنا قد أتيت لأوفي ما عليَّ كما لأولادي، متوسّلاً إلى المسيح مخلّصنا جميعًا أن يمنح نوره الإلهي لذهني ويعطي نطقًا للساني لكي ما ننتفع أنا وأنتم معًا. لأن بولس كتب يقول: "*يجب أن الحراث الذي يتعب يأكل هو أولاً من الأثمار*" (٢تي ٢:٦).

لذلك دعوني أولاً أن أذكّركم بكل ما سبق أن تأملنا فيه، وبعد ذلك نتقدّم لنكمّل ما تبقى.

فقد قال الإنجيلي الطوباوي: "*وسأله رئيس قائلاً أيها المعلّم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟ فقال له لماذا تدعوني صالحًا ليس أحد صالحًا إلاّ واحد هو الله* "، وهكذا إلى ما تبقى من الدرس. لقد سبق لنا أن شرحنا معنى هذه الفقرة في الإنجيل، وقيل لكم ما فيه الكفاية حول تلك النقطة، لأننا أوضحنا أن الابن صالح بالطبيعة وبالحق مثل ذاك الذي ولَده؛ وأن الجواب: "*لماذا تدعوني صالحًا؟ ليس أحد صالحًا إلاّ واحد هو الله* "، قيل بشكل نسبّي للسائل. لذلك هيّا بنا لنفحص الآيات التي تلي ذلك من الإنجيل.

إذن، ماذا يقول رئيس مجمع اليهود؟ "*ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية؟*" إنه لا يسأل بقصد أن يتعلّم، وإلاّ لكان سؤاله جديرًا بكل ثناء، ولكن قصده هو أن يبرهن أن المسيح لم يسمح لهم أن يحتفظوا بوصايا موسى، بل بالأحرى قاد تلاميذه وأتباعه إلى قوانين جديدة اشترعها من نفسه، لأن رؤساء اليهود بهذا الإدعاء علّموا الشعب الذي تحت سلطانهم قائلين عن المسيح مخلّصنا كلنا: "*به شيطان وهو يهذي، لماذا تستمعون له؟*" (يو ١٠:٢٠)، لأنهم قالوا إن به



شيطان وهو يهذي، بافتراض أنه أقام شرائعه الخاصة ضد تلك التي أعطيت لهم من فوق من الله (بواسطة موسى). وبالحري ينبغي أن نؤكد أنهم هم الذين كان بهم شيطان وكانوا يهذون بشدة، لأنهم يقاومون رب الناموس، الذي جاء لا لكي ينقّض الوصيّة التي أعطيت في القديم، بواسطة خدمة موسى، بل لكي يتمّمها، بحسب كلماته هو نفسه (مت ٥:٣٧)، لأنه حوّل الظل إلى حقيقة.

توقع رئيس المجمع أن يسمع المسيح كأنه يقول: " كُف، أيها الإنسان عن كتابات موسى، تخلّى عن الظّل، إنها كانت مجرد مثالات وليس أكثر، اقترب بالأحرى من وصاياي التي في الإنجيل". لكنه لم يجبه هكذا، لأنه ميَّز بمعرفته الإلهية هدف ذلك الذي يجرّبه، ولكن لأنه ليس عنده وصايا أخرى سوى التي أعطيت بواسطة موسى، فإنه وجَّه الرجل إليها قائلاً له: "*أنت تعرف الوصايا*". ولئلا يقول الرئيس إن المسيح حوّله إلى وصاياه الخاصة، عدَّد له تلك الوصايا التي في الناموس وقال له: لا تقتل، لا تزن، لا تشهد بالزور. وما هو الجواب الذي أجاب به هذا المخادع الماكر ومدبّر المكائد، أو بالأحرى هذا الشخص الجاهل جدًّا والأحمق؟ لأنه ظن أنه حتى ولو كان الذي يسأله هو الله، فإنه يمكنه مع ذلك أن يتملّقه بسهولة ليجيّب بحسب رغبته، لكن كما يقول الكتاب المقدس: "*الإنسان المخادع لا يربح* " (انظر أم ١٢:٢٧ س).

ورغم أنه صوَّب سهمه بعيدًا عن هدفه وفقد فريسته، لكنه تجاسر على أن ينصب له فخًا آخر، لأنه قال: هذه كلها حفظتها منذ حداثتي. لذلك فهو يستحق أن يسمع منا هذا الجواب: أيها الفريسي الأحمق: "*أنت تشهد لنفسك. شهادتك ليست حقًا*" (يو ٨:١٣)، ولكن لنترك الآن هذا الجدل، ولنرَ بأيّة طريقة صدَّ المسيح عدوه اللدود والخبيث. فبينما كان يمكنه أن يقول: "*طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات، طوبى للودعاء، طوبى لأنقياء القلب*" (مت ٥:٣ـ٨) فإنه لم يقل له شيئًا من هذا القبيل، لكن لأن الفريسي كان محبًا للمال وكان غنيًا جدًّا، فقد انتقل المسيح في الحال لِما سوف يحزنه وقال له:



"*بع كل ما لك ووزّع على الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني*".
كان هذا (الكلام) مصدر عذاب وألم لقلب ذلك الإنسان الجشع الذي كان يتباهى بنفسه بسبب حفظه للناموس، وهذا برهّن على أنه هشّ وضعيف أيضًا وهو عمومًا غير مستّعد لتقبّل رسالة الإنجيل الجديدة. ونحن أيضًا نتعلّم كم هو حق ما قاله المسيح: "*لا يجعلون خمرًا جديدة في زقاق عتيقة، لئلا تنشق الزقاق فالخمر تنصب والزقاق تتلف، بل يجعلون خمرًا جديدة في زقاق جديدة*" (مت ٩:١٧)، لأن رئيس المجمع برهن أنه ليس سوى زّق عتيق لا يمكنه أن يحفظ الخمر الجديد، بل ينشق ويصير عديم الفائدة، ذلك لأنه حزن مع أنه نال درسًا كان يمكن أن يجعله يربح الحياة الأبدية.

أما أولئك الذين قبلوا في داخلهم، بالإيمان، ذلك الذي يجعل كل الأشياء جديدة، أي المسيح، فإنهم لا ينشقون إلى نصفين بنوالهم الخمر الجديدة منه. لأنهم حينما اقتبلوا منه رسالة الإنجيل التي تبهج قلب الإنسان، ارتفعوا فوق الغنى ومحبة المال، وتّوطد ذهنهم في الشجاعة، ولم يقيموا وزنًا للأشياء الوقتيّة بل بالأحرى عطشوا إلى الأمور الأبدية، وأكرموا الفقر الاختياري، وكانوا مجتهدين في محبتهم للإخوة. لأنه كما هو مكتوب في أعمال الرسل القديسين: "*لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند أرجل الرسل، فكان يوزّع على كل أحد كما يكون له احتياج*" (أع ٤:٣٤ و٣٥).

أما رئيس المجمع فلأنه كان ضعيفًا جدًّا في عزمه، ولم يستطع أن يذعن لسماع نصيحة بيع مقتنياته، رغم أنها كانت ستكون لخيره ولها مكافئة جزيلة، فإن ربنا كشف المرض الذي كان يربض داخل قلب الرجل الغنى وقال: "*ما أعسر دخول ذوي الأموال إلى ملكوت الله، لأن دخول جمل من ثقب أبره أيسر من دخول غني إلى ملكوت الله*". ولا يقصد المسيح بالجمل هنا ذلك الحيوان، إنما ذلك الحبل الغليظ، لأنها كانت عادة أولئك المتمرّسون أن يسمّوا الحبل الغليظ



جملاً.

لكن لاحظوا أنه لم يقطع تمامًا رجاء الأغنياء بل حفظ لهم موضعًا وطريقًا للخلاص، لأنه لم يقل إنه يستحيل على الغني أن يدخل بل قال إنه يمكنه إنما بصعوبة.

عندما سمع التلاميذ الطوباويون هذه الكلمات اعترضوا قائلين: فَمَنْ يستطيع أن يَخْلُص؟ وكان احتجاجهم لصالح أولئك الذين لهم أموال ومقتنيات، لأنهم (التلاميذ) كانوا يقولون: إننا نعرف أن لا أحد سيقتنع بأن يتخلّى عن ثروته وغناه، فمن يستطيع أن يَخْلُص؟ لكن بماذا أجاب الرّب؟ " *غير المستطاع عند الناس مستطاع عند الله*". لذلك فقد احتفظ لأولئك الذين يقتنون ثروات، بالإمكانية أن يُحسبوا مستحقين لملكوت الله لو أرادوا، لأنه حتى ولو كانوا يرفضون كلية التخلّي عما هو لهم، لكن يمكنهم أن يبلغوا تلك الكرامة بطريقة أخرى. والمخلّص نفسه أظهر لنا كيف وبأي طريقة يمكن أن يحدث هذا إذ قال: " *اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم حتى إذا فنيتم يقبلونكم في المظال الأبدية*" (لو ١٦: ٩). لأنه لا يوجد شيء يمنع الأغنياء لو أرادوا أن يجعلوا الفقراء شركاء ومقاسمين لهم في الغنى الوافر الذي يمتلكوه. ما الذي يعيق من له مقتنيات وافرة من أن يكون لطيف المعشر ومستعد أن يوزّع على الآخرين مسرعًا إلى العطاء، وأن يكون رؤوفًا وممتلئًا بتلك الشفقة الكريمة التي ترضي الله. إننا سوف نجد أن الحرص على تتميّم هذا العمل ليس هو بلا مكافأة ولا عديم النفع، لأنه مكتوب: " *الرحمة تفتخر على الحكم*" (يع ٢: ١٣).

لذلك فإن مخلّصنا وربنا كلنا، يهبنا ما يفيدنا بكل حجة وبكل طريقة، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين. آمين.



عظة ١٢٤

ها نَحْنُ قَدْ تركْنا كُلَّ شَيْءٍ وتبعنَاكَ

(لو١٨: ٢٨ـــ٣٠): "*فَقَالَ بُطْرُسُ: هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ. فَقَالَ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَيْسَ أَحَدٌ تَرَكَ بَيْتًا أَوْ وَالِدَيْنِ أَوْ إِخْوَةً أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا مِنْ أَجْلِ مَلَكُوتِ اللهِ. إِلاَّ وَيَأْخُذُ فِي هَذَا الزَّمَانِ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَفِي الدَّهْرِ الآتِي الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ* ".

ذلك الذي هو ينبوع التعاليم المقدّسة يجعل هنا أيضًا نهرًا صحيًا يتدّفق لنا، كما يبدو أن المناسبة نفسها تدعونا أن نقول لمن يفحصون الكلمات الإلهية: "*أيها العطاش هلموا إلى المياه*" (إش ٥٥: ١)، فقد وُضع أمامكم أن تشتركوا في نهر البهجة الذي هو المسيح، لأن داود النبي ذَكَرَهُ بهذا الاسم فقال لله الآب الذي في السماء: "*فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون يُروون من دسم بيتك ومن نهر بهجتك تسقيهم*" (مز ٣٥: ٨ س).

أما ما هو هذا النهر الذي يتدّفق إلينا منه، فهذا هو ما تعلّمه لنا بوضوح الدروس الإنجيلية الموضوعة أمامنا الآن: (إذ يقول الإنجيل) "*فقال بطرس ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك*"؛ ويضيف متى الإنجيلي: "*فماذا يكون لنا؟*" (مت ١١: ٢٧). لكن قبل أن ننتقل إلى أي من النقاط الأخرى، لنسأل أولاً عن المناسبة التي أوصلت إلى هذا الموضوع الحالي. لذلك، حينما قال المسيح مخلّصنا كلنا لأحد رؤساء مجامع اليهود: "*اذهب بع كل ما لك ووزع على الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني*"، سأله التلاميذ: ماذا سينالون من الله (أولئك) الذين حفظوا هذه الوصية، ولأجل منفعة الآخرين فلقد وضع التلاميذ على أنفسهم توضيح حدود هذا الأمر. لكن ــ بحسب ما أتخيّل ــ ربما يجيب البعض عن هذا: ما هو الذي تخلّى عنه التلاميذ عمومًا لأنهم كانوا أشخاصًا يكسبون ضروريات الحياة بعرقهم وكدهم، ولأن صناعتهم كانت صيد السمك، فهم يمتلكون على الأكثر قاربًا وشباكًا. ولم يكن لهم بيوت جميلة أو أي مقتنيات أخرى، لذلك فما الذي تركوه أو عوضًا عن أي شيء يسألون من المسيح مكافأة؟ بماذا نجيب عن هذا؟ لأجل هذا السبب بالذات يسألون هذا السؤال الضروري



جدًّا، لأنه بقدر ما كانوا لا يمتلكون شيئًا سوى ما هو زهيد وتافه القيمة، فإنهم سوف يعرفون الطريقة التي بها يجازي الله ويبهج بعطاياه أولئك الذين لم يتركوا سوى القليل لأجل ملكوت الله راغبين أن يُحسبوا جديرين بملكوت السموات لأجل محبّتهم له. فالرجل الغني لكونه قد تخلّى عن الكثير فإنه يتوقع مكافأة عن ثقة، لكن الذي لا يملك سوى القليل وقد تخلّى عنه، هل كان يحق له أن يسأل أيّة آمال سيمنّي نفسه بها؟ لأجل هذا السبب فالتلاميذ كممثلين لمن هم في حالة شبيهة بهم، من جهة أنهم لم يتركوا سوى القليل قالوا: "*هانحن قد تركنا كل شيء وتبعناك*".

كما يلزم أن نلاحظ هذا أيضًا أنه لدى التأمل بطريقة صحيحة، فإننا نجد أن ألم التخلّي هو نفسه سواء أكان التخلّي هو عن كثير أو عن قليل. هلّموا كي نرى المغزى الحقيقي للأمر بمثال بسيط. لنفترض أنه كان على رجلين أن يقفا عريانين، وفي فعلهما هذا نزع الواحد منهما عن نفسه ثيابه الغالية الثمن، بينما الآخر خَلَعَ فقط ما كان رخيصًا وسهل الاقتناء، ألاّ يكون ألم التعرّي واحدًا في الحالتين؟ هل يمكن أن يكون هناك شك حول هذه النقطة؟ لذلك بقدر ما أن الأمر إنما يتعلّق بالطاعة والنيّة الحسنة، يلزم أن يوضع هؤلاء الفقراء على قدَم المساواة مع الأغنياء، الذين رغم أن ظروفهم تختلف، لكن كان لهم استعداد متساوي وقبلوا برضا بيع كل ما لهم. كذلك أيضًا الحكيم جدًّا بولس الرسول تبنّى قضيتهم عندما كتب هكذا: "*لأنه إن كان النشاط موجودًا فهو مقبول على حسب ما للإنسان لا على حسب ما ليس له*" (٢كو ٨:١٢).

لذلك فإن تساؤل الرُسل الأطهار لم يكن غير معقول. إذن ماذا قال لهم المسيح الذي لا يأخذ بالوجوه؟ "*الحق أقول لكم إن ليس أحد ترك بيوتًا أو إخوة أو أولادًا أو والدين من أجل ملكوت الله إلاّ ويأخذ في هذا الزمان أضعافًا كثيرة وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية*". هذا إعلان يليق بالله، وقرار مقدَّس يستحق الإعجاب، بل لاحظوا كيف أنه رفع كل السامعين إلى رجاء أكيد، واعدًا ليس فقط بملء العطيّة السخيّة التي تُغدَق على القدّيسين، بل أيضًا مثبتًا وعده بقَسَمٍ، إذ بدأ إعلانه باستعمال كلمة "*الحق*"، والتي، إن جاز القول، تؤدي دور القسم. وهو لم يكتفِ بأن ينال وعوده أولئك الذين

احتقروا المال، بل أيضًا أولئك الذين تركوا أبًا أو أمًا أو زوجة أو إخوة لأجل ملكوت الله، وقال إنهم سوف يأخذون أضعافًا كثيرة في هذا الدهر، وفي الدهر الآتي الحياة الأبدية. أما كون أن أولئك الذين يعيشون حياة فاضلة ينالون بالضرورة الحياة الأبدية، فهذا أمر ليس فيه أي شك على الإطلاق. لكن يوجد أولاً سؤال ضروري بخصوص مَنْ هم الذين تركوا أبًا وأمًا وزوجة وإخوة وبيوتًا. وثانيًا أيضًا يجب أن نفحص فحصًا دقيقًا ما هي الطريقة التي سوف ينال بها من يفعلون هذا، أضعافًا كثيرة في هذا العالم.

يترك بعض الناس الأب والأم والزوجة والإخوة وكثيرًا ما يَعتَبرون العاطفة الطبيعية التي توجبها روابط القرابة كلا شيء لأجل محبة المسيح، والمسيح يعلّمنا بأية طريقة يفعلون هذا بقوله مرة: "*من أحب أبًا أو أمًا أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابنًا أو ابنه أكثر مني فلا يستحقني*" (مت١٠:٣٧)، كما قال في مرة أخرى: "*لا تظنوا إني جئت لألقي سلامًا على الأرض، ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنه ضد حماتها*" (مت ١٠:٣٤ و٣٥).

أن رسالة الإنجيل الإلهية عندما تصطاد العالم كله كأنه في شبكة؛ إلى الإيمان به وترفعه إلى نور معرفة الله، فيوجد هناك من يدخلون بسرعة، ولكن البعض يُقاسون من خزي مهين إذ يكونون خائفين سواء من آبائهم أو من أمهاتهم، ويعطون اعتبارًا عظيمًا لغضبهم أو حزنهم، لأنه إن كان هؤلاء الوالدون غير مؤمنين، فلن يوافقوا على أن أولادهم أو بناتهم يسلّمون ذواتهم لخدمة المسيح، ويتخلّون عن الضلال الذي تربوا عليه والذي صار أمرًا اعتياديًا بالنسبة لهم (أي عبادة الأوثان). وأحيانًا عندما يكون الأبناء غير مؤمنين ويتخذون موقفًا عدائيًا (من المسيح) فإنه لا يكون لآبائهم الشجاعة لأن يغيظوهم بأن يسرعوا إلى الإيمان، ويمسكوا بالخلاص الذي بالمسيح. ويمكن أيضًا أن يُعطي نفس التفسير من جهة الإخوة مع الإخوة والكنه مع حماتها والحماة مع كنتها. أما الأقوياء في الذهن الذين لا يفضلون شيئًا على محبة المسيح فإنهم يمسكون بالإيمان بغيرة ويحاولون باجتهاد أن يدخلوا إلى بيت الله من خلال



العلاقة الروحية، ولا يعيرون انتباهًا للحروب أو بالأحرى الانقسامات التي سوف تترتب على إيمانهم، مع أقربائهم حسب الجسد، وبهذه الطريقة يترك بعض الناس البيت والأقرباء لأجل المسيح لكي يربحوا اسمه[4] (انظر مت ١٩:٢٩) ويُدعوا مسيحيين، أو بالأحرى لأجل مجده، لأن اسمه كثيرًا ما يعني مجده.

وبعد ذلك دعونا نرى بأية طريقة ينال الذي يترك بيتًا أو أبًا أو أمًا أو إخوة بل وربما زوجته، أضعافًا كثيرة في هذا الزمان الحاضر. هل هو سوف يصير زوجًا لزوجات كثيرات أم سوف يجد على الأرض آباء كثيرين بدلاً من أب واحد وهكذا يتضاعف عدد أقربائه الأرضيين؟ ليس هذا هو ما يقوله، بل بالأحرى هو أنه بالتخلّي عن هذه الأشياء الزمنيّة والجسديّة فإنه سوف ينال ما هو أعظم جدًّا في قيمته، أي سوف ينال أضعاف المرّات ما صُرف النظر عنه. ولنأخذ من فضلكم الرسل الأطهار كأمثلة لنا، فنقول عنهم إنهم كانوا أشخاصًا غير متميّزين بحسب المركز الدنيّوي، ولم تكن لهم مهارة في الفصاحة وفي الإلقاء، وليس لهم لسان بليغ ولا كلمات فخمة بل بالعكس كانوا غير مدرّبين على الكلام وبحسب المهنة كانوا صيّادي سمك، وكانوا يقتاتون من تعبهم. لكن كل ما كان لهم قد تركوه كي يكونوا ملازمين للمسيح دائمًا وخدامًا له ولم يستطع أي عائق أن يعيقهم أو يجتذبهم بعيدًا في انشغالات أخرى أو مطالب دنيّوية. وإن كانوا قد تركوا كل شيء، فما الذي ربحوه؟ نعم لقد امتلئوا من الروح القدس، ونالوا سلطانًا على الأرواح النجسة ليخرجوها وصنعوا معجزات، حتى إن ظلّ بطرس كان يشفي المرضى، وصاروا بارزين بين الناس في كل مكان، متقدّمين في المجد، وجديرين بالاقتداء (بهم)، وصاروا مشهورين وهم أحياء، وكذلك فيما بعد (انتقالهم)، لأنه مَنْ هو الذي لا يعرف أولئك الذين علّموا العالم سرّ المسيح؟ من لا يعجب من إكليل المجد الذي وُهِبَ لهم؟

لكن ربما تقول: " هل يلزم أن نصير كلنا مثلهم؟ على هذا السؤال نجيب أن كل

---

[4] كانت القراءة بحسب إنجيل متى ــ كالمعتاد ــ في ذهن القديس كيرلس عندما كان يعظ، وهناك نجد من أجل اسمي بدلاً من أجل ملكوت الله (انظر مت ١٩:٢٩).

واحد منّا أيضًا نحن الذين آمنا بالمسيح وأحببنا اسمه، إن كنا قد تركنا بيتًا ننال المنازل التي فوق وإن كنا قد تركنا أبًا فسوف نربح ذلك الآب الذي في السموات. وإن كان أحد قد تُرك من إخوته فسوف يقبله المسيح أخًا له، وإن ترك زوجة فستكون الحكمة التي تنزل من فوق من عند الله هي رفيقته في البيت. لأنه مكتوب: "*قل للحكمة أنتِ أختي وأجعل الفهم صديقك*" (أم ٧:٤ س)، وبواسطتها سوف تثمر ثمارًا روحيّة جميلة، وبواسطتها سوف تصير شريكًا في رجاء القديسين وتنضم إلى رفقة الملائكة. ومع أنك تركت أمك، فسوف تجد أمًا أخرى أروع بما لا يُقاس، أي أورشليم العليا التي هي حرّة وهي أمنا جميعًا (غل ٤:٢٦).

فكيف لا تكون هذه الأشياء مضاعفة جدًّا أكثر من تلك التي تُركت، لأن تلك التي تُركَتْ هي مؤقتة وسريعة الزوال وتتلف بسهولة! لأنها كالندى وكالحلم هكذا تزول. أما الذي يُحسب أهلاً لهذه الأمور الأبدية فهو يصير لامعًا حتى في هذا العالم بل ويغارون منه بسبب أنه يكون مزينًا بالمجد أمام الله والناس.

لذلك فإن هذه الأشياء هي مضاعفة جدًّا عن كل ما هو أرضيّ وجسديّ. والذي يعطيها لنا هو ربنا ومخلّصنا جميعًا الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين. آمين.



عظة ١٢٥
يسوع يُنبئ ثانية بموته وقيامته

(لوقا١٨: ٣١ــ٣٤): " *وَأَخَذَ الاثْنَى عَشَرَ وَقَالَ لَهُمْ: هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَسَيَتِمُّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ بِالأَنْبِيَاءِ عَنِ ابْنِ الإِنْسَانِ. لأَنَّهُ يُسَلَّمُ إِلَى الأُمَمِ وَيُسْتَهْزَأُ بِهِ وَيُشْتَمُ وَيُتْفَلُ عَلَيْهِ. وَيَجْلِدُونَهُ وَيَقْتُلُونَهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ. وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يَفْهَمُوا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا وَكَانَ هَذَا الأَمْرُ مُخْفىً عَنْهُمْ وَلَمْ يَعْلَمُوا مَا قِيلَ* ".

تكلّم النبي الطوباوي داود عن واحدة من تلك الأمور التي لها أهمية عظمى لمنفعتنا، خصوصًا وأنها تشير إلى ما يحدث دائمًا بالنسبة لأذهان الناس فيقول: "*تهيأت ولم أنزعج* " (مز ١١٨: ٦٠س). لأن كل ما يحدث على غير توقع، إذا ما كان متسّمًا بالخطورة، فإنه يُعرِّض حتى أشجع الناس للاضطراب والانزعاج، وأحيانًا يصيبهم بمخاوف لا تحتمل. أما إذا كان قد ذُكِرَ قبل حدوثه، فإن وَقْعه يسهّل تجنبه، وهذا هو على ما أظن معنى "*تهيأت ولم أنزعج*".

لأجل هذا السبب، فإن الكتاب الموحى به من الله، يقول ــ بشكل مناسب جدًا ــ لأولئك الذين سوف يبلغون للمجد بسلوكهم طريق القداسة هكذا: "*يا بُني إذا تقدمت لخدمة الرب أعدد نفسك للتجربة، ووجه قلبك واحتمل*" (ابن سيراخ ٢: ١ و٢). إن الكتاب يتكلّم هكذا لكي يُعلِّم الناس أنهم بممارسة الصبر والاحتمال فإنهم سوف يتغلّبون على التجارب التي تقابل كل من يعيشون بالتقوى، ويبرهنوا على تساميهم على كل ما يمكن أن يزعجهم. كذلك هنا أيضًا، فإن مخلّص الكل لكي يُعد مسبقًا أذهان التلاميذ فإنه يخبرهم بأنه سوف يعاني الآلام على الصليب والموت بالجسد بمجرد صعوده إلى أورشليم. وأضاف أيضًا أنه سوف يقوم ثانية، ويمسح الألم، ويزيل خزي الآلام بعظمة المعجزة، لأنه أمر مجيد ويليق بالله أن يكون قادرًا على كسر رباطات الموت والعودة بسرعة إلى الحياة. لأن القيامة من الأموات بحسب تعبير الحكيم بولس ــ تشهد له أنه الله وابن الله (رو ١: ٤).



لكن يلزمنا أن نشرح ما هي المنفعة التي نالها الرسل القديسون من معرفتهم باقتراب تلك الأمور التي كانت على وشك الحدوث. إنه بهذه الوسيلة قطع مسبقًا كل الأفكار غير اللائقة وكل فرص العثرة. سوف تسألون: كيف وبأي طريقة؟ وأنا أجيب: إن التلاميذ الطوباويين تبعوا المسيح مخلّصنا كلّنا في جولاته في اليهودية ورأوا أنه لم يوجد شيء، مهما كان فائقًا على الوصف، وجديرًا بالإعجاب لم يستطع أن يعمله. إنه دعا الموتى من قبورهم بعد أن أنتنوا، وأعاد البصر للعميان، وصنع أيضًا أعمالاً أخرى لائقة بالله ومجيدة، وسمعوه يقول: "*أليس عصفوران يباعان بفلس؟ وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم*" (مت ١٠:٢٩). والآن فَهُم الذين قد رأوا هذه الأشياء وتشدّدوا بكلماته (التي قادتهم) إلى الشجاعة، كانوا على وشك أن ينظروه يحتّمل سخرية اليهود، ويُصلب ويُستهزئ به ويُلطم من الخدام. لذلك كان ممكنًا أن يعثروا بهذه الأمور، ويفكروا في داخل أنفسهم ويقولون: ذلك الذي هو عظيم هكذا في قوته، وله مثل هذا السلطان الإلهي، والذي يجري المعجزات بإيماءته فقط، وكلمته مقتدرة حتى إنه يقيم الموتى من قبورهم، والذي قال أيضًا إن عناية أبيه تصل حتى إلى الطيور؛ والذي هو الابن الوحيد الجنس والبكر ــ كيف أنه لم يعرف ما كان مزمعًا أن يحدث؟ هل هو أيضًا أُخذ في شباك العدو وصار فريسة لأعدائه مع أنه وَعَدَ أنه سوف يخلّصنا؟ فهل أُهمِل وأُحتقر من ذلك الآب الذي بدون مشيئته لا يمكن أن يسقط ولا حتى عصفور صغير؟ ربما قال أو فكر الرسل القديسون في هذه الأشياء فيما بينهم وماذا كانت ستصير النتيجة؟ إنهم أيضًا مثل باقي جموع اليهود كانوا سوف يصيرون غير مؤمنين وجاهلين بالحق.

لذلك فإنه أخبرهم مقدمًا عما كان سوف يحدث، حتى يكونوا على دراية بأنه قد عرف بآلامه قبل أن تحدث، ومع أنه كان في استطاعته أن يهرب منها بسهولة، إلاّ أنه مع هذا تقدّم لملاقاتها بإرادته. فبقوله: " هانحن صاعدون إلى أورشليم"، فهو ــ إن جاز القول ــ شهد بقوة، وأمرهم أن يتذكّروا ما سبق أن أخبرهم به وأضاف أن كل هذه الأمور قد سبق أن تنبأ عنها الأنبياء القدّيسون. لأن إشعياء يتكلّم كما بلسان



المسيح: "*بَذَلَتُ ظهري للسياط وخدي للطم، وجهي لم أستر عن خزي البصاق*" (إش ٥٠: ٦ س). وأيضًا يقول عنه في موضعٍ آخر: "*مثل خروف يُساق إلى الذبح وهو صامت، وكنعجة أمام الذي يجزها*" (إش ٥٣: ٧ س). وأيضًا: "*كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه والرب سلّمه بسبب خطايانا*" (إش ٥٣: ٦ س). وكذلك يرسم لنا داود الطوباوي في المزمور الواحد والعشرون ــ كما لو كان صورة مسبقة للآلام على الصليب، ويضع يسوع أمامنا متكلّمًا كإنسان معلق على الخشبة (فيقول): "*أما أنا فدودة لا إنسان، عار عند البشر ومحتقر الشعب، كل الذين يرونني يستهزئون بي، يتكلمون بشفاههم ويهزون رؤوسهم قائلين اتكل على الرب فليخلصه*" (مز ٢١: ٦ــ٨ س). لأن بعضًا من اليهود كانوا يهزون رؤوسهم الأثيمة ويستهزئون به قائلين: "*إن كنت ابن الله انزل من على الصليب ونحن نؤمن بك*" (مت ٢٧: ٤٠، و٤٣)، وأيضًا قال (داود): "*اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي ألقوا قرعة*" (مز ٢١: ١٨)، كما يقول في موضعٍ آخر عن أولئك الذين صلبوه: "*ويجعلون في طعامي علقمًا وفي عطشي يسقونني خلاً*" (مز ٦٨: ٢١ س).

لذلك، فمِنْ كل ما كان مزمعًا أن يصيبه، لم يوجد شيء لم يسبق الإخبار به قبل حدوثه، والله بعنايته رتّب هذا لمنفعتنا حتى عندما يحين الوقت لحدوثه، لا يعثر أحد، لأنه كان في استطاعة من عَرِفَ مسبّقًا ما كان مزمعًا أن يحدث له، أن يرفض التألم كليّةً. إذن، لم يجبره أحد على ذلك بالقوة، ولا أيضًا كانت جموع اليهود أقوى من قدرته، لكنه خضع للتألّم لأنه عرف أن آلامه سوف تكون لأجل خلاص العالم كله. إنه احتمل في الواقع موت الجسد، لكنه قام ثانية إذ داس على الفساد، وبقيامته من الأموات غَرَسَ في أجساد البشر الحياة النابعة منه، لأنه فيه تّم إعادة كل طبيعة البشر إلى عدم الفساد. وعن هذا شَهِدَ الحكيم بولس وقال: "*فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضًا قيامة الأموات*" (١كو ١٥: ٢١). وأيضًا: "*لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع*" (١كو ١٥: ٢٢). لذلك فلا يحق لمن صلبوه أن يتمادوا في الكبرياء إذ أنه لم يبق بين الأموات، إذ نرى أنه كإله له قوة لا تُقاوم، بل بالأحرى عليهم أن

يبكوا على أنفسهم بسبب كونهم مذنبين بجريمة قتل الرب، وهذا هو ما وجدنا المخلص يقوله للنسوة اللواتي كُنَّ يبكينَ لأجله: "*يا بنات أورشليم لا تبكين عليَّ بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن*" (لو ٢٣:٢٨)، لأنه لم يكن من الصواب أن يَنُحنَ على من كان مزمعًا أن يقوم من بين الأموات محطمًا بذلك الفساد ومزعزعًا سلطان الموت، بل العكس كان يليق بالأكثر أن يَنُحنَ على مصائبهن.

سبق مخلّص الكل وأعلن هذه الأشياء للرسل الأطهار، لكن الكتاب يقول: "*أما هم فلم يفهموا من ذلك شيئًا، وكان هذا الأمر مُخفَى عنهم*"، لأنهم لم يعرفوا بعد بالتدقيق ما سبق أن أعلن عنه الأنبياء القدّيسون، لأنه حتى الذي كان هو الأول بين الرسل لمّا سمع المخلِّص يقول مرّة إنه سيُصلب ويموت ويقوم، ولأنه لم يكن قد فهم بعد عمق السر، فإنه قاوم (الرب) قائلاً "*حاشاك يا رب، لا يكون لك هذا*" (مت ١٦:٢٢)، لكن الرب انتهره لأنه يتكلّم هكذا، لأنه لم يكن يعرف بعد معنى الكتاب الموحي به من الله فيما يختص به. لكن عندما قام المسيح من بين الأموات، فإنه فتح أعينهم كما كتب أحد الإنجيليين القديسين، لأنهم استناروا واغتنوا بالشركة الفيّاضة مع الروح، لأن الذين لم يفهموا قبلاً كلمات الأنبياء، حثوا فيما بعد الذين آمنوا بالمسيح أن يدرسوا كلام الأنبياء قائلين: "*وعندنا الكلمة النبويّة وهي أثبت، التي تفعلون حسنًا إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضعٍ مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم*" (٢بط ١:١٩). وهذا أيضًا بلغ كماله، لأننا إنما قد استترنا في المسيح الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين. آمين.



عظة ١٣٦

شفاء أعمىَ قرب أرِيحَا

(لو١٨: ٣٥ـ٤٣): "وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرِيحَا كَانَ أَعْمَى جَالِسًا عَلَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي. فَلَمَّا سَمِعَ الْجَمْعَ مُجْتَازًا سَأَلَ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا؟. فَأَخْبَرُوهُ أَن يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ مُجْتَازٌ. فَصَرَخَ: يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي!. فَانْتَهَرَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ لِيَسْكُتَ أَمَّا هُوَ فَصَرَخَ أَكْثَرَ كَثِيراً: يَا ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي. فَوَقَفَ يَسُوعُ وَأَمَرَ أَنْ يُقَدَّمَ إِلَيْهِ. وَلَمَّا اقْتَرَبَ سَأَلَهُ: مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟ فَقَالَ: يَا سَيِّدُ أَنْ أُبْصِرَ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: أَبْصِرْ. إِيمَانُكَ قَدْ شَفَاكَ. وَفِي الْحَالِ أَبْصَرَ وَتَبِعَهُ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللهَ. وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِذْ رَأَوْا سَبَّحُوا اللهَ ".

كل من ليس له فهم بعد ولم يقبل الإيمان بالمسيح، يحق أن تُقال له الكلمات التي نطق بها داود: " *هلموا وانظروا أعمال الله، الآيات التي جعلها على الأرض*" (مز ٤٥ ـ٨:٤٥ س). لأنه صنع آيات ليس بحسب نمط بشري، مع أنه كان في الهيئة إنسانًا مثلنا، لكنه صنعها بالأحرى بسلطان إلهي **لأنه كان إلهًا وهو في الهيئة مثلنا**، إذ أنه لم يتغيّر عما كان عليه، كما يبرّهن لنا مغزى النص الذي قُرئ الآن من الإنجيل. لأنه يقول *إن المخلص " كان مجتازًا فصرخ إنسان أعمى وقال: يا ابن داود ارحمني*". فلنفحص تعبير ذلك الإنسان الذي فقد بَصَرَه، إذ هو أمر لا يمكن أن نتجاوزه دون فحص، فربما بفحص ما قيل سنحصل على شيء له منفعة عظيمة جدًا بالنسبة لنا.

فبأي صفة يوجّه الأعمى صلاته للمسيح؟ هل كما إلى مجرد إنسان، بحسب ثرثرة اليهود الذين رجموه بحجارة قائلين في حماقتهم: "*لسنا نرجمك لأجل عمل حسن بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا؟*" (يو ٣٣:١٠). لكن ألم يكن واجبًا أن يفهم الأعمى أن استعادة البصر لا يمكن أن تتم بوسائط بشرية، بل تحتاج على العكس إلى قوة إلهية وسلطان لا يمتلكه إلاّ الله وحده؟ لأن ليس شيء مهما كان، غير ممكن لدى الله. لذلك فإنه تقدّم إليه كما إلى الله

الكلّي القدرة؛ لكن كيف يدعوه ابن داود؟ وبماذا يمكننا أن نجيب على هذا؟ على ما أظن ربما يمكن أن نشرح الأمر هكذا: حيث إن الأعمى تربى في الديانة اليهوديّة وكان من ذلك الجنس بالمولد، فلم تَغْب عن معرفته بالطبع النبوات الموجودة في الناموس والأنبياء القديسين بخصوص المسيح. فقد سمعهم ينشدون من كتاب المزامير تلك العبارة: "*أقسم الرب لداود حقًا ولا يخلف، لأجعلن من ثمرة بطنك على كرسيك*" (مز ١١:١٣١ س)، وعرف أيضًا أن النبي الطوباوي إشعياء قال: "*ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله*" (إش ١:١١)، وأيضًا: "*هوذا العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمه عمانوئيل*" (إش ١٤:٧). لذلك فالأعمى كإنسان آمن في الحال **أن الكلمة وهو الله**، هو الذي قَبِلَ بإرادته أن يُولَد بالجسد من العذراء القديسة، فاقترب منه على إنه الله وقال: "*يا ابن داود ارحمني*". لأن المسيح شهد بأن هذا هو تفكير الأعمى عندما قدّم توسله، بقوله له: "*إيمانك قد شفاك*".

إذن فليخزَ الذين يظنّون أنفسهم أنهم ليسوا عميانًا مع أنهم كما يقول الحكيم بطرس عميان وقصيرو البصر (انظر ٢بط ٩:١)، لأنهم يُقسِّمون الرب الواحد يسوع المسيح إلى اثنين، الذي هو نفسه **كلمة** الآب (لكنه هو الذي صار إنسانًا وتَجسَّد، لأنهم ينكرون أن الذي وُلد من نسل داود هو حقًا ابن الله الآب؛ لأنهم يقولون إن الولادة هي أمر يَخُص الإنسان فقط ويرّفضون في جهلهم العظيم أنه صار جسدًا)، ويحتقرون ذلك التدبير الثمين والذي لا يُنطق به والذي به تمّ فداؤنا، بل وربما يتكلّمون بحماقة ضد الابن الوحيد الجنس، لأنه أخلى ذاته ونزل إلى قامة الطبيعة البشريّة، وكان مُطيعًا للآب حتى الموت، لكي بموته بالجسد يمكنه أن يُبْطل الموت، ولكي يمحو الفساد وأن يطرح خطية العالم بعيدًا. ليت أمثال هؤلاء يقتدون بهذا الأعمى لأنه تقدّم إلى المسيح مخلّص الكلّ مؤمنًا أنه الله؛ ودعاه الرب وابن الطوباوي داود، وشهد أيضًا لمجده بسؤاله إياه أن يعمل عملاً لا يستطيع أن يتمّمه إلاّ الله وحده، ويا ليتهم يعجبون أيضًا



بالثبات الذي به اعترف بالمخلّص، لأن هناك بعض الـذين انتهـروه عنـدما اعترف بإيمانه، ولكنه لم يستسلم ولم يتوّقف عن صراخه بل أَبكَمَ جهل أولئك الذين كانوا ينتهرونه ليسكت. لذلك فعن صواب أكرمه المسيح، إذ دعاه وأمره أن يقترب منه. افهموا من هذا، أيها الأحباء، أن الإيمان يضعنا نحن أيضًا في حضرة المسيح، وهكذا يُدخلنا إلى الله لكي نُحسب نحن أيضًا أهلاً لكلامه، لأنه حينما أُحضر الأعمى إليه سأله قائلاً: " ماذا تريد أن أفعل بـك؟" فهـل كـان المخلص يجهل ماذا يريد الرجل؟ لأنه كان واضحًا أنه يطلب الخـلاص مـن المرض الذي أصابه؟ كيف يمكن أن يكون هناك أي شك في هذا؟ لذلك فقـد سأله المسيح عن قصد، لكي ما يتعلّم أولئـك الـذين كـانوا واقفـين حولـه والمصاحبين له أنه لم يكن يطلب مالاً، بل بالحري لأنه يعتبره إلهًا، فإنه سأله عملاً إلهيًا، عملاً مناسبًا للطبيعة التي تفوق الكّل.

إذن، فحينما أعلن عن طبيعة طلبه بقوله: يا سيد أن أبصر، آنـذاك، نعـم! آنذاك، كانت الكلمات التي قالها المسيح بمثابة توبيخ لليهود لعدم إيمانهم، لأنه بسلطان فائق قال: " أبصر ". مدهش هو هذا التعبير! وهو بالحق جدير بـالله ويفوق كل حدود طبيعة البشر! أي من الأنبياء القديسين تكلّم بمثـل هـذا؟ أو استخدم كلمات بمثل هذا السلطان العظيم؟ إذن لاحظوا أن المسيح لم يطلب من آخر القوة على استعادة البصر لذاك الذي كان محرومًا من النظـر، ولا هـو أجرى المعجزة الإلهية بفعل الصلاة إلى الله، بل نسبها بالأحرى إلـى قوتـه الذاتية، وبإرادته القادرة على كل شيء صنع ما أراده، إنه قال له: " أبـصر"، وكان الأمر بالإبصار نورًا لمن كان أعمى لأنه كان أمرًا من ذاك الذي هـو النور الحقيقي.

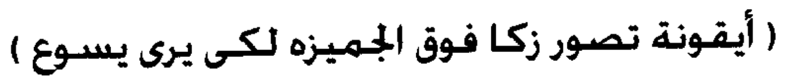
والآن وقد تخلَّص من عماه، فهل أهمل واجب حبه للمسيح؟ بالتأكيد لا، إذ يقول (النص) إنه " تبعه" وقدّم له المجد اللائق بالله، لذلك فإنه تخلَّـص مـن عَمى مزدوج، إذ أفلت ليس فقط من عَمى الجسد، بل أيضًا من عَمى الـذهن

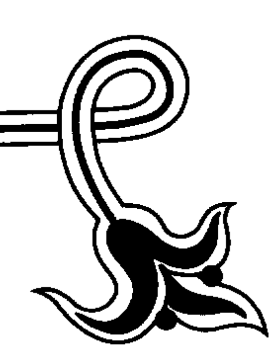


والقلب، لأنه ما كان ليمجدّه كإله لو لم يكن قد اقتنى البصر الروحي. علاوة على ذلك فقد صار واسطة لأولئك الآخرين أن يعطوا للمسيح المجد أيضًا، إذ يقول (النص)، وجميع الشعب سبحوا الله. [لذلك من الواضح من هذا عِظَم إثم الكتبة والفريسيين، لأنه انتهرهم بسبب رفضهم أن يقبلوه، رغم المعجزات التي صنعها، بينما الجموع مجَّدته كإله بسبب الأفعال التي صنعها، وهم من جانبهم (أي الفريسيون) لم يقدموا له هذا التمجيد]، بل جعلوا المعجزة فرصة للإهانة والاتهام، لأنهم قالوا إن الرب عمل المعجزات ببعلزبول، وبتصرّفهم هكذا صاروا سبب هلاك الشعب الذي كان تحت قيادتهم، لذلك احتج الرب على خبثهم بصوت النبي القائل: "*ويل للرعاة الذين يهلكون ويبددون غنم مراعيّ*" (إر ٢٣:١ س)، وأيضًا: "*لأن الرعاة صاروا أغبياء ولم يطلبوا الرب من أجل ذلك لم يفهم أحد من الرعية فتبددت*" (إر ١٠:٢١ س).

وهكذا كان حالهم، أما نحن فإننا تحت قيادة رئيس رعاة الكّل، المسيح، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين. آمين.







(أيقونة تصور زكا فوق الجميزه لكى يرى يسوع)

الأصحاح التاسع عشر



ثم دخل واجتاز في أريحا، وإذا رجل اسمه زكا
وهو رئيس للعشارين وكان غنياً

الأصحاح التاسع عشر

عظة ١٢٧

يسوع وزكا

(لو ١٩ : ١ـــ ١٠): "ثُمَّ دَخَلَ وَاجْتَازَ فِي أَرِيحَا. وَإِذَا رَجُلٌ اسْمُهُ زَكَّا وَهُوَ رَئِيسٌ لِلْعَشَّارِينَ وَكَانَ غَنِيًّا. وَطَلَبَ أَنْ يَرَى يَسُوعَ مَنْ هُوَ وَلَمْ يَقْدِرْ مِنَ الْجَمْعِ لأَنَّهُ كَانَ قَصِيرَ الْقَامَةِ. فَرَكَضَ مُتَقَدِّمًا وَصَعِدَ إِلَى جُمَّيْزَةٍ لِكَيْ يَرَاهُ لأَنَّهُ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يَمُرَّ مِنْ هُنَاكَ. فَلَمَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْمَكَانِ نَظَرَ إِلَى فَوْقُ فَرَآهُ وَقَالَ لَهُ: يَا زَكَّا أَسْرِعْ وَانْزِلْ لأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَمْكُثَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِكَ. فَأَسْرَعَ وَنَزَلَ وَقَبِلَهُ فَرِحًا. فَلَمَّا رَأَى الْجَمِيعُ ذَلِكَ تَذَمَّرُوا قَائِلِينَ: إِنَّهُ دَخَلَ لِيَبِيتَ عِنْدَ رَجُلٍ خَاطِئٍ. فَوَقَفَ زَكَّا وَقَالَ لِلرَّبِّ: هَا أَنَا يَا رَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلْمَسَاكِينِ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْيَوْمَ حَصَلَ خَلاَصٌ لِهَذَا الْبَيْتِ إِذْ هُوَ أَيْضًا ابْنُ إِبْرَاهِيمَ. لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ ".

كان زكا[1] رئيسًا للعشارين، وكان رجلاً مستعبدًا تمامًا للطمع، وكان هدفه الوحيد هو أن يزيد أرباحه، لأن هذا هو ما كان يفعله العشارون، مع أنَّ بولس يدعوه (أي الطمع) عبادة أوثان (كو٣:٥)، وهذه العبارة تناسب فقط أولئك الذين ليست لهم معرفة بالله. وحيث إنهم بلا خجل يجاهرون علانية بهذه الرذيلة، فإن الرب قد ألحقهم عن

[1] الفقرات التالية والمأخوذة من المخطوط اليوناني للكردينال ماي لا يمكن أن تكون أصلاً للقديس كيرلس، إنما من المحتمل أن تخص كاتبًا آخر أقل منه دقة. وهذه الفقرات تعتمد أساسًا في شرح الآية على الجناس (التورية) بين كلمة الجميزة وهي συκο μορεα باليونانية، وكلمة μωρος باليونانية وتعني أحمق أو غبي. ولكن لا يوجد مثل هذا الاستخدام في كتابات القديس كيرلس، لأنه فيما يتمسك القديس كيرلس بأن العهد القديم هو مثال كامل متطابق تمامًا مع العهد الجديد، ويرى أنَّ أسراره الغامضة تطل بظلالها في أصغر أحداثها على العهد الجديد، إلاَّ أنَّ القديس في معالجته للعهد الجديد، يكون أكثر اتساعًا، حيث يتبع المعنى الظاهر للكلمات أساسًا، بل ويدين صراحة التفاصيل الجزئية (كما هو مذكور في عظة ١٠٨ عن الغني ولعازر ــ راجع أيضًا مقدمة الطبعة الأولى لهذا التفسير تحت عنوان ملاحظات على طريقة القديس كيرلس في التفسير)، وبينما ينسب ماي فقرات من هذه النوعية المخالفة لطريقة تفسير القديس كيرلس للعهد الجديد، فإن السريانية تتجاهلها تمامًا (Payne smith).

صواب جدًّا بالزواني، عندما قال لرؤساء اليهود: "*إن الزواني والعشارين يسبقونكم إلى ملكوت الله* " (انظر مت٢١:٣١). أما زكا فلم يستمر بين صفوفهم، بل حسبه المسيح جديرًا بالرحمة لأنه هو الذي يُقرِّب البعيدين، ويُعطي نورًا لأولئك الذين في الظلمة.

تعالوا إذن لنري كيف كانت طريقة اهتداء زكا، لقد رغب أن يرى يسوع، ولذلك صعد إلى جميزة، وهكذا فإن بذرة الخلاص نبتت داخله، والمسيح رأى هذه البذرة بعيني لاهوته، قبل أن ينظر إلى فوق ليراه بعينيه البشريتين[٢]. وحيث إن قصده بالنسبة لجميع البشر هو أن يخلصوا، فإنه بسط لطفه إليه وشجعه وقال له: "*أسرع وانزل*". إن زكا طلب أن يراه لكن الجمع منعه، ولكن لم يكن سبب المنع هو الناس، بقدر ما كانت خطاياه هي المانع. "*وهو كان قصير القامة*"، ليس فقط من وجهة نظر جسدية، بل أيضًا من وجهة روحية؛ ولم يكن بإمكانه أن يراه بطريقة أخرى إلاَّ بأن يرتفع عن الأرض ويصعد إلى الجميزة التي كان المسيح مزمعًا إنَّ يمر بها. والآن فإن القصة تحوى لغزًا داخلها، فلا توجد طريقة أخرى يستطيع بها الإنسان أن يري المسيح ويؤمن به إلاَّ بأن يصعد إلى الجميزة، إلاَّ بأن يعتبر أعضاءه التي على الأرض، الزنا، النجاسة..إلخ، أن يعتبرها حمقاء. إن المسيح كان مزمعًا أن يمرَّ بالجميزة، ولأنه حدَّد لطريقه أن يعبر على الناموس، أي شجرة التين (الجميزة)، فإنه قد اختار جهالات العالم أي الصليب والموت[٣]. وكل من يحمل صليبه ويتبع كلام المسيح يخلص إذا ما عمل الناموس بفهم (روحي)، وكأنه شجرة تين لا تحمل تينًا بل حماقات (بالمعنى الروحي)، لأن السلوك الخفي للمؤمنين يبدو لليهود أنه حماقة، الذي هو عبارة عن قَطْع الرذيلة والتطهير منها، والامتناع عن الممارسات الرديئة، مع أنهم غير مختونين بالجسد بالمعنى اليهودي للختان ولا يحفظون السبت. لذلك إذ علم المسيح أنَّ زكا كان مهيأً للطاعة وغيورًا للإيمان ومستعدًا أن يتغيَّر من الرذيلة إلى

---

[٢] راجع الهامش السابق

[٣] راجع (١كو١:٢١ــ٢٥).



الفضيلة، لذلك فقد دعاه أيضًا، وبالطبع فإن زكا سوف يترك شجرة التين (الجميزة)[4] ليربح المسيح. لذلك أسرع ونزل وقَبِـل المسيح بفرح، ليس فقط لأنه رآه كما كان يرغب، بل أيضًا لأن المسيح قد دعاه، ولأنه قبله ليقيم عنده، الأمر الذي لم يكن يتوقعه أبدًا.

(لو ١٩:٥) "*يَا زَكَّا أَسْرِعْ وَانْزِلْ لأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَمْكُثَ الْيَوْمَ فِي بَيْتِكَ* ".

كان هذا من فعل سبق المعرفة الإلهية لأنه عرف جيدًا ما كان سيحدث، فهو رأي أنَّ نفس زكا كانت مستعدة جدًّا لأن تختار حياة مقدسة، ولذلك هداه إلى التقوى، لذلك فإن الرجل قَبِـل المسيح بفرح، وكان هذا بداية تحوله إلى الصلاح، وتخليه عن أخطائه السابقة، وأن يستودع نفسه بشجاعة لطريق أفضل.

لكن ربما يقول أحد للمسيح مخلِّصنا جميعًا: [ماذا تفعل يارب؟ هل تمضي لتمكث مع زكا؟ وهل تتنازل وتقيم مع رئيس العشارين؟ إنه لم يغتسل بعد من وصمة حُبِّه الجشع للربح القبيح، إنه لا يزال مريضًا بالطمع أصل كل الجرائم، لا يزال مملوءًا بعيب السلب والاغتصاب].

ويجيب (المسيح): نعم أنا أعرف هذا تمامًا، إنَّني أنا هو الله بالطبيعة، وأرى طرق كل إنسان على الأرض. وما هو أكثر من هذا، أنا أيضًا أعرف الأشياء المستقبلة. أنا دعوته إلى التوبة لأنه مستعد لها، ومع أنَّ الناس يتذمرون ويلومون لطفي، فإن الحقائق نفسها سوف تبرهن على أنهم مخطئون. يقول النص: "***فوقف زكا وقال للرب ها أنا أعطي نصف أموالي للمساكين، وإن كنت قد وشيت بأحد أرد أربعة أضعاف***".

ها أنتم ترون توبته، تغيُّره السريع نحو طريق أفضل، إسراعه نحو التقوى، محبته السخية للفقراء والذي كان قبلاً عشارًا بل رئيسًا للعشارين، والذي أسلم نفسه للطمع وانشغل بالربح، في الحال صار رحيمًا ومكرَّسًا لأعمال المحبة. إنه يعد بأن يوزِّع

---

[4] أي التي ترمز إلى اليهودية .

ثروته للمحتاجين، وإنه سيعوِّض° كل من غَشَّهم، وهذا الذي كان عبدًا للطمع جَعَل نفسه فقيرًا وتوقف عن الاهتمام بالأرباح.

لذلك، فليت جموع اليهود لا يتذمرون عندما يُخلِّص المسيح الخطاة، بل ليجيبوننا عن هذا: هل يوجد لديهم أطباء ينجحون في جلب الشفاء حينما يفتقدون المرضى؟ هل يمتدحونهم عندما يستطيعون أن يخلِّصوا المرضى من قروح بشعة أم يلومونهم ويمتدحون أولئك غير الماهرين في عملهم، بل هم كما أظن، سوف يحكمون بالأفضلية للماهرين في مساعدة كل من يعانون من الأمراض. فلماذا يلومون المسيح إذن، إذ أنه عندما كان زكا ساقطًا ومدفونًا في أمراض روحية، أقامه المسيح من حُفر الهلاك.

ولكي يعلِّمهم هذا يقول لهم: " *اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضًا ابن لإبراهيم* "، لأنه حيث يدخل المسيح، فبالضرورة يكون هناك خلاصٌ أيضًا. لذلك ليت المسيح يكون فينا نحن أيضًا، وهو يكون فينا عندما نؤمن، لأنه يسكن في قلوبنا بالإيمان ونكون نحن منزلاً له. لذلك كان من الأفضل لليهود أن يبتهجوا لأن زكا خلص بطريقة مدهشة، لأنه هو أيضًا حُسِب من أبناء إبراهيم الذين وعدهم الله بالخلاص في المسيح، بواسطة الأنبياء القديسين قائلاً: " *سوف يأتي مخلِّص من صهيون وينزع الآثام عن يعقوب، وهذا هو عهدي معهم، عندما أحمل خطاياهم*" (إش٥٩: ٢٠و٢١س)، وليطلب من كانوا مفقودين، وليخلِّص من قد هلكوا، لأن هذا هو عمله، وهذا هو ثمر لطفه الإلهي. وهو يحسب كل الذين آمنوا به جديرين بهذا (الخلاص)، هو الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين . آمين .

° تضيف "سلسلة المقتطفات The Catenist"، إنَّ رد الأربعة أضعاف كان مصدره الناموس: "إذا سرق إنسان ثورًا أو شاة فذبحه أو باعه، يعوض عن الثور بخمسة ثيران وعن الشاة بأربعة من الغنم" (خر٢٢: ١)، كما أنَّ داود أوصي بهذا: "*ويرد النعجة أربعة أضعاف، لأنه فعل هذا الأمر ولم يشفق*" (٢صم١٢: ٦).



عظة ١٢٨
مثل الأمناء[٦]
المسيح الملك

(لو ١٩: ١١ــ٢٧): " وَإِذْ كَانُوا يَسْمَعُونَ هَذَا عَادَ فَقَالَ مَثَلاً لأَنَّهُ كَانَ قَرِيبًا مِنْ أُورُشَلِيمَ وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ عَتِيدٌ أَنْ يَظْهَرَ فِي الْحَالِ. فَقَالَ: إِنْسَانٌ شَرِيفُ الْجِنْسِ ذَهَبَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ لِيَأْخُذَ لِنَفْسِهِ مُلْكًا وَيَرْجِعَ. فَدَعَا عَشَرَةَ عَبِيدٍ لَهُ وَأَعْطَاهُمْ عَشَرَةَ أَمْنَاءٍ وَقَالَ لَهُمْ: تَاجِرُوا حَتَّى آتِيَ. وَأَمَّا أَهْلُ مَدِينَتِهِ فَكَانُوا يُبْغِضُونَهُ فَأَرْسَلُوا وَرَاءَهُ سَفَارَةً قَائِلِينَ: لاَ نُرِيدُ أَنَّ هَذَا يَمْلِكُ عَلَيْنَا. وَلَمَّا رَجَعَ بَعْدَمَا أَخَذَ الْمُلْكَ أَمَرَ أَنْ يُدْعَى إِلَيْهِ أُولَئِكَ الْعَبِيدُ الَّذِينَ أَعْطَاهُمُ الْفِضَّةَ لِيَعْرِفَ بِمَا تَاجَرَ كُلُّ وَاحِدٍ. فَجَاءَ الأَوَّلُ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ مَنَاكَ رَبِحَ عَشَرَةَ أَمْنَاءٍ. فَقَالَ لَهُ: نِعِمَّا أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ لأَنَّكَ كُنْتَ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَلْيَكُنْ لَكَ سُلْطَانٌ عَلَى عَشْرِ مُدُنٍ. ثُمَّ جَاءَ الثَّانِي قَائِلاً: يَا سَيِّدُ مَنَاكَ عَمِلَ خَمْسَةَ أَمْنَاءٍ. فَقَالَ لِهَذَا أَيْضًا: وَكُنْ أَنْتَ عَلَى خَمْسِ مُدُنٍ. ثُمَّ جَاءَ آخَرُ قَائِلاً: يَا سَيِّدُ هُوَذَا مَنَاكَ الَّذِي كَانَ عِنْدِي مَوْضُوعًا فِي مِنْدِيلٍ. لأَنِّي كُنْتُ أَخَافُ مِنْكَ إِذْ أَنْتَ إِنْسَانٌ صَارِمٌ تَأْخُذُ مَا لَمْ تَضَعْ وَتَحْصُدُ مَا لَمْ تَزْرَعْ. فَقَالَ لَهُ: مِنْ فَمِكَ أَدِينُكَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ. عَرَفْتَ أَنِّي إِنْسَانٌ صَارِمٌ آخُذُ مَا لَمْ أَضَعْ وَأَحْصُدُ مَا لَمْ أَزْرَعْ. فَلِمَاذَا لَمْ تَضَعْ فِضَّتِي عَلَى مَائِدَةِ الصَّيَارِفَةِ فَكُنْتُ مَتَى جِئْتُ أَسْتَوْفِيهَا مَعَ رِبًا؟. ثُمَّ قَالَ لِلْحَاضِرِينَ: خُذُوا مِنْهُ الْمَنَا وَأَعْطُوهُ لِلَّذِي عِنْدَهُ الْعَشَرَةُ الأَمْنَاءُ. فَقَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدُ عِنْدَهُ عَشَرَةُ أَمْنَاءٍ. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ. أَمَّا أَعْدَائِي أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ فَأْتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَاذْبَحُوهُمْ قُدَّامِي ".

لنتقدم مرة أخرى، ولنفتح عين الذهن باتساع لكي ما ننال نور التعاليم المقدّسة الذي يسكبه المسيح بغنى على أولئك الذين يحبونه، لأنه هو أيضًا النور الحقيقي ينير الملائكة والرئاسات والعروش والسيادات، بل وأيضًا السيرافيم المقدّسين، ويشرق

[٦] المفرد منا mina وهو يعادل حوالي ٧ دولار.



أيضًا في قلوب أولئك الذين يخافونه. لذلك فلنسأل الاستنارة التي يمنحها، لكي إذ نفهم بالضبط قوة المثل الموضوع أمامنا يمكننا أن نختزن في أذهاننا ككنز روحي، المنفعة التي يقدمها لنا.

لذلك فإن مجال المثال يبيِّن باختصار المغزى الكامل للتدبير الذي كان من نحونا، ويمثل سر المسيح من البداية إلى النهاية. لأن الكلمة الذي هو الله صار إنسانًا، ومع أنه صار في شبه جسد الخطية، ولأجل هذا أيضًا دُعي عبدًا، إلاّ أنه كان ولا يزال حر المولد[٧]، لكونه مولود من الآب بطريقة تفوق الوصف، نعم! هو أيضًا إله يفوق الكل في الطبيعة وفي المجد، ويفوق كل أمور وضعنا (البشري)، بل أيضًا يفوق كل الخليقة بملئه الذي لا يُقارَن. لذلك وإن كان قد صار إنسانًا إلاّ أنه حر المولد بسبب كونه ابن الله، ولكنه ليس مثلما دُعينا نحن إلى هذه التسمية بسبب صلاحه ومحبته للبشر. إن شرف جنسه (حرية مولده) تخصّه بالطبيعة لأنه من الآب بالولادة، وأيضًا بسبب أنه يسمو على كل ما هو مخلوق. لذلك، فعندما صار الكلمة، الذي هو صورة الآب والمساوي له، مثلنا، فإنه أطاع حتى الموت موت الصليب، لذلك رفّعه الله أيضًا وأعطاه اسمًا فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أنَّ يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب. أمين (في٢:٨ ـ١١). فهل أعطى الآب الاسم الذي فوق كل اسم للابن كمن هو ليس بالطبيعة إلهًا؟ لو صح هذا، ألا يكون قد أُستُعلن لنا إله جديد؟ ولكن الكتاب المقدس ينطق بصوت عالٍ قائلاً: "*لا يكن فيك إله* جديد *ولا تسجد لإله أ*جنبي" (مز٨٠:٩س). لكنه، إنما سيكون (إله) مختلف وغريب عن الله لو لم يكن منه بالطبيعة.

فالابن بالتأكيد هو إله بالطبيعة، ولكن كيف أعطاه الآب اسمًا فوق كل اسم؟! عن هذا نقول إنه عندما صار جسدًا، أي صار إنسانًا مثلنا، فإنه أخذ اسم عبد واتّخذ فقرنا وحالتنا الوضيعة، أما عندما أكمل سر التدبير في الجسد، فإنه عاد إلى المجد الذي كان

---

[٧] الكلمة اليونانية εὐγενὴς تُرجمت في الترجمة الإنجليزية المعتمدة nobleman A.V التي تعني شريف الجنس ـ أمـا في السريانية فتعنى حُر المولد freeborn، التي ترادف شريف الجنس .

له بالطبيعة، لا كشيء غريب عنه غير مألوف لديه، أو كشيء يصبح حقًا له من الخارج، أي أُعطي له من آخر، بل بالأحرى كشيء خاص به وقد كان له أصلاً، لأنه قال لله الآب الذي في السماء: "*مجّدني أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم*" (يو١٧:٥)، ولأنه موجود قبل الدهور وقبل العالمين وهو واحد مع الله وهو الله، فقد كان متسربلاً بالمجد الذي يخص الألوهة، وكما قلت فإنه لما صار إنسانًا لم يتعرض لأي تبديل أو تغيير، بل استمر في الحالة التي كان موجودًا عليها دائمًا مثل الحالة التي كانت للآب الذي ولده، أي مثله في كل شيء، لأنه هو أيضًا "*صورة أقنومه*" (عب١:٣) الذي بمقتضى طبيعته يملك كل شئ يخص ذاك الذي ولده، أقصد أنه من نفس الجوهر وله مساواة لا تسمح بأي اختلاف، وهو مثله في كل شئ. لذلك لكونه إلهًا بالطبيعة قد قيل إنه نال من الآب الاسم الذي هو فوق كل اسم (وذلك) عندما صار إنسانًا لكي ما يتم الإيمان به كإله وملك على الكل حتى وهو في الجسد الذي كان متحدًا به.

لكن عندما احتمل الآلام على الصليب لأجلنا، ولاشى الموت بقيامة جسده من بين الأموات، فإنه صعد إلى الآب، وصار كإنسان مسافر إلى كورة بعيدة (عدد١٢)، لأن السماء كورة مختلفة عن الأرض، وهو صعد لكي ما ينال لنفسه ملكًا. هنا أتوسل إليكم إنَّ تتذكروا أيضًا كلمات الطوباوي بولس الذي يقول: "*هادمين ظنونًا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح*" (٢كو١٠:٥)، لأنه كيف يمكن أنَّ الذي يملك على الكل مع الآب، يصعد إليه لينال ملكًا؟ فأجيب إنَّ الآب يعطى الابن أيضًا هذا المُلك من جهة كونه صار إنسانًا، لأنه عندما صعد إلى السموات جلس عن يمين العظمة في الأعالي، منتظرًا أن يوضع أعدائه تحت قدميه، لأنه قيل له من الآب: "*اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك*" (مز١٠٩:١س).

والنص هنا يقول: "*وأما أهل مدينته فكانوا يبغضونه*". وبالمثل يوبّخ المسيح جموع اليهود قائلاً: "*لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالاً لم يعملها غيري لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي*" (يو١٥:٢٤). إنهم لم يريدوا أن يملك



المسيح عليهم، بينما كان الأنبياء القديسين دائمًا ينطقون بنبوات عن المسيح على أنه ملك. لأن واحدًا منهم يقول " *ابتهجي جدًا يا ابنة صهيون، لأنه هوذا ملكك يأتي إليك، هو عادل ومخلّص ووديع وراكب حمار وعلى جحش صغير* " (زك٩:٩س). والطوباوي إشعياء يقول عنه وعن الرسل القديسين: " *هوذا ملك عادل سوف يملك، ورؤساء بالحق يترأسون* " (إش٣٢:١س)، والمسيح نفسه أيضًا يقول بصوت المرنم في موضع ما: " *أما أنا فقد أُقمت منه ملكًا على صهيون جبل قدسه لأكرز بأمر الرب* " (مز٢:٦).

أما هم فأنكروا عليه ملكه، لأنهم عندما تقدموا إلى بيلاطس قائلين " خذه اصلبه، *سألهم أو قال لهم بالأحرى باستهزاء: أأصلب ملككم؟* " فأجابوا بكلمات شريرة: " *ليس لنا ملك إلاَّ قيصر* " (يو١٩:١٥). لذلك فإذ أنكروا مُلك المسيح، فإنهم سقطوا تحت سيادة إبليس وجلبوا على أنفسهم نير الخطية الذي لا يمكن طرحه، كما أن رقابهم لن تتحرر، مع أنَّ المسيح دعاهم (إلى الحرية) بقوله: " *كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية، والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد، أما الابن فيبقي إلى الأبد، فإن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا* " (يو٨:٣٤ـ٣٩). وأيضًا قوله: " *إن ثبتم في كلامي فبالحقيقية تكونون تلاميذي وتعرفون الحق والحق يحرِّركم* " (يو٨:٣١ـ٣٢). لكن إسرائيل في جنونه لم يفتح قلبه للتعلُّم، ولذلك استمر في العبودية، لأنه رفض أن يعرف المسيح، الذي يُحرِّر.

وفي هذه الفرصة لن استمر أكثر من هذا، مرجئًا إلى وقت آخر التأمل في بقية المثل لئلا يتسبب الحديث الطويل في إرهاق المتكلم ويكون مملاً لمن يسمعون. وليت المانح والمعطي لكل الخيرات يباركم جميعًا الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين. آمين.



عظة ١٢٩
مثل الأمناء (تابع)
ب- شرح المثل

(لو ١٩: ١١-٢٧)

يهرب المديونون من مدايينيهم لأنهم يعرفون أنهم مزعجون. لكن ليس الأمر هكذا بالنسبة لي، لأنني جئت لأفي بدَيني وأحقق ما وعِدتُ به، بل وإني أتعقَّب المداينين بدلاً من أن يتعقَّبوني هم. فما هو إذن الشيء الذي وعِدتُ به وما هو الدين؟ في اجتماعنا الأخير قُرئ علينا مَثل طويل، ولم نكمل شرح سوى جزء صغير منه واحتفظنا بالباقي لاستكماله في اجتماعنا المقدَّس هذا. وكان المثل كما يلي: "*إنسان شريف الجنس ذهب إلى كورة بعيدة ليأخذ لنفسه مُلكًا ويرجع، فدعا عشرة عبيد له وأعطاهم عشرة أمناء وقال لهم تاجروا حتى آتي. وأما أهل مدينته فكانوا يبغضونه فأرسلوا وراءه سفارة قائلين لا نريد أنَّ هذا يملك علينا*"، ثم أضاف على هذا الكلام أيضًا إنه لما عاد الإنسان الشريف الجنس بعدما أخذ المُلك، طلب من أولئك العبيد الذين وزَّع عليهم الأمناء أن يقدموا حسابًا عن تجارتهم.

في شرحنا السابق أوقفنا كلمتنا التي كانت بأقصى سرعة عند عبارة أنَّ أهل مدينته أبغضوه ولم يريدوا أن يملك عليهم. والآن سأحدِّثكم عن أولئك العبيد الذين ائتمنهم سيِّدهم على الأمناء، وأستقصِي عن من هم الذين تاجروا ولذلك تمَّ تكريمهم، ومن الجهة الأخرى من هو المُشار إليه بأنه عبد كسول وبليد الذي أخفى الوزنة ولم يربح عليها شيئًا، ولهذا السبب جلب على نفسه دينونة صارمة.

لذلك فإن المخلِّص يوزِّع على من يؤمنون به أنواعًا من المواهب الإلهية، ونحن نؤكد أنَّ هذا هو المعنى المقصود من الوزنة. وفي الواقع أن هناك فرقًا

عظيمًا بين أولئك الذين أخذوا الوزنات وأولئك الذين أنكروا مُلكه تمامًا، لأن الذين طرحوا نير مُلكه فهؤلاء هم متمرِّدون، بينما الآخرون قد اكتسوا بمجد خدمته. لذلك فكعبيد أُمناء فقد استأمنهم سيِّدهم على ثروته حتى إذا ما ربحوا شيئًا بالمتاجرة بها، يمكنهم أن ينالوا المدح اللائق بالخدمة الأمينة، وأيضًا أن يُحسبوا جديرين بتلك الكرامات التي تدوم إلى الأبد. أما بخصوص طريقة التوزيع ومن هم الأشخاص، وماذا تعني الوزنات التي وزّعها (الله) — وإن كان لا يزال يوزِّعها إلى هذا اليوم، فهذه يبيّنها الكتاب المقدس بوضوح. فإن بولس الطوباوي يقول: " *أنواع مواهب موجودة ولكن الروح واحد، وأنواع خدَم موجودة ولكن الرب واحد، وأنواع أعمال موجودة ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في كل إنسان* " (١كو١٢:٤ــ٦). وإذ يشرح بعد ذلك ما قاله، فإنه يقرِّر أيضًا أنواع المواهب على النحو التالي: " *فإنه لواحد يُعطى كلام حكمة، ولآخر كلام علم، ولآخر إيمان، ولآخر مواهب شفاء* " وهكذا (١كو١٢:٨و٩)، ولذلك فإننا نجد أنَّ تنوع المواهب واضح في هذه الكلمات.

أظن أنه بعد هذا يجب عليَّ أن أذكُر من هُم الذين ائتمنهم المسيح على هذه المواهب، بحسب قياس استعداد كل واحد وميله. لأنه يعرف كل ما هو في داخلنا، إذ أنه هو الله ذاته الذي يفحص الكُلي والقلوب. لكن لنلاحظ أنَّ إنجيليًّا آخر هو على وعي باختلاف في كمية الوزنات التي تم توزيعها فيقول: " *أعطى واحد خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنة* " (مت٢٥:١٥). أنت ترى أنَّ التوزيع قد صار بحيث يناسب قياس الملَكات التي لكل واحد. فبالنسبة لأولئك الذين ائتمنوا على الوزنات فهلمُّوا ولنعلن على قدر طاقتنا من يكون هؤلاء. إنهم أولئك الكاملون في الذهن الذين يناسبهم الطعام القوي، والذين لهم الحواس مدرَّبة على التمييز بين الخير والشر (عب٥:١٤)، هم أولئك الماهرون في التعليم باستقامة وعلى معرفة بالتعاليم المقدَّسة، الذين يعرفون كيف يوجهون أنفسهم والآخرين إلى كل عمل أفضل، وباختصار فهكذا كان التلاميذ

الحكماء فوق كل الآخرين. ثم يأتي بعد ذلك هؤلاء الذين خلفوهم في خدمتهم، أو الذين يقومون بهذه الخدمة اليوم أي المعلمون القديسون القائمون على رئاسة الكنائس المقدَّسة، الذين يسوسون الشعوب ويعرفون كيف يرتِّبون كل شيء لمنفعة أولئك الخاضعين لهم. ويمنح المخلص مواهب إلهيَّة متنوِّعة لهؤلاء حتى يكونوا أنوارًا في العالم ومتمسكين بكلمة الحياة (في٢: ١٥و١٦)، وهم بوعظهم للشعب الذي تحت رعايتهم وبإعطائهم المشورة التي هي نافعة للحياة، وإذ يجعلونهم ثابتين ولهم إيمان مستقيم وبلا لوم، فإنهم إنما يربحون بالمتاجرة وزنتهم ويسعون إلى النمو الروحي. إنهم مطوَّبون جدًّا ويربحون النصيب الذي يليق بالقدِّيسين، لأنه عندما يعود الإنسان الشريف الجنس – أي المسيح – بعد أخذه المُلك، فسوف يُحسبون جديرين بالمدح، ويبتهجون بإكرامات فائقة، لأنهم إذ يُضاعفون الوزنة عشر مرات أو خمس مرات، وذلك بربحهم أناسًا كثيرين، فإنهم سوف يُقامون على عشر أو خمس مدن، أي أنهم سوف يصيرون رؤساء أيضًا ليس فقط على من ترأسوا عليهم سابقًا بل أيضًا على آخرين كثيرين. لأجل هذا السبب نجد القديسين يمجِّدون ويقدِّمون تسابيح عرفانهم الصاعد إلى المسيح الذي يكلِّلهم ويقولون بفم المرنم: "*أخضع الشعوب لنا والأمم تحت أقدامنا* " (مز٤٦: ٣س). أما أن تكون الممارسة والقصد المجتهد للقدِّيسين أن يجعلوا أولئك الذين يُعلِّموهم شركاء للنعمة التي أعطاها المسيح لهم، فهذا يمكن لأي شخص أن يتعلَّمه من الرسالة التي أرسلها الطوباوي بولس للبعض ويقول: "*لأني مشتاق أن أراكم لكي أمنحكم هبة روحيَّة لثباتكم* " (رو١: ١١). كما يشهد أيضًا لتلميذه تيموثاوس: "*لا تهمل الموهبة التي فيك المُعطاة لك بوضع يدي*" (١تى٤: ١٤). لأنه يريده أن يسمو في تعليمه لرعيَّته، والمخلِّص نفسه يقول أيضًا في موضع ما في مثل آخر: " *من هو العبد الأمين الحكيم الذي يقيمه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام في حينه؟ طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا، بالحق أقول لكم إنه*

يقيمه على جميع ما له " (لو١٢: ٤٢ـ٤٤). وما معنى إنه يعطي العبيد رفاقه الطعام سوى أنه يوزّع على الذي أوكل إليه رعايته منفعة الإرشاد الروحي، ويُشبع بالزاد الروحي أولئك الجياع إلى البر؟

لذلك توجد كرامات وانتصارات وأكاليل لمن تعبوا وأحبوا الخدمة، لكن يوجد خزي لأولئك الذين تسلّط عليهم الكسل. لأن الذي أخفى مناه في منديل صار عُرضة لدينونة مرعبة، لأنه تقدّم إلى سيِّده قائلاً " *هوذا ما لك*". لكن السيِّد قال له: إن القصد الذي أخذتَ لأجله المنا ليس لكي تحفظه في خفية، وإن كنت قد عرفت أنِّي إنسان صارم أحصد ما لم أزرع وأجمع ما لم أضع، فهذا الأمر نفسه يجعل ذنبك أثقل، وهو لا يعطى عذرًا مقبولاً لتكاسلك، وإن كنتُ إنسانًا صارمًا أحصد ما لم أزرع، فلماذا لم تعطى الهبة التي أُغدقت عليك ــ أي المنا ــ للصيارفة؛ أي لماذا لم تستثمرها لسعادة أو لمنفعة أولئك الذين يعرفون جيدًا كيف يتاجرون بما قد أخذوه منك؟ فكنتُ متى جئت أستوفيه، أي أن أستعيده مرة أخرى مع ربح، لأنه من واجب المعلمين أن يزرعوا ويغرسوا المشورة النافعة والخلاصيَّة في أذهان سامعيهم، أما أن يدعوا للطاعة أولئك الذين يُعلِّمونهم، وأن يجعلوا ذهنهم مثمرًا جدًّا فهذا إنما هو من فعل تلك القوة التي يمنحها الله. هذا هو الربح، لأن أولئك الذين يسمعون الكلمات المقدَّسة، وقتما يقبلون في ذهنهم منفعتها أي قوة الكلام، ويجتهدون بفرح في العمل الصالح، حينئذ فهم يقدمون ما أعطى لهم مع زيادة.

لذلك يقول السيِّد خذوا منه المنا وأعطوه للذي عنده العشرة أمناء، لأني أقول لكم إن كل من له يُعطى، ومن ليس له فحتى الذي يظنه له يؤخذ منه، لأن ذلك العبد الكسول تجرد حتى من الهبة التي أُغدقت عليه، أما أولئك الذين تقدموا في الطريق الأفضل وبرهنوا على أنهم مرتفعون فوق التكاسل والتراخي، فسوف ينالون بركات جديدة من فوق، وإذ قد امتلأوا بالمواهب الإلهية فسوف يرتفعون إلى نصيب مجيد ومثير للإعجاب.



أما وقد رأينا أمجاد القديسين فهلمُّوا لنفحص عذابات الأشرار الذين لا يريدون أن يملك عليهم ذلك الإنسان الشريف الجنس. يقول: " *أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي*". كان هذا مصير الجنس الإسرائيلي لأنهم إذ أنكروا مُلك المسيح، فإنهم سقطوا في بلايا شديدة، ولأنهم أشرار، فقد هلكوا هلاكًا رديًّا. كذلك زمرة الهراطقة الأشرار أيضًا ينكرون مُلك المسيح، كما يفعل جميع أولئك الذين – إذ يهملون واجب الحياة باستقامة – يمضون حياتهم في النجاسة والخطية، وهؤلاء أيضًا يكابدون عقوبة مِثل التي لأولئك المذكورين أعلاه، وسوف يمضون إلى الهلاك.

أما نحن، فالمسيح يسود علينا كملك، ولنا رجاء صالح أننا أيضًا سوف نُحسب مستحقين لنصيب القديسين. ويوضع حول رؤوسنا الإكليل اللائق بالثابتين، لأن هذا أيضًا هو هبة من المسيح مخلِّصنا جميعًا الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين آمين.

عظة ١٣٠

يسوع يدخل أورشليم

(لو١٩: ٢٨-٤٠): "*وَلَمَّا قَالَ هَذَا تَقَدَّمَ صَاعِدًا إِلَى أُورُشَلِيمَ. وَإِذْ قَرُبَ مِنْ بَيْتِ فَاجِي وَبَيْتِ عَنْيَا عِنْدَ الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ قَائِلاً: اذْهَبَا إِلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمَامَكُمَا وَحِينَ تَدْخُلاَنِهَا تَجِدَانِ جَحْشًا مَرْبُوطًا لَمْ يَجْلِسْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَطُّ. فَحُلاَّهُ وَأْتِيَا بِهِ. وَإِنْ سَأَلَكُمَا أَحَدٌ: لِمَاذَا تَحُلاَّنِهِ؟ فَقُولاَ لَهُ: إِنَّ الرَّبَّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. فَمَضَى الْمُرْسَلاَنِ وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا. وَفِيمَا هُمَا يَحُلاَّنِ الْجَحْشَ قَالَ لَهُمَا أَصْحَابُهُ: لِمَاذَا تَحُلاَّنِ الْجَحْشَ؟. فَقَالاَ: الرَّبُّ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ. وَأَتَيَا بِهِ إِلَى يَسُوعَ وَطَرَحَا ثِيَابَهُمَا عَلَى الْجَحْشِ وَأَرْكَبَا يَسُوعَ. وَفِيمَا هُوَ سَائِرٌ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. وَلَمَّا قَرُبَ عِنْدَ مُنْحَدَرِ جَبَلِ الزَّيْتُونِ ابْتَدَأَ كُلُّ جُمْهُورِ التَّلاَمِيذِ يَفْرَحُونَ وَيُسَبِّحُونَ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ لأَجْلِ جَمِيعِ الْقُوَّاتِ الَّتِي نَظَرُوا قَائِلِينَ: مُبَارَكٌ الْمَلِكُ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! سَلاَمٌ فِي السَّمَاءِ وَمَجْدٌ فِي الأَعَالِي!. وَأَمَّا بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ مِنَ الْجَمْعِ فَقَالُوا لَهُ: يَا مُعَلِّمُ انْتَهِرْ تَلاَمِيذَكَ. فَأَجَابَ: أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنْ سَكَتَ هَؤُلاَءِ فَالْحِجَارَةُ تَصْرُخُ!*".

يُسبّح التلاميذ المسيح مخلص الكل ويدعونه باسم الملك، والرب، وأنه سلام السماء والأرض. ولنسبّحه نحن أيضًا آخذين قيثارة المرنّم ونقول: "*ما أعظم أعمالك يا رب، بحكمة صنعتها*" (مز١٠٣: ٢٤س)، لأنه لا يوجد شيء من كل الأعمال التي صنعها إلاّ (وصنعها) بحكمة، فهو يوجّه كل ما هو نافع، بالأسلوب المناسب له، ويُحدّد لأفعاله الأوقات التي تناسبها، وطالما كان من المناسب أن يجتاز بلاد اليهود ساعيًا أن يكتسب كثيرين إلى النعمة التي بالإيمان عن طريق الدروس والنصائح الفائقة على الناموس، فإنه لم يتوقف عن فعل هذا. أمّا وقد دعاه الوقت أخيرًا إلى تلك الآلام التي هي لخلاص العالم كله، ليحرّر سكان الأرض من طغيان العدو، ويُبطل الموت، ويبيد خطيّة العالم، فإنه يصعد إلى أورشليم وهو يكشف للإسرائيليين أولاً حقيقة واضحة، ألا وهي أنّ شعبًا جديدًا من بين الوثنيين سوف يخضع له، بينما هم أنفسهم يصيرون



مرفوضين كقتلة للرب.

وماذا كانت العلامة إذن؟ إنه جلس على جحش كما سمعنا بوضوح منذ قليل من الإنجيلي المبارك. لكن ربما يقول قائل: "عندما كان يجتاز في اليهودية كلها" ــ لأنه كان يعلِّم في مجامعهم، كما كان يصنع المعجزات أيضًا ــ فإنه لم يطلب دابة ليركبها. وبينما كان يمكنه أن يشتري واحدة، فإنه لم يفعل مع أنه كان كثيرًا ما يتعب في الطريق من رحلاته الطويلة، كما هو مكتوب فإنه تعب من السفر عند اجتيازه السامرة (يو٤:٦). من يمكنه (إذن) أن يجعلنا نصدّق أنه عندما كان ذاهبًا من جبل الزيتون إلى أورشليم ــ وهما مكانان يفصلهما مسافة قصيرة جدًا ــ سوف يحتاج إلى جحش؟ ولماذا عندما كان الجحش مصحوبًا بأمّه لم يأخذ المسيح الأم بدلاً من الجحش؟ فنحن نعلم من كلمات متى البشير أنهم قد أحضروا إليه الأتان التي ولدت الجحش، كما يقول " *إنه أرسل تلميذيه إلى القرية التي أمامهما قائلاً لهما ستجدان أتانًا مربوطة وجحشًا معها، فحلاّهما وأتياني بهما* " ــ ولذلك (يقول النص) إنهما أتيا بالأتان والجحش (مت٢١:١و٢و٧) لذلك علينا أن ننظر ما هو التفسير وما المنفعة التي نستخلصها من هذا الحدث، وكيف نجعل من ركوب المسيح على جحش مثالاً لدعوة الأمم .

خلق إله الكل الإنسان على الأرض بذهن يتميَّز بالحكمة والقدرة على الفهم، لكن الشيطان خدعه رغم أنه مخلوق على صورة الله، وأضلّه حتى لا يعرف خالق الكل وصانعهم، فأذلّ سكان الأرض إلى أدني مستوى من عدم التعقّل والجهل. وإذ يعرف النبي الطوباوي داود هذا، ويبكّي بمرارة لأجله، فإنه يقول: " *إنسان في كرامة ولا يفهمها، هو مثل البهائم التي لا تفهم وقد صار شبيهًا بها*" (مز٤٨:١٢س). لذلك فمن المحتمل أنّ الأتان الأكبر تشير إلى مجمع اليهود والذي ــ لو جاز القول ــ صار بهيميًا لأنه لم يعطِ سوى اهتمامًا قليلاً لناموس موسى واحتقر الأنبياء القديسين، وأضاف إلى هذا أيضًا عصيانه للمسيح، الذي كان يدعوه إلى الإيمان وإلى انفتاح عينيه. لأنه قال: " *أنا هو نور العالم، من يؤمن بي فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة*" (يو٨:١٢). لكن الظلمة التي يتحدث عنها هي بلا شك ظلمة الذهن أي

الجهل والعمى ومرض عدم التعقُّل الشديد.

أما الجحش الذي (لم يكن قد جلس عليه أحد)، فهو يمثل الشعب الجديد المدعو من بين الوثنيين، لأنه كان أيضًا بالطبيعة عديم الفهم، تائهًا في الضلال، لكن المسيح صار حكمة له، لأن "*فيه مذَّخر جميع كنوز الحكمة وأسرار المعرفة* " (كو٢:٣).

إذن فقد أُحضر الجحش، إذ أرسل المسيح اثنين من تلاميذه لأجل هذا الغرض. وماذا يعني هذا؟ إنه يعني أنَّ المسيح يدعو الوثنيين بأن يجعل نور الحق يشرق عليهم، ويخدمه لأجل هذا الغرض مجموعتان من خدامه، أعني الأنبياء والرسل، لأنه تمَّ ربح الأمم إلى الإيمان بواسطة تعاليم كرازة الرسل الذين كانوا يضيفون دائمًا إلى كلامهم شهادات مستمدَّة من الناموس والأنبياء. فإن واحدًا منهم قال لهؤلاء الذين دعوا بالإيمان للاعتراف بمجد المسيح: "*وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت التي تفعلون حسنًا إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير في موضع مظلم إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم* " (٢بط١:١٩). لأنه قبل مجيء المخلص كانت نبوات الناموس والأنبياء المختصَّة بالمسيح، بمثابة سراج منير في موضع مظلم. لأن ذهن اليهود كان بليدًا دائمًا، مملوءًا بظلمة كثيفة، لأنهم لم يفهموا ولو قليلاً ما قيل عن المسيح. لكن عندما طلع النهار وأشرق نور الحق، لم تعد الكلمة النبوية سراج صغير بل صارت بالحري مثل أشعة كوكب الصبح اللامعة.

لقد أتوا بالجحش من القرية، لكي يشير به أيضًا إلى حالة الهمجية التي كان عليها ذهن الوثنيين، الذين ـــ إن جاز القول ـــ لم يتعلموا في المدينة ولا تعلموا العادات الشرعية، بل على العكس عاشوا بخشونة وفظاظة، لأن الذين يقيمون في القرى عادة ما يعيشون بهذه الطريقة. لكنهم لم يستمروا في هذه الذهنية الهمجيَّة، بل على العكس تغيَّروا إلى ملء السلام والحكمة، لأنهم صاروا خاضعين للمسيح الذي علَّمهم هذه الأشياء.

وهكذا فإن الأتان قد رُفضت، لأن السيد المسيح لم يركب عليها مع أنها قد



تروَّضت من قبل، وتدربت أن تخضع لراكبيها، ولكنه ركب الجحش مع أنه غير مُدرَّب ولم يُختبر من جهة حمله لأي راكب، ولا في خضوعه للجام، لأنه كما قلت رفض (المسيح) مجمع اليهود مع أنَّ الناموس كان عندهم، كما أنَّ الطاعة لم تكن شيئًا غريبًا عنه، لكن السيد رفضه كشيء قد شاخ وفسد، ولكونه ضلَّ بعيدًا في عصيان متعمَّد لإله الكل، واستحسن الجحش الذي يرمز إلى الشعب الذي من بين الوثنيين.

وهذا هو معنى المديح المقدَّم بصوت المرنِّم إلى المسيح مخلِّص الكل، حيث يقول عن أولئك الذين كانوا في ضلال: "*بلجام وزمام تكبح فكَّهم، أولئك الذين لا يقتربون إليك*" (مز٣١:٩س). ومن السهل أن نري من الكتاب المقدس أنَّ جمع الوثنيين كان مدعوًّا أيضًا إلى التوبة والطاعة بواسطة الأنبياء القديسين، لأن الله تكلم هكذا في موضع ما: "*اجتمعوا وتعالوا تشاوروا معًا أيها الناجون من الأمم*" (إش٤٥:٢٠س).

لذلك جلس المسيح على الجحش، ولمَّا جاء إلى منحدر جبل الزيتون بالقرب من أورشليم مضي التلاميذ أمامه يُسبِّحونه، لأنهم كانوا مدعوين لأن يشهدوا لأعماله العجيبة التي صنعها، وأيضًا يشهدوا لمجده وسلطانه الإلهيِّين، وبنفس الطريقة التي صنعها يجب علينا أيضًا أن نُسبِّحه معتبــرِين كم هو عظيم ذاك الذي نُمجِّده.

ولكن أحد الإنجيليِّين القدِّيسين الآخرين ذكر أنَّ الأطفال أيضًا كانوا يرفعون إلى فوق أغصانًا من النخيل وكانوا يجرون أمامه، وكانوا مع بقية التلاميذ يهتفون بمجده (انظر مت٢١:٨، مر١١:٨، يو١٢:١٣)، لكي بواسطتهم أيضًا نري الشعب الجديد الذي جُمع من بين الوثنيين ممثَّلاً كما في رسم. لأنه مكتوب " *إنَّ شعبًا سوف يُخلق سوف يُسبِّح الرب*" (مز١٠١:١٨س).

وقد تذمَّر الفريسيون، لأن المسيح كان يُسبَّح (من الجموع)، فاقتربوا منه وقالوا: "*انتهر تلاميذك*". لكن أيها الفريسي أي خطأ عملوه؟ أي تهمة توجهها للتلاميذ؟ كيف تريدهم أن يُوَبَّخوا؟ لأنهم لم يخطئوا بأي طريقة بل بالأحرى فعلوا ما هو جدير بالمديح، لأنهم إنما قد مجَّدوا من قد أشار إليه الناموس من قَبْل برموز وصُوَر كثيرة

ـ كملك ورب ـ وقد كرز به جماعة الأنبياء القديسين منذ القديم، لكن أنتم احتقرتموه وأحزنتموه بحسدكم الذي لا حدود له. كان من واجبكم بالأولى أن تنضمُّوا إلى الباقين في تمجيدهم له، كان من واجبكم أن تتراجعوا عن خبثكم الفطري وتُغيِّروا سلوككم نحو الأفضل، وكان من واجبكم أن تتبعوا الأسفار المقدَّسة وأن تعطشوا إلى معرفة الحق، لكن هذا لم تفعلوه، بل حوَّلتم كلامكم إلى العكس تمامًا إذ أردتم توبيخ المنادين بالحق. فبماذا أجاب المسيح على هذه الأشياء؟ (أجاب) " *أقول لكم: إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ* ".

لأنه من المستحيل ألاَّ يُمجَّد الله حتى لو رفض أبناء جنس إسرائيل أن يفعلوا هذا، لأن الوثنيِّين كانوا سابقًا مثل حجارة أي قساة، لكنهم نالوا الخلاص من ضلالهم السابق، ونجوا من يد العدو وأفلتوا من الظلمة الشيطانيَّة، وقد دُعوا إلى نور الحق، واستفاقوا كما من سُكْر، وعرفوا الخالق، وسبَّحوه ليس سرًّا ولا في خفية، وليس بطريقة مستورة أي في صمت، بل بمجاهرة الكلام وبصوتٍ عالٍ، وباجتهاد داعين بعضهم البعض وقائلين: " *هلمُّوا نُسبِّح الرب ونرتل مزامير لله مخلِّصنا*"، لأنهم قد اعترفوا كما قلت بالمسيح مخلِّص الكل، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين. آمين.



عظة ١٣١
أورشليم لا تعرف زمن افتقادها

(لو١٩: ٤١ــ٤٤): *" وَفِيمَا هُوَ يَقْتَرِبُ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَبَكَى عَلَيْهَا. قَائِلاً: إِنَّكِ لَوْ عَلِمْتِ أَنْتِ أَيْضًا حَتَّى فِي يَوْمِكِ هَذَا مَا هُوَ لِسَلاَمِكِ. وَلَكِنِ الآنَ قَدْ أُخْفِيَ عَنْ عَيْنَيْكِ. فَإِنَّهُ سَتَأْتِي أَيَّامٌ وَيُحِيطُ بِكِ أَعْدَاؤُكِ بِمِتْرَسَةٍ وَيُحْدِقُونَ بِكِ وَيُحَاصِرُونَكِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ. وَيَهْدِمُونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ وَلاَ يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ لأَنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي زَمَانَ افْتِقَادِكِ ".*

أدان إرميا النبي الطوباوي بصوت عال جهل اليهود وكبريائهم بآن واحد موبخًا إياهم بهذه الكلمات: " *كيف تقولون نحن حكماء وكلمة الرب معنا؟ باطل هو قَلَم الكتبة الكاذب، خزي الحكماء ارتاعوا وأُخذوا، أية حكمة وها قد رفضوا كلمة الرب*" (إر٨:٨و٩س)، لأنهم ليسوا حكماء ولا على دراية بالأسفار المقدسة. ومع أنَّ الكتبة والفريسيين ينسبون لأنفسهم زورًا سمعة أنهم متعلِّمون في الناموس، فإنهم رفضوا كلمة الله، لأنه عندما صار الابن الوحيد إنسانًا، فإنهم لم يقبلوه، ولا أحنوا رقابهم طواعية لدعوته التي وجَّهها إليهم بالإنجيل. ولأنهم قد رفضوا كلمة الله بسلوكهم الشرير، فهم أنفسهم قد رُفضوا، وتمَّت إدانتهم بالقرار الإلهي العادل، لأنه يقول بفم إرميا: " *فضة مرفوضة يُدعون لأن الرب رفضهم*" (إر٦: ٣٠)، وقال أيضًا: " *جزِّي شعرك واطرحيه بعيدًا وخذي مرثاة على شفاك، لأن الرب قد رفض ورذل الجيل الذي فعل تلك الأشياء*" (إر٧: ٢٩س). وقد أعلن لنا إله الجميع ما هي تلك الأشياء بقوله: " *اسمعي أيتها الأرض، هأنذا جالب شرورًا على هذا الشعب ثمر انحرافهم، لأنهم لم يصغوا لكلمتي ورفضوا شريعتي*" (إر٦: ١٩س)، لأنهم لم يحفظوا الوصية التي أعطاها لهم موسى بل " *يُعلِّمون تعاليم هي وصايا الناس*" (مت١٥: ٩)، وبالإضافة إلى هذا فقد رفضوا أيضًا كلمة الله الآب برفضهم أن يؤمنوا بالمسيح، حينما دعاهم إلى ذلك. لذلك فإن ثمار انحرافهم كانت واضحة في الكوارث التي حلَّت بهم، لأنهم عانوا من كل شقاء كجزاء على قتلهم الرب.

أما (بخصوص) سقوطهم في هذه البليَّة[8]، فهذا لم يكن أمرًا يتوافق مع مشيئة الله الصالحة، لأنه كان يريد لهم بالأحرى أن يبلغوا السعادة عن طريق الإيمان والطاعة. أما هم فكانوا غير مطيعين ومتغطرسين، وبالرغم من هذا ــ ومع أنَّ هذه كانت حالة ذهنهم ــ فإن المسيح أشفق عليهم، لأنه "*يريد أنَّ جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون*" (1تي2:4)، إذ يقول (النص) أيضًا إنه "*نظر إلى المدينة وبكى*"، لكيما نعرف بهذا أنه يحزن، إن جاز لنا أن نتكلم هكذا عن الله، الذي يعلو على الكل. ولكننا، ما كنا نستطيع أن نعرف أنه أشفق رغم شرهم، لو لم يكن قد أظهر بفعل بشري ذلك الحزن الذي لا يمكننا أن نراه، لأن الدمعة التي تسقط من العين هي تعبير عن الحزن، أو بالأحرى هي إظهار واضح له. وهكذا بكى أيضًا على لعازر حتى يمكننا مرة أخرى أن نفهم أنه حزن على طبيعة الإنسان التي سقطت تحت سطوة الموت، لأنه "*خلق كل الأشياء لعدم الفساد (للخلود)، ولكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم*"[9](حكمة2:23)، ليس لأن حسد إبليس أقوى من إرادة الخالق، بل بسبب أنه كان من الضروري أنَّ تعدِّي الوصية الإلهية ينتج عنه عقاب يجعل كل من يحتقر ناموس الحياة ينحدر إلى الفساد.

لذلك نحن نقول إنه بكى على أورشليم لسبب مشابه، لأنه أراد أن يراها في سعادة بقبولها الإيمان به، ونوال السلام مع الله، فإنه إلى هذا (السلام) دعاهم إشعياء النبي أيضًا قائلاً: "*لنصنع سلامًا معه، لنصنع نحن القادمون سلامًا معه*" (إش27:5س). أما عن أنه بالإيمان نصنع سلامًا مع الله، فهذا ما يُعلِّمنا إياه الحكيم بولس حيث يكتب: "*إذ قد تبرَّرنا بالإيمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح*" (رو5:1). أما هم، فكما قلتُ، أسرعوا بعنف جامح إلى الغطرسة والازدراء وأصروا على احتقار خلاص المسيح؛ لذلك فالمسيح يلومهم على نفس هذا الأمر قائلاً: "*لو علمتِ أنتِ أيضًا ما هو*

---

[8] ربما يقصد خراب أورشليم سنة 70م (المترجم).

[9] هذه الآية المقتبسة هنا والتي تبدأ صلاة الصلح في القداس الباسيلي، هى من سفر الحكمة لسليمان بالنسخة السبعينية للعهد القديم (المُترجم).



لسلامك"، أي (لم تعرفي) تلك الأشياء المفيدة والضرورية لكِ لتصنعي سلامًا مع الله، وهذه الأشياء هي الإيمان، الطاعة، التخلي عن الظلال، التوقُّف عن العبادة الناموسية؛ وبدلاً عن ذلك تفضيل العبادة التي بالروح والحق، تلك العبادة التي بالمسيح تكون رائحتها طيِّبة وجديرة بالإعجاب وثمينة أمام الله لأنه يقول: " *الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا*" (يو٤:٢٤).

ويقول الرب: "*ولكن قد أُخفي عن عينيك*". لأنهم لم يكونوا مستحقين أن يعرفوا أو بالأحرى أن يفهموا الكتب الموحى بها من الله، والتي تتكلم عن سر المسيح، لأن بولس يقول: " *فإذ لنا رجاء مثل هذا نستعمل مجاهرة كثيرة، وليس كما كان موسى يضع برقعًا على وجهه لكي لا ينظر بني إسرائيل إلى مجد وجهه الزائل، بل أُغلظت أذهانهم، لأنه حتى اليوم ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باقٍ غير منكشف، لكن حينما يُقرأ موسى فالبرقع موضوع على قلوبهم، لأنه يُبطل في المسيح*" (٢كو٣:١٢ــ١٥) لكن بأي طريقة يُبطل البرقع في المسيح؟ لأنه حيث إن المسيح هو الحقيقة، فإنه يجعل الظل يُبطل، ولكن بخصوص أنَّ سر المسيح يُشار إليه بواسطة ظل الناموس، فإن المسيح يؤكِّد لنا ذلك بقوله لليهود: "*لو كنتم تصدِّقون موسى لكنتم تصدِّقونني أيضًا لأنه هو كتب عني*" (يو٥:٤٦) ولأنهم لم يفحصوا ظلال الناموس بعناية، لذلك فإنهم لم يروا الحقيقة. كما يخبرنا بولس المتعلم حقيقة في الناموس أنَّ "*القساوة قد حصلت جزئيًا لإسرائيل*" (رو١١:٢٥)، أما القساوة فهي السبب المؤكَّد للجهل والظلمة؛ فالمسيح قال مرَّة: "*ليس ما يدخل الفم ينجِّس الإنسان*" (مت١٥:١١)، وفي ذلك الوقت، فإن الفريسيين لاموه على كلامه هكذا بخصوص كسر الناموس وطرح الوصية التي أعطاهم لها موسى[١٠]. " *وبعد ذلك تقدم التلاميذ وقالوا له أتعلم أنَّ الفريسيين لما سمعوا القول نفروا؟ فأجاب وقال لهم: كل غرس لم يغرسه أبي السماوي يُقلَع، اتركوهم هم عميان قادة عميان*" (مت١٥:١٢ــ١٤). لذلك فالغرس الذي لم يغرسه الآب يُقلَع لأنه (الآب) يدعو الذين سيحسبون أهلاً لخلاصه إلى الاعتراف بالابن.

[١٠] بخصوص وصية إكرام الوالدين وتعدِّي اليهود لهذه الوصية بسبب تمسكهم بتقليد الشيوخ (مت١٥:١ــ٩) (المترجم).

أما حالة أولئك المؤمنون به فهي مختلفة تمامًا، وكيف يمكن أن تكون بخلاف ذلك؟ لأنهم كما يقول المرنم بخصوصهم: " *مغروسين في بيت الرب، ويزهرون في ديار إلهنا*" (مز٩١:١٣س). لأنهم أبناء الله وصنعته، كما تُعلن الأسفار المقدسة، لأنه قيل بفم داود: "*بنوك مثل غروس الزيتون الجدد حول مائدتك*" (مز١٢٧:٣س).

أما الإسرائيليون وحتى قبل التجسد، فقد برهنوا أنهم غير جديرين بخلاص المسيح إذ رفضوا الشركة مع الله وأقاموا لأنفسهم آلهة كاذبة وذبحوا الأنبياء، مع أنَّ الأنبياء حذروهم من أن يحيدوا عن الإله الحي، بل أن يتمسكوا بوصاياه المقدسة. أما هم فلم يقبلوا أن يفعلوا هكذا، بل أحزنوه بطرق كثيرة، وحتى حينما دعاهم إلى الخلاص (بعد ذلك).

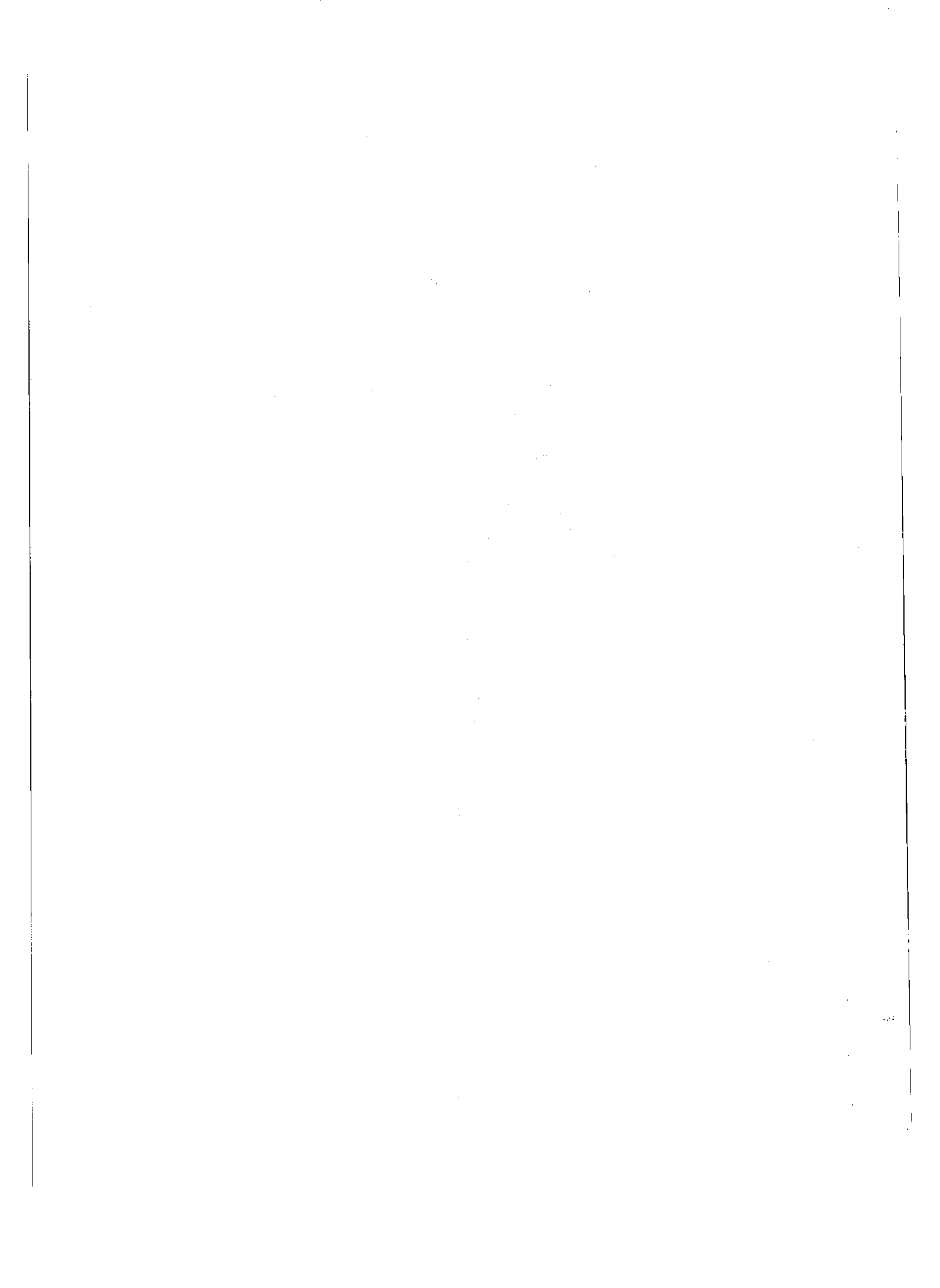
هذا يعلّمه لنا المخلّص نفسه بقوله: " *يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردتُ أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا*" (مت٢٣:٣٧)، وها أنت ترى أنه أراد مرات كثيرة أن يسبغ عليهم رحمته، ولكنهم رفضوها، ولذلك فقد أدينوا بحكم إلهي مُقدَّس، واستُبعِدوا عن أن يكونوا أعضاء في بيته الروحي، لأنه قال لشعب اليهود بواسطة أحد الأنبياء القديسين: " *أنا أشبه أمك (أورشليم) بالليل، شعبي هو مثل من ليس له معرفة، لأنك أنت رفضت المعرفة أرفضك أنا حتى لا تكهن لي، ولأنك نسيت شريعة إلهك أنسى أنا أيضًا بنيك*" (هو٤:٥و٦س). لاحظوا أنه يقارن أورشليم بالليل، لأن ظلمة الجهل قد غطّت قلب اليهود وأعمت عيونهم؛ ولهذا السبب سلّموا إلى الهلاك والذبح، لأن إله الكل تكلم بفم حزقيال وقال: " *حي أنا يقول الرب، من أجل أنكِ قد نجستِ مقادسي بنجاستكِ، سأرفضكِ أنا أيضًا، ولن تشفق عيني وأنا لا أعفو*" (حز٥:١١س). وأيضًا " *الذين هم في الحقل يموتون بالسيف، والذين هم في المدينة يأكلهم الجوع والوبأ، والذين منهم ينفلتون سيخلصون، وسيكونون على الجبال كحمام الوديان*" (حز٧:١٥، ١٦س). لأن إسرائيل لم يُستأصل من أصل جذوره، ولا من الجذع والفرع، لكن خلُصَت بقيَّة، والتي منها كان بكورها وطليعتها الرسل المباركين الذين يقول حزقيال



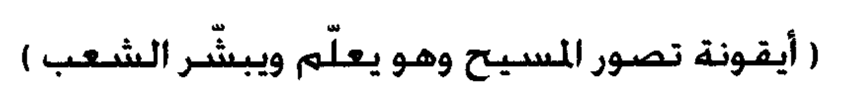
عنهم إنهم كانوا على الجبال كحمام الوديان (أي الذين يتأملون) لأنهم كانوا كسفراء في العالم كله مخبرين بسر المسيح، وكان عملهم هو التسبيح والترتيل، وكأنهم يهتفون عاليًا بالمزامير: "*لساني يلهج ببرّك واليوم كله بتسبيحك*" (مز ٣٤: ٢٨س).

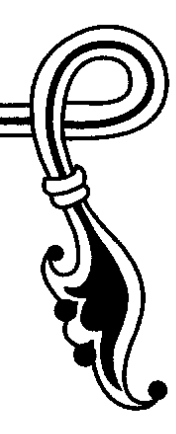
لذلك فالوسائل المؤدّية لسلام أورشليم مع الله كانت مخفيَّة عنها، ومن بين هذه الوسائل، بل أولّها وأهمها هو الإيمان الذي يبرر الخاطئ، وهو الإيمان الذي يُوحّد بالقداسة والتبرير أولئك الحاصلين عليه، بالله الكلي النقاوة.

أما عن أنَّ المدينة التي كانت سابقًا مُقدَّسة وشهيرة، أي أورشليم، تسقط في ضيقات الحرب، فهذا يمكن أن نراه من التاريخ، بل إن إشعياء النبي يؤكد هذا لنا، حيث يهتف عاليًا إلى جموع اليهود ويقول: "*بلادكم خربة، مدنكم محرقة بالنار، أرضكم يأكلها الغرباء قدامكم وهي خربة كأنها انقلبت بواسطة أمم غريبة*" (إش ١: ٧س). كان هذا هو أجر الافتخار الباطل لليهود، وعقوبة عصيانهم، والعذاب الذي هو العقاب العادل لكبريائهم، أما نحن فقد ربحنا رجاء القديسين، ونحن في سعادة كاملة، لأننا أكرمنا المسيح بالإيمان، هذا الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين. آمين.



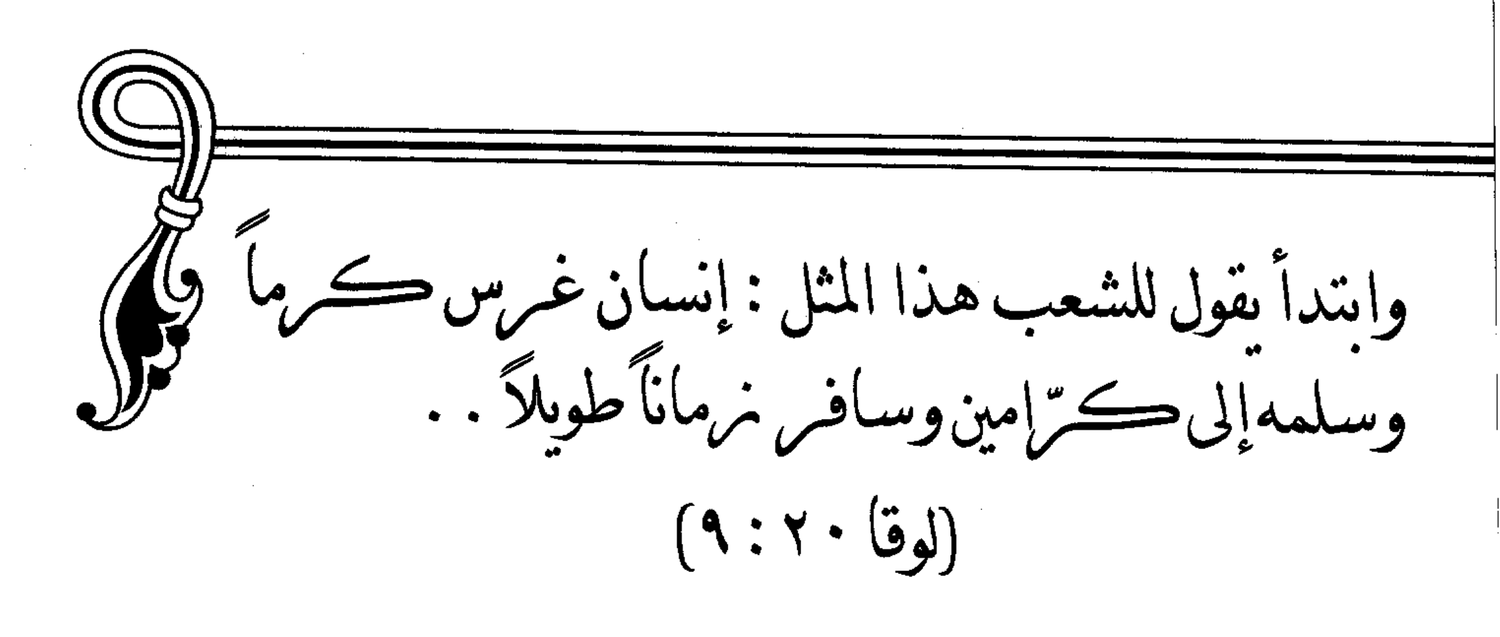






(أيقونة تصور المسيح وهو يعلّم ويبشّر الشعب)

الأصحاح العشرون



وابتدأ يقول للشعب هذا المثل : إنسان غرس كرماً وسلمه إلى كرّامين وسافر زماناً طويلاً . .

(لوقا ٢٠ : ٩)

الأصحاح العشرون

عظة ١٣٢
طرد باعة من الهيكل

(لو١٩: ٤٥ـ٤٨، ٢٠: ١ـ٢): " *وَلَمَّا دَخَلَ الْهَيْكَلَ ابْتَدَأَ يُخرِجُ الَّـذِينَ كَـانُوا يَبِيعُـونَ وَيَشْتَرُونَ فِيهِ قَائِلاً لَهُمْ: مَكْتُوبٌ أَنَّ بَيْتِي بَيْتُ الصَّلاَةِ. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ. وَكَـانَ يُعَلِّمُ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ مَعَ وُجُوهِ الشَّعْبِ يَطْلُبُونَ أَنْ يُهْلِكُوهُ، وَلَمْ يَجِدُوا مَا يَفْعَلُونَ لأَنَّ الشَّعْبَ كُلَّهُ كَانَ مُتَعَلِّقًا بِهِ يَسْمَعُ مِنْهُ. وَفِي أَحَدِ تِلْكَ الأَيَّامِ إِذْ كَانَ يُعَلِّمُ الشَّعْبَ فِي الْهَيْكَلِ وَيُبَشِّرُ، وَقَفَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ مَعَ الشُّيُوخِ وَقَالُوا لَهُ: قُلْ لَنَـا بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هَذَا أَوْ مَنْ هُوَ الَّذِي أَعْطَاكَ هَذَا السُّلْطَانَ؟* ".

مكتوب أنه " *يوجد دائمًا نور للبار، أما نور الأشرار فينطفئ*" (أم١٣: ٩ س)، لأن الله الآب يمنح نور المعرفة الحقيقية غير المنطفئ الخاص بالرؤيا الحقيقية لله لأولئك الذين يقبلون بر المسيح، فهو يكشف لهم الابن، كما قال أيضًا المخلِّص نفسه في موضع ما لليهود: " *لا تتذمَّروا فيما بينكم، لا يقدر أحد أن يُقبِـلِ إليَّ إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى*" (يو٦: ٤٣و٤٤) لكنه ــ طبعًا ــ يجذب بالنور والمعرفة، وبرُبط المحبة (انظر هو١١: ٤). أما بالنسبة لأولئك الذين لا تميل إرادتهم إليه، وعن شر يرفضون وصايا المسيح، فحتى ذلك النور الذى لهم في أذهانهم من وصية موسى، يتلاشى وينطفئ، وتحل ظلمة الجهل مكانه.

أما كون هذا الأمر حقيقي، وأنه هو الوضع الحقيقي للحالة، فهذا ما يثبته لنا عَمَى اليهود، لأنهم كانوا في ظلمة وغير قادرين على رؤية مجد الكلمة ــ الذي صار إنسانًا لأجلنا ــ رغم أنه كشف نفسه لهم بعمل معجزات كثيرة وبسلطان إلهي. وأحد الأمثلة على ذلك هو ما حدث في الهيكل، فقد كان في الهيكل جمع كثير من التجار وآخرون أيضًا من المذنبين بمحبة الربح القبيح وأعنى الصيارفة والعاملين على موائدهم،

وبائعي الثيران وتُجَّار الخراف وبائعي الحمام واليمام، وهذه كلها كانت تُستخدم في الذبائح بحسب المراسيم الشرعية. لكن قد آن الأوان لانتهاء الظل ولكي يلمع الحق، ويَظهر الجمال البديع للطريق المسيحي، وأمجاد الحياة النقيَّة، والرائحة العقليَّة الحلوة التي للعبادة بالروح والحق.

ولهذا السبب فإن الحق ـــ أي المسيح تصرَّف بمنتهى الصواب ـــ إذ هو مُكرَّم أيضًا مع أبيه في هيكلهم ـــ فأمر أن تُحمل تلك الأشياء ـــ المرتبطة بالناموس، خارجًا، حتى ولو كانت تختص بالذبائح ومحرقة البخور، وأنه يجب أن يظهر الهيكل بوضوح أنه بيت للصلاة، لأن هذا هو ما يعنيه بالتأكيد انتهار (المسيح) للباعة وطردهم من الأروقة المقدَّسة حينما كانوا يبيعون ما كان لازمًا للذبائح. كما يلزمنا أن نلاحظ أنَّ واحدًا آخر من الإنجيليين الأطهار يذكر أن الرب لم ينتهر الباعة بالكلام فقط بل وصنع أيضًا سوطًا من حبال وهدَّدهم بالضربات (يو٢:١٥)، لأنه يليق بالذين أكرموا العبادة الشرعية أن يعرفوا بعد ظهور الحق، أنهم باحتفاظهم بروح العبودية وبرفضهم أن يصيروا أحرارًا، فإنهم يصيرون عُرضة لضربات ومعرَّضون للعذاب المرتبط بالعبودية. لذلك فإن مخلِّص ورب الكل أظهر مجده لمنفعتهم حتى يؤمنوا به، فبسبب أنه يملك سلطانًا على الهيكل فهو يعتني به، وأيضًا يدعو الله أباه. وكما كتب ذلك الإنجيلي الآخر، فإنه قال للباعة: " *لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة*" (يو٢:١٦)، ومكتوب أيضًا " *بيتي بيت صلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص*" (مر١١:١٧)، لذلك كان من واجبهم، وأقول أيضًا: كان من واجبهم، بالأحرى أن يعبدوه على أنه هو مع الله الآب، رب الهيكل. ولكنهم في حماقتهم العظيمة لم يفعلوا هذا بل إذ كانوا بالأحرى متلهفين للبغضة بطريقة وحشيَّة، فإنهم أقاموا ضده شوكة الحسد الحادة وأسرعوا إلى القتل الذى هو قريب الحسد وشقيقه، لأنه (يقول) "*إنهم طلبوا أن يهلكوه ولم يجدوا ما يفعلون لأن الشعب كله كان متعلقًا به يسمع منه* ". ألا يجعل هذا الكتبة والفريسيين وكل رؤساء اليهود يستحقُّون عقوبة ثقيلة جدًّا؟ إن كل الشعب وهم غير متعلِّمين كانوا يتعلَّقون بالتعاليم المقدَّسة ويشربون كلمة الخلاص كالمطر، كما كانوا



أيضًا مستعدين أن يثمروا ثمار الإيمان وأن يحنوا أعناقهم لوصاياه، أما الذين كانت وظيفتهم أن يستحثُّوا شعبهم على هذا الشيء عينه، فقد تمردوا بطريقة وحشيَّة وبخبث يطلبون فرصة ليقتلوه، ويركضون على الصخور بعنف غير مكبوح، رافضين الإيمان بل وبِشَرٍّ يمنعون الآخرين أيضًا.

وكيف لا يكون ما قلته صحيحًا؟ فإن المخلِّص نفسه وبَّخهم قائلاً: " *ويل لكم أيها الناموسيون لأنكم أخذتم مفتاح المعرفة، ما دخلتم أنتم والداخلون منعتموهم*" (لو١١:٥٢). لذلك فإنهم قاموا ضدَّ المسيح بينما كان يعلِّم ويستدعوه بحسد وببغضة وقالوا له: "*قُل لنا بأي سلطان تفعل هذا أو من هو الذى أعطاك هذا السلطان؟*" ويقولون، إن الناموس الذى أعطاه موسى والوصايا التى تُنظِّم فرائضنا هذه، اشترطت أنَّ الذين من نسل لاوي فقط هم الذين يقتربون لتتميم هذه الواجبات المقدَّسة، فهم يقدِّمون الذبائح وينظِّمون كل ما يُعمل في الهيكل الإلهي، ولهم أُعطِيَت وظيفة التعليم وإدارة الأعمال المقدَّسة. أما أنت ومع أنك من سبط آخر، لأنك طلعت من سبط يهوذا، فقد استوليتَ على الكرامات المخصَّصة لنا، " *فمن أعطاك هذا السلطان؟*" أيها الفريسي الأحمق تعال ودعني أخبرك بشيء لا تستطيع أن تناقضه إذا ما دافعت أمامك عن قضيَّة المسيح مخلِّصنا كلنا. لو كنت على دراية بالأسفار المقدسة الموحى بها من الله وعلى علم بكلام ونبوات الأنبياء القديسين، فربما كنتَ ستتذكَّر الطوباوي داود الذي يقول بالروح عن المسيح مخلِّص الكل: "*أقسم الرب ولن يندم أنك أنت كاهن إلى الأبد على طقس ملكيصادق*" (مز١٠٩:٤س)، لذلك اشرح لى هل هناك أى فريسي أو أى كاتب خدم الله على رتبة ملكيصادق، هذا الذى بارك إبراهيم وقَبِل منه العشور؟ وكما كتب بولس الحكيم جدًّا قائلاً: "*وبدون كل مشاجرة (مناقضة) الأصغر يُبارَك من الأكبر*" (عب٧:٧) لذلك فإن أصل وبداءة وجود إسرائيل ذاته الذى هو إبراهيم أبو الآباء ـــ قد تبارك بواسطة كهنوت ملكيصادق، أما ملكيصادق وكهنوته فكان مثالاً للمسيح مخلِّصنا جميعًا الذي صار رئيس كهنتنا ورسول اعترافنا، الذي يُقرِّب إلى الله الآب الذين يؤمنون به لا عن طريق ذبائح دموية وتقدمات بخور، بل يكمِّلهم للقداسة بواسطة خدمة أعلى من



الناموس، لأن " *لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس في يمين عرش العظمة في السموات*" (عب٨:١).

الفرق بين الخدمتين عظيم جدًا: لأن مخلّص الكل ككاهن لله الآب يقدّم اعتراف إيماننا، وينبوع الرائحة الروحية الطيّبة، " *لأن الله روح والذين يسجدون فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا*" (يو٤:٢٤).

أما الذبائح الدموية التى يُقدّمونها فهي لا تُسرّ الله، إذ قال لهم أيضًا " *بغضتُ، وكرهتُ أعيادكم، ولستُ ألتذ باعتكافاتكم، وإذا قدّمتم لي محرقاتكم وذبائحكم، فإني لا أقبلها، ولا ألتفت إلى خلاص وجوهكم، أبعد عنى ضجة أغانيك، ونغمة آلاتك (الموسيقية) لا أسمع*" (عا٥:٢١ــ٢٣س).

افهموا إذن أنه يقول إنه أبغض أعيادهم وكذلك أيضًا تسابيحهم وذبائحهم رفضها. ومع ذلك فإن الله يُسرُّ بالتسبيح، ولكن ليس بأفواه نجسة أو بلسان دنس، لأنه مكتوب في سفر المزامير: " *وللشرير قال الله ما لك تتحدث بوصاياي وتحمل عهدي على فمك وأنت قد أبغضتَ التعليم وألقيتَ كلامي خلفك؟*"(مز٤٩:١٦و١٧س). وأيضًا قال " *لا تعودوا تدوسوا دوري، فإن قدّمتم لي تقدمة (دقيق) فهى باطلة، وبخوركم مكرهة لي*" (إش١:١٢و١٣س). فلماذا تتذمّر إذن أيها الفريسي، بسبب طرح تلك الأشياء بعيدًا عن الأروقة المقدّسة التي كانت مستخدمة للذبائح الشرعيّة، في الوقت الذي آن الأوان لدعوة الناس إلى حياة أفضل من الظلال، وإلى التبرير الحقيقي بالإيمان بالمسيح، الذي هو الحق.

لكن سلسلة المواضيع المطروحة أمامنا الآن تقودنا إلى مناقشات طويلة جدًا، وكل ما يتعدى الحد اللائق فهو غير مناسب لمن يسمع في كل مكان وأيضًا هو غير مناسب لمن يعلّمون. لذلك، لنكتفِ في الوقت الحاضر بما قيل، وما تبقّى فهذا سوف نستكمله عندما يجمعنا المسيح هنا مرة ثانية معًا، الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين. آمين.



عظة ١٣٣

مصدر سلطان المسيح

(لو ٢٠: ١ـــ٨): " *وَفِي أَحَدِ تِلْكَ الأَيَّامِ إِذْ كَانَ يُعَلِّمُ الشَّعْبَ فِي الْهَيْكَلِ وَيُبَشِّرُ وَقَفَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ مَعَ الشُّيُوخِ. وَقَالُوا لَهُ: قُلْ لَنَا بِأَيِّ سُلْطَانٍ تَفْعَلُ هَذَا أَوْ مَنْ هُوَ الَّذِي أَعْطَاكَ هَذَا السُّلْطَانَ؟. فَأَجَابَ: وَأَنَا أَيْضاً أَسْأَلُكُمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً فَقُولُوا لِي: مَعْمُودِيَّةُ يُوحَنَّا مِنَ السَّمَاءِ كَانَتْ أَمْ مِنَ النَّاسِ؟. فَتَآمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ: إِنْ قُلْنَا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: فَلِمَاذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِهِ؟. وَإِنْ قُلْنَا: مِنَ النَّاسِ فَجَمِيعُ الشَّعْبِ يَرْجُمُونَنَا لأَنَّهُمْ وَاثِقُونَ بِأَنَّ يُوحَنَّا نَبِيٌّ. فَأَجَابُوا أَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مِنْ أَيْنَ. فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: وَلاَ أَنَا أَقُولُ لَكُمْ بِأَيِّ سُلْطَانٍ أَفْعَلُ هَذَا* ".

أعتقد أنكم قد اجتمعتم ثانية لكى تتعلّموا، وأنا أمتدح تصرُّفكم وأعتبر رغبتكم جديرة بكل إعجاب لأنه مكتوب: " *الحكمة خير من الحجارة الكريمة الثمينة، وكل الأشياء النفيسة لا تُقارن بها* " (أم٨: ١١س). لأن الحكمة النازلة من فوق من عند الله هى عطيَّة لا مثيل لها، وعندما ندركها بواسطة الكتاب المقدس الموحى به من الله وننال النور الإلهي ليسكن في أذهاننا، نتقدم آنذاك بلا انحراف إلى كل ما هو نافع لفائدتنا الروحية. هلمُّوا إذن لنفحص الآن أيضًا بتدقيق معنى الدروس التى سبق أن قُرئت علينا.

فى اجتماعنا الماضي، كان الحديث الذى وجَّهناه إليكم هو عن جهل الفريسيين وجنونهم المطبق وهجومهم الدنيء، فقد تقدَّموا إلى المسيح مخلِّصنا جميعًا، قائلين: " *بأيِّ سلطان تفعل هذا، ومن هو الذي أعطاك هذا السلطان*"؟ ما هو الذى كان المسيح قد فعله؟ ما فعله هو أنه طرد من الهيكل أولئك الذين يبيعون الغنم والبقر والحمام واليمام وقلب موائد الصيارفة قائلاً: " *ارفعوا هذه من ههنا، لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة*" (يو٢: ١٦) وأيضًا قال: " *بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص*" (لو١٩: ٤٦).

تكلمنا آنذاك عن هذه الأشياء على النحو التالى:

إن الرب كان يجمع[1] gathering up ظل الناموس كشيء أصبح غير نافع ولا لزوم له، وكان يسعى أن يُعطّل الذبائح الدموية، لأن الوقت الذى كان ينبغي فيه الإعلان عن العبادة التى بالروح والحق قد صار الآن قريبًا جدًا. لأنه هو نفسه الحق، وحيث إن الحق قد ظهر الآن، فيلزم بالضرورة أن تصير الرموز نافلة. ومع ذلك فقد هاجم أولئك التعساء رب الكل بشراسة. وهذا هو ما وصل إليه حديثنا في الاجتماع الماضي.

سوف نبيّن الآن بطريقة أخرى أنَّ رؤساء ومعلمي المجمع اليهودي قد هاجموا المسيح بعنف. كان المخلص يعلّم في الهيكل كما أنه من المؤكد جدًّا أنه كان يعلن ــ من أجل تعليم سامعيه ــ أشياء تسمو على الناموس، وهى طريق الحياة بحسب الإنجيل، أما هم فلأنهم كانوا مغتاظين من هذا أيضًا فإنهم اقتربوا منه بخبث وسألوه قائلين: من أعطاك هذا السلطان، ماذا يعنى هذا أيضًا؟ إنهم يقولون "*أنتَ تعلِّم في الهيكل ولكنك* خرجت *من سبط يهوذا ولست من* عداد *أولئك الذين وظيفتهم أن يخدموا في الهيكل ككهنة، ولماذا تُعلِّم ما يتنافر مع وصية موسى ولا يتوافق مع الناموس الذى أُعطِيَ لنا منذ القديم؟*".

لذلك، فلنقل لأولئك الذين تكلّموا هكذا: هل هذا يلدغ أذهانكم ويدفعكم إلى حسد وحشي؟ أخبروني: هل تتّهمون معطي الناموس بإبطال الناموس؟ هل تلومونه وتحتجُّون عليه بشدَّة لأنه لا يطيع شرائعه الخاصة به؟ أخبروني: هل الله مُلزَم بالخضوع لناموسه الخاص؟ ألعلّه شرّع الوصايا التى قيلت بواسطة الأنبياء القديسين لأجلنا أم لأجل نفسه؟ وحتى لو لم تعترفوا بذلك فإنه من المؤكَّد أنَّ الله يعلو على كل شريعة، وأما نحن أنفسنا فإننا نُوجَد تحت نير

---

[1] الهامش بالمخطوطة يشرح كلمة " يجمع gathering up " بمعنى يهدم، ولكن من الواضح أنه لم يكن هذا هو القصد، إنما كان تعبيرًا مجازيًّا فقط. أما بالنسبة للقديس كيرلس، فربما كان يستخدم الكلمة اليونانية :συστέλλει، والتى كان يستعملها باستمرار بمعنى يُقلّص.



وصاياه. لذلك فإن تعدَّى أي شخص منَّا الناموس، فلوموه واحكموا عليه بسبب تعدّيه، أما الذي وضع الوصايا ـــ ليس لأجل نفسه بل لأجلنا لكي نطيعها ـــ فإنه من حين لآخر وبحسب مسرة صلاحه، قد يُغيِّر أي شيء مما قد أعطاه سابقًا من وصايا، ويقصد بهذا لا أن يُخضِع أولئك الذين تحت الناموس لأي شيء شرِّير، بل بالأولى يريد أن يرفعهم إلى ما هو أفضل. وها قد حان الوقت الآن لتتوقَّف تلك الأشياء التي كانت ظلالاً، ولتزول تعاليم الناموس التي أُعطِيَت لتعليم القدماء، لكيما يُستعلَن شيء أفضل، ألا وهو التعليم المُعطى لنا في الإنجيل.

ولكنكم تقولون "هل كان هذا بحسب مشيئة ذاك الذي أسَّس بواسطة موسى تلك الوصية السابقة لمن كانوا في القديم؟" وأنا أجيب "نعم"، وأبلُغ إلى هذا الاستنتاج ليس من فكري الخاص بل إني أستقي البرهان عليه من الأسفار النبويَّة. لأن الله قال في أحد المواضع بصوت ميخا النبي "*وسأجعل شرائع شعبي تزول*" (مي٦:١٥س). فكيف يجعل شرائع الشعب تزول؟ لأنه ـــ كما قلت ـــ ستصير إلى العدم بظهور وصيَّة جديدة أفضل، أي الوصية التي أُعطِيَت لنا من الابن نفسه، والتي أُعلِن عنها أيضًا منذ القديم بفم إرميا النبي " *هأنذا أجمعهم من كل الأراضي التي طردتهم إليها بغضبي وغيظي وبسخط عظيم، وأردُّهم إلى هذا الموضع وأسكنهم آمنين، ويكونون لي شعبًا وأنا أكون لهم إلهًا، وأُعطيهم طريقًا آخر وقلبًا آخر ليخافوني كل أيامهم*" (إر٣٢:٣٧ـــ٣٩). لذلك فقد أعطى لهم طريقًا آخر وكما قلتُ سابقًا فهو يجمع الخدمة الناموسية والتعليم الذي في حروف ورموز، ويُدخِل تعاليم الإنجيل التي أول بدايتها وطريقها هو الإيمان، الذي ـــ بواسطة العبادة الروحية ـــ يكمِّل إلى التبرير ويرفع إلى التقديس أولئك الذين يتقدمون إلى الله.

أما كون شرائع موسى كان مقدَّرًا لها أن تبلغ النهاية وأن يُعطَى بواسطة المسيح ناموس جديد وعهد جديد، فهذا يمكن لأي إنسان أن يراه بسهولة كما

يقول النبي بوضوح: " *ها أيام تأتي يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا عهدًا جديدًا، ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتُ بيدهم لأخرجهم من أرض مصر، لأنهم نقضوا عهدى وأنا رفضتهم يقول الرب*" (إر٣١:٣١ــ٣٢). لذلك فهو يَعِدُ بعهد جديد، وكما يكتب بولس الحكيم جدًا " *فإذ قال جديدًا جعل الأول عتيقًا، وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال*" (عب٨:١٣). وحيث إن العهد السابق قد شاخ كان يلزم أن يحلَّ ما هو جديد محلَّه، وهذا تمَّ ليس بواسطة أحد الأنبياء القدِّيسين، بل بالأحرى بواسطة مَن هو رب الأنبياء.

فلماذا تتذمر أيها الفريسي عندما ترى الكتاب الموحَى به من الله يتحقَّق، وترى تلك الأشياء التى قالها الأنبياء القديسون في القديم تبلغ كمالها.

إذن، فعندما سألوه بأي سلطان تفعل هذا، أجابهم المخلِّص " *وأنا أيضًا أسألكم كلمة واحدة، فقولوا لي، معمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس؟ فتآمروا فيما بينهم إن قلنا من السماء يقول فلماذا لم تؤمنوا به وإن قلنا من الناس فجميع الشعب يرجموننا لأنهم واثقون بأن يوحنا نبي، فأجابوا أنهم لا يعلمون من أين. فقال لهم يسوع ولا أنا أقول لكم بأي سلطان أفعل هذا*". انظروا خبث الفريسيين العظيم، إنهم يهربون من الحق ويرفضون النور ولا يرتعبون من اقتراف الخطية، لأن الله الآب أرسل المعمدان الطوباوي كسابق للمسيح يصرخ قائلاً " *أعدوا طريق الرب اجعلوا طرق إلهنا مستقيمة* " (إش٤٠:٣س). كما كتب عنه أيضًا الإنجيلى الحكيم يوحنا "*كان إنسان مرسل من الله اسمه يوحنا، هذا جاء للشهادة ليشهد للنور، لم يكن هو النور بل ليشهد للنور*" (يو١:٦ــ٨) ــ أي للمسيح. كما شهد هو نفسه (المعمدان) قائلاً: " *الذي أرسلني لأعمِّد بالماء ذاك قال لي: الذي ترى الروح نازلاً ومستقرًا عليه فهذا هو الذي يُعمِّد بالروح القدس، وأنا قد رأيتُ وشهدتُ أنَّ هذا هو ابن الله*" (يو١:٣٣و٣٤). لذلك فالمعمدان الطوباوي لكونه عضيم جدًا وباهر، فهو شخص



جدير بأن نَقبَله ليقودنا إلى الإيمان بالمسيح، وليكون شاهدًا للمسيح. لكن إذ كان من عادة اليهود أن يفتروا بخفَّة على القدّيسين وأن يدعوهم متكلّمين كذبة وأن يقولوا عنهم إنهم لم يُرسَلوا من الله بل يَدعون كذبًا معرفة النبوّة من عندياتهم، فإن المسيح سألهم ما هو رأيهم في المعمدان؟ هل هو شخص جاء من فوق من عند الله، هل أكرموه لكونه مرسل يعمِّد بحسب مشيئة الله؟ أم بحسب عادتهم وبدافع من رغبات بشرية أنكروا أنه جاء لهذا الغرض؟ لقد كانوا في الواقع يخشون أن يقولوا الحق لأنهم كانوا يخافون أن يُقال لهم فلماذا لم تؤمنوا به؟ لذلك فإنهم لم يوجهوا اتهامًا ليوحنا السابق، ليس بدافع خوفهم من الله بل بدافع خوفهم من الجموع، لذلك فإنهم أخفوا الحق وقالوا لا نعرف. فإذ هم غير مستحقِّين أن يتعلَّموا الحق وأن يبصروا الطريق الذى يؤدِّي مباشرة إلى كل عمل صالح، فإن المسيح أجابهم: ولا أنا أقول لكم بأيِّ سلطان أفعل هذا. لذلك فإن اليهود لم يعرفوا الحق لأنهم لم يكونوا متعلِّمين من الله، أي من المسيح. أما لنا نحن المؤمنون به فإن المسيح يُظهِر الحق لنا حتى إذا ما قبلنا في ذهننا وقلبنا سره الإلهى المكرّم جدًّا، أو بالحري معرفة السر، وإذا ما حرصنا على إتمام الأمور التى ترضيه، فإننا سوف نملك معه، هذا الذى به ومعه لله الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى أبد الآبدين. آمين.

عظة ١٣٤

مثل الكرم والكرّامين

(لو ٢٠: ٩ـ١٨): " *وَابْتَدَأَ يَقُولُ لِلشَّعْبِ هَذَا الْمَثَلَ: إِنْسَانٌ غَرَسَ كَرْمًا وَسَلَّمَهُ إِلَى كَرَّامِينَ وَسَافَرَ زَمَانًا طَوِيلاً. وَفِي الْوَقْتِ أَرْسَلَ إِلَى الْكَرَّامِينَ عَبْدًا لِكَيْ يُعْطُوهُ مِنْ ثَمَرِ الْكَرْمِ فَجَلَدَهُ الْكَرَّامُونَ وَأَرْسَلُوهُ فَارِغًا. فَعَادَ وَأَرْسَلَ عَبْدًا آخَرَ. فَجَلَدُوا ذَلِكَ أَيْضًا وَأَهَانُوهُ وَأَرْسَلُوهُ فَارِغًا. ثُمَّ عَادَ فَأَرْسَلَ ثَالِثًا. فَجَرَّحُوا هَذَا أَيْضًا وَأَخْرَجُوهُ. فَقَالَ صَاحِبُ الْكَرْمِ: مَاذَا أَفْعَلُ؟ أُرْسِلُ ابْنِي الْحَبِيبَ، لَعَلَّهُمْ إِذَا رَأَوْهُ يَهَابُونَ! فَلَمَّا رَآهُ الْكَرَّامُونَ تَآمَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ: هَذَا هُوَ الْوَارِثُ، هَلُمُّوا نَقْتُلْهُ لِكَيْ يَصِيرَ لَنَا الْمِيرَاثُ. فَأَخْرَجُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ. فَمَاذَا يَفْعَلُ بِهِمْ صَاحِبُ الْكَرْمِ؟ يَأْتِي وَيُهْلِكُ هَؤُلاَءِ الْكَرَّامِينَ وَيُعْطِي الْكَرْمَ لآخَرِينَ. فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: حَاشَا! فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: إِذًا مَا هُوَ هَذَا الْمَكْتُوبُ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. كُلُّ مَنْ يَسْقُطُ عَلَى ذَلِكَ الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ؟* ".

يقول المسيح في موضعٍ ما: يشبه ملكوت السموات كنزًا مخفيًا في حقل (مت١٣: ٤٤)، وليس شيء أكثر تأكيدًا من أنَّ أولئك المحبون للربح ويبحثون عن الكنوز، لا يجدون هذه الأشياء في متناول اليد، ولا أيضًا موضوعة على سطح الأرض، ولكن يجدونها بالحرى مخفية ومدفونة بعيدًا عن الأنظار، وبواسطة الحفر الشاق فقط يجدونها، وبصعوبة يحصلون عليها. تعالوا إذن وهيا بنا نبحث عن معرفة دروس الإنجيل مثلما نبحث عن كنز، هلمَّ نفتّش بعمق عن الأفكار التى تحويها؛ وعندئذ سوف نعثر على ضالَّتنا المنشودة بمعونة المسيح الذى سوف يعلن لنا هذا: لأن فيه مذّخر جميع كنوز الحكمة وأمور المعرفة الخفيَّة (انظر كو٢: ٣)، فهو واهب الحكمة والفهم لكل الخليقة العاقلة.

ماذا يقول المسيح إذن لرؤساء اليهود عندما يطرح أمامهم تلك الأشياء النافعة للخلاص؟ " *إنسان غرس كرمًا وسلَّمه إلى كرامين وسافر زمانًا طويلاً* ".

إذا فحص أى شخص عن معنى ما قيل هنا بعين الذهن الثاقبة، فإنه سوف يجد



كل تاريخ بنى إسرائيل ملخّصًا باختصار في ثنايا هذه الكلمات، لأن المرنم يوضح من هو الذى غرس الكرم، وما الذى يُفهم بالحقيقة عن الكرم المغروس، عندما يقول للمسيح مخلِّص الجميع عن الإسرائيليين: "*كرمة نقلتَ من مصر، طردت أممًا وغرستها، هيأت طريقًا قدامها، وغرست جذورها حتى مَلأت الأرض*" (مز٧٩: ٨و٩س). وأيضًا يُعلن النبي المبارك إشعياء نفس الشيء ويقول: "*كان لحبيبى كرم على أكمة في مكان خصيب*" (إش٥: ١س). ويضيف بعد ذلك ليشرح معنى ما قد قيل سابقًا بشكل غامض: "*إن كَرْم رب الجنود هو رجال يهوذا، غرس جديد ومحبوب*" (إش٥: ٧س). فالذى غرس الكرم إذن هو الله، وهو نفسه الذى سافر بعيدًا لزمان طويل. ولكن إن كان الله يملأ كل الأشياء، ولا يمكن أن يكون غائبًا عن الموجودات بأى حال، فكيف إذن يذهب صاحب الكرم بعيدًا لزمان طويل؟ هذا يعنى أنه بعدما ظهر لهم في شكل نار عند نزوله على جبل سيناء في أيام موسى ــ هذا الذي أعطاهم الناموس كوسيط ــ فإنه لم ينعم عليهم مرّة أخرى بحضوره في صورة مرئية، ولكنه كان يستخدم تشبيهًا مستعارًا من الأمور البشرية، ليبين أنَّ علاقته بهم كانت مثل واحد قد سافر لزمان طويل.

وكما سبق أن قلت إنه سافر، ولكن من الواضح أنه كان يعتنى بكرمه، وكان يفكر فيه باستمرار، لأنه أرسل خدامًا أمناء في ثلاث أوقات مختلفة لكى يتسلموا المحصول، أى الثمر، من الكرامين، فلم تكن هناك مناسبة في هذه الفترة لم يرسل الله في أثنائها أنبياء وصديقين لينذروا بنى إسرائيل، ويحثوهم ليعطوا أثمارًا توافق الحياة المجيدة اللائقة التى حسب الناموس، أما هم فكانوا أشرارًا وعصاة وعنيدين، وتقسَّى قلبهم ضد التحذير، فلم يصغوا بأى طريقة للكلمة التى كان يمكن أن تنفعهم. لأنه حتى النبى إشعياء كواحد كان ــ كأنه مغشيًّا عليه من الأتعاب والمعاناة بدون فائدة ــ يقول: "*يا رب مَن صَدَّق خبرنا؟*" (إش٥٣: ١س). لذلك فباستخفافهم بأولئك الذين قد أُرسلوا إليهم، "*فإنهم قد*

أرسلوهم فارغين" بمعنى أنه لا يوجد شيء حسن يقولونه عنهم لله الذى أرسلهم. وأيضًا فإن النبى إرميا يلوم الشعب اليهودى وحكامه بسبب عجرفتهم الزائدة بقوله: "*لمن أتكلم وأشهد حتى يسمع؟ ها إن آذانهم غير مختونة فلا يقدرون أن يسمعوا، ها إن كلمة الرب قد صارت لهم عارًا، ولا يقبلونها*" (إر١٠:٦س). ويتكلم في موضع آخر عن أورشليم هكذا: "*داوينا بابل فلم تُشفَ، فلنتركها ولنذهب كل واحد إلى أرضه، لأن دينونتها بلغت السماء* " (إر٩:٥١س). وكما قلتُ سابقًا إنه يدعو أورشليم بابل لأنها لم تختلف عن فارس في عدم طاعتها وارتدادها، ولأنها لم تُخضِع نفسها للوصايا المقدسة، وربما لأنها قد حُسبت مثل من لا معرفة له بالله، لأنها اختارت أن تعبُد المخلوق بدلاً من الخالق وتسجد لأعمال يديها، لأن بنى إسرائيل كانوا مذنبين بتهمة الارتداد وعبادة الأوثان. فهذه هى إذن الطريقة التى طَردوا بها بخزي أولئك الذين أُرسلوا إليهم.

أما رب الكرم فإنه يتفكر في نفسه ويقول: "ماذا أعمل"؟ يجب علينا أن نتمعن جيدًا بأي معنى يقول هذا. هل يستخدم صاحب الكرم هذه الكلمات لأن ليس لديه مزيد من الخدام؟ بالتأكيد لا، لأنه لا ينقصه خدام آخرون يتمّمون إرادته المقدسة، ولكن كما يقول طبيب عن شخص مريض، ماذا أعمل؟ إننا نفهم أنه يقصد أنه جَرَّب معه كل وسائل المهارة الطبيَّة ولكن بلا جدوى. وهكذا نحن نؤكد أيضًا أنَّ رب الكرم بعدما أظهر كل لطف وعناية بكرْمه، ولكن بدون أى نفع، فهو يقول: ماذا أعمل؟ وماذا كانت النتيجة؟ ها هو لا يزال يتقدم بطرق أخرى أعظم فيقول: أرسل ابنى الحبيب لعلهم يهابونه. لاحظ في هذا القول إنه أرسل الابن بعد الخدام، ولكن ليس كواحد محسوب ضمن الخدام، بل كابن حقيقى ولذلك فهو الرب. لأنه حتى وإن كان قد أخذ شكل العبد لأجل التدبير، إلاَّ أنه لا يزال إلهًا والابن الحقيقى لله الآب ويملك



السلطان الطبيعي[٢]، هل كرَّموا حينئذ هذا الذى أُرسل كابن ورب، وكمن يملك بالميراث كل ما لله الآب؟ هم لم يكرموه، لأنهم ذبحوه خارج الكرم بعد أن خطَّطوا في أنفسهم هدفًا غبيًّا يدل على الجهل، ومملوء بكل خبث؛ لأنهم قالوا: " *هلمُّوا نقتله لكي يصير لنا الميراث*". ولكن أخبرني أنت كيف تصوَّرتَ هذا؟ فهل أنت أيضًا ابن لله الآب، هل ينحدر إليك الميراث كحق طبيعي؟ وإذا أنت طرحت الوارث خارج الطريق، فكيف تصير سيدًا لهذا الميراث الذى اشتهيته؟ وبالأكثر كيف لا يكون افتراضك هذا سخيفًا، لأن الرب هو بالحقيقة ابن ووارث لسلطان الله الآب بحق جوهره، فإنه عندما صار إنسانًا دعا أولئك الذين آمنوا به إلى مشاركته في ملكوته. أما هؤلاء الناس فأرادوا أن يأخذوا المملكة لأنفسهم وحدهم، دون أن يسمحوا للابن بأي مشاركة له معهم في الميراث، مغتصبين لأنفسهم وحدهم الميراث الرباني. ولكن هدفهم هذا كان مملوءً جهالة ويستحيل تحقيقه، لذلك يقول داود المبارك عنهم في المزامير: " *الساكن في السماء يضحك بهم، والرب يستهزئ بهم*" (مز٢:٤س).

لذلك فإن رؤساء المجمع اليهودي قد طُرحوا خارجًا بسبب مقاومتهم لمشيئة الرب، إذ جعلوا الكرْم الذي استؤمنوا عليه بلا ثمر، لأن الله قد قال في موضع ما: " *رعاة كثيرون أفسدوا كرمي، داسوا نصيبي، جعلوا ميراثي المشتهى برية خربة، جعلوه خرابًا مهجورًا*" (إر١٢:١٠و١١س). وقيل أيضًا بصوت إشعياء: "*قد انتصب الرب للتو للمحاكمة، الرب نفسه سيدخل في المحاكمة مع شيوخ ورؤساء الشعب، وأنتم لماذا أحرقتم كرْمي؟*" (إش٣:١٣و١٤س). وأولئك مثل الذين جَعَلوا الأرض عقيمة، لكونهم أشرار، فإنهم هلكوا بالشرور لأنه من العدل والعدل جدًّا، بما أنهم كسالى وقاتلون للرب فإنهم يكونون فريسة لتعاسات شديدة جدًّا.

---

[٢] أي السلطان الذي يخصه بحسب حقيقة جوهره وليس كشيء مُنح له أو أضيف إليه. وهكذا يلاحظ في كل مكان وباستمرار كيف يدعوه القديس كيرلس بتكرار: " الابن بالطبيعة"، في مقابل الأبناء بالتبني.

وقد أُعطى الكرم إلى كرامين آخرين، من يكون هؤلاء الكرامون؟ إننى أجيب أنهم جماعة الرسل القديسين الكارزين بوصايا الإنجيل، وخُدَّام العهد الجديد الذين هم معلِّمون للعبادة الروحية، والذين عرفوا كيف يُوجِّهون الناس توجيهًا صحيحًا غير ملوم، ويقودوهم بطريقة ممتازة جدًّا نحو كل ما يرضي الله ويسره. وهذا أنت تتعلمه مما يقوله الرب بصوت إشعياء النبى إلى أم اليهود، وهو المجمع: "*وأرد يدى عليكِ، وأمحصكِ لأنقيكِ، وسوف أهدم الذين لا يطيعون، وسوف أنزع منكِ جميع فاعلي الإثم، وسوف أخفض كل من يتشامخ، وأقيم قضاتك كما في الأول، ومشيريك كما في البداءة*" (إش١:٢٥ و٢٦س). ويشير بهؤلاء كما قلت إلى كارزي العهد الجديد، الذين يقول عنهم الرب بفم إشعياء في موضع ما: "*وتُدعون كهنة الرب وخدام الله*" (إش٦١:٦س). أما بخصوص أنَّ الكرم قد أُعطى إلى كرَّامين آخرين، فهذا لا يعني فقط الرسل القديسين، ولكن يُقصد أيضًا الذين أتوا بعدهم، حتى ولو لم يكونوا من نسل إسرائيل، وهذا ما يعلنه الله بوضوح حيث يقول بفم إشعياء لكنيسة الأمم ولبقية إسرائيل: "*ويأتي الغرباء في الجنس ويرعون غنمكم والغرباء في العشيرة سوف يكونون حرَّاثين وكرامين*" (إش٦١:٥س). لأنه في الواقع قد دُعيَ كثيرون من الأمم وقديسون كثيرون منهم قد أُحصوا ضمن من صاروا معلمين ومرشدين، بل وإلى وقتنا هذا يوجد رجال من جنس الأمم يشغلون أمكنة عالية في الكنائس، وهم يزرعون بذار التقوى في المسيح في قلوب المؤمنين، ويجعلون الأمم الذين يقومون برعايتهم مثل كروم جميلة في نظر الله.

وماذا قال الكتبة والفريسيون ــ إذن ــ لمَّا سمعوا المثل. قالوا: حاشا. ومن هذا يمكن أن نلاحظ أنهم قد فهموا المغزى العميق له، فإنهم دفعوا عن أنفسهم الأهوال الوشيكة أن تحدث، وكانوا خائفين من الخطر الآتي، ولكنهم مع ذلك لم يفلتوا منه، لأنهم لم يتخلوا عن عصيانهم، ولم يخضعوا لكى يؤمنوا بالمسيح.



ويستمر الإنجيل قائلاً: إن المسيح " نظر إليهم وقال: *إذن ما هو هذا المكتوب، الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، كل من يسقط على هذا الحجر يترضّض، ومن سقط هو عليه يسحقه*". لأنه، رغم أنّ المخلِّص كان حجرًا مختارًا، إلاّ أنه قد رُفض من أولئك الذين كان واجبهم هو أن يبنوا مجمع اليهود بكل ما كان نافعًا للبناء، إلاّ أنه مع ذلك قد صار رأس الزاوية، والكتاب المقدس يقارن جمع الشعبين معًا ـــ أي إسرائيل والأمم وربطهما معًا، بالزاوية، التي تربط جدارين. لأن المخلِّص قد خلق الشعبين إنسانًا واحدًا جديدًا صانعًا سلامًا وصالح الاثنين في جسدٍ واحد مع الآب (انظر أف٢:١٥و١٦). وهكذا فإن العمل يشبه الزاوية التى تربط حائطين، أى تمسكهما معًا. وهذه الزاوية نفسها، أو جمع الشعبين معًا إلى واحد، هذا ما تعجَّب منه المغبوط داود وقال: " *الحجر الذى رذله البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب صار هذا وهو عجيب في أعيننا*" (مز١١٧:٢٢س) لأن المسيح ـــ كما قلت ـــ قد ربط الشعبين معًا بربط المحبة وباتحاد المشاعر ووحدة الإيمان.

فالحجر يكون إذن أمانًا للزاوية التى تُصنع منه، ولكنه يكون هدمًا وتدميرًا لأولئك الذين ظلُّوا منفصلين عن هذا الاتحاد العقلى والروحى. لأن المسيح يقول: " *إن من يسقط على هذا الحجر يترضّض، ولكن من يقع هو عليه يسحقه* ". فجموع اليهود عندما عثروا في المسيح وسقطوا عليه فإنهم ترضّضوا، لأنهم لم يسمعوا صوت إشعياء القائل: "*قدِّسوا الرب نفسه فيكون خوفكم، ولا تصطدموا به مثل صخرة عثرة أو حجر صدمة*" (إش٨:١٣و١٤س). لذلك فإن الذين لم يؤمنوا انكسروا، أما نحن الذين آمنا به، فإنه قد باركنا، هذا الذى به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

عظة ١٣٥

دفع الجزية لقيصر

(لو ٢٠: ١٩ــ٢٦): "*فَطَلَبَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ أَنْ يُلْقُوا الأَيَادِيَ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَلكِنَّهُمْ خَافُوا الشَّعْبَ لأَنَّهُمْ عَرَفُوا أَنَّهُ قَالَ هذَا الْمَثَلَ عَلَيْهِمْ. فَرَاقَبُوهُ وَأَرْسَلُوا جَوَاسِيسَ يَتَرَاءَوْنَ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ لِكَيْ يُمْسِكُوهُ بِكَلِمَةٍ حَتَّى يُسَلِّمُوهُ إِلَى حُكْمِ الْوَالِي وَسُلْطَانِهِ. فَسَأَلُوهُ: يَا مُعَلِّمُ نَعْلَمُ أَنَّكَ بِالاسْتِقَامَةِ تَتَكَلَّمُ وَتُعَلِّمُ وَلاَ تَقْبَلُ الْوُجُوهَ بَلْ بِالْحَقِّ تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللهِ. أَيَجُوزُ لَنَا أَنْ نُعْطِيَ جِزْيَةً لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟. فَشَعَرَ بِمَكْرِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي؟. أَرُونِي دِينَارًا. لِمَنِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟ فَأَجَابُوا: لِقَيْصَرَ. فَقَالَ لَهُمْ: أَعْطُوا إِذًا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا للهِ للهِ. فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُمْسِكُوهُ بِكَلِمَةٍ قُدَّامَ الشَّعْبِ وَتَعَجَّبُوا مِنْ جَوَابِهِ وَسَكَتُوا* ".

ها مرة أخرى تشتعل عُصبة الفريسيين بغضب غير مكبوح، وهم يُصوِّبون قوس حسدهم ويُصرُّون بأسنانهم على هذا الذى يدعوهم إلى الحياة، وهاهم يهاجمون بوحشية هذا الذى يسعى أن يُخلِّص، والذي أخلى نفسه من مجد الألوهية العالي جدًا ونزل إلى حالتنا، وها هم يتآمرون على موته، هذا الذى صار إنسانًا لكى يُبطِل الموت. والسبب الوحيد الذى منع جسارتهم الوقحة يُوضِّحه لنا الإنجيلي الحكيم بقوله: "*إنهم خافوا الشعب*". لقد فهم أنه لا توجد عندهم أى مشاعر تقوى نحو الله يمكن أن تضبطهم. والوصية التى أُعطِيَت بواسطة موسى والتى تقول بوضوح:" *لا تقتل البريء والبار*" (خر٢٣: ٣) لا تضع لجامًا يمنع عنفهم، إذ هم يراعون مخافة الناس أكثر من مخافة الله.

ولكن ما هو السبب الذى جعلهم يفسحون مجالاً لمثل هذا الغضب الشديد والعنيف؟ يقول (الكتاب): "*إنهم عرفوا أنه قال هذا المثل عليهم*". وما هو المثل؟ واضح أنه المثل الذى أظهر فيه أنهم بسبب كونهم كرّامين أشرار وغير أمناء، فإنهم استهزءوا بالأنبياء القديسين وذبحوهم، هؤلاء الذين أُرسلوا إليهم من الله لكى يحثُّوهم على إكرامه بأن يعطوا ثمارًا روحية وافرة، وبالمثل فإنهم هكذا عملوا بالابن نفسه رب



الكرم، لأنهم قتلوه أيضًا قائلين: " *هذا هو الوارث هلمُّوا نقتله لكي يصير لنا الميراث*". ولكنهم أخطئوا وأثاروا غضب الله عليهم، وقاوموا الشرائع التى من فوق وجلبوا على أنفسهم الغضب الإلهى، وبسبب أنهم أشرار، فقد هلكوا هلاكًا رديًّا ورُفضوا من أن يكونوا كرَّامين، وأُعطىَ الكرم لآخرين. كان هذا هو السبب الذى من أجله تذمَّروا ضد المسيح، ومع ذلك، ألم يكن من واجبهم أن يهربوا من الغضب وأن يتجنَّبوا شراكه، بعد أن عرَّفهم المسيح بما سوف يحدث؟

لقد كان الطريق أمامهم ممهَّدًا وسهلاً لكي يفعلوا هذا. كان عليهم أن يقبلوا الذي يدعوهم إلى الخلاص، وأن يكرِّموا بالإيمان ذاك الذى يُبرِّر الفاجر، الذي يغفر ويحل من كل إثم، وبنعمته التى لا تذكر الشر، يُخلِّص أولئك الواقعين في شراك الخطايا.

أما هؤلاء القوم المجترئون القساة، إذ كانوا متأهِّبين للشر فقط، فلم يبدوا أية رغبة نحو التوبة والرجوع، ولكن بذهنهم المملوء بمكر الشيطان، لجأوا إلى المكائد الشريرة. لقد أخذوا يحيكون شراكًا للمسيح ويخترعون مصيدة ليجدوا علة ضده، ويجمعون حججًا ليتهموه كذبًا، وفى مرارة حقدهم بدأوا يُجهِّزون الكلمات الكاذبة التى نطقوها ضده أمام بيلاطس.

هؤلاء الناس ينتحلون لأنفسهم سمعة الصلاح ويتظاهرون بأنهم أبرار، كمن يستعير قناعًا، بينما هم في الحقيقة أشرار عادمو الأخلاق، وقلبهم ممتلئ من المرارة والإثم وكل كلام كذب. لقد تظاهروا بأنهم أبرار ولطفاء، وتخيَّلوا أنه يمكنهم أن يخدعوا هذا الذي يعرف الأسرار والخفايا، وذلك عندما أضمروا هدفًا معيَّنًا في الفكر والقلب، بينما هم ينطقون بكلمات مخالفة تمامًا لقصدهم، كلمات تخفى وراءها مكرهم الشرير. ربما يكونون قد نسوا الله الذى يقول: " *من ذا الذى يخفى قصده ويغلق على كلماته في قلبه ويظن أنه يخبأها عنِّي؟*" (أى٤٢:٣س). كما يقول سليمان: " *الهاوية والهلاك مكشوفان أمام الرب، كم بالحري أفكار الناس*" (أم١٥:١١س). ولكنك تقترب من المسيح مخلِّص الجميع كما لو كان مجرد إنسان عادي، لذلك فإنك تظن أنك يمكنك أن

تخدعه، كان هذا هو سبب تصرفك الأحمق، لكن كان من الأفضل أن تفكر مليًا أن الكلمة وهو الله قد صار في هيئة بشرية مثلنا، وقد تبرهن بالمعجزات الإلهية والفائقة الوصف وبواسطة مجده الإلهى أنه ليس مجرد إنسان فقط مثلك بل هو إله، كما أظهَرَت ذلك أعماله المجيدة. لقد كان في المظهر إنسانًا مثلنا، ولكنه وهب النظر للعميان، أقام الموتى من قبورهم، وأمر أولئك الذين قد اضمحلوا (بالموت) أن يسرعوا إلى الحياة. لقد انتهر البحار وظهر للتلاميذ ماشيًا على الأمواج حينما كانوا يبحرون في بحيرة طبرية، لقد كان في مقدورهم أن يروا من الحقائق الفعلية أنه لم يكن مجرد إنسان، بل بالأحرى هو إله كما أنه إنسان أيضًا.

ولكنهم لم يقبلوا هذا (الإيمان) في قلوبهم، كيف يمكنهم هذا؟ بل إنهم اقتربوا منه وجرَّبوه مُخفين عنه غرضهم المخادع. وهاهم يخاطبونه بكلمات رقيقة، وهم مثل وحوش كاسرة في ثياب حملان. إن مثل هؤلاء هم الذين يوبخهم داود النبى بقوله: "كلماتهم ألين من الزيت وهى سيوف مسلولة" (مز٥٤:٢١س)، وأيضًا "*لسانهم يخترق مثل طرف سهم حاد، كلمات فمهم خادعة، يتكلم بالسلام لقريبه وفي قلبه يضمر عداوة*" (إر٩:٨س) ولكن ماذا يقولون؟ "*يا مُعلِّم، نعلم أنك بالاستقامة تتكلم وتُعلِّم ولا تقبل الوجوه، بل بالحق تُعلِّم طريق الله، أيجوز أن نعطي جزية لقيصر أم لا؟*" آه من مكرهم الدنس! لأن إله الجميع أراد لبني إسرائيل أن يُعفوا من تسلُّط البشر عليهم، ولكن لأنهم داسوا تحت أقدامهم الوصايا الإلهية، واحتقروا تمامًا الأوامر التى أُعطيَت لهم، ولجأوا إلى المكائد والحيل، فإنهم سقطوا تحت يد أولئك الذين تسلَّطوا عليهم في ذلك الوقت، الذين فرضوا عليهم الجزية والضريبة ونير العبودية القاسي. وإن النبي إرميا يرثى أورشليم كما لو كانت بالفعل قد عانت من هذا المصير بقوله: "*كيف جلست المدينة الكثيرة الشعب وحيدة، السيدة في البلدان صارت تحت الجزية!*" (مراثى١:١س).

لذلك فقد كان هدفهم من هذا (كما يقول الإنجيل)، "*أن يُسلِّموه إلى حُكم الوالي*"، لأنهم توقعوا أن يسمعوه يقول: "بالتأكيد إنه لا يجوز أن تُعطى جزية لقيصر". ولكن



كيف تغلَّب المسيح على مكرهم؟ قال لهم: "*أرونى دينارًا*"، ولما أروه إياه سأل أيضًا: "*لمن الصورة والكتابة التى عليه؟*" فأجابوا وقالوا: "لقيصر"، وبماذا أجاب المسيح على ذلك؟ "*قال لهم، أعطوا إذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله*"، لأن الحُكَّام القائمين على حكم الشعوب، من عملهم أن يفرضوا ضريبة من المال على رعاياهم، أما الله فلا يبغى شيئًا من الأشياء القابلة للفساد، الزائلة، ولكن يريد بالأحرى، الطاعة والخضوع، يريد الإيمان والمحبة والرائحة الحلوة التى للأعمال الحسنة. كان من الواجب على بنى إسرائيل أن يُقدِّموا هذه الأشياء للرب، ولكنهم كانوا مهملين ويزدرون بهذه الأمور ويحتقرونها، كما كانوا مستعدين أن يذهبوا بأنفسهم إلى كل ما هو وضيع.

لذلك فقد تعجبوا من إجابته، وكان هذا أمام جميع الشعب، أي أمام شهود كثيرين، ومع ذلك ــ وكأنهم قد تناسوا هذه الأمور ــ فعندما قادوا يسوع إلى بيلاطس فإنهم أتوا بنفس هذا الاتهام عليه، لأنهم قالوا: "*وجدنا هذا الرجل يُفسد الأمة ويمنع أن تُعطى جزية لقيصر*" (لو٢٣:٢). إنك تتعجب من إجابته، ولا يمكنك أن تخدعه، لقد رجعتَ خازيًا، وكيف جعلتَ شركَ نفسه نقطة اتهام ضده؟ ماذا قال المُخلِّص عنهم بصوت المرنم: "*لأنهم بلا سبب أخفوا لي هلاك شبكتهم، بلا سبب عيَّروا نفسي، لتأتهم التهلكة وهم لا يعلمون، ولتمسكهم الشبكة التى أخفوها لي وليقعوا في فخهم نفسه*" (مز٣٤:٧و٨س). إنهم حقًّا سقطوا، إذ لما سلموا يسوع إلى بيلاطس فإنهم هم أنفسهم سلموا أنفسهم للهلاك، وأهلكهم العدو الرومانى بالنار والسيف وأحرق كل أرضهم، حتى الهيكل المجيد الذى كان بينهم (صار خرابًا).

كان هذا مجازاة تصرفهم الأثيم نحو المسيح، فلنتحاش بحرص هذه الخطايا، وأن نُكرم بالإيمان كلمة الله، الذى من أجلنا صار إنسانًا، وأن نكون مجتهدين في تعظيمه بتسابيح لا تنقطع، الذى به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

عظة ١٣٦

حديث الرب مع الصدوقيين بخصوص قيامة الأموات

(لو ٢٠: ٢٧-٣٨): *" وَحَضَرَ قَوْمٌ مِنَ الصَّدُّوقِيِّينَ الَّذِينَ يُقَاوِمُونَ أَمْرَ الْقِيَامَةِ وَسَأَلُوهُ: يَا مُعَلِّمُ كَتَبَ لَنَا مُوسَى: إِنْ مَاتَ لأَحَدٍ أَخٌ وَلَهُ امْرَأَةٌ وَمَاتَ بِغَيْرِ وَلَدٍ يَأْخُذُ أَخُوهُ الْمَرْأَةَ وَيُقِيمُ نَسْلاً لأَخِيهِ. فَكَانَ سَبْعَةُ إِخْوَةٍ. وَأَخَذَ الأَوَّلُ امْرَأَةً وَمَاتَ بِغَيْرِ وَلَدٍ. فَأَخَذَ الثَّانِي الْمَرْأَةَ وَمَاتَ بِغَيْرِ وَلَدٍ. ثُمَّ أَخَذَهَا الثَّالِثُ وَهَكَذَا السَّبْعَةُ. وَلَمْ يَتْرُكُوا وَلَدًا وَمَاتُوا. وَآخِرَ الْكُلِّ مَاتَتِ الْمَرْأَةُ أَيْضًا. فَفِي الْقِيَامَةِ لِمَنْ مِنْهُمْ تَكُونُ زَوْجَةً؟ لأَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَةً لِلسَّبْعَةِ!. فَأَجَابَ يَسُوعُ: أَبْنَاءُ هَذَا الدَّهْرِ يُزَوِّجُونَ وَيُزَوَّجُونَ. وَلَكِنَّ الَّذِينَ حُسِبُوا أَهْلاً لِلْحُصُولِ عَلَى ذَلِكَ الدَّهْرِ وَالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ. إِذْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمُوتُوا أَيْضًا لأَنَّهُمْ مِثْلُ الْمَلاَئِكَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ اللهِ إِذْ هُمْ أَبْنَاءُ الْقِيَامَةِ. وَأَمَّا أَنَّ الْمَوْتَى يَقُومُونَ فَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ مُوسَى أَيْضًا فِي أَمْرِ الْعُلَّيْقَةِ كَمَا يَقُولُ: اَلرَّبُّ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهُ إِسْحَاقَ وَإِلَهُ يَعْقُوبَ. وَلَيْسَ هُوَ إِلَهَ أَمْوَاتٍ بَلْ إِلَهُ أَحْيَاءٍ لأَنَّ الْجَمِيعَ عِنْدَهُ أَحْيَاءٌ ".*

الجهالة يصحبها التهوُّر عادة، وهي تؤدي بالناس إلى أن يُعلِّقوا أهمية كبرى على أوهامهم البائسة، وهكذا فإن أولئك الذين هم ضحايا لهذا الداء، عندهم فكرة عظيمة عن أنفسهم ويتصورون أنهم يملكون معرفة لا يستطيع أحد أن يُنكرها. ويبدو أنهم قد نسوا قول سليمان: " *لا تكن حكيمًا في عيني نفسك* " (أم٣: ٧)، أي بحسب حُكمك الشخصي، وأيضًا إن الحكمة التي لا تُمحَّص تضل الطريق. فإنه ليس بالضرورة أن تكون آراؤنا صحيحة عن كل تعليم نعتقد به، إذ ربما يحدث أن نحيد عن الطريق الصحيح فنخطئ، ونسقط في ما هو غير مناسب، ولكن، أظن أنه من الصواب إذا مارسنا حكمًا نزيهًا وبلا تحيُّز، وبغير استسلام لاندفاع العواطف، فإننا يجب أن نحب الحق ونسعى إليه باشتياق.



أما الصدوقيون الأغبياء، فإنهم لا يعطون احترامًا لمثل هذه الأفكار. كان الصدوقيون شيعة من اليهود، وقد أوضح لنا لوقا ما هو رأيهم الذى كانوا يفكرون به من جهة قيامة الأموات، فيكتب في أعمال الرسل: " *لأن الصدوقيين يقولون إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح، وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك*" (أع٢٣:٨). لذلك، قد حضر قوم منهم إلى المسيح مخلِّصنا جميعًا ــ الذي هو الحياة والقيامة ــ وحاولوا أن يدحضوا (عقيدة) القيامة؛ ولأنهم قوم ممتلئون بالخزى وغير مؤمنين، فإنهم اخترعوا قصة مفعمة بالجهالة ومملوءة بالافتراضات السخيفة، محاولين بخبث أن يلغوا رجاء العالم كله. إننا نؤكد أنَّ رجاء العالم كله هو القيامة من الأموات، الذين صار المسيح هو البكر والباكورة[٣] بالنسبة لهم، ولذلك فإن الحكيم بولس أيضًا إذ يجعل قيامتنا معتمِدة على قيامته فإنه يقول: " *إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام*" (١كو١٥:١٦)، ثم يضيف إلى ذلك أيضًا، كما لو كان يمتد بالفكر المضاد إلى نهايته: " *إن كان المسيح قد قام من الأموات، فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة من الأموات؟*" (١كو١٥:١٢)، والذين يقولون هذا كانوا هم الصدوقيون الذين نتكلم عنهم الآن.

ولكن دعنا نفحص ــ إن أردتم ــ هذه الرواية المزيَّفة التي بلا معنى التي صاغوها. يقولون كان سبعة إخوة وصاروا على التوالى أزواجًا لامرأة واحدة بحسب متطلّبات ناموس موسى، ثم ماتت هى أيضًا بدون أولاد، ففى القيامة لمن منهم تكون زوجة؟ إن السؤال الذى يطرحونه، هو بلا معنى، كما أنه لا يتوافق بأي حال مع الكتب الموحَى بها، وإجابة مخلِّصنا فيها تكفي تمامًا لإثبات حماقة روايتهم. وتجعلنا نرفض خيالهم المزيَّف، كما نرفض الفكرة التى تأسَّس عليها.

وأظن أنه من الصواب أن نتَّهمهم بأنهم يقاومون ــ بغباء، الكتب الموحى

[٣] بناء على قول الرسول " المسيح قام من الأموات وصار باكورة الراقدين " (١كو١٥:٢٠).



بها، وأن نُوضِّح أنهم قد جانبوا الصواب تمامًا وابتعدوا عن المعنى الذى تعلّمه الكتب المقدسة. تعالوا ودعونا نرى ماذا قالت جماعة الأنبياء القديسين بخصوص هذا الموضوع، وما هي التصريحات التي أعلنها رب الجنود بواسطتهم. إنه يقول عن أولئك الراقدين: *"من يد الهاوية أُخلِّصهم، من الموت أفديهم، أين قوّتك يا موت؟ أين شوكتكِ يا هاوية"* (هو١٣: ١٤س). أما بخصوص المقصود بقوة الموت وبشوكته أيضًا، فإن المبارك بولس قد علَّمه لنا بقوله: *"أما شوكة الموت فهي الخطية، وقوة الخطية هي الناموس "* (١كو١٥: ٥٦)، لأنه يقارن الموت بالعقرب، الذي شوكته هي الخطية، لأنه بسمه يقتل النفس، ويقول إن الناموس هو قوَّة الخطية. ويتعرض (القديس بولس) هو نفسه ثانية في موضع آخر ويقول: *"لم أعرف الخطية إلاّ بالناموس"* (رو٧: ٧)، *"إذ حيث ليس ناموس ليس أيضًا تعدٍّ"* (رو٤: ١٥). ولهذا السبب فإن المسيح أخرج أولئك الذين يؤمنون به من تحت سيادة الناموس الذى يدين، وقد أبطل أيضًا شوكة الموت، أي الخطية، وإذ قد أبطل الخطية، فإن الموت بالتالي ـــ كنتيجة حتمية ـــ قد بطل، لأنه نتج عنها وبسببها دخل الموت إلى العالم.

وكما إنَّ الله قد أعطى الوعد: *"أُخلِّصهم من يد الهاوية ومن الموت أفديهم"*، هكذا أيضًا فإن الأنبياء القديسين يتوافقون مع الأحكام الصادرة من فوق، لأنهم يكلموننا، ليس *" برؤيا قلبهم، ولا من مشيئة إنسان، ولكن من فم الله"* (انظر إر٢٣: ٢٦) كما هو مكتوب، طالما أنَّ الروح القدس هو الذى يتكلّم فيهم (انظر ٢بط١: ٢١) هو الذى يُعلن في كل أمر ما هو حكم الله وما هى مشيئته المقتدرة وغير القابلة للتغيير. لذلك يقول لنا إشعياء النبى: *"تحيا أمواتك، وأولئك الذين في القبر سيقومون، والذين في الأرض سيبتهجون، لأن طلَّك هو شفاء لهم"* (إش٢٦: ١٩س). وأنا أعتقد أنَّ النبي يقصد بالطلِّ قوة الروح القدس المحيية، وذلك التأثير الذى يلاشي الموت، لأنه قوّة الله وقوّة الحياة.

ويقول أيضًا داود المبارك في موضع ما في المزامير عن كل ما على



الأرض: "*تنزع روحهم فيموتون وإلى ترابهم يعودون، تُرسِل روحك فيُخلقون وتجدد وجه الأرض*" (مز١٠٣: ٢٩س). هل تسمع أنَّ نعمة الروح القدس العاملة والمحيية سوف تُجدِّد وجه الأرض، ويقصد بوجه الأرض جمالها، ويُفهم بذلك أنَّ جمال الطبيعة البشرية سوف يكون على غير فساد، لأنه مكتوب: "*يُزرع في فساد ويُقام في عدم فساد، يُزرع في ضعف ويُقام في قوة، يُزرع في هوان ويُقام في مجد*" (١كو١٥: ٤٢و٤٣). ومرة أخرى فإن النبى إشعياء يؤكد لنا أنَّ الموت الذي دخل بسبب الخطية لا يحتفظ بقوَّته على ساكني الأرض إلى الأبد، ولكنه يتلاشى بقيامة المسيح من بين الأموات، وهو الذي يُجدِّد العالم ويعيد تشكيله إلى ما كان عليه في البداءة، كما هو مكتوب: "*لأن الله خلق جميع الأشياء لعدم فساد*" (حكمة١: ١٤). فالنبى إشعياء يقول: "*يبلع الموت بعد أن قوى جدًّا، ويمسح الرب الدموع عن كل الوجوه، وينزع عار الشعب عن كل الأرض*" (إش٢٥: ٨س). والآن هو يُسمِّي الخطية عار الشعب، وهذه عندما تُبطل، فإن الموت أيضًا يُبطل معها، والفساد يتلاشى، وإذ يأتى به إلى نهاية، فإنه ينزع الدموع من الجميع، والنوح أيضًا ينتهي، فلا يكون للناس سبب فيما بعد يجعلهم يبكون وينوحون.

هذا يكفي لبحثنا بخصوص تفنيد كُفر اليهود. ولكن دعنا نرى أيضًا ماذا قال المسيح لهم: أبناء هذا الدهر يُزوِّجون ويُزوَّجون، أما أولئك الذين عاشوا حياة كريمة ومختارة وممتلئة من كل سمو، وقد حُسبوا أهلاً أن يبلغوا قيامة مجيدة ورائعة، فهم بالضرورة يرتفعون فوق الحياة التى يحياها أبناء هذا الدهر، لأنهم سيعيشون كما يليق بقديسين قريبين لله، فهم يكونون مثل الملائكة وهم أبناء الله. وحيث إنه يكون قد انتُزع منهم كل شهوة جسدية، ولم يعد يوجد موضع باقٍ فيهم للذة الجسدية، فإنهم يشبهون الملائكة القديسين، وهم يُكملون خدمة روحانية وليست مادية ـــ كما يليق بالأرواح المقدسة، وفى نفس الوقت يكونون مستحقين لمِثل هذا المجد الذى تتنعم به الملائكة.



وقد أظهر المخلِّص أيضًا جهل الصدوقيين العظيم بأن استشهد لهم بمعلم أقداسهم موسى، الذى كان مطلعًا جيدًا على أمر القيامة من الأموات. فإنه يضع أمامنا الله الذى يقول من العليقة: " *أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب*" (خر٣:٦). ولكن لمن يكون إلهًا إذا كان بحسب ادعائهم إنَّ هؤلاء لم يعودوا أحياء؟ فهو إله أحياء. لذلك فبالتأكيد ــ وبكل ما في الكلمة من معنى ــ سوف يقومون عندما تقيمهم يمينه المقتدرة، وليس هم فقط، بل أيضًا جميع الذين على الأرض.

أما القوم الذين لا يؤمنون بأن هذا سوف يحدث، فإنه يليق بهم جهالة الصدوقيين، وهم لا يستحقون على الإطلاق (أن يُحسبوا ضمن) أولئك الذين يُحبون المسيح. أما نحن فنؤمن بالقائل: " *أنا هو القيامة والحياة*" (يو١١:٢٥). لأنه سوف يقيم الأموات "*في لحظة، في طرفة عين، عند البوق الأخير، فإنه سيبوّق، والأموات في المسيح سوف يقومون في عدم فساد، ونحن نتغير*" (١كو١٥:٥٢)، لأن المسيح مخلِّصنا جميعًا سوف ينقلنا إلى عدم فساد وإلى مجد وإلى حياة غير مضمحلة، هذا الذى به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.



عظة ١٣٧

أ) المسيح وداود

ب) التحذير من معلّمي الناموس

(لو ٢٠: ٤١ـ٤٧): "*وَقَالَ لَهُمْ: كَيْفَ يَقُولُونَ إِنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ دَاوُدَ. وَدَاوُدُ نَفْسُهُ يَقُولُ فِي كِتَابِ الْمَزَامِيرِ: قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي. حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. فَإِذًا دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا. فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟. وَفِيمَا كَانَ جَمِيعُ الشَّعْبِ يَسْمَعُونَ قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: احْذَرُوا مِنَ الْكَتَبَةِ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ الْمَشْيَ بِالطَّيَالِسَةِ وَيُحِبُّونَ التَّحِيَّاتِ فِي الأَسْوَاقِ وَالْمَجَالِسَ الأُولَى فِي الْمَجَامِعِ وَالْمُتَّكَآتِ الأُولَى فِي الْوَلاَئِمِ. اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ وَلِعِلَّةٍ يُطِيلُونَ الصَّلَوَاتِ. هؤُلاَءِ يَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ!* ".

أولئك الذين يُحبون التعلُّم ويميلون للاستماع، يَقبلون بفرح كلمة الله النافعة، ويحفظونها ويخبئونها في خزانة قلبهم مثل بذرة حياة. وما هى نتيجة فعلهم هذا؟ إنَّ النور الإلهي يشرق عليهم، ويحظون بمعرفة صحيحة لا تخطئ للوصايا المقدسة، وهذه تسرع بهم إلى الحياة، كما يعلِّمنا الابن نفسه حيث يقول لله الآب السماوي: "*وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته*" (يو١٧: ٣).

لذلك، أقول لكم، أُنظروا إلى ذاك الذى هو المانح لنا كل حكمة وفهم، أي المسيح، وهو يحاول أن يغرس هذه البركة العظيمة التى لا تُقدَّر في أولئك الذين ــ قبل كل شيء ــ هم رؤساء اليهود، أقصد الكتبة والفريسيين، لأنه كان من الصواب ــ إذ هم رعاة ومعلمو وقادة الشعب ــ أن لا يخفى عليهم سرّه، الذى أعلنه ناموس موسى منذ القديم، وهو يصفه (السر) بالرمز وبالظل بطرق متعددة، والذى علمه جماعة الأنبياء القديسين العظماء الأماجد. لأجل هذا السبب فإن المسيح يُدعى مُكمِّل الناموس والأنبياء (انظر رو١٠: ٤).

لهذا السبب، فإن المخلِّص سألهم قائلاً: "*كيف يقولون إن المسيح ابن داود، وداود نفسه يقول في كتاب المزامير: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك. فإذن داود يدعوه ربًا، فكيف يكون ابنه؟*" إن الإيمان هو بدء الفهم، لأنه يقول: "*إن لم تؤمنوا فلن تفهموا*" (إش٧:٩س)، ولكن فحص الحقائق الهامة يؤدِّي إلى الخلاص. إننا نعترف بأن عمانوئيل هو ابن داود وهو ربّه أيضًا، إن كان أحد يريد أن يتعلم ما هي الطريقة التي يفهم بها هذا الإيمان، فإنه يجب عليه بالضرورة أن يلجأ إلى فحص سر المسيح، فحصًا دقيقًا وبلا لوم. (هذا السر) الذى كان مكتومًا منذ تأسيس العالم ولكن أُظهِر في الأزمنة الأخيرة (انظر رو١٦: ٢٥و٢٦؛ و١بط١: ٢٠).

لم يجب الفريسيون على سؤال المسيح؛ وقد فعلوا هذا بخبث، أو بالأحرى ضد أنفسهم، لئلا إذا ما نخسهم السؤال تشرق عليهم كلمة الخلاص، لأنهم لم يكونوا يريدون أن يعرفوا الحق، ولكن إذ كانوا يريدون بِشرِّهم أن يستولوا لأنفسهم على ميراث الرب، فإنهم أنكروا الوارث، أو بالأحرى قتلوه بِشرِّهم. لأنه بسبب حب السلطة والطمع في المال، وبسبب أرباحهم الدنيئة، فإنهم رفضوا الإيمان، لأنهم في إحدى المرات تناولوا حجارة ليرجموه، وعندما سألهم عن سبب عنفهم أجابوا بحماقة: "*لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديف، فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا*" (يو١٠:٣٣). وفي مناسبة أخرى دعوه سامريًّا وشريب خمر وسكيرًا وابن النجار، وهم يقصدون بهذه الأوصاف أنه شخص حقير ووضيع المولد. ولا تتعجب من هذا، فإنهم تجاسروا أن يُشنِّعوا بميلاده بالجسد من العذراء القديسة بقولهم بصورة غامضة ولكن بمرارة: "*نحن لم نولد من زنا*" (يو٨:٤١).

ولكي ينزع المسيح منهم عادة التفكير والكلام عليه بازدراء واحتقار فإنه سألهم قائلاً: "*كيف يقولون إن المسيح ابن داود؟*" ولكنهم كما نوَّهت لكم للتو، التزموا الصمت بدوافع ماكرة، وبهذا حكموا على أنفسهم بأنهم غير مستحقين للحياة الأبدية ولا لمعرفة الحق.



ونحن أيضًا نضع أمام فريسيِّي الأيام الأخيرة[4] سؤالاً مشابهًا، دع هؤلاء ــ الذين ينكرون أنَّ هذا الذي وُلِد من العذراء القديسة هو الابن الحقيقي لله الآب وهو نفسه الله، ويقسمون المسيح الواحد إلى ابنين؛ أقول دعهم يشرحون لنا بأى طريقة يكون ابن داود هو ربه، وكيف أنه وهو إنسان تَكُون ربوبيته إلهية، لأن الجلوس عن يمين الآب هو تأكيد للمجد الفائق وعربون له، لأن الذين يشاركون نفس العرش هم متساوون في الكرامة، والذين يُتوَّجون بكرامات متساوية يُفهم طبعًا أن يكونوا متساوين في الطبيعة. فالجلوس مع الله لا يمكن أن يعني شيئًا آخر سوى السلطان المُهيمِن، كما أنَّ العرش يكشف لنا أنَّ له السلطان على كل شئ، وأيضًا له الرفعة الكاملة بحق جوهره. كيف إذن يكون ابن داود هو رب داود ويجلس أيضًا عن يمين الله الآب وعلى عرش الألوهة؟ أليس هذا هو بحسب كلمة السر الحقيقية: أي إنَّ الكلمة وهو الله، ومولود من نفس جوهر الله الآب، وهو مماثل له ومساوٍ له؛ صار جسدًا، أى صار إنسانًا كاملاً، لكن بدون أن يترك الامتياز الذي لا يُقارَن الخاص بالكرامات الإلهية، وهو لا يزال مستمرًا بالحري في الحالة التي كان فيها منذ الأزل، وهو لا يزال إلهًا مع أنه صار جسدًا وفى الشكل مثلنا. لذلك فهو رب داود بحسب مجده الإلهي وبحسب طبيعته وربوبيته الكاملة؛ ولكنه ابن داود بحسب الجسد.

لذلك أقول إنه كان من واجب رؤساء اليهود الذين يفتخرون كثيرًا بمعرفتهم بالشرائع الإلهية، ألاَّ يَدَعوا كلمات الأنبياء القديسين تفوت عليهم، لأن المبارك إشعياء يقول: " *ها العذراء تحبل وتلد ابنًا ويدعون اسمه عمانوئيل، الذى تفسيره الله معنا* " (إش٧: ١٤س، مت١: ٢٣). أما الكلمة فكان معنا كإله عندما أخذ شبهنا، ولم يحتقر الحالة الوضيعة التى للجنس البشرى، كي يخلِّص جميع من هم تحت السماء. ومكتوب أيضًا " *وأنت يا بيت لحم بيت أفراته، لست الصغرى بين ألوف يهوذا، لأن منك يخرج الذي يكون رأسًا (متسلِّطًا) على إسرائيل* " (مى٥: ٢س)، لأن بيت لحم كانت صغيرة بالفعل ومن جهة كثافة اليهود فيها، فقد كان سكانها قليلين جدًّا، ومع ذلك خرج منها المسيح

[4] يقصد أتباع نسطور.



ـ لمَّا وُلِد فيها من العذراء القديسة ـ لا كمن هو خاضع لظلال الناموس، بل بالحري كسيد للناموس والأنبياء.

لذلك فنحن لم نتبع جهالة الناس ولا حداثة كلامهم الأحمق؛ لئلا نسقط معهم في ذهن مرفوض، بل نُشرك أنفسنا بالحري في التعاليم النقية التي للرسل القديسين والبشيرين الذين أوضحوا لنا في كل مكان، أنَّ المسيح مخلِّص الكل هو في نفس الوقت ابن داود وربه بالطريقة التى وصفتها لكم منذ قليل.

لذلك فإنه يوجد رب واحد، إيمان واحد، معمودية واحدة (أف٤:٥)، رب واحد قد اشترانا، "*لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب، بل بدم نفسه*" كما هو مكتوب (١بط١:١٨)، حتى نعبده، وبه ومعه نعبد الله الآب، لأن لنا فيه وبواسطته قدومًا إلى الآب (انظر أف٢:١٨).

ولكن كما قلت لكم فإن رؤساء اليهود لم يراعوا الحق على الإطلاق، وإذا أراد أحد أن يعرف ما هو سبب كرههم الفظيع للتعلُّم، فليسمع السبب منِّي: إنه تصميمهم عن ألاَّ يتخلوا عن محبة المديح المغروسة فيهم، ولا أن يهجروا شهوتهم الملعونة للربح. والمخلِّص نفسه وبَّخهم مرة بقوله: "*كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدًا بعضكم من بعض، والمجد الذى من الإله الواحد لستم تطلبونه*" (يو٥:٤٤). لقد كان من واجبهم أن يطلبوا المجد الذي من الله لا المجد الذي من الناس، لأن مجد الناس وقتي ويتلاشى مثل الحلم.

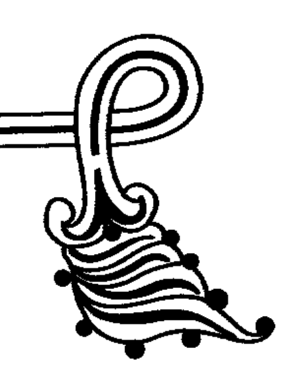
ولذلك، فللفائدة، من أجل أن يحفظ جماعة التلاميذ القديسين أنقياء من مثل هذه الأخطاء الشائنة، فإنه يشهد لهم قائلاً: "*احذروا من الكتبة والفريسيين*". أى لا تُعرِّضوا أنفسكم لأن تكونوا فريسة لرذائلهم، ولا أن تكونوا شركاءهم في استخفافهم بالله. فماذا كانت عادتهم؟ فقد كانوا يسيرون في الطرق وهم متزيِّنون حسناً، ويجلبون لأنفسهم كرامة طنَّانة، حتى ينالوا مديح أولئك الذين ينظرونهم. وبينما هم أشرار وقلبهم ممتلئ من عدم الاستقامة، فإنهم ينسبون لأنفسهم ـ كذبًا ـ سمعة التقوى،



والأخلاق الحسنة التى لا وجود لها فيهم في الواقع. فإنهم يجتهدون أن يطيلوا صلواتهم بكلمات كثيرة مفترضين أنه ربما لو لم يستعملوا كلمات كثيرة، فإن الله لن يعلم ما هى طلباتهم. وأمَّا مخلِّص الجميع، فإنه لم يسمح للذين يعبدونه أن يفعلوا مثل ذلك، فيقول: " *حينما تصلون لا تُكرِّروا الكلام باطلاً كالأمم، لأنهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يُستجاب لهم* " (مت٦:٧)، ولكنه أوصاهم أن يكونوا متواضعين غير محبِّين للافتخار، وأن لا يعطوا أي اعتبار لحب المجد الباطل، ولكن أن يطلبوا بالأحرى الكرامة التى تأتي من فوق من الله. وبهذا فإنه يودع فيهم معرفة سرِّه؛ وهكذا فإنه يُجهِّز الذين سوف يُرشدون الآخرين لأن يحوزوا معرفة صحيحة وبلا لوم للتعاليم المقدسة، وهكذا فهو يجعلهم يعرفون كيف أنَّ ابن داود هو أيضًا رب داود، الذين معهم (مع الرسل) نحن نضع أنفسنا أيضًا، إذ يضيئ علينا الله الآب بنور إلهي في المسيح، الذي به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

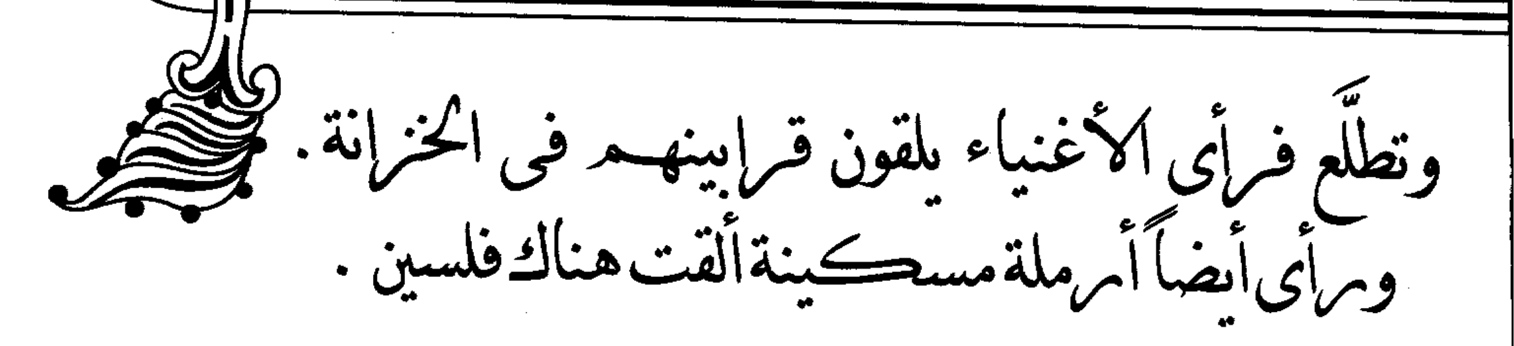






(أيقونة تصور الأرملة التى القت فلسيين فى الخزانة)

الأصحاح الحادى والعشرون



وتطلَّع فرأى الأغنياء يلقون قرابينهم فى الخزانة .
ورأى أيضاً أرملة مسكينة ألقت هناك فلسين .

الأصحاح الحادي والعشرون

عظة ١٣٨

المرأة صاحبة الفلسين

(لو ٢١: ١ـــ٤): " *وَتَطَلَّعَ فَرَأَى الأَغْنِيَاءَ يُلْقُونَ قَرَابِينَهُمْ فِي الْخِزَانَةِ. وَرَأَى أَيْضًا أَرْمَلَةً مِسْكِينَةً أَلْقَتْ هُنَاكَ فَلْسَيْنِ. فَقَالَ: بِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هذِهِ الأَرْمَلَةَ الْفَقِيرَةَ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْجَمِيعِ. لأَنَّ هؤُلاَءِ مِنْ فَضْلَتِهِمْ أَلْقَوْا فِي قَرَابِينِ اللهِ وَأَمَّا هذِهِ فَمِنْ إِعْوَازِهَا أَلْقَتْ كُلَّ الْمَعِيشَةِ الَّتِي لَهَا* ".

اليوم ينفتح أمامنا منظر من مناظر التقوى، مع يسوع كحكَم قانوني للمباريات، والذي بقرار عادل يُوزّع الأوسمة والنياشين للذين دعوا للمشاركة في السباق. والأشخاص الذين تُقدمِّهم لنا هذه المباريات ليحوزوا على إعجابنا، ليسوا هم عازفى قيثارات ولا هم مصارعين مهرة، ولا هم أيضًا ممن اعتادوا أن ينالوا المجد بواسطة أصوات المزمار الرخيمة، بل هم بالأحرى من أولئك الذين تفضّل مخلِّص الكل وتنازل وكرَّمهم بسبب أنه يحب البر. إن أكثر صفوة مكرَّمة بين هؤلاء والمُفضّلون عن كل الآخرين، هم أولئك الرحماء وذوو العطف الذين يشهد لهم المخلِّص نفسه بقوله: "*طوبى للرحماء لأنهم يُرحمون*" (مت٥: ٧).

هؤلاء كان المسيح يراقبهم وهم يلقون قرابينهم في الخزانة، لأننا هكذا سمعنا الإنجيلى القديس يُعلن لنا ذلك هنا. لكن أي فم سيكفي لأولئك الذين يُسبِّحون إله الكل! وكما يقول الكتاب " *مجد الرب إخفاء الكلمة*" (أم٢٥: ٢س)، لأنه يستحيل أن نُسبّح لطفه الفائق وعظمة محبته للبشرية التى لا تُقارن كما يحق لهما، فهو ينسب لنفسه ويحسبه كقرابين، كل ما نفعله للإخوة الذين أضناهم الفقر، لأنه قال: " *الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء*

الأصاغر، فبي فعلتم" (مت٢٥: ٤٠)، ومكتوب: " *من يُحسن إلى الفقير يُقرض الرب* ". وعن هذا يُعبِّر أحد القديسين عن إعجابه، بطريقة جميلة جدًّا بقوله في أحد المواضع، بل بالأحرى يقول لكل بني البشر: " *إن كنت بارًا فماذا تعطيه؟ أو ماذا يأخذه من يدك؟ لرجلٍ مثلك شرّك، ولابن آدم برّك* " (أي٣٥: ٧و٨). لذلك كما قلتُ (من قبل) إن أعمالنا وأفعالنا تُعمل لمن هم رفقاؤنا وإخوتنا، ولكن الله يأخذها لنفسه لأنه محب للبشر، ويحسبها كثمر روحي، وذلك لكيما تكون له فرصة ليُظهر رحمة لأولئك الذين اعتادوا التصرُّف هكذا، ولكي يعتقهم من كل خطية، لأنه مكتوب: " *الرحمة تفتخر على الحكم* " (يع٢: ١٣).

لذلك ــ لو سمحتم ــ ليتنا نراقب جهاد الرحماء ونرى ما هى طبيعته، ولمن بالأساس يُخصِّص المخلِّص استحساناته ومدحه بواسطة قراره المقدس والإلهي. لقد تقدَّم بعض الأغنياء وهم جالبين معهم عطاياهم التى جهَّزوها وألقوا قرابينهم في الخزانة، ولكونهم يمتلكون ثروة كبيرة وغنى وافرًا، فإن العطايا التى قدَّمها كل واحد ــ كما يبدو ــ كانت كبيرة في حد ذاتها، ولكنها من الناحية الأخرى صغيرة لا تتناسب مع دخل مقدِّميها. ثم جاءت بعدهم امرأة منضغطة في فقر مدقع لا يُحتمل، والتى كل رجاء معيشتها يكمن في عطف المحسنين، ومن الفتات كانت تجمع بصعوبة ومشقة مؤونة ضئيلة وتافهة تكفى بالكاد لقوت اليوم، وأخيرًا (بعد كل الأغنياء) قدَّمت هذه المرأة فلسين، لأنه لم يكن في مقدورها أن تُقدِّم أكثر من هذا، وإن جاز القول - فإنها جرَّدت نفسها من كل ما لديها، وغادرت الرواق المقدس بيدين خاويتين. يا لهذا العمل العجيب والمدهش! المرأة التى على الدوام تطلب من الآخرين صدقة، تقرض الله، جاعلة حتى الفقر في حد ذاته مثمرًا لإكرام الله. لذلك فقد فازت على الآخرين وتكلَّلت من قِبل الله بجزاء عادل.

لكن ربما يضايق هذا الكلام بعضًا من الأغنياء، ولذلك سنوجِّه لهم ملاحظات قليلة. أنت تبتهج أيها الغني بوفرة ممتلكاتك، نصيبك خصب أكثر



ممَّا تتطلبه احتياجاتك الضرورية. أنت تحصد حقولاً ومقاطعات، ولك حقول كروم كثيرة وواسعة وبساتين محمَّلة بما لذَّ وطاب حتى فَقَدَت مذاقها بسبب التأخُّر وضياع موسم جمعها، ولك معاصر وبيادر ومواشي لا حصر لها، وبيت جميل مبني بثمن عظيم وفيه مخازن كثيرة وملابس منسوجة بألوانٍ مختلفة، وأخيرًا أنت لا تُقدِّم بما يتناسب مع دخلك؛ حتى إنك عندما تعطي، فلن تفقد قط سوى القليل جدًّا من غناك الوافر. أمَّا تلك المرأة فقد قدَّمت فلسين، وهى لم تكن تمتلك شيئًا أكثر مما قدمته؛ إذ لم يعد يتبقَ لديها شيء بعد الفلسين، وخرجت من الخزانة بيدين فارغتين، ولكنهما يدين سخيتين، فقد قدمت كل ما تملكه. ألا يحق لها لأجل ذلك أن تفوز بالإكليل؟ ألم تكن تحق لها الأفضلية بمقتضى قرار مقدس؟ أما تفوَّقَت هي على سخائك (أيها الغني)، على الأقل من جهة استعدادها؟

إن الحكيم بولس يكتب أيضًا شيئًا من هذا القبيل: " *لأنه إن كان النشاط موجودًا فهو مقبول على حسب ما للإنسان لا على حسب ما ليس له* " (٢كو٨:١٢). ليس فقط يمكن للغني أن ينال نعمة لدى الله بتقديم خيرات للإخوة ــ لأن مخلِّص الكل سيقبل تقدمته ــ بل حتى من يمتلك القليل جدًّا يمكنه أيضًا أن ينال نعمة الله بتقديمه القليل الذى له، وأيضًا لن يعاني أيَّة خسارة لأجل هذا (الذى قدَّمه)، لأن العالِم بكل شيء سيمتدح استعداده (للعطاء)، وسيَقبَل نيَّته (الحسنة)، وسيجعله معادلاً للغنى، أو بالأحرى سيكلِّله بكرامة أكثر وجاهة وامتيازًا.

وهذا أيضًا يستحق أن يثير إعجابنا وانتباهنا، إنَّ الجموع التي كانت صاعدة إلى الهيكل، كان البعض منها يقدِّم عجولاً مسمَّنة، والبعض يقدم غنمًا وبخورًا ولبانًا وأشياء أخرى غيرها لا غنى عنها لتقديم الذبائح التى يأمر بها الناموس بطريقة لائقة، لكن نظرة المخلِّص لم تكن مركَّزة على هؤلاء، بقدر ما كانت مثبَّتة على من يُقدِّمون قرابينهم في الخزانة، أي على من كانوا

محسنين وشفوقين، لأنه يقبل الرائحة الطيبة للعبادة الروحية، لكنه يغض نظره عما يُعمل في رموز وظلال، لأنه عرف أنَّ الرموز لا تفيد وأن الظل ضعيف، لذلك فهو يكرم الإحسان إلى الفقير، وإذ يعرف هذا أحد الرسل، فإنه يكتب قائلاً: " *الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه، افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم*" (يع١:٢٧).

ونحن نجد أيضًا أنَّ الوصية التي أعطاها موسى تحثنا على محبة الفقير، وتنهضنا إلى عمل الإحسان، لأن الله الذى وضع أمامنا طريق السلوك الإنجيلى، هو نفسه الذى حدَّد منذ القديم الوصية لموسى، لم يكن إلهًا غيره، إنه هو نفس الإله الوحيد من حيث إنه إله لا يتغير، لأنه يقول بفم أحد الأنبياء القديسين: "*أنا الذى أتكلم إليكم، قريب*" (إش٥٢:٦س). لذلك فهو تكلم هكذا بواسطة موسى قائلاً: "*إن كان فيك فقير أحد من إخوتك في أحد أبوابك في أرضك التي يعطيك الرب إلهك، فلا تُحوِّل*[1] *قلبك ولا تقبض يدك عن أخيك المحتاج، بل افتح يدك له بسعة وأقرضه مقدار ما يحتاج إليه، وبحسب ما ينقصه*" (تث١٥:٧و٨س). أنتم تسمعونه يدعو صدقتهم قرضًا، لأن الله هو الذي يَقبلها وسوف يُعوِّضها ليس بما يساويها، بل بالأحرى بكيل فائض، لأنه يقول: "*كيلاً جيدًا ملبدًا مهزوزًا فائضًا يعطون في أحضانكم* " (لو١٦:٣٨). وكما يقول الحكيم بولس: " *يحب الله المعطي بسرور* " (٢كو٩:٧). وكون أنه من الصواب أن نكون محسنين للإخوة وليس بخلاء، وليس كمسألة إلزامية بل بدافع من المحبة أكثر من كونه مراعاة للوجوه وبمودَّة متبادلة لا لوم فيها، فإنه حتى ناموس العهد القديم يُوضِّحه بقوله: "*ولا تحزن في قلبك عندما تعطيه، لأنه بسبب هذا الأمر يباركك الرب إلهك في كل أعمالك وجميع ما تمتد إليه يدك*" (تث١٥:١٠س). ولذلك يقول بولس الرسول: " *المُعطي فليعطِ بسخاء، المدبِّر فباجتهاد، الراحم فبسرور* " (رو١٢:٨)، لأن المحبة التى نظهرها للفقير ليست غير مثمرة، بل هى دَين يُرَّد بزيادة.

---

[1] لابد أنَّ القديس كيرلس قرأ ἀποστεψεις والتى تعني يُحوِّل بدلاً من ἀποστέρξεις والتى تعنى يُقسِّي.



لذلك ينبغي لنا أن نكون مجتهدين في إتمام هذا الواجب بكوننا متيقّنين أنه لو وزّعنا بيد سخيَّة، فإننا سننفع أنفسنا، لأنه هكذا يعلّمنا أيضًا بولس الطوباوي قائلاً: " *هذا وإنّ من يزرع بالشح فبالشح أيضًا يحصد، ومن يزرع بالبركات فبالبركات أيضًا يحصد، كل واحد كما ينوي بقلبه* " (٢كو٩:٦و٧). وكما لو كان يقطع الكسل من جهاداتنا الصالحة، فإن الرسول يضيف في الحال هذه الكلمات: " *والله قادر أن يزيدكم كل نعمة، لكي تكونوا ولكم كل اكتفاء كل حين في كل شيء تزدادون في كل عمل صالح. كما هو مكتوب، فرّق أعطى المساكين، برّه يبقى إلى الأبد*" (٢كو٩:٨و٩). لأن الذى يُظهِر رحمة للفقير، لن يُتخلّى عنه أبدًا، بل بالأحرى سيُحسب أهلاً للغفران من المسيح مخلّصنا الذي به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

عظة ١٣٩

يسوع ينبئ بخراب الهيكل ونهاية العالم والمجيء الثاني

(لو ٢١: ٥ـ ١٣): " *وَإِذْ كَانَ قَوْمٌ يَقُولُونَ عَنِ الْهَيْكَلِ إِنَّهُ مُزَيَّنٌ بِحِجَارَةٍ حَسَنَةٍ وَتُحَفٍ قَالَ: هَذِهِ الَّتِي تَرَوْنَهَا سَتَأْتِي أَيَّامٌ لاَ يُتْرَكُ فِيهَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ. فَسَأَلُوهُ: يَا مُعَلِّمُ مَتَى يَكُونُ هَذَا وَمَا هِيَ الْعَلاَمَةُ عِنْدَمَا يَصِيرُ هَذَا؟. فَقَالَ: انْظُرُوا! لاَ تَضِلُّوا. فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِاسْمِي قَائِلِينَ: إِنِّي أَنَا هُوَ وَالزَّمَانُ قَدْ قَرُبَ. فَلاَ تَذْهَبُوا وَرَاءَهُمْ. فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِحُرُوبٍ وَقَلاَقِلَ فَلاَ تَجْزَعُوا لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَوَّلاً وَلَكِنْ لاَ يَكُونُ الْمُنْتَهَى سَرِيعاً. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ. وَتَكُونُ زَلاَزِلُ عَظِيمَةٌ فِي أَمَاكِنَ وَمَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ. وَتَكُونُ مَخَاوِفُ وَعَلاَمَاتٌ عَظِيمَةٌ مِنَ السَّمَاءِ. وَقَبْلَ هَذَا كُلِّهِ يُلْقُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ وَيُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى مَجَامِعَ وَسُجُونٍ وَتُسَاقُونَ أَمَامَ مُلُوكٍ وَوُلاَةٍ لأَجْلِ اسْمِي. فَيَؤُولُ ذَلِكَ لَكُمْ شَهَادَةً* ".

لقد تسلمنا من المسيح معرفة الأشياء التى كانت مزمعة أن تحدث، لأنه هو نفسه الذى ينير خفايا الظلام ويعرف الخفايا (١كو٤:٥)، والمُذَّخر فيه جميع كنوز الحكمة وخفايا المعرفة (انظر كو٢:٣)، وهو يُغيِّر الأوقات والأزمنة ويعيد تشكيل الخليقة إلى ما كانت عليه في البداية. لأن الخليقة التى لم تكن موجودة قد جاءت بواسطته إلى الوجود بحسب إرادة الله الآب، لأنه هو قوة الله الحية وحكمته الذاتية، وأيضًا بواسطته ستتغير (الخليقة) بسهولة إلى ما هو أفضل، لأن تلميذه يقول: "*لكننا ننتظر سموات جديدة وأرضًا جديدة* " (٢بط٣:١٣).

والآن فإن سبب هذا الاستطراد، هو من جهة بسبب السؤال الذى وُجِّه إلى المسيح مخلِّصنا جميعًا، من جهة الهيكل والأشياء التى فيه، ومن الجهة الأخرى للإجابة على هذا السؤال. لأن البعض منهم أروه الأعمال العظيمة



التي كانت في الهيكل، وجمال التقدمات (أي التُحَف على الجدران)، منتظرين منه أنه سيبدي إعجابه بالمشهد مثلهم، مع أنه هو الله والسماء هي عرشه. لكنه لم يُعطِ أى اهتمام ـــ إن جاز القول ـــ أيًا كان بهذه المباني الأرضية، إذ هي أشياء تافهة، بل هي لا شيء على الإطلاق، بالمقارنة بالمنازل التي هي فوق؛ وإذ استبعد الحديث عنها (المباني الأرضية)، فقد تحوّل بالأحرى إلى ما هو ضرورى لمنفعتهم. لأنه سبق فحذّرهم أنه مهما كان الهيكل يستحق أن ينال كل إعجاب منهم، إلاّ أنه حينما يحين وقته، فإنه سيُدمَّر من أساساته، إذ يُهدم أرضًا بقوة الرومان، وتُحرق كل أورشليم بالنار، وتُجازَى بعدلٍ لأجل قتلها الرب، لأنه بعد صلب المخلِّص، كانت هذه الأشياء هى نصيبهم الذى كابدوه.

لكنهم لم يفهموا معنى ما قيل، بل بالحري ظنوا أنَّ الكلمات التي قالها تشير إلى انقضاء العالم، لذلك سألوه: "*متى يكون هذا وما هى العلامة عندما يصير هذا؟* " فماذا كان جواب المسيح إذن؟ إنه استجاب لرأي الذين سألوه، وإذ يغفل مؤقتًا ما كان يقوله عن حصار أورشليم، فإنه يشرح ما سيحدث عند انقضاء العالم، فيحذرهم ويشهد قائلاً: "*انظروا لا تضلوا، فإن كثيرين سيأتون باسمي قائلين إنِّي أنا هو والزمان قد قرب، فلا تذهبوا وراءهم*". لأنه قبل مجيء المسيح مخلِّصنا من السماء، سيظهر مسحاء كذبة وأنبياء كذبة، مُدَّعين كذبًا "*قائلين أنا هو*" (أي كل منهم يَدَّعي أنه المسيح)، وسوف يأتون إلى العالم كمثل زوابع دخان منبعثة من نار على وشك الاشتعال. ويقول: "*فلا تذهبوا وراءهم*". لأن كلمة الله الوحيد الجنس ارتضى أن يأخذ لنفسه شبهنا وأن يحتمل الولادة بالجسد من امرأة لكيما يخلِّص كل من هم تحت السماء. وكان هذا بالنسبة له إخلاءً لذاته واتضاعًا، لأن ما هو قدر الإنسانية بالمقارنة بالجلال والمجد الإلهى الفائق؟ لذلك فكشخص وضع ذاته حتى الإخلاء، فإنه فضّل أن يبقى غير معروف، حتى أوصى رسله الأطهار قبل صليبه الثمين، بأن لا يُظهِروه (مت١٧:٩). لأنه من الضروري أن تبقى طريقة تدبيره في

الجسد مخفية، حتى إذا احتمل الصليب الثمين لأجلنا كإنسان، فإنه يلاشي الموت ويطرد عنا جميعًا طغيان الشيطان، لأنه كما يقول بولس: " *الحكمة التي كانت في المسيح، التي لم يَعلَمها أحد من عظماء هذا الدهر، لأنهم لو عرفوا لَمَا صلبوا رب المجد*" (١كو٢:٨). لذلك كان يلزم أن يظل غير معروف خلال الفترة التي سبقت آلامه. أما مجيئه الثاني من السماء فلن يحدث بطريقة خفية كما حدث مجيئه الأول، بل سيكون مُبهِرًا ومُرعبًا، لأنه سينزل بمجد الله الآب ومعه الملائكة القديسون محيطون به، ليدين العالم بالعدل. ولأجل هذا يقول: عندما يقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة فلا تذهبوا وراءهم .

وقد أعطاهم علامات واضحة وجليَّة عن الزمان الذي فيه يقترب انقضاء العالم، فيقول: " *لأنه ستكون حروب وقلاقل ومجاعات وأوبئة في كل مكان، وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء* "، وكما يقول إنجيلي آخر: "*لأن كل النجوم تسقط وقوات السموات تتزعزع* " (انظر مت٢٤:٢٩).

لكن المخلِّص يضع في وسط الكلام ما يشير إلى سبي أورشليم لأنه يخلط الأحداث ببعضها في كل من جزئي الرواية. ويقول: " *وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم إلى مجامع وسجون وتُساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمي، فيؤول ذلك لكم شهادة*". لأنه قبل أزمنة الانقضاء، سُبِيَت أرض اليهود، واجتاحتها حشود الجيوش الرومانية، وأُحرق الهيكل، وأُطيح بحكومتهم الوطنية، وتوقَّفت سُبُل العبادة الناموسية، لأنه لم تعد بعد ذبائح تُقدم، إذ أنَّ الهيكل كان قد دُمِّر، وكما قلت فإن وطن اليهود مع أورشليم ذاتها قد صار قفرًا تمامًا. وقبل أن تحدث هذه الأشياء، قام اليهود باضطهاد التلاميذ المباركين، فقد سُجنوا وكان لهم نصيب في مِحَن لا تُحتَمل، وسِيقُوا أمام قضاة وأُرسلوا أمام ملوك، لأن بولس قد أُرسل إلى روما إلى قيصر. لكن هذه الأمور التي أتت عليهم كانت شهادة لهم، حتى يحصلوا بواسطتها على مجد الاستشهاد.

وهو يصرخ قائلاً: " *لا تهتموا من قَبْل لكي تحتجُّوا لأنِّي أعطيكم فمًا وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها* " (عدد١٤و١٥). ولكي يزيل منهم كل دوافع الجبن البشري قال لهم " *إنهم سوف يُسلِّمون من الإخوة والأقرباء والأصدقاء* " (عدد١٦)، لكنه وَعَدَهم أنه بالتأكيد وبالتمام سينجِّيهم قائلاً: " *ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك* " (عدد١٨).

وأيضًا لكيما يجعل تنبُّؤه أكثر وضوحًا وتأكيدًا، ويجعل زمن سبي أورشليم أكثر جلاءً، فإنه يقول لهم: " *ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه اقترب خرابها* " (عدد٢٠).

وبعد ذلك ينقل كلامه من هذا الموضوع إلى وقت انقضاء العالم، " وتكون علامات في الشمس والقمر والنجوم، وعلى الأرض كرب أمم بِحَيْرَة، والبحر والأمواج تضج، والناس يغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتي على المسكونة، لأن قوات السموات تتزعزع " (عدد٢٥و٢٦). لأنه بسبب أنَّ الخليقة تبدأ في التغيُّر ــ إن جاز القول ــ وتجلب على سكان الأرض أهوالاً لا تُطاق، فإنه سيكون هناك ضيق مُرعب، ونفوس ترحل بالموت، لأن الخوف المريع الذى يفوق الاحتمال الخاص بالأمور المزمعة أن تحدث سيكون كافيًا لإهلاك كثيرين.

ثم يقول: " *وحينئذ يبصرون ابن الإنسان آتيًا في سحابة بقوة ومجد كثير* " (عدد٢٧). لذلك فالمسيح لن يأتي في الخفاء أو في غموض، بل كإله ورب بمجد يليق بألوهيته، وسيحوِّل كل الأشياء نحو الأفضل، لأنه سوف يُجدِّد الخليقة ويعيد تشكيل طبيعة الإنسان إلى ما كانت عليه في البداءة. ثم يقول: " *ومتى ابتدأت هذه تكون فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأن نجاتكم تقترب* " (عدد٢٨). لأن الموتى سيقومون، وهذا الجسد الأرضي والعاجز سيخلع عنه الفساد وسيلبس عدم الفساد بعطية المسيح الذى يمنح الذين يؤمنون به أن يتشكَّلوا على مثال

جسده المجيد، لذلك فكما قال تلميذه: " *ولكن سيأتي كلص في الليل يوم الرب الذي فيه تزول السموات فجأة بضجيج، وتنحل العناصر محترقة، وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها*"، ثم يضيف قوله " *فبما أنَّ هذه كلها تنحل، أيَّ أناس يجب أن تكونوا أنتم في سيرة مقدسة وتقوى؟*" (٢بط٣: ١٠و١١). والمسيح نفسه يقول أيضًا: " *اسهروا إذن وتضرعوا في كل حين لكي تُحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون وتقفوا قدام ابن الإنسان*" (لو٢١: ٣٦). " *لأننا جميعًا سوف نقف أمام كرسي المسيح لنعطي حسابًا عن كل ما صنعناه*" (انظر رو١٤: ١٠)، ولأن المسيح صالح ومحب للبشر، فإنه سيُظهِر رحمة لأولئك الذين يحبونه، الذى به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة ١٤٠

خيانة يهوذا لتسليم المسيح
(تقرأ يوم خميس السر)[٢]

(لو٢١: ٣٧، ٣٨): " *وَكَانَ فِي النَّهَارِ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ وَفِي اللَّيْلِ يَخْرُجُ وَيَبِيتُ فِي الْجَبَلِ الَّذِي يُدْعَى جَبَلَ الزَّيْتُونِ. وَكَانَ كُلُّ الشَّعْبِ يُبَكِّرُونَ إِلَيْهِ فِي الْهَيْكَلِ لِيَسْمَعُوهُ* ".

(لو٢٢: ١ـ٦): " *وَقَرُبَ عِيدُ الْفَطِيرِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْفِصْحُ. وَكَانَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ يَطْلُبُونَ كَيْفَ يَقْتُلُونَهُ لأَنَّهُمْ خَافُوا الشَّعْبَ. فَدَخَلَ الشَّيْطَانُ فِي يَهُوذَا الَّذِي يُدْعَى الإِسْخَرْيُوطِيَّ وَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الاثْنَيْ عَشَرَ. فَمَضَى وَتَكَلَّمَ مَعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ الْجُنْدِ كَيْفَ يُسَلِّمُهُ إِلَيْهِمْ. فَفَرِحُوا وَعَاهَدُوهُ أَنْ يُعْطُوهُ فِضَّةً. فَوَاعَدَهُمْ. وَكَانَ يَطْلُبُ فُرْصَةً لِيُسَلِّمَهُ إِلَيْهِمْ خِلْوًا مِنْ جَمْعٍ* ".

إن جَمْع اليهود سويًّا مع رئيسهم وقفوا ضد مجد المسيح وصارعوا ضد رب الكل، لكن يمكن لأي إنسان أن يُدرك أنهم أعدوا فخَّهم ضد نفوسهم ذاتها، لأنهم حفروا لأنفسهم حُفَر هلاك، وكما يقول المرنم: " *تورَّطَت الأمم في الحفرة التي عملوها، في الفخ الذي أخفوه وقعت أقدامهم*" (مز٩: ١٥س). لأن المخلِّص ورب الكل، مع أنَّ يمينه مقتدرة وقوَّته تهزم الموت والفساد معًا، لكنه أخضع ذاته طواعية باتخاذه الجسد ليذوق الموت لأجل حياة الكل، لكيما يوقف الفساد ويبطل خطية العالم، ويخلِّص الذين كانوا في قبضة العدو من طغيانه غير المحتمل. لكن ربما تخيَّلت تلك الحيَّة المتمرِّدة أنها قد سادت حتى على المسيح نفسه لكونه ــ كما قلت ــ عانى الموت في الجسد لأجلنا، كما تطلَّب التدبير (الإلهي)، ولكن ذلك الكائن التعيس قد خاب أمله.

[٢] يوصي القديس كيرلس أن تُقرأ هذه العظة يوم خميس العهد الذي تمَّ فيه تأسيس سر الشكر، ولذلك يسميه خميس السر.



إذن دعنا نرى كيف أخطأ الهدف وقذف (سهمه) بعيدًا عن الهدف حينما تآمر على المسيح وسلّمه لأيدي أولئك الذين قتلوه. يقول (الكتاب): " *وكان في النهار يعلِّم في الهيكل وفي الليالي يَخرج ويبيت في الجبل الذي يُدعى جبل الزيتون* ". ومن الواضح أنّ ما كان يعلِّمه هي أشياء تفوق الخدمة الناموسية، لأنه قد حان الوقت الذي ينبغي أن يتغيَّر فيه الظل إلى الحقيقة، وهم كانوا يسمعونه بسرور، لأنهم كثيرًا ما تعجَّبوا منه: " *لأن كلامه كان بسلطان*" (لو٤:٣٢)، لأنه لم يحدِّث الناس كممثل واحد من الأنبياء القديسين أو كموسى معلِّم الأقداس قائلاً: " *هكذا قال الرب...*"، بل لكونه هو نفسه الذى تكلم منذ القديم بواسطة موسى والأنبياء، ولكونه رب الكل، فإنه حوَّل بسلطانٍ إلهي ما كان ممثلاً في الرمز وضعف الحرف إلى عبادة روحية، " *لأن الناموس لم يُكمِل شيئًا* " (عب٧:١٩).

وكما قلت، كان يقضي الليالي في جبل الزيتون، متحاشيًا أصوات الصخب التى كانت في المدينة، لكي في هذا الأمر أيضًا يكون مثالاً لنا، لأنه يجب على الذين يرغبون أن يحيوا حياة هادئة مطمئنة، أي مملوءة راحة، أن يتحاشوا على قدر المستطاع الازدحام والصخب.

لكن دعنا نرى خط سير خبث إبليس، وماذا كانت نتيجة خططه الماكرة ضد المسيح. فإنه قد زرع الحسد ضد المسيح في رؤساء مجمع اليهود، والذي وصل إلى حد القتل، لأن هذا الداء (الحسد) يُؤدِّي عادةً إلى جريمة القتل، فمثل هذه النتيجة كانت هي النهاية الطبيعية لهذه الرذيلة؛ فهذا ما حدث مع قايين وهابيل، وهكذا كان هذا واضحًا في حالة يوسف وإخوته. ولذلك فإن بولس الإلهى يجعل هذه الخطايا ــ مرتبطة معًا وقريبة إحداها للأخرى، لأنه يتكلم عن البعض قائلاً: " *مشحونين حسدًا وقتلاً*" (رو١:٢٩). لذلك طلب (اليهود) أن يقتلوا يسوع بتحريض الشيطان الذي غرس هذا الشر فيهم، والذي كان هو



قائدهم في مؤامراتهم الشريرة، لأنه هو نفسه مخترِع القتل وأصل الخطية وينبوع كل شر. وماذا كانت الحيلة التى اخترعتها هذه الحية المتعدّدة الرؤوس؟ يقول النص: " *فدخل الشيطان في يهوذا الذي يُدعى الإسخريوطي وهو من جملة الاثنى عشر*". لماذا لم يدخل الشيطان في الطوباوي بطرس أو في يعقوب أو يوحنا أو أي واحد آخر مِن بقية الرسل بل في يهوذا الإسخريوطي (بالذات)؟ أيّ موضع وجده الشيطان فيه؟ فهو لم يستطع أن يقترب إلى أحد من بين كل الذين ذكرناهم هنا، لأن قلبهم كان ثابتًا ومحبتهم للمسيح كانت غير متزعزعة، لكنه وجد له مكانًا في الخائن، لأن داء الطمع المُر قد قهره وتسلّط عليه، (هذا الداء) الذى يقول عنه بولس الطوباوي إنه " *أصل كل الشرور*" (١تى٦:١٠)، لأنه عندما سكبتْ امرأة طيبًا على المخلِّص ذات مرة، كان وحده من بين كل (التلاميذ) الذى وبَّخها قائلاً: " *لماذا هذا الإتلاف؟ لأنه كان يمكن أن يُباع هذا بكثير ويُعطى للفقراء*". لكن الإنجيلى الحكيم تكلَّم ــ إن جاز القول ــ ضد كلماته الزائفة، إذ أضاف في الحال قوله: " *قال هذا ليس لأنه كان يبالي بالفقراء بل لأنه كان سارقًا وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يُلقَى فيه*" (يو١٢:٦). والشيطان لكونه ماهرًا في عمل الشر، عندما يستحوذ على نفس أي إنسان، فإنه لا يهاجمه بواسطة الرذائل عمومًا، بل بالحرى يبحث عن الهوَى الخاص الذي ينغلب منه (ذلك الشخص)، وبواسطة ذلك الهوى يجعله فريسة له. لذلك فلأن الشيطان عرف أنَّ يهوذا طمَّاع، فإنه اقتاده إلى الفريسيين والرؤساء، ووعدهم أنه سيخون معلمه. وهم قد دفعوا ثمن الخيانة، أو بالحرى ثمن هلاكهم بمال مقدس. آه! أيّة دموع يمكن أن تكفى سواء على الذى خان يسوع مقابل أجر، أو لمن استأجروه فدفعوا ثمن جريمة قتل بمال مقدس! أيّة ظلمة قد أتت على نفس الذى قبِل الرشوة! لأجل فضة قليلة خسر السماء وفقد إكليل الخلود وكرامة الرسولية المحبوبة، وحسبانه ضمن عداد الاثني عشر، الذين قال لهم المسيح في موضعٍ



ما: " *أنتم نور العالم*" (مت٥:١٤). إنه لم يهتم بأن يكون نورًا للعالم، بل نسي المسيح الذي قال:" *أنتم الذين تبعتموني في تجاربي، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كرسيًا وتدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر*" (مت١٩:٢٨). لكنه لم يُرد أن يملك مع المسيح. يا لارتباك الضلال الذى أعمى ذهن هذا الإنسان الطمَّاع ! فإنه سلَّم للموت من هو أقوى من الموت. ألم تعلم أنه أقام لعازر من القبر في اليوم الرابع، وأنه بإشارة منه أقام ابن الأرملة وابنة رئيس المجمع؟ ألم تسمعه يقول لليهود فيما يخص جسده : " *انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه ثانية؟*" (يو٢:١٩). هل نسيت كلماته: " *أنا هو القيامة والحياة*"؟ (يو١١:٢٥). فماذا كان إذن سبب مثل هذا الجنون المطلق؟ يخبرنا الإنجيلي إذ يقول: "*فدخله الشيطان*"، إذ قد جعل شهوة الطمع مَعْبَرًا وبابًا له. فإن " *التقوى مع القناعة تجارة عظيمة*"، وكما يقول الكتاب المقدس: " *لأننا لم ندخل العالم بشيء، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشيء*" (١تى٦:٦و٧). " *وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرَّة، تُغرق الناس في العطب والهلاك*" (١تى٦:٩). والتلميذ الذى صار خائنًا هو برهان واضح على ذلك، إذ قد هلك لأجل قليل من الشواقل.

وماذا يقول المرء عمَّن استأجروه؟ الذين سقطوا في نفس العطب والهلاك معه، إنهم كانوا ضحايا لسُكْرٍ مماثل، مع أنهم كانوا يملكون شهرة في معرفة الناموس وكلام الأنبياء القديسين. كان من واجبهم أن يعرفوا معنى ما سبق أن قيل منذ القديم، الذي كان قد تقرَّر سابقًا من قِبَل الله بخصوصهم. لأن من بين هذه الكلمات أقوال مثل هذه: " *على الرعاة الأردياء اشتعل غضبى وأنا سأفتقد الخراف*" (زك١٠:٣س)، لأن الرعاة الأشرار هلكوا بطريقة شائنة، أما دعوة أولئك الذين كانوا مطيعين لأجل الخلاص، فقد كانت نوعًا من الافتقاد، لأن بقية مِن إسرائيل قد خلُصت. وكما لو كانوا بالفعل قد سقطوا في الخراب، لهذا



كانوا يولولون ويبكون، فإن النبي يقول إنه سمع " *صوت ولولة الرعاة لأن فخرهم خرب، صوت زمجرة الأسود، لأن كبرياء الأردن خربت*" (زك١١:٣س). يُطلق النبي لقب الأُسود على كبرياء الأردن ويشير بهم (أي بالأسود) إلى رؤساء المجمع اليهودي الذين بسبب المجازاة العادلة على شرّهم ضد المسيح، ولولوا مع آبائهم وأبنائهم، لأنهم فنوا كما بنارٍ وسيفٍ، بينما هيكل أورشليم قد أُحرق أيضًا، وكل مدن اليهودية حل بها الخراب والدمار التام.

كان هذا هو مصيرهم، أمّا المسيح فهو يخلّصنا بإرادته الرحيمة، الذى به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.



(أيقونة رمزية تصور التلاميذ وهم يتقدمون للتناول من يد الرب يسوع)

الأصحاح الثانى والعشرون



.. وكذلك الكأس أيضا بعد العشاء قائلاً
هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك
عنكم (لوقا ٢٢ : ٢٠)

الأصحاح الثاني والعشرون

عظة ١٤١

تقرأ يوم الخميس في أسبوع السر[1]

الإعداد للفصح

(لو ٢٢: ٧ـ١٦): " *وَجَاءَ يَوْمُ الْفَطِيرِ الَّذِي كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُذْبَحَ فِيهِ الْفِصْحُ. فَأَرْسَلَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا قَائِلاً: اذْهَبَا وَأَعِدَّا لَنَا الْفِصْحَ لِنَأْكُلَ. فَقَالاَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّ؟. فَقَالَ لَهُمَا: إِذَا دَخَلْتُمَا الْمَدِينَةَ يَسْتَقْبِلُكُمَا إِنْسَانٌ حَامِلٌ جَرَّةَ مَاءٍ. اِتْبَعَاهُ إِلَى الْبَيْتِ حَيْثُ يَدْخُلُ. وَقُولاَ لِرَبِّ الْبَيْتِ: يَقُولُ لَكَ الْمُعَلِّمُ: أَيْنَ الْمَنْزِلُ حَيْثُ آكُلُ الْفِصْحَ مَعَ تَلاَمِيذِي؟. فَذَاكَ يُرِيكُمَا عِلِّيَّةً كَبِيرَةً مَفْرُوشَةً. هُنَاكَ أَعِدَّا. فَانْطَلَقَا وَوَجَدَا كَمَا قَالَ لَهُمَا فَأَعَدَّا الْفِصْحَ. وَلَمَّا كَانَتِ السَّاعَةُ اتَّكَأَ وَالاِثْنَا عَشَرَ رَسُولاً مَعَهُ. وَقَالَ لَهُمْ: شَهْوَةً اشْتَهَيْتُ أَنْ آكُلَ هَذَا الْفِصْحَ مَعَكُمْ قَبْلَ أَنْ أَتَأَلَّمَ. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لاَ آكُلُ مِنْهُ بَعْدُ حَتَّى يُكْمَلَ فِي مَلَكُوتِ اللهِ* ".

إن الناموس بظلاله سبق فأشار منذ القديم إلى سرّ المسيح؛ والمسيح نفسه يشهد عن هذا عندما قال لليهود: " *لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقونني لأنه هو كتب عني*" (يو٥: ٤٦)، ففي كل موضع (في الناموس) تُوضّح الظلال والمثالات لنا، المسيح مذبوحًا لأجلنا "كالحمل" الذي بلا عيب حقًا، كما تُوضّحه مقدّسًا إيانا بواسطة دمه المعطى الحياة..، وبالإضافة إلى ذلك فإننا نجد كلمات الأنبياء القديسين في توافق تام مع كلمات موسى الحكيم جدًّا، كما يقول بولس " *لكن لما جاء ملء الزمان*" (غل٤: ٤)، الزمان الذي كان فيه كلمة الله الوحيد على وشك أن يخلى ذاته، وأن يحتمل الولادة بالجسد من امرأة

---

[1] يوصي القديس كيرلس الكبير أن تُقرأ هذه العظة يوم الخميس في أسبوع السر، ويقصد الأسبوع الذى تم فيه سر الخلاص بالصليب والقيامة.



ويخضع للناموس، بحسب القياس المناسب للطبيعة البشرية، وبعد ذلك قدَّم نفسه ذبيحة لأجلنا، مثل الحمل الذي بلا عيب حقًا، في اليوم الرابع عشر من الشهر الأول. وهذا العيد كان يُدعى " الفصح" (بصخة Pascha) وهى كلمة باللغة العبرية وتعنى العبور، لأنهم هكذا يفسرونها ويقولون إن هذا هو معناها.

إذن يجب أن نشرح ما هو هذا الشيء الذي نعبُر منه وما هو البلد الذي نسير نحوه، وبأيِّ طريقة نُحقِّق مسيرتنا، فإنه كما أنَّ إسرائيل قد أُنقذ من طغيان المصريين وفك عنقه من نير العبودية وصار حُرًّا، وإذ هرب من عنف الطاغية، فإنه عبر بأقدام جافة ــ بطريقة عجيبة يعجز اللسان عن وصفها ــ وسط البحر، وارتحل تجاه الأرض الموعود بها؛ هكذا نحن أيضًا الذين قبلنا الخلاص الذي في المسيح، يجب علينا ألاَّ نَرضى بالبقاء بعد في أخطائنا السابقة، وألاَّ نستمر في طرقنا الشريرة بل بشجاعة نَعبُر بحر اضطراب هذا العالم الباطل، وعواصفه. وهكذا فإننا نعبر من محبة الجسد إلى التعفف؛ من جهلنا السابق إلى معرفة الله الحقيقية؛ من الشر إلى الفضيلة؛ ونعبر بالرجاء من لوم الخطية إلى أمجاد البر؛ ومن الموت إلى عدم الفساد. لذلك فإن العيد الذي حمل فيه عمانوئيل صليب الخلاص لأجلنا يُسمى الفصح.

لكن لننظر إلى الذي هو الحق والذي لا يزال يُكرَّم بالرموز التي كانت تشير إليه، وهو لا يزال يسمح للظلال بأن تكون صادقة، إذ يقول النص: *"ولما جاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يُذبح فيه الفصح"*، فأرسل للمدينة تلميذين مختارين من الرسل القديسين، وهما بطرس ويوحنا قائلاً: " *سوف يستقبلكما إنسان حامل جرة ماء، اتبعاه إلى البيت حيث يدخل، وقولا لرب البيت: يقول لك المعلم أين الغرفة التي آكل فيها الفصح مع تلاميذي؟*". لكن ربما يقول أحدهم، لماذا لم يذكر لهما بوضوح اسم الرجل الذي أرسلهما إليه؟ لأنه لم يقل: عندما تمضون إلى فلان أو فلان ــ وهناك أعدا الفصح في بيته، لكن



فقط أعطاهما علامة ــ " *إنسان حامل جرة ماء*". فبماذا نجيب على هذا الكلام؟ انظروا! فإن يهوذا الخائن كان قد سبق فوعد اليهود أن يُسلِّمه لهم، وكان مستمرًّا في صحبته (للمسيح) يرقب فرصة ليسلمه، وبينما كان لا يزال يعلن الحب الواجب من التلميذ لمعلمه فإنه قد سمح للشيطان أن يدخل قلبه، وكان يتمخَّض بجريمة القتل ضد المسيح مخلِّصنا جميعًا. لذلك أعطى المسيح علامة (للتلميذين) لكي يمنعه من معرفة من هو ذاك الشخص، فيسرع يهوذا ليخبر أولئك الذين استأجروه. لذلك قال: "*يستقبلكما إنسان حامل جرة ماء*".

أو ربما يتكلم المسيح هكذا ليشير بهذا إلى سر مهم، لأنه حيث تدخل المياه ــ أي المعمودية المقدسة ــ فهناك يسكن لمسيح، كيف أو بأية طريقة؟ ذلك لأنها تُحرِّرنا من كل نجاسة، ونُغسل بواسطتها من أدناس الخطية، ولكي نصير أيضًا هيكلاً مقدسًا لله وشركاء في طبيعته الإلهية بشركة الروح القدس. لذلك فلكي يستريح المسيح ويقيم فينا، فلنقبل المياه الخلاصية معترفين أيضًا بالإيمان الذي يُبرِّر الأثيم. ولكي يرفعنا عاليًا لكي ما نُحسب عِلِّيَّة، لأن أولئك الذين يسكن فيهم المسيح بالإيمان لهم ذهن مرتفع عاليًا، يبغض الزحف على التراب، ويرفض الالتصاق بالأرض، وفى كل شيء يطلب ما هو سامٍ في الفضيلة، لأنه مكتوب: " *لأن أعزَّاء الله قد ارتفعوا عاليًا (فوق الأرض)*" (مز٤٦: ٩س)، لأن ليس لهم هنا مدينة باقية لكنهم يطلبون العتيدة (انظر عب١٣: ١٤)، وبينما هم يسيرون على الأرض، فإنهم يفكرون في تلك الأمور التي فوق، وسيرتهم (مدينتهم) هي في السماء (انظر فى٣: ٢٠).

يمكننا أيضًا أن نلاحظ أمرًا صحيحًا وعجيبًا، يحدث دائمًا بيننا؛ وأعني به أنَّ من يُقدِّرون حياتهم الجسدانية كثيرًا، عادةً يكونون منتفخين وقلوبهم مملوءة من الكبرياء الملعونة والمكروهة من الله؛ لكن مع ذلك ربما يؤتى بهم إلى الانكسار (فيما بعد) وهم لا يزالون على الأرض؛ بينما أولئك المساكين

بالروح ينالون الرفعة بواسطة الكرامة والمجد اللذين يأتيان من الله. كما يكتب تلميذ المسيح قائلاً: "*ليفتخر الأخ المتضع بارتفاعه، وأما الغنى فباتضاعه لأنه كزهر العشب يزول*" (يع١:٩و١٠). لذلك لا يخطئ من يقول إن نفس كل قديس هي "عِلِّيَّة".

بعد ذلك لمَّا أعد التلاميذ الفصح، أكل المسيح معهم، ولكونه طويل الأناة مع الخائن، فإنه تفضَّل بقبوله على المائدة (معه) بدافع شفقته المملوءة حبًّا وغير المتناهية؛ لأن يهوذا كان قد صار خائنًا إذ أنَّ الشيطان كان ساكنًا فيه. وقال المسيح أيضًا لرسله القديسين: " *شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم*". لنفحص المغزى العميق لهذا التعبير، ولنفتش عن المعنى المختفي فيه، وما الذي كان يقصده المخلِّص.

لذلك حيث إنني سبق أن قلتُ إنَّ التلميذ الطماع كان يطلب فرصة ليسلمه، ولكي لا يسلمه لقاتليه قبل عيد الفصح، فإن المخلِّص لم يعلن لا عن البيت ولا عن الشخص الذي سيحتفل عنده بالعيد، ولكي يشرح لهم سبب عدم رغبته في أن يصرِّح له علانية باسم من سيذهب عنده، قال لهم: " *شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم*"؛ وكأنه يقول: إنني اجتهدت بكل حذر لكي أتمكَّن من الإفلات من خبث الخائن، لكيلا أحتمل آلامي قبل وقتها.

" *ولكني لا آكل منه بعد حتى يكمل في ملكوت الله*". وبهذا الكلام أيضًا ينطق المسيح بحقيقة عميقة وسرية، لكن هو نفسه يكشف معناها لنا لأن من عادته أن يُطلِق اسم "ملكوت السموات" على " التبرير بالإيمان"، وعلى التطهير الذي يتم بالمعمودية المقدسة وشركة الروح القدس وعلى تقديم العبادة الروحية التي صارت الآن ممكنة بالدخول في وصايا الإنجيل. لكن هذه الأشياء هي الوسائط التي تجعلنا شركاء في المواعيد وفى المُلك مع المسيح؛ لذلك يقول: لن اقترب من مثل هذا الفصح بعد ذلك، أي ذلك الفصح الذي يتكوَّن من أكل



رمزي ــ لأن حملاً من القطيع ذُبح ليكون مثالاً للحمل الحقيقي (ويكمل) "حتى يكمل في ملكوت الله"، أي إلى حين مجيء الوقت الذي فيه يُكرَز بملكوت السموات، لأن هذا يتحقق فينا نحن الذين نكرم العبادة التي هي أعلا من الناموس والتي هي الفصح الحقيقي، فالذي يُقدّس الذين هم في المسيح ليس خروفًا من القطيع، بل بالحري المسيح نفسه (هو الذي يقدسهم)، **الذي جُعِلَ "ذبيحة مقدسة" لأجلنا، "بتقديم قرابين" غير دموية، وتقديم "الشكر" السرِّي، الذي فيه ننال "البركة" ونُعطَى الحياة بالحياة**[٢]. لأنه هو صار لنا الخبز الحي الذي نزل من السماء والذي يُعطِي الحياة للعالم (انظر يو٦: ٣٣و٥٠)، الذي به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان، مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

---

[٢] هذه الفقرة الهامة هى باللغة اليونانية كما يلى :

ἁγίως ἱερουργούμενος διὰ τῆς μυστικῆς εὐλογίας، καθ' ἣν εὐλογούμεθα καὶ ζωοποιούμεθα.

إن الكلمة Ἱερουγέω " يخدم في خدمة مقدسة"، هذه الكلمة هى كلمة رسولية واردة في رومية١٥: ١٦ (ἱερουργοῦντα το ευαγγέλιον) وتُرجمت في طبعة دار الكتاب المقدس "مباشرًا لإنجيل الله ككاهن " وترجمتها الدقيقة " خادمًا في الخدمة الكهنوتية لإنجيل الله ". وكذلك الكلمة εὐλογία = " البركة " كانت تُطلق في العصور الأولى بصفة ثابتة على الإفخارستيا المقدسة بالاستناد إلى كورنثوس الأولى ١٠: ١٦ " كأس البركة το ποτήριον της εὐλογίας". إنّ استخدام هذه الكلمات يظهر العلاقة الوثيقة التكاملية بين الحياة الليتورجية للمسيحيين الأُول وبين فهمهم للكتب المقدسة. (هذه الملاحظات لمُتَــرجِم النص الإنجليزي لتفسير إنجيل لوقا Payne Smith سنة ١٨٥٩).

عظة ١٤٢

عشاء الرب

(تأسيس سر الإفخارستيا)

(لو٢٢: ١٧ــ٢٢): "*ثُمَّ تَنَاوَلَ كَأْسًا وَشَكَرَ وَقَالَ: خُذُوا هَذِهِ وَاقْتَسِمُوهَا بَيْنَكُمْ. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنِّي لاَ أَشْرَبُ مِنْ نِتَاجِ الْكَرْمَةِ حَتَّى يَأْتِيَ مَلَكُوتُ اللهِ. وَأَخَذَ خُبْزًا وَشَكَرَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: هَذَا هُوَ جَسَدِي الَّذِي يُبْذَلُ عَنْكُمْ. اِصْنَعُوا هَذَا لِذِكْرِي. وَكَذَلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَ الْعَشَاءِ قَائِلاً: هَذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي الَّذِي يُسْفَكُ عَنْكُمْ. وَلَكِنْ هُوَذَا يَدُ الَّذِي يُسَلِّمُنِي هِيَ مَعِي عَلَى الْمَائِدَةِ. وَابْنُ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَحْتُومٌ وَلَكِنْ وَيْلٌ لِذَلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي يُسَلِّمُهُ!*".

إنه أمر يملأنا بكل بركة أن نصير شركاء المسيح بالذهن وبالحواس معًا، لأنه يحل فينا، أولاً، بالروح القدس، فنصير نحن مسكنه، بحسب ما قاله في القديم أحد الأنبياء القديسين: "*لأني سأسكن فيهم وأقودهم وأكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا*" (حز٣٧: ٢٧س).

لكنه هو أيضًا يحلّ داخلنا بطريقة أخرى بواسطة مشاركتنا في قربان التقدمات غير الدموية التي نحتفل بها في الكنائس؛ إذ قد تسلّمنا منه النموذج الخلاصي للطقس مثلما يرينا بوضوح الإنجيلي المبارك في النص الذي قرأناه منذ قليل، فهو يخبرنا أنه: "*تناول كأسًا وشكر وقال: خذوا هذه اقتسموها بينكم*". وبتقديمه الشكر ــ الذي يُقصد به التحدث مع الله الآب في صيغة صلاة، فإنه يعنى بالنسبة لنا أنه ــ إن جاز القول ــ يشارك ويساهم مع الآب في مسرته الصالحة في منحه لنا البركة المحيية التي أُسبغت علينا حينئذ، لأن كل نعمة وكل موهبة تامة تأتى إلينا من الآب بالابن في الروح القدس. وإذن فهذا العمل كان نموذجًا لنا لكي نستخدمه في الصلاة التي ينبغي أن تُقدّم، كلما



بدأنا أن نضع أمامه نعمة "التقدمة السريَّة المحيية"[٣]، وتبعًا لذلك فإننا اعتدنا أن نفعل هذا، لأننا إذ نُقدِّم أولاً تشكُّراتنا، مُقدِّمين تسابيحنا لله الآب ومعه الابن والروح القدس، فإننا نقترب هكذا من الموائد المقدسة مؤمنين أن ننال حياة وبركة؛ روحيًّا وجسديًّا، لأننا نستقبل في داخلنا كلمة الآب الذي صار إنسانًا لأجلنا، والذي هو الحياة ومعطي الحياة.

لذلك فلنسأل على قدر استطاعتنا، ما هو الرأي الذي نعتقد به عن هذا السر؟ لأنه واجب علينا أن نكون "*مستعدين لمجاوبة كل من يسألنا عن سبب الرجاء الذي فينا*" كما يقول الحكيم بطرس (١بط٣:١٥). لأن "*إله الكل خلق كل الأشياء للخلود، وبدايات العالم كانت حياة، لكن بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم*" (حكمة٢:٢٤)، فقد كانت تلك الحيَّة المتمرِّدة هي التي قادت الإنسان الأول إلى تعدِّى الوصيَّة وإلى العصيان، والتي بواسطتها سقط تحت اللعنة الإلهية، وفي شبكة الموت، فقد قيل له: "*لأنك تراب وإلى التراب تعود*" (تك٣:١٩). فهل كان من الصواب أنَّ ذلك الذي خُلق للحياة والخلود، يصير مائتًا ومحكومًا عليه بالموت بدون أية إمكانية للهروب؟ هل ينبغي أن يكون حسد إبليس أكثر حصانة وثباتًا من إرادة الله؟ ليس الأمر هكذا؛ بل إن حسد إبليس قد أخفق تمامًا؛ ورحمة الخالق قد فاقت النتائج الشريرة لخبثه، فقد أعطى الله معونة لأولئك الذين على الأرض. فماذا إذن كانت الطريقة التي ساعدهم بها؟ إنها طريقة عظيمة بالحق ورائعة وجديرة بالله، نعم، جديرة لأقصى درجة بالعقل الأعلى (بالله)، لأن الله الآب هو حياة بطبيعته؛ ولكونه هو وحده حياة، فقد جعل الابن الذي هو نفسه أيضًا حياة، أن يضيء ويشرق، لأنه لا يمكن أن يكون الأمر بخلاف ذلك مع ذاك الذي هو الكلمة الذي صدر جوهريًا من الحياة، لأنه يلزم — أقول يلزم — أن يكون هو نفسه أيضًا حياة، لكونه هو ذاك الذي نبع من الحياة، نبع من ذاك الذي ولده.

---

[٣] هذا التعبير "التقدمة المحيية" (باليونانية δωροφορίας) يستخدمه الآباء كثيرًا عن الإفخارستيا .

لذلك فإن الله الآب يعطى الحياة لكل الأشياء بالابن في الروح القدس؛ وكل ما يوجد ويتنفس في السماء وعلى الأرض، إنما يأخذ وجوده وحياته من الله الآب بالابن في الروح القدس. لذلك، لا طبيعة الملائكة ولا أي شيء آخر مهما كان، ممَّا هو مخلوق، ولا أي شيء جاء من عدم الوجود إلى الوجود، يمتلك حياة (في ذاته) كثمرة لطبيعته الخاصة؛ بينما على العكس، فالحياة تنشأ ـ كما قلت ـ من الجوهر الذي يفوق الكل، وهو أمر خاص به وحده أن تكون له القدرة على إعطاء حياة، وذلك بسبب أنه هو بالطبيعة الحياة.

إذن، فكيف يمكن للإنسان على الأرض، الذي هو ملتحف بالموت أن يعود إلى عدم الفساد (عدم الانحلال). أجيب بأنه يلزم لهذا الجسد المائت أن يصير شريكًا للقوة المحيية التي تأتى من الله. لكن قوة الله الآب المحيية هي الكلمة الوحيد الجنس، وهو الذي أرسله لنا (الآب) كمخلِّص ومحرِّر. أمَّا كيف أرسله لنا، فهذا ما يخبرنا به بوضوح يوحنا الإنجيلي المبارك عندما يقول: "*والكلمة صار جسدًا وحل فينا*" (يو١: ١٤). لكنه صار جسدًا دون أن يخضع لأيِّ تغيُّر أو تحول إلى ما لم يكونه، ودون أن يتوقف عن أن يكون هو الكلمة ـ لأنه لا يعرف ما معنى أن يعاني ظل تغيير، بل بالحري بكونه وُلِدَ بالجسد من امرأة وأخذ لنفسه ذلك الجسد منها، لكيما إذ قد غرس نفسه فينا باتحاد لا يقبل الانفصال، يمكنه أن يرفعنا فوق سلطان الموت والانحلال كليهما معًا. وبولس هو الشاهد لنا، حيث يقول عنه وعنا: "*فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضًا كذلك فيهما، لكي يُبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ويُعتق أولئك الذين خوفًا من الموت كانوا جميعًا كل حياتهم تحت العبودية، لأنه حقًّا ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل إبراهيم، من ثَمَّ كان ينبغي أن يشبه إخوته في كل شيء*" أي يُشبهنا (عب٢: ١٤ـ١٧). لأنه صار مثلنا، وكسى ذاته بجسدنا، لكيما بإقامته إياه (الجسد) من الموت، يُعِد ـ من الآن فصاعدًا ـ طريقًا يمكن به للجسد الذي وُضع (أُذل) حتى الموت، أن يعود من



جديد إلى عدم الفساد (الانحلال). لأننا متَّحِدون به مثلما كنا أيضًا متَّحدين بآدم، عندما جلب على نفسه عقوبة الموت. وبولس يشهد لهذا، إذ كتب هكذا في أحد المرات: " *فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضًا قيامة الأموات*" (١كو١٥: ٢١) ويقول أيضًا: " *لأنه كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المسيح سيُحيا الجميع*" (١كو١٥: ٢٢). لذلك فإن الكلمة، إذ وحَّد مع ذاته ذلك الجسد الذي كان خاضعًا للموت، فلكونه الله والحياة، فقد طرد منه الفساد (الانحلال)، وجعله أيضًا يصير هو مصدر الحياة؛ لأنه هكذا ينبغي أن يكون جسد (ذاك الذي هو) الحياة.

ولا تكونوا غير مصدِّقين لما قلته، بل بالحري اقبلوا الكلمة بإيمان بعد أن جمعتُ براهين من أمثلةٍ قليلة. عندما تطرحون قطعة خبز في خمر أو زيت أو أي سائل آخر، فستجدون أنها صارت تحمل خاصية ذلك السائل الخاص، وعندما يوضع الحديد في النار، فإنه يصير ممتلئًا بكل فاعليتها؛ وبينما هو بالطبيعة حديد، لكنه يعمل بقوة النار. وهكذا كلمة الله المحيى، إذ قد وحَّد نفسه بجسده الخاص بطريقة معروفة لديه (فقط)، فقد منحه قوة إعطاء الحياة. وهو نفسه يؤكد لنا هذا بقوله: " *الحق أقول لكم من يؤمن بي فله حياة أبدية، أنا هو خبز الحياة*" (يو٦: ٤٧و٤٨) وأيضًا: " *أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد، والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم. الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه، فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير، لأن جسدي مأكلٌ حقٌ، ودمي مشربٌ حقٌ، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه. كما أرسلني الآب الحي وأنا حي بالآب، فمن يأكلني فهو يحيا بي*" (يو٦: ٥١، ٥٣ــ٥٧). لذلك عندما نأكل الجسد المقدس الذي للمسيح مخلِّصنا جميعًا، ونشرب دمه الثمين، تكون لنا حياة فينا، بكوننا جُعلنا واحدًا معه، كائنين فيه ومقتَنين له أيضًا فينا.



لا تدعو أحدًا من أولئك الذين اعتادوا عدم التصديق أن يقول: " إذن، حيث إن كلمة الله لكونه بالطبيعة الحياة، وهو يقيم أيضًا فينا، فهل جسد كل واحد منًا سيُمنح أيضًا القوة لإعطاء الحياة؟ من يقول ذلك فليعلم بالأحرى أنه شيء مختلف تمامًا، بين أن يكون الابن فينا بمشاركة نسبيَّة، وبين أن يصير هو نفسه جسدًا؛ أي أن يجعل ذلك الجسد الذي أُخِذ من العذراء القديسة خاصًّا له (أي يجعله جسده الخاص). لأنه لا يُقال عنه إنه صار متجسِّدًا، أو صار جسدًا، بوجوده فينا، بل بالحري فإن هذا حدث مرَّة واحدة عندما صار إنسانًا دون أن يتوقف عن أن يكون إلهًا. لذلك فإن جسد الكلمة كان هو ذاك الذي اتَّخذه لنفسه من العذراء القديسة وجعله واحدًا معه؛ أمَّا كيف أو بأية طريقة حدث هذا، فهو أمر آخر لا يمكننا أن نخبر به، لأنه أمر غير قابل للشرح ويفوق تمامًا قدرات العقل، وكيفية هذا الاتحاد هي معروفة له هو وحده فقط.

لذلك، كان يليق به أن يكون فينا إلهيًّا بالروح القدس، وكذلك أيضًا — إن جاز القول — يمتزج بأجسادنا بواسطة جسده المقدس ودمه الثمين، اللذين نقتنيهما أيضًا كإفخارستيا مُعطية للحياة في هيئة الخبز والخمر، إذ، لئلا نرتعب برؤيتنا جسدًا ودمًا (بصورة حِسِّيَّة) فِعليَّة، موضوعين على الموائد المقدسة في كنائسنا، فإن الله إذ وضع (أنزل) ذاته إلى مستوى ضعفاتنا، فإنه يسكب في الأشياء الموضوعة أمامنا قوة الحياة، ويُحوِّلها إلى فاعلية جسده، لكيما نأخذها لشركة معطية للحياة، وكي يوجد فينا جسد (ذاك الذي هو) الحياة، كبذرة تنتج حياة. ولا تشك في أنَّ هذا حقيقي، حيث إنه هو نفسه قال بوضوح: " *هذا هو جسدي، هذا هو دمي*"، بل بالحري اقبل كلمة المخلِّص بإيمان، لأنه هو لكونه الحق، فلا يمكنه أن يكذب. وهكذا سوف تكرِّمه، لأنه كما يقول يوحنا الحكيم جدًّا: " *مَن قبِل شهادته فقد ختم أن الله صادق، لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله*" (يو٣:٣٣،٣٤). لأن كلام الله هو طبعًا صادق ولا يمكن أبدًا أن يكون كاذبًا؛ لأنه وإن كنا لا نفهم بأية طريقة يعمل الله مثل هذه



الأعمال، لكن هو نفسه يعرف طريقة (عمل) أعماله. لأنه عندما لم يفهم نيقوديموس كلمات الرب المختصَّة بالمعمودية المقدسة وقال بجهل: " *كيف يمكن أن يكون هذا؟*" (يو٣:٩)، فإنه سمع المسيح يجيب قائلاً: " *الحق أقول لك إننا إنما نتكلم بما نَعلَم ونشهد بما رأينا ولستم تقبلون شهادتنا، إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون، فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات؟*" (يو٣:١١و١٢)، لأنه كيف يمكن لإنسان أن يعرف تلك الأشياء التي تعلو على قدرات إدراكنا وعقلنا؟ لذلك، فلنكرِّم سرّنا الإلهي هذا، بالإيمان.

أما يهوذا الخائن، الذي كان يأكل معه، فقد توبخ بتلك الكلمات التي قالها المسيح: " *ولكن هوذا يد الذي يسلِّمني هي معي على المائدة*". لأنه ربما تخيَّل في حماقته العظيمة، أو ربما بالأحرى لكونه امتلأ بكبرياء إبليس، أنه يمكنه أن يخدع المسيح، مع أنه الإله. لكن كما قلت، إنه أُدين لكونه بالإجمال شريرًا ومبغضًا لله وخائنًا؛ ومع هذا فقد سمح له الرب وتنازل ودعاه إلى المائدة، وقد حُسب أهلاً للُطف الإلهي حتى النهاية؛ لكن بهذا صارت عقوبته أكثر شدة. لأن المسيح قال عنه في موضع ما بصوت المرنم: " *لو كان عدو يُعيِّرني لاحتملتُ، ولو كان الذي يكرهني يتكلم عليَّ بكبرياء لاختبأتُ منه، بل أنت إنسان عديلي، أليفي وصديقي، الذي معه كانت تحلو لنا العشرة، إلى بيت الرب كنا نذهب باتفاق*" (مز٥٤:١٢ـ١٤س). لذلك، فبحسب كلمات المخلص: ويل له! لأن المسيح ــ في الحقيقة ــ بذل نفسه عوضًا عنا، بحسب مشيئة الله الآب الصالحة، لكيما يخلِّصنا من كل شيء. أما الإنسان الذي خان مخلِّص ومنقذ الكل وسلَّمه إلى أيدي القتلة، فسيكون نصيبه الدينونة، التي هي العقاب المناسب لإبليس. لأن ذنبه ليس ضد واحد مثلنا، بل ضد رب الكل؛ الذي به ومعه يليق لله الآب التسبيح والسلطان، مع الروح القدس، إلى دهر الدهور. آمين.

عظة ١٤٣
من هو الأعظم ؟

(لو٢٢: ٢٤ـــ ٣٠): " *وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ أَيْضًا مُشَاجَرَةٌ مَنْ مِنْهُمْ يُظَنُّ أَنَّهُ يَكُونُ أَكْبَرَ. فَقَالَ لَهُمْ: مُلُوكُ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ وَالْمُتَسَلِّطُونَ عَلَيْهِمْ يُدْعَوْنَ مُحْسِنِينَ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَيْسَ هَكَذَا بَلِ الْكَبِيرُ فِيكُمْ لِيَكُنْ كَالأَصْغَرِ وَالْمُتَقَدِّمُ كَالْخَادِمِ. لأَنْ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ ؟ أَلَّذِي يَتَّكِئُ أَمِ الَّذِي يَخْدِمُ؟ أَلَيْسَ الَّذِي يَتَّكِئُ؟ وَلَكِنِّي أَنَا بَيْنَكُمْ كَالَّذِي يَخْدِمُ. أَنْتُمُ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعِي فِي تَجَارِبِي. وَأَنَا أَجْعَلُ لَكُمْ كَمَا جَعَلَ لِي أَبِي مَلَكُوتًا. لِتَأْكُلُوا وَتَشْرَبُوا عَلَى مَائِدَتِي فِي مَلَكُوتِي وَتَجْلِسُوا عَلَى كَرَاسِيَّ تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ* ".

ينادينا أحد الرسل الأطهار قائلاً: " *اسهروا واصحوا*" (انظر ١تس٥: ٦)؛ لأن شبكة الخطية منتشرة منصوبة في كل مكان، والشيطان يجعلنا فريسة له بطرق متنوعة، مقيِّدًا إيانا بأهواء عديدة، وهكذا يؤدِّي بنا إلى ذهن مرفوض. لذلك فأولئك الذين لا يرتضون عن طيب خاطر أن يخضعوا لسلطانه، ينبغي أن يستيقظوا، لأنهم بهذا سينالون النصرة بمعونة المسيح، الذي يهتم بنفوسهم ويُخلِّصهم من كل هوى، لكيما يُمكِّنهم بذهن سليم ونشيط أن يركضوا في الطريق المملوء ربحًا والجدير بالمديح الخاص بنمط الحياة الذي يسرّه. والدروس الموضوعة أمامنا تعلن لنا مرة أخرى، كم عظيمة هي رحمته من نحونا! لأن التلاميذ استسلموا لإحدى الضعفات البشرية، وكانوا يتشاجرون مع بعضهم البعض، مَن منهم يكون الأعظم وأعلا من الباقين؛ فربما أنَّ الذين كانوا يشغلون المركز الثاني بينهم، كانوا لا يريدون أن يفسحوا مجالاً لأصحاب المركز الأول. لكن حتى هذا حدث بينهم وتمَّ تسجيله لمنفعتنا، إذ أنَّ ما حدث للرسل الأطهار يمكن أن يكون سببًا للتواضع فيما بيننا. لأن المسيح يزجر في الحال هذا الداء، ومثل طبيب قوي قطع الهوى الذي نشأ بينهم بوصية حاسمة وخارقة إلى العمق.



والآن، فإن هذا الطموح الباطل والأحمق قد ظهر فيهم بسبب محبة المجد الباطل غير النافعة النابعة من الكبرياء، لأن مجرد رغبة المرء في أن يتفوّق على الآخرين، وأن يُصارع لأجل هذه الغاية، يجعل الإنسان عرضة للَّوم بعدل، وإن كانت من ناحية أخرى لا تخلو تمامًا ممّا يستحق المديح. لأن كون الإنسان يسمو في الفضيلة، فهذا أمر جدير بكل اعتبار، لكن يلزم لأولئك الذين يبلغونه أن يكونوا ذوي عقل متّضِع، وأن يكون لهم شعور التواضع هذا لكي يُستبعد كل تفكير في التفوُّق وذلك بسبب المحبة للإخوة، وهذا هو ما يريدنا المبارك بولس أن نكون عليه، إذ يكتب هكذا قائلاً: "*مُقدِّمين بعضكم بعضًا في الكرامة*" (رو١٢: ١٠). لأن هذا الشعور هو لائق تمامًا بالقدِّيسين، ويجعلهم متألِّقين بالمجد، ويجعل تقوانا من نحو الله جديرة بكرامة أكثر: فهي تُمزِّق شبكة خبث الشيطان وتكسر فخاخه المتنوِّعة وتنقذنا من شراك الفساد. وفي النهاية تكمّلنا على مثال المسيح مخلِّصنا جميعًا. اسمع كيف يضع الرب أمامنا نفسه كنموذج للفكر المتضع وكإرادة غير منشغلة بالمجد الباطل، فيقول لنا: "*تعلموا منّي لأنّي وديع ومتواضع القلب*" (مت١١: ٢٩) وهنا، في الفقرة التي قُرئت علينا للتو يقول: "*لأن من هو الأكبر، الذي يتكئ على المائدة أم الذي يخدم؟ أليس الذي يتكئ؟ ولكن أنا في وسطكم كالذي يخدم*". فعندما يتحدث المسيح هكذا، فمن يمكنه أن يكون عنيدًا هكذا وغير مطيع حتى لا يهتم بأن يطرد عنه كل رغبة في المجد الباطل، ويُبعِد عن فكره محبة الكرامة الفارغة؟ لأن ذاك الذي تخدمه المخلوقات العاقلة والكائنات المقدسة، والذي يُسبِّحه السارافيم وتتّجه إليه خدمات (صلوات) الكون كله، والذي هو مساوٍ لله الآب في عرشه وملكوته، إذ أخذ مكان العبد، فإنه غسل أرجل الرسل القديسين. وعلاوة على ذلك، فهو بطريقة أخرى يأخذ وظيفة العبد، بسبب التدبير في الجسد. ويشهد لهذا بولس المبارك عندما يكتب قائلاً: "*وأقول إن يسوع المسيح قد صار خادم الختان حتى يُثبِّت مواعيد الآباء، وأما الأمم فمجِّدوا الله*

من أجل الرحمة" (رو١٥:٨،٩). إذن فالذي تُقدَّم له الخدمة صار خادمًا، ورب المجد افتقر لأجلنا "*تاركًا لنا مثالاً*"، كما هو مكتوب (١بط٢:٢١).

لذلك ليتنا نتحاشى محبة المجد الباطل، ونخلِّص أنفسنا من اللوم المرتبط بشهوة الرئاسة، لأننا بتصرُّفنا هكذا نصير مشابهين له هو، الذي أخلى ذاته لأجلنا، بينما التشامخ وعجرفة العقل يجعلاننا نشبه تمامًا رؤساء الأمم الذين يميلون للغطرسة دائمًا، وهذه السمة مُحبَّبة لديهم بل ربما مناسبة لهم.

ويقول " لأنهم يُدعَون محسنين ". أي إنَّ مرؤوسيهم يتملَّقونهم ويدعونهم محسنين. ولكونهم خارج نطاق النواميس المقدسة، وغير خاضعين لمشيئة الرب، لذلك فهم ضحايا لهذه الأمراض. لكن الأمر لا ينبغي أن يكون هكذا معنا، بل بالحري ليكن مجدنا هو في التواضع، وفخرنا هو في عدم محبة المجد (الباطل)، ولتكن شهوتنا هي في تلك الأشياء التي تُسرّ الله وترضيه، واضعين في أذهاننا ما يقوله لنا الحكيم: " *بقدر ما تتعظَّم، أخفض ذاتك بالأكثر، فتنال حظوة عند الرب*" (ابن سيراخ٣:١٩). لأنه يرذل المستكبرين، ويعتبر المتعجرفين كأعداء له، أمَّا الودعاء ومتواضعو القلب فيكلِّلهم بالكرامات.

لذلك يدفع المخلِّص عن رسله القديسين داء المجد الباطل، لكنهم (التلاميذ) ربما يفكرون بينهم وبين أنفسهم ــ ويقولون: "ماذا ستكون مكافأة الأمانة، إذن؟ أو ما المنفعة التي ينالها الذين تعبوا في تلمذتهم له، عندما تداهمهم التجارب من حين لآخر؟ لذلك فلكي يُثبّتهم في رجاء البركات المذخّرة ويطرد من أذهانهم كل تكاسل في المساعي الفاضلة، بل أن يختاروا بالأحرى أن يتبعوه بجدٍّ وحماس، ويُسرُّوا بالأتعاب لأجله، ويعتبروا هذا العمل سبب ربح، وسبيلاً للفرح ووسيلة للمجد الأبدي، (لأجل كل هذه)، يقول لهم بالضرورة: "*أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي؛ وأنا أجعل لكم، كما جعل لي أبي ملكوتًا، لتأكلوا وتشربوا على مائدتي*



في ملكوتي، وتجلسوا على اثني عشر كرسيًّا تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر". أرجو أن تلاحظوا أنه لم يتخلَّ بعد عن حدود البشرية، بل الآن يحدِّد نفسه داخل هذه الحدود (البشرية)، لأنه لم يكن بعد قد احتمل الصليب الثمين؛ لأنه يتكلم كواحد منا: ولكنه بعد القيامة من الأموات كشف مجده، إذ أنه قال لهم: "*دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض*" (مت٢٨: ١٨). لذلك ــ كما قلت ــ فهو يتكلم بطريقة بشرية، لكونه لم يرتفع بعد فوق قياس تواضعه. لهذا السبب فهو يقول: "*كما جعل لي أبي عهدًا لمملكة هكذا أنا أيضًا سوف أجعل معكم عهدًا لتأكلوا وتشربوا دائمًا على مائدتي في ملكوتي*". فهل سيكون الحال أنه بعد القيامة من الأموات، عندما يحين الوقت الذي فيه سنكون مع المسيح، ينعم علينا بمشابهة جسده المُمجَّد، هل معنى هذا أنه حتى بعد أن نكون قد لبسنا عدم الفساد، أقول هل سنكون في حاجة آنذاك ــ من جديد ــ لطعام وموائد؟ أليس من الحماقة التامة أن نقول أو نرغب في أن نتخيَّل شيئًا من هذا القبيل؟ لأنه عندما نكون قد خلعنا الفساد، فما هو القوت الجسدي الذي سنكون في احتياج إليه؟ فإن كان الأمر هكذا، فما هو معنى العبارة: "*لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي*"؟ أجيب إنه مرَّة أخرى يعلن لنا الأمور الروحية من خلال أمور الحياة العادية. فأولئك الذين يستمتعون بأعظم الكرامات مع الملوك الأرضيين يشتركون في الوليمة معهم ويأكلون في صحبتهم، وهذا أمر يعتبرونه قمَّة المجد، وكذلك يوجد آخرون يعتبرهم أصحاب السلطان أنهم جديرون بالكرامة، ومع ذلك لا يسمحون لهم أن يأكلوا معهم على نفس المائدة. ولذلك، فلكي يُبيِّن (الرب) أنهم سينعمون معه بأعلى الكرامات، فإنه يستخدم مثالاً مأخوذًا من الحياة العادية، فيقول لهم: وأنا أجعل معكم عهدًا (عهد ملكوت) لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي، وتجلسوا أيضًا على اثني عشر كرسيًا تدينون أسباط إسرائيل.

كيف وبأية طريقة (يفعل ذلك)؟ إنه يقصد أنَّ التلاميذ الذين هم من الجنس الإسرائيلي، حصلوا على أقصى الأمجاد مع المسيح ـ مخلِّص الكل، لأنهم بالإيمان والثبات أمسكوا بالهبة، الذين نسعى نحن أيضًا للاقتداء بهم، لأنه هكذا سيقبلنا المخلِّص ورب الكل في ملكوته، الذي به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب، مع الروح القدس، إلى دهر الدهور. آمين.



عظة ١٤٤

يسوع ينبئ بإنكار بطرس له

(لو٢٢: ٣١ــ٣٤): " *سِمْعَانُ سِمْعَانُ هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ ! وَلَكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ. فَقَالَ لَهُ: يَا رَبُّ إِنِّي مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَمْضِيَ مَعَكَ حَتَّى إِلَى السِّجْنِ وَإِلَى الْمَوْتِ. فَقَالَ: أَقُولُ لَكَ يَا بُطْرُسُ لاَ يَصِيحُ الدِّيكُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ تُنْكِرَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَعْرِفُنِي* ".

يدعو النبي إشعياء أولئك الذين يُحبُّون حياة التقوى في المسيح أن يتوجَّهوا إلى إعلانات الإنجيل بقوله: " *هلموا إلى المياه أيها العطاش*" (إش٥٥: ١). هذه المياه ليست هي مياه الأرض الماديَّة، بل هي بالأحرى مياه إلهية وروحية، منسكبة علينا من المسيح نفسه، لأنه هو نهر السلام، وسيل المسرة الغزير ونبع الحياة. وهكذا سمعناه هو نفسه يقول بوضوح: " *إن عطش أحد فليُقبل إليَّ ويشرب*" (يو٧: ٣٧). تعالوا إذن لكي نُمتِّع أنفسنا هنا أيضًا بالأنهار الإلهية التي تتدفَّق منه. فماذا يقول لبطرس؟ "*سمعان سمعان، هوذا الشيطان طلبكم لكي يُغربلكم كالحنطة، ولكنِّي طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك*".

وأظن الآن أنه من الضروري والنافع لنا أن نعرف ما المناسبة التي جعلت مخلِّصنا يتجه بكلماته إلى هذا الموضوع. كان التلاميذ المباركون يتجادلون فيما بينهم من منهم يكون أكبر، أما مخلِّص الكل الذي حصلوا منه على كل ما هو مفيد وضروري لخيرهم، فقد أنقذهم من شر الطموح، بأن نزع عنهم العراك على أشياء مثل هذه، كما حثَّهم على الهروب من شهوة التعالي على الغير لأنها شرك للشيطان. لأنه قال: " *الكبير فيكم ليكن كالأصغر والمتقدِّم كالخادم*". ثم علَّمهم أيضًا أنَّ وقت التكريم ليس في هذا الزمان الحاضر بل سيكون عند مجيء ملكوته، لأنهم هناك سوف ينالون مكافأة إخلاصهم،

ويكونون شركاء مجده الأبدي، ويلبسون إكليل كرامة فائقة جدًّا، ويأكلون على مائدته، ويجلسون أيضًا على اثني عشر كرسيًّا يدينون أسباط إسرائيل الاثنا عشر.

ولكن اُنظر ها هو يقدّم لهم مساعدة ثالثة كما قرأنا في الدروس التي أمامنا. إنه يعلّمنا أنه يجب علينا أن نفكّر باتضاع عن أنفسنا، فنحن في الواقع لا شيء من كلتا الناحيتين: من ناحية طبيعة الإنسان، وأيضًا من ناحية ميل ذهننا للسقوط في الخطية. فنحن نتقوّى ونكون على ما نحن عليه (في القداسة) بواسطته هو فقط ومنه هو فقط. لذلك، إن كنا قد أخذنا خلاصنا منه، ومنه أيضًا أخذنا ما يجعلنا ذوي شأن في الفضيلة والتقوى ـــ فلأي سبب تكون عندنا أفكار كبرياء؟ لأن كل ما عندنا إنما هو منه، ونحن لا نملك شيئًا من أنفسنا، *"وأيُّ شيءٍ لك لم تأخذه؟ وإن كنتَ قد أخذتَ، فلماذا تفتخر كأنك لم تأخذ؟"* (١كو٤:٧). هكذا تكلّم الحكيم جدًّا بولس، ويقول المبارك داود أيضًا: *" بالله نصنع ببأس"* (مز٥٩:١٢س) وفى مرّة أخرى يقول: *" إلهنا هو ملجأنا وقوتنا"* (مز٤٥:١س). وأيضًا يقول إرميا النبي في موضع ما: *" يا رب، أنت قوّتي وعوني وملجإي في أيام الشدة"* (إر١٦:١٩س). ويمكن أن نبرز هنا المبارك بولس أيضًا الذي يقول بكل وضوح: *" أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوّيني"* (فى٤:١٣)، بل المسيح نفسه أيضًا يقول لنا في موضع ما *" بدوني لا تقدرون إنّ تفعلوا شيئًا"* (يو١٥:٥).

ليتنا إذن لا نفتخر بأنفسنا بل بالحري نفتخر بعطاياه. وإن كان كل واحد منا يفكر بهذه الطريقة، فلن تجد شهوة التعالي على الآخرين أيّ مكان لها فينا، وهكذا نكون كلنا شركاء في نفس النعمة الواحدة، وأيضًا كلنا لنا نفس رب الجنود كخالق، وأيضًا كمعطي للقدرة على فعل الصلاح.

لذلك، ولكي يكسر ميلنا إلى التشامخ، ولكي يكبح المشاعر الطامحة، فإنه يبين أنه حتى من يبدو عظيمًا فهو لا شيء ويتّسم بالعجز والضعف. لذلك



ترك بقية التلاميذ الآخرين واتجه إلى الذي هو متقدِّم بينهم والمُقام قائدًا لرفقائه، وقال له: " *إن الشيطان طلبكم عدة مرات لكي يُغربِلكم كالحنطة*"؛ أي أن يمتحنكم ويُجرِّبكم ويُعرِّضكم لضربات لا تُحتمل. لأنه من عادة الشيطان أن يهاجم الممتازين جدًّا من الناس، ومثل بربري عنيف ومتغطرس، فإنه يتحدَّى أولئك الذين لهم شهرة عظيمة في طُرُق التقوى لينازلهم في معركة فرديَّة. وبهذه الطريقة تحدَّى أيوب، ولكنه انهزم من صبره وسقط المتشامخ إذ قُهِرَ بواسطة احتمال ذاك البطل المنتصر. ولكن الفريسة التي يريد اصطيادها هي الطبيعة البشرية لأنها طبيعة عاجزة، ومن السهل قهرها. وهو قاسٍ وعديم الشفقة وهو في أعماقه لا يهدأ أبدًا. لأن الكتاب المقدس يقول عنه: "*قلبه قاسٍ كالحجر وهو ويقف مثل سندان الحداد الصلب*" (أي٤١:١٥س). ولكن القديسين وطئوه تحت أقدامهم بقوة المسيح؛ لأنه قال: " *ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولا يضركم شيء*" (لو١٠:١٩)، لذلك يقول المسيح: " *الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة، ولكنِّي طلبت من أجلك لكي لا يفنى إيمانك*".

لاحظ أنه يُنزِل (يُوضِع) نفسه إلينا، ويتكلم بحسب حدود الحالة الإنسانية، ومع ذلك فهو الله بالطبيعة، رغم أنه صار جسدًا، ومع أنه هو قوة الآب، الذي به تقوم كل الأشياء وتُحفظ، والذي منه ننال القدرة على الاستمرار في الصلاح، إلاَّ أنه مع ذلك يقول إنه يقدم طلبات كإنسان، لأنه كان من الضروري، نعم، من الضروري لذلك الذي ـــ من أجل التدبير ـــ صار مثلنا، أن يستخدم أيضًا كلماتنا حينما تستدعى المناسبة بحسب ما يتطلبه التدبير نفسه. إنه يقول: " *ولكنِّي طلبتُ من أجلك لكي لا يفنى إيمانك*"، والآن إذن هو يبيِّن بهذا، أنه لو كان بطرس قد سُلِّم للشيطان ليجرِّبه، لكان قد برهن على عدم أمانته تمامًا؛ حيث إنه حتى حين لم يُسلَّم للشيطان، فإنه (أي بطرس) أثبت أنه ضعيف بسبب العجز البشري، لأنه لم يحتمل الخوف من الموت،

لأنه أنكر المسيح بسبب كلمة فتاة صغيرة في دار رئيس الكهنة عندما قالت له: "*وأنت أيضًا واحدًا من تلاميذه*" (انظر يو١٨: ٧).

وبعد أن حذَّره المخلِّص عمَّا كانت ستكون النتيجة لو أنه سلَّم لتجربة الشيطان؛ فإنه في نفس الوقت يُقدِّم له كلمة عزاء بقوله: "*وأنت متى رجعتَ ثبِّت إخوتك*"، أي كن سندًا وموجِّهًا ومعلِّمًا لأولئك الذين يأتون إليَّ للإيمان. وتعجَّب بالأكثر من هذا، أعني من المهارة الرائعة لهذه العبارة، ومن العظمة التي لا تُجارَى للُّطف الإلهي! فلئلا تُؤدِّي سقطة التلميذ الوشيكة إلى اليأس، كما لو كان سيُطرد من أمجاد الرسوليَّة ويفقد مكافأة تلمذته السابقة للمسيح، بسبب أنه أثبت عدم مقدرته أن يحتمل الخوف من الموت وهكذا أنكره؛ فإن المسيح في الحال يملأه بالرجاء الصالح، ويمنحه يقينًا أكيدًا أنه سوف يُحسب أهلاً للبركات الموعود بها، ويحصد ثمار الثبات، لأنه يقول له: "*وأنتَ متى رجعتَ ثبِّت إخوتك*". يا للشفقة العظيمة التي لا مثيل لها! إن التلميذ وهو لم يكن قد أُصيب بعد بداء عدم الإيمان قد نال دواء الغفران؛ وقبل أن يرتكب الخطية نال الصفح، وقبل أن يسقط فإن اليد المخلِّصة امتدَّت إليه، وقبل أن يتداعى فإنه حُفِظ، فإن الرب قال له: "*متى رجعتَ ثبِّت إخوتك*". ومثل هذا الكلام هو كلام ذلك الذي (أي الرب) يصفح عنه ويعيده مرة أخرى إلى الصلاحيات الرسولية.

أما بطرس، ففي حماس غيرته، قدَّم اعترافه بثبات وباحتماله إلى المنتهى قائلاً إنه سوف يجابه بشجاعة أوجاع الموت، وسوف لا يَحسب حسابًا للقيود. إلاَّ أنه بهذا قد جانب الصواب لأنه حينما أخبره المخلِّص بأنه سيضعف، ما كان يجب عليه أن يعارضه بصوتٍ عالٍ؛ لأن الحق (المسيح) لا يمكن أن يكذب؛ بل بالحري كان يجب على بطرس أن يطلب منه القوَّة حتى إما أنه لا يتعرض لهذا (السقوط) أو يُنقذ في الحال من الأذى. ولكن كما سبق أن قلت، إذ كان بطرس حارًّا في الروح، وملتهبًا في حبه للمسيح، وفي غيرته غير



المقيَّدة من جهة عمل تلك الواجبات التي تليق بتلميذ في ملازمته لمعلِّمه، فإنه يعلن أنه سوف يحتمل إلى النهاية.

إلاَّ أنه وُبِّخ لأنه تكلَّم بجهل ضد ما كان معروفًا سابقًا، وأيضًا بسبب تسرُّعه غير المتَّزن في الاعتراض على كلمات المخلِّص. ولهذا السبب يقول له الرب: " *الحق أقول لك: لا يصيح الديك هذه الليلة حتى تنكرني ثلاث مرات*". وهذا تبرهن أنه صحيح. لذلك، ليتنا لا نفكر بتعالٍ عن أنفسنا، حتى ولو رأينا أنفسنا متميِّزين جدًّا بسبب فضائلنا؛ بل بالأحرى فلنقدم تسابيح تشكُّراتنا للمسيح الذي يفتدينا، وهو نفسه أيضًا الذي يمنحنا الرغبة في أن نكون قادرين على فعل الصلاح، هذا الذي به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

عظة ١٤٥

إعداد التلاميذ لمواجهة الصعاب

(لو٢٢: ٣٥-٣٨): *"ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: حِينَ أَرْسَلْتُكُمْ بِلاَ كِيسٍ وَلاَ مِزْوَدٍ وَلاَ أَحْذِيَةٍ هَلْ أَعْوَزَكُمْ شَيْءٌ؟ فَقَالُوا: لاَ. فَقَالَ لَهُمْ: لكِنِ الآنَ مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذلِكَ. وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ فِيَّ أَيْضًا هذَا الْمَكْتُوبُ: وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ. لأَنَّ مَا هُوَ مِنْ جِهَتِي لَهُ انْقِضَاءٌ. فَقَالُوا: يَا رَبُّ هُوَذَا هُنَا سَيْفَانِ. فَقَالَ لَهُمْ: يَكْفِي!"*.

غرس موسى المبارك خوف الله في بني إسرائيل بقوله لهم: "*مخوف هو الوقوع في يدي الله الحي، لأن إلهنا نار آكلة*" (انظر تث٤: ٢٤،عب١٠: ٣١)، كما قال نبي آخر عنه: "*إن غضبه يأكل الرؤساء، والصخور تذوب منه*" (ناحوم١: ٦س)، وبالأكثر يقول عنه داود المبارك في موضع ما من المزامير: "*أنت مخوف، فمن يقف قدامك حال غضبك*" (مز٧٥: ٧س). لأنه ما هي قوة الإنسان، أو كيف يمكن لأية قوة مخلوقة مهما كانت أن تقف مقابل قوة الله الإله القدير التي لا تُقهر؟ ولكن غضبه لا ينزل إطلاقًا على الرجُل البار، لأن الله لا يمكن أن يظلم، إنما غضبه بالأحرى على أولئك الذين خطاياهم عديدة وغير محتملة، وشرورهم تفوق الحدود .

وكَمَثَل لما قلناه، فلنأخذ ما حدث مع جموع اليهود بعد أن قام المسيح من الأموات وصعد إلى السماء. إن الله الآب أرسل لهم ابنه يدعوهم إلى خدمة أسمى من الناموس، وإلى معرفة كل صلاح، وهو أرسله ليحرِّرهم من كل إثم، ويخلِّصهم من وصمة الخطية، وليأتي بهم إلى تبنِّي البنين، وإلى المجد، وإلى الكرامة، وإلى شركة الروح القدس، وإلى الحياة التي لا تفنى، إلى مجد لا ينتهي، وإلى ملكوت السموات. ومع أنه كان من واجبهم أن يسرعوا بلهفة



إلى هذه النعمة ويكرموا بتسابيح الشكر لمن أتى ليساعدهم، وأن يقبلوا بفرح النعمة التي بالإيمان، إلاَّ أنهم في الواقع لم يفعلوا شيئًا من هذا، بل فعلوا العكس تمامًا، لأنهم قاموا ضده، واعتبروه كلا شيء بعدم طاعتهم، وحتى آياته الإلهية كانوا يغارون منها، وبعد أن عملوا وقالوا كل شيء رديء عليه، فإنهم صلبوه في النهاية. وهكذا صار نصيبهم أن يقاسوا تلك الأمور التي صرَّح بها جماعة الأنبياء القديسين من قبل، فإن واحدًا منهم يقول: "*سيطرحهم الله بعيدًا لأنهم لم يسمعوا له، فيكونون تائهين بين الأمم*" (هو٩:١٧س)، وأيضًا: "*لأن أورشليم مرفوضة ويهوذا قد سقطت، وألسنتهم تنطق بالإثم، وهم لا يطيعون الرب، لذلك فإن مجدهم ينخفض وخزي وجوههم يقف ضدهم*" (إش٣:٨و٩س). وفي موضع آخر يخاطبهم الله الذي فوق الكل هكذا: "*والآن من أجل عملكم هذه الأعمال يقول الرب وقد كلمتكم مُبكرًا ومكلمًا فلم تسمعوا ودعوتكم فلم تُجيبوا، اصنعوا بالبيت الذي دُعي باسمي عليه الذي أنتم مُتكلون عليه وبالموضع الذي أعطيتكم وآبائكم إياه كما صنعت بشيلوه وأطرحكم من أمامي كما طرحت كل أخوتكم كل نسل افرايم* " (إر٧:١٣ــ١٥). لأنهم سُلِّموا ــ كما قلت ــ إلى خراب، وتشتَّتوا في الأرض كلها، والتهمت النيران هيكلهم، وسُبي جميع اليهود.

كان هذا هو الحال الذي سبق المسيح وأعلنه للتلاميذ، أما عن المناسبة التي جعلته يتكلم عن هذا الموضوع هو تحذيره المُسبَق لبطرس العجيب أنه سوف ينكره ثلاث مرات، وبالتحديد في وقت القبض عليه، عندما أحضره جنود بيلاطس وخدام اليهود إلى رؤساء الكهنة للمحاكمة، فهناك أنكره بطرس، وعند ذكر القبض عليه وإحضاره أمام قيافا كان من الطبيعي أن يتبع هذا الإشارة إلى ما كان سيحدث بعد ذلك أي إلى آلامه على الصليب، عندئذ أشار وتنبأ عن الحرب التي كانت ستندلع على اليهود، والتي انتشرت مثل نهر بعنف لا يُحتمل على كل أرضهم. وبخصوص هذا يقول: "*حين أرسلتكم بلا كيس ولا*



مذود *ولا أحذية، هل أعوزكم شيء؟ فقالوا لا*" لأن المخلِّص أرسل رسله القديسين وأوصاهم أن يكرزوا لسكان كل قرية ومدينة بإنجيل ملكوت السموات، وأن يشفوا كل ضعف وكل مرض في الشعب، ومنَعَهم من أن يشغلوا أنفسهم بالأمور التي تخص الجسد، بل بالأحرى ألاَّ يحملوا كيسًا ولا أي شيء يعوقهم، بل أن يضعوا كل اتكالهم فيما يخص طعامهم، عليه. وهذا ما فعلوه، فجعلوا أنفسهم مثالاً للسلوك الرسولي الممدوح. ويقول "*ولكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك*" (لو٢٢:٣٦). أخبرني إذن، هل كان هذا بسبب أنَّ الرب غيَّر كلامه فابتكر أفكارًا أكثر نفعًا لهم؟ وهل كان من الأفضل في الظروف الأولى أن يكون لهم كيس ومزود ؟ وإن كان لا، فما الداعي إلى هذا التغيير المفاجئ؟ وما هو احتياج الرسل القديسين للكيس وللمزود ؟ أيَّة إجابة نعطيها عن ذلك؟ إن القول كما يبدو ظاهريًا يشير للتلاميذ، ولكنه في الواقع ينطبق على اليهود، فهؤلاء هم الذين كان المسيح يوجه إليهم الخطاب، لأنه لم يقل إنه ينبغي على الرسل القديسين أن يأخذوا كيسًا ومزودًا، ولكن من له كيس مزود فليأخذه، ويعني بذلك أنَّ مَن له ممتلكات خاصة في إقليم اليهودية، فعليه أن يجمع كل شيء ويهرب، حتى يمكنه بأي طريقة أن ينجِّي نفسه. أما من ليس له الوسائط لتجهيز نفسه للرحيل، بسبب شدة فقره، فيلزمه أن يبقى في الأرض. فيقول إن مثل هذا: "*فليبع ثوبه ويشتر سيفًا*"، لأن السؤال لهؤلاء الذين سوف يبقون في الأرض لن يكون، إن كانوا يمتلكون شيئًا أم لا، بل بالحري يكون السؤال هو هل يمكنهم الإبقاء على حياتهم، لأن الحرب سوف تحل بهم بعنف لا يُحتمل، حتى لا يستطيع أحد أن يقف ضدها.

وبعد ذلك يخبرهم عن سبب المصيبة ويخبرهم عن ضيقة عظيمة جدًّا لا نجاة منها سوف تحل بهم قائلاً إنه بحسب الكتب: "*سوف يُحصى مع الأثمة*". وهو يقصد هنا بوضوح تعليقه على الصليب مع اللصين اللذين صُلبا معه. وهكذا سوف يحتمل عقاب الأثمة، وعندما يبلغ التدبير هذا الحد، سوف يكون

الانقضاء. لأنه بالفعل احتمل آلامه المخلِّصة لأجلنا، وهكذا ــ وإلى هذا الحد ــ قد كمل شرّ اليهود المتجاسر، وهذا هو اكتمال غضبهم الشديد الجامح. ولكن بعد الآلام على الصليب، صارت جميع الأيدي بلا قوة، لأن: "*العدو لا يرغمه، وابن الإثم لا يمكنه أن يؤذيه فيما بعد*" (مز٨٨:٢٢س). وذلك لأنه قام وداس الموت، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين الله الآب، وسوف يأتي بعد ذلك ليس في حالة وضيعة كما جاء سابقًا، ولا بقياس الطبيعة البشرية، إنما في مجد الآب، مع الملائكة القديسين كحرّاسًا له يحفُّون به؛ وسوف يجلس أيضًا على عرش مجده، ليدين المسكونة بالعدل كما هو مكتوب (انظر إش١١:٤). وكما يقول النبي: "*سينظرون إلى الذي طعنوه*" (زك١٢:١٠). فالذي سَخَرتْ منه هذه المخلوقات البائسة عندما رأوه معلَّقًا على الصليب الثمين، سوف ينظروه وهو مُكلَّل بالمجد الإلهي، وبسبب شرهم نحوه، سوف يسقطون في هاوية الهلاك. إن قوله: "*ما هو من جهتي له انقضاء*"، أي ما يتصل بمُعاناتي للموت في الجسد، وبعد هذا سوف تحدث تلك الأشياء التي تنبأ عنها الأنبياء القديسون في القديم عن أولئك الذين قتلوه.

وبخصوص التنبؤ عن هذه الأشياء، فالمخلِّص كان يتكلم عما كان وشيكًا أن يحدث لبلاد اليهود. لكن التلاميذ الإلهيين لم يفهموا المعنى العميق لما قيل، بل ظنوا بالحري أنه يقصد أنّ السيوف ضرورية بسبب الهجوم الوشيك أن يعمله التلميذ الذي خانه وأولئك الذين اجتمعوا للقبض عليه، لذلك قالوا: "*يا رب هوذا هنا سيفان*". وماذا كانت إجابة السيد؟ يكفي. لاحظ كيف أنه سخر من قولهم، إذ كان يعرف جيدًا أنّ التلاميذ إذ لم يفهموا معنى ما قيل، فإنهم ظنُّوا أنه يوجد احتياج للسيوف بسبب الهجوم الوشيك أن يحدث عليه هو نفسه. أما هو، وقد ثبَّت نظره على تلك الأمور المزمع أن تقع وشيكًا على اليهود بسبب سلوكهم الشرير تجاهه، فإن المخلِّص ــ كما قلتُ ــ سخر من قولهم وقال: "يكفي". نعم بالحق، هل يكفي سيفان لاحتمال وطأة الحرب العظيمة والوشيكة



أن تحدث لهم، هذه التي لم تكن تنفع فيها آلاف السيوف؟ إن كبرياء اليهود جعلهم يقاومون مقاومة عنيفة ضد قوات أغسطس قيصر، ولكنهم لم ينتفعوا شيئًا، لأنهم قد حوصروا بقوة فتَّاكة، وقاسوا كل بؤس، كما يقول إشعياء النبي: " *ما قضى به الإله القدوس من يبطله؟ ويده عندما تُرفَع من يردها* " (إش١٤:٢٧س). لذلك ليتنا نحترس لئلا نثير غضب الله، لأنه أمر مخيف هو الوقوع في يديه. أما الذين يؤمنون بالمسيح فهو رحيم بهم أي أولئك الذين يُسبِّحونه، والذين يدعونه فاديًا لهم ومخلِّصًا، وهم الذين يخدمونه خدمة روحية بكل سلوك فاضل. لأننا إن تصرفنا وتكلمنا هكذا، فإن المسيح سيجعلنا خاصته، الذي به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور، آمين.



عظة ١٤٦

يسوع يُصلي ويحزن ويكتئب في جبل الزيتون

(لو٢٢:٣٩ــ٤٢، ٤٥، ٤٦): *"وَخرَجَ وَمَضَى كَالْعَادَةِ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُون وَتَبِعَهُ أَيْضًا تَلاَمِيذُهُ. وَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَكَان قَالَ لَهُمْ: صَلُّوا لِكَيْ لاَ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى. قَائِلاً: يَا أَبَتَاهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ... ثُمَّ قَامَ مِنَ الصَّلاَةِ وَجَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ فَوَجَدَهُمْ نِيَامًا مِنَ الْحُزْنِ. فَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا أَنْتُمْ نِيَامٌ؟ قُومُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ"*.

يطلب ربنا يسوع المسيح من الذين يحبونه أن يكونوا باحثين مدقِّقين بخصوص كل ما كُتب عنه، لأنه يقول: "*يشبه ملكوت السموات كنزًا مخفى في حقل*" (مت١٣:٤٤)، لأن سرَّ المسيح مُودع ــ إن جاز القول ــ على عمق عظيم، وهو ليس واضحًا للكثيرين، أما الذى يرفع الغطاء عنه بواسطة المعرفة الدقيقة فهو يجد الغنى المخبأ هناك. وهذا يشبه المرأة الحكيمة، أعنى مريم، التى قال عنها المسيح إنها: "*اختارت النصيب الصالح الذى لن يُنزع منها*" (لو١٠:٤٢). لأن هذه الأمور الأرضية والمؤقتة تذبل مع الجسد، أما الأمور الإلهية والعقلية والتى تنفع حياة النفس، فهى ثابتة تمامًا، ولا يمكن أن تتزعزع. لذلك هيا بنا نتطلع إلى معنى الدروس الموضوعة أمامنا.

كان المخلِّص يقيم نهارًا في أورشليم يُعلِّم الإسرائيليين ويكشف لهم طريق ملكوت السموات، ولكن عندما كان يأتى المساء كان يستمر مع التلاميذ القديسين على جبل الزيتون عند بقعة تسمى جثسيمانى، فهكذا يخبرنا متى البشير بخصوصه.



ولما جاء إلى هناك ــ كما يخبرنا أيضًا متى نفسه ــ فإنه أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يحزن ويكتئب، فقال لهم: " *نفسي حزينة جدًّا حتى الموت*، ثم *تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلِّي قائلاً: يا أبتاه، إن أمكن فلتعبر عني هذه الكأس، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت*" (مت٢٦:٣٧ــ٣٩). أرجوكم أن تنظروا هنا إلى عمق التدبير في الجسد، وإلى سُمو تلك الحكمة التى لا يمكن لكلمات أن تُخبِر بها، ثبِّتوا عليها عين العقل الثاقبة، وإن لم تستطيعوا رؤية جمال السر، فأنتم أيضًا ستقولون: " *يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء*" (رو١١:٣٣). يقول الكتاب إنه ابتدأ يحزن ويكتئب. لأى سبب أيها الرب؟ هل أنت أيضًا ترتعب من الموت؟ هل أنت أيضًا يستولى عليك الخوف وتتراجع عن الألم؟ وأيضًا ألست أنت الذى علَّمت الرسل القديسين ألاَّ يبالوا بأهوال الموت بقولك: " *لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها*" (مت١٠:٢٨). وأكثر من هذا، إن قال أحد إنَّ نعمة الثبات الروحي هي عطيَّتك للمختارين، فلا يكون قد حاد عن الصواب؛ لأن كل قوة هى من عندك وكذلك أيضًا كل ثقة وكل شجاعة في كل مواجهة ضارية. أنت الحياة بالطبيعة، أنت علَّة الحياة، ونحن نتطلَّع إليك كمخلِّص ومنقِذ ومحطِّم للفساد، منك يقتبل الجميع حياتهم ووجودهم. أنت خلقت كل ما يتنفس. الملائكة لك ومنك وبك، وهكذا أيضًا جميع الخليقة العاقلة. يتحدث إليك الطوباوى داود بخصوصنا: " *تُرسل روحك فيُخلَقون، وتُجدِّد وجه الأرض*" (مز١٠٣:٣٠س). كيف إذن تحزن وتكتئب وتتأسَّى حتى الموت؟ فمن الواضح أنك تعلم أنك أنت هو الله بالطبيعة، وتعلم كل ما هو مزمع أن يحدث، وأنك باحتمالك الموت في الجسد سوف تُحرِّر سكان الأرض كلها من الموت، وسوف تهزأ بالشيطان، وسوف تقيم نصبًا للنصرة على كل قوة شريرة ومقاومة، وأنك سوف تكون معروفًا لكل شخص وتُعبد كإله وكخالق للجميع. أنت تعرف أنك سوف تُبيد



الهاوية، وأنك سوف تُخلِّص الذين هناك من الرباطات التى كابدوها لأجيال عديدة، وأنك سوف تجذب إلى نفسك كل من هم تحت السماء. هذه الأمور أنت أعلنتها بنفسك لنا منذ القديم بواسطة الأنبياء القديسين. ونحن قد سمعناك تقول بوضوح عندما كنت مثلنا: " *الآن دينونة هذا العالم، الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجًا*" (يو١٢: ٣١)، وأيضًا: " *وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليَّ الجميع*" (يو١٢: ٣٢)، وأيضًا: " *الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمُت فهى تبقى وحدها، ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير*" (يو١٢: ٢٤).

فلأي سبب إذن تحزن وتكتئب؟ إنه يقول: نعم، ليس بدون مناسبة أن أُوجد هكذا في هذا الكرب، لأنني أعرف حقًّا أنه بقبولي أن أقاسي الألم على الصليب، فإننى سوف أخلِّص كل الذين تحت السماء من كل شر، وأكون سببًا لبركات لا تُحصى لجميع سكان الأرض. أنا لا أجهل أني سأحل وثاقات الموت وسأبطل اضمحلال الأجساد، وسأهزم طغيان الشرير وأهب غفران الخطايا. ولكن، ما يحزننى هو بخصوص البكر إسرائيل؛ لأنه من الآن فصاعدًا، لن يعود يُحسب، حتى ولا بين الخدام. إن نصيب الرب وحبل ميراثى سوف يصير نصيبًا لبنات آوى ــ كما هو مكتوب (مز٦٢: ١٠س)، المحبوب سوف يُكره بشِدَّة، الذى له المواعيد سوف يُجرَّد تمامًا من جميع مواهبي، والكَرْم المختار مع عنبه الجيِّد سوف يصير من الآن فصاعدًا أرضًا جرداء، مكانًا مقفرًا بلا ماء لأني سوف آمر السحب بألاَّ تمطر عليه (إش٥: ٦س)، وسوف أنزع سياجه فيصير للنهب، وأهدم جدرانه فيصير للدوس (إش٥: ٥س). أخبرنى إذن ألاَ يشعر صاحب الكرم بالكرب، بسبب ذلك عندما يصير كرمه خربًا وقفرًا؟ أي نوع من الرعاة يكون هذا من القسوة والشدة فلا يتأثر عندما يتلف قطيعه؟ كيف لا يتألم لأجله؟ إن هذه الأشياء مجتمعة هي سبب حزني، لأجل هذه الأمور أنا حزين، لأنني أنا هو الله اللطيف الرحيم الذي يحب الصفح والإنقاذ، والذي ليست لى مسرَّة بموت الخاطئ مثلما يرجع

عن طريقه الشرير فيحيا (حز١٨: ٢٣س). فبالصواب، حقًا بالصواب جدًّا، إذ أنني صالح ورحوم، فإنني لا أكون فقط فرحًا بما هو مُسرّ، بل وأشعر أيضًا بالأسى لكل ما هو مُحزِن.

أمَّا بخصوص شفقته على أورشليم، فهو يدرك جيدًا ما هو مزمع أن يحدث لها، وأنها سوف تكابد كل شقاء بسبب جرائمها ضده. وهذا يمكنك أن تعرفه من الآتى: فالبشير يقول إنه فيما كان ذاهبًا من اليهودية إلى أورشليم، فإنه: "*نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً: إنك لو علمت أنتِ أيضًا حتى في يومك هذا ما هو لسلامك، ولكن الآن قد أُخفيَ عن عينيك* " (لو١٩: ٤١، ٤٢) فكما بكى على لعازر إشفاقًا على كل الجنس البشري الذي صار فريسة للفساد والموت، هكذا نقول إنه حزن وهو يرى أورشليم وقد تورَّطت في تعاسات شديدة جدًّا، وهي معرَّضة لكوارث مفجعة لا خلاص منها.

ولكي نعرف ماذا كانت رغبته بخصوص إسرائيل[٤]، قال لتلاميذه إنه في حزن وكرب شديدَيْن، لأنه كان من المستحيل عليهم أن يعرفوا ما هو مخبَّأ داخله إن لم يكشف مشاعره بواسطة الكلام.

وأظن أنه من الضروري أن أضيف لما قيل أنَّ أوجاع الحزن، والكآبة، لا يمكن إرجاعها إلى طبيعة الكلمة الإلهية التى هى غير قابلة للألم، لأنه من المستحيل أن تتألم، إذ أنَّ هذه الطبيعة تعلو على كل ألم، ولكننا نقول إن الكلمة المتجسد شاء أن يُخضِع نفسه إلى قياس الطبع البشري، بأن فرض على نفسه أن يقاسي ما يخصّه (أي الطبع البشري)، وحيث إنه قيل إنه جاع مع أنه الحياة وسبب الحياة والخبز الحي، وقيل إنه تعب من رحلة طويلة مع أنه رب القوات، هكذا قيل أيضًا إنه حزن وبدا أنه قادر أن يتألم، لأنه لم يكن من

[٤] تضيف هنا مخطوطة Mai اليونانية شرحًا لعبارة " لخوف المسيح من الموت " على أنه خوف متعمد: أولاً: لتثبت إنه إنسان حقيقي، حيث إن الخوف هو جزء من صفات الطبيعة البشرية، وثانيًا: إنَّ فيه وهو مُمَثِّلنا الشخصي، يجب أن تُقهَر أوجاع الطبيعة البشرية الدنيئة عن طريق قوة الكلمة، وهكذا أصبح ربنا المثال الكامل للسلوك المسيحي.



المناسب أنَّ هذا الذي أخضع نفسه للإخلاء ألاَّ يشترك في معاناة الأمور البشرية. فكلمة الله الآب إذن هو خالٍ تمامًا من كل ألم، ولكن بحكمة ولأجل التدبير، فإنه أخضع ذاته للضعف البشري حتى لا يظهر أنه يرفض ما يتطلَّبه التدبير (تدبير التجسد). حقًّا، إنه قد استسلم تمامًا للطاعة للعوائد البشرية والنواميس مع أنه ــ كما قلتُ ــ لا يُوجد أي شيء من هذه الأمور في طبيعته الخاصة.

ومع ذلك فيوجد كثير يُضاف على ما قيل، ولكن نكتفي في عظتنا بهذا الحدِّ في الوقت الحاضر، ونستبقى ما هو أكثر إلى لقاء آخر إن شاء المسيح مخلِّصنا كلنا أن يجمعنا هنا مرَّة أخرى، هذا الذي به ومعه يليق التسبيح والسلطان لله الآب مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

عظة ١٤٧

صلاة يسوع في البستان

ها أنا آتي إليكم لأوفي ما سبق أن وعدتكم به، ولكي أُضيف خاتمة مناسبة لحديثي عن المسيح. لأنه في كل الظروف من الخطر أن يكون الإنسان كاذبًا؛ ولكن حينما يرتكب الإنسان هذا الخطأ في الأمور الهامة لبنياننا، فحينئذ نخشى أن نجلب على أنفسنا دينونة من فوق، ونصير أيضًا سببًا لسخرية عامة.

قلنا في اجتماعنا الأخير إن المسيح مخلِّص الجميع كان مع التلاميذ القديسين على جبل الزيتون، بينما كانت الحيَّة المتعدِّدة الرؤوس، أي الشيطان، يُعِدُّ للمسيح فخ الموت، وكان رؤساء مجمع اليهود والتلميذ الذي خانه، لم يتركوا وسيلة لم يلجأوا إليها ليمسكوا بشخصه، وقد جمعوا أولئك الذين سيقبضون عليه، وهم زمرة من جنود بيلاطس، وجمع من خدام اليهود الأشرار. لذلك بينما كانت المحاولة على وشك أن تتم كان هو في حزن، وكان يحث تلاميذه أن يتصرَّفوا بما يناسب هذا الظرف (العصيب) بقوله لهم: " *اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة*". وحتى لا يكون تعليمه بالكلام فقط، صار هو نفسه مثالاً لِمَا ينبغي أن يفعلوه هُم، فقد انفصل عنهم قليلاً، نحو رمية حجر، وجثا على ركبتيه وصلَّى قائلاً: " *يا أبتاه، إن شئت أن تجيز عنِّي هذه الكأس*". قد يتساءل أحد الآن: " **لماذا لم يُصلِّ مع التلاميذ القديسين ولكن انفصل عنهم وصلَّى بمفرده؟" كان هذا لكي يُعلِّمنا نمط هذا النوع من الصلاة التي تُسرّ الله**، فحينما نصلِّي ليس من الصواب أن نستعرض أنفسنا على مرأى من الآخرين، ولا أن نسعى أن ينظرنا كثيرون، لئلا نُغرِق أنفسنا في وحل محاولة استرضاء الناس، فنجعل كل تعب صلواتنا بلا أيَّة منفعة. والكتبة والفريسيون كانوا مذنبين بهذا الخطأ، فقد وبَّخهم ربنا مرة بسبب محبتهم للصلاة في زوايا الشوارع، وبسبب الصلوات الطويلة التي كانوا يعملونها في المجامع لكي يراهم الناس. أمَّا بالنسبة للذين يريدون أن يعيشوا باستقامة، وهم شغوفون أن يمتلئوا بمحبة الله، فإنه يضع قانون الصلوات في هذه الكلمات: " *وأمَّا أنت فمتى صلَّيتَ فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصلِّ إلى أبيك الذي في الخفاء،*



فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك" (متى٦:٦). لذلك فنحن نجده في كل موضع **يُصلِّي على انفراد، حتى نتعلَّم أنت أيضًا أنه يجب علينا أن نتحادث مع الله بذهن هادئ وقلب ساكن خالٍ من كل قلق،** لأن الحكيم بولس يكتب: "*فأريد أن يُصلِّي الرجال... رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال*" (١تى٢:٨).

لذلك، فإنه كان يصلِّي بينما كانوا أولئك القادمين للقبض عليه على وشك الوصول، أي إنسان ذو فهم لن يقول إن الرب قدَّم هذه التوسلات كأنه في احتياج إلى قوة أو عون من آخر ــ لأنه هو نفسه قوة واقتدار الآب الكُلِّي القدرة، ولكنه تصرَّف هكذا لكي نتعلم نحن منه أن نتخلَّى عن كل إهمال عندما تداهمنا التجربة وتضغط علينا الاضطهادات، ويحتال علينا الغادرون، ويحيكون لنا فخاخهم، ويعدُّون لنا شبكة الموت. هذه هي نفس وسيلة خلاصنا أن نسهر ونجثو على ركبنا، ونقدم تضرعات متواصلة، ونسأل المعونة التي تأتي من فوق، لئلا نضعف، فنعاني من تحطُّم مرعب جدًّا لسفينة حياتنا.

إن الشجاعة الروحية تليق حقًّا بالقديسين، ولكن أولئك الذين يقاومون عنف التجارب ــ يجب أن يكون لهم ذهن راسخ لا يتراجع، لأنه من الجهل التام أن نثق ثقة زائدة في أنفسنا أثناء الصراعات، والذي يُفكِّر هكذا هو مُصاب بالتفاخر والتباهي، لذلك ينبغي ــ وأنا أُكرِّر ــ أن نقرن الشجاعة والصبر بتواضع الفكر، وإن تعرضنا لأيَّة تجربة فإن ذهننا يكون مستعدًّا بثبات لمقاومتها، ومع ذلك فلنسأل الله أن يعطينا القدرة على الاحتمال بشجاعة، لأننا أُمرنا أن نقول في صلواتنا: " *ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير*".

لاحظوا إذن النموذج المُقدَّم لكم في شخص المسيح مخلِّصنا كلنا لكي تسلكوا مثله، وهيا بنا نلاحظ طريقة صلاته. إنه يقول: " *إن شئت أن تجيز عنِّي هذه الكأس*". أتنظرون كيف أنَّ المسيح يجعل صلاته في مواجهة التجربة بتوقير يناسب الإنسان؟ فهو يقول: " *إن شئت أن تجيز*". وتذكروا هنا أيضًا ما كتبه المغبوط بولس بخصوصه: " *الذي في أيام جسده إذ قدَّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات*

القادر أن يُخلِّصه من الموت، وسُمع له من أجل تقواه، مع كونه ابنًا تعلم الطاعة ممَّا تألم به، وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي" (عب٥:٧ـ٩). فهو كواحد منا، يُسلِّم لإرادة أبيه أن يجري كل ما هو مزمع أن يحدث. لذلك فإذا حدث لنا في أي وقت وتعرَّضنا لصعوبات غير متوقَّعة، وكان لازمًا لنا أن نحتمل أي صراع فكري، فلنتوسل إلى الله لا أن ينتهي (الصراع) بحسب مشيئتنا، بل بالحري فلنطلب أن يفعل ما يعرف هو أنه مناسب ولازم لمنفعة نفوسنا. "*لأننا لا نعرف ما نصلِّي لأجله كما ينبغي* " (رو٨:٢٦)، بل هو مستودَع جميع الخيراتِ وهو يعطي كل ما هو مناسب لأولئك الذين يحبونه.

إن ما قلته الآن أثق أنه يكون نافعًا لكم جميعًا، ولكن إن كان يجب أن نستنبط شرحًا آخر لهذه الصلاة، فإننا نقول أيضًا إنها تُوبِّخ شرَّ اليهود. وسنشرح الآن كيف تُوبِّخهم، لقد سمعتم المسيح يقول: "*يا أبتاه إن شئت أن تجيز عنِّي هذه الكأس*". فهل كانت آلامه إذن عملاً لا إرادي؟ وهل كان ضروريًّا له أن يتألم، أم كان عنف أولئك الذين تآمروا ضده أقوى من إرادته الخاصة؟ نقول لكم: ليس الأمر هكذا. إن آلامه لم تكن عملاً غير إرادي، مع أنها من جهة أخرى كانت مُحزِنة لأنها كانت تتضمَّن رفضًا لمجمع اليهود وملاشاته. لم تكن إرادته أن يكون إسرائيل هو قاتل ربه، لأنه بعمله هذا فإنه يُعرِّض نفسه لدينونة متناهية الشدِّة، ويصير مشجوبًا ومرفوضًا من أن يكون له نصيب في عطاياه وفي الرجاء المُعدّ للقديسين، في حين أنه كان يومًا ما هو شعبه الخاص، وشعبه الوحيد، ومختاره، والوريث المتبنَّى. إن موسى يقول عنهم: "*هوذا للرب إلهك السموات والأرض، أنت اختارك الرب من جميع الشعوب لتكون شعبه الخاص*" (تث١٠:١٤،١٥س). لذلك فمن الصواب أن ندرك بوضوح أنه من أجل رحمته على إسرائيل كان ممكنًا أن يجيز عنه (عن المسيح) ضرورة الآلام، ولكن بما أنه لم يكن ممكنًا (للمسيح) أن لا يحتمل الآلام، فإنه خضع لها أيضًا لأن الله الآب هكذا أراد أن تحدُث هذه الآلام له.

ولكن تعالوا نفحص هذا الأمر أكثر. "هل قرار الله الآب وإرادة الابن نفسه تدعوه لضرورة قبول الآلام؟ وإن كان الأمر هكذا، وإن كان ما قد قلته صحيحًا، أمَا كان من



الضروري أن يكون شخص ما هو الخائن، وأن ينحدر الإسرائيليون إلى هُوَّة التجاسر حتى أنهم يرفضون المسيح، ويُسلِّموه للخزي والعار بطرق متعددة ويحكموا عليه بالموت مصلوبًا؟". ولكن إن كان هذا هكذا، فكيف نجده يقول: "*ويلٌ لذلك الرجل الذي به يُسلَّم ابن الإنسان، كان خيرًا لذلك الرجل لو لم يُولد؟*" (مت٢٦:٢٤). وما هو السبب العادل الذي يُؤدِّي إلى هلاك إسرائيل والحكم عليه بويلات الحرب؟ لأنه كيف يمكن أن يتعارض هذا مع قرار الله وأهدافه التي لا تُقاوم؟ إن الله ليس بظالم، ولكنه يزن أمور أعمالنا بحُكم مقدَّس، فكيف إذن يعامل ما هو غير إرادي على أنه إرادي؟ لأن الله يشفق على سكان الأرض البائسين الممسوكين في فخاخ الخطية والقابلين للموت والفساد، والخاضعين تحت يد طاغية، والمأسورين مِن سِرب مِن الشياطين. لقد أرسل الله ابنه من السماء ليكون مخلِّصًا ومنقذًا، وهو الذي صار أيضًا مثلنا في الشكل. ولكن مع أنه عرف مسبقًا ما سوف يتألم به، وأن عار آلامه ليس هو ثمر إرادته الخاصَّة، إلاَّ أنه قَبِل أن يتحمَّلها لكي يخلِّص (سكان) الأرض، والله الآب أراد هذا معه أيضًا بسبب شفقته ومحبته لجنس البشر، لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية (يو٣:١٦). لذلك فبخصوص العار (الذي لاقاه) بسبب آلامه، فإنه لم يكن يريد أن يتألَّم، ولكن إذ لم يكن من الممكن له ألاَّ يتألم بسبب قسوة اليهود وعدم طاعتهم وعنفهم غير الملجم، فإنه احتمل الصليب مستهينًا بالخزي (عب١٢:٢) وأطاع الآب حتى الموت موت الصليب (في٢:٨)، ولكنه يقول: "*إن الله رفَّعه وأعطاه اسمًا فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع المسيح كل ركبة مِمن في السماء، ومِمَّن على الأرض ومِمَّن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أنَّ يسوع المسيح هو الرب لمجد الله الآب. آمين*".

عظة ١٤٨

القبض على يسوع - خيانة يهوذا

(لو ٢٢: ٤٧-٥٣): *" وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذَا جَمْعٌ وَالَّذِي يُدْعَى يَهُوذَا - أَحَدُ الاثْنَيْ عَشَرَ - يَتَقَدَّمُهُمْ، فَدَنَا مِنْ يَسُوعَ لِيُقَبِّلَهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: يَا يَهُوذَا أَبِقُبْلَةٍ تُسَلِّمُ ابْنَ الإِنْسَانِ؟. فَلَمَّا رَأَى الَّذِينَ حَوْلَهُ مَا يَكُونُ قَالُوا: يَا رَبُّ أَنَضْرِبُ بِالسَّيْفِ ؟. وَضَرَبَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَبْدَ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ فَقَطَعَ أُذْنَهُ الْيُمْنَى. فَقَالَ يَسُوعُ: دَعُوا إِلَى هَذَا! وَلَمَسَ أُذْنَهُ وَأَبْرَأَهَا. ثُمَّ قَالَ يَسُوعُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَقُوَّادِ جُنْدِ الْهَيْكَلِ وَالشُّيُوخِ الْمُقْبِلِينَ عَلَيْهِ: كَأَنَّهُ عَلَى لِصٍّ خَرَجْتُمْ بِسُيُوفٍ وَعِصِيٍّ! إِذْ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ فِي الْهَيْكَلِ لَمْ تَمُدُّوا عَلَيَّ الأَيَادِيَ. وَلَكِنَّ هَذِهِ سَاعَتُكُمْ وَسُلْطَانُ الظُّلْمَةِ ".*

هناك أهواء متعددة ومُرَّة تحارب نفس الإنسان، وهي إذ تهاجمها بعنف لا يُحتمل، فإنها تهبط بها إلى أعمال غير لائقة، ولكن أردأ من الكل هي محبة المال التي هي أصل كل الشرور، والتي في شباكها - التي لا سبيل للخلاص منها - وقع ذلك التلميذ الخائن، الذي قَبِل أن يكون خادماً لخداع الشيطان، وأن يصير أداة في يد رؤساء مجمع اليهود الأشرار في تعدّيهم على المسيح.

هذا هو ما يُظهِره لنا مرَّة أخرى بوضوح معنى الدروس الإنجيلية، لأن المخلِّص سبق ونبَّه الرسل القديسين أنه سوف يُقبض عليه ويكابد آلامه على الصليب بيد الأثمة. كما أنه أوصاهم بأنه عندما تضغط التجربة، عليهم ألاَّ يضجروا وألاَّ يناموا في وقت غير مناسب، بل بالأحرى أن يسهروا وأن يثابروا في الصلوات، وبينما كان لا يزال يكلِّمهم بهذه الأمور، إذا جمع والذي يُدعى يهوذا واحد من الاثني عشر يتقدَّمهم. هل ترون كيف يحزن الإنجيلي الطوباوي أو بالحري يخور ويضعف؟ لأنه كان يودّ ألاَّ يسمح لنفسه أن يُبقي في ذاكرته ذلك التلميذ الذي باع نفسه للشيطان هكذا بسهولة، حتى أنه يرفض أن يذكر اسم ذلك الأثيم، لأنه يقول: " *الذي يُدعى يهوذا* " ولكن لماذا؟ أما يَعلَم



أنَّ هذا الرجل كان معدودًا مع المختارين، ومحسوبًا ضمن جماعة الرسل القديسين؟ ولكن كما قلت لكم للتو، إنه كان يكره حتى اسمه، لذلك كتب التعبير: *الذي يُدعى يهوذا*".

كما أنه يضيف إلى ذلك أنه أحد الاثني عشر، وهذا أيضًا أمر له أهمية عظيمة ليُظهر بوضوح تام شناعة جريمة الخائن. لقد كان معادلاً في الكرامة للباقين، وكان مُزيَّنا بكل الكرامات الرسولية، ولكن هذا المختار والمحبوب، والذي تلطَّف الرب وأدخله إلى المائدة المقدسة وإلى أعلى الكرامات، صار الواسطة والوسيلة لقتلة المسيح. أيّ نوح يكفيه، أيّ فيض من الدموع يلزم على كل واحد أن يذرفه من عينيه عندما يُفكِّر مِن أي سعادة سقط هذا البائس إلى مثل هذا الشقاء التام! لأجل فلس لا قيمة له توقَّف عن أن يكون مع المسيح، وفقد رجاؤه في الله وفقد الكرامة والأكاليل والحياة، والمجد المُعَد لأتباع المسيح الحقيقيين، وفقد أحقيَّته في أن يملك معه.

قد يكون من الجدير بالذكر أن نرى ما هي حيلته. لقد أعطى لأولئك القتلة علامة قائلاً: " *الذي أقبّله* هو". لقد نسيَ تمامًا مجد المسيح، وفى غبائه المُطبَق ربما تصوَّر أنه سوف يظل مستترًا عندما يعطي المسيح قُبلة، التي هي علامة المحبة ــ بينما كان قلبه ممتلئاً من المرارة والخداع الشرير. وحينما كان مع الرسل الآخرين في صحبة المسيح مخلِّصنا جميعًا في رحلاته، سمعه مرارًا وهو يخبر مسبقًا عمَّا سوف يحدث، ولأنه هو الله بالطبيعة، فقد عرف كل شيء، وقد أوضح له خيانته بجلاء إذ قال لرسله الأطهار: " *الحق أقول لكم: إن واحد منكم يسلِّمني*" (مت٢٦:٢١). فكيف يمكن إذا لمقاصد يهوذا ونواياه أن تظل غير معروفة؟ لا، إن الحيَّة كانت هناك داخله وتحارب ضد الله، وكان هو مسكناً للشيطان، لأن واحدًا من البشيرين القديسين يقول بخصوصه، إنه بينما كان المخلِّص متكئاً على المائدة مع باقي التلاميذ، فإنه أعطاه لقمة بعد أن غمسها في الصحفة: " *فبعد اللقمة دخله الشيطان* " (يو١٣:٢٧). إنه اقترب من

المسيح وكأنه أداة للخداع والخيانة والغدر، فإنه تظاهر بعاطفة غير عادية، لذلك فالمسيح أدانه بكل قوة وعن حق بقوله: " *يا يهوذا أبقبلة تسلِّم ابن الإنسان؟*" ويقول متى البشير إن الخائن عندما اقترب من المسيح مخلِّصنا جميعًا، فإنه قبَّله، وأضاف: " *السلام يا سيدي*" (مت٢٦:٤٩). كيف تقول " السلام" للذي صار عن طريقك فريسة للموت، كيف يمكن أن تتم هذه الكلمة فعلاً. فنحن نرى أنَّ بسبب أنَّ ذلك ــ أي الشيطان ــ كان داخله، فإنه استخدم الكذب حتى في قوله: " *السلام*". وبسبب هذه الأعمال يقول النبي في موضع ما: " *لسانهم سهم نافذ، كلام فمهم خداع، يُكلِّم صاحبه بسلام وفى قلبه عداوة*" (إر٩:٨س).

وعلاوة على ذلك يجب أن نتذكَّر ما كتبه يوحنا الإلهي بخصوص هذا الحدث، لأنه يقُص أنَّ جند اليهود اقتربوا ليقبضوا على يسوع، فخرج ليقابلهم وقال لهم: من تطلبون؟ فلما أجابوه: يسوع الناصري، فإنه أسلم نفسه إلى أيدي أولئك القتلة قائلاً:" *أنا هو*" (انظر يو١٨:٣ــ٨). ولكن يقول الكتاب: " *فلمَّا قال لهم إنِّي أنا هو رجعوا إلى الوراء*". إذن ما هو الهدف من هذا؟ ولأيِّ سبب سلَّم المخلِّص نفسه إليهم بينما هم سقطوا عندما سمعوه يقول إنِّي أنا هو؟ كان هذا لكي يتعلَّموا أنَّ آلامه لم تحدث له بدون إرادته الخاصة، ولم يكونوا يستطيعون أن يمسكوه لو لم يكن راضيًا أن يأخذوه. فهم لم يمسكوا المسيح بفعل قوَّتهم الخاصة، وبذلك أحضروه إلى الحكام الأشرار، بل هو الذي سلَّم نفسه لكي يتألم عارفًا تمامًا أنَّ آلامه على الصليب هي لأجل خلاص العالم كله.

والتلاميذ المطوَّبون، بسبب غيرتهم الشديدة أخرجوا سيوفهم ليدفعوا الهجوم، ولكن المسيح لم يسمح لهم بهذا بل وبَّخ بطرس قائلاً:" *اجعل سيفك في غمده، لأن كل الذين يأخذون بالسيف، بالسيف يهلكون*" (مت٢٦:٥١). هنا يعطينا المسيح أيضًا نموذجًا للطريقة التي يجب أن نضبط بها حبنا له، وللحدِّ الذي ينبغي أن تبلغ إليه غيرتنا الحارة للتقوى. فهو لا يريدنا أن نستخدم



سيوف نقاوم بها أعدائنا، بل بالحري نستخدم المحبة والحكمة، وبهذه الطريقة ينبغي أن ننتصر على الذين يقاوموننا. وبالمِثل فإن بولس يُعلِّمنا قائلاً: "*هادمين ظنونًا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح*" (٢كو١٠:٥)، لأن الحرب لأجل الحق هي حرب روحية، والدرع الكامل الذي يليق بالقديسين هو درع عقلي ومملوء من المحبة لله، "*لأنه يجب أن نلبس درع البر وخوذة الخلاص، حاملين فوق الكل ترس الإيمان وسيف الروح الذي هو كلمة الله*" (انظر أف٦:١٤ــ١٧). وهكذا فإن المخلِّص يهدِّئ من انفعال الرسل القديسين الشديد، وحتى يمنع أن يكون عملهم هذا مثلاً (يُحتذى به)، فهو يُعلِن أنَّ رؤساء ديانته لا يحتاجون إلى سيوف مهما كان الأمر. ثم أنه شفى بقدرته الإلهية هذا الذي أتت عليه الضربة، معطيًا لأولئك الذين أتوا ليمسكوه هذه العلامة الإلهية أيضًا لأجل إدانتهم. ولكي يُوضِّح أنه لا يستطيع أحد أن يُسيطِر على قوَّته وإرادته يقول: "*كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي لتأخذوني؟ إذ كنت معكم كل يوم في الهيكل لم تمدوا عليَّ الأيادي*".

هل المسيح يلوم بهذا رؤساء اليهود لأنهم لم يمسكوه قبل الآن؟ ليس هذا هو المعنى الذي يقصده، ولكن يقصد أن يقول: بينما كان من السهل عليكم أن تأخذوني، إذ كنت معكم كل يوم أُعلِّم في الهيكل، فإنكم لم تقبضوا عليَّ. لماذا؟ لأنني لم أكن قد أردتُ بعد أتألَّم، ولكنِّي بالحري كنتُ أنتظر الوقت المناسب لآلامي، وهذا الوقت قد حان الآن، فلا تجهلوا أنَّ هذه ساعتكم وسلطان الظلمة، أي أنها هي فترة وجيزة ومُنِحت لكم فيها سلطان عليَّ، ولكن كيف أُعطِيت لكم؟ نعم أُعطِيَت لكم بإرادة الآب المتَّفقة مع إرادتي، لأنني أردت لأجل خلاص وحياة العالم أن أخضع نفسي للآلام، لذلك فلكم ساعة واحدة ضدِّي، إنها قصيرة جدًّا ولوقت محدَّد، وهي الفترة فيما بين الصليب الثمين والقيامة من الأموات، وهذا أيضًا هو السلطان الذي أُعطي للظلمة، ولكن الظُلمة هي اسم الشيطان لأنه هو الليل والظلام الدامس، وعنه يقول أيضًا

المبارك بولس: "*إله هذا الدهر قد أعمي أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح*" (٢كو٤:٤). فالسلطان إذن قد أُعطي للشيطان واليهود ليقوموا ضد المسيح، ولكنهم حفروا لأنفسهم هوَّة الهلاك، لأنه بواسطة آلامه خلَّص جميع من هم تحت السماء، وقام في اليوم الثالث بعد أن وطأ تحت قدميه مملكة الموت، أما هم فقد جلبوا علي رؤوسهم الدينونة المحتمة في صحبة ذلك التلميذ الخائن. لذلك دعهم يسمعون الروح القدس وهو ينطق بصوت المرنم: "*لماذا ارتجت الشعوب وتفكرت الأمم بالباطل؟ قامت ملوك الأرض والرؤساء وتآمروا علي الرب وعلي مسيحه*"، ولكن ماذا بعد ذلك؟ "*الساكن في السموات يضحك بهم، والرب يستهزئ بهم*" (مز٢:١-٤س). إنَّ هؤلاء القوم التعساء قد ورَّطوا أنفسهم في جريمة قتل ربهم، أما نحن فنُمجِّد ونُسبِّح ربنا يسوع المسيح كمخلِّص ومنقِذ لنا، هذا الذي به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.



عظة ١٤٩

إنكار بطرس

(لو٢٢: ٥٤ــ٦٢): " فَأَخَذُوهُ وَسَاقُوهُ وَأَدْخَلُوهُ إِلَى بَيْتِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ. وَأَمَّا بُطْرُسُ فَتَبِعَهُ مِنْ بَعِيدٍ. وَلَمَّا أَضْرَمُوا نَارًا فِي وَسَطِ الدَّارِ وَجَلَسُوا مَعًا جَلَسَ بُطْرُسُ بَيْنَهُمْ. فَرَأَتْهُ جَارِيَةٌ جَالِسًا عِنْدَ النَّارِ فَتَفَرَّسَتْ فِيهِ وَقَالَتْ: وَهَذَا كَانَ مَعَهُ. فَأَنْكَرَهُ قَائِلاً: لَسْتُ أَعْرِفُهُ يَا امْرَأَةُ!. وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَآهُ آخَرُ وَقَالَ: وَأَنْتَ مِنْهُمْ! فَقَالَ بُطْرُسُ: يَا إِنْسَانُ لَسْتُ أَنَا !. وَلَمَّا مَضَى نَحْوُ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ أَكَّدَ آخَرُ قَائِلاً: بِالْحَقِّ إِنَّ هَذَا أَيْضًا كَانَ مَعَهُ لأَنَّهُ جَلِيلِيٌّ أَيْضاً. فَقَالَ بُطْرُسُ: يَا إِنْسَانُ لَسْتُ أَعْرِفُ مَا تَقُولُ. وَفِي الْحَالِ بَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ صَاحَ الدِّيكُ. فَالْتَفَتَ الرَّبُّ وَنَظَرَ إِلَى بُطْرُسَ فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ كَلاَمَ الرَّبِّ كَيْفَ قَالَ لَهُ: إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. فَخَرَجَ بُطْرُسُ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى بُكَاءً مُرًّا".

من أجل أن نكون حذرين في أي عمل مقدّس نباشره، فإن ربنا يسوع المسيح يوصينا أن نقدّم باستمرار تضرعات وتوسلات، وأن يكون جزء من صلواتنا أن نطلب: "*لا تدخلنا في تجربة* "، وذلك لأن عنف التجارب يكون في الغالب كافيًا أن يهزّ حتى الذهن الثابت تمامًا، وأن يذل إلى درجة الترنُّح، وأن يُعرِّض إلى أهوال لا حدّ لها حتى الإنسان الشجاع والقوى القلب. كان هذا هو نصيب التلميذ المختار أن يذوقه، وأنا أقصد به هنا القديس بطرس، لأنه قد ثبت ضعفه وأنكر المسيح مخلِّصنا كلنا، وهذا الإنكار لم يرتكبه مرة واحدة فقط بل ثلاث مرات وبقَسَم، لأن القديس متى يقول: " *فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف إنِّي لا أعرف الرجل*" (مت٢٦: ٧٤). هناك البعض يريدون أن يقنعونا أنّ ما حلف به التلميذ قُصِدَ أنه لم يكن يعرف المسيح كمجرَّد إنسان فقط، ولكن حجَّتهم تسقط، رغم أن هدفهم من هذا هو أن يلتمسوا عذرًا محبةً منهم للتلميذ، لأنه إن كان قد أقسم كما يقولون إنه لا يعرف أنّ يسوع كان إنسانًا، فماذا يكون هذا سوى إنكار لسر التدبير الإلهي الخاص بتجسده ؟ لأنه يعرف أنّ كلمة الله الابن الوحيد صار مثلنا، أي أنه صار إنسانًا، وهو قد اعترف جهارًا قائلاً: "*أنت هو*



المسيح ابن الله الحي" (مت١٦:١٦)، وهو لم يقصد بقوله هذا أن يؤكِّد أنه لكونه مثلنا فهو ابن الله، ولكن ليؤكِّد أنَّ الذي يراه واقفًا (وسط التلاميذ) في حدود الطبيعة البشرية هو الكلمة الذي يفوق كل شيء مخلوق، وهو الذي خرج من جوهر الله الآب. أقول ــ ومع ذلك ــ فإنه لم يتحاشَ الاعتراف والإقرار به أنه هو ابن الله الحي، لذلك فإنه يصير من المنافي للعقل أن نفترض أنه رغم كونه يعرف سر التدبير الإلهي للتجسُّد، فإنه لا يعرف أنَّ المسيح إنسان. ولكن ما هي الحقيقة إذن؟

كان بطرس في الواقع ضعيفًا. لأنه لا يمكن أن يكون عبثًا أن يقول المسيح محذِّرًا: "*قبل أن يصيح الديك سوف تنكرني ثلاث مرات*"، كما أنه ليس صوابًا أن نقول إن الإنكار حدث كي يتحقَّق كلام المسيح، ولكن هدفه هو أن يحذِّر التلميذ نظرًا لأن ما هو مزمع أن يحدث لا يخفى عن معرفته. ولكن هذه البليَّة وقعت للتلميذ بسبب جُبن الطبيعة البشرية، فإنه بسبب أنَّ المسيح لم يكن قد قام بعد من الأموات، ولم يكن الموت قد أُبيد بعد ولا أُزيل الفساد، فإن مجابهة الموت كانت لا تزال أمرًا يفوق احتمال البشر. وكما قلتُ إن هذا الفعل التعس قد حدث بسبب علّة الجُبن البشرى، وأن التلميذ أُدين من ضميره الشخصي، فهذا قد تبرهن ببكائه بعد ذلك مباشرة، وبدموعه التي انهمرت من عينيه، كما لو كانت بسبب خطية ثقيلة كعلامة لتوبته، لأن الكتاب يقول إنه بعد أن نظر إليه يسوع، وتذكَّر بطرس ما كان قد قاله له: "*فإنه خرج إلى خارج وبكى بكاءً مُرًّا*".

إنه يناسبنا بعد ذلك أن نلاحظ بأي طريقة قد غُفِرت خطيته، وكيف طُرِح عنه ذنبه، لأن هذه الحادثة تبيِّن أنَّ لها منفعة ليست بقليلة لنا. إنه لم يؤجل توبته، ولا كان مهملاً لها، وكما كان سقوطه في الخطيئة سريعًا جدًّا، هكذا كانت دموعه سريعة بسببها؛ كما أنه لم يبكِ فقط ولكن بكى بمرارة، ومثل شخص قد سقط، فإنه نهض بشجاعة مرة أخرى، لأنه كان يعرف أنَّ الله الرحيم يقول في موضع ما بفم واحد من الأنبياء: "*من يسقط ألا يقوم؟ ومن يرتدّ ألا يرجع؟*" (إر٨:٤س). لذلك ففي عودته لم يفقد الهدف، لأنه استمر على نفس الوضع الذي كان عليه سابقًا، أي تلميذًا حقيقيًا؛



لأنه عندما حذَّره المسيح أنه سوف ينكره ثلاث مرات قبل أن يصيح الديك، فإنه أيضًا نال رجاء الغفران، لأن كلمات المسيح له كانت: *"وأنت متى رجعت ثبت إخوتك"* إنَّ مثل هذه الكلمات تخص شخصًا يجهِّزه مرَّة ثانية ويعيده إلى الصلاحيات الرسولية، لأنه استأمنه ثانية إذ أسند إليه مهمَّة تثبيت الإخوة، الشيء الذي عمله أيضًا.

ونقول أيضًا، إنه رغم أننا عرفنا عن سقطات القديسين من الكتب المقدسة، فهذا ليس لكي نسقط في فخاخ مماثلة بسبب إهمالنا للثبات الواجب، بل لكي إذا حدث أننا ضعفنا وفشلنا في عمل ما هو ضروري للخلاص، فلا ينبغي أن نيأس من أن نكون قادرين مرَّة أخرى على الصعود إلى حالة الثبات، وهكذا نستعيد صحتنا بعد مرض لم يكن مُتوقَّعًا. إن الله الرحوم قد منح لسكان الأرض التوبة كدواء للخلاص، ولا أعلم كيف أنَّ أناسًا يحاولون أن يستعفوا منها قائلين إننا أنقياء، وفى جنونهم العظيم لا يفهمون أنَّ إضمارهم مثل هذه الفكرة عن أنفسهم هو أمر مملوء من كل نجاسة، لأنه مكتوب: *"ليس إنسانًا خاليًا من الدنس"* (أم٢٠:٩س)، وبجانب هذا نقول: إن هذا يُغضب الله أن نتخيَّل أننا خالين من كل نجاسة، لأننا نجده يقول لأحد هؤلاء الذين يحيون حياة دنسة: *" هاأنذا أحاكمكِ لأنك قلتِ لم أخطئ، وأنتِ قد ازدريتِ جدًّا بتكرارك لطرقك"* (إر٢:٣٥، ٣٦س)، لأن تكرار السلوك في الخطية هو بالنسبة لنا أننا عندما نُباغَت بالخطايا (ونقع فيها) نرفض التصديق أننا مذنبون بالنجاسة التي تنشأ منها.

إنهم يقولون: *" نعم إن رب الكل يصفح عن خطايا أولئك الذين لم يعتمدوا بعد، ولكن ليس الأمر هكذا بالنسبة لأولئك الذين دخلوا إلى نعمته"* ماذا نقول عن هذا ؟ إن كانوا يقدمون قوانين بحسب أوهامهم، فإن كلماتهم لا تعنينا كثيرًا، أما إن كانوا يستشهدون بالكتب الإلهية المُوحَى بها، فمتى ذُكر فيها أنَّ إله الكل غير رحيم؟ لَيتَهُم يسمعونه وهو يصيح عاليًا: *"حدِّث بآثامك السابقة لكي تتبرَّر"* (إش٤٣:٢٦س)، وليتهم يتذكرون الطوباوي داود الذي يقول في المزامير: *" هل ينسى الله رأفة أو هل هو يجمع مراحمه في غضبه؟"* (مز٧٦:٩س) وأيضًا: *" قلتُ أعترف للرب بذنبي وأنتَ غفرتَ آثام قلبي"* (مز٣١:٥س)، وبجانب هذا، يلزم ألاَّ ينسوا أنه قبل أن يُقبض على



المسيح، وقبل الإنكار، كان بطرس مشتركًا في جسد المسيح ودمه الثمين، لأن الرب: "*أخذ الخبز وبارك وكسر وأعطاهم قائلاً: خذوا هذا هو جسدي، وبنفس الطريقة أيضًا أخذ الكأس قائلاً: اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد* " (راجع مت٢٦:٢٦ـ٢٨). لاحظوا إذن بوضوح أنه بعد أن صار شريكًا في العشاء السرِّي، فإنه وقع في الخطية، ونال غفرانًا عند توبته. دعهم إذن لا يجدون نقصًا في لطف الله، دعهم لا يفكرون بازدراء في محبته للجنس البشرى، ولكن تذكروا هذا الذي يقول بوضوح: "*شرّ الشرّير لا يضرّه في يوم رجوعه عن شرّه*" (حز٣٣:١٢س). فما دام الله يقدم لنا الهداية في أي يوم يريد الإنسان فيه أن يتوب، فلماذا لا يكلّلون بالأحرى بمدائح الحمد هذا الذي يساعدهم بدلاً من أن يعارضوه بتمرُّد وبغباوة؟ إنهم بفعلهم هذا يجلبون الدينونة على رؤوسهم، ويُحضرون إلى أنفسهم غضبًا محتومًا. لأن الله الرحوم لا يتوقف عن أن يكون رحومًا، حيث إن صوت النبي يقول: "*إنه يُسرُّ بالرأفة*" (ميخا٧:١٨).

فليتنا إذن نجاهد بكل قدرتنا كي لا نقع في خطية، وليت حبًا راسخًا مخلصًا للمسيح يثبت فينا بلا تغيير، ونقول بكلمات المغبوط بولس: "*من سيفصلني عن محبة المسيح؟ أشدَّة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟*" (رو٨:٣٥). ولكن إن هاجمتنا التجربة بعنف وثبت أننا ضعفاء، فدعنا نبكي بمرارة ونسأل الغفران من الله، لأنه يشفي أولئك النادمين المنسحقين ويقيم الساقطين، ويمد يده المخلِّصة لأولئك الذين أخطأوا، لأنه هو مخلِّص الكل، الذي به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.



عظة ١٥٠
المحاكمة في مجلس اليهود

(لو٢٢: ٦٣ــ٧١): " وَالرِّجَالُ الَّذِينَ كَانُوا ضَابِطِينَ يَسُوعَ كَـانُوا يَـسْتَهْزِئُونَ بِـهِ وَهُـمْ يَجْلِدُونَهُ. وَغَطَّوْهُ وَكَانُوا يَضْرِبُونَ وَجْهَهُ وَيَسْأَلُونَهُ: تَنَبَّأْ! مَنْ هُوَ الَّذِي ضَرَبَكَ؟. وَأَشْيَاءَ أُخَـرَ كَثِيرَةً كَانُوا يَقُولُونَ عَلَيْهِ مُجَدِّفِينَ. وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ اجْتَمَعَتْ مَشْيَخَةُ الشَّعْبِ: رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَأَصْعَدُوهُ إِلَى مَجْمَعِهِمْ. قَائِلِينَ: إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَقُلْ لَنَا. فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ قُلْـتُ لَكُمْ لاَ تُصَدِّقُونَ. وَإِنْ سَأَلْتُ لاَ تُجِيبُونَنِي وَلاَ تُطْلِقُونَنِي. مُنْذُ الآنَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ قُوَّةِ اللهِ. فَقَالَ الْجَمِيعُ: أَفَأَنْتَ ابْنُ اللهِ؟ فَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا هُوَ. فَقَالُوا: مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شَهَادَةٍ؟ لأَنَّنَا نَحْنُ سَمِعْنَا مِنْ فَمِهِ ".

فليقل النبي إرميا هنا أيضًا عن جنس إسرائيل: "*يا ليت رأسي ماء وعيني ينبوع دموع فأبكي نهارًا وليلاً لأجل هذا الشعب؟*" (ار٩: ١س). أيّ نواح يمكن أن يكفي لأجل أولئك الذين سقطوا في هوة الهلاك بسبب تصرفُهم الشرير ضد المسيح، وبسبب جرمهم العظيم جدًا، حتى أنهم لم يحزنوه فقط بالكلمات وبسخريتهم عليه بصرخات ممتلئة تجديفًا، بل إنهم أمسكوه بأيديهم الآثمة وأعدوا له فخ الموت؟ وهكذا عاملوه بغطرسة، وبشرّهم جعلوه تسلية لهم، بل إنهم أيضًا تجرّأوا أن يضربوه، لأننا هكذا قد سمعنا اليوم البشير القديس يقول: "*والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه، قائلين: تنبأ من هو الذي ضربك؟..*" أما هو "*فإذ شُتم لم يكن يشتم عوضًا، وإذ تألم لم يكن يُهدِّد بل كان يُسلِّم لمن يَقضي بعدل*" (ابط٢: ٢٣). حسنًا، لذلك يجب أن ننطق بما قاله واحد من الأنبياء عن بعض الناس: "*السموات دُهشت من هذا، وارتعدت جدًا يقول الرب*" (إر٢: ١٢س)، ذلك لأن سيد الأرض والسماوات، خالق الكل وصانعهم، ملك الملوك ورب الأرباب، الفائق العظمة والمجد والجلال، المؤسِّس كل الأشياء، الذي فيه يقوم الكل ويثبت، لأن "*فيه تقوم كل*



الأشياء" (كو١:١٧)، ذلك الذي هو حياة كل الأرواح المقدسة في السماء، صار يُزدرى به ويُحتقر كواحد مثلنا، وهو بصبر يحتمل الضربات، ويخضع لسخرية الأشرار، ويعطينا نفسه مثالاً كاملاً لطول الأناة، أو بالأحرى يُظهر لطفه الإلهي الذي لا يقارن في عظمته.

وربما قد احتمل المسيح ذلك لكي يوبِّخ ضعف أذهاننا، ولكي يبين أنَّ أمور الناس تقع بعيدًا جدًّا عن الكمالات الإلهية، بمقدار ضعف وصغر طبيعتنا بالنسبة لطبيعته، لأننا نحن الأرضيون، ونحن مُجرَّد فساد ورماد، نهاجِم في الحال أولئك الذين يضايقوننا، إذ لنا قلب ممتلئ بالعنف كوحوش ضارية. أما ذلك الذي له طبيعة ومجد يفوقان حدود إدراكنا وقوَّة تعبيرنا، فقد احتمل بصبرٍ أولئك الجنود الذين لم يسخروا به فقط بل وأيضًا جلدوه، لأن (البشير) يقول: "*وبعدما عصبوا عينيه وضربوه بعد ذلك، فإنهم سألوه قائلين: تنبَّأ من هو الذي ضربك؟*" لقد سخروا منه كما لو كان شخصًا جاهلاً هذا الذي هو مانح كل معرفة، والذي يرى الخفيات التي فينا، لأنه يقول في موضع ما بواسطة واحد من الأنبياء القديسين: " *من الذي يخفي مشورة عني، ومن الذي يغلق على كلمات في قلبه ويظن أنه يخبئها عني*" (أي٣٨:٢س). فالذي يفحص القلب والكُلى والذي يمنح كل نبوَّة، كيف لا يقدر أن يعرف مَن الذي ضربه؟ لكن كما قال الرب نفسه: الظلمة قد أعمت عيونهم، وعميت أذهانهم (انظر يو١٢:٤٠)، لذلك يمكن أن يُقال عنهم أيضًا: " *ويل للسكارى وليس من خمر!*" (إش٢٩:٩س)، " *لأن جفنتهم من جفنة سدوم ومن كروم عمورة*" (تث٣٢:٣٢س).

وبعدما اجتمع مجمعهم الشرير في الفجر، فإن الذي هو رب موسى ومرسِل الأنبياء، بعدما استهزأوا به عن غير وجه حق، أحضروه في الوسط وسألوه إن كان هو المسيح؟ يا أيها الفريسي عديم الفهم، إن كنت تسأل لأنك لا تعلم، فكان يجب عليك ألاَّ تحزنه إلى أن تعرف الحقيقة ــ لئلا تكون بذلك قد



أحزنتَ الله. ولكن إن كنت تتظاهر بالجهل بينما تعلم الحقيقة أنه هو المسيح، فكان يجب عليك أن تسمع ما يقوله الكتاب المقدس: " *الله لا يُشمخ عليه*" (غل٦:٧).

ولكن أخبرني لماذا تسأله وتريد أن تعلم منه إن كان هو المسيح؟ إنه من السهل للغاية أن تحصل على معرفة عنه من الناموس والأنبياء. فتِّش في كتب موسى فسوف تراه موصوفًا بطرق متنوِّعة. إنه ذُبح كحمل وقَهَر المُهلِك بدمه، وسبق ورُمِز إليه أيضًا بأشكال أخرى كثيرة. افحص أيضًا كتابات الأنبياء، سوف تسمعهم يعلنون عن معجزاته الإلهية العجيبة. إنهم يقولون: "*حينئذٍ تتفتَّح عيون العمي، وآذان الصم سوف تسمع، حينئذٍ يقفز الأعرج كالأيل ولسان الخرس يصبح مستقيمًا*" (إش٣٥:٥س)، " *وأيضًا الموتى يقومون والذين في القبور يستيقظون لأن طلَّك يشفيهم*" (إش٢٦:١٩س). لذلك إن كنتم أنتم أنفسكم ترون أنَّ تحقيق النبوات يتم بوضوح بخصوصه، فلماذا لا تعترفون به بالحري بسبب معجزاته الإلهية التي تشهد له، وبسبب أعماله فائقة الوصف؟ وهذا أيضًا ما قاله المسيح نفسه لكم: " *الأعمال التي أعطاني الآب لأكملها هذه الأعمال بعينها التي أنا أعملها هي تشهد لي إنَّ الآب قد أرسلني*" (يو٥:٣٦)، وأيضًا:" *لو لم أكن قد عملتُ بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيري لم تكن لهم خطية، وأما الآن فقد رأوا وأبغضوني أنا وأبي*" (يو١٥:٢٤). لذلك فإن رؤساء اليهود والشعب الذي تحت رعايتهم كانوا في الحقيقة غير مؤمنين وبدون فهم بكل معنى الكلمة.

كما أظن أيضًا أنه يلزمنا أن نفحص الكلمات التي استخدمها المسيح، لأنها كانت توبيخًا لعدم محبة الله، وهو ما كان الكتبة والفريسيون مذنبين به. لذلك فإنهم عندما سألوه إن كان حقًّا المسيح، وأرادوا أن يعرفوا هذا الأمر بعينه، فإنه أجابهم قائلاً: إن قلتُ لكم لا تُصدِّقون، وإن سألتُ لا تجيبونني. تعالوا إذن

ودعوني أشرح لكم، كأناس يُسرُّون بأن يتعلموا، ماذا كانت المناسبة التي سمعوا فيها ولم يؤمنوا، وما هي المناسبة التي صمتوا فيها عندما سُئلوا. عندما صعد المسيح إلى أورشليم وجد في الهيكل الذين كانوا يبيعون بقرًا وغنمًا وحمامًا والصيارف جلوسًا، يقول الكتاب إنه صنع سوطًا من حبال وطرد الجميع من الهيكل وقال: " *ارفعوا هذه من ههنا، لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة*" (يو٢:١٣ـ١٦)، وبسبب أنه دعا الله أباه، فإن أولئك الذين كانوا يُقدِّمون الذبائح في الهيكل تذمَّروا وهاجموه قائلين: بأي سلطان تفعل هذا؟ ومن أعطاك هذا السلطان؟ فأجاب يسوع وقال لهم: " *وأنا أيضًا أسألكم كلمة واحدة، فإن قلتم لي عنها أقول لكم أنا أيضًا بأي سلطان أفعل هذا. معمودية يوحنا من أين كانت، من السماء أم من الناس؟*" ويقول الكتاب إنهم "*فكَّروا في أنفسهم قائلين: إن قلنا من السماء يقول فلماذا لم تؤمنوا به، وإن قلنا من الناس نخاف من الشعب لأن يوحنا كان عند الجميع مثل نبي، فأجابوا وقالوا: لا نعلم. فقال لهم المسيح: ولا أنا أقول لكم بأي سلطان أفعل هذا*" (انظر مت٢١:٢٣ـ٢٧).

وسألهم في مناسبة أخرى: ماذا تظنون في المسيح؟ ابن من هو؟ قالوا له ابن داود، فقال لهم الرب بعد ذلك: فكيف يدعوه داود بالروح ربًّا قائلاً: قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعدائك موطئًا لقدميك. فإن كان داود يدعوه ربًّا فكيف يكون ابنه؟ وفي هذه المناسبة أيضًا فإنهم سكتوا (انظر٢٢:٤١ـ٤٦). وهكذا ترون أنَّ المسيح يتكلم بالصواب عندما يقول: " *وإن سألتكم لا تجيبونني*".

كما أنكم سوف ترون أيضًا أنَّ الإعلان الآخر هو صحيح أيضًا مثل الأول، وهو ما يلي: " *إن قلتُ لكم لا تصدِّقون*"، لأن المغبوط يوحنا البشير يكتب أنه كان عيد التجديد في أورشليم وكان شتاء، " *وكان يسوع يتمشَّى في رواق سليمان، فاحتاط به اليهود وقالوا له: إلى متى تُعلِّق أنفسنا، إن كنت أنت*



المسيح فقل لنا جهرًا، فأجابهم يسوع: إني قلتُ لكم ولستم تؤمنون، الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي، ولكنكم لستم تؤمنون" (يو ١٠: ٢٢ــ٢٦).

ولكي يجعل دينونتهم أكثر قساوة، أقصد فيما يتعلق برفضهم الإيمان به، فإنه يضع مجده أمامهم بوضوح ويقول: " *منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسًا عن يمين قوة الله*". وكأنه يقول: عندما كنت في الشكل مثلكم، مع أنني بالطبيعة والحق ابن الله الآب، فأنتم لم تقدموا لي أي اعتبار، ولكن أما كان ينبغي ألاّ تغيب عن انتباهكم هذه الطريقة الممتازة للتدبير في الجسد إذ أنكم متعلِّمون من الناموس ومتربُّون على كتابات موسى. بل ألم تكن تنبؤات الأنبياء القديسين معروفة لديكم؟! ولكن حيث إنكم جعلتم أنفسكم بهذا المقدار من عدم المعرفة، وامتلأتم من الجهل المطبق، ولم تتعرَّفوا على السرِّ الخاص بي، فإنني أخبركم بالضرورة أنه سوف تُمنح لكم فرصة قصيرة جدًا لكبريائكم وخبثكم ضدي، أي إلى وقت صلبي. لأنه بعد هذا مباشرة سوف ألتحف بالكرامة وأصعد إلى المجد الذي كان لي منذ البدء، بل وحتى وأنا متجسد فأنا مشترك مع الله الآب في عرشه، وأملك كل سلطان على الكل، رغم أني لبستُ شبهكم. وحينما كان المسيح يتكلم هكذا، فإن جماعة الفريسيين التهبوا بغضب لا يُضبط، وأمسكوا بالعبارة كحجة على التجديف، واتهموا الحقَّ نفسه! وقالوا: ما حاجتنا بعد إلى شهادة لأننا نحن سمعنا كلماته. ماذا سمعتموه يقول أيها الرجال، يا عديمي الفهم والأردياء، لقد أردتم أن تعرفوا إن كان هو المسيح، وهو عرَّفكم إنه هو بالطبيعة وبالحق ابن الله الآب، ويشترك معه في عرش الألوهة، لذلك كما اعترفتم أنكم لا تحتاجون بعد إلى شهادة لأنكم سمعتموه يتكلم؛ فكان يجب أن تعلَموا جيدًا أنه هو المسيح؛ ولكان هذا سوف يدلكُّم على الطريق إلى الإيمان، وتكونون من بين أولئك الذين يعرفون الحق. أما هم فلكونهم جعلوا طريق الخلاص، سببًا لهلاك أنفسهم فإنهم لم يفهموا، بل بحماقة وعدم فهم قتلوه، واحتفظوا بهدف واحد مُزدرين بالشريعة كلها، وتغاضوا



تمامًا عن الأوامر الإلهية، لأنه مكتوب: "*البريء والبار لا تقتلوه*" (خر٢٣:٧س)، ولكنهم ــ كما قلتُ لكم ــ لم يراعوا على الإطلاق أيًّا من الأوامر المقدسة، ولكنهم اندفعوا إلى أسفل كما ينزلون إلى منحدر شديد ليسقطوا في أشراك الهلاك.

كان هذا هو سلوكهم، وأما نحن فنقدّم تسابيحنا لله الكلمة الذي صار إنسانًا لأجل خلاصنا، الذي به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور آمين.

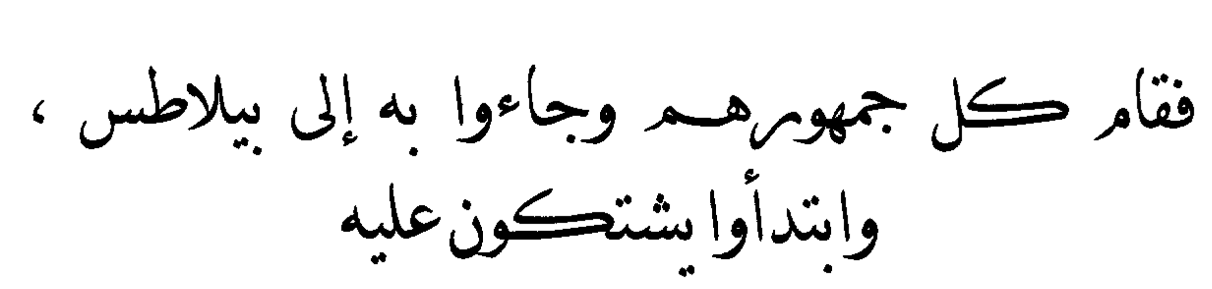


(أيقونة تصور المسيح أمام بيلاطس البنطى)



الأصحاح الثالث والعشرون





فقام كل جمهورهم وجاءوا به إلى بيلاطس ،
وابتدأوا يشتكون عليه

الأصحاح الثالث والعشرون

عظة ١٥١

تسليم يسوع إلى بيلاطس

(لو٢٣:١ـ٥ ، ١٨ـ١٩): "*فَقَامَ كُلُّ جُمْهُورِهِمْ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى بِيلاَطُسَ. وَابْتَدَأُوا يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: إِنَّنَا وَجَدْنَا هَذَا يُفْسِدُ الأُمَّةَ وَيَمْنَعُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ قَائِلاً: إِنَّهُ هُوَ مَسِيحٌ مَلِكٌ. فَسَأَلَهُ بِيلاَطُسُ : أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَأَجَابَهُ: أَنْتَ تَقُولُ. فَقَالَ بِيلاَطُسُ لِرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْجُمُوعِ : إِنِّي لاَ أَجِدُ عِلَّةً فِي هَذَا الإِنْسَانِ. فَكَانُوا يُشَدِّدُونَ قَائِلِينَ: إِنَّهُ يُهَيِّجُ الشَّعْبَ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ مُبْتَدِئًا مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى هُنَا*[1] .... *فَصَرَخُوا بِجُمْلَتِهِمْ قَائِلِينَ : خُذْ هَذَا وَأَطْلِقْ لَنَا بَارَابَاسَ!. وَذَاكَ كَانَ قَدْ طُرِحَ فِي السِّجْنِ لأَجْلِ فِتْنَةٍ حَدَثَتْ فِي الْمَدِينَةِ وَقَتْلٍ* ".

يا إخوتي، إنَّ غباوة القلب وعدم الفهم هما مرض مُشين يصحبه اختراع أفكار وضيعة، كثيرًا ما تقود البشر لكل ما هو شرِّير، بل وكثيرًا ما تجعلنا نخطئ ضد مجد الله. وهذا ما يمكن أن نراه بالنسبة لوضع مجمع اليهود، لأنهم أخطأوا ضد المسيح، ولذلك قاسوا كل بؤس، إذ أُدينوا بقضاء عادل من الله لنفس المصير الذى جلبوه على ذاك الذى كان يمكن أن يقيمهم إلى الحياة. ولأنهم جاءوا بيسوع إلى بيلاطس لذلك هم أنفسهم أيضًا سُلِّموا لعساكر الرومان الذين استولوا على كل أراضيهم وجعلوهم أسرى، كما اقتحموا مدينتهم التى كانت سابقًا المدينة المقدسة والمجيدة، وجعلوا سكانها فريسة للسيف والنار، ولذلك تحقَّقت فيهم نبوات الأنبياء القديسين، لأن واحدًا منهم يقول: "*ويل للشرير، شرور سوف تحدث له بحسب أعمال يديه*" (إش٣:١١س)،

[1] النص السرياني يحذف الأعداد ٦ـ١٧ ويقرِّب الأحداث الروائية معًا، حيث إنَّ هذه الأعداد ذُكرت داخل صُلب العظة، وبعد ذلك تعبر المخطوطة السريانية على الأعداد ٢٠ـ٢٣، التي منها تقتبس العدد ٢١ فقط.

ويقول آخر: "*كما فعلتَ يُفعلُ بك، عملك يرتدّ على رأسك*" (عوبديا١٥).

لكن دعنا نرى ماذا كان نوع شرّهم، وماذا أيضًا قالوا لبيلاطس عندما صاغوا اتهاماتهم ضد المسيح مخلِّصنا كلنا. "*إننا وجدنا هذا يُفسد شعبنا ويمنع أن تُعطى جزية لقيصر، ويقول عن نفسه إنه هو مسيح ملك*". ولكن أنتم باشرتم محاكمته منذ وقت قليل مضى، ولم تثيروا مثل هذه القضايا، لكنكم سألتموه فقط إن كان هو المسيح. فهذا ما كنتم تسعون إلى معرفته، وبخلاف هذا لم تسألوه عن أي شيء آخر على الإطلاق. وهو في رده على أسئلتكم سعى أن يبيِّن أنه هو المسيح وأيضًا أنه هو بالطبيعة والحقيقة ابن الله الآب، لأنه قال: " *من الآن تُبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة*" (انظر مت٢٦:٦٤). أرجوكم أن تُخبروني مَن الذي يحق له أن يجلس مع الآب إلاَّ الذي هو الابن بالطبيعة؟ لأنه لا يمكن لمخلوق على الإطلاق أن يتحدث عن جلوسه على عرش الألوهة، لأن كل كائن مخلوق يوضَع تحت قدمي الطبيعة الإلهية الفائقة التي تسود الكل وتتسامى على كل ما خُلق. الله الآب وحده هو الذي يجلس على العرش عاليًا ومرتفعًا، ويشاركه ابنه في عرشه، وهو الكائن دائمًا معه، ومولود منه بالطبيعة. لذلك فقد حصلتم بسؤالكم هذا على التأكيد الكامل بأنه هو المسيح، لكن في تلهُّفكم على أن تتَّهموه بالتجديف قد أعلن لكم مجده، فقلتم ما حاجتنا بعد إلى شهود لأننا نحن سمعنا من فمه. فكيف تتناسون هذا أو بالأحرى تتجاوزون في خبثكم وشركم كل بنود الاتهام التى حاكمتموه عليها وتأتون بقائمة اتهامات لها طبيعة مختلفة تمامًا وتقولون: إننا وجدنا هذا يُفسد الأمَّة. أخبرونا فيما يكون هذا الإفساد! إن تعاليمه كانت منصبَّة على التوبة. أين مَنَع أن تُعطى جزية لقيصر؟ فأنتم في الحقيقة أرسلتم إليه بعضًا من جماعتكم مع قوم من هؤلاء الذين يُدعَون هيرودسيين ليجرِّبوه قائلين: يا معلم، أيجوز أن تُعطى جزية لقيصر أم لا (مت٢٢:١٧) فردَّ المسيح عليهم قائلاً: أروني معاملة الجزية، فسألهم لمن هذه الصورة والكتابة الموجودة على الدينار



الذى قدَّمتموه؟ ولما قالوا له لقيصر قال لهم: أعطوا إذًا ما لقيصر لقيصر وما لله لله (مت٢٢: ١٥ـ٢١). إذن ففي أي موضع منع أن تُعطى جزية لقيصر؟ لكن كان هدفهم الوحيد هو أن يُحدِروا إلى الموت ذلك الذي يقيمهم إلى الحياة. كان هذا هو مقصد خططهم وهدف الأفعال الدنيئة والأكاذيب التي اخترعوها، والكلمات المُرَّة التي جرت على ألسنتهم الشريرة. ولكن الناموس يُعلن لكم بصوت عال: " *لا تشهد على قريبك شهادة زور*" (خر٢٠: ١٦)، ويقول أيضًا: " *لا تقتل البريء والبار*" (خر٢٣: ٧).

وقال الله في أحد المواضع بلهجة عنيفة في غضبه بفم واحد مِن أنبيائه القديسين: " *أمَّا أنتم فتقدَّموا إلى هنا أيها الابون الأشرار، يا نسل الفاسقين والزانية: بمن تَسخَرون؟ وعلى من تفغرون الفم؟ وعلى من تُخرجون لسانكم؟ أما أنتم أولاد المعصية ونسل الظالمين*" (إش٥٧: ٣،٤س). وكذلك داود النبى يصفهم في موضع ما في المزامير وهو يخاطب الله الآب في السموات: " *شتِّتهم بقوَّتك، واهبط بهم يا رب يا عاضدي، إنَّ خطية أفواههم هي كلام شفاههم، وسوف يُؤخذون في كبريائهم*"(مز٥٨: ١١، ١٢س). لأنهم إذ أطلقوا العنان للسانهم الجامح ضد المسيح، وكما هو مكتوب، " *ورفعوا إلى العُلا قرنهم وتكلَّموا بالإثم ضد الله*" (مز٧٤: ٥س)، فإنهم إنما سقطوا في كبريائهم. بالتأكيد كان من واجبهم طالما يفتخرون بمعرفتهم لشرائع الله أن يتذكروا أنَّ الله قال لا تقتل التَقي ولا البار، لكنهم لم يعطوا أي اعتبار للاحترام الواجب للناموس، ولكن بسبب أنهم انقادوا بتهور شديد إلى كل ما يُسِرهم ويرضيهم هم وحدهم دون فحص لطبيعته، فإنهم اخترعوا اتهامات عديدة وحشدوا ضد المسيح اتهامات لم تكن صحيحة، ولا استطاعوا أيضًا أن يبرهنوا عليها. لكنهم كانوا بهذا مدانين بكونهم أكثر شرًّا من عابد الأوثان، لأن بيلاطس إذ برَّأ يسوع من كل لوم قال علانية: لم أجد علَّة واحدة في هذا الإنسان، ولم يَقل هذا مرَّة واحدة بل ثلاث مرات.

لكنهم اعترضوا بإصرار أنه يفسد الشعب ويعلِّم في كل اليهودية مبتدئًا من الجليل إلى هنا. ها إنهم يُغيِّرون مرة أخرى اتهاماتهم السابقة ويخترعون أعذارًا لتثقيل تهمته ويجمعون فرصًا جديدة لذمِّه واغتيابه، إذ قالوا "*إنه يُهيِّج الشعب وهو يُعلِّم مبتدئًا من الجليل إلى هنا*". لكن فيما هم يتهمونه بالتعليم، نجدهم قد صمتوا عن فحوى ما يُعلِّمه إذ خافوا ــ كما أظن ــ لئلا يكون بيلاطس نفسه ضمن مَن يؤمنون به، لأنه لو كان قد سمع المسيح وهو يكشف سرَّه الإلهي، ربما كان قد توقف منذ ذلك الوقت عن عبادة تلك الآلهة الكاذبة، بقبوله لسكنى نور معرفة الله الحقيقية في داخله، ولإمتلاكَ في ذهنه وقلبه الدواء الذي تهبه تلك الرسالة المقدسة والخلاصية التى بالمسيح، لأنه ماذا كانت تعاليم المسيح؟ إنه يدعو مَن كانوا في ضلال ويعبدون المخلوق بدلاً من الخالق أن يأتوا إلى المعرفة الحقيقية لله. وهو يريد لكل من يقترب منه أن يتلألأ بأمجاد البر وأن يكون بلا عيب وصالحًا، لطيفًا ورحيمًا، حكيمًا وقديسًا وحياته مستقيمة وبلا لوم. لذلك هم بدهاء عظيم قالوا إنه يُعلِّم، لكنهم صمتوا من جهة طبيعة تعاليمه، لكن بالرغم من كلامهم هكذا، فإن بيلاطس وبَّخهم وبرَّأ نفسه قائلاً: إني لا أجد علة في هذا الإنسان. "*قد قدَّمتم إليَّ هذا الإنسان كمن يُفسد الشعب، وها أنا قد فحصته قدامكم ولم أجد في هذا الإنسان علَّة مما تشتكون به عليه ولا هيرودس أيضًا، لأنه أرجعه إلينا، وها لا شيء يستحق الموت صنعه*" (انظر لو٢٣: ١٣ــ١٥).

انظروا!! فإن من يعرفون الشرائع الإلهية ويقولون بكبرياء وبعجرفة "*نحن تلاميذ موسى*" يطالِبون بالحكم بالموت على مَن هو غير مذنب بأي إثم، بل من هو رأس ومُعلِّم كل تَقْوَى، وهو الذي يجعل مَن يؤمنون به ماهرين في كل فضيلة. وحينما برَّأه مَن كان يحق له أن يحاكمه فإنهم لكي يجعلوا عذابهم الأبدي أشد شدَّة، طلبوا باجتهاد شديد أن يُحكم بعقوبة الموت على من لم يأتِ بأيِّ فعل أثيم، لأن كل الجمع صرخ قائلاً: "*خذ هذا وأطلق لنا باراباس*"

(لو٢٣: ١٨). لذلك فقد أنكروا حقًّا بوضوح القدوس البار، كما قال الطوباوي بطرس، وطلبوا أن يوهب لهم رجل قاتل (اع٣: ١٤)، لكيما يكونوا شركاء في نصيبه ومتورِّطين في ذنبه، وكان نصيبهم أن ينالوا العذاب، لأنهم قد سلَّموا للهلاك والفزع، وهلكوا جميعهم مع كل جنسهم، لأنهم "*صرخوا قائلين اصلبه اصلبه*" (لو٢٣: ٢١). وقد لام الرب صرختهم غير المقدسة هذه وقال بفم إرميا: "*قد تركتُ بيتي هجرتُ ميراثي، دفعتُ حبيبتي الغالية ليد أعدائها. صار لي ميراثي كأسد في الوعر، أطلق عليَّ صوته، من أجل ذلك أبغضته*" (إر١٢: ٧، ٨). لذلك أبغضهم الله لأنهم هجموا على المسيح كأسد، وأطلقوا ضده صيحة تتَّسم بالقسوة وعدم الشفقة. أمَّا نحن فنُسبِّح المسيح الذي تألم بالجسد بدلاً عنا، الذي به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.



عظة ١٥٢

يسوع في طريقه للصلب

(لو٢٣: ٢٤ـــ٣١): " فَحَكَمَ بِيلاَطُسُ أَنْ تَكُونَ طِلْبَتُهُمْ. فَأَطْلَقَ لَهُمُ الَّذِي طُرِحَ فِي السِّجْنِ لأَجْلِ فِتْنَةٍ وَقَتْلٍ الَّذِي طَلَبُوهُ وَأَسْلَمَ يَسُوعَ لِمَشِيئَتِهِمْ. وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ أَمْسَكُوا سِمْعَانَ رَجُلاً قَيْرَوَانِيًّا كَانَ آتِيًا مِنَ الْحَقْلِ وَوَضَعُوا عَلَيْهِ الصَّلِيبَ لِيَحْمِلَهُ خَلْفَ يَسُوعَ. وَتَبِعَهُ جُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الشَّعْبِ وَالنِّسَاءِ اللَّوَاتِي كُنَّ يَلْطِمْنَ أَيْضًا وَيَنُحْنَ عَلَيْهِ. فَالْتَفَتَ إِلَيْهِنَّ يَسُوعُ وَقَالَ: يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ لاَ تَبْكِينَ عَلَيَّ بَلِ ابْكِينَ عَلَى أَنْفُسِكُنَّ وَعَلَى أَوْلاَدِكُنَّ. لأَنَّهُ هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُونَ فِيهَا: طُوبَى لِلْعَوَاقِرِ وَالْبُطُونِ الَّتِي لَمْ تَلِدْ وَالثُّدِيِّ الَّتِي لَمْ تُرْضِعْ. حِينَئِذٍ يَبْتَدِئُونَ يَقُولُونَ لِلْجِبَالِ: اسْقُطِي عَلَيْنَا وَلِلآكَامِ: غَطِّينَا. لأَنَّهُ إِنْ كَانُوا بِالْعُودِ الرَّطْبِ يَفْعَلُونَ هَذَا فَمَاذَا يَكُونُ بِالْيَابِسِ؟ ".

إن مخافة الله مكروهة من فاعلي الشر، وهذا القول صحيح لأن الكتاب المقدس لا يمكن أن يكذب، لأن الرغبة في الحياة باستقامة وقداسة هو أمر غريب تمامًا عند أولئك الذين يحبون الشر، ولأن عنف أهوائهم يهاجمهم كوحشٍ كاسرٍ فهم لن ينصتوا لكلام من ينصحهم، بل يعتبرون كل من يعلِّمهم كيف ينبغي أن يحيوا الحياة الصالحة، بمثابة عدوٌ لهم. كان هذا هو الشعور الذى جعل جموع اليهود يبغضون المسيح، مع أنّ ما دعاهم إليه كان هو الخلاص وغفران الخطية، وإلى نمط من الحياة جدير بالإعجاب، وإلى برٍّ أسمى من برّ الناموس، وإلى عبادة روحية أعلى من الرموز والظلال.

لقد أتوا بالقدوس والبار إلى بيلاطس ونطقوا ضده بكلام عنيف ومتهوِّر، وانهالوا عليه باتهامات كاذبة ملفقة، واستمرُّوا طويلاً في كَيْل الاتهامات له بحدَّة حتى إن بيلاطس أخيرًا حكم أن تُلبَّى طلبتهم مع أنه قال علانية: " *أنا لا أجد علَّة في هذا الإنسان*"، لكنهم ــ بحسب النص ــ صرخوا قائلين: " *خذه، اصلبه*". وكان الرب قد وبَّخهم لأجل هذه الصرخة بالذات ــ الصرخة القاسية وغير الشرعية ــ بصوت النبي

إشعياء، لأنه هكذا مكتوب: "*إنَّ كَرم رب الجنود، الغرس الجديد والمحبوب هو بيت يهوذا، فانتظرتُ أن يصنع عدلاً ولكنه عمل إثمًا، وليس استقامة بل صراخًا*" (إش٥:٧س). وفي موضع آخر قال عنهم: "*ويل لهم لأنهم هربوا عنّي. إنهم تعساء لأنهم أخطأوا ضدّي، ولكن أنا افتديتهم أمَّا هم فتكلموا عليَّ بكذب*" (هو٧:١٣س)، وأيضًا: "*سيسقط رؤساؤهم بالسيف بسبب فظاظة لسانهم*" (هو٧:١٦س).

لذلك ــ بحسب النص ــ حكم بيلاطس أن تلبَّى طلبتهم، لكن كان من الأفضل لهم لو تغلَّبتْ رغبة بيلاطس وصار الحكم هو بإطلاق سراح الرب وتبرئته من كل جرم، وتمَّ فك البار البريء من قيوده لكنهم قاوموا وعارضوا بشدة، وهكذا فازوا بمأربهم الذى كان هو علَّة فسادهم، والذى أعدَّ لهم الشرك الذى كان سبب خرابهم، وجلب عليهم البؤس الشديد والمُحتَّم.

لكن أتوسل إليكم أن تلاحظوا هنا كيف أنَّ الحية المتمرِّدة، تُطرد من سيادتها علينا، وتحفر لنفسها هي ولرَهطِ الأشرار الذين يخدمونها هُوَّة الهلاك. لأنه كما يقول المرنم: "*وَقَعَت الأمم في الهلاك الذي صنعوه، وفي الفخ الذي نصبوه انتَشَبَت أرجلهم، سيُعرَف الرب أنه هو صانع الأحكام، والشرِّير يُؤخذ بعمل يديه*" (مز٩:١٥، ١٦س)، "*إذ ثبت أنَّ أعمال يديه هي بمثابة فخ له، وسقط هو في الحفرة التي حفرها، وارتدَّ تعبه على رأسه، وعلى هامته هبط إثمه*" (مز٧:١٥، ١٦س). لأنه كما قلت، قد طُرِد من طغيانه علينا. وهذا ما علَّمنا المخلِّص إياه، لأنه عندما كان مزمعًا أن يحتمل آلامه الخلاصية لأجلنا قال: "*الآن دينونة هذا العالم، الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجًا، وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليَّ الجميع*" (يو١٢:٣١و٣٢). لذلك فإن يسوع جاء إلى الصليب حتى إذا ما رُفع يمكنه أن يجتذب إليه الجميع، ولكيما بهذا يجرِّد الشيطان من عابديه، وهو الذي في علوّ كبريائه تجاسر على أن يقول: "*سأمسك العالم كله في يدي كعش، وكما يُجمع بيض مهجور جمعتُ أنا كل الأرض، ولن يوجد من يفلت مني أو يتكلم ضدي*" (إش١٠:١٤س).

إذًا، أنت لم تكن تتوقع أن ينهض أحد ضدك حينما كنت مستوليًا على ما ليس هو

لك. ولكن مع ذلك فالأنبياء تجاسروا أن يفعلوا ذلك، مع أنَّ الإسرائيليين كانوا بتهيُّجك وإغرائك يندفعون باستمرار إلى العنف وارتكاب جرائم قتل شنيعة. ثم قام ضدّك رب الكل وتكلم ضدّك، وإذ قد أخذ شكل العبد وتكلم كنبي، مع أنه هو المُعطي كل نبوة ومعرفة، وهو العالي الذي يفوق الكل تخلَّى عن مجده، وظهر في ضعفٍ مثلنا مع أنه رب الجنود. وأنت لم تعرف المخلِّص، وكما يقول إرميا النبي: "*قد وُجِدتَ وأُمسكتَ لأنك قد وقفت ضد الرب*" (إر٥٠:٢٤س). وكيف أُمسكتَ؟ بِكَوْن أولئك الذين كانوا في الظلمة والجهل الذي سبَّبته لهم نالوا نورًا، وأولئك الذين كانوا تائهين في الضلال جيء بهم إلى الطريق الصحيح، وسَقَطَت سيادتك الطاغية والقاسية، وبادت شوكة الخطية، وقُتِل الموت بموت المسيح. هذه هي المنافع التي صُنِعَت لنا بواسطة آلام المخلِّص، لذلك قُدْ يسوع! نعم قُده إلى الصليب الذي سيؤدِّي إلى خرابك، واخزن لنفسك النار التي لا تُطفأ، واحفر لنفسك الحفرة التى ستُطرح فيها إذ ستداس تحت أقدام أولئك الذين يخافون الرب. لذلك إن كنت تضحك عندما تراه مصلوبًا ومعلَّقًا على خشبة، لكن سرعان ما سوف تراه وقد قام من الأموات، وآنذاك سوف تُولوِل على الموت لأنه قد سقط. إيكِ بغزارة لدى رؤيتك للهلاك وهو ينهزم، إيكِ لأن الله يُعيد تشكيل طبيعة الإنسان لتتأهَّل للحياة، إذ هو سحق الخطية وأخضعها، هذه التى بفعلك تسلَّطَت علينا بوحشية، وأنت لن تعود بعد تشتكي على أي إنسان، لأن "*الله هو الذي يُبرِّر فمن هو الذي يدين*" (رو٨:٣٣،٣٤)، وكما يقول المرنم: "*كل إثم يسدُّ فاه*" (مز١٠٧:٤٢).

وهكذا اقتيد المخلِّص إلى آلامه المخلِّصة، لكنهم ــ يقول الكتاب ــ وضعوا صليبه على سمعان القيرواني، لكن إنجيلي قديس آخر قال إن المخلص نفسه حمل الخشبة (يو١٩:١٧)، كلاهما حتمًا صادق فيما يقوله، لأن المخلِّص حمل الصليب فعلاً، ولكن ربما لاقاهم سمعان القيرواني في وسط الطريق فأمسكوه وجعلوه يحمل الصليب بدلاً منه. ويوجد سبب هام لحقيقة أنَّ المسيح مخلِّص الكل حَمَل الصليب، هو أنه قد قيل عنه بفم إشعياء النبى: "*إنه يولَد لنا ولد ونُعطَى أيضًا ابنًا وتكون الرياسة على كتفه*"



(إش٩:٦س). لأن الرياسة كانت بالصليب الذي به صار مَلِكًا على العالم. وذلك لأنه أطاع الآب حتى الموت موت الصليب، فلأجل هذا السبب أيضًا رفَّعه الله وعظَّمه جدًّا، وأعطاه اسمًا فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممَن في السماء ومَن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أنَّ يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب (في٢:٨ـ١١).

وأعتقد أنه من المهم أن نلاحظ هذا الأمر أيضًا هنا، هو أنه عندما صعد الطوباوي إبراهيم إلى الجبل الذى أراه الله إياه ليُصعِد هناك إسحق ذبيحة بحسب أمر الله، فإن إبراهيم وضع الحطب على الصبي الذي كان مثالاً للمسيح وهو يحمل صليبه الخاص على كتفيه وهو صاعد إلى مجد آلامه، لأن كَوْن آلام المسيح هي مجده، فهذا هو ما علَّمه لنا المسيح بنفسه عندما قال: " الآن تمجد ابن الإنسان وتمجَّد الله فيه. إن كان الله قد تمجَّد فيه، فإن الله سيمجِّده في ذاته ويُمجِّده سريعًا" (يو١٣:٣١،٣٢).

كان يسوع ماضيًا إلى موضع الصلب وتبعته آنذاك نساء تبكين وكذلك آخرون كثيرون، لأن جنس النساء على الدوام يستسلم للبكاء، ولديهم استعداد أن يتأثَّروا بشِدَّة عندما يقترب أي شيء مُحزِن. أما يسوع فقال لهن: يا بنات أورشليم وفِّرن دموعكن لأجلي، وتوقَّفوا عن نحيبكن بخصوصي، بل "*بالأحرى لا تبكين علىَّ بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن، لأنه هوذا أيام تأتي سيكون فيها أفضل للنساء أن تكنَّ عواقر من أن تلِدن*". كيف هذا أو بأية طريقة؟ لأنه عندما وقعت الحرب على بلاد اليهود، هلك الجميع تمامًا كبيرهم مع صغيرهم، الأطفال مع أمهاتهم، والأبناء مع آبائهم، والجميع بادوا بلا تفريق. ويقول الرب إنه آنذاك سيعتبرونه أثمن شيء لديهم هو أن يُسحقوا تحت الجبال والآكام؛ لأنه في أثناء تلك الكوارث الفظيعة، فإن هذه المحن التي هي أقل وحشية وقسوة، تصير كأنها مرغوبة. لأنه يقول: "*لأنه إن كان بالعود الرطب يفعلون هذا، فماذا يكون باليابس؟*" (لو٢٣:٣١).

إنه أمر جدير باهتمامنا أن نفهم ماذا كان يقصد المخلِّص بهذه الكلمات، لأن القول

صيغ في هيئة مَثَل أو بالحري مِثال، لكنه مليء بالمعاني الروحية، وأنا أعتقد أنه ربما يقصد أن يوحِي بما يلي: فهو يشبّه نفسه بالشجرة الخضراء التي لها أوراق وأزهار وثمر، وأثماره كانت تعاليم وعظات وأيضًا مظاهر قوته الإلهية في معجزاته الإلهية فائقة الوصف، فأي عمل من أعماله لا يفوق مستوى إعجابنا؟ فهو قد أقام الموتى وطهّر البرص وشفى الأعمى وأعمال أخرى صنعها أثارت فينا كل التسبيح والتمجيد له. ورغم أنَّ هذه كانت هي أعماله، لكن جنود الرومان أو بالأحرى بيلاطس أدانه وحكم عليه بحكم جائر، وابتلاه بهذه الاستهزاءات القاسية، لذلك عندما يقول إن رؤساء الرومان قد أوقعوا بي كل هذه الأمور مع أنهم رأوني أتحلّى بمثل هذا المجد والمديح العظيم، فماذا سيفعلون بإسرائيل عندما يجدون أنه عود يابس غير مثمر؟ لأنهم لن يجدوا فيه شيئًا يستحق الإعجاب مِن الأشياء التي ربما يعتبرونها جديرة بالتكريم والرحمة. من الواضح أنهم سيحرقونه بالنار بدون أن يُظهروا له أيّة رحمة، بل وسيكابد بالأحرى القساوات التي ستتأتّى من هياج وحشي. فهذه كانت فعلاً البلايا التي أصابت الإسرائيليين عندما حتّم الله الذي يحكم بعدل، بالعقوبة التي استوجبها شرهم ضد المسيح. أمَّا نحن الذين نؤمن به، فإن المسيح ينعم علينا بالنعمة والبركة، الذي به ومعه لله الآب يليق التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.



عظة ١٥٣

يسوع يُعلق بين لصين

(لو٢٣: ٣٢ــ٤٣): " *وَجَاءُوا أَيْضًا بِاثْنَيْنِ آخَرَيْنِ مُذْنِبَيْنِ لِيُقْتَلاَ مَعَهُ. وَلَمَّا مَضَوْا بِهِ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى جُمْجُمَةَ صَلَبُوهُ هُنَاكَ مَعَ الْمُذْنِبَيْنِ وَاحِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَالآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ. [فَقَالَ يَسُوعُ: يَا أَبَتَاهُ اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ]. وَإِذِ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ اقْتَرَعُوا عَلَيْهَا. وَكَانَ الشَّعْبُ وَاقِفِينَ يَنْظُرُونَ وَالرُّؤَسَاءُ أَيْضًا مَعَهُمْ يَسْخَرُونَ بِهِ قَائِلِينَ: خَلَّصَ آخَرِينَ فَلْيُخَلِّصْ نَفْسَهُ إِنْ كَانَ هُوَ الْمَسِيحَ مُخْتَارَ اللهِ. وَالْجُنْدُ أَيْضًا اسْتَهْزَأُوا بِهِ وَهُمْ يَأْتُونَ وَيُقَدِّمُونَ لَهُ خَلاًّ. قَائِلِينَ : إِنْ كُنْتَ أَنْتَ مَلِكَ الْيَهُودِ فَخَلِّصْ نَفْسَكَ. وَكَانَ عُنْوَانٌ مَكْتُوبٌ فَوْقَهُ بِأَحْرُفٍ يُونَانِيَّةٍ وَرُومَانِيَّةٍ وَعِبْرَانِيَّةٍ: هَذَا هُوَ مَلِكُ الْيَهُودِ. وَكَانَ وَاحِدٌ مِنَ الْمُذْنِبَيْنِ الْمُعَلَّقَيْنِ يُجَدِّفُ عَلَيْهِ قَائِلاً: إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِيَّانَا!. فَانْتَهَرَهُ الآخَرُ قَائِلاً: أَوَلاَ أَنْتَ تَخَافُ اللهَ إِذْ أَنْتَ تَحْتَ هَذَا الْحُكْمِ بِعَيْنِهِ؟. أَمَّا نَحْنُ فَبِعَدْلٍ لأَنَّنَا نَنَالُ اسْتِحْقَاقَ مَا فَعَلْنَا وَأَمَّا هَذَا فَلَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ. ثُمَّ قَالَ لِيَسُوعَ: اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ* ".

إن الطوباوي بولس يعتبر سرّ تجسُّد الابن الوحيد جديرًا بكل إعجاب، وإن جاز القول، فإنه يبدي اندهاشه عن حكمة وسموّ تدبير الخلاص فيقول: " *يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه*" (رو١١: ٣٣) فانظروا كيف أنَّ مخلِّص ورب الكل، الذى به أوجد الآب كل شيء يُجدِّد طبيعة الإنسان ويستردّها إلى ما كانت عليه في البدء بصيرورته هو نفسه مثلنا، وحمله لآلامنا من أجلنا. لأن الإنسان الأول كان حقًا في البدء في فردوس البهجة، وقد أنعم الله عليه بغياب كلٍّ من الألم والفساد، لكن عندما احتقر الوصية التي أُعطِيَت له وسقط تحت اللعنة والدينونة وفى فخ الموت بأكله من الشجرة المحرَّمة، فإن المسيح ــ كما قلتُ ــ ردَّه إلى وضعه الأصلي بواسطة الشجرة (الخشبة، أي بواسطة خشبة الصليب) إذ احتمل الصليب الثمين لأجلنا كي ما يبيد الموت، الذي بواسطة الشجرة غزا أجساد البشر. فقد احتمل الآلام لكيما يخلِّصنا من الآلام، وكما

هو مكتوب: " *احتُقِر وخُذِل من الناس*" (إش٥٣:٣س) لكيما يجعلنا مكرَّمين، ولم يفعل خطية لكيما يكلِّل طبيعتنا بمجدٍ مشابه، وهو الذي لأجلنا صار إنسانًا خاضعًا كذلك لنصيبنا، وهو الذي يعطي حياة للعالم خضع للموت بالجسد. أفليس السرّ عميقًا إذن؟ ألا يلزمنا الاعتراف بأن التدبير أعظم ممَّا يمكن للغة أن تصفه؟ أيّ شك يمكن أن يوجد في هذا؟ لذلك ليتنا عندما نقدّم له التسبيح أن نكرِّر ما أنشده المرنّم بقيثارته: " *ما أعظم أعمالك... كلها بحكمة صنعتَ*" (مز١٠٣:٤س).

وهكذا عندما عُلِّق على الصليب الثمين، صُلب معه اثنان من اللصوص. ما الذي ترتَّب على هذا؟ كان قصد اليهود حقًّا من هذا هو السخرية به إلى أبعد حدٍّ ممكن، لكنه من ناحية أخرى كان تذكيرًا بالنبوة، لأنه مكتوب أنه " *أُحصيَ مع أثمة*" (إش٥٣:١٢س) لأنه من أجلنا صار هو لعنة، أى ملعونًا، لأنه مكتوب أيضًا: " *ملعون كل من عُلِّق على خشبة*" (تث٢١:٢٣). لكن عمله هذا أبطل اللعنة التى كانت علينا، لأننا معه وبسببه نكون مُباركين، وإذ يعلم بهذا الطوباوي داود، فإنه يقول:" *مباركون نحن من الرب الذى خلق السماء والأرض*" (مز١١٣:٢٣س). لأن بآلامه حلَّت علينا البركات، وهو دفع ديوننا بدلاً عنَّا وحمل خطايانا، وكما هو مكتوب، " *هو حمل خطايانا وجُلِد عوضًا عنَّا*" (إش٥٣:٦س)، "*وهو حمل خطايانا في جسده على الخشبة*" (١بط٢:٢٤). حقًّا إننا " *بجُبره شُفينا*" (إش٥٣:٥ش). هو أيضًا تألم بسبب خطايانا، وبهذا خلَّصنا من أمراض النفس. هو احتمل الهزء والازدراء والبصق لأن رؤساء مجمع اليهود استهزءوا به وهزُّوا رؤوسهم النجسة وصبُّوا عليه ضحكهم المرير قائلين: " *خلَّص آخرين فليخلِّص نفسه إن كان هو المسيح*". لكن إن كنتم حقًّا لا تؤمنون أنه هو المسيح فلماذا قتلتموه كالوريث؟ لماذا ترغبون في الاستيلاء على ميراثه؟ وإن كان قد خلَّص آخرين وأنتم تعرفون جيدًا أنّ الأمر حقًّا كان هكذا، فكيف تُعوِزه القوّة لأن يخلِّص نفسه من بين أيديكم؟ أنتم سمعتم في الهيكل أولئك الذين كانت وظيفتهم أن يرتِّلوا وينشدوا في الخورس يقولون على الدوام: "*ثقبوا يديَّ ورجليَّ... أحصوا كلَّ عظامي، وهم ينظرون ويتفرّسون فيَّ، يقسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون*" (مز٢١:١٦



ـ١٨س)، وكذلك " *يعطونني علقمًا لطعامي، ولعطشي يعطونني خلًّا لأشرب* " (مز٦٨: ٢١س)، وحيث إنكم متمرّسون في الناموس ـ مثلما تعتبرون أنفسكم هكذا ـ فكيف يتأتّى لكم أن تتركوا النبوة وتتركوا دونما فحص ما سبق الإخبار به بخصوص هذه الأشياء؟ كان واجبكم أن تستفهموا وتبحثوا عمَّن قيلت هذه الأشياء، أقصد على أي شخص يليق بكم أن تُطبّقوا هذه الآيات. أنتم سمعتم قائدكم العظيم موسى ينبئكم عن وحشية هجماتكم، لأنه قال إنكم " *سوف تبصرون حياتكم معلَّقة على خشبة*" (تث٢٨: ٦٦س). أي سترون الذي هو علّة الحياة، أو بالحري مَن هو الحياة ذاتها معلَّقًا على خشبة، فكيف تتجاهلون تمامًا نبوة موسى الذى به تفتخرون جدًّا؟ لأننا سمعناكم تُصرّحون علانية: " *نحن تلاميذ موسى*" (يو٩: ٢٨).

أخبرنى ماذا تقصد بإنغاضك الرأس عليه؟ هل تزدري بالاحتمال الوديع للمتألِّم؟ أم لكي تُبرهِن بهذا على تحجُّر قلبك وقساوته الشديدة؟ هل أنت متلهّف على إخضاع رئيس الحياة لموت الجسد؟ لماذا تتطفل على التدابير المقدّسة؟ لماذا تفكر في مشورةٍ لن تستطيع تحقيقها؟ إنه مكتوب: " *الساكن في السموات يضحك بهم، والرب يستهزئ بهم*" (مز٢: ٤).

وكما قلتُ، صُلب معه لصان من باب السخرية على تلك الآلام التى تجلب الخلاص لكل العالم، ولكن أحد هذين اللصين شابه في سلوكه عقوق اليهود، إذ قذف بقوّة نفس كلماتهم، وتفوّه بسهولة بتعبيرات تجديفيّة فقال: " *إن كنت أنت المسيح فخلِّص نفسك وإيانا*"، أمّا الآخر فقد اتّبع مسلكًا مخالفًا وهو جدير عن حق بإعجابنا، لأنه آمن به. وبينما كان يكابد أقصى عقوبة، وبَّخ صرخات اليهود المتهوِّرة وكذلك كلمات اللص الآخر الذى كان مصلوبًا معه، إنه اعترف بخطاياه لكيما ما يتبرّر (إش٤٣: ٢٦س)، وصار لائمًا لطرق نفسه الخاطئة لكيما يبرئه الله من ذنبه كما هو مكتوب: " *قلتُ أعترفُ للرب بإثمي وأنت صفحتَ لي عن نفاقات قلبي*" (مز٣١: ٥س)، وهو شهد للمسيح بالبراءة ووبَّخ افتقار اليهود لمحبتهم لله وأدان حكم بيلاطس إذ قال عن المسيح: أمّا هذا فلم يفعل شيئًا مكروهًا. كم هو جميل هذا الاعتراف، كم هي



حكيمة تعليلاته، كم هي سامية أفكاره. لقد صار معترفًا بمجد المخلص، ولائمًا لكبرياء الذين صلبوه. فأية مكافأة نالها؟ وأي كرامات كان هو جدير بها؟ وأية منفعة عادت على هذا اللص الذي كان أول من يُعلِن الإيمان؟ فهو عثر على كنز جدير بالامتلاك، وصار غنيًّا على غير توقع، واقتنى كل بركة، وفاز بميراث القديسين، وصار اسمه مكتوبًا فوق في السموات، والذي كان يكابد حكم الموت صار اسمه في سفر الحياة وأصبح في عداد سكان المدينة السماوية.

فلنتطلَّع إلى اعترافه الإيمانى الجميل جدًّا، إذ قال ليسوع: "*اذكرني يا رب متى جئتَ في ملكوتك*". أنت تراه مصلوبًا وتدعوه ملكًا؛ وذاك الذي كان يكابد العذاب والاستهزاء، أنت تتوقع مجيئه في مجد إلهي؛ أنت تراه محاطًا بجموع اليهود وزمرة الفريسيين الأشرار وعسكر بيلاطس، وهؤلاء جميعًا يسخرون به، وليس بينهم واحد يعترف به...

(عدد ٤٤،٤٥): "*وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ. وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ وَانْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ مِنْ وَسَطِهِ*".

ذاك الذي يفوق كل المخلوقات ويشارك في عرش الآب، وَضع ذاته إلى درجة الإخلاء وأخذ شكل العبد واحتمل حدود الطبيعة البشرية لكيما يوفي بالوعد الذي أعطاه الله لأجداد اليهود، لكنهم كانوا في منتهى العناد وعدم الطاعة إلى درجة أن يثوروا على سيدهم. لأنهم جعلوا جلَّ شغلهم الشاغل هو أن يُسلِّموا رئيس الحياة للموت وأن يصلبوا رب المجد، لكنهم لما ثبَّتوا رب الكل على الصليب، انسحبت الشمس من على رؤوسهم وتدثَّر النور بالظلام في منتصف النهار مثلما أنبأ عاموس النبي (عا٨:١٨)، لأنه كانت هناك ظلمة من الساعة السادسة إلى الساعة التاسعة، وهذه كانت علامة واضحة لليهود أنَّ أذهان الذين صلبوه قد تغلَّفت بظلمة روحية، لأن العمى والقساوة قد حصلت جزئيًّا لإسرائيل (رو١١:٢٥)، وداود في محبته لله يلعنهم قائلاً: لتظلم عيونهم لكي لا يبصروا (مز٦٨:٢٣س).

نعم! الخليقة ذاتها ندبت ربها، لأن الشمس أظلمت والصخور تشقَّقت، والهيكل ذاته



ارتدى ثياب النائحين إذ انشق حجابه من أعلى إلى أسفل، وهذا ما يشير به الله إلينا بفم إشعياء قائلاً ألبس السموات ظلامًا، وبالمسح أُغطِّيها (إش٥٠:٣س).

(عدد ٤٧): "*فَلَمَّا رَأَى قَائِدُ الْمِئَةِ مَا كَانَ مَجَّدَ اللهَ قَائِلاً: بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هَذَا الإِنْسَانُ بَارًّا*".

أتوسل إليكم أن تلاحظوا أيضًا أنه بمجرد أن كابد آلامه على الصليب لأجلنا، حتى ابتدأ في اكتساب الكثيرين إلى معرفة الحق، إذ يقول النص: إنه لما رأى قائد المائة ما حدث مجَّد الله قائلاً : بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًا، وبعض اليهود أيضًا قرعوا صدورهم إذ ــ بدون شك ــ قد وَخَزَتهم ضمائرهم وتطلَّعوا بأعين أذهانهم إلى الرب، وربما برَّأوا أنفسهم من سلوكهم المشين ضد المسيح بهتافهم ضدَّ من صلبوه حتى وإن لم يتجاسروا على فعل هذا علانية بسبب عدم تَقْوَى الحكام. لذلك قال ربنا عن حق: "*وأنا إن ارتفعتُ عن الأرض أجذب إليَّ جميع الناس*" (يو١٢:٣٢).

(عدد ٥٥): "*وَتَبِعَتْهُ نِسَاءٌ كُنَّ قَدْ أَتَيْنَ مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ وَنَظَرْنَ الْقَبْرَ وَكَيْفَ وُضِعَ جَسَدُهُ*".

إن نساء حكيمات تبعن المسيح مخلصنا جميعًا، جامعاتٍ كل ما كان مفيدًا ضروريًا للإيمان به، وعندما قدَّم جسده كَفِدية لحياتنا جميعًا، عكفنَ بحكمة واجتهاد على الاعتناء بجسده، لأنهن ظننَ أنَّ جسده سيبقى على الدوام في القبر.



(أيقونة تصور الملاك وهو يشير إلى القبر الفارغ بينما النسوة حاملات
الحنوط واقفات عند القبر)

الأصحاح الرابع والعشرون



ثم فى أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه ومعهن أناس

الأصحاح الرابع والعشرون

عظة ١٥٤

قيامة المسيح

(لو ٢٤: ١ــ٥): "*ثُمَّ فِي أَوَّلِ الأُسْبُوعِ أَوَّلَ الْفَجْرِ أَتَيْنَ إِلَى الْقَبْرِ حَامِلاَتٍ الْحَنُوطَ الَّذِي أَعْدَدْنَهُ وَمَعَهُنَّ أُنَاسٌ. فَوَجَدْنَ الْحَجَرَ مُدَحْرَجًا عَنِ الْقَبْرِ. فَدَخَلْنَ وَلَمْ يَجِدْنَ جَسَدَ الرَّبِّ يَسُوعَ. وَفِيمَا هُنَّ مُحْتَارَاتٌ فِي ذلِكَ إِذَا رَجُلاَنِ وَقَفَا بِهِنَّ بِثِيَابٍ بَرَّاقَةٍ. وَإِذْ كُنَّ خَائِفَاتٍ وَمُنَكِّسَاتٍ وُجُوهَهُنَّ إِلَى الأَرْضِ*".

النسوة أتين إلى القبر، ولما لم يجدن جسد المسيح ــ لأنه كان قد قام ــ فإنهن تحيّرن كثيرًا. ثم ماذا تبع ذلك؟ إنهنّ لأجل حبهنّ للمسيح، ولأجل غيرتهنّ الحارّة له، فقد حُسِبن مستحقات أن يَرين الملاكين المقدَّسَيْن اللذين أخبراهن بالأخبار السارة، وصارا مبشرين بالقيامة قائلين: "***لماذا تطلبن الحي بين الأموات؟ ليس هو ههنا لكنه قام***" (لو٢٤: ٥، ٦). إن كلمة الله حي إلى الأبد، وبحسب طبيعته هو الحياة ذاتها، ولكنه عندما أخلى ذاته، ووضع نفسه ليصير مثلنا، فإنه ذاق الموت، ولكنه برهن على موت الموت، لأنه قام من الموت ليصير هو الطريق الذى به ليس هو فقط بل نحن أيضًا نعود إلى عدم الفساد. ليت لا أحد يبحث عن ــ هذا الحي إلى الأبد ــ بين الأموات، لأنه هو ليس هنا بين الأموات وهو ليس في القبر، ولكن أين يوجد بالأحرى؟ ببساطة ووضوح، هو في السماء، في مجد الله. ولأجل أن يرسّخ الملاكان بأكثر ثبات إيمان النسوة بهذه الأخبار، فإنهما أعادا إلى ذاكرتهن ما سبق أن قاله المسيح: " ***اذكرن كيف كلّمكن وهو بعد في الجليل قائلاً: إنه ينبغي أن يُسلَّم ابن الإنسان في أيدي أناس خطاة ويُصلب وفي اليوم الثالث يقوم***" (لو٢٤: ٧).



إن الملائكة هم الذين أتوا بالأنباء السارة للميلاد إلى الرعاة في بيت لحم، والآن أيضًا هم الذين يُبلِّغون أخبار القيامة، والسماء تُقدِّم خدمتها لتشهد له، والأجناد الروحانية العلوية تعبد الابن كإله حتى بعد أن صار جسدًا.

(عدد ٩): "*وَرَجَعْنَ مِنَ الْقَبْرِ وَأَخْبَرْنَ الأَحَدَ عَشَرَ وَجَمِيعَ الْبَاقِينَ بِهَذَا كُلِّه*".

بعد أن تعلَّمن السِّر من صوت الملائكة، فإنهن أسرعن ليبلغن التلاميذ بهذه الأمور. كان لائقًا جدًّا أنَّ هذه النعمة، رغم أنها عظيمة جدًّا أن تُخوَّل للنساء، إذ أنَّ المرأة التي خدمت الموت في القديم قد أُعتِقت الآن من ذنبها، بالخدمة التي وصلتها بصوت الملائكة القديسين، وكذلك لأنها صارت الأولى لأنها أولاً: علِمت، وثانيًا: لأنها أخبرت بسرِّ القيامة المجيد. لذلك فإن الجنس النسائي قد نال البراءة من العار، وكذلك بطُلَت اللعنة، وذلك لأن الذي قال للمرأة في القديم: بالوجع تلدين أولادًا (تك٣:١٦) هو الذى خلصها من البليَّة، بأن قابلها في البستان ــ كما ورد في إنجيل آخر ــ وقال لها: "سلام" (متى٢٨:٩). أمَّا بخصوص الرسل القديسين، فقد ظلَّت رواية القيامة تبدو لهم وكأنها غير معقولة تمامًا ومزيَّفة، لأنه حتى ذلك الوقت لم يكونوا يعرفون الكتب المقدسة، لذلك كانوا غير مُصدِّقين، ولأجل ذلك فقد سَخَروا من خبر القيامة ورفضوه.

ولكن كيف أنَّ التلاميذ في إنجيل يوحنا، بعد أن سمعوا مريم المجدلية، وركضوا تجاه القبر آمنوا ؟ بخصوص هذا فإن البشائر تشهد لهم بالقول: "*فحينئذ دخل أيضًا التلميذ الآخر الذى جاء أولاً إلى القبر ورأى فآمن*" (يو٢٠:٨). فالاثنان آمنا: بطرس ويوحنا. أمَّا إنجيل لوقا فيقول: ورجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله، وكانت مريم المجدلية ويونا ومريم أم يعقوب والباقيات معهن اللواتي قُلن هذا للرسل ، فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ولم يصدقوهن.

(أعداد ١٣ــ١٥): "*وَإِذَا اثْنَانِ مِنْهُمْ كَانَا مُنْطَلِقَيْنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى قَرْيَةٍ بَعِيدَةٍ عَنْ أُورُشَلِيمَ سِتِّينَ غَلْوَةً اسْمُهَا عِمْوَاسُ. وَكَانَا يَتَكَلَّمَانِ بَعْضُهُمَا مَعَ بَعْضٍ عَنْ جَمِيعِ هَذِهِ الْحَوَادِثِ. وَفِيمَا هُمَا يَتَكَلَّمَانِ وَيَتَحَاوَرَانِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمَا يَسُوعُ نَفْسُهُ وَكَانَ يَمْشِي مَعَهُمَا*".



بخصوص الاثنين اللذين كانا منطلقين إلى قرية عمواس، فقد كانا يتكلمان مع بعضهما بشأن المسيح، وهما يعتبرانه أنه لم يَعُد بعد على قيد الحياة، بل كانا ينوحان عليه كميت، وبينما كانا يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه وكان يمشي معهما دون أن يعرفاه، لأن أعينهما أُمسِكت عن معرفته (ع١٦). فقال لهما: "*ما هذا الكلام الذي تتطارحان به وأنتما ماشيان عابسين؟ فأجاب أحدهما الذى اسمه كليوباس وقال له: هل أنت متغرّب وحدك في أورشليم... إلخ*" (أعداد ١٧ـ٢١)، ثم أخبراه عن الإشاعات التى وَافَتهُم بها النسوة بخصوص القيامة، وكذلك بخصوص كلام بطرس، ولكنهما لم يصدقوهن، لأنه بقولهما: "*بل بعض النسوة حيّرننا... لأنهم لم يجدن الجسد...*" (أعداد٢٢،٢٣)، يتضح أنهما لم يقتنعا ليؤمنا بالأخبار، ولا نظرا إليها كأخبار حقيقية، ولكنها أصبحت في نظرهما أخبارًا تدعو إلى القلق والدهشة، بل وحتى شهادة بطرس الذى رأى اللفائف الكتان عند القبر، لم يعتبراها برهانًا كافيًا جديرًا بالثقة والتصديق بخصوص القيامة لأن الإنجيلي لم يقل عنه إنه رأى الرب شخصيًّا، بل إنه استنتج أنه قام بسبب كونه لم يعد موجودًا في القبر. يجب عليكم أيضًا أن تعلموا أنَّ هذين الاثنين هما من عداد السبعين تلميذًا، وكان سمعان ـــ وهو غير بطرس ـــ هو رفيق كليوباس، كما أنه ليس من قانا، ولكنه واحد من السبعين[1].

(عدد ٢٧): "*ثُمَّ ابْتَدَأَ مِنْ مُوسَى وَمِنْ جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ يُفَسِّرُ لَهُمَا الأُمُورَ الْمُخْتَصَّةَ بِهِ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ*".

لقد بيَّن الرب من خلال هذا الحديث أنَّ الناموس كان ضروريًّا ليُمهِّد الطريق، وأيضًا خدمة الأنبياء كانت لازمة لتُعِد البشر للإيمان بهذا العمل الفائق، حتى إذا ما تم هذا العمل بالفعل، فإنه يجب على هؤلاء الذين ينزعجون بسبب المجد الفائق أن يتذكروا ما سبق أن قيل في القديم، وهذا يقودهم إلى الإيمان، لذلك فإن يسوع قد مهَّد الطريق لهم من خلال كتابات موسى والأنبياء، وهو يشرح لهما معانيها الخفية،

[1] يقول أوريجينوس في ديباجة شرحه لإنجيل يوحنا نفس التقليد، فيذكر أنَّ رفيق كليوباس كان يُسمى سمعان، أما في المؤلفات المتأخرة مثل ثيوفلاكت، فإنه يظن أنَّ هذا الرفيق كان لوقا نفسه.

ويفسِّر للذين يستحقون ما هو غامض على غير المستحقين، وهكذا يوطِّد في داخلهم الإيمان القديم والمتوارَث الذي تعلَّموه من الكتب المقدسة التي كانت في حوزتهم، لأنه لا شئ يأتي من عند الله بلا منفعة، بل الكل له الموضع والخدمة المحدَّدة. فالخدام يُرسلون مسبقًا إلى مكانهم الواجب ليعدُّوا لحضور السيد، بأن يقدموا من قِبَل نبوات كإعداد ضروري مسبق للإيمان، تمامًا مثل كنز ملكي قد سبق التنبؤ عنه، فإنه يجب في الأوان المناسب أن يُؤتى به من مخبئه السابق المُحاط بالغموض، بأن يُماط عنه اللثام ويصبح ظاهرًا جليًا من خلال وضوح التفسير. وهكذا فإن الرب بعد أن حرَّك عقليهما عن طريق كتابات الناموس والأنبياء، فإنه بعد ذلك بوضوح أكثر، وضع نفسه أمامهما عندما قبل رجاءهما بأن يذهب معهما إلى القرية، إذ أنه أخذ خبزًا وباركه وقسمه بينهما، لأنه مكتوب: أُمسكت أعينهما عن معرفته (ع١٦)، إلى أن دخلت الكلمة داخلهما وحركت قلبيهما للإيمان، وبعد ذلك صيَّرت ما سبق أن سمعاه وآمنا به، مرئيًا، لأنه منحهما الرؤية في أوانها بعد السماع، إلاَّ أنه لم يستمر معهما لأن الكتاب يقول: "*ثم اختفى عنهما*"، لأن علاقة الرب بالناس بعد القيامة لا تستمر كما كانت من قبل، لأنهم هم يحتاجون إلى تجديد وحياة ثانية في المسيح، حتى يلتحم الجديد بالجديد، وغير الفاسد يقترب من غير الفاسد، أليس لهذا السبب لم يسمح الرب ــ كما يقول يوحنا في إنجيله (انظر يو٢٠:١٧) لمريم المجدلية أن تلمسه إلى أن يصعد ثم يعود ثانية.

(عدد ٣٣): "*فَقَامَا فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَرَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ وَوَجَدَا الأَحَدَ عَشَرَ مُجْتَمِعِينَ هُمْ وَالَّذِينَ مَعَهُمْ*".

يقول الكتاب إن كليوباس ورفيقه قاما في تلك الساعة. وذلك في نفس الوقت الذي اختفى فيه المسيح عن أعينهما ورجعا إلى أورشليم، ولكنه لم يقل إنهما وجدا الأحد عشر مجتمعين معًا في نفس تلك الساعة، وأنهما قالا لهم ما حدث بخصوص المسيح بل بعد مرور عدد من الساعات تكفي للسفر ستين غلوة بين عمواس وأورشليم، وفي أثناء هذه الساعات ظهر الرب لسمعان بطرس.



والبشير (لوقا) حذف الأحداث التى تمَّت في خلال هذا الزمن (الأربعين) بين ظهوره للرسل في أورشليم وبين اليوم الذى ارتفع فيه. أمَّا ما سمعه كليوباس ورفيقه من الرسل: " *إنَّ الرب قام بالحقيقة وظهر لسمعان* " (لو٢٤: ٣٤)، فهذا الظهور لم يذكر عنه أين أو متى أو كيف تم... خلال هذه الفترة أيضًا (بين الظهور مساء القيامة وبين الصعود) تمت الأحداث التي في الجليل والتي سجلها القديس متى (انظر مت٢٨:١٦ــ٢٠)[٢].

(عدد ٣٦): " *وَفِيمَا هُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِهذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسْطِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: سَلاَمٌ لَكُمْ!* ".

والآن، نحن نلتزم بترتيب الحوادث، فإننا نقول إن رواية القيامة قد بلغت الرسل من جهات مختلفة، وصارت رغبتهم في رؤية الرب جامحة، وها هو يأتي بحسب رغبتهم ويقف مرئيًا في وسطهم ويُعلِن نفسه إذ قد صاروا يبحثون عنه ويتوقَّعون حضوره، وها هو الآن يظهر لهم وأعينهم ليست مُمسكة عن المعرفة، ولا كمن يتحدث معهم عن شخص آخر، وهو الآن يسمح لهم أن يبصروه بوضوح، ويُحيِّيهم بالتحيَّة الملائمة، ولكن مع ذلك " *فإنهم جزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحًا* " (لو٢٤:٣٧)، أي ظنوا أنه ليس هو نفسه، بل مُجرَّد شبح وخيال. وللوقت فإنه هدَّأ من روعهم وقلقهم بسبب هذه الأفكار التى خطرت في قلوبهم وخاطبهم بتحيته المعتادة وقال: "*سلام لكم*".

(عدد ٣٨): " *فَقَالَ لَهُمْ: مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟* ".

لكي يقنعهم الرب بتأكيد لا يدع مجالاً للشك بأنه هو نفسه الذي تألَّم، فإنه يُبيِّن للتو أنه بسبب كونه الله بالطبيعة، فإنه يعرف ما هو مخفي، وأن الأفكار الثائرة داخلهم لا تخفى عن معرفته، لذلك قال لهم: " *ما بالكم مضطربين؟* " هذا برهان واضح أنَّ هذا الذي يرونه أمامهم ليس شخصًا آخر، بل هو نفسه الذي رأوه يذوق الموت على

[٢] ذكر القديس يوحنا في إنجيله ظهورات بعد ظهوره يوم القيامة نفسه وذلك في يوحنا ٢٠:٢٤ــ٣١، ويوحنا ص٢١ كله (المترجم).

الصليب، والذي وُضِع في القبر، وهو نفسه الذي يفحص القلوب والكُلى والذي ليس شيء غير مكشوف لعينيه. هذا الأمر يعطيه لهم كعلامة تدل علي شخصه، أعني معرفته بالأفكار الثائرة داخلهم. ولكي يبرهن لهم بصورة أقوى، وبطريقة أخرى أنَّ الموت قد قُهِرَ، وأن الطبيعة البشرية قد خلعت عنها الفساد في شخصه كباكورة، فإنه أراهم يديه ورجليه وثقوب المسامير وسمح لهم بأن يمسكوه، لكى يقنعهم بكل وسيلة أنَّ نفس الجسد الذي تألم هو الذى قام كما قلت لكم. لذلك ليت لا أحد يثير اعتراضات تافهة بخصوص القيامة، وإن كنتم تسمعون الكتاب المقدس يقول عن الجسم الإنسانى إنه يُزرع جسمًا حيوانيًّا ويُقام جسمًا روحانيًّا (١كو١٥:٤٤) فلا تنكروا عودة الأجسام البشرية إلى عدم الفساد، لأنه كما أنَّ الحيواني هو الذي يكون تابعًا ويخضع للبهيمية أي الشهوات الجسدانية، كذلك أيضًا الروحاني هو تحت سلطان الروح القدس (أي جسمًا روحانيًّا).

لأنه لن يوجد بعد القيامة من الموت فرصة للعواطف الجسدانية لأن مِهماز الخطية سيكون بلا قوة تمامًا، وهذا الجسد نفسه الذى جُبِل من الأرض، سوف يلبس عدم فساد. ولكى يتأكد التلاميذ تمامًا أنَّ هذا هو نفسه الذى تألم وقُبِرَ، وهو الذي قام ثانيةً وهو واقف الآن أمامهم، فإنه ــ كما قلت لكم ــ أراهم يديه ورجليه. وأمرهم أن يكونوا مقتنعين تمامًا أنه ليس روحًا كما يظنون، بل هو بالحري قام بجسد حقيقي، فيقول لهم: "***فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لي***" (ع٣٩)، لأن الظِّلَ والروح والشبح لا يمكن لمسها باليد.

وبعد أن أراهم ــ كما قلنا ــ يديه ورجليه، فإنه أقنعهم تمامًا أنَّ الجسد الذي تألم قد قام، ولكن من أجل أن يجعل فيهم قدرًا وافرًا من الإيمان بتأكيد أكثر، فإنه سألهم عن طعام، فناولوه جزءًا من سمك مشوي (ع٤٢)، فأخذ وأكل قدامهم (ع٤٣)، وهذا فعله ليس لأي سبب آخر سوى أن يبيِّن أنَّ مَن قام من الأموات هو نفسه الذي فيما مضى أكل وشرب معهم طوال فترة خدمته معهم، وهو الذي تكلم معهم كإنسان بحسب الصوت النبوي في القديم (باروخ٣:٣٧)، وكان قصده من هذا أن يلاحظوا أنَّ الجسم البشري



يحتاج فعلاً إلى غذاء من هذا النوع، أما الروح فلا تحتاج لذلك. فالذى يستحق أن يُدعَى مؤمنًا، والذي يقبل بلا تردد شهادة الإنجيليين القديسين (بخصوص القيامة) لن ينصت فيما بعد إلى خرافات الهراطقة، ولن يمكنه أن يحتمل تجارة الخياليين المُغرِضة والرخيصة[٣]. إن قوة المسيح تفُوق أسئلة البشر، كما أنها ليست على مستوى الفهم كالأحداث المعتادة. المسيح أكل آنذاك جزءًا من سمك بسبب القيامة، أما النتائج الطبيعية للأكل فلا يمكن أن تحدث في حالة المسيح بالطريقة التى يمكن أن يعترض بها غير المؤمن، الذى لا يعرف سوى أنَّ ما يدخل الفم يلزم بالضرورة أن يمضي إلى الجوف ويندفع إلى المخرج (مت١٥:١٧)، أمَّا المؤمن فلن يفسح مجالاً لمثل هذه الاعتراضات التافهة في عقله، ولكن يترك الأمر إلى قوة الله.

(عدد ٤٥): "*حينئذٍ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب*".

بعد أن هدَّأ الرب أفكارهم بما قاله لهم، وبلمسة أيديهم له، وبمشاركته لهم في الأكل، حينئذٍ فتح ذهنهم ليفهموا أنه كان ينبغى له أن يتألم وأن يُعلَّق على خشبة الصليب. هنا يعيد الرب إلى أذهان التلاميذ ما قاله لهم سابقًا، لأنه سبق أن أخبرهم بخصوص آلامه على الصليب بحسب ما تكلم الأنبياء قبل ذلك بوقت طويل كما أنه فتح أيضًا عيون قلوبهم حتى يفهموا النبوات القديمة.

لقد وعد المخلص تلاميذه بحلول الروح القدس الذى سبق أن أعلن الله عنه في القديم بيوئيل النبي (يو٢:٢٨)، والقوة النازلة من الأعالى حتى يصيروا أقوياء لا يُقهرون ويكونوا بلا خوف تمامًا لكي يعلِّموا السر الإلهي للناس في كل مكان.

إنه يطلب إليهم الآن بعد القيامة أن يقبلوا الروح القدس: "*اقبلوا الروح القدس*" (يو٢٠:٢٢)، ويضيف: "*أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه مني، لأن يوحنا عمَّد بالماء وأما أنتم فستتعمَّدون بالروح القدس*" (أع١:٤،٥). إنه لا يضيف ماء إلى ماء، ولكنه يكمل ما كان ناقصًا بإضافة ما كان مكملاً له (أي الروح).

[٣] يقصد هنا هؤلاء الذين يُروِّجون إشاعة أنَّ جسد الرب خيالي أو شبح أى ليس جسدًا حقيقيًا.

(عدد ٥١): "*وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمُ انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ*".

أنه ارتفع إلى السماء حتى يشترك في عرش الآب بالجسد الذى هو متَّحد به.

هذا الطريق الجديد قد صنعه الكلمة لنا بعد أن ظهر في الطبيعة البشرية. وبعد ذلك، وفي الوقت المناسب، سوف يأتي ثانيةً في مجد أبيه مع الملائكة، فيأخذنا إليه لنكون دائمًا معه.

لذلك دعنا نُمجِّده، هذا الذي وهو الإله الكلمة صار إنسانًا لأجلنا، هذا الذي تألم بإرادته في الجسد وقام من الأموات وأبطل الفساد، هذا الذي ارتفع إلى السماء، وسوف يأتي بمجدٍ عظيم ليدين الأحياء والأموات، وليعطي كل واحد بحسب أعماله، هذا الذي به ومعه لله الآب يليق المجد والقوة مع الروح القدس إلى دهر الدهور. آمين.

(انتهى)

فهرس لبعض الكلمات التي وردت بالنص















(ك)

(م)

(ن)



(و)

(ي)